

يـــا

صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ في النَّجَـفِ
مَن زارَ قَبرُكَ واسْتَشفى لَدَيكَ شُفِي
زوروا أَبا الحَسَنِ الهادي لَعَلَّكُـــمُ
تُحظَون بالأجرِ والإقبالِ والزُّلَف
زوروا لِمَن تُسْمَعُ النَّجوى لَديهِ فَمَنْ
يَزرهُ بالقَبرِ مَلهوفاً لَديهِ كُفِـــي
إذا وَصَلْ فَاحْرِمْ قَبْلَ تَدْخُلَهُ
مُلَبِّيـاً وإسْعَ سَعْياً حَولَهُ وطُـفِ
حَتَّى إذا طِفْـــتَ سَبْعاً حَولَ قُبَّتِهِ
تأَمَّـلْ البابَ تَلْقى وَجْهَهُ فَقِـــفِ
وقُل سَلامٌ من اللهِ الســـلامِ على
أَهـلِ السلامِ وَأهلِ العلمِ والشـرَفِ

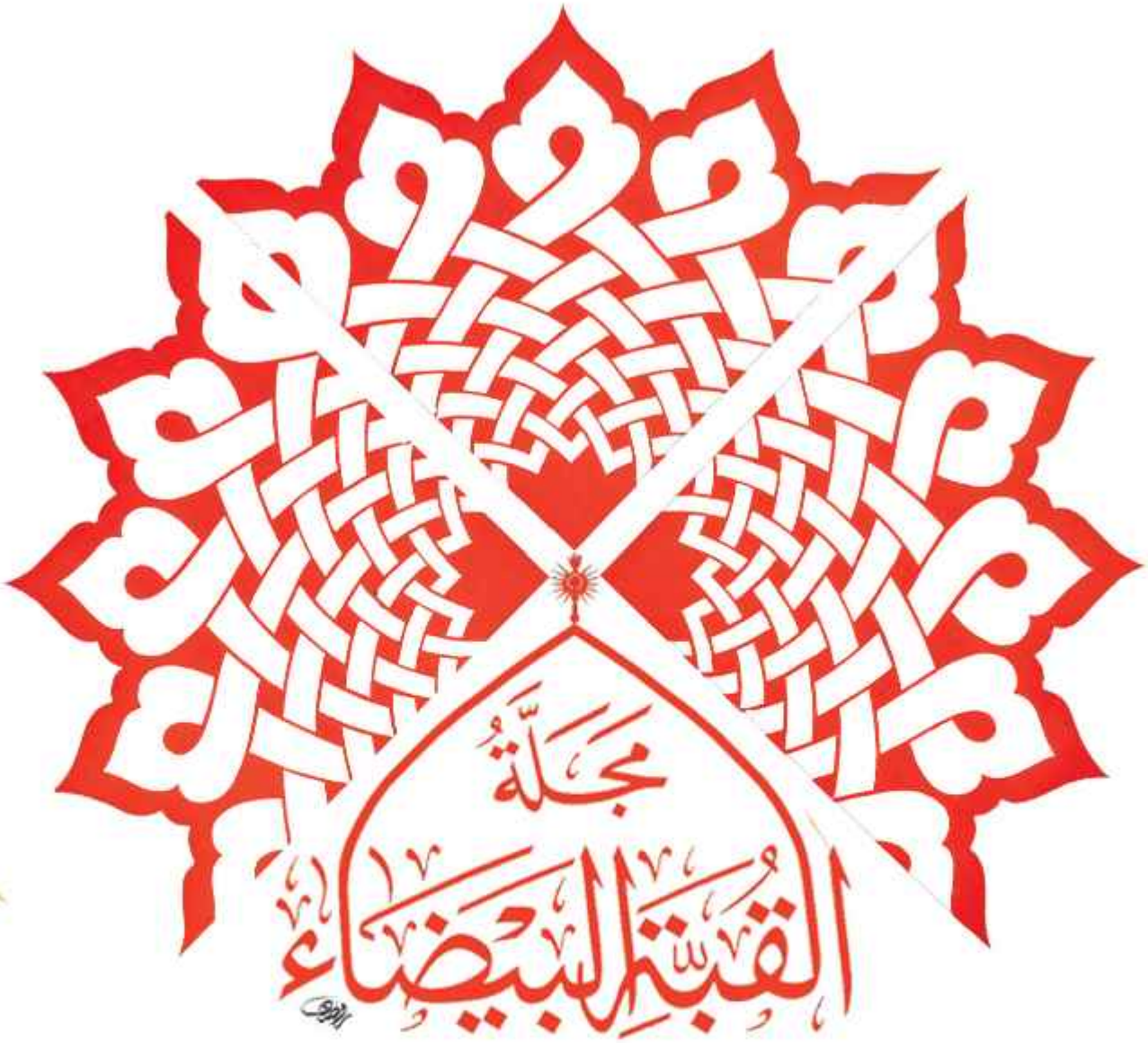

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية

السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

العدد (٩)جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م المجلد الثامن

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.: الرقم: ب ت/ ٤/ ٨١٦٥
Date التاريخ: ٢٠/ ٧/ ٢٠٢٥

ديوان الوقف الشيعي/ دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة القبة البيضاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٣٧٥ بتاريخ ٢٠٢٥/٧/٩، والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٤/ ٣٠٠٨ في ٢٠٢٤/٣/١٩، والمتضمن استحداث مجلتكم التي تصدر عن دائرتكم المذكوره اعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا اعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

...مع وافر التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ٧ /١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادرة

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة القبة البيضاء مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

مهند ابراهيم
١٥/ تموز

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المشرف العام
عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ . د . سامي حمود الحاج جاسم
التخصص/تاريخ إسلامي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

مدير التحرير
حسين علي محمّد حسن
التخصص/لغة عربية وآدابها
دائرة البحوث والدراسات/ديوان الوقف الشيعي

هيأة التحرير
أ . د . علي عبد كنو
التخصص / علوم قرءان /تفسير
جامعة ديالى / كليةالعلوم الإسلامية
أ . د . علي عطية شرقي
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد
أ . م . د . عقيل عباس الريكان
التخصص/ علوم قرءان تفسير
الجامعة المستنصرية/ كليةالتربية الأساسية
أ . م . د.أحمد عبد خضير
التخصص/ فلسفة
الجامعة المستنصرية / كليةالآداب
م.د. نوزاد صفر بخش
التخصص/ أصول الدين
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
أ.م . د . طارق عودة مري
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

هيأة التحرير من خارج العراق
أ . د . مها خير بك ناصر
الجامعة اللبنانية / لبنان/لغة عربية..لغة
أ . د . محمّد خاقاني
جامعة اصفهان / إيران / لغة عربية..لغة
أ . د . خولة خمري
جامعة محمّد الشريف / الجزائر /حضارة وأديان..أديان
أ . د . نور الدين أبو لحية
جامعة باتنة / كلية العلوم الإسلامية / الجزائر
علوم قرءان/ تفسير

التدقيق اللغوي
أ . م . د . علي عبدالوهاب عباس
التخصص / اللغة والنحو
الجامعة المستنصرية/ كليةالتربية الأساسية

الترجمة
أ . م . د . رافد سامي مجيد
التخصص/ لغة إنكليزية
جامعة الإمام الصادق(عليه السلام)كلية الآداب

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العنوان الموقعي
مجلة القبة البيضاء
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات

الاتصالات

مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN3005_5830

رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٧)
لسنة ٢٠٢٣

البريد الالكتروني
إيميل
off_research@sed.gov.iq

IRAQI
Academic Scientific Journals

الرقم المعياري الدولي
(3005-5830)

دليل المؤلف.....

١-إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢- إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣-أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤-أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصفية APA

٦-أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧-أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨-أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى: فبحجم (١٤) .

٩-أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠-تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .

١١-في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢-يبلَّغ الباحث بقرار صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣-يلتزمُ الباحث بإجراء تعديلات المحكّمين على بحثه وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤-لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥-لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

١٦-دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧-يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨-يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩-يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) الف دينار.

٢٠-تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١-ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)

أو البريد الألكتروني: (off_research@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.

٢٢-لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

محتوى العدد (٩)جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م المجلد الثامن

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	فاعلية تنشيط المعرفة السابقة والمكتسبة في التحصيل واكتساب المفاهيم في مادة الاجتماعيات لدى تلميذات الصف الخامس الابتدائي	أ.م. د. كاظم عبد السادة جودة	٨
٢	الخلافات الفقهية بين الإمامية والجمهور في المسائل الإرثيّة المتعلقة بأصحاب الفروض«دراسة تطبيقية»	أ.م. د. أمجد مراقب داود	٢٠
٣	بباء أصحاب الكتب السماويّة في أدعية أهل البيت (عليهم السلام): موسى وعيسى (عليه السلام) مثالاً	م. د. علي طالب محل	٤٦
٤	الوحدة والإصلاح السياسي في فكر الإمام علي(عليه السلام) دراسة في نهج البلاغة	م. د. عصمت كاظم حميد	٥٤
٥	هنري نوكس ودوره السياسي والعسكري في الولايات المتحدة الامريكية (١٧٥٠ – ١٨٠٦)	م. د محمد ناصر فيصل	٦٨
٦	الالتزام بمذهب إمام وأثره في الفقه الإسلامي	أ.م.د. محمد حسين عودة	٨٠
٧	الشعوبية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ«ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م»	م. د. زينب ضاري حسين	١٠٦
٨	الانزياح الاسلوبي في دواوين نثرية عراقية	م. د. حوراء عبد صبر الشريفي	١١٨
٩	A Comparative Discursive Analysis of Iran V.S. Israel War Propaganda: Western, Israeli and Iranian Media Discourse	Zahraa Radhi Hanoon	١٣٤
١٠	نقد المفيد لإعتقادات الصدوق في الصفات والأسماء الإلهية	الباحثة: قمر بني هاشم عباس علي أ. د أحمد عبد السادة زوير	١٥٠
١١	المصاهرات العباسية العلوية وأثرها السياسي العصر العباسي الأول(١٣٢ – ٢٣٢هـ/ ٧٥٠ – ٨٤٧م)	الباحثة: ابتسام حسين شلتاغ الدكتورة: هدى علي فحص	١٦٢
١٢	آثر وتبعات إنكار السُنّة النبويّة	مالك عبد الحسين إبراهيم أ.م.د. حامد جويد عبد الحسن	١٧٦
١٣	البعد التربوي في نهج الإمام محمد بن علي الباقر(عليه السلام)«النشأة، النبوغ، التسامح»	م. حسين علاوي حاجي	١٨٨
١٤	الإمام الغريب القاسم بن موسى بن جعفر (عليهما السلام)	م. محسن رشك حمادي	١٩٨
١٥	الانحراف التشريعي اطارهُ التعريفيوموقف القوانين والقضاء الدستوري منهُ	م. سنبل عبد الجبار احمد	٢٠٦
١٦	تقييم مصداقية روايات الفقيه يونس بن ظبيان في الكتب الأربعة من خلال منهج إحصائي«دراسة رجالية تحليلية»	الباحث: حيدر راضي محيسن	٢٣٠
١٧	تحليل كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط وفق معايير ngss وفق نظر المدرسين	م.م.عادل عبد اللطيف احمد	٢٥٤
١٨	الصورةُ الشعريةُ ودورُها في تشكيلِ البناءِ الفني للقصيدةِ في شعرِ(جمالِ المَلكِ)علي بن أفلح العبسي ت ٥٣٦هـ	م.م. سيف الدين عبد الحافظ	٢٦٤
١٩	المنهج العقلي والاجتهادي في التفسيراتجاهات ومواقف «دراسة تحليلية مقارنة»	م.م. نور حسن جبار أحمد	٢٨٢
٢٠	الايرادات النفطية ودورها في تنمية الاقتصاد العراقي في ضوء مناقشات مجلس النواب العراقي١٩٣٣–١٩٣٩	م . حسن غانم عبد ردن	٢٩٠
٢١	تطور العلاقات التركية، اليونانية بين عامي ١٩١٨ و١٩٤٥: من النزاع القومي إلى ملامح الحرب الباردة	الباحث: أحمد عبدالاله حميد	٣٠٤
٢٢	فاعلية الإطار القانوني والرقابي في تعزيز الحوكمة ومكافحة الفساد المالي والمحاسبي داخل الشركات المساهمة في العراق	الباحث: حسن قصي خلف	٣١٤
٢٣	مهارات التدريس الناعمة لدى معلمي الصفوف الأولى	عبد الأمير محمد رضيو	٣٢٨
٢٤	السياسة الوقائية تجاه ضحايا التكنولوجيا	الباحث:علي عبدالحسين ماشاءالله استاذالمشارك.محمدعلي حاجي بدآبادي	٣٤٠
٢٥	السياحة العلاجية في العراق محافظة ديالى انموذجاً	م.م. عمار سلمان عبيد أ. نسرين محمد موسى أ.د خلود علي هادي رشيد	٣٥٤
٢٦	دور الجغرافية في تحديد المواقع الأثرية في مناطق أعالي الفرات في محافظة الأنبار	م. م. نور ياسين بديوي	٣٦٦
٢٧	الخلاف في التصريف الإسمي في القرآن الكريم	م. م. حازم كريم عذاب م. د. طارق حميد عجيمي	٣٧٦
٢٨	تفكك الاتحاد السوفيتي وأثره على النظام الدولي «١٩٩١م»	م. م. زهرة جابر شاهر	٣٨٤
٢٩	الرقابة الشرعية ودورها في حماية المصارف الإسلامية من الانحراف نحو المعاملات الربوية	م. م. هدى يحيى هادي صالح	٤٠٢
٣٠	البنية الإيقاعية في الشعر الأندلسي للسان الدين بن الخطيب في ديوانه الشعر والسحر أنموذجاً	م. م. لبنى عبد الزهرة جلوب	٤٠٢
٣١	الآثار الاجرائية المترتبة على مبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون في قانون المرافعات المدنية(دراسة تحليلية مقارنة)	الباحثة. عهود هادي وادي	٤١٤
٣٢	دور الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات الاكاديمية لدى طلبة الجامعة	م. مها صبري سالم	٤٣٢
٣٣	الرؤية في الغيبة الكبرى دراسة موضوعية	م. م. أمير ماجد طالب م. م. حسين علي صاحب	٤٤٨

فاعلية تنشيط المعرفة السابقة والمكتسبة في التحصيل واكتساب المفاهيم في مادة الاجتماعيات لدى تلميذات الصف الخامس الابتدائي

أ. م. د. كاظم عبد السادة جودة
وزارة التربية/المديرية العامة للتربية في محافظة بغداد الرصافة الثالثة



المستخلص:

يهدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى فاعلية المعرفة السابقة والمكتسبة في تحصيل مادة الاجتماعيات واكتساب المفاهيم لتلميذات الخامس الابتدائي ولتحقيق أهداف الدراسة تم اعتماد المنهج شبه التجريبي حيث جرى تطوير اختبارين أحدهما لقياس التحصيل في مادة الاجتماعيات والآخر لقياس اكتساب المفاهيم وقد تحقق من القياس قبل التطبيق تألفت العينة من (٤٠) تلميذة من مدرسة بردى الابتدائية في مديرية تربية بغداد ـ الرصافة الثالثة أظهرت نتائج فرق إحصائي للتجريبية التي تم تدريسها باستخدام المعرفة السابقة والمكتسبة وذلك في كل من التحصيل في مادة الاجتماعيات واكتساب المفاهيم وذلك بالمقارنة مع المجموعة التي تلقت التعليم بالطريقة التقليدية الكلمات المفتاحية: استراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة تحصيل الاجتماعيات اكتساب المفاهيم العلمية.

الكلمات المفتاحية: استراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة، التحصيل في الدراسات الاجتماعية، اكتساب المفاهيم العلمية

Abstract:

The Effectiveness of Activating Prior and Acquired Knowledge in Enhancing Achievement and Concept Acquisition in Social Studies Among Fifth-Grade Female Students

Abstract: This study aimed to investigate the effectiveness of prior and acquired knowledge in enhancing academic achievement in Social Studies and in developing conceptual understanding among fifth-grade female students. To achieve the study objectives, a quasi-experimental design was adopted. Two tests were developed: one to assess achievement in Social Studies and the other to measure conceptual acquisition. The validity and reliability of the instruments were ensured prior to implementation. The sample consisted of 40 female students from Barda Primary School, affiliated with the Directorate of Education in Baghdad – Rusafa III. The results revealed statistically significant differences in favor of the experimental group, which was taught using a strategy based on prior and acquired knowledge. These differences were observed in both academic achievement in Social Studies and in conceptual acquisition, compared to the control group that received instruction through conventional methods.

Keywords: Prior and Acquired Knowledge Strategy, Social Studies Achievement, Scientific Concept Acquisition

المقدمة :

تُعدّ التربية اساس وبناء المجتمعات وتقدّم الأمم إذ تمثل الوسيلة التي يعتمد عليها المجتمع للحفاظ على مقوماته الحضارية وأساليب تفكيره، وأنماط حياته المختلفة كما تسهم التربية في اكتشاف قدرات الأفراد واستثمارها وتوجيهها وتُعد التربية عملية مستمرة تهدف إلى التغيير الإيجابي لسلوك الفرد وتحقيق ذاته والتكيّف مع محيطه ليعيش حياةً منتجة وفاعلة ونظراً للترابط الوثيق بين التربية والمنهاج فإن طرائق التدريس تُعد جزءاً لا يتجزأ من هذا المنهاج تشتمل على العناصر الأساسية مثل النتاجات التعليمية والمحتوى والأنشطة التعليمية وأساليب التقويم وتُعد التحصيل الدراسي من المؤشرات الجوهرية

التي تعكس فاعلية التعليم إذ يعبر عن مدى اكتسابهن للمعارف والمهارات في مختلف الدراسية كما يمثل نتاجاً للتفاعل بين التلميذة والمعلم والمادة التعليمية ويُقاس من خلال ما يتحقق من نتائج علمية في العام الدراسي والتي تعكس مستوى استيعابها وجهودها المبذولة سواء داخل المدرسة أو خارجها (الفاخري، ٢٠١٨)

وتحتل المفاهيم موقعًا محوريًا في التعليم ، لاسيما في المرحلة الأساسية، حيث تُسهم في تأسيس فهم علمي سليم لدى التلميذات، وتعدُّ مدخلاً لبناء مفاهيم أكثر عمقًا وتعقيدًا في المراحل اللاحقة. إن تعليم المفاهيم بأساليب تفاعلية فعّالة يعزز قدرتهن على توظيف هذه المفاهيم في حياتهن اليومية، ويُنمّي لديهن مهارات التفكير النقدي، التحليلي، والإبداعي، مما يُعدّهن للتعامل مع التقدم والتكنولوجي بكفاءة (السرحان، ٢٠٢١).

وتبرز أهمية تعليم المفاهيم بوصفها قاعدة معرفية ضرورية لبناء شخصية علمية واعية تواكب التغيرات في ميادين العلم المختلفة مستقبلًا.

مشكلة الدراسة : من خلال خبرة الباحث في المدارس لوحظ ضعف ملحوظ في المفاهيم الأساسية لدى طلبة المرحلة الأبتدائية في مادة الاجتماعيات وهو ما قد ينعكس بالسلب في تحصيلهم الدراسي العام كما أظهرت ذلك نتائج دراسات سابقة (AlKaabi & Al-Jabri، ٢٠١٨؛ Smith، ٢٠٢٠) ويُعزى هذا الضعف إلى اعتماد الأساليب التقليدية في التدريس ما يؤدي إلى تدني اتجاهات التلميذات نحو مادة الاجتماعيات وانخفاض مستوى تفكيرهن العلمي ونتيجة لذلك برزت الحاجة إلى توظيف الحداثة التعليمية التي تركز على فهم التلميذات للمعارف السابقة وتوظيفها وتطويرها وتُعد «المعرفة السابقة والمكتسبة» من بين أبرز هذه الاستراتيجيات التي يمكن أن تسهم في تعزيز الفهم وتنمية المفاهيم وقد أكدت العديد من الدراسات فاعليتها في تحسين التحصيل الدراسي كما في دراسة أبو عمشة (٢٠١٦) الشهري (٢٠١٩) المزرب (٢٠٢٠) الصالحي (٢٠٢٠) والمعايطة (٢٠٢٠) وبناءً على ما سبق انبثقت دراسة فاعلية تنشيط المعرفة السابقة والمكتسبة في التحصيل واكتساب المفاهيم في مادة الاجتماعيات لتلميذات الخامس الابتدائي

أسئلة الدراسة :

١ . ما فاعلية تنشيط المعرفة السابقة والمكتسبة في تحصيل تلميذات الخامس الابتدائي لمادة الاجتماعيات ؟

٢ . ما فاعلية تنشيط المعرفة السابقة والمكتسبة في اكتساب المفاهيم في مادة الاجتماعيات لدى تلميذات الصف الخامس الابتدائي ؟

فرضيات الدراسة :

١ . لا يوجد فرق إحصائي عند مستوى (٠,٠٥) بين درجات التجريبية والضابطة في الاختبار التحصيلي

٢ . لا يوجد فرق إحصائي عند مستوى (٠,٠٥) بين درحات التجريبية والضابطة في اكتساب المفاهيم

أهداف الدراسة :

١ . معرفة مفهوم المعرفة السابقة والمكتسبة وبيان أثرها في اختبار تحصيل التلميذات لمادة الاجتماعيات

٢ . الكشف عن فاعلية المعرفة السابقة والمكتسبة في اكتساب المفاهيم للتلميذات في مادة الاجتماعيات

«أهمية الدراسة» : أولاً: الأهمية النظرية : تنبع الأهمية لهذه الدراسة من تناولها لاستراتيجية تعليمية حديثة «المعرفة السابقة والمكتسبة» وتسليط الضوء على مدى فاعليتها لدى تلميذات المرحلة الابتدائية في تحصيلهن الدراسي واكتساب المفاهيم ثانيًا: العملية : تتجلى في إمكانية الإفادة لوزارة التربية والمشرفين التربويين ومطوري المناهج والمعلمين أنفسهم من خلال ما تقدمه من نتائج وتوصيات تسهم في تحسين طرائق التدريس وتطوير العملية التعليمية

حدود الدراسة :

١ . الزمانية : الفصل الدراسي الاول ٢٠٢٢ ـ ٢٠٢٣

٢ . المكانية : مدرسة بردى للبنات ضمن مديرية تربية بغداد الرصافة الثالثة.

٣ . البشرية : عينة من تلميذات الصف الخامس الابتدائي

٤ .الموضوعية : تناولت الفصول الاولى من منهج كتاب الاجتماعيات للصف الخامس الابتدائي للعام الدراسي ٢٠٢٢ ـ ٢٠٢٣ والمتمثلة في مدى فاعلية استراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة في تحصيل مادة الاجتماعيات واكتساب المفاهيم لتلميذات الخامس الابتدائي

تحديد المصطلحات :

١ . المعرفة السابقة: يقصد بها خطة تعليمية شاملة تتضمن خطوات منظمة تهدف إلى تنشيط واستدعاء معرفتهن السابقة في مادة الاجتماعيات بما يسهم في تعزيز التحصيل الدراسي لديهن وتنمية قدرتهن على اكتساب مفاهيم علمية جديدة

٢ . المعرفة المكتسبة : تشير إلى ما تكتسبه التلميذات من خبرات ومهارات ومعارف نتيجة تعلم محتوى دراسي معين وتُقاس من خلال الدرجات في الاختبارات المعدة لهذا الغرض، والتي تعكس مدى تطور معارفهن وقدراتهن

٣ . اكتساب المفاهيم : هو استيعاب وفهم المفاهيم والحقائق الواردة في منهج الاجتماعيات ويتجلى ذلك من خلال التمثيل الذهني الذي تشكله التلميذة حول هذه المفاهيم

الإطار النظري والدراسات السابقة : أولاً: الإطار النظري

تشير استراتيجيات التعليم إلى الأساليب والتقنيات التي تُستخدم لاكتساب المعلومات ومعالجتها بفعالية وتشمل أنشطة متنوعة كتنظيم المعلومات التلخيص الحفظ، تدوين الملاحظات وحل المشكلات (باعارمه، ٢٠٢٢) وتختلف فعاليتها باختلاف طبيعة المادة التعليمية وأسلوب التدريس ومن أبرزها: التكرار والاستدعاء النشط والتصور العقلي والتوضيح والربط بالإضافة إلى التنظيم الذاتي والاختبار الذاتي وطلب التغذية الراجعة (أحمد، ٢٠٢٢).

المعرفة السابقة والمكتسبة (KWL) : تُعد استراتيجية (KWL) اسلوب تعليمي فعّال يستخدم في مراحل ما قبل وأثناء وما بعد القراءة وتقوم على تنظيم المعرفة عبر ثلاثة أعمدة: (K): ما يعرفه الطالب مسبقًا ، (W): ما يريد معرفته ، (L): ما تعلّمه بعد الانتهاء من الدرس.

وقد عرّفتها مزرب (٢٠٢٠) بأنها نشاط تمهيدي يُفعّل المعرفة السابقة ويساعد التلميذات على تحديد أهدافهن التعليمية في حين وصفتها العطوي (٢٠٢٢) بأنها أداة رسومية تنظيمية لمساعدة التلميذات على توجيه تفكيرهن نحو محتوى المادة، وربط المعلومات الجديدة بالمعرفة السابقة وأوضحت القواسمي (٢٠٢٠) أن هذا المخطط يُستخدم بفعالية ويُمكن التلميذات من تتبع تقدمهن المعرفي بطريقة منظمة ومرئية

وتُعد استراتيجية (KWI) من المنظمات الرسومية التعليمية المصممة لتعزيز عملية التعلم، حيث تُوظَّف كأداة تعليمية تساعد الطلبة على الانتقال من المعارف القبلية إلى اكتساب معارف جديدة، كما تنتمي إلى أساليب البنائية في بناء الطالب لخبراته الخاصة في الفهم والتعلم وتُعد أداة فعالة لدعم القراءة والتعليم النشط حيث تساعد المعلم على قيادة الطلاب خلال النصوص والأفكار التعليمية وتوفر إطارًا للتفكير التأملي في المعلومات (Sayar & Anilan, ٢٠٢١)

اكتساب المفاهيم : تشير اكتساب المفاهيم إلى المبادئ والنظريات لتدريس للطلبة بهدف تفسير الظواهر ويُراعى في تدريسها التسلسل المنطقي والمنهجي بحيث يُبنى كل مفهوم جديد على ما سبقه من مفاهيم تُعرض المفاهيم العلمية من خلال مواقف تعليمية متنوعة تشمل: الأنشطة الصفية التفاعلية التجارب المعملية الأنشطة التطبيقية وتهدف هذه الأنشطة إلى تنمية تفكيرهن العلمي وقدرتهن في تعزيز التفكير النقدي لدى الطلبة (Wong, Chu & Yap, ٢٠٢٠)

ثانياً «الدراسات السابقة» دراسات تناولت استراتيجية (KWI)

* أجرت العدواني وآخرون (AlAdwani et al., ٢٠٢٢) لمعرفة العلاقة بين استخدام (KWI) واستراتيجيات ما وراء المعرفة ومدى تأثيرهما في القراءة اتبعت الدراسة منهج شبه تجريبي وطبّقت على (٤٥) طالباً من الصف الخامس في المدارس بدولة الكويت شملت أدوات القياس اختباراً للفهم القرائي إلى جانب قياس الاستخدام لاستراتيجيات ما وراء

المعرفة حيث خضعت المجموعة التجريبية لتعليمات مبنية على استراتيجية (KWI)

أجريت دراسة على الضابطة الأولى باستخدام منهج التدريس التقليدي القائم المعتمد واعتمدت الدراسة على أداة الاستبانة وتبين أن الكفاءة الملحوظة في اللغة الإنجليزية لم تكن مرتبطة بمرحلة اكتساب اللغة الثانية سواء في سن ما قبل المدرسة المبكر أو المتأخر وأن الطلبة ثنائيي اللغة الذين يتمتعون بكفاءة مرتفعة في اللغة الإنجليزية قد أظهروا مهارات قراءة ما وراء معرفية أعلى مقارنةً بنظرائهم ذوي الكفاءة المنخفضة وكانت استراتيجية مراقبة الفهم واستراتيجية (KWL Plus) من بين أقوى المؤشرات على الفهم القرائي لدى جميع أفراد العينة

* وفي ذات السياق، أجرى كل من حبايب والمبسلط (٢٠١٧) دراسة هدفت إلى قياس أثر برنامج تعليمي في المعرفة السابقة والمكتسبة بتنمية مهارة القراءة للصف الخامس في نابلس واعتمد الباحثان منهج شبه تجريبي وتمثلت الأداة باختبار تحصيلي لقياس المهارة والاتجاهات نحو تعلم القراءة وبلغت العينة (٦١) طالبة والنتائج كانت فرق إحصائي للمجموعة التجريبية في كل من التحصيل ومقياس الاتجاهات.

*كما سعت دراسة الشهري (٢٠٢٠) لمعرفة أثر (KWl) في التحصيل الدراسي في مادة الفقه لدى طالبات الصف الثالث المتوسط واعتمدت على منهج شبه تجريبي وتكونت من (٤٩) طالبة تم توزيعهن إلى مجموعتين تجريبية وضابطة وكانت النتيجة فرق احصائي للتجريبية في التذكر الفهم والتطبيق في الاختبار البعدي مما يدل على فاعليتها في تعزيز التحصيل

* وفي الجزائر، هدفت دراسة المزرب (٢٠٢٠) إلى قياس أثر استخدام الجدول الذاتي في تحصيل مادة الرياضيات لدى تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي بمدينة سطيف وقد استخدمت المنهج التجريبي وبلغ عدد أفراد العينة (٦٣) تلميذاً وتلميذة وكانت نتائج الاختبار التحصيلي فرق دالة إحصائي في التحصيل لصالح المجموعة التي تلقت التدريس بالجدول الذاتي

* أما دراسة Sinambela وآخرين (٢٠١٥) فقد تناولت أثر تفعيل المعرفة السابقة على تحسين التحصيل في الفهم القرائي لدى طلبة قسم اللغة الإنجليزية بجامعة هوريا كريستين واعتمد منهج شبه تجريبي حيث قُسّم (٤٦) طالباً لمجموعتين وتم تطبيق اختباري قبلي وبعدي وحللت البيانات باستخدام اختبار (T-test) وكانت النتيجة تفوق طلاب المجموعة التجريبية ممن تعلموا باستخدام الاستراتيجية على أقرانهم في الضابطة الذين تلقوا التعليم التقليدي

دراسات حول اكتساب المفاهيم:

* هدفت دراسة شحادة والبيتاوي (٢٠٢٠) لمعرفة أثر كل من المعرفة السابقة والمكتسبة واستراتيجية التعلم التعاوني في اكتساب المفاهيم لدى طلبة السادس الأساسي في مدرسة بلال بن رباح التابعة للواء ماركا واستخدمت الدراسة منهج شبه تجريبي حيث بلغ عدد العينة (١٠٧) على ثلاث مجموعات: مجموعة تجريبية أولى (٣٤) طالباً تم تدريسها بالمعرفة السابقة والمكتسبة ومجموعة تجريبية ثانية (٣٧) طالباً بالتعلم التعاوني ومجموعة ضابطة (٣٦) طالباً باستخدام الطريقة التقليدية وكشفت عن فرق إحصائي في الأداء للمعرفة السابقة والمكتسبة أولاً ثم التعلم التعاوني مقارنة بالطريقة التقليدية

* وأجرت عرام (٢٠١٢) دراسة لأثر استراتيجية (KWl) في «اكتساب المفاهيم» وتنمية «مهارات التفكير الناقد» لدى طالبات السابع في مدينة خان يونس وقد اعتمد منهج شبه تجريبي وتألفت من (٩٧) طالبة وكانت النتيجة فرق إحصائي بين المجموعتين التجريبية والضابطة في كل من اختبار المفاهيم ومهارات التفكير الناقد لصالح المجموعة التجريبية

التعقيب على الدراسات السابقة :

اتسمت الدراسة بالتوافق مع نتائج العديد من التي تناولت أثر استراتيجيات التعلم في تنمية المهارات واكتساب المفاهيم. فقد اتفقت الدراسة مع (AlAdwani, AlFadley & AlGasab ٢٠٢٢)، وعزيز ومهدي وعبد الحميد (٢٠٢٢)، والكسار وأبو عجمية (٢٠١٩)، وحبايب والمبسلط (٢٠١٧)، وUsta & Yilmaz ٢٠٢٠))، وSayar & Anilan ٢٠٢١)) فيما يتعلق بأثر (K-W-l) في مجال البحث

كما وجدت الدراسة توافقاً مع دراسات الشهري (٢٠٢٠)، والمعايطة (٢٠١٩)، والفايز (٢٠١٧)، وأبو عمشة

(٢٠١٦)، و Sinambela, Manik, Pangaribuan ٢٠١٥))، والعليمات (٢٠١٨)، والشراري (٢٠١٧)، وTannous, Tannous, Alkhresha ٢٠١٩)) بشأن تأثير استراتيجية (KW-L) على المستوى التحصيلي. بالإضافة إلى اتفاقها مع دراسات شحادة والبيتاوي (٢٠١٥)، وأبو علوش (٢٠١٥)، وعرام (٢٠١٢) في مجال تنمية المفاهيم باستعمال (k.w.l)

من ناحية الأدوات استخدمت جميع الدراسات السابقة والدراسة الحالية الاختبارات الموضوعية القبلية والبعدية كأدوات قياس رئيسية أما بالنسبة للمنهجية فقد تبنت أغلب الدراسات السابقة منهج تجريبي أو شبه تجريبي وهو ما يتفق مع منهجية الدراسة الحالية غير أن الدراسة الحالية تميزت بالاختلاف في العينة ومكان إجراء الدراسة بالإضافة إلى اختلاف موضوع الدراسة والمرحلة التعليمية المستهدفة

وبالنسبة للمرحلة الدراسية فقد اختلفت عن جميع الدراسات التي طُبقت على مراحل مختلفة فقد تناولت دراسات أبو عمشة (٢٠١٦) اللغة العربية ودراسة المعايطة (٢٠١٩) الصف الثامن الأساسي ودراسة الفايز (٢٠١٧) الرياضيات للصف الرابع ودراسة أبو علوش (٢٠١٥) السابع في اللغة العربية والعديد من الدراسات الأخرى التي شملت مراحل ومواد دراسية مختلفة استفاد الباحث في صياغة المحتوى النظري ومناقشة النتائج وإجراء المقارنات فضلاً عن تحديد المشكلة وصياغة فرضياتها بالإضافة إلى التعرف على الوسائل الإحصائية للدراسة الحالية

منهج الدراسة وإجراءاتها : منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة المنهج شبه التجريبي، نظراً لطبيعة الموضوع التي تتطلب وجود مجموعتين (تجريبية وضابطة) حيث لا يشترط هذا المنهج التوزيع العشوائي لأفراد الدراسة على المجموعات تم استخدام المنهج شبه التجريبي للكشف عن أثر المتغير المستقل وهو التدريس القائم على المعرفة السابقة والمكتسبة على متغيرات التحصيل واكتساب المفاهيم لتلميذات الخامس الابتدائي في مادة الاجتماعيات

تصميم الدراسة : استنادًا إلى فرضيات الدراسة تم اعتماد تصميم شبه تجريبي ذو مجموعتين: تجريبية وضابطة وفق المخطط الآتي:

جدول (١) تصميم الدراسة

المجموعة	الاختبار القبلي	المتغير المستقل	الاختبار البعدي
الضابطة	اختبار التحصيل ـ اكتساب المفاهيم	ـــــــــــ	اختبار التحصيل ـ اكتساب المفاهيم
التجريبية	اختبار التحصيل ـ اكتساب المفاهيم	المعرفة السابقة والمكتسبة	اختبار التحصيل ـ اكتساب المفاهيم

عينة الدراسة: اختيرت العينة بشكل قصدي من تلميذات الصف الخامس الابتدائي في مدرسة بردى التابعة لتربية بغداد الرصافة الثالثة شملت شعبتين هما: شعبة (ب) وعددها ٢٠ تلميذة وشعبة (هـ) وعددها ٢٠ تلميذة تم تعيين الشعبتين عشوائياً

أدوات الدراسة : لتنفيذ أهداف الدراسة تم إعداد أداتين رئيسيتين كما يلي:

١. اختبار تحصيل مادة الاجتماعيات

هدف الاختبار: قياس التحصيل الدراسي البعدي والمؤجل لتلميذات الصف الخامس الابتدائي في الفصول الاولى من مادة الاجتماعيات

ـ صدق اختبار التحصيل : عُرض محتوى اختبار تحصيل الاجتماعيات للصف الخامس الابتدائي على لجنة من ١٠ خبراء تربويين متخصصين لتقييم مدى توافق الأسئلة وكذلك من حيث الوضوح والدقة العلمية وشمولية المحتوى وملاءمة الاختبار للفئة العمرية المستهدفة. بناءً على تقييم المحكمين تم الاعتماد نسبة موافقة لا تقل عن ٨٠٪ مع تعديلات لغوية طفيفة على بعض العبارات وظل الاختبار مؤلفًا من ٢٠ سؤالًا التطبيق الاستطلاعي لاختبار تحصيل الاجتماعيات

تم تطبيق الاختبار على ٢٠ تلميذة للصف الخامس الابتدائي في مدرسة الأطلال الابتدائية وكان الهدف من التطبيق تحديد الزمن المناسب للاختبار بالإضافة إلى استخراج معاملات الصعوبة والتمييز لبنود الاختبار والتأكد من معامل الثبات معاملات الصعوبة والتمييز لبنود الاختبار : تم تصحيح الإجابات في العينة الاستطلاعية ومن ثم حساب الصعوبة والتمييز لكل سؤال وتبين من النتائج (الجدول ٢) معاملات الصعوبة تراوحت بين ٠,٤٠ و ٠,٧٠ ومعاملات التمييز بين ٠,٣٥ و٠,٦٥ مما يشير إلى جودة البنود وقدرتها على التمييز بين مستويات الطلاب

جدول (٢) قيم معاملات الصعوبة والتمييز لتحصيل مادة الاجتماعيات

ت	الصعوبة	التمييز	ت	الصعوبة	التمييز
١	٠,٥٠	٠,٦٠	١١	٠,٤٥	٠,٧٠
٢	٠,٣٥	٠,٥٠	١٢	٠,٦٠	٠,٤٠
٣	٠,٦٠	٠,٦٠	١٣	٠,٥٠	٠,٤٠
٤	٠,٥٠	٠,٤٠	١٤	٠,٦٥	٠,٥٠
٥	٠,٤٥	٠,٥٠	١٥	٠,٤٥	٠,٧٠
٦	٠,٥٠	٠,٦٠	١٦	٠,٦٠	٠,٤٠
٧	٠,٤٥	٠,٥٠	١٧	٠,٤٥	٠,٧٠
٨	٠,٥٥	٠,٥٠	١٨	٠,٦٥	٠,٥٠
٩	٠,٦٥	٠,٥٠	١٩	٠,٥٠	٠,٤٠
١٠	٠,٤٠	٠,٤٠	٢٠	٠,٧٠	٠,٤٠

يشير الجدول (٢) إلى أن معاملات الصعوبة لبنود اختبار تحصيل مادة الاجتماعيات تراوحت بين ٠,٣٥ و ٠,٧٠ مما يدل انه لا توجد بنود ذات معامل صعوبة يقل عن ٠,٢٠ أو يزيد عن ٠,٨٥ كما توضح البيانات أن معاملات التمييز للبنود تراوحت بين ٠,٤٠ و ٠,٧٠ مع عدم وجود بنود ذات معامل تمييز يقل عن ٠,٢٠ وتعكس هذه القيم مدى قبول البنود لاستخدامها في قياس تحصيل التلميذات لمادة الاجتماعيات

«ثبات اختبار التحصيل»: تم تقييم ثبات الاختبار باستخدام طريقتين. الطريقة الأولى تضمنت إعادة تطبيقه على ٢٠ تلميذة بعد فترة زمنية بلغت ١٤ يوماً حيث بلغ معامل الارتباط وفق معامل سبيرمان ٠,٩١٨ مما يدل على ثبات عال أما الثانية كانت في طريقة «التجزئة النصفية» حيث بلغ معامل ثبات الاختبار باستخدام معامل سبيرمان– براون ((٠,٨٤٨ ، ووفق معامل جتمان ((٠,٨٤٧ ، مما يؤكد موثوقية وثبات الاختبار.

تصحيح اختبار التحصيل : تم منح درجة واحدة عن الإجابة الصحيحة وصفر عن كل إجابة خاطئة ليكون الحد الأقصى هو ٢٠ درجة والحد الأدنى صفر

٢ . اختبار اكتساب المفاهيم : تم إعداد اختبار لقياس اكتساب المفاهيم في الفصول الاولى من مادة الاجتماعيات للصف الخامس الابتدائي وفق الخطوات التالية:

صدق اختبار اكتساب المفاهيم : تم عرض محتوى الاختبار وبنوده على لجنة من ١٠ أكاديميين تربويين مختصين لتقييم مدى ملاءمة البنود في قياس اكتساب المفاهيم من حيث الوضوح والدقة العلمية وشمولية المحتوى وملاءمة للفئة العمرية المستهدفة (تلميذات الصف الخامس الابتدائي) استناداً إلى تقييمات المحكمين تم إجراء تعديلات لغوية طفيفة على بعض العبارات مع الحفاظ على عدد البنود (٢٠ بنداً) حيث تم اعتماد البنود بنسبة موافقة ٨٠٪ فأكثر من المحكمين

التطبيق الاستطلاعي لاختبار اكتساب المفاهيم : تم تطبيق الاختبار على عينة من ٢٠ تلميذة للصف الخامس الابتدائي في مدرسة الأطلال التابعة الى مديرية تربية بغداد الرصافة٣ ممن درسن الفصول الأولى من مادة الاجتماعيات للصف الخامس الابتدائي للعام الدراسي ٢٠٢١–٢٠٢٢

الصعوبة والتمييز لأكتساب المفاهيم: تعبر معاملات الصعوبة عن مدى سهولة أو صعوبة بنود الاختبار بينما تعكس معاملات التمييز قدرة البنود على التفريق بين مستويات الطلاب المختلفة تم تصحيح إجابات الطلبة في اكتساب المفاهيم العلمية واستخراج معاملات الصعوبة والتمييز لكل بند كما في الجدول (٣)

جدول (٣): قيم الصعوبة والتمييز لاكتساب المفاهيم

ت	الصعوبة	التمييز	ت	الصعوبة	التمييز
١	٠,٣٥	٠,٥٠	١١	٠,٥٠	٠,٤٠
٢	٠,٤٠	٠,٦٠	١٢	٠,٧٥	٠,٣٠
٣	٠,٥٥	٠,٥٠	١٣	٠,٦٥	٠,٥٠
٤	٠,٥٠	٠,٤٠	١٤	٠,٥٥	٠,٧٠
٥	٠,٦٠	٠,٤٠	١٥	٠,٦٥	٠,٣٠
٦	٠,٥٠	٠,٤٠	١٦	٠,٥٥	٠,٥٠
٧	٠,٧٠	٠,٤٠	١٧	٠,٤٥	٠,٥٠
٨	٠,٥٥	٠,٥٠	١٨	٠,٥٠	٠,٤٠
٩	٠,٤٥	٠,٥٠	١٩	٠,٤٠	٠,٤٠
١٠	٠,٦٠	٠,٦٠	٢٠	٠,٦٥	٠,٥٠

تُظهر النتائج أن معاملات الصعوبة تراوحت بين ٠,٣٥ و٠,٧٥ وذلك يؤكد بوجود بنود سهلة جداً أو صعبة للغاية حيث لا يتجاوز معامل الصعوبة ٠,٨٥ ولا يقل عن ٠,٢٠ أما معاملات التمييز فكانت بين ٠,٣٠ و٠,٧٠ وهي قيم مقبولة تشير إلى كفاءة البنود التمييز بين مستوى التلميذات المختلفة وعليه يمكن اعتبار الاختبار صالحاً للاستخدام في قياس مدى اكتساب التلميذات للمفاهيم

ثبات اختبار اكتساب المفاهيم : تم حساب ثبات الاختبار بطريقتين:

١. طريقة الإعادة : طبق على ٢٠ تلميذة مع فاصل زمني أسبوعين وبلغ معامل ارتباط سبيرمان ((٠,٨٩٣ مما يدل على ثبات عالٍ

٢. طريقة «التجزئة النصفية» : حسب معامل سبيرمان–براون بلغ ٠,٧٧٦ وحسب معامل جتمان بلغ ٠,٧٧٥ ما يؤكد كذلك ثبات الاختبار

تصحيح اختبار اكتساب المفاهيم العلمية: تكون الاختبار من ٢٠ بنداً، تُمنح درجة واحدة للإجابة الصحيحة وصفر عن الإجابات الخطأ وأن عدد البنود ٢٠ فإن الدرجة للتلميذة تتراوح بين ٠ و٢٠

الوسائل الإحصائية : وذلك باستعمال مجموعة ملائمة عبر برنامج SPSS والتحقق من صحة الفرضيات الصفرية

نتائج الدراسة ومناقشتها : أولًا: نتيجة الفرضية الأولى: أظهرت نتائج التحليل الإحصائي عدم وجود فرق إحصائي بين درجات المجموعتين في التحصيل البعدي عند مستوى الدلالة (٠,٠٥). للتحقق من صحة الفرض تم إجراء اختبار مقارنة بين مجموعتين مستقلتين، حيث يوضح جدول (٤) أن «ت» المحسوبة تجاوزت الجدولية ويشير إلى رفض الفرض الصفري وقبول البديل في الاختبار التحصيلي

جدول (٤) نتائج التحصيل البعدي للمجموعتين

المتغير	المجموعة	العدد	المتوسطات	الانحرافات	درجة الحرية	ت المحسوبة	ت الجدولية	مستوى الدلالة ٠,٠٥
الاختبار	التجريبية	٢٠	١٧,١٥	٢,٠٨	١٩	٧,٠٨٥	٢,٠٤	دال
	الضابطة	٢٠	١٤,٢٥	٢,٧٣				

تُظهر نتائج الجدول (٤) بوجود فرق إحصائي في الأداء على التحصيل البعدي حيث بلغت القيمة التائية للمجموعة التجريبية ٧,٠٨٥ بمستوى دلالة (٠,٠٥) مما يعني رفض الفرض الصفري وعليه تشير النتائج إلى وجود أثر ذي دلالة إحصائية لاستراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة بتحسين تحصيل تلميذات الخامس الابتدائي في الاجتماعيات

. نتيجة الفرضية الثانية: لا يوجد فرق احصائي للتجريبية لمقياس الاتجاه في القبلي والبعدي بمستوى دلالة (٠,٠٥) وحسب جدول (٥) فإن «ت» المحسوبة تجاوزت الجدولية مما أدى إلى رفض الفرض الصفري وقبول الفرض البديل القائل بوجود فرق إحصائي للتجريبية في القياسين القبلي والبعدي لصالح التطبيق البعدي يشير هذا إلى التأثير الإيجابي

على وفق «المعرفة السابقة والمكتسبة» في اكتساب المفاهيم من قبل التلميذات نحو المادة ويرجح الباحثون هذا التأثير إلى شعور التلميذات والتنافسية والمتعة أثناء التعلم والاستمتاع بالحصة الدراسية بدلاً من التلقي السلبي وعدم المشاركة

جدول (٥) نتائج الاختبار (القبلي والبعدي) لاكتساب المفاهيم

المتغير	المجموعة	العدد	المتوسطات	الانحرافات	درجة الحرية	ت المحسوبة	ت الجدولية	مستوى الدلالة ٠,٠٥
الاختبار	التجريبية	٢٠	١٦,٨٠	١,٩٩	١٩	٣,٦٠	٢,٠٤	دال
	الضابطة	٢٠	١٣,٧٠	٢,٢٧				

يتبين من الجدول (٥) وجود فرق ظاهري بين درجات المجموعتين لاختبار اكتساب المفاهيم في التطبيق البعدي حيث بلغ متوسط التجريبية (١٦,٨٠) بانحراف معياري (١,٩٩) في حين بلغ متوسط الضابطة (١٣,٧٠) بانحراف معياري (٢,٢٧) لصالح التجريبية

تفسير نتائج الدراسة: للإجابة عن السؤال الأول: تبين النتائج تفوقاً واضحاً لصالح المجموعة التجريبية التي طبقت استراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة في تحسين تحصيل مادة الاجتماعيات مقارنة بالمجموعة الضابطة التي اعتمدت الطريقة الاعتيادية في التدريس يمكن تفسير هذا التفوق بأن المعرفة السابقة والمكتسبة تمثل أداة فعالة من خلال مساعدتها لربط معلوماتهن الجديدة وخبراتهن السابقة مما يخلق تفاعل تعليمي يعزز مستويات أعلى من الإنجاز والتحفيز تكمن فعاليتها في تمكين التلميذات من إدراك الصلة بين المفاهيم الجديدة والمعرفة المكتسبة سابقاً مما يزيد من مشاركتهن واهتمامهن بالمادة ويحفزهن على تحقيق أداء أفضل.. وقد اتفقت نتائج السؤال الأول مع نتائج العديد من الدراسات السابقة مثل الشهري (٢٠٢٠)، المزرب (٢٠٢٠)، المعايطة (٢٠١٩)، الفايز (٢٠١٧)، وأبو عمشة (٢٠١٦)، والتي أشارت جميعها إلى الأثر الإيجابي لاستخدام المعرفة السابقة والمكتسبة في رفع تحصيل الطلبة

وفيما يتعلق بالسؤال الثاني: أظهرت النتائج تفوقًا ملحوظًا للمجموعة التجريبية التي استخدمت «المعرفة السابقة والمكتسبة» في اكتساب المفاهيم مقارنة بالمجموعة التي درّست بالتقليدية يُفسر هذا التفوق بتميزها في البناء على المعرفة للتلميذات مما يسهم في فهم المفاهيم الجديدة وتعزيز التعلم العميق وتعزز من تنشيط المعرفة السابقة لدى التلميذات مما يجعل تقبلهن للمعلومات الجديدة وقدرتهن على ربطها بما يعرفنه بالفعل بالإضافة إلى ذلك تمكن المدرسين من تحديد وتصحيح المفاهيم الخاطئة للتلميذات ومعالجة المشكلات التعليمية كما تعزز من تفاعل التلميذات مع المفاهيم من خلال ربطها بتجارب الحياة اليومية والمعرفة الشخصية ما يزيد من اهتمامهن وتحفيزهن للتعلم وقد توافقت هذه النتائج مع دراسات عديدة منها (Tannous, 2020) (Tannous, Alkhresha, 2019)شحادة والبيتاوي، ٢٠١٨) (الشراري، ٢٠١٧) (أبو علوش، ٢٠١٥) (عرام، ٢٠١٢) التي أكدت الأثر الإيجابي لاستراتيجية «المعرفة السابقة والمكتسبة» في تحسين اكتساب المفاهيم لدى الطلبة

توصيات ومقترحات الدراسة:

١ . توفير فرص التنمية المهنية المستمرة للمعلمين لتعزيز فهمهم لاستراتيجية «المعرفة السابقة والمكتسبة» وتمكينهم من تطبيقها بفعالية داخل الفصول الدراسية

٢ . تطوير مناهج تعليمية متوافقة مع استراتيجية «المعرفة السابقة والمكتسبة» لضمان تزويد المعلمين بالأدوات والموارد اللازمة للتنفيذ مع متابعة مستمرة لتطبيقها الأمثل

٣ . تشجيع المعلمين على خلق بيئة تعليمية إيجابية داعمة تتيح للتلاميذ الشعور بالراحة لطرح الأسئلة ومشاركة أفكارهم المتعلقة بالمفاهيم العلمية مما يسهم في تحسين أدائهم

٤ . إجراء تقييمات دورية لفعالية المعرفة السابقة والمكتسبة بهدف تحديد المجالات التي بحاجة إلى دعم إضافي أو موارد تعليمية وذلك لتحقيق اهداف وزارة التربية

٥ . الدعوة إلى إجراء المزيد من الدراسات البحثية «المعرفة السابقة والمكتسبة» في مواد ومراحل تعليمية متنوعة لتعزيز الفهم العلمي وتوسيع نطاق التطبيق

المصادر :

١. أبو عجمية، جهاد (٢٠١٩). أثر استخدام استراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة في تنمية مهارات التفكير الناقد في مبحث اللغة العربية لدى طلبة الصف التاسع الأساسي في الأردن. مجلة العلوم التربوية والنفسية، ٣(٣١)، ٩٦-١١٦.

٢. أبو علوش، يوسف (٢٠١٥). أثر استخدام استراتيجية (KWL) في اكتساب المفاهيم والاتجاهات العلمية لدى طلاب الصف الثامن الأساسي في مادة العلوم في الأردن. مجلة العلوم التربوية والنفسية، ٤(٦)، ٢٠-٥٧.

٣. أبو عمشة، عرين (٢٠١٦). أثر استخدام استراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة للفهم القرائي في تحصيل طلبة الصف السابع الأساسي في المدارس الحكومية بمحافظة نابلس في تنمية الفكر الإبداعي لديهم. المنارة للاستشارات، ١(١)، ١-١١٨.

٤. أحمد، زيد (٢٠٢٢). كفاءة استراتيجيتي الصف المقلوب والتعليم المتمايز في تدريس الرياضيات وفق التحليل البعدي لنتائج الدراسات المنشورة في بعض الدوريات العربية خلال الفترة (٢٠١٥-٢٠٢١). مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، ٢٤، ٣٧٢-٤١٩.

٥. باعارمة، منال (٢٠٢٢). واقع استخدام استراتيجيات التدريس من قبل معلمات طالبات ذوات الإعاقة السمعية في مدارس مكة المكرمة. في كتاب أبحاث المؤتمر الدولي للنمو والتطوير التكاملي في التربية الخاصة: تكوين المعرفة للمستقبليات، الفترة من ٢٧-٢٩ مايو ٢٠٢٢، ص ٢٢٠-٢٣٢.

٦. حبايب، علي والميسلط، جنى (٢٠١٧). أثر استخدام استراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة في تحصيل طلبة الصف الخامس في القراءة واتجاهاتهم نحو تعلمها في المدارس الحكومية في محافظة نابلس. مجلة جامعة النجاح للأبحاث في العلوم الإنسانية، ٣١(١٠)، ١٧٨٤-١٨٠٨.

٧. السرحان، وجد (٢٠٢١). أثر استراتيجية دورة التعلم فوق المعرفية في اكتساب المفاهيم العلمية وفق الاتجاه نحو العلم لدى طالبات الصف السادس الأساسي. رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، كلية العلوم التربوية.

٨. شحادة، نضال والبيتاوي، إيمان (٢٠٢٠). أثر استراتيجيتي (KWL) والتعلم التعاوني في اكتساب المفاهيم العلمية لدى طلبة الصف السادس الأساسي في ضوء مستوى تحصيلهم. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، ٢٨(٤)، ٦٥٩-٦٨٠.

٩. الشراري، أحمد (٢٠١٧). أثر استراتيجيتي المعرفة السابقة والمكتسبة وخرائط العقل في اكتساب المفاهيم العلمية لدى طلبة الصف السادس الأساسي في الأردن. مجلة العلوم التربوية والنفسية، ١(١)، ١٦-٣٧.

١٠. الشهري، أمل محمد (٢٠٢٠). أثر استخدام استراتيجية kwl على التحصيل الدراسي في مادة الفقه لدى طالبات الصف الثالث المتوسط. المجلة التربوية، ١٣٥(٤٣)، ١٣٩-١٦٤.

١١. عبد المعطي، حسن وقناوي، هدى (٢٠١٧). علم نفس النمو. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

١٢. عرام، ميرفت (٢٠١٢). أثر استخدام استراتيجية (KWI) في اكتساب المفاهيم ومهارات التفكير الناقد في العلوم لدى طالبات الصف السابع الأساسي. أطروحة ماجستير، الجامعة الإسلامية، فلسطين.

١٣. عزيز، علاء، مهدي، شمس وعبد الحميد، نور (٢٠٢٢). أثر استراتيجية الجدول الذاتي (KWL) في تنمية الحاجة إلى المعرفة وتعلم مهارة الإرسال بالكرة الطائرة لدى طلبة المرحلة الثانية. مجلة كلية التراث الجامعية، ١، ٣٥٦-٣٦٣.

١٤. العطوي، سليمة (٢٠٢٢). فعالية استراتيجية ما وراء المعرفة في تنمية الفهم القرائي لدى تلاميذ السنة الرابعة من التعليم الابتدائي. المجلة العربية لعلوم الإعاقة والموهبة، ٢٣(٦)، ٣١-٥٠.

١٥. العليمات، عالية. (٢٠١٨). أثر استخدام استراتيجية التعلم ثلاثية K-W-L في اكتساب المفاهيم العلمية والاحتفاظ بها في مادة العلوم لدى طلبة الصف الثالث الأساسي. مجلة الكشاف، ١(١)، ١-٩٥.

١٦. عمر، عمر. (٢٠٢١). استراتيجيات التدريس الفعّال. مجلة القرطاس للعلوم الإنسانية والتطبيقية، ١٤(١٤)، ٢٥٣-٢٧٧.

١٧. العمري، وصال. (٢٠٢٢). أثر توظيف التعلم المستند إلى الدماغ في التحصيل وتنمية الكفاءة الذاتية لدى طالبات الصف السابع الأساسي في مادة العلوم. المجلة الدولية للبحوث النفسية والتربوية، ١(١)، ١٠٣-١٢٥.

١٨. العنزي، أمل. (٢٠٢٢). أثر تدريس العلوم باستخدام استراتيجية (POE) في تحصيل المفاهيم العلمية ومهارات اتخاذ القرار لدى

طالبات المرحلة الابتدائية. مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، ١(١٤)، ٢٩-٤٢.

١٩. الفاخري، سالم. (٢٠١٨). التحصيل الدراسي. مركز الكتاب الأكاديمي.

٢٠. الفايز، منى. (٢٠١٧). أثر استخدام استراتيجية (KWL) في تنمية مهارات التفكير الناقد والتحصيل الدراسي في موضوع الكسور والأعداد الكسرية لدى طلبة الصف الرابع الأساسي في مدارس وكالة الغوث الدولية في الأردن. مجلة كلية التربية، ٤١(٢)، ٢٢٥-٢٦٠.

٢١. الكسار، ياس. (٢٠٢١). أثر استراتيجية (KWl) في تنمية التفكير الإبداعي لدى طلبة الصف الخامس الأدبي في مادة الجغرافيا. مجلة كلية التربية الأساسية، ١١١(٢٧)، ٤٨١-٥٠٦.

٢٢. مدرب، خالصة. (٢٠٢٠). أثر استخدام استراتيجية الجدول الذاتي (KWL) على التحصيل الدراسي في مادة الرياضيات لدى تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٣(١٢)، ٢٩٥-٣٠٨.

٢٣. المعايطة، هيام. (٢٠١٩). أثر التدريس باستراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة (KWL) في زيادة التحصيل في العلوم لدى طالبات الصف الثامن الأساسي في محافظة العقبة بالأردن. مجلة العلوم التربوية والنفسية، ٣(١٩)، ٢٠-٤٠.

٢٤. AlAdwani, A., AlFadley, A., & AlGasab, M. (2022). The Effect of Using K-W-L (Know-Want-Learned) Strategy on Reading Comprehension of 5th Grade EFL Students in Kuwait. English Language Teaching, 15(1), 79-91.

٢٥. Alkaabi, J., & Al-Jabri, I. (2018). Factors Influencing Poor Academic Achievement in Science among Students in the UAE. International Journal of Science Education, 40(8), 987-1005.

٢٦. Alsalhi, N. (2020). The Effects of the Use of the Know-Want-Learn Strategy (KWL) on Fourth Grade Students' Achievement in Science at Primary Stage and Their Attitudes towards It. EURASIA Journal of Mathematics, Science and Technology Education, 16(4), 1-14.

٢٧. Cohen, J. (1977). Statistical Power Analysis for the Behavioral Sciences. New York: Academic Press.

٢٨. Fikriyyah, M., & Nur'Aini, S. (2023, March). The Use of KWL (Know-Want-Learn) Strategy to Improve Students' Reading Ability in Recount Text. In Proceedings of the English Teaching, Literature and Linguistics (ETERNAL) Conference, 3(1), 266-271.

٢٩. Groth, G. (2009). Handbook of Psychological Assessment (5th ed.). John Wiley & Sons.

٣٠. Salem, A., & Al-Doulat, A. (2017). The Impact of Teaching Using the STEM Approach in Acquisition of Scientific Concepts and Developing Scientific Thinking among Classroom-Teacher Students at the University of Jordan. International Journal of Instructional Technology and Distance Learning, 14(7), 29-37.

٣١. Sayar, N., & Anilan, H. (2021). The Effect of KWL Reading Strategy in Elementary School 4th Grade Students on Reading Comprehension. Bulletin of Education and Research, 43(3), 23-46.

٣٢. Sinambela, F., Manik, S., & Pangaribuan, R. F. (2015). Improving Students'

Reading Comprehension Achievement by Using KWL Strategy. Sciedu Press, 4(3), 1–17.

٣٣. Smith, J. (2020). Determining Factors of Poor Academic Achievement in Science. Journal of Education, 32(4), 123–135.

٣٤. Tannous, I., Tannous, F., & Alkhresha, A. (2019). The Effect of Using Meta-cognitive (KWL) Strategy on Acquiring Concepts and Developing Science Process Skills among the Basic Stage Students of Different Achievement Motivation. Journal of Educational and Psychological Sciences, 20(1), 123–156.

٣٥. Usta, N., & Yılmaz, M. (2020). Impact of the KWL Reading Strategy on Mathematical Problem-Solving Achievement of Primary School 4th Graders. The Journal of Educational Research, 113(5), 343–363.

٣٦. Wong, C. L., Chu, H. E., & Yap, K. C. (2020). A Framework for Defining Scientific Concepts in Science Education. Asia-Pacific Science Education, 6(2), 615–644. https://doi.org/10.1163/23641177-BJA10010



فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

الخلافات الفقهية بين الإمامية والجمهور في المسائل الإرثيّة المتعلقة بأصحاب الفروض«دراسة تطبيقية»

أ.م. د. أمجد مراقب داود عبيد
جامعة الفلوجة / كلية العلوم الإسلامية



المستخلص:

يتناول هذا البحث الموسوم «الخلافات الفقهية بين الإمامية والجمهور في المسائل الإرثية المتعلقة بأصحاب الفروض – دراسة تطبيقية» دراسة بين المذهبين في مسائل الميراث التي يظهر فيها اختلاف في تحديد المستحقين وأنصبتهم، مع تحليلٍ للأسباب الأصولية والفقهية التي أدّت إلى هذا التباين.

بدأ البحث ببيان معنى الخلاف لغةً واصطلاحاً ، وأشار إلى أنّه لا يخرج عن معنى عدم الاتفاق بين الآراء والاجتهادات، ثم بيّن أسباب الخلاف بين الإمامية والجمهور، في بعض المسائل الإرثية وأهمها : اختلاف مصادر التشريع ؛ فالجمهور يعتمدون القرآن والسنة والإجماع والقياس، بينما يعتمد الإمامية على القرآن والسنة المروية عن النبي والأئمة المعصومين، ويشترطون دخول الإمام في الإجماع ، ويعدّون العقل مصدراً للتشريع، مع رفضهم للقياس. كما يختلف النظام الإرثي عندهم لمستحقي التركة ، إذ يعتمد الجمهور على تقسيم الورثة الى أصحاب فروض وأصحاب عصبات وأصحاب الرد وذوو الأرحام ، بينما يعتمد الإمامية على نظام الطبقات ، بحسب القرب من الميت، دون اعتبار للتعصيب بالذكور.

وفي المبحث الثاني تناول البحث المسائل الخلافية المتعلقة بأصحاب الفروض بين المذهبين معززة بالأمثلة التطبيقية ، فبدأ بموانع الإرث ، حيث اتفق الفريقان على موانع القتل والرق واختلاف الدين، غير أن الإمامية أجازوا إرث المسلم من الكافر دون العكس، بخلاف الجمهور الذين يمنعون التوارث بين ملّتين ، وأما في أصحاب الفروض، فقد تناول البحث أبرز مواضع الاختلاف ، ومن أهمها:

* ميراث الزوجين : إذ يتفق الفريقان على أصل الفروض، لكن الإمامية يوسّعون معنى «الولد» الذي يحجب الزوج أو الزوجة من النصيب الأعلى الى النصيب الأدنى ليشمل أولاد البنات، كما يمنعون الزوجة غير ذات الولد من إرث عين الأرض، بخلاف الجمهور.

* ميراث الأم : يختلف الفريقان في حجب الأم بالإخوة ، فالإمامية لايحجبون الأم الى السدس بالإخوة الا عند وجود الأب ، بينما عند الجمهور ترث الثلث أو السدس بحسب عدد الإخوة . كما يرون في المسألتين العمريتين أن الأم ترث ثلث التركة كلها لا ثلث الباقي كما عند الجمهور.

* ميراث الأب : عند الإمامية يشمل لفظ «الولد» أبناء الذكور والإناث، فيحجب الأب إلى السدس مع وجود أي فرع وارث، بخلاف الجمهور الذين يقصرونه على فرع الذكور فقط.

وخلص البحث إلى أن الخلاف بين الإمامية والجمهور في الميراث ناشئ عن تباينٍ في المنهج الأصولي ومصادر الاستدلال، لا عن مجرد اختلاف في الفروع . فالمذهب الإمامي يعتمد على نظامٍ قائمٍ على الطبقات والقرابة دون التعصيب، مع إعمالٍ للروايات عن الأئمة والعقل في الاستنباط ، بينما يقوم مذهب الجمهور على نظام الفروض والتعصيب المبني على النصوص العامة في القرآن والسنة. وتبرز أهمية هذه الدراسة في توضيح أثر الخلاف الأصولي في النتائج الفقهية التطبيقية ، وفي إظهار ثراء الفقه الإسلامي وتنوع مدارسه ضمن إطارٍ من الاجتهاد المشروع .

الكلمات المفتاحية :الخلافات الفقهية ، المسائل الإرثية ، الإمامية والجمهور ، أصحاب الفروض

Abstract:

This research, titled "Juristic Differences Between the Imāmī School and the Majority in Inheritance Issues Related to the Qur'anic Heirs (A āb al-Furū) – An Applied Study", examines comparative rulings between the two schools of thought in matters of inheritance where differences arise regarding the determination of eligible heirs and their respective shares. The study analyzes the underlying legal-theoretical and juristic causes that have led to such divergence.

The research begins by defining the concept of disagreement both lin-

guistically and technically, noting that it essentially refers to the lack of agreement between opinions and juristic interpretations. It then discusses the root causes of disagreement between the Imāmī school and the majority (Ahl al-Sunna) in certain inheritance issues, the most prominent of which is the difference in sources of legislation. The majority rely on the Qur'an, the Sunnah, consensus, and analogical reasoning (qiyās). Meanwhile, the Imāmīs rely on the Qur'an and the Sunnah transmitted from the Prophet and the infallible Imams, require the presence of an Imam for consensus to be authoritative, accept reason ('aql) as an independent source of law, and reject analogical reasoning.

The inheritance system among the majority is based on distributing the estate among: Qur'anic heirs with specified shares (A āb al-Furū), residuary heirs (A abāt), heirs eligible for remainder distribution (Ahl al-Radd), and kinship heirs (Dhū al-Ar ām). In contrast, the Imāmī school bases inheritance on a tiered system of classes of heirs, determined by their degree of closeness to the deceased, without employing the principle of male agnatic preference (ta īb).

The second chapter addresses specific points of juristic disagreement regarding the Qur'anic heirs, supported by applied illustrative examples. The discussion begins with inheritance disqualifications, where both sides agree on homicide, slavery, and religious difference as barriers. However, the Imāmīs permit a Muslim to inherit from a non-Muslim, but not vice versa—while the majority prohibit inheritance between adherents of different religions altogether.

In matters of Qur'anic shares, the study highlights key differences, including:

• Inheritance of spouses: Both sides agree on the basic prescribed shares; however, the Imāmīs define «child/offspring» (walad) more broadly to include descendants through daughters, affecting the reduction of the spouse's share. Additionally, they prevent a childless wife from inheriting the physical land itself, unlike the majority.

• Inheritance of the mother: The schools differ in how the presence of siblings affects her share. The Imāmīs only reduce the mother's share to one-sixth when both the father and siblings are present. The majority reduce her share based on the number of siblings alone. Furthermore, in the two 'Umariyyah' cases, the Imāmīs give the mother one-third of the entire estate, not one-third of the remainder as held by the majority.

• Inheritance of the father: For the Imāmīs, the term «offspring» includes both male and female descendants, thus reducing the father's share to one-sixth whenever any descendant exists. The majority apply this reduction only in the presence of male descendants.

The study concludes that the differences in inheritance rulings between the Imāmī school and the majority stem primarily from variation in foundational legal methodology and sources of authority, rather than from isolated juristic differences. The Imāmī approach emphasizes graded kinship-based classes and the authoritative sayings of the Imams, alongside rationale-based inference, while the majority approach relies on a formula combining Qur'anic shares and agnatic succession grounded in broader scriptural principles.

The significance of this study lies in demonstrating how foundational jurisprudential principles directly shape practical legal outcomes, and in highlighting the intellectual breadth and diversity of Islamic legal thought within the legitimate framework of scholarly reasoning.

Keywords: Imāmī school, majority (Ahl al-Sunna), inheritance issues, Qur'anic heirs (A āb al-Furū).

Keywords: Jurisprudential differences, inheritance issues, Imamiyyah and the majority, heirs entitled to fixed shares

المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد : فإنّ علم المواريث يُعَدُّ من أشرف علوم الشريعة وأدقها؛ لارتباطه الوثيق بحقوق العباد المالية بعد الوفاة، ولما يتطلبه من دقة في الفهم والنظر والاجتهاد في تطبيق النصوص على الوقائع . وقد تولّى القرآن الكريم بيان أصول هذا العلم وأحكامه في آياتٍ بينات من سورة النساء ، حتى قيل إنها من أدق ما فُصل في كتاب الله تعالى من أحكام ، ثم جاءت السنة النبوية متمّمة ومبينة لما أجملته الآيات الكريمة . ومع هذا البيان الرباني الدقيق، فقد وجدت بين المذاهب الإسلامية تفسيرات واجتهادات متعددة في بعض المسائل الإرثية ، نتج عنها اختلاف في التطبيق وفي تحديد الأنصبة والمستحقين. ويُعدّ الخلاف بين فقهاء الإمامية والجمهور من أبرز صور هذا التباين ، إذ إنّ لكل من الفريقين أصولا اجتهادية ومصادر استدلال خاصة انعكست آثارها على فروع الميراث وقواعده ، وكان من أبرز المواطن التي ظهر فيها هذا الخلاف: هي المسائل المتعلقة بأصحاب الفروض ، لما تتضمنه من تفاصيل دقيقة تتعلّق بتقدير الأنصبة ، وتوزيع التركة ، وهو ما يجعل دراستها ذات أهمية علمية كبيرة في إبراز أثر اختلاف المنهج الأصولي بين المذهبين على النتائج الفقهية العملية ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم الى :

مقدمة ومبحثين وخاتمة . أما المقدمة ففيها توطئة للبحث والخطة التي انتهجتها في كتابته وأما المبحث الأول فكان على مطلبين تناولت في المطلب الأول معنى الخلاف لغة واصطلاحا ، وفي المطلب الثاني أسباب الخلاف في المسائل الإرثية بين الإمامية والجمهور ، وأما المبحث الثاني فكان في المسائل الإرثية المختلف فيها بين المذهبين المتعلقة بموانع الإرث وأصحاب الفروض متناولا كل صاحب فرض بفقرة خاصة به ، وأما الخاتمة ففيها أهم النتائج التي توصلت اليها ، وبهذا يأمل الباحث أن يسهم هذا الجهد المتواضع في خدمة الدراسات الفقهية المقارنة ، وإظهار سعة الفقه الإسلامي وتنوع مدارسه ضمن إطار من الاحترام والاجتهاد المعتبر. مؤكدًا أنّ الخلاف الفقهي لا يُعد مثلبة ، بل هو مظهر من مظاهر الرحمة والتيسير وثراء الفكر الإسلامي ، والله أسأل أن يوفقنا إلى ما فيه الحق والصواب ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، نافعاً للباحثين وطلاب العلم ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول

معنى الخلاف لغة واصطلاحا

وأسبابه في المسائل الإرثية بين الإمامية والجمهور

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: معنى الخلاف لغة واصطلاحا

أولا: معنى الخلاف لغة

قال ابن فارس رحمه الله : تأتي مادة (خ ل ف) في اللغة في اصول ثلاثة (١) :

أحدها: أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه كما في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا)(٢)

فالليل يجيء بعد النهار، ويقوم مقامه، والنهار يجيء بعد الليل، ويقوم مقامه

الثاني: عكس قدام كما في قوله تعالى:(اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)(٣)

الثالث: التغيير كما في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)(٤) أي: لتغير رائحة فم الصائم، بسبب جوعه وعطشه أطيب عند الله من ريح المسك (٥)

والأصل الأول هو المقصود هنا كقولك: اختلف الناس فى كذا فهم مختلفون لأن كل واحدٍ منهم ينحى قول صاحبه ويقيم قوله مقام الذى نحاه.

ويأتي الخلاف أيضا بمعنى المضادة ، وقد خالفه مخالفة وخلافا (٦)

ثانيا: الخلاف اصطلاحا:

معنى الخلاف عند الفقهاء والأصوليين لا يخرج عن معناه اللغوي

فعرفه الجرجاني رحمه الله: « الخلاف: منازعةٌ تجرى بين المتعارضين لتحقيق حق أو إبطال باطل» (٧)

وعرفه الراغب الأصفهاني رحمه الله بقوله: الخلاف والاختلاف والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الأول في فعله أو حاله (٨)

وعرف أيضا : بعلم باحث عن وجوه الاستنباطات المختلفة من الأدلة الإجمالية أو التفصيلية الذاهب إلى كل منها طائفة من العلماء, ثم البحث عنها بحسب الإبرام والنقض (٩)

وعرف أيضا بأنه: علم يعرف من كيفية إيراد الحجج الشرعية ودفع الشبهة وقوادح الأدلة الخلافية بإيراد البراهين القطعية (١٠)

إذن الاختلاف بمفهومه العام يعني المغايرة بين الأشياء، ولا يوجد فرق بين الاختلاف والخلاف فكلاهما لهما نفس الدلالة في المعنى على أرجح الأقوال (١١)

وبالنظر إلى المعنى اللغوى والاصطلاحى للخلاف نستطيع أن نقرر أنه فى لغة العرب يعنى عدم الاتفاق، وهذا هو المراد فى المعنى الاصطلاحى فالخلاف فى الأقوال والأفعال بين الناس معناه: عدم الاتفاق فى تلك المسألة أو الرأى بما يؤدى إلى ذهاب كل فريق إلى رأي خلاف الفريق الآخر، وينشأ عنه منازعة ومناقشة لإظهار الحق وتزييف الباطل

المطلب الثاني:

أسباب الخلاف في المسائل الإرثية بين الإمامية والجمهور:

يُعدّ علم المواريث من أهم العلوم الشرعية التي تعنى بتنظيم الحقوق المالية بعد الوفاة ، وقد أُولِيَ اهتماما بالغا في القرآن الكريم والسنة النبوية وعلى الرغم من اتفاق جمهور فقهاء المسلمين على كثير من قواعد الإرث ، إلا أن هناك فروقًا بارزة

بين ما عليه جمهور أهل السنة وبين ما ذهب إليه الإمامية الاثني عشرية ، ويرجع هذا الخلاف الى بعض القواعد الأصولية ، ومصادر التشريع ، وفهم النصوص ، وكذلك في التطبيق العملي لتوزيع التركة وهذا ما سيتضح بيانه في هذا المطلب :

أولا: مصادر التشريع عند الإمامية والجمهور

١ـ عند الجمهور يعتمدون على (١٢):

ـ القرآن الكريم

ـ السنة النبوية : السنة النبوية عند الجمهور تعني كل ما ورد عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة (١٣)

ـ الإجماع : الإجماع عند الجمهور هو اتفاق جميع المجتهدين من أمة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على حكم شرعي في مسألة ما وهو حجة شرعية قطعية، أي لا يجوز مخالفتها، وفقًا لجمهور أهل العلم (١٤)

ـ القياس : وهو إلحاق فرع (مسألة غير منصوص عليها) بأصل (مسألة منصوص عليها) في الحكم الشرعي، لاشتراكهما في علة هذا الحكم.(١٥)

٢ـ عند الإمامية يعتمدون على (١٦):

ـ القرآن الكريم

ـ السنة النبوية : تشمل السنة النبوية عند الإمامية أقوال وأفعال وتقريرات النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بالإضافة إلى أقوال وأفعال وتقريرات الأئمة الاثني عشر المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، والذين يعتقدون بعصمتهم وحقهم في تبيان الشريعة ، وبالتالي فإن قولهم وفعلهم وتقريرهم يُعد سنة يجب اتباعها تماماً كالسنة النبوية . (١٧)

ـ الإجماع (مع اشتراط دخول المعصوم فيه)

ـ العقل : يرى الإمامية أن العقل السليم هو حجة في إثبات بعض الأحكام الشرعية، وأن ما يحكم به العقل القطعي هو من مصادر التشريع ، فكل ما يثبت بالقرآن أو السنة فهو ثابت بالعقل أيضاً.

فنجد هنا اعتماد الإمامية على الروايات المروية عن الأئمة الاثني عشر واعتبارها من السنة وكذلك موقفهم من بعض رواة الحديث ممن يعتمد عليهم الجمهور ، أضف الى رفضهم للقياس وتقيد الإجماع بدخول المعصوم فيه مما كان له الأثر في اعتماد النصوص التي تستنبط منها الأحكام الأرثية وتحديد نصيب كل وارث .

ثانياً: من الأسباب الجوهرية التي أدت الى الخلاف هو نظام وقواعد الإرث عند الجمهور والإمامية

١. نظام الإرث عند الجمهور أنه يقسم على أصحاب الفروض أولا ثم العصبات(١٨). ثم الرد على مستحقيه ثم ذوو الأرحام ، ويلاحظ من هذا التقسيم أن الورثة ليسوا بدرجة واحدة ، إذ بعضها متقدم على بعض في الإستحقاق ولا يمكن الإنتقال من درجة الى أدنى منها إلا بعد أن تستوفي أصحاب الدرجة المقدمة حقها ، كما لا يمكن توريث من رتبته متأخرة في الإستحقاق عمن هو أقرب منه الى الميت (١٩)

٢. أما نظام التوريث عند الإمامية فهو يرتكز على نظام الطبقات من حيث قرب درجتها من الميت ، ويقسمون مستحقوا التركة الى ثلاث طبقات(٢٠):

الطبقة الأولى: الأبوان المباشران والأولاد وإن نزلوا ، ولا فرق بين ذكر وأنثى ، ومن يتصل بالميت بالذكور ومن يتصل بالميت بالإناث ، على أن تحجب الطبقة العليا منهم الطبقة السفلى في ترتيب ينظر فيه الى القرب الى الميت دون سواه.

الطبقة الثانية: الأجداد والجدات (من طرفي الأب والأم) وإن علوا ، وفروع الأبوين من إخوة وأخوات وأبنائهم وبناتهم وإن نزلوا ، ولا فرق بين من يدلي الى الميت بأنثى ومن يدلي بذكر من حيث أصل الإستحقاق وإن كان ثمة تفاوت في المقادير أحيانا ، وعلى أن يقدم الفرض على الميراث بالتعصيب أو كما يسمونه (القرابة) ، وعلى الرد

على صاحب الفرض ان لم يكن في طبقته ذو قرابة غيره ، وعلى أن يكون الترتيب في الأجداد بقرب الدرجة وفي فروع الأبوين كذلك .

الطبقة الثالثة: الأعمام والعمات والأخوال والخالات ثم أولادهم ويلاحظ أيضا قرب الدرجة ، فالخال مقدم على ابن العم .

على أنه يلاحظ في كل الصور أن يبتدأ بذي الفرض إن وجد ، والزوجان دائما من أصحاب الفروض ويرثان مع جميع الطبقات وهما مقدمان بمقتضى فرضيتهم على غيرهم من أصحاب الفروض الذين يصح أن يكونوا عصبات إن وجدوا (٢١)

ويتبين من هذا التقسيم عند الإمامية أن محور الخلاف بينهم وبين الجمهور في أمرين (٢٢):

الأول: عدم الألتفات الى التعصيب بقرابة الذكور والإلتفات الى طبقة القرابة مما أثر ذلك في توريث الإخوة والأعمام والأقارب من جهة الأب، واستدلوا بقوله تعالى : (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) (٢٣)

فهذه الأية تدل عندهم على أنه لا يرث غير القريب مع وجود القريب ، وكذلك تقضي بتقديم الأقرب فالأقرب فلما كانت الأية دالة على تقديم ذوي الأرحام منهم وما ذاك الا لأنهم أقرب من غيرهم ، اقتضى ذلك تقديم من كان أمس رحما على غيره

والثاني: اعتبار قرابة الأنثى كقرابة الرجل تماما فقد اعتبروا قرابة الأنثى في الفروع وفي كل نواحي القرابة كقرابة الذكر ، من حيث الإتصال بالمتوفي ، فالخال كالعم ، وابن العمة كابن العم ، وابن الأخ لأم كابن الأخ الشقيق ، وابن الأخت كابن الأخ وهكذا (٢٤)

ثالثا: ما يتعلق بالعول والرد ، فالجمهور يقولون بالعول وهو (زيادة سهام الورثة عن التركة) فينقص نصيب كل وارث بنسبة معينة ، أما الإمامية فيرون أن النقص يدخل على بعض منهم دون بعض.(٢٥)

وأما الرد : فهو عند الإمامية ردّ ما يفضل من سهام أصحاب الفروض على مستحقيه ويختلفون عن الجمهور في هذا الإستحقاق ، على تفصيل يأتي لاحقا ان شاء الله

ويتبين مما سبق أن فقه المواريث عند الإمامية يتميز بنظام قائم على الطبقات والتقديم والتقريب ومبني على نصوص القران والروايات عن الأئمة من أهل البيت مما له أثره في الإختلاف مع الجمهور في كثير من مسائل الإرث وهذا ما سيتضح بتفصيل أكثر في المبحث الثاني عند تناول المسائل الخلافية

المبحث الثاني:

المسائل المختلف فيها بين الإمامية والجمهور في موانع الإرث وأصحاب الفروض:

تُعدُّ المسائل الخلافية بين الإمامية والجمهور في علم الفرائض من أبرز مظاهر التباين الفقهي بين المذهبين، إذ أن لكل منهما منهجًا متميزًا في معالجة القضايا الإرثية ، نابعًا من أصول ومبادئ عقدية وفقهية مختلفة ، وقد تبين سابقًا أن هذا الاختلاف المنهجي ينعكس بشكل واضح على تحديد مستحقّي التركة وتقدير أنصبتهم، مما يؤدي إلى نشوء مسائل متعدّدة تعالج بصورة متباينة عند كلا الفريقين ، وبذلك قسمت هذا المبحث الى مطلبين جرى ترتيبها وفق منهج الجمهور في بيان مستحقي التركة من الورثة وتندرج تحت كل مطلب ما يناسبه من مسائل خلافية أبين فيها وجه الخلاف بين الإمامية والجمهور في كل مسألة وسببه ، مع إيراد نماذج تطبيقية توضّح أثر ذلك الخلاف في تحديد نصيب كل وارث عند كلا الفريقين .

المطلب الأول: المسائل الخلافية المتعلقة بموانع الإرث

الموانع لغة : جمع مانع بمعنى الحائل (٢٦)

اصطلاحا: هو ما يلزم من وجوده عدم الحكم وإن نهض لقيامه السبب وتوافر الشرط ، ولا يلزم من عدم وجوده وجود الحكم ولا عدمه لذاته ، فإذا وجد سبب الميراث وتحقق شرطه فإن الإرث لا يتحقق الا اذا انتفى المانع منه (٢٧)

وفقهاء الإمامية متفقون مع الجمهور أن موانع الإرث ثلاثة (القتل والرق واختلاف الدين)(٢٨)

الا أنهم اختلفوا في تفاصيل تتعلق (باختلاف الدين)

وأما ما ذكره بعضهم ـ كولد الزنى واللعان ـ فعند التحقيق نجد أنه لا يتحقق فيها وصف المانع ، فولد الزنى منع من الميراث لعدم توفر السبب الموجب للميراث وهو النسب لا لوجود مانع ، وكذا الحال بالنسبة للعان ـ عندما يرمي رجل امرأته بالزنى أو نفي الولد. (٢٩)

وجه الخلاف بين الإمامية والجمهور في اختلاف الدين كمانع من موانع الإرث :

١. عند الجمهور: لا يتوارث أهل ملتين فغير المسلم لا يرث قريبه المسلم وإن كان أباه أو ابنه وأن هذا المنع ثابت أيضا بالنسبة الى المسلم من قريبه الكافر، والزوج المسلم بالنسبة الى زوجته الكتابية (٣٠)

واستدلوا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم)(٣١)

وقوله صلى الله عليه وسلم (لا يتوارث أهل ملتين شتى)(٣٢)

٢. عند الإمامية: لا يرث الكافر من قريبه المسلم لكن المسلم يرث من قريبه الكافر فالزوج المسلم يرث من زوجته الكتابية ، وهذا مروي عن معاذ بن جبل ومعاوية بن أبي سفيان وعلي بن الحسين وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية والشعبي وابراهيم النخعي ومسروق (٣٣)

واستدلوا بعدم أرث غير المسلم من قريبه المسلم بأن الميراث ولاية وخلافة ، ولا ولاية لغير المسلم على المسلم (٣٤)

وأما إرث المسلم من غير المسلم فعللوا ذلك بأن الأمر يشبه الزواج إذ يجوز للمسلم نكاح نساء أهل الكتاب دون عكسه (٣٥)

بعض الأمثلة التطبيقية :

آـ لو مات شخص غير مسلم وله ابن مسلم فإن هذا الإبن لا يرث من ابيه عند الجمهور

أما عند الإمامية فإنه يرثه ويحجب الورثة الأخرين الغير مسلمين ، بل أن المسلم يحجب غير المسلم مهما بعدت رتبة ذلك المسلم وقربت رتبة غير المسلم (٣٦)

ب ـ لو مات شخص مسلم وله ابن غير مسلم ، وابن عم وابن خال مسلمين فميراثه يذهب الى ابن العم عند الجمهور والى ابن العم وابن الخال عند الإمامية لإتحادهما بنفس الرتبة(٣٧)

ج ـ لو مات شخص مسلم وله ابن غير مسلم ومعتق مسلم فالميراث للمعتق المسلم عند الجمهور والإمامية (٣٨)

المطلب الثاني: المسائل الخلافية المتعلقة بأصحاب الفروض

أصحاب الفروض: هم الذين حدد نصيبهم من التركة إما بالكتاب أو بالسنة أو بالإجماع وقد أجمع الفقهاء على مشروعية الإرث بالفرض إلا أنهم اختلفوا في بعض تفاصيله .(٣٩)

إذن لا خلاف بين الإمامية والجمهور في استحقاق بعض الورثة نصيبهم بالفرض الا أن الإمامية لا يقسمون الورثة الى أصحاب فروض وعصبات كما هو عند الجمهور بل يقسمون الورثة وفق تضام الطبقات في درجة القرابة رغم أن ارث أصحاب هذه الطبقات منهم من يرث بالفرض ومنهم من يرث بالفرض والرد ومنهم من يرث بالقرابة ومنهم من يرث بالفرض تارة وبالقرابة تارة ، وهذه الطبقات كما بينتها سابقا هي (الأباء والأبناء وإن نزلوا ، ثم الإخوة والأخوات وأولادهم والأجداد والجدات وإن صعدوا وسواء من جهة الأب أو الأم ، ثم الأعمام والعمات والأخوال والخالات وأبنائهم عند عدم وجودهم)، أما الزوجين فيرثون مع جميع الطبقات ، ثم إن أصحاب كل طبقه يحجب من يليه من الطبقات وأن القريب يحجب الأبعد في الطبقة الواحدة .(٤٠) وعلى ضوء هذا التقسيم تظهر خلافات متعددة في استحقاق أنصبة الورثة بين الإمامية والجمهور سيتضح بيانها في هذا المطلب من خلال تناول أصحاب الفروض المختلف

في تفاصيل إرثهم بين المذهبين وكما يلي :

أولا: ميراث الزوجين

جاء ميراث الزوجين في قوله تعالى: (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ) (٤١)

ومقتضى هذه الأية يكون للزوج النصف إن لم يكن لزوجته المتوفية ولد وله الربع أن كان لها ولد وان نزل ، ويكون للزوجة الربع إن لم يكن لزوجها المتوفي ولد ولها الثمن ان كان له ولد وان نزل وهذا قدر متفق عليه بين الإمامية والجمهور لنص الأية الكريمة ،

لكن اختلفوا في أمرين:

الأمر الأول: اختلافهم في تفسير معنى الولد

١.عند الجمهور : المراد بالولد عند الجمهور ـ الذي ينقل ميراث الزوج من النصف الى الربع وميراث الزوجة من الربع الى الثمن ـ هو الفرع الوارث المباشر ذكرا كان أو انثى ، وما نزل من أصلاب الفروع الذكور (كالإبن ، والبنت ، وابن الإبن ، وبنت الإبن) أما ما نزل من بطون الفروع الإناث (كإبن البنت وبنت البنت) فلا يعدون فرعا وارثا أي بمعنى كل من يتوسط بينه وبين المتوفي أنثى لا يعد فرعا وارثا (٤٢)

٢.عند الإمامية : فإنهم يعتبرون كل فرع للمتوفي ولدا له سواء كان يتصل عن طريق الذكورة أم عن طريق الأنوثة (كالإبن والبنت وابن الإبن وبنت الإبن وابن البنت وبنت البنت) (٤٣)، وهذا الخلاف له أثره في تغير نصيب الزوجين وكذلك بقية الورثة من الأبوين والأبناء والأخوة وغيرهم مما سيتضح لاحقا

بعض الأمثلة التطبيقية :

آ. مات رجل وترك زوجة وابن بنت وأب

فعند الجمهور تكون المسألة كالتالي:

زوجة	ابن بنت	أب
١	محجوب	الباقي
٤		

أصل المسألة من أربعة أسهم ، سهم منها للزوجة وثلاثة أسهم للأب

أما عند الإمامية :

زوجة	ابن بنت	أب
١	١	١
٨	٢	٦

فيكون أصل المسألة من أربع وعشرون ، ثلاثة أسهم منها للزوجة وأربعة أسهم للأب واثنتا عشر سهما لإبن البنت ويبقى خمسة أسهم ترد على الأب وابن البنت بنسبة فرضهما (٤٤)

ب ـ ماتت إمرأة وتركت زوج وابن بنت وأب

عند الجمهور:

زوج	ابن بنت	أب

١	محجوب	الباقي
٢		

أصل المسألة من اثنين , سهم للزوج وسهم للأب

عند الإمامية

زوج	ابن بنت	أب
١	١	١
٤	٢	٦

أصل المسألة من إثنا عشر , ثلاثة أسهم للزوج وسهمان للأب وستة أسهم لإبن البنت ويبقى سهم واحد يرد على الأب وابن البنت بنسبة فرضهما

وبذلك نلاحظ تغير أنصبة الورثة عند الفريقين تبعا لإختلافهم في تحديد معنى الولد

الأمر الثاني : إرث الزوجة من العقار

بينت القدر المتفق عليه بين الإمامية والجمهور في إرث الزوجة وهو الثمن عند وجود الولد للمتوفى والربع عند عدم وجوده مع الخلاف في معنى الولد وهذا القدر يكون من جميع التركة عند الجمهور . أما الإمامية فقد فرقوا بين الزوجة ذات الولد والزوجة التي ليس لها ولد فقالوا : أن الزوجة غير ذات الولد من المتوفى لا تأخذ من عين الأرض شيئا ولا من قيمتها ولكن تأخذ قيمة حصتها من البناء والشجر الذي على هذه الأرض وهذا هو الراجح عندهم (٤٥)

ويلاحظ هنا أنه لو كان للمتوفى زوجتين إحداهما ذات ولد والأخرى ليس لها ولد منه فإن ذات الولد تأخذ الثمن كاملا في الجزء الذي منعت منه الأخرى وهو (عين الأرض على الرأي المختار) وتأخذ نصف الثمن في قيمة المباني والشجر وبقية المنقولات (٤٦)

واستدل الإمامية لرأيهم في ميراث الزوجة التي ليس لها ولد بما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، فقد روي عن أبي جعفر الباقر وأبي عبدالله الصادق عليهما السلام : (أن المرأة لا ترث من تركة زوجها من تربة دار أو أرض إلا أن يقوم الطوب والخشب قيمة فتعطى ربعها أو ثمنها) (٤٧)

واستدلوا أيضا بالعقل: فقالوا أن العقار لا يمكن تغيره وقلبه والمرأة قد يجوز أن ينقطع ما بينها وبين الزوج من العصمة ويجوز تغيرها وتبديلها فما يجوز أن يجيء ويذهب كان ميراثه فيما يجوز تبديله وتغيره إذا أشبهه . وكان الثابت المقيم على حاله كمن كان مثله في الثبات والقيام ، وقالوا أيضا في هذا المنع للزوجة التي ليس لها ولد أنها ربما تزوجت فاسكنت هذه الرباع التي ترثها عن زوجها من كان ينافس المتوفى أو يغيضه أو يحسده فيثقل ذلك على أهله وعشيرته(٤٨)

ثانياً : ميراث الأبوين

على الرغم من إتفاق الإمامية والجمهور ببعض الجوانب لميراث الأبوين إلا أنهم اختلفو في جوانب أخرى جوهرية أثرت في نصيبهما من الإرث وهذا ما سأفصل القول فيه ان شاء الله

١. ميراث الأم:

يتفق الإمامية مع الجمهور أن الأم ترث السدس إن كان للمتوفي ولد أو عدد من الإخوة وترث الثلث اذا لم يكن للمتوفي ولد ولا عدد من الإخوة ، لقوله تعالى:(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)(٤٩)

إلا أنهم إختلفو في المسائل التالية:

آ. حجب الأم للإخوة والأخوات

فعند الجمهور: لا تحجب الأم الإخوة والأخوات مطلقا بل يرثون معها ويؤثرون في ميراثها حسب عددهم. (٥٠)

أما عند الإمامية فالأم تحجب الإخوة والأخوات من الميراث لكونها في الطبقة الأولى والإخوة والأخوات في الطبقة الثانية ، أي اذا وجد معها هؤلاء فقط فإنها تحوز كل التركة ، ثلثه بالفرض والباقي بالرد ، أما إذا كان معهم صاحب فرض كالأب والبنت فلا يرد عليها شيء وإنما لها سدسها فقط ، فهماً من قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (٥١). ويرد الباقي على الأب والبنت فقط كل بنسبة حصته. (٥٢)

ب. الإختلاف في معنى الولد الذي ذكرته سابقا

فعند الجمهور: أن الولد الذي يحجب الأم من الثلث الى السدس لا يشمل أبناء البنات بل أبناء الذكور فقط

أما عند الإمامية: فيشمل الولد الذي يحجب الأم الى السدس أبناء الذكور وأبناء البنات

ج. حجب الأم عن الثلث الى السدس بالإخوة :

فعند الجمهور : يحجب الأم من الثلث الى السدس الأثنين فأكثر من الإخوة (٥٣) :(سواء كانوا أشقاء أو لأب أو لأم ، واستدلوا بقوله تعالى:(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (٥٤) وهذا النص عام يشمل كل من يطلق عليه اسم الأخ

*سواء كان شقيقا أو لأب أو لأم .

*وسواء كانوا ذكورا أو إناثا أو مجتمعين ، لأن اللفظ عام

*ولا يشترط بذلك وجود الأب من ضمن الورثة فقد يحجبون بالإبن ، أو البنت (إن كانوا إخوة لأم)

أما عند الإمامية(٥٥):

* فيرون أن الإخوة لأم لا يحجبون الأم من الثلث الى السدس بل ترث الثلث كاملا ، واستدلوا بأن لفظ الإخوة في الأية الكريمة تطلق باديء الرأي على أولاد الأب ، وكذلك أن السبب في ميراث الإخوة لأم هو الأم ، فلا يمكن في حكم العقل أن تكون هي سبب ميراثهم ، وهم يكونون سبب حجبها

* وكون الإخوة اثنين من الذكور فصاعدا أو ما يعادلهما من النساء أي أربع أخوات أو أخ وأختان ، واستدلوا بأن لفظ إخوة الوارد في الأية هو جمع أخ ، وأقل الجمع إثنان ، والجمع هنا جمع مذكر لا جمع إناث ، وليس الذكر كالأنثى ، بل الذكر كاثنين ، وعلى ذلك كان لا بد من أربع أخوات أو رجل وامرأتين أو رجلين ،

* يرى الإمامية أن حجب الأم من الثلث الى السدس بالعدد من الإخوة لا يتحقق إلا بوجود الأب ، إذ إن الإخوة محجوبون به ابتداءً، ومع ذلك يؤثر وجودهم معه في إنقاص نصيب الأم إلى السدس. أما عند عدم وجود الأب، فلا أثر للإخوة في ميراث الأم؛ لأنها أعلى منهم رتبة وهي من ستحجبهم و يبقى نصيبها على حاله دون تغيير

د . أيلولة السدس الذي حجبت عنه الأم بسبب الإخوة المحجوبين بالأب

فعند الجمهور: يرون أن السدس الذي حجبت عنه الأم بسبب الإخوة يؤول الى الإخوة أنفسهم إذا كانو وارثين ، أو يأخذه بقية الورثة بحسب الفرض أو التعصيب إن كانوا محجوبين . (٥٦)

أما الإمامية: يرون ان السدس الذي حجبت عنه الأم يؤول الى الأب لأنهم يحجبون الأم ليتوافر للأب نصيب أكبر (٥٧)

هـ . عند اجتماع أحد الزوجين مع الأم والأب في المسألتين الغراويتين

فعند الجمهور: ترث الأم ثلث الباقي بعد إعطاء أحد الزوجين نصيبه وهي ما تسمى بالمسألة العمرية وهذا رأي سيدنا عمر وعلي بن أبي طالب وابن عباس وجمع من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين (٥٨)

أما عند الإمامية: فترث الأم الثلث كاملا من جميع التركة (٥٩)

بعض الأمثلة التطبيقية :

آ. مات شخص وترك أما وثلاث إخو أشقاء وأختين لأب وأخوين لأم

عند الجمهور:

أم	ثلاث إخوة أشقاء	أختين لأب	أخوين لأم
١	الباقي	محجوبتين	١
٦			٣

أصل المسألة من ٦ أسهم ، (سهم للأم ، وثلاثة أسهم للأشقاء وسهمين للإخوة لأم)

عند الإمامية:

أم	ثلاث إخوة أشقاء	أختين لأب	أخوين لأم	ترث كل التركة
فرضا وردا	محجوبين			

فورثت الأم كل التركة لأنها من الطبقة الأولى والإخوة من الطبقة الثانية فحجبتهم

ب . مات شخص وترك أم وابن بنت وأخ شقيق وأب

عند الجمهور:

أم	إبن بنت	أخوين شقيقين	أب
١	محجوب	محجوب	الباقي

٣ أصل المسألة من ٣ أسهم ، سهم للأم ، وسهمين للأب

عند الإمامية:

أم	إبن بنت	أخوين شقيقين	أب
١	١	محجوبين	١
٦	٢		٦

أصل المسألة من ٦ أسهم (سهم للأم ، وثلاثة أسهم لإبن البنت ، وسهم للأب) والباقي سهم واحد يرد على الأب وابن البنت كل على حسب نسبة فرضه

ج . مات شخص وترك أم وثلاث أخوات لأم وأب

عند الجمهور:

أم	ثلاث أخوات لأم	أب
١	محجوبات	الباقي
٦		

أصل المسألة من ٦ أسهم (سهم للأم وخمسة أسهم للأب)

عند الإمامية:

أم	ثلاث أخوات لأم	أب
١	محجوبات	الباقي
٣		

أصل المسألة من ٣ أسهم (سهم للأم وسهمان للأب) فنلاحظ أن الأم استحقت الثلث لعدم حجبها الى السدس بالإخوات لأم ، ولعدم استكمال العدد من الإخوة الذي هو إما ذكرين أو أربع إناث أو ذكر وأنثيين

د. مات شخص وترك زوجة وام وأب (هذه إحدى المسألتين العمريتين أو الغراويتين)

عند الجمهور:

زوجة	وام	وأب
١	١ الباقي	الباقي
٤	٣	

أصل المسألة من ١٢ سهم (ثلاثة أسهم للزوجة وثلاثة أسهم للأم وستة أسهم للأب)

عند الإمامية :

زوجة	وام	وأب
١	١	الباقي
٤	٣	

أصل المسألة من ١٢ سهم (ثلاثة أسهم للزوجة وأربعة أسهم للأم وخمسة أسهم للأب)

فأخذت الأم ثلث جميع التركة وليس ثلث الباقي كما عند الجمهور

هـ. مات شخص وترك زوج وام وأب (هذه المسألة العمرية أو الغراوية الثانية)

عند الجمهور:

زوج	وام	وأب
١	١ الباقي	الباقي
٢	٣	

أصل المسألة من ٦ أسهم (ثلاثة أسهم للزوج وسهم للأم وسهمين للأب)

عند الإمامية :

زوج	وام	وأب
١	١	الباقي
٢	٣	

أصل المسألة من ٦ أسهم (ثلاثة أسهم للزوج وسهمين للأم وسهم للأب)

فأخذت الأم ثلث جميع التركة وأصبح نصيبها ضعف الأب

٢. ميراث الأب

يتفق الإمامية مع الجمهور في إرث الأب بالتعصيب أو ما يسمى بالقرابة عند الإمامية عند عدم وجود الولد ، أو السدس عند وجود الولد(٦٠) إلا أنهم اختلفوا في معنى الولد الذي ذكرته سابقا:

فعند الجمهور: أن الولد الذي يحجب الأب من التعصيب الى السدس لا يشمل أبناء وبنات البنات بل أبناء وبنات الذكور فقط فيأخذ السدس فرضا مع الذكر والسدس فرضا والباقي تعصيبا مع الأنثى (٦١)

أما عند الإمامية: فيشمل الولد الذي يحجب الأب الى السدس الأبناء والبنات وأبنائهم وبناتهم مطلقا ، فيكون حاله مع

أولاد الأبناء أو البنات من الذكور والإناث هو كحاله مع الإبن أو البنت عينا لأنهم كما يرون أنهم يقومون مقام الإبن والبنت ويستحقون ما كان يستحقانه فيما لو كانوا في الحياة فيأخذ السدس فقط فرضا مع الإبن وفرعه وإن كان أنثى والباقي يكون للإبن أو فرعه ويأخذ السدس مع البنت وفرعها (ذكرا أو أنثى) وما بقي يرد عليهما وفق نسب فرضهما (٦٢)

بعض الأمثلة التطبيقية :

آ. مات رجل وترك زوجة وبنتين وأب

عند الجمهور :

زوجة	بنتين	أب
١	٢	١ + الباقي
٨	٣	٦

أصل المسألة من ٢٤ سهما (ثلاثة أسهم للزوجة وستة عشر سهما للبنتين وخمسة أسهم للأب فرضا وتعصيبا)

عند الإمامية:

زوجة	بنتين	أب
١	٢	١
٨	٣	٦

أصل المسألة من ٢٤ سهما (ثلاثة أسهم للزوجة وستة عشر سهما للبنتين وأربعة أسهم للأب وما بقي يرد على الأب والبنتين وفق نسبة كل منهما)

ب ـ مات رجل وترك زوجة وأب وبنت إبن

عند الجمهور :

زوجة	أب	بنت إبن
١	١ + الباقي	١
٨	٦	٢

أصل المسألة من ٢٤ سهما (ثلاثة أسهم للزوجة وتسعة أسهم للأب فرضا وتعصيبا واثنا عشرة سهما لبنت الإبن)

عند الإمامية :

زوجة	أب	بنت إبن
١	١	الباقي فرضا وردا
٨	٦	

أصل المسألة من ٢٤ سهما (ثلاثة أسهم للزوجة وأربعة أسهم للأب وسبعة عشر سهما لبنت الإبن فرضا وردا) فحلت بنت الإبن محل والدها

ج ـ مات رجل وترك زوجة وأب وبنت إبن

عند الجمهور :

زوجة	أب	بنت بنت
١	الباقي	محجوبة
٨		

أصل المسألة من ثمانية أسهم (سهم للزوجة وسبعة أسهم للأب ولا شيء لبنت البنت)

عند الإمامية :

زوجة	أب	بنت بنت
١	١	١
٨	٦	٢

أصل المسألة من ٢٤ سهما (ثلاثة أسهم للزوجة وأربعة أسهم للأب واثنا عشرة سهما لبنت البنت والباقي يرد على الأب وبنت البنت وفق نسبة كل منهما) فحلت بنت البنت محل والدتها

ثالثا . ميراث الجد والجدة

يختلف ميراث الجد والجدة عند الإمامية عن الجمهور في النقاط التالية:

١ . المراد بالجد عند الجمهور هو أبو الأب فقط وان علا أما عند الإمامية فيشمل الجد أبو الأب وأبو الأم مع مراعاة الأتي(٦٣):

آ . اذا اجتمع الجد والجدة من جهة الأب فإن الجد يرث بالتعصيب والجدة ترث السدس عند الجمهور أما عند الإمامية يقسم بينهم بالتفاضل للذكر مثل حظ الأنثيين

ب . اذا اجتمع الجد والجدة من جهة الأم فإن الجد أبو الأم لا يرث عند الجمهور والجدة ترث السدس أما عند الإمامية يقسم بينهم بالتساوي للذكر مثل الأنثى

ج . اذا اجتمع الإجداد والجدات من جهة الأب ومن جهة الأم فعند الجمهور الجد من جهة الأب يرث بالتعصيب وأما من جهة الأم فلا يرث وأما الجدات فيشتركن بالسدس أما عند الإمامية فيكون الثلث لقرابة الأم بالتساوي والثلثين لقرابة الأب بالتفاضل

د . اذا اجتمعت الجدة من جهة الأب والجدة من جهة الأم فيشتركن بالسدس عند الجمهور وأما عند الإمامية فيكون الثلث للجدة من جهة الأم والباقي للجدة من جهة الأب

هـ .يرث الجد مع الفرع الوارث الذكر السدس ومع الفرع الأنثى السدس مع الباقي عند الجمهور بينما يحجب الجد عند الإمامية مع الفرع الوارث وفروعهما مهما نزلوا ذكورا كانو أم إناثا وفقا لطبقات الإرث التي يعتمدها الإمامية . فالفروع من الطبقة الأولى والأجداد من الطبقة الثانية ، ولا يرث عندهم من كان في طبقة أدنى مع وجود من هو في طبقة أعلى .

٢ . ميراث الجد مع الإخوة عند الجمهور يشترط له قدر معين (المقاسمة، الثلث ، السدس)(٦٤)

أما عند الإمامية فهم من طبقة واحدة فيجعلون الجد كالأخ والجدة كالأخت في الميراث مع مراعاة الأتي (٦٥):

آ . الجد والجدة من جهة الأم يشاركون الإخوة لأم في الثلث (الذكر والأنثى سواء)

ب . الجد والجدة من جهة الأب يشاركون الإخوة الأشقاء أو الإخوة لأب (بالتفاضل للذكر مثل حظ الأنثيين)

د . الجد والجدة لأب اذا اجتمعوا مع الإخوة والأخوات لأم فيرث الأخ والأخت السدس عند الإنفراد والثلث عند التعدد يقتسمونه بالتساوي للذكر مثل الأنثى بينم يرث الجد أو الجدة لأب باقي التركة

٣ . يحجب الجد أولاد الإخوة والأخوات عند الجمهور بينما يرث معهم عند الإمامية ولا يحجبهم وسواء كانوا فروع الإخوة والأخوات لأب وأم ، أو لأب فقط ، أو لأم فقط فيشاركون الجد كأباتهم عند عدمهم (٦٦)

٤. ترث الجدة عند الجمهور السدس سواء كانت من جهة الأب أو من جهة الأم ويشتركن في السدس عند اجتماعهما أما عند الإمامية فإن الجدة لا فرض لها وانما ترث بالقرابة على التفصيل الذي ذكرته أعلاه . (٦٧)

بعض الأمثلة التطبيقية :

آ. مات رجل وترك جدة (أم الأب) وجد (أبو الأب)

عند الجمهور:

جدة (أم الأب)	جد (أبو الأب)
١	التعصيب

٦

أصل المسألة من ستة (سهم للجدة وخمسة أسهم للجد)

عند الإمامية :

جدة (أم الأب) جد (أبو الأب)

ترث الجدة مع الجد بالقرابة ويكون أصل المسألة من ثلاثة أسهم (سهم للجدة وسهمين للجد)

ب ـ مات رجل وترك زوجة وجدة (أم أم) وجدة (أم أب)

عند الجمهور:

زوجة	جدة (أم أم)	جدة (أم أب)
١	١	
٤	٦	

فيكون أصل المسألة من إثنتا عشر سهما (ثلاثة أسهم للزوجة والباقي للجدتين فرضا وردا)

عند الإمامية:

زوجة	جدة (أم أم)	جدة (أم أب)
١	١	القرابة
٤	٣	

فيكون أصل المسألة من إثنتا عشر سهما (ثلاثة أسهم للزوجة والثلث أربعة أسهم للجدة أم الأم والباقي خمسة أسهم للجدة أم الأب)

ج ـ مات رجل وترك جدة (أم الأم) وجد (أبو الأم)

عند الجمهور:

جدة (أم الأم)	جد (أبو الأم)
١	محجوب
٦	

فترث الجدة ستة أسهم فرضا وردا

عند الإمامية :

جدة (أم الأم) جد (أبو الأم)

ترث الجدة هنا مع الجد بالقرابة وبالتساوي فيكون أصل المسألة من سهمين (سهم للجدة وسهم للجد)

د ـ مات رجل وترك جد (أبو الأب) وجد (أبو الأم)

عند الجمهور:

جد (أبو الأب)	جد (أبو الأم)
التعصيب	محجوب

فيأخذ الجد أبو الأب جميع المال

عند الإمامية:

جد (أبو الأب) وجد (أبو الأم)

يأخذ الجد (أبو الأب) بالقرابة ويأخذ الجد (أبو الأم) الثلث

فيكون أصل المسألة من ثلاثة أسهم سهمين للجد (أبو الأب) وسهم للجد (أبو الأم)

هـ ـ مات رجل وترك جد (ابو الأم) وأربعة إخوة لأم وأخت لأم

عند الجمهور:

جد (ابو الأم)	أربعة إخوة لأم وأخت لأم
محجوب	١ فرضا والباقي ردا
	٣

عند الإمامية :

يشترك الجد مع الإخوة فيقسم المال على ستة أسهم (سهم للجد وخمسة أسهم للإخوة والأخت لأم) يقسم بينهم بالتساوي

و ـ مات رجل وترك جد (ابو الأب) وأربعة إخوة لأم وأخت لأم

عند الجمهور:

جد (ابو الأب)	أربعة إخوة لأم وأخت لأم
التعصيب	محجوبون بالجد

فيأخذ الجد جميع التركة

عند الإمامية :

يرث الجد لأب بالقرابة بينما يرث الإخوة لأم الثلث يقسم بينهم بالتساوي

ز ـ مات رجل وترك جد (ابو الأب) وأخوين شقيقين

عند الجمهور:

جد (أبو الأب)	وأربعة إخوة أشقاء
١	الباقي
٣	

هنا يكون الثلث أفضل للجد فيكون أصل المسألة من ثلاثة (سهم للجد وسهمين للإخوة الأشقاء)

عند الإمامية :

جد (أبو الأب)	أربعة إخوة أشقاء

يشترك الجد مع الإخوة الأشقاء ويكون أصل المسألة من خمسة أسهم (سهم للجد وأربعة أسهم للأشقاء)

رابعا : ميراث البنت الصلبية وبنت الإبن وبنت البنت

يتفق الإمامية مع الجمهور أن البنت الصلبية أو بنت الإبن ترث كل منهما النصف في حال الإنفراد والثلثان في حال التعدد ونصف حظ الذكر اذا اجتمعت معه (٦٨)، إلا أنهم اختلفوا في جوانب جوهرية أخرى أثرت في اختلاف الأنصبة للبنت أو بنت الإبن والتي بينتها في النقاط التالية (٦٩):

١. تعد البنت عند الإمامية في المرتبة الأولى مثل الإبن والأب والأم ، وهي تحجب كالإبن من يليها في المرتبة من جد وجدة وإخوة وأخوات وغيرهم من الأقرباء للميت ، كما تحجب من يليها في الدرجة من الذكور والإناث كإبن الإبن وابن البنت وبنت الإبن للميت ،

بينما ترث البنت أو بنت الإبن فرضها عند الجمهور ولا تحجب سوى الإخوة والأخوات لأم أما الأخوات الشقيقات أو لأب فيرثن معها بالتعصيب وترث الجدة السدس ويرث الجد السدس مع التعصيب

٢. عند الجمهور ترث بنت الإبن السدس سواء كانت واحدة أو أكثر عند اجتماعها مع بنت صلبية واحدة تكملة الثلثين ، بينما تحجب البنت كل من يليها في الرتبة أو الدرجة عند الإمامية فتأخذ نصيبها فرضا والباقي ردا ان انفردت أو يرد

عليها قدر نسبة فرضها مع وجود من يرد عليه معها

٣.اذا عالت المسألة فارتفع عدد السهام على أصل المسألة فيستلزم نقص الحصص للورثة ،كأن تنحصر التركة في أبوين وبنتين وزوج أو زوجة ، فعند الجمهور يدخل النقص على جميع أصحاب الفروض كل بنسبة حصته ، أما عند الإمامية فإن النقص يدخل على البنتين فقط دون الأبوين والزوج ، وذلك لأنه من المقررات عند الإمامية أنه لا عول ، وأنه ينقص من أصحاب الفروض الذين يتغير نصيبهم إذا كان معهم ذكر ، فلو فرض أن مع البنتين ابنا فسيأخذ الجميع الباقي ، فتأخذ الإثنتان فأكثر الباقي بالأولى . (٧٠)

٤. أولاد الأبناء والبنات ذكورا كانوا أم إناثا هم من المرتبة الأولى عند الإمامية وكل يقوم مقام من يدلي به فأولاد وبنات الأبناء يقومون مقام أبيهم ويرثون ما كان يرثه للذكر مثل حظ الأنثيين وأولاد البنات من كلا الجنسين يقومون مقام أمهم ويستحقون ما كانت تستحقه من التركة لو كانت في الحياة للذكر مثل حظ الأنثيين أيضا ، فلو خلف الميت ابن بنت وبنت ابن فقط كان لإبن البنت الثلث ولبنت الإبن الثلثان ، أما عند الجمهور فلا يرث أولاد البنات مع وجود من هو أولى منه بالإرث (٧١)

٥. أولاد وبنات الإبن عند انفرادهم يرثون كل التركة بالقرابة وأولاد البنت يرثونها فرضا وردا عند الإمامية أما عند الجمهور فأولاد الإبن يرثون كل التركة بالتعصيب عند انفرادهم ويرث بنات الإبن عند انفرادهم استحقاقهم بالفرض والباقي ردا ولا يرث أولاد البنت شيئا عند وجود من هو أولى منهم كما بينت .

٦. عند الإمامية يحجب القريب الى الميت ذكرا كان أو أنثى من يليه في الدرجة فالبنت تحجب ابن الإبن وكذا ابن البنت يحجب ابن ابن الإبن أما عند الجمهور فالبنت تأخذ فرضها وابن الإبن يرث بالتعصيب ، ولا يرث أولاد البنات مع وجود الأبناء أو أبنائهم مهما نزلوا .(٧٢)

بعض الأمثلة التطبيقية :

آ. مات رجل وترك بنت وابن ابن وبنت ابن

عند الجمهور :

بنت	ابن ابن وبنت ابن
١	التعصيب
٢	

فيكون أصل المسألة من سهمين سهم للبنت وسهم لإبن الإبن وبنت الإبن (للذكر مثل حظ الأنثيين)

عند الإمامية :

تأخذ البنت النصف فرضا والنصف الأخر ردا ويحجب ابن الإبن وبنت الإبن لأنهما أدنى منها درجة

ب . مات رجل وترك بنت وجد وجدة

عند الجمهور :

بنت	جد	جدة
١	١ + الباقي	١
٢	٦	٦

أصل المسألة من ستة ، للبنت ثلاثة أسهم وللجد سهمين وللجدة سهم واحد

عند الإمامية :

تأخذ البنت النصف فرضا والباقي ردا ولا شيء للجد والجدة لأنهما أدنى منها رتبة فهما في المرتبة الثانية بينما البنت في المرتبة الأولى ومن المقررات عندهم أنه لا يرث من هو في الطبقة الدنيا مع وجود من هو في الطبقة الأعلى .

ج . مات رجل وتر بنت وبنت إبن

عند الجمهور :

بنت	بنت إبن
١	١
٢	٦

أصل المسألة من ستة أسهم ثلاثة للبنت وسهم للبنت ويرد الباقي عليهما كل بنسبة فرضه

عند الإمامية :

تأخذ البنت جميع التركة ولا شيء لبنت الإبن لأنها أدنى منها درجة

د . ماتت امرأة وتركت زوج وأب وأم وبنتين

عند الجمهور:

زوج	أب	أم	بنتين
١	١ + الباقي	١	٢
٢	٦	٦	٣

أصل المسألة من ستة وتعول الى تسعة (ثلاثة أسهم للزوج وسهم للأب وسهم للأم وأربعة أسهم للبنتين) فتقسم التركة على تسعة أسهم بدل ستة أسهم ويلحق النقص جميع الورثة

عند الإمامية :

زوج	أب	أم	بنتين
١	١	١	٢
٢	٦	٦	٣

أصل المسألة من ستة أسهم (ثلاثة أسهم للزوج وسهم للأب وسهم للأم ويبقى سهم واحد للبنتين) فلا عول عند الإمامية والنقص يلحق البنتين فقط ، لأنهما من أصحاب الفروض الذين يتغير نصيبهم إذا كان معهم ذكر

هـ . مات رجل وترك بنت ابن وابن بنت

عند الجمهور:

بنت ابن	ابن بنت

ترث بنت الإبن النصف فرضا والباقي ردا ولا شيء لإبن البنت لأنه من ذوي الأرحام ووجود من هو أولى منه بالميراث .

عند الإمامية :

بنت ابن	ابن بنت

ترث بنت الإبن هنا ضعف ابن البنت بالقرابة وفقا لإرث من يدليان به (الإبن والبنت) لو كانوا أحياء للذكر مثل حظ الأنثيين

و . مات رجل وترك خمس بنات ابن

فعند الجمهور ترث بنات الإبن الثلثين فرضا والباقي ردا أما عند الإمامية فيرثن كل التركة بالقرابة

خامساً : ميراث الأخت الشقيقة والأخت لأب

يتفق الإمامية مع الجمهور في أغلب حالات إرث الأخت الشقيقة والأخت لأب ، منها أنها ترث النصف إذا كانت واحدة ، والثلثان للأثنين فأكثر ، والإشتراك واحدة كانت أو أكثر مع أخيها الذي من درجتها على وجه القرابة للذكر مثل حظ الأنثيين ، واختلفو في جوانب أخرى أثرت في نصيب كل منهما من الإرث وكما يلي(٧٣):

١. حجب الأخت الشقيقة والأخت لأب عند الإمامية (بالأم وبالفرع الوارث من كلا الجنسين مهما نزلوا) لأن الأم والأولاد ذكورا أم إناثا هم من الطبقة الأولى أما الإخوة والأخوات فهم من الطبقة الثانية ومن المقررات عندهم أنه لا يرث

من كان في طبقة أدنى مع وجود من هو في طبقة أعلى .

أما عند الجمهور فلا تحجب الأم الإخوة والأخوات مطلقا وكل يرث نصيبه بل قد ينقص ميراث الأم من الثلث الى السدس في حال تعدد الإخوة والأخوات حتى وإن كانوا محجوبين بوارث أخر كالأب أو الإبن .

وكذا الحال في الفرع الوارث الأنثى البنت وبنت الإبن فإنها لا تحجب الأخوات مطلقا بل تعصبهم اذا اجتمعت مع أي منهما . أما أولاد البنات ذكورا كانوا أم إناثا فهم من ذوي الأرحام ولا يرثون عند الجمهور بوجود صاحب فرض أو تعصيب أو ممن يرد عليه من الورثة .

٢. يحجب عند الإمامية الإخوة والأخوات لأب عند اجتماعهم مع الأخت الشقيقة لأن الشقيقة أقرب للميت فهي تقرب من جهة الأب والأم ومن المقررات عندهم أن الأقرب يحجب الأبعد فتحوز بذلك نصف التركة فرضا والباقي ردا وتحجب كل من يليها في الرتبة كالعم وابن العم

أما عند الجمهور فإن الأخت الشقيقة ترث فرضها ويرث الأخ لأب بالتعصيب عند اجتماعه معها وترث الأخت لأب السدس مع الشقيقة الواحدة تكملة الثلثين ولا شيء لها عند تعدد الشقيقات لإستيفائهم الفرض المقرر(الثلثين) فلم يبق شيء للأخت لأب . ولا تحجب الأخت الشقيقة الإخوة والأخوات لأب إلا إذا اجتمعا مع البنت لأن الإرث هنا سيكون بالتعصيب والشقيقة أولى من الأخ أو الأخت لأب في التعصيب عند اجتماعهم . وكذا الحال بالنسبة للعم وابن العم فلا يحجبان مع الأخت الشقيقة أو لأب عند الجمهور وانما يكون إرثهم بالتعصيب الا اذا اجتمعوا مع البنت كما بينت .(٧٤)

بعض الأمثلة التطبيقية :

آ. مات رجل وترك أم وأخت شقيقة وأخت لأب

عند الجمهور:

أم	أخت شقيقة	أخت لأب
١	١	١
٦	٣	٦

أصل المسألة من ستة أسهم (سهم للأم، وثلاثة أسهم للأخت الشقيقة ، وسهم للأخت لأب) ويبقى سهم يرد على الجميع كل بنسبة فرضه

عند الإمامية :

ترث الأم جميع التركة فرضا وردا ولا شيء للأخوات لأنهم أدنى رتبة من الأم

ب. مات رجل وترك بنت وأخت شقيقة وأخت لأب

عند الجمهور:

بنت	أخت شقيقة	أخت لأب
١	تعصيب	محجوبة
٢		

أصل المسألة من سهمين (سهم للبنت وسهم للشقيقة)

عند الإمامية :

ترث البنت جميع التركة فرضا وردا ولا شيء للأخوات لأنهم أدنى رتبة)

ج. مات رجل وترك أخت شقيقة وأخ لأب وأخت لأب

عند الجمهور:

أخت شقيقة	أخ لأب	أخت لأب

١ تعصيب
٢
أصل المسألة من سهمين (سهم للشقيقة وسهم للأخ والأخت لأب بالتفاضل)
عند الإمامية :
ترث الأخت الشقيقة جميع التركة ولا شيء للأخ والأخت لأب لأنهما أدنى درجة)
سادساً : ميراث الإخوة والأخوات لأم
يتفق الإمامية مع الجمهور أن للإخوة والأخوات لأم حالتان في الميراث وهما :(٧٥)
*السدس للواحد أو الواحدة
*والثلث للاثنين فأكثر سواء كانو من جنس واحد أو مختلطين من كلا الجنسين
واختلفوا في جوانب أخرى إنعكست على نصيب كل منهم وذلك على النحو الآتي :
١. يرى الإمامية حجب الإخوة لأم بالأب والأم ، وكذلك حجبهم بالفرع الوارث ذكرا كان أم أنثى وان نزلوا ، على إعتبار أن الأم والفرع الوارث هم من المرتبة الأولى أما الإخوة والأخوات مطلقا هم من المرتبة الثانية من طبقات القرابة ولا يرث من كان في طبقة أدنى مع وجود من هو في طبقة أعلى .(٧٦)
أما عند الجمهور فإن أولاد الأم يرثون مع وجود أمهم بل ويؤثرون في ميراثها عند التعدد فيحجبونها من الثلث الى السدس على الرغم من أن الأصل هو حجب من يتصل بالميت عن طريق وارث موجود ، فالإخوة الأشقاء أو لأب لا يرثون عند وجود أبيهم ، فيحجبهم الأب لأن اتصالهم بالميت ناشيء عن طريقه ، وكذا الحال بالنسبة لأولاد الفرع الوارث الأنثى ذكورا كانوا أم إناثا فإنهم لا يحجبون الإخوة والأخوات مطلقا بينما يحجبون بإبن البنت وبنت البنت عند الإمامية . (٧٧)
٢. يرى الإمامية عدم حجب الإخوة والأخوات لأم ولا أولادهم بالجد سواء كان أبو الأب أو أبو الأم لأنهم في طبقة واحدة من طبقات القرابة ، (٧٨)
أما عند الجمهور فيحجب الإخوة والأخوات لأم بالجد أبو الأب ، وكذلك يحجب أولاد الإخوة الأشقاء أو لأب أو لأم بالجد أبو الأب . (٧٩)

بعض الأمثلة التطبيقية :
آ. مات رجل وترك أم وأخت شقيقة وأخت لأب وأخت لأم
عند الجمهور:

أم	أخت شقيقة	أخت لأب	أخت لأم
١	١	١	
٦	٢	٦	٦

أصل المسألة من ستة أسهم (سهم للأم وثلاثة أسهم للأخت الشقيقة وسهم للأخت لأب وسهم للأخت لأم)
عند الإمامية :
ترث الأم جميع التركة فرضا وردا ولا شيء للأخوات لأنهن أدنى مرتبة من الأم
ب . مات رجل وترك بنت بنت وأخت شقيقة وأخت لأب وأخت لأم
عند الجمهور:

بنت بنت	أخت شقيقة	أخت لأب	أخت لأم
محجوبة	١	١	
	٢	٦	٦

أصل المسألة من ستة أسهم (ثلاثة أسهم للشقيقة وسهم للأخت لأب وسهم للأخت لأم) ويرد الباقي عليهم كل بنسبة فرضه

عند الإمامية : ترث بنت البنت كل التركة ولا شيء للأخوات لأنهن أدنى منها رتبة

ويشمل هذا جميع الفروع مهما نزلوا فلا يرث معهم الإخوة والأخوات مطلقا لأنهم أدنى رتبة

ج. أخت شقيقة وأخوان لأم وأخت لأب

عند الإمامية :

أخت شقيقة	أخوان لأم	أخت لأب
١	١	محجوبة بالشقيقة
٢	٣	

أصل المسألة من ستة (ثلاثة أسهم للشقيقة وسهمين للإخوة لأم) ويبقى سهم يرد على الأخت الشقيقة ولا يرد على الإخوة لأم بوجود الشقيقات عند الإمامية (٨٠)

الخاتمة:

بعد استعراض المسائل الخلافية بين الإمامية والجمهور في باب المواريث ، ولا سيما ما يتعلق بأصحاب الفروض، يتبيَّن أن هذه الخلافات ليست وليدة اختلافٍ في النصوص ذاتها، وإنما هي ثمرة لتباينٍ في فهمها وتأويلها، وتباينٍ في الأصول التي انطلق منها كلٌّ من المذهبين في الاستنباط والاجتهاد. فالإمامية يعتمدون في بناء أحكامهم على نظام الطبقات في القرابة دون التعصيب، مستندين إلى النصوص القرآنية وروايات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، مع اعتمادهم العقل مصدراً من مصادر التشريع، ورفضهم للقياس. أما الجمهور فيعتمدون نظام الفروض والتعصيب المبني على النصوص العامة في الكتاب والسنة والإجماع والقياس، مما انعكس أثره في توزيع الأنصبة وتقدير المستحقين للتركة.

وقد أظهر البحث من خلال الدراسة التطبيقية أن أبرز نقاط الخلاف بين المذهبين ظهرت في تحديد معنى «الولد» الذي يترتب عليه تغير نصيب الزوجين، وفي توريث الزوجة من العقار، وفي حجب الأم بالإخوة ، وغيرها من المسائل التي أفرزها اختلاف المنهج الأصولي بين الفريقين ، وتوصل البحث إلى أن هذا التنوّع في الفهم والاجتهاد لا يُعَدّ تضادًّا في الشريعة، بل هو من مظاهر ثرائها ومرونتها وسعتها في الاستيعاب، وأنّ المقصد الجامع بين المذاهب هو تحقيق العدالة في توزيع الحقوق وفق مقاصد الشرع ومبادئه. كما أن دراسة هذه الخلافات تكشف عمق الفقه الإسلامي وتبرز الحاجة إلى مزيدٍ من الدراسات المقارنة التي تُعنى بتقريب الرؤى وتوسيع دائرة الفهم بين المذاهب، في إطارٍ من الاحترام العلمي والحوار البنّاء.

وختامًا، فإن الباحث يرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع قد أسهم في بيان معالم الاختلاف الفقهي بين الإمامية والجمهور في مسائل الميراث، وألقى ضوءًا على الأسباب العلمية التي أدّت إليه، سائلاً الله تعالى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا للباحثين وطلاب العلم، وأن يوفق الجميع لما فيه الخير والصواب.

الهوامش:

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجليل ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ . ١٩٩١م ، ٢ / ٢١٠

(٢) سورة الفرقان ، الآية رقم ٦٢

(٣) سورة البقرة ، الأية رقم ٢٥٥

(٤) صحيح البخاري ، باب فضل الصوم ٣ / ٢٤

(٥) ينظر: كواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ٩ / ٧٨

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (خلف) ، ابن منظور، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م

(٧) التعريفات على بن محمد الجرجاني ص ١٣٥

(٨) المفردات في غريب القرآن ص ١٥٥ . ١٥٧

(٩) ينظر : موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ١ / ٦
(١٠) ينظر : المصدر نفسه ١ / ٦
(١١) ينظر: أدب الخلاف ١ / ٥
(١٢) ينظر: أصول الفقه وخلاصة تأريخ التشريع ١/٢٤٦ ، مقاصد الشريعة الإسلامية ٢ / ٢٨١
(١٣) ينظر: شرح مقدمة سنن ابن ماجه ١ / ١٦
(١٤) ينظر: أصول الفقه على منهج أهل الحديث ١ / ٤٩
(١٥) ينظر : تلخيص الأصول للزاهدي ١/٢٩ ، شرح رسالة ابن سعدي في الأصول ١ /٦٠
(١٦) ينظر : تذكرة الفقهاء للحلي ج١ / ٢٩
(١٧) ينظر: نهاية الدراية ، ص ٨٥
(١٨)العصبة عند الفقهاء: هي كل من يستحق كل تركة الميت عند انفراده عن أصحاب الفروض أو ما تبقيه منها أصحاب الفروض بعد أخذ ما لهم من فرض . ينظر: تبين الحقائق ٦ / ٢٣٦
(١٩) ينظر: أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي المقارن ، د. نظام الدين عبد الحميد ، دار المناهج ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م ، ص ٤٦٦
(٢٠) ينظر : الروضة البهية ٢/ ٣٠٦ ، الإيجاز في الفرائض والمواريث للطوسي ص ١٢ ، شرح قانون الأحوال الشخصية للخطيب ، ص ٣٨ ، فقه الإمام جعفر الصادق ٦ / ١٩٥
(٢١) ينظر: الميراث عند الجعفرية ، الإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، ص ٨٤
(٢٢) ينظر: الميراث عند الجعفرية ، ص ٩٣-٩٤
(٢٣) سورة الأحزاب: اية / ٦
(٢٤) ينظر: الميراث عند الجعفرية ، ص٩٤
(٢٥) ينظر :الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي ١٠ / ٧٨١٩ ، الميراث عند الجعفرية ، ص٩٩
(٢٦) ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ٣ / ١٩٥
(٢٧) ينظر: الذخيرة للقرافي ١/ ٦٩ ، أسنى المطالب في شرح روض الطالب ١/ ١٧٠ ، أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي المقارن ص٤٥٦ ـ ٤٥٧
(٢٨) ينظر: الدلائل والإشارات على أخصر المختصرات لمحمد بن بدر الدين البلباني الحنبلي (ت: ١٠٨٣ هـ) ٢ / ٥٠٨ ، شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ، ٢ / ٨٧١ ، موسوعة الفقه الإسلامي ـ محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ٤/ ٣٩٣ ، النهاية للطوسي ص٦٦٢ ، فقه الإمام جعفر الصادق ٦ / ١٩٦
(٢٩) ينظر: الميراث عند الجعفرية ص ٧٢
(٣٠) ينظر فتح الملك العزيز بشرح الوجيز ٤ / ٦٣٤
(٣١) صحيح البخاري ٨/ ١٥٦ ، (رقم ٦٧٦٤)
(٣٢) سنن أبي داود ٤ / ٥٣٧ ، وقال اسناده حسن
(٣٣) ينظر: نيل الأوطار ٦/٧٩ ، المغني ٦ / ٣٦٧
(٣٤) ينظر: الميراث عند الجعفرية ص٧٤
(٣٥) ينظر: نيل الأوطار ٦ / ٧٩ ، النهاية للطوسي ص٦٦٢ ، فقه الإمام جعفر الصادق ٦ / ١٩٦
(٣٦) ينظر : الميراث عند الجعفرية ص ٧٣
(٣٧) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي ص ٤٦١ ، الميراث عند الجعفرية ٧٣ و ١٣٣
(٣٨) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي ص ٤٦١ ، الميراث عند الجعفرية ٧٣
(٣٩) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي ص ٤٦٦
(٤٠) ينظر : الميراث عند الجعفرية ص٨٣
(٤١) سورة النساء آية ١٢
(٤٢) ينظر : منحة السلوك في شرح تحفة الملوك ١/٤٣٢ ، بلغة السالك لأقرب المسالك ٤ / ٣٤٢

(٤٣) الميراث عند الجعفرية ، ص٨٢
(٤٤) ينظر: الوسيلة لإبن حمزة الطوسي / ٣٨٦
(٤٥) ينظر: أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي المقارن ص ٤٨٢ ، الميراث عند الجعفرية ص٨٩ . ٩٠
(٤٦) ينظر: الروضه البهية شرح اللمعة الدمشقية لزين الدين العاملي ٢ / ٣٢٦. ٣٢٧ ، الميراث عند الجعفرية ص ٩٠
(٤٧) ينظر: الكافي للكليني ج ٦ / ص ١٦٠
(٤٨) ينظر: وسائل الشيعة ج١٧ / ص٥١٩
(٤٩) سورة النساء أية / ١١
(٥٠) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي ، ص ٤٨٩
(٥١) سورة النساء / أية ١١
(٥٢) ينظر: النهاية للطوسي ، ص٦٢٩ ، فقه الإمام جعفر الصادق ٦ / ٢٠٨
(٥٣) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي ، ص ٤٨٩
(٥٤) سورة النساء / أية ١١
(٥٥) ينظر: الميراث عند الجعفرية ص ١٠٦ ، النهاية للطوسي ص٦٩٢ ، الروضة البهية ٢/ ٣٠٢ ، فقه الإمام جعفر الصادق ٦ /٢٩
(٥٦) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي ، ص ٤٨٩
(٥٧) ينظر: الميراث عند الجعفرية ص ١٠٧
(٥٨) ينظر : المغني لإبن قدامة ٦ / ٢٩٧ ، تبيين الحقائق ٦ / ٢٣١ ، المهذب ٢ / ٢٦
(٥٩) ينظر : النهاية للطوسي ، ص ٦٢٥. ٦٢٧
(٦٠) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي ص ٤٨٦ ، الروضة البهية ٢ /٣٠٩ ، ٣١٠ ، نيل الأوطار ٦ / ٥٩
(٦١) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي ص ٤٨٦
(٦٢) ينظر : الروضة البهية ٢ /٣٠٩ ، ٣١٠
(٦٣) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي ص ٤٩٣ ، كتاب الخلاف للطوسي ٢ / ٦٩٢ ، المبسوط للطوسي ج٤ / ص١٠٩ ، دليل تحرير الوسيلة ج٢ / ص٣٢٥
(٦٤) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي ص ٥٠١
(٦٥) ينظر : فقه الإمام جعفر الصادق ٦ / ٢٢٩. ٢٣٠ ، دليل تحرير الوسيلة ج٢ / ص٣٢٥
(٦٦) ينظر: المغني لإبن قدامة ٦ / ٣٠٨ ، شرح السراجية ، ص ٨٠ ،٨٦ ، كتاب الخلاف للطوسي ٢ / ٧٩٢
(٦٧) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي ص ٥١٤ ، فقه الإمام جعفر الصادق ص٢٨٨. ٢٣٠ ، النهاية للطوسي ، ص ٦٤٧ ، كتاب الخلاف للطوسي ، ص ٦٨
(٦٨) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي ص ٥٢٠ ، الروضة البهية ٢ / ٣٠٩ ، النهاية للطوسي ، ص ٦٣٢ . ٦٣٥
(٦٩) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي ص ٥٢٠. ٥٢٤ ، النهاية للطوسي ، ص ٦٣٤ ، الروضة البهية ٢ / ٣٠٩ ، فقه الإمام جعفر الصادق ٦ / ٢٢٣
(٧٠) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي المقارن ص ٥٢٤ ، و الميراث عند الجعفرية ص ١١٠
(٧١) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي المقارن ص ٥٢٤ ، النهاية للطوسي ص ، ٦٣٤
(٧٢) ينظر : الروضة البهية ٢/ ٣٠٩. ٣١٠ ، فقه الإمام جعفر الصادق ٦ / ٢٢٣
(٧٣) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي المقارن ص ٥٣٠. ٥٣٥ ، النهاية للطوسي ، ص ٦٣٥. ٦٣٩ ، الروضة البهية ٢/ ٣١٤. ٣١٥ ، كتاب الخلاف للطوسي ص ٥١
(٧٤) كتاب الخلاف للطوسي ، ص ٥١ ، الروضة البهية ٢ / ٣١٥
(٧٥) ينظر : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي المقارن ص٥٣٩ ، النهاية للطوسي ص ٦٣٨
(٧٦) ينظر : الميراث عند الجعفرية ص ١١٧ ، النهاية للطوسي ص ٦٣٨

(٧٧) ينظر: أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي المقارن ، ص ٥٤٠ و ٥٤٢
(٧٨) ينظر : النهاية للطوسي ، ص ٦٣٨
(٧٩) ينظر: أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي المقارن ، ص ٥٣٩ ، الميراث عند الجعفرية ص ١١٩
(٨٠) ينظر : الميراث عند الجعفرية ص ١٢٠

المصادر:

القرآن الكريم
١. الإيجاز في الفرائض والمواريث : للشيخ الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، (ت ٤٦٠هـ) ، دار الباقر ـ النجف الأشرف ، الطبعة الأولى ١٩٦٣م
٢. أسنى المطالب في شرح روض الطالب : زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ) ، دار الكتاب الإسلامي ، بدون طبعة وبدون تاريخ
٣. أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع : عبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥هـ) ، مطبعة المدني «المؤسسة السعودية بمصر»
٤ ـ أصول الفقه على منهج أهل الحديث : زكريا بن غلام قادر الباكستاني ، دار الخراز ، الطبعة الاولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م
٥. أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي المقارن : د. نظام الدين عبد الحميد ، دار المناهج ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢هـ. ٢٠١١م
٦. أدب الخلاف : الشيخ ياسر بن حسين برهامي ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، http:// www.islamweb.net
٧. بلغة السالك لأقرب المسالك = حاشية الصاوي على الشرح الصغير : أحمد الصاوي ، ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، لبنان/ بيروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م
٨. تذكرة الفقهاء للحلي ، العلامة الحلي : (ت ٧٢٦هـ) ، تحقيق مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ
٩. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ : عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ) ، والحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: ١٠٢١ هـ) ، المطبعة الكبرى الأميرية — بولاق ـ القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٣١٣ هـ
١٠. التعريفات : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) تحقيق : ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م
١١. تلخيص الأصول للزاهدي : حافظ ثناء الله الزاهدي ، صادق آباد — باكستان ، المصدر: الشاملة الذهبية
١٢. الذخيرة للقرافي : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) ، تحقيق : محمد حجي ، سعيد أعراب ، محمد بو خبزة ، دار الغرب الإسلامي— بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤ م
١٣. الدلائل والإشارات على أخصر المختصرات : محمد بن بدر الدين البلباني الحنبلي (ت: ١٠٨٣ هـ)
١٤. دليل تحرير الوسيلة : علي أكبر السيفي المازندراني ، معاصر .
١٥. الروضه البهية شرح اللمعة الدمشقية : زين الدين العاملي ، طبع مطابع دار الكتاب العربي بمصر .
١٦. سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) تحقيق : شعَيب الأرنؤوط — محمَّد كامِل قره بللي ، دار الرسالة العالمية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
١٧. شرح مقدمة سنن ابن ماجه : مؤلف الأصل: ابن ماجة — وماجة اسم أبيه يزيد — أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) ، شرح : عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير ، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير
١٨. شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (المتوفى: ٨٩٩هـ) ، أعتنى به : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان
١٩. شرح الفرائض السراجية ـ المسمى (شرح فرائض السجاوندي) : للسيد الجرجاني أبي الحسن علي بن محمد / الشريف الجرجاني ، تحقيق : محمد العزازي ، دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان ، ٢٠١٨
٢٠. شرح رسالة ابن سعدي في الأصول : خالد بن علي بن محمد بن حمود بن علي المشيقح
٢١. شرح قانون الأحوال الشخصية : الدكتور أحمد بن علي الخطيب ، مطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة ـ الموصل ، ١٩٨٠
٢٢. صحيح البخاري : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٢٣ ـ فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام : محمد جواد مغنية ، (ت ١٤٠٠ هـ) دار التيار الجديد ـ منشورات الرضا
٢٤ ـ الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي : أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر ـ دمشق ، الطبعة الرابعة
٢٥ ـ فتح الملك العزيز بشرح الوجيز : علي بن البهاء البغدادي الحنبلي (٨٢٢ هـ – ٩٠٠ هـ) ، دراسة وتحقيق: أ. د. عبد الملك بن دهيش ، ١٤٢٣هـ
٢٦. الكافي : للشيخ الكليني (ت ٣٢٩ هـ) ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية – طهران ، الطبعة الخامسة ، ١٣٦٣هـ
٢٧. كتاب الخلاف في الفقه : للطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، (ت ٤٦٠ هـ) تحقيق : السيد علي الخراساني ، السيد جواد الشهرستاني ، الشيخ محمد مهدي نجف ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ، الطبعة الأولى ١٤١٧
٢٨ . الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري : محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان ، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م
٢٩. لسان العرب : ابن منظور، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م
٣٠. معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا ، (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجليل ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ . ١٩٩١م
٣١. المبسوط في فقه الإمامية للطوسي : أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، (ت ٤٦٠هـ) ، صححه وعلق عليه ، السيد محمد تقي الكشفي ، عنيت بنشره – المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية
٣٢ . المهذب في فقة الإمام الشافعي : أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت: ٤٧٦هـ) ، دار الكتب العلمية
٣٣. المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢هـ) ، صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ
٣٤ . المغني لإبن قدامة : أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي ، (المتوفى: ٦٢٠هـ) ، مكتبة القاهرة ، الطبعة : بدون طبعة
٣٥. منحة السلوك في شرح تحفة الملوك : أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) ، تحقيق: د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م
٣٦. مقاصد الشريعة الإسلامية : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ قطر ، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م
٣٧. محمد أبو زهرة إمام الفقهاء المعاصرين والمدافع الجرئ عن حقائق الدين : تأليف : محمد عثمان شبير ، دار القلم – دمشق ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م
٣٨. موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام : إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف ، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net
٣٩. الميراث عند الجعفرية : الإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي
٤٠. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية : د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم ، دار الفضيلة
٤١. موسوعة الفقه الإسلامي : محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ، بيت الأفكار الدولية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م
٤٢ . النهاية في مجرد الفقه والفتاوى : لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (٣٨٥ – ٤٦٠ هـ) ، نشر : قدس محمدي قم
٤٣. نيل الأوطار : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، تحقيق: عصام الدين الصبابطي ، دار الحديث، مصر ، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م
٤٤. وسائل الشيعة : الحر العاملي (ت ١١٠٤) ، تحقيق وتصحيح وتذييل : الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م
٤٥. نهاية الدراية : السيد حسن الصدر ، (ت ١٣٥١هـ) ، تحقيق ماجد الغرباوي ، نشر المشعر
٤٦. الوسيلة إلى نيل الفضيلة : للفقيه عماد الدين أبي جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف بابن حمزة ، من أعلام القرن السادس ، تحقيق الشيخ محمد الحسون ، إشراف السيد محمود المرعشي ، مكتبة آية الله المرعشي العامة

الأنبياء أصحاب الكتب السماويّة
في أدعية أهل البيت (عليهم السلام): موسى وعيسى (عليه السلام) مثالاً

م. د. علي طالب محل
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية



للمستخلص:
تمثل أدعية أهل البيت (عليهم السلام) ركيزة اساس في التراث الاسلامي، حيث تظهر رؤية عبادية عقائدية أخلاقية اجتماعية ، في مكانة الانبياء ودورهم عبر الرسالة الالهية، وقد اختص البحث بالنبيين موسى وعيسى(عليهما السلام) بغية الاحاطة بصفته ، والوقوف عند نكاته ، اذ يجد الباحث حضورا طيباً للكتب السماوية وأصحابها في تلك الادعية المباركة ، ومنها دعاء عرفة للإمام ابي عبد الله الحسين (عليه السلام) ،ودعاء السمات ، ودعاء أم داود المنسوب للإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ، ودعاء الندبة للإمام محمد بن الحسن المهدي (عليه السلام) ، ولا شك ان الاحاطة بهذه الادعية فيما تتعلق بالبحث تتركز على تقسيمات مقدمة واربع مباحث وخاتمة .
خلق الله تعالى الانسان على فطرته ، وسخر كل الموجودات له ، ولما تغيرت فطرته ، التي فطره الله عليها واتجه الى التسلط والاختلاف ، كما قال تعالى في سورة البقرة .
{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ..} . فبعث الله فيهم الرسول وانزل على بعضهم الكتب الصحف ، فكانت صحف أبراهيم ،وزبور داود ،وتوراة موسى ، وانجيل عيسى (عليهم السلام) وختمها بالقران الكريم . اودع الله تعالى في تلك الكتب شرعة ومنهاجاً ، أخذ بعض الناس بأحسنها ،واختلف أخرون فيها ،وحرفوا الكلم عن مواضعه ، وتكفل سبحانه وتعالى بحفظ القران الكريم ، وقرن الى جانبه العترة المطهرة ، فأشار الثقلان الى مكانة تلك الكتب وأصحابها والذي بصدده البحث ، ما ورد من ذكر قبل رسالة خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) تسليط الضوء على نبيين تعاقب نزولهم وهما النبي موسى والنبي عيسى (عليهم السلام) والوقوف على تلك النصوص وكيفية أيصال مكانها الى الامة .

الكلمات المفتاحية: الانبياء, اصحاب الكتب السماوية, أدعية, اهل البيت, موسى, عيسى

Abstract:
The supplications of Ahl al-Bayt (peace be upon them) represent a fundamental pillar of Islamic heritage, Where a religious, ideological, moral and social vision appears, on the status of the prophets and their role through the divine message. The research was devoted to the prophets – Moses and Jesus (peace be upon them) in order to understand his capacity and stop at his jokes, the researcher finds a good presence in the heavenly books and their authors in these blessed supplications, among them are the supplication of Arafat by Imam Abu Abdullah Al-Hussein (peace be upon him), and the supplication of attributes, and the supplication of Umm Dawood attributed to Imam Jaafar bin Muhammad Al-Sadiq (peace be upon him), and the supplication of mourning for Imam Muhammad bin Al-Hassan Al-Mahdi (peace be upon him), there is no doubt that the coverage of these supplications in relation to the research focuses on the divisions of an introduction, four topics, and a conclusion.
God Almighty created man according to his nature, and subjected all beings to him, and when his nature changed, which God created him with and he turned to domination and difference, as God Almighty

said in Surat Al-Baqarah.

{The people were one nation, so God sent the prophets as bringers of good tidings and warners..}. So God sent the Messenger among them and sent down to some of them books and newspapers, and they were the newspapers of Abraham, the Psalms of David, the Torah of Moses, and the Gospel of Jesus (peace be upon them), and he concluded them with the Holy Quran.

God Almighty deposited in those books a law and a method, some people took the best of them, and others disagreed about them, they distorted the words from their proper places, and God Almighty took care to memorize the Holy Quran, he paired the purified family next to him, and Al-Thaqlan pointed out the status of those books and their authors, which is the subject of research, what was mentioned before the message of the Seal of the Prophets (may God bless him and his family and grant them peace) is shedding light on two prophets they descended successively, namely the Prophet Moses and the Prophet Jesus (peace be upon them) and stand on these texts and how to convey their location to the nation.

Keywords: prophets, authors of heavenly books, supplications, Ahl al-Bayt, Moses, Jesus

المقدمة: تعريف بالكتب السماوية وأصحابها.

أرسل الله الرسل وانزل اليهم كتباً مقدسة ، لما يقتضيه لطفه تعالى ، لهداية الناس فأنزل صحف النبي أبراهيم ،وزبور النبي داود ، وتوراة النبي موسى ،وانجيل النبي عيسى ،والقرآن الكريم الذي نزل على خير الرسل ابي القاسم محمد (صلى الله عليه وآله وعلى الانبياء جميعاً السلام) .

لقد حملت هذه الكتب المقدسة ،احكاما شرعية فقهية ومبادئ عقائدية واسس اخلاقية لتكون منهاجا يرسم للناس طريقهم ،ويأخذ بأيديهم الى الصلاح والنجاة في الدنيا والاخرة .

وقد زخر التراث العلمي المدون للامامية بالاحترام والتبجيل لها وعدها من اسس الايمان ولابد من عدم التفريق بينها {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ..}

فكانت الادعية التي اورثتها أئمة الهدى منآل البيت(عليهم السلام)شواهد في التراث الشيعي، اذ يحتل هؤلاء الأنبياء مكانة خاصة في وعي أهل البيت (عليهم السلام)، حيث يُستحضرون في الأدعية كأمثلة حية للصبر، الجهاد في سبيل الحق، والتوحيد. يعكس ذلك رؤية متكاملة ترى في الرسالات السماوية سلسلة متصلة تهدف الى تحقيق الهدف الإلهي الأسمى. من الناحية العلمية، يمكن دراسة هذا الحضور كنقطة تقاطع بين التاريخ الديني والفكر العقدي، حيث تُظهر الأدعية كيف استلهم أهل البيت هذه النماذج لتعزيز القيم الإسلامية في سياقاتهم الخاصة. تقدم هذه المقدمة أطارا تاريخيًا ودينيًا لفهم هذا الدور، مع التركيز على التداخل بين الرسالات عبر العصور، وكيف شكلت أساسا للتفكير اللاهوتي في التشيع.

من منظور تحليلي، يمكن القول إن استحضار موسى وعيسى في الأدعية ليس مجرد تقليد عبادي، بل يعكس فهمًا

عميقًا لتاريخ الأديان، حيث يُبرز التشبع الروابط بين الأنبياء كجزء من مشروع الهي واحد. هذا النهج يفتح المجال لدراسات مقارنة بين الأديان السماوية، مع التركيز على كيفية توظيف التراث النبوي في بناء الهوية الدينية للمؤمنين في السياق الشيعي.

المبحث الأول: منزلة أصحاب الكتب السماوية في أدعية أهل البيت (عليهم السلام).

يتمتع موسى وعيسى (عليهما السلام) بمكانة متميزة في أدعية أهل البيت، حيث يُبرزان كرموز للقيم الروحية والعقدية التي تظهر وحدة الرسالة الإلهية عبر التاريخ. تُظهر هذه الأدعية دورهما في مواجهة التحديات، مقاومة الظلم، ونشر الرحمة، مع ربطهما بأمل تحقيق العدالة الإلهية في المستقبل. من الناحية العلمية، يمكن تحليل هذه المكانة كجزء من النسق اللاهوتي الشيعي الذي يسعى إلى إبراز الاستمرارية بين الأنبياء والأئمة كحاملين للوصاية الإلهية. فيما يلي تحليل موسع لأمثلة مختارة من الأدعية مع النصوص الأصلية:

١– دعاء الندبة: يُعبر هذا الدعاء عن إيمان المؤمن بقدرة الله على نصر أنبيائه، وهو دعاء من الادعية التي صدرت عن الامام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)حيث يُذكر النص: "فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ ، وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيَّ ، وَالثَّنَاءَ الْجَلِيَّ ، وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلائِكَتَكَ ، وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ ، وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ ، وَجَعَلْتَهُمُ الذَّرِيعَةَ إِلَيْكَ ، وَالْوَسِيلَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ فَبَعْضٌ أَسْكَنْتَهُ جَنَّتَكَ ، إِلَى أَنْ أَخْرَجْتَهُ مِنْهَا ، وَبَعْضٌ حَمَلْتَهُ فِي فُلْكِكَ وَنَجَّيْتَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْهَلَكَةِ بِرَحْمَتِكَ ، وَبَعْضٌ اتَّخَذْتَهُ لِنَفْسِكَ خَلِيلاً ، وَسَأَلَكَ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ فَأَجَبْتَهُ ، وَجَعَلْتَ ذَلِكَ عَلِيّاً ، وَبَعْضٌ كَلَّمْتَهُ مِنْ شَجَرَةٍ تَكْلِيماً ، وَجَعَلْتَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ رِدْءاً وَوَزِيراً ،)"(المجلسي، ١٩٨٣، ج٩١، ص٤٥–٥٠)

حيث يبين هذا المقطع من الدعاء في اطار التوسل الى الله بذكر مقامات الانبياء وأفضالهم ،وهو اسلوب يظهر التوسل والتقرب الى الله عبر اوليائه الصالحين)ويسرد كذلك هذا المقطع سلسلة من الانبياء مع ابراز منزلتهم عند الله واختباراتهم الالهية ،مما يظهر تدرجاً في العلاقة بين الخالق والمخلوق عبر مراحل الوحي والاصطفاء حيث يظهر وَبَعْضٌ كَلَّمْتَهُ مِنْ شَجَرَةٍ تَكْلِيماً ، وَجَعَلْتَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ رِدْءاً وَوَزِيراً)هذا المقطع يُظهر النبي موسى (عليه السلام) إشارة الى حادثة التكليم في الطور وتعيين هارون وزيراً لموسى (عليهم السلام) مما يظهر أهمية التعاون والتكامل في أداء الرسالة ، كرمز للثبات في مواجهة الطغيان، حيث يُبرز نصره على فرعون كدليل على العون الإلهي. كذلك يبين هذا المقطع (وَبَعْضٌ أَوْلَدْتَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَآتَيْتَهُ الْبَيِّنَاتِ ، وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ. وَكُلٌّ شَرَعْتَ لَهُ شَرِيعَةً ، وَنَهَجْتَ لَهُ مِنْهَاجاً ، وَخَيَّرْتَ لَهُ أَوْصِيَاءَ مُسْتَحْفَظاً بَعْدَ مُسْتَحْفَظٍ ، مِنْ مُدَّةٍ إِلَى مُدَّةٍ ، إِقَامَةً لِدِينِكَ ، وَحُجَّةً عَلَى عِبَادِكَ ، وَلِئَلَّا يَزُولَ الْحَقُّ عَنْ مَقَرِّهِ ، وَيَغْلِبَ الْبَاطِلُ عَلَى أَهْلِهِ ، وَلا يَقُولَ أَحَدٌ لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً مُنْذِراً ، وَأَقَمْتَ لَنَا عَلَماً هَادِياً ، فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَى) هذه اشارة واضحة الى ولادة السيد المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) حيث تعتبر هذه الولادة معجزة الهية ، فيُصور كمثال للرحمة التي تجلت في معجزاته، مما يظهر تأييد الله له. الربط بين هذين النبيين وبين المهدي يعكس فكرة أن النصر الإلهي مستمر عبر الزمن، مما يعزز الأمل في تحقيق العدل الكوني. من الناحية التاريخية، يمكن رؤية هذا الاستحضار كتعبير عن واقع المسلمين في عصور الاضطهاد، حيث استلهموا قصص الأنبياء لتعزيز صمودهم. علميًا، يُظهر ذلك كيف تُوظف الأدعية كنصوص تظهر التفاعل بين الذاكرة الدينية والواقع المعاش، حيث تُدمج التجربة التاريخية مع الطموح المستقبلي. .

٢– الصحيفة السجادية: وهي مجموعة من الادعية والمناجاة المنسوبة الى الامام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)وتعتبر الصحيفة السجادية ،من اهم الكتب الدينية والادبية في التراث الاثني عشري وتحظى بمضامين روحية وتوجيهات اخلاقية قيمة ،(١) يركز هذا الدعاء على صبر موسى وزهد عيسى، حيث يُقال: "اللهم كما صبرت نبيك موسى (عليه السلام) على بلاء فرعون، وزهد عيسى (عليه السلام) في متاع الدنيا، اجعلني صابرًا وزاهدًا فيما سواك"(ابن طاووس، ١٩٩٢، ص١٢٣–١٣٠). يُبرز ذلك صبر موسى كقوة روحية مكنته من تحدي السلطة الظالمة، بينما يُظهر زهد عيسى كدليل على التعلق بالله وحده. هذا التكامل بين الصبر والزهد يُقدم نموذجًا متوازنًا للسلوك الروحي، حيث

يُلهم المؤمن للجمع بين القوة الداخلية والتجرد من الماديات. من منظور تحليلي، يمكن دراسة هذا النص كتعبير عن الفلسفة الأخلاقية في التشيع، حيث تُدمج القيم الروحية مع التجربة الإنسانية لتقديم نموذج حياة مثالي. يُظهر ذلك كيف يستلهم أهل البيت هذه الصفات لتوجيه المؤمنين نحو حياة متوازنة تجمع بين التحمل والتأمل.

٣- دعاء أم داود: يُطلب فيه الحفظ الإلهي، حيث يُقال: "يا رب احفظني ببركة صبر موسى (عليه السلام) على الظلم، وعيسى (عليه السلام) على المكائد، وإبراهيم (عليه السلام) على النار، من كل شر وفتنة"(الطبرسي، فضل، ١٩٩٧، ج٣، ص٢١٠-٢١٥). يُظهر ذلك الأنبياء كمصادر الهام للثبات في مواجهة التحديات، حيث يُبرز صبر موسى كقوة داخلية، وتحمل عيسى كدليل على الثقة بالله. هذا التوسل يعكس إيمانا بأن تجارب الأنبياء لها اثر عملي في حياة المؤمن، مما يجعلها اكثر من مجرد سرد تاريخي .علميًا، يمكن تحليل هذا الدعاء كنموذج للتواصل الروحي بين المؤمن والتراث النبوي، حيث يُستخدم التاريخ الديني كأداة لتعزيز الصمود النفسي في مواجهة المصاعب.

٤- دعاء الافتتاح: يُشيد بارسال موسى وعيسى، حيث يُقال: "يا من ارسل موسى (عليه السلام) ليهدي بني إسرائيل إلى التوحيد، وأيد عيسى (عليه السلام) برسالة الرحمة، ونجا نوحًا (عليه السلام) من الطوفان، نسألك الهداية والنصر"(الطبرسي، أحمد، ١٩٨٣، ج١، ص٨٧-٩٢). يعكس ذلك دور موسى في ترسيخ التوحيد كأساس لرسالته، وعيسى كناشر للرحمة في دعوته. هذا التكامل يُظهر الرسالات السماوية كسلسلة متصلة تهدف إلى هداية البشرية. من الناحية اللاهوتية، يُبرز ذلك رؤية التشيع للأنبياء كجزء من مشروع إلهي واحد، مما يفتح المجال لدراسات مقارنة حول مفهوم النبوة في الأديان السماوية.

٥- دعاء كميل: يُتوسل فيه بصفات الأنبياء، حيث يُقال: "يا الله، ببركة صبر موسى (عليه السلام) على فرعون، ورحمة عيسى (عليه السلام) في دعوته، وإيمان نوح (عليه السلام) في السفينة، اغفر لي ذنوبي وانصرني"(الكليني، ١٩٨٧أ، ج١، ص١٥٤-١٦٠). يجمع ذلك بين القوة الروحية التي ابداها موسى واللين الذي تميزت به دعوة عيسى، مما يعكس توازنًا في التضرع إلى الله. هذا الجمع يُقدم نموذجًا لكيفية استلهام الصفات النبوية في الحياة اليومية. تحليليًا، يمكن رؤية هذا الدعاء كتعبير عن الحاجة إلى القوة والرحمة كقيمتين متكاملتين في مواجهة التحديات الروحية والدنيوية، مما يعكس عمق الرؤية الروحية لأهل البيت.

٦- دعاء عرفة: يُذكر تجارب الأنبياء ضمن التضرع، حيث يُقال: "يا من نجا ادم (عليه السلام) من الطرد، وأنقذ نوحًا (عليه السلام) من الطوفان، وصبر موسى (عليه السلام) على فرعون، ورحم عيسى (عليه السلام) خلقه، اغفر لي ونجني من العذاب"(الطوسي، ١٩٩٠، ج٦، ص٣٢٠-٣٢٥). يعكس ذلك التضرع كجزء من الارتباط بالأنبياء، حيث تُستحضر قوة موسى ورحمة عيسى كدروس للتوبة والأمل في رحمة الله. من منظور علمي، يُظهر ذلك كيف تُستخدم الأدعية كوسيلة لربط التاريخ النبوي بالتجربة الروحية الفردية، مما يعزز الهوية الدينية في لحظات التأمل العميق.

٧- دعاء الصباح والمساء: يُطلب فيه الحماية الإلهية، حيث يُقال: "اللهم بحفظك لموسى (عليه السلام) من شر فرعون، وعيسى (عليه السلام) من مكائد قومه، احفظني من كل سوء وأمنني في صباحي ومساءي"(الخميني، ١٩٩٠، ص٤٥-٥٠). يُبرز ذلك التوكل على الله كما فعل الأنبياء، حيث تُستحضر نجاتهما كدليل على العناية الإلهية التي يطلبها المؤمن في حياته اليومية. تحليليًا، يمكن دراسة هذا النص كنموذج للصلاة اليومية التي تجمع بين التأمل التاريخي والطلب العملي، مما يعكس بعدًا عمليًا للروحانية في التشيع.

تُظهر هذه الأدعية أن موسى وعيسى ليسا مجرد شخصيات تاريخية، بل نماذج حية تُجسد المشروع الإلهي منذ آدم وحتى المهدي. من الناحية العلمية، يمكن تحليل هذا الاستحضار كجزء من استراتيجية لاهوتية تهدف إلى تعزيز الوعي الديني والروحي، مع إبراز الروابط بين الأنبياء والأئمة كحاملين للرسالة الإلهية. النصوص المذكورة

تُظهر كيف يُدمج التاريخ النبوي مع التجربة الروحية، مما يعزز من قيمة الأدعية كأدوات تربوية وعقدية في التراث الشيعي.

المبحث الثاني: الجوانب العقدية لأصحاب الكتب السماوية في الأدعية

تُسلط الأدعية الضوء على الجوانب العقدية لموسى وعيسى، مع التركيز على التوحيد والنبوة كأسس مشتركة بين الأديان السماوية. يُظهر القرآن أن موسى جاء بالتوراة لتعزيز التوحيد ومواجهة الشرك (سورة الإسراء: ٢)، بينما جدد عيسى الرسالة الإلهية عبر الإنجيل لدعوة الناس إلى التقوى (سورة آل عمران: ٥٠). تتجلى هذه المفاهيم في الأدعية بطرق تعكس رؤية التشيع لاستمرارية النبوة، وفيما يلي تحليل علمي موسع:

•دعاء الافتتاح: يُبرز هذا النص دور موسى في هداية بني إسرائيل إلى التوحيد، وعيسى في نشر الرحمة كجوهر لرسالته(الطبرسي، أحمد، ١٩٨٣، ج١، ص٨٧-٩٢). يعكس ذلك التوحيد كمحور أساسي في دعوة موسى، حيث كانت مواجهته لفرعون تحديًا عقديًا لإثبات وحدانية الله. أما عيسى، فتُظهر دعوته الرحمة كمبدأ يُكمل التشريعات السابقة، مما يعزز فكرة التكامل بين الرسالات. من الناحية اللاهوتية، يُظهر ذلك كيف يرى التشيع التوحيد كخيط ناظم بين الأديان، حيث تُعتبر التوراة والإنجيل مراحل تمهيدية للقرآن. علميًا، يمكن دراسة هذا النص كنقطة انطلاق لفهم التفاعل بين الشرائع السماوية في الفكر الإسلامي.

•دعاء الندبة: يربط نصر موسى على فرعون وتأييد عيسى بالمعجزات بأمل ظهور المهدي، مما يؤكد استمرارية الرسالات(المجلسي، ١٩٨٣، ج٩١، ص٤٥-٥٠). يعكس ذلك أيمانا بأن الله يدعم أنبياءه في كل عصر، سواء بقوة موسى التي شقت البحر، أو برحمة عيسى التي أحيت الموتى. الربط بالمهدي يُظهر رؤية شيعية ترى في الأنبياء والأئمة سلسلة واحدة لتحقيق العدل. تحليليًا، يمكن رؤية هذا الدعاء كتعبير عن التفاؤل اللاهوتي الذي يربط الماضي بالمستقبل، مما يعزز الهوية الشيعية في سياق الانتظار.

•الصحيفة السجادية: يُشيد بصبر موسى على فرعون وزهد عيسى في الدنيا كجزء من النبوة، داعيًا الله لمنح المؤمن هذه الصفات(ابن طاووس، ١٩٩٢، ص١٢٣-١٣٠). يعكس ذلك الأيمان بالأنبياء كرموز للقوة الروحية والتجرد، حيث يُظهر صبر موسى كدليل على الثبات العقدي، وزهد عيسى كتعبير عن التوجه نحو الله. من منظور علمي، يمكن تحليل هذا النص كجزء من الأخلاقيات الروحية في التشيع، حيث يُدمج الأيمان العقدي مع السلوك العملي لتقديم نموذج حياة متوازن.

من الناحية الأكاديمية، تُظهر هذه الأدعية كيف ينظر أهل البيت إلى موسى وعيسى كجزء من سلسلة النبوة التي اكتملت بالرسالة المحمدية والأئمة. يُبرز ذلك تسلسلاً عقديًا يربط الأديان السماوية، حيث تُعتبر التوراة والإنجيل خطوات تمهيدية للقرآن، مما يعكس فهمًا تاريخيًا وعقديًا يُحتفى به في النصوص الدعائية. كما يمكن دراسة هذا الاستحضار كجزء من الخطاب اللاهوتي الشيعي الذي يسعى إلى تعزيز الوحدة بين الأديان السماوية، مع إبراز الدور المركزي للأئمة كورثة لهذه الرسالات.

المبحث الثالث: الجوانب المعنوية في الأدعية

تُبرز الأدعية الجوانب الروحية لموسى وعيسى، مثل الصبر، الزهد، والتوكل، كقيم تُلهم المؤمنين في حياتهم اليومية. من الناحية العلمية، يمكن تحليل هذه الجوانب كجزء من التربية الروحية في التشيع، حيث تُستخدم تجارب الأنبياء كأدوات لتعزيز الصلابة النفسية والارتباط بالله. فيما يلي تحليل موسع:

• دعاء الصباح والمساء: يُطلب فيه الحفظ الإلهي بفضل نجاة موسى من فرعون وعيسى من مكائد قومه(الخميني، ١٩٩٠، ص٤٥-٥٠). يعكس ذلك صبر موسى كقوة داخلية مكنته من تحمل الظلم، وثقة عيسى بالله في مواجهة الأعداء. هذا الطلب يُظهر الأنبياء كنماذج للتوكل الذي يُرجى أن يمتد إلى المؤمن في حياته. تحليليًا، يمكن رؤية هذا الدعاء كجزء من ممارسة يومية تهدف إلى تعزيز الأمان الروحي، حيث يُستلهم التاريخ النبوي

لمواجهة التحديات اليومية.

• دعاء كميل: يُتوسل فيه بصبر موسى ورحمة عيسى لطلب المغفرة والنصر (الكليني، ١٩٨٧أ، ج١، ص١٥٤–١٦٠). يُظهر ذلك توازنًا بين القوة الروحية التي ابداها موسى واللين الذي تميزت به دعوة عيسى، مما يُشكل نموذجًا للتضرع المتكامل. هذا الجمع يُلهم المؤمن للجمع بين الثبات والرحمة في حياته. من الناحية العلمية، يمكن دراسة هذا النص كنموذج للصلاة التي تجمع بين التأمل الروحي والطلب العملي، مما يعكس بعدًا نفسيًا ودينيًا متكاملاً.

• دعاء عرفة: يُذكر صبر موسى ورحمة عيسى ضمن سلسلة نعم الله، مع طلب النجاة والمغفرة(الطوسي، ١٩٩٠، ج٦، ص٣٢٠–٣٢٥). يعكس ذلك تجارب الأنبياء كدروس للتوبة والأمل في رحمة الله، حيث تُستحضر قوة موسى ورحمة عيسى كجسور للتقرب إلى الله في لحظات التضرع العميقة. تحليليًا، يُظهر ذلك كيف تُستخدم الأدعية كوسيلة لربط التاريخ النبوي بالتجربة الفردية، مما يعزز الشعور بالانتماء الروحي.

من الناحية الأكاديمية، تُقدم هذه الأدعية الأنبياء كنماذج عملية للارتقاء الروحي، حيث يُظهر صبر موسى كدرس في التحمل، وزهد عيسى كدعوة للتجرد من الماديات. يمكن دراسة هذه الجوانب كجزء من علم النفس الديني، حيث تُساهم في بناء شخصية المؤمن من خلال الاقتداء بالأنبياء. كما تُبرز هذه النصوص التكامل بين العقيدة والروحانية، مما يعكس رؤية شاملة للعبادة في التشيع.

المبحث الرابع: روايات الأئمة الواردة بحق الأنبياء موسى وعيسى (عليهما السلام)

تُقدم روايات أهل البيت رؤية عميقة لموسى وعيسى كأنبياء يجسدان النبوة والصبر، مما يعزز فهم الأدعية من منظور تاريخي وعقدي. من الناحية العلمية، يمكن تحليل هذه الروايات كجزء من التراث الحديثي الشيعي الذي يسعى إلى إبراز الروابط بين الأنبياء والأئمة كحاملين للرسالة الإلهية. فيما يلي تحليل موسع:

١. يصف الإمام علي (عليه السلام) موسى بأنه تحمل الأذى في سبيل التوحيد حتى نصره الله على أعدائه(الصدوق، ١٩٨٣، ج٢، ص٧٨–٨٢). يعكس ذلك صبر موسى كقوة روحية مكنته من مواجهة الظلم، مما يتماشى مع استحضاره في الأدعية كرمز للثبات. تحليليًا، يُظهر ذلك كيف يُستخدم الحديث لتعزيز القيم الروحية التي تُبرز في الأدعية، مما يعكس التكامل بين الرواية والعبادة.

٢. يُبرز الإمام الباقر (عليه السلام) زهد عيسى وتواضعه، مشيرًا إلى دعمه بروح القدس كدليل على نبوته(الكليني، ١٩٨٧ب، ج٨، ص١١٢–١١٨). يتسق ذلك مع تصوير عيسى في الأدعية كرمز للرحمة والتجرد، حيث تُظهر دعوته التوازن بين الروحانية والإنسانية. من الناحية العلمية، يمكن دراسة هذه الرواية كجزء من التصور الشيعي للنبوة، مع التركيز على الجانب الروحي لعيسى كرسول.

٣. يوضح الإمام الصادق (عليه السلام) أن موسى جاء بالآيات الباهرة وعيسى بالبينات لنشر التوحيد(المجلسي، ١٩٨٣، ج١٣، ص٢٣٠–٢٣٥). يعكس ذلك دورهما العقدي في هداية أقوامهما، مما يتماشى مع استحضارهما في الأدعية كرموز للتوحيد والرحمة. تحليليًا، يُبرز ذلك الرؤية الشيعية للأنبياء كجزء من سلسلة متكاملة، مما يفتح المجال لدراسات مقارنة حول النبوة.

٤. يذكر الإمام الرضا (عليه السلام) صبر موسى وعيسى على البلاء حتى نجاهما الله(الطبرسي، محمد، ٢٠٠٢، ص٦٧–٧٢). يدعم ذلك فكرة الحماية الإلهية في الأدعية، حيث تُظهر تجاربهما كدروس للصمود في مواجهة الشدائد. من منظور تاريخي، يمكن رؤية ذلك كتعبير عن واقع الاضطهاد الذي واجهه الأئمة، حيث استلهموا الأنبياء لتعزيز صبرهم.

٥. يشير الإمام الكاظم (عليه السلام) إلى معجزات عيسى كآيات للإيمان، مع نجاته من أعدائه(القمي، ١٩٩٥،

ص٣٤٥–٣٥٠). يتفق ذلك مع استحضاره في الأدعية كرمز للمعجزات والرحمة، مما يعزز الإيمان بالقدرة الإلهية. علميًا، يمكن تحليل هذه الرواية كجزء من الخطاب اللاهوتي الذي يربط بين المعجزات والنبوة في التشيع. تُعزز هذه الروايات فهم الأدعية من خلال تقديم سياق تاريخي وعقدي، مؤكدة وحدة الرسالات الإلهية. من الناحية الأكاديمية، يمكن دراسة هذه النصوص كجزء من التقليد الحديثي الشيعي الذي يسعى إلى تعزيز الارتباط بين الأنبياء والأئمة، مما يعكس رؤية متكاملة لتاريخ الوحي.

الخاتمة:

يكشف تحليل أدعية أهل البيت عن ارتباط عميق بموسى وعيسى (عليهما السلام) كحاملين للكتب السماوية، حيث يُبرزان كرموز للصبر والرحمة(الصدوق، ١٩٨٣، ج٢، ص٧٨–٨٢؛ الكليني، ١٩٨٧ب، ج٨، ص١١٢–١١٨). تؤكد هذه النصوص على التوحيد والنبوة كجسور بين الأديان السماوية، مع ربط الرسالات بالمهدي (عجل الله فرجه) كرمز للعدل المنتظر(المجلسي، ١٩٨٣، ج١٣، ص٢٣٠–٢٣٥). من الناحية الروحية، تُلهم هذه الأدعية المؤمنين للاقتداء بصبر موسى وزهد عيسى، مما يعزز الصلابة النفسية والارتباط بالله(الطبرسي، محمد، ٢٠٠٢، ص٦٧–٧٢). كما تضيف الروايات بُعدًا تفسيريًا يبرز الروابط بين الأنبياء والأئمة كجزء من سلسلة الهداية الإلهية(القمي، ١٩٩٥، ص٣٤٥–٣٥٠).

من الناحية العلمية، يمكن دراسة هذه الأدعية والروايات كجزء من الخطاب اللاهوتي الشيعي الذي يسعى إلى تعزيز الوحدة بين الأديان السماوية، مع إبراز الدور المركزي للأئمة كورثة للرسالات. تُظهر هذه النصوص كيف تُوظف الذاكرة الدينية لتقديم نماذج حية تُلهم المؤمنين، مما يعكس رؤية حضارية ترى في الأنبياء جسورًا بين الأمم والعصور. في الختام، تُبرز هذه الدراسة الأدعية كأدوات للتأمل في عظمة الله ورسله، مما يجعلها دعوة مستمرة للتفكر والعمل بما يتماشى مع هذه القيم العالية.

المراجع:

القران الكريم
١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ت ١١١١ هـ، ١٩٨٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الجزء ٩١، ص ٤٥–٥٠.
٢. ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال، ت ٦٦٤ هـ، ١٩٩٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ١٢٣–١٣٠.
٣. الطبرسي، فضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ت ٥٤٨ هـ، ١٩٩٧، بيروت: دار المعرفة، الجزء ٣، ص ٢١٠–٢١٥.
٤. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، ت ٥٦٠ هـ، ١٩٨٣، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الجزء ١، ص ٨٧–٩٢.
٥. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ت ٣٢٩ هـ، ١٩٨٧، طهران: دار الكتب الإسلامية، الجزء ١، ص ١٥٤–١٦٠.
٦. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، ت ٤٦٠ هـ، ١٩٩٠، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الجزء ٦، ص ٣٢٠–٣٢٥.
٧. الخميني، روح الله، شرح دعاء الصباح والمساء، ت ١٤٠٩ هـ، ١٩٩٠، طهران: مؤسسة الإمام الخميني، ص ٤٥–٥٠.
٨. الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ت ٣٨١ هـ، ١٩٨٣، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الجزء ٢، ص ٧٨–٨٢.
٩. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ت ٣٢٩ هـ، ١٩٨٧، طهران: دار الكتب الإسلامية، الجزء ٨، ص ١١٢–١١٨.
١٠. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ت ١١١١ هـ، ١٩٨٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الجزء ١٣، ص ٢٣٠–٢٣٥.
١١. الطبرسي، محمد بن الحسن، مصباح الكلم، ت ٥٤٨ هـ، ٢٠٠٢، بيروت: دار العلم للملايين، ص ٦٧–٧٢.
١٢. القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ت ١٣٥٩ هـ، ١٩٩٥، قم: دار الهادي، ص ٣٤٥–٣٥٠.
١٣. الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، ت ٦٠٦ هـ، ٢٠٠٠، القاهرة: دار الكتب العلمية، الجزء ٥، ص ١٤٥–١٥٠.
١٤. الشيرازي، محمد، تفسير الأدعية الشيعية، ت ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥، قم: دار الهادي، ص ٨٩–٩٤.
١٥. النراقي، محمد مهدي، معارج الصلاة، ت ١٢٠٩ هـ، ١٩٧٨، بيروت: دار التعاقب، ص ٥٦–٦٠.
١٦. الحلي، جعفر بن محمد، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ت ٧٢٦ هـ، ١٩٩٥، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الجزء ٢، ص ١٣٤–١٤٠.
١٧. ابن عربي، محيي الدين، الفصوص الحكمية، ت ٦٣٨ هـ، ٢٠٠٤، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ٧٨–٨٣.
١٨. الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ت ٥٠٥ هـ، ١٩٩٣، القاهرة: دار المعرفة، الجزء ١، ص ٢١٠–٢١٥.
١٩. القزويني، محمد بن يزيد، نور الثقلين، ت ١٣٧٩ هـ، ١٩٨٦، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الجزء ٣، ص ١٦٧–١٧٢.

الوحدة والإصلاح السياسي في فكر الإمام علي(عليه السلام) دراسة في نهج البلاغة

م. د. عصمت كاظم حميد
جامعة كركوك/ كلية الإعلام

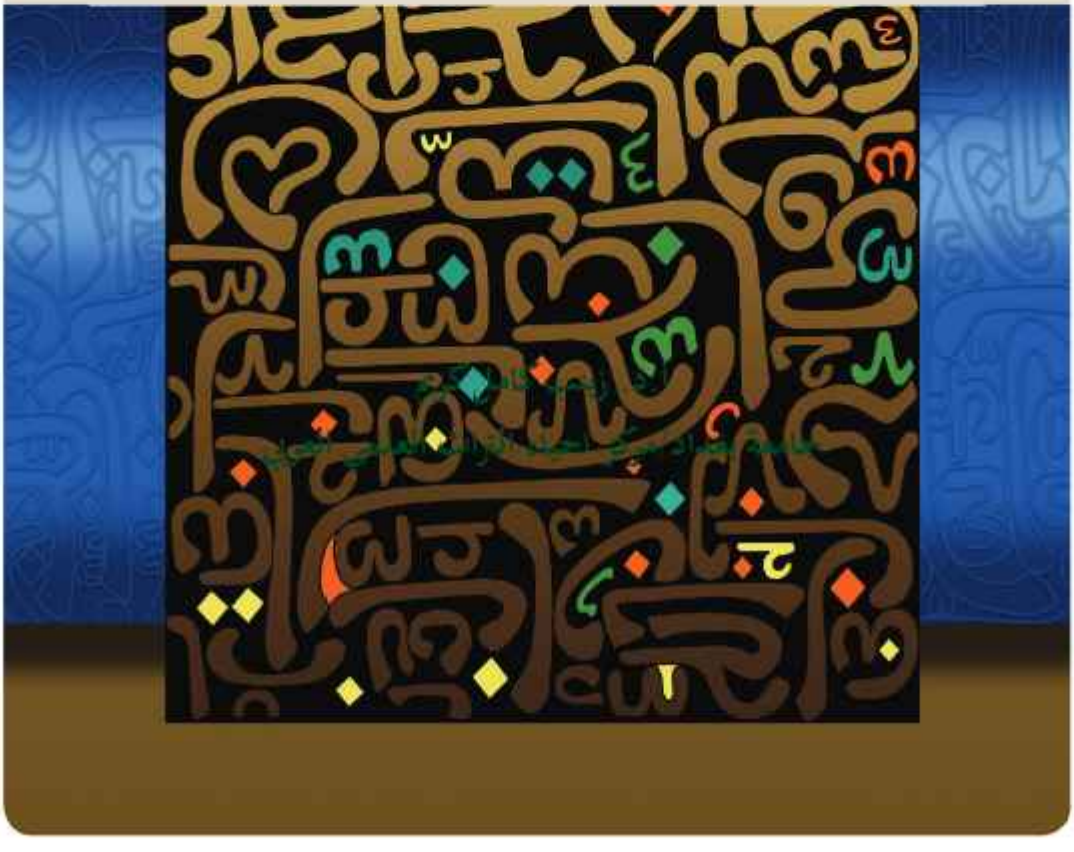

المستخلص:
شهد المجتمع الاسلامي احداث تاريخية كبرى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأولى هذه الاحداث هو الخلاف الذي حصل بين المهاجرين والانصار حول مسألة الخلافة في سقيفة بني ساعدة ، وخلفيات هذا الصراع ، والنتائج المستخلصة من هذا الاجتماع هو انتزاع الخلافة من صاحبها الشرعي ، فاتخذ الامام علي طرق الصمت وعدم الدخول في صراع للمطالبة بالحق المسلوب ، من اجل وحدة المسلمين ، فالامام علي عليه السلام كان يدعوا الى بناء مجتمع سياسي ، يعتمد على الوحدة والتكاتف ، بعيدا عن المصالح الذاتية والفئوية ، ويشدد على ضرورة قيام حكم اسلامي تسوده العدالة والمساواة ، ورغم التحديات التي واجهها ، فقد كانت رؤيته للاصلاح السياسي تقوم على المبادئ الاخلاقية ، والدينية التي تهدف الى حماية الامة من الفتن ، والانقسامات ، وتعزيز التعايش السلمي بين جميع افراد المجتمع الاسلامي .
الكلمات المفتاحية : التحديات، الاحداث ، الخلاف، السقيفة.

Abstract:
The Islamic community witnessed major historical events after the death of the Prophet, The first of these events was the dispute that occurred between the ALmuhagereen and ALansar over the issue of the caliphate in Saqifah Bani Sa›idah, and the backgrounds of this conflict, and the results drawn from this meeting was the seizure of the caliphate from its legitimate owner. Imam Ali adopted the path of silence and not entering into a conflict to demand the usurped right, for the sake of the unity of Muslims. Imam Ali, peace be upon him, called for building a political community based on unity and solidarity, far from personal and factional interests, and stressed the necessity of establishing an Islamic rule governed by justice and equality. Despite the challenges he faced, his vision for political reform was based on moral and religious principles that aim to protect the nation from sedition and divisions, and to promote peaceful coexistence among all members of the Islamic community.
Keywords: Political challenges during the reign of Imam Ali (peace (be upon him

المقدمة :
لا شك ان الامام علي عليه السلام يعد من افضل الشخصيات الرسالية بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبرزها، ليس فقط ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزوج ابنته ، بل ايضا انه باب مدينة علمه ، فقد برز في مجال الفكر السياسي والاجتماعي ، وقد احتل مكانة مرموقة في المجتمع الاسلامي لما يحمله من الصفات الخلقية والقيم النبيلة ، فهو نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، اتصف الامام علي عليه السلام بالحكمة ، والحنكة في ادارة الدولة ، وكان شغله الشاغل توجيه الامة نحو الوحدة والاصلاح ، فهو يؤمن بمبدأ تماسك المجتمع السياسي ، والاجتماعي كركيزة اساسية لتحقيق العدالة والاستقرار ، سيما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث شهدت الامة الاسلامية بعض الفتن الكبرى كادت ان تطيح بالتجربة الاسلامية ، وتذهب بالرسالة ادراج الرياح ، لذلك تصدى الامام علي عليه السلام للمشاكل السياسية ولآدارة الشأن العام في خطوة مثلت حجر الزاوية لمفاهيم التعايش والعدالة .
يشير عنون البحث على انها دراسة في فكر الامام علي عليه السلام في الوحدة والاصلاح السياسي ، من خلال ابراز جوانب الوحدة ، وسبل معالجة الانقسامات السياسية التي ظهرت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكيف كانت رؤيته للأمة ، ومقومات الاصلاح السياسي التي من شأنها تجنب الفتن ، وتقوية الجبهة الداخلية للمجتمع

الاسلامي ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى بيان الرؤى الاصلاحية لدى الامام علي عليه السلام مستندين الى خطبه في نَهج البلاغة هذا السفر الخالد ، الذي حق ان يقال انه فوق كلام المخلوق ، وقيادته الحكيمة للحكم ، والاستفادة منها في الواقع السياسي المعاصر ، فالوحدة ليس معناها التنازل عن المعتقدات التي يؤمن بها هذا الطرف للطرف الاخر ، وأنما الوحدة معناها البحث عن المشتركات والانطلاق منها وتقديم الحلول الناجعة للعديد من التحديات السياسية والاجتماعية التي تواجه المجتمعات الاسلامية

مشكلة البحث :

ويسعى الباحث من خلال هذه الدراسة تقديم فهم لرؤية الامام علي عليه السلام في توحيد الامة واصلاح الواقع السياسي وايجاد الحلول لما يعانية العالم الاسلامي اليوم من التشرذم والانقسام ، حيث تزداد الحاجة الى الوحدة والاصلاح في مواجهة التحديات السياسية المعقدة

منهج البحث :

كان المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي والوصفي ، ضمن مبحثين وتمهيد ،تناول الباحث في التمهيد تعرف للوحدة في اللغة والاصطلاح ، ومن ثم عوامل الفتنة في نهج البلاغة ، وتناول المبحث الاول الوحدة في القرآن ونهج البلاغة ، وتضمن المبحث الثالث ، مشروع الامام علي الاصلاحي من منظور نهج البلاغة

الدراسات السابقة :

حررت كتب متنوعة وابحاث في هذا المجال منها دراسة الوحدة السياسية للمسلمين من خلال الاتكاء على سيرة الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة للباحث محمد هادي واخرون المنشور في مجلة دراسات حديثة في نهج البلاغة العدد الثاني السنة الخامسة ، ١٤٤٣هجرية ، طهران ، والقضية الرئيسية التي يثيرها هؤلاء ان كتاب نهج البلاغة مرشد ومشجع في اثارة الانسجام والوحدة الاسلامية بين المسلمين ، كذلك التركيز على السيرة والاخلاق العالية للامام علي عليه السلام .

تمهيد :

عوامل الفتنة وآثارها كما يصوّرها نَهج البلاغة

يعرف الجرجاني الفتنة « بانها ما يبين بها حال الانسان من الخير والشر يقال فتنة الذهب بالنار اذا احرقته بها ليعلم إنّه خالص او مشوب ومنه الفتانة وهو الحجر الذي يجرب به الذهب والفضة»(١)

وقد وردت لها معاني متعددة في القرآن الكريم ونَهج البلاغة

١ . وردت بمعنى الابتلاء والاختبار الرباني لتمييز الصادق من الكاذب قال تعالى:(أَحَسِبَ النَاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنّ الْكَاذِبِينَ)(٢) .

٢– وردت ايضا بمعنى الابتلاء في التقاعس عن الجهاد (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة...) (٣). أي بلية عليكم، ابتلاكم الله تعالى بها، نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر الانصاري وكان مناصحا ليهود بني قريظة ، وكان اولاده عندهم ، فارادوا الصلح كما فعل مع بني النظير فابى النبي حتى ينزلوا لحكم سعد بن معاذ فارسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم اليهم بطلب منهم من اجل ان ينزلوا لحكم سعد فاشار اليهم انه الذبح فلا تفعلوا ، فاتى جبرائيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم واخبره بذلك. (٤)

٣– وقد تاتي بمعنى الضلال والصد عن السبيل قال علي عليه السلام « ان ابغض الخلائق الى الله رجلان : رجل وكله الله الى نفسه ، فهو جائر عن قصد السبيل ... فهو فتنة لمن افتتن ضال عن الهدي من كان قبله ، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته» .(٥)

٤– وقد تاتي بمعنى الجهل المقابل للعلم مثل قول علي عليه السلام « رجل قمش جهلا ، مَوضعٌ في جَهالة الأمة ، عاد في اغباش الفتنة ، بما في عقد الهدنة ، قد سماه اشباه الناس عالما وليس به»(٦)

وقد تاتي بمعنى الحسد قال امير عليه السلام « فان رأى أحدكم لأخيه غفيرة(٧) في أهل أو مال أو نفس فلا تكنْ له فتنة»(٨) .

فالفتنة قديمة قدم التاريخ البشري منذ ان خلق الله نبي الله آدم عليه السلام ، واول فتنة حصلت في التاريخ البشري كانت بين ابني ادم هابيل وقابيل (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين) (٩) .

ولا زالت الامم تعاني من هذه الخصيصة ، وجميعها لها دوافع سياسية واطماع دنيوية ، وكان للامة الاسلامية الحظ الاوفر من هذه الفتن لاسيما في القرون الاولى للتاريخ الاسلامي ، وقد ابتلي الامام علي عليه السلام بهذه الفتن ، والتي كادت ان تطيح بالكيان السياسي ، والتجربة الاسلامية ، وقد حذرالامام علي عليه السلام من هذه الفتن ، وتاثيرها على المجتمع الاسلامي ، بل العالم باجمعه ، فانها لا تبقي ولا تذر حيث قال « إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع، وأحكام تُبتدع، يُخالَف فيها كتاب الله، ويتولّى عليها رجال رجالاً على غير دين الله" فانها اي الفتنة " تبدأ في مدارج خفية وتؤول إلى فظاعة جلية»(١٠) .

وبالتالي قد تسري هذه الفتنة لتشمل المجتمع العربي والاسلامي باجمعه ، وهذا ما اكده عليه السلام بقوله « ثم إنكم معشر العرب أعراض بلايا قد اقتربت، فاتّقوا سكرات النعمة، واحذروا بوائق النقمة، وتثبّتوا في قتام العشوة واعوجاج الفتنة، عند طلوع جنينها، وظهور كمينها، وانتصاب قطبها، ومدار رحاها، تبدأ في مدارج خفية، وتؤول إلى فظاعة جلية، شبابها كشباب الغلام، وآثارها كآثار السلام، يتوارثها الظلمة بالعهود، أوّلهم قائد لآخرهم، وآخرهم مقتد بأولهم، يتنافسون في دنيا دنية، ويتكالبون على جيفة مُرية، وعن قليل يتبرّأ التابع من المتبوع، والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، ويتلاعنون عند اللقاء» (١١) .

تحصل الفتنة بسبب الابتعاد عن فرضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن مبدأ النصيحة بين المتخاصمين ، والتضحية من اجل المصالح العليا ، والخذلان مما يجعل الفتنة تستشري في المجتمع نتيجة لإهمال المسؤولية تجاه الحق، يقول الإمام (عليه السلام) « أيها الناس، لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق، ولم تَهنوا عن توهين الباطل، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقومنّ قويّ عليكم، لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل، ولعمري ليضعفنّ بكم التيه من بعدي أضعافاً بما خلّفتم الحق وراء ظهوركم وقطعتم الأدنى ، ووصلتم الأبعد»(١٢) .

المبحث الاول : مفهوم الوحدة في القرآن الكريم ونهج البلاغة :

يعد مفهوم الوحدة من المفاهيم القرآنية ذات الطابع الاجتماعي والسياسي في آن واحد ، وقد وردت في آيات عدة ، وبألفاظ مختلفة ، فقد جاءت بلفظ عدم التنازع ، وتارة اخرى بلفظ عدم الاختلاف ، واخرى بعنوان التمسك بحبل الله ، وجميعها تدل على مدلول واحد ، وهو مسمى الوحدة ، ولكي نفهم الوحدة لابد ان نقرأ الشخصية القائمة بالوحدة والتي جسدتها باروع صورها .

فالحديث عن الوجودات المقدسة وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيت النبوة ومنبع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن الوحي والتنزيل لا يتسنى لاحد الا اذا كان بمستواهم او اعلى منهم درجة ، وكيف يمكن ان نصف شخصية قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لولا أن تقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى للمسيح عيسى بن مريم ، لقلت فيك اليوم قولا لا تمر بملأ إلا اخذوا التراب من تحت رجليك ومن فضل طهورك يستشفون به ، ولكن حسبك ان تكون مني وانا منك»(١٣) .

الا ان الميسور لا يسقط بالمعسور ، وما لايدرك كله لا يترك جله .فعلي عليه السلام عاش في بيت الاسلام وتعرف على علومه واسراره منذ نعومة اضفاره ، وهو لم يبلغ الحلم ، وكان من اوائل من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وصدق برسالته ودافع عنها حتى سقط شهيدا في محرابه ، وهذا ما اكده ابن اسحاق بقوله « ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلى معه وصدّق بما جاء من الله تعالى ، علي أبي طالب بن عبد المطلب

بن هاشم (رضوان الله وسلامه عليه) وهو يومئذ ابن عشر سنين» (١٤) .

وقد نعاه حتى اعدائه حين استشهاده ، والفضل ما شهدت به الاعداء ، فهذا معاوية بن ابي سفيان وهومن ألد اعدائه يكفكف دموعه لما سمع ضرار بن ضمرة وهو يصف عليا عليه السلام بقوله «كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا، ويحكم عدلا ، يتفجّرُ العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه .... يُعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشُب . كان والله كأحدنا .... ونحنُ والله مع قربه منّا ودُنوّه الينا لا نكلّمهُ هيبةً له .... يعظّم أهل الدين ، ويُحبّ المساكين ، لا يطمع القويّ في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، فأشَهَدُ بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ليلةً ، وقد أرخى الليل سجوفه ، وغارت نجومه ، وقد مثل قائماً في محرابه ، قابضاً على لحيته ، يتململُ تململ السقيم ، ويبكي بكاء الحزين ، وكأنّي أسمعه وهو يقول : يا دنيا غرّي غيري ، أبي تعرّضتِ أم إليّ تشوّقت ، هيهات هيهات قد أبنتُكِ ثلاثاً لا رجعةَ لي فيك ، فعُمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير ، آه من قلّة الزاد وبُعد السفر ووَحشة الطريق . قال : فذرفت دموع معاوية على لحيته فلم يملك ردّها وهو يُنشفها بكمّهِ ، وقد اختنق القوم بالبكاء».(١٥).

فالصفات والاوصاف التي اكتسبها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت تليق به لقيادة الامة ، لكن ماحصل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واجتماع المهاجرين والانصار في سقيفة بني ساعدة يعبر عن اتجاه سياسي مخالف لما رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بامر من وحي السماء ، فموقف الانصار على ريادته كان اوهى الاتجاهات وأقلها خطورة في حياة المدينة ، خصوصا وانه سيصطدم بوحدة غير منتظرة من جانب قريش مما اعاق حركتهم في اول الطريق ، وما حملهم على ذلك ليس المطالبة بالسلطة ، بل من اجل المشاركة فيها ، والتأكيد على استمرار دورهم الفاعل في مرحلة ما بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم(١٦) .

وقد اكد القرآن الكريم في كثير من آياته على الوحدة الاسلامية ، إذ لا تجد هذا المفهوم في بقية الاديان السماوية التي ركزت على مفهوم التعايش وليس الوحدة ، فالوحدة وعدم التفرقة اختص به الدين الاسلامي ، وجعلها من اولوياته ، وفيه ابلغ المفاهيم والحقائق العقلانية الواقعية باعتباره خاتم الاديان والشرائع السماوية قال تعالى (ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون)(١٧)، فهذه دعوة من الله عز وجل للمسلمين ليكونوا متراصين موحدين تحت ظل القرآن ، فوحدة الكيان السياسي للامة الاسلامية لا يعني رفض التعددية على اساس القومية او العرق او اللغة او المذهب ، ولا تفرض على الشعوب المسلمة لغة بذاتها ، وانما وحدة الكيان السياسي الاسلامي هو النظر الى الاسلام ككيان واحد يجمعهم كتاب الله ، وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم ، فاصبحتم بنعمته اخوانا)(١٨)، وقد نزلت هذه الاية الشريفة بعد ان حاول جماعة من اليهود ايقاظ الفتنة بين قبليتي الاوس والخزرج ، والتي آخا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينهما بعد صراع طويل في الجاهلية ، فاخذوا هؤلاء اليهود يذكرونهم بما كان بينهم من العداء وخاصة يوم بغاث ، وهو يوم اقتتل فيه الاوس والخزرج ، وكانت الغلبة للأوس ، فثارت الحمية في رؤوسهم ، ودبت الفتنة بينهم لولا ان تداركها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(١٩) .

ومما لاشك فيه ان الامام علي عليه السلام هو القرآن الناطق كما اشارت اليه الروايات الشريفة «علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»(٢٠) .

فهذا الانسجام بين القرآن ونهج البلاغة هو في الاساس نابع من هذه الحقيقة ، لذا اعتبر القرآن الكريم ونهج البلاغة قضية الوحدة بين المسلمين هي القضية الاساسية لحفظ كيان الامة ، بل عُدَّ الامام علي عليه السلام هو رائد الوحدة والاصلاح السياسي في المجتمع الاسلامي ، فهذا كتاب نهج البلاغة ملئ بالخطب التي تنادي بالوحدة ونبذ الفرقة ، وقد جسدها عمليا حتى مع خصومه ، فقد كان احرص المسلمين على الوحدة وعدم الفرقة ، ولعل السرعة التي حسمت فيها مسألة الخلافة في سقيفة بني ساعدة لم تترك فرصة التحرك للجميع ، وخصوصا اصحاب الامام علي عليه السلام الذين كانوا يجهلون تماما التطورات التي شهدتها السقيفة وأتت الى بيعة ابي بكر خليفة للمسلمين ، فكانت هذه البيعة

كالصاعقة على بني هاشم ، فاستنكروا الامر واتجهوا الى تصعيد الموقف مع الخليفة الجديد ، لكن الامام علي عليه السلام رفض الانسياق الى هذا الامر ، ودعى الى عدم السماح باستغلال ما جرى في السقيفة ، بما ينعكس سلبيا على وحدة المسلمين (٢١).

لقد كان نهج الامام علي عليه السلام هو حرصه على الوحدة واعطائها الاولوية في نهجه السياسي ، فلم يغامر بها بسبب خذلان الكثيرين ممن شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعوا حديثه ، ولم يفسح المجال لاثارة الجدل حولها ، وكل ما افضى به حينذاك لم يتعدى سوى الشعور بالالم والمرارة ازاء ما حدث في السقيفة ، ولم تكن هذه الحادثة الاولى التي تهدد وحدة المسلمين في الداخل ، بل اعقبتها احداثا تزامنت معها شكلت تهديدا حقيقيا على وحدة الاسلام والمسلمين عندما انفجرت بواكير الردة خارج المدينة ، ولم يكن من سبيل الى مواجهتها الا بالوحدة والتماسك ، وهذه كلها كانت في وعي الامام علي عليه السلام مدركا خطورتها ، فكان فلابد من التسليم للامر مغلبا وحدة الجماعة ، مدفوعا عن حقه قائلا « ما زلت مدفوعا عن حقي ، مستأثرا علي منذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا»(٢٢) .

فقد آلى على نفسه ان يتخذ طريق الصبر عن الحق المنتزع ، ولم يشهر السيف لاسترجاع هذا الحق ، يقول عليه السلام « بايع الناس لأبي بكر ، وأنا والله أولى بالامر منه ، فسمعت وأطعت مخافة ان يرجع الناس كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض ، ثم بايع الناس عمر وأنا والله أولى بالامر منه ، وأحق به منه ، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف»(٢٣) . فألتزم الامام عليه سبيل الطاعة لا خوفا ، ولكن حفاضا على وحدة المسلمين ملتمسا جانب الصبر يقول عليه السلام « وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا »(٢٤) .

فهو بقوله هذا قد قطع الطريق امام جميع المحاولات لاشعال فتيل الفتنة ، واستغلال الموقف ، حتى وان وقع الجور عليه خاصة ، ولما رأى تقاعس الامة عن الوقوف الى جانب الحق ، وهذا ما اكده عليه السلام بقوله بعد ان عزم القوم على البيعة للخليفة الثالث عثمان بن عفان « لقد علمتم أنّي احق الناس بها من غيري ، ووالله لأسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جور الا علي خاصة»(٢٥)

ان الاسلام ينظر الى المجتمع الاسلامي كجسد واحد ، فالوحدة الاسلامية معناها تضامن المسلمين واتحادهم ضد اعدائهم ، وان لا يبغي بعظهم على بعض فالإمام علي عليه السلام يركز على السواد الاعظم ويؤكد على العقل الجمعي ويذر احادية التفكير قائلا « والزموا السواد الاعظم ، فان يد الله مع الجماعة ، وآياكم والفرقة ، فان الشاذ من الناس للشيطان كما ان الشاذ من الغنم للذئب»(٢٦) ، فالذئب يتربص بقطيع الغنم ، وينتهز الفرصة لتفرقهم ، كذلك المسلمين ان اجتمعوا على الحق ، فلا يدعوا مجال للشيطان للدخول بينهم ، ويدعوا لرص الصفوف فيحذرهم من التلون في دين الله ، وان يجتمعوا على الحق وان كان كرها لهم ، يقول عليه السلام « فإياكم والتلون في دين الله ، فان جماعة فيما تكرهون من الحق ، خير من من فرقة فيما تحبون من الباطل ، وان الله سبحانه لم يعطي احدا بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقي»(٢٧) . الا ان اختلاف الامم وتفرقها هي من سنن التاريخ فهذه حقيقة يؤكدها القرآن قال تعالى (ولو شاء الله لجعل الناس امة واحدة ول يزالون مختلفين)(٢٨).

ويرجع الشهيد مطهري انحطاط الامة الى عوامل يركز عليها في هذا المجال منها عوامل مادية اقتصادية ، ومنها عقائدية اهما قضية القاء التفرقة والتمييز بين الناس تحت عناوين مختلفة ، واستضعاف طائفة على حساب اخرى ، ومنها عدم العدالة والظلم ، وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والفسق والفجور ، وفساد الاخلاق الفساد ، فهذه العناصر كانت السبب وراء تخلف الامة وتراجعها وانحطاطها ، من هنا اكد الامام علي عليه السلام على قضية الاختلاف والاتحاد في خطبه كعامل لنجاح المجتمعات وفشلها.(٢٩)من هنا لابد ان نفهم ان الوحدة التي ينادي بها دعاة الوحدة لا تعني الانصهار والذوبان في معتقدات كل طرف ، والتسليم باحقية طرف على حساب الطرف الاخر ، او التنازل عن قناعات

فتة من اجل فتة اخرى ، وهذ الفهم هو الذي صعب تحقيق الوحدة بين المسلمين ، وتطبيقها عمليا ، وانما المراد بالوحدة هو البحث عن القواسم المشتركة ، والانطلاق منها لتحقيق المصلحة العامة للشعوب المسلمة في مواجهة الاعداء الذين يحاولون السيطرة على خيرات المسلمين من خلال تفرقتهم وتمزيقهم ، في حين يعملون على توحيد شعوبهم ودولهم رغم الاختلافات الشاسعة بينهم من حيث الدين والمعتقد ، وحتى اللغة .

كذلك السعي الى الوحدة ليس فقط بين المذاهب الاسلامية ، بل حتى بين المذهب الواحد الذي يعيش في رقعة جغرافية واحدة او متعددة ، وصولا الى حالة اجتماعية تحفظ هويتم الدينية ، وتسعى لتحقيق الهدف المنشود نحو التكامل والرقي ، ولا يعني ذلك التوافق في جميع الاراء والافكار كما يتصور البعض ، فقد تجد الاختلاف في الرؤى والافكار حتى بين الذهب الواحد ، وبين فقهاء متعددين ، وهذه حالة صحية في المجتمع الاسلامي ، فالاختلاف نعمة لا نقمة ، لكن الخلاف نقمة ، والاختلاف لا يفسد في الود قضية ، بما ان العقول متفاوتة ، وليسوا بمعصومين عن الخطاء ، فمن الطبيعي ان يحصل الاختلاف ، لكن على المؤمنين وعامة الناس ، ان لا ينجروا وراء هذه الاختلافات ، ويجعلوها خلافات تؤدي بالنتيجة الى عواقب وخيمة .

المبحث الثاني :مشروع الإمام علي عليه السلام الإصلاحي من منظور نهج البلاغة

لا شك ان الحركات الاصلاحية للانبياء والاوصياء السابقين مرت باوقات صعبة وشاقة على اصحابها ، فبطبيعة الحال ان كل دعوة من الدعوات يناصرها جماعة ، ويمتنع عن مناصرتها جماعة اخرى ، وعادة ما يكون انصار اصحاب الدعوات الاصلاحية جماعة قليلة ، والسر في ذلك ان الدعوات الاصلاحية غالبا ما تصطدم بالمنافع الشخصية ، فالناس تميل الى الانسان الصالح ، ولا تحب الانسان المصلح لان عمله يتعارض مع مصالحهم الخاصة، وهذه الحقيقة بينها القران الكريم في المحاورة التي جرت بين نبي الله عيسى عليه السلام وانصاره قال تعالى (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)(٣٠) .

وكذلك الحال مع المجتمع الاسلامي الذي مر بمنعطفات معقدة ، منها في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنها بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم والتي كانت اكثر تعقيدا تركت اثارا سيئة في نفوس المسلمين لاسيما مسالة الخلافة والحكم ، ولم يعملوا بوصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم تكن ادارة الخلفاء الثلاثة للحكم مبنة على الاستقامة والعدل ، بل كانت مبنية على المحسوبيات ، والتفرقة في العطاء على اساس الاسبقية في الاسلام وقربهم وبعدهم من الخلفاء مما اثار حفيضة الكثير منهم ادت بالنتيجة الى الاطاحة بالخلفتين الثاني والثالث. (٣١)

ففي عهد الخليفة الثالث ظهر مبدأ جديد لم يكن مألوفا من قبل ، وكان هو النواة الاولى لتأسيس مبدأ التوريث في الحكم من بعده ، وذلك عندما طلب المسلمين منه عزل الولاة الفاسدين واستبدالهم بالصالحين من الصحابة ، فلم يفعل ذلك ، فطالبوه بالتنحي ما دام عاجزا عن الاصلاح ليختاروا من هو الاجدر على اصلاح الاوضاع في البلاد فقال «اما بعد ، فإنكم لم تعدلوا في المنطق ، ولم تنصفوا في القضاء ... فلا انزع قميصا قمّصنيه الله عز وجل واكرمني به»(٣٢) .

وبهذا الجواب يكون قد الغى اي حق للامة ان تأخذ بيده وتستبدله بغيره إن هو شذّعن الجادة ، حيث انه كان واقعا تحت تاثير اسرته لاسيما معاوية ومروان ادت به الى العزلة عن المسلمين ، ولم يقبل اي تحاور مع الثائرين الذين اطاحوا به وقتلوه ، فهذا المغيرة بن الاخنس اراد ايقاع الفتنة بينه وبين الامام علي عليه والسلام حينما وقعت مشاجرة بينهما ، فقال انا اكفيكه فقال علي عليه السلام للمغيرة « يا بن اللعين الأبتر، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفيني! فوالله ما أعز الله من أنت ناصره، ولا قام من أنت منهضه، اخرج عنا أبعد الله نواك، ثم أبلغ جهدك، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت!»(٣٣)

، فهذا المبدأ لم يكن مؤلوفا زمن الخليفة الاول حين قال « ، لا حاجة لي في بيعتكم ، أقيلوني بيعتي»(٣٤)، ولم يكن يرى الخلافة قميصا قمّصه إياه الله فلا يحق له خلعه ، بل رأها عقدا بينه وبين من بايعه ، فلهم ان يخلعوه ، كما كن لهم ان يبايعوه(٣٥) .

فهل كانت الشورى هي الحلل ام كانت ضحية بعض الذين تسترّوا بضلها ، وهيئوا لضربها في الوقت المناسب ،إمن هنا نجد مقدار الالم والحسرة في قلب الرجل الذي وضع في مكان غير مكانه ، وخلق في زمان غير زمانه يقول عليه السلام وهو يذم مبدا الشورى « فيا لله وللشورى ، متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر»(٣٦) .

فقد كان الامام علي عليه السلام هو النموذج الاصلح لتولي ادارة الحكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعكس سياسة الاسلام بكل دقة وروعة واستيعاب ، لانه تربى في حضن الاسلام ، وهل من مكنون علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو باب مدينة العلم يقول عليه السلام « بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لأضطربتم اضطراب الارشية(٣٧) في الطوى البعيدة(٣٨)»(٣٩) .

لذا كانت سياسة علي عليه السلام خير درس للقادة وللمسلمين في وقتنا الحاضر في تطبيق العملية السياسية على حياتهم العملية خصوصا في الاونة الاخيرة التي بدا المسلمون يشعرون بعمق خطوط الاستعمار في البلاد الاسلامية ، ويبحثون عن استقلال فكري في الحكم مبني على اسس الاسلام الصحيحة وتطبيقها على واقع الامة الاسلامية المعاصرة .

القيادة الحكيمة للإمام علي عليه السلام.

كان الموقف صعبا والمدينة لم تخرج من ذهولها فاتجهت الانظار الى الامام عليه السلام ، ولعل في الموقف ما ينم عن خلو حركتهم من اي مشروع يذكر سوى المطالبة بالاصلاح وتصويب المسيرة ، لم يكن الامام علي عليه السلام راغبا في تولي ادارة الحكم بعد مقتل الخليفة الثالث ، لا سيما بعد ان خذله المسلمون عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وعدم خوض التجربة مرة اخرى ، مضافا الى التراكمات السلبية وعمليات الانحراف التي شاعت بالمجتمع الاسلامي ابن خلافة الخلفاء الثلاثة ، لكن الواجب الشرعي والشعور بالمسؤولية العظمى في تصديه للامامة جعلته يقبل بالبيعة من اجل اصلاح الاوضاع في البلاد ، محاولا انقاذ الوضع واعادة اللحمة للجماعة التي اصيبت بالصميم ، يقول علي عليه السلام « أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ»(٤٠).

فالامام علي لا يسعى للسلطة بحد ذاتها طمعا بها ، او راغبا لها ، فهي ليست ملكا كما يتصورها البعض وقاتل من اجلها بعض اخر ، وهو القائل « دعوني والتمسوا غيري ، فإنا مستبلون امرا له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول ، وإن الافاق قد اغامت ، والمحجة قد تنكرت»(٤١) .

لكن اراد الامام عليه السلام من خلالها رفع الجور واقامة العدل والانصاف ، واقامة الحدود واصلاح النظام ، يقول عليه السلام «. اللهم انك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومين من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك»(٤٢) .

يقول ابن عباس « دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله ، فقال لي : ما قيمة هذا النعل ؟ فقلت : لا قيمة لها ، فقال عليه السلام : والله لهي احب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقا او ادفع باطلا»(٤٣).

والواجب الشرعي يحتم على المسلمين الذين بايعوه على النصرة والطاعة ان يلتزموا بالقوانين الالهية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وجسدها علي ابن طالب عليه السلام في حركته الاصلاحية أبان فترة خلافته والاهم من ذلك هو وأد الفتنة التي اتسعت رقعتها ، وتشعبت اطرافها وما كان ممكنا لجمها اواخمد من خطرها لو كان الامام علي عليه السلام متمسكا بموقفه بعدم قبول بيعة المسلمين بالخلافة هذه الخطبة كانت مقدمة للقيام بمشروعه الاصلاحي في المجتمع الاصلاحي رغم علمه انه ليس من السهل اصلاح ما افسده غيره وأنها عملية شاقة محفوفة بالمخاطر ، والمواجهة مع الرافضين للتغيير .

اولاً: الإصلاح الديني

كان الدافع الاساسي لقبول الامام بالخلافة هو قيامه بعمليات اصلاحية في المجتمع الاسلامي وأولى هذه الاصلاحات هو الاصلاح الديني ، ونشر الوعي الديني والثقافي لدى المسلمين ، في الوقت الذي ادت سياسة منع تدوين الاحاديث الى تغيب معالم كثيرة وهامة من نهج النبوة لتظهر بدلا منها معالم اخرى تخالفها ، وقد تنبأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم واخبرهم قائلا « هذا اوان يختلس العلم من الناس اختلاسا حتى لا يقدروا منه على شيء فقال له زياد بن لبيد الانصاري : يارسول الله ، وكيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن ؟ فو الله لنقرأنه ولنقرأنّه نساءنا وأبناءنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثكلتك امك يازياد إني كنت لأعدّك من فقهاء اهل المدينة ، هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى ، فماذا يغني عنهم ؟»(٤٤) اشارة الى ان الكتب السماوية السابقة للانبياء قد حرفوها اصحابها من اليهود والنصارى فاصبحوا حيارى فدخلوا في مغبة الشرك .

فبني امية ابعدوا الامام علي عليه السلام عن الخلافة ، وقاموا بترسيخ مشروعهم السياسي وتحميل الناس عليه ، المتمثل في القضاء على الوعي والمعرفة لدى المسلمين ,والعودة بهم الى الجاهلية من خلال منع تدوين احاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٤٥) .

فهذا الموقف للامام علي عليه السلام يعطي بصيص امل في عودة المسار الى اتجاهه الاول من هنا عمد الامام علي عليه السلام منذ ايام خلافة الاول على جمع نسخ القرآن وترتيب سوره وآياته مع مجموعة من الصحابة امثال زيد بن ثابت ، ولم يستبدل النسخ وفق الترتيب الموحد ، بل اقرها ومضى عليها ودافع عنها ، وقام بقرائتها وتعليمها المسلمين ، فهو يوصي المسلمين عليه السلام بقوله « تعلموا القرآن فإنه احسن الحديث ، وتفقهوا فيه فأنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فأنه شفاء الصدور ، واحسنوا تلاوته فأنه انفع القصص»(٤٦) .

كما قام بتفسير آيات القرآن حتى اشتهر التفسير في حياته ، وأخذ عنه اناس كل بقدره منهم ابن عباس الذي اطلق عليه لقب ترجمان القرآن ، كما عمد الى تدوين سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى اشتهر عنه امر الصحيفة التي كتبها من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان يحملها معه في قائم سيفه ، ولم تكن هي الصحيفة الاولى بل له صحف اخرى ، وهذا ما ذكرته الصحاح في اسانيدهم إذ قالت ام سلمة « دعا النبي بأديم ، وعلي بن ابي طالب عنده ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يملي وعلي يكتب ، حتى ملأ بطن الأديم وظهره وأكارعه»(٤٧) ، فرواية ام سلمة دليل على ان الامام علي عليه السلام كان يدون احاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويحتفظ بها ، وهذا يعطي صورة حضارية مشرقة ورائعة على اهتمام الامام علي عليه السلام بامر الكتابة ،كذلك اهتم بامر الرواية وحفظها وتعليمها الناس ، فكم من حديث ذكره الامام علي عليه السلام للناس وذكرهم بما كانت قد غابت عنهم لسنوات طوال بسبب منع تدوين الاحاديث منها « ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن ،وهكذا كان عهده مع السنة النبوية رواية وتدوينا فهما السبيل الى نشرها وحفظها من الضياع والنسيان (٤٨) .

لذا كان من العوامل المهمة في حركة الامام عليه الاصلاحية هي ابداء الرأي والمشورة من اجل تقويم الخلافة الاسلامية ، والتي تعد الركن الاساسي للامة الاسلامية ، والدعامة التي يستند اليها المسلمون والتي ينبغي ان تتصف بالعدل والانصاف ، والمساواة بين المسلمين في الحقوق والواجبات ، ,ولم يتخذ الامام علي عليه السلام طريق العزلة والاعتكاف ، ولم يكن دوره سلبيا في المجتمع الاسلامي ، وإن لم يكن على رأس الهرم السلطوي ، لكنه كان كالشمس الساطعة في وضح النهار ، وفي طليعة الذين شكلوا المرجعية للعهد ، فقد وقف جنبا الى جنب مع الخلفاء يبدي لهم المشورة والنصيحة ، ويساهم في حل المسائل الفقهية والعقائدية للكثير من المسلمين ، وغير المسلمين من الديانات الاخرى ، لا سيما بعد نشوء الفرق الكلامية نتيجة الفتوحات الاسلامية ، ودخول الكثير من الديانات الاخرى في الاسلام ، مما استدعى تأثر المسلمين بالثقافات الوافدة من بلدان غير اسلامية الى الدين الاسلامي ، وكان الخلفاء يلجأون اليه في المواقف الصعبة .

ثانيا : الإصلاح الإجتماعي

كانت المرحلة الثالثة من عمليات الاصلاح للامام علي عليه السلام ، والتي عدها من اولوياته هي الاصلاح الاجتماعي

، والتوزيع العادل للثروة وبيت المال ، فكان العدل هي الصفة الغالبة في شخصية الامام علي عليه السلام ، ولا يحيد عنها ، فقد نشأت حالة من الطبقية ، والاثراء المتعمد في المجتمع الاسلامي لا سيما في عهد الخلفتين الثاني والثالث لم تكن معهودة في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وأستمرت حتى زمن الخليفة الثاني ، إذ فرق في العطاء بين المسلمين على اساس الاسبقية في الاسلام ، ومقدار التضحية والجهاد ، مما اثار الخلافات بين المهاجرين والانصار ،واشتدت في عهد الخليفة الثالث حينما اوكل جميع المناصب المهمة في الدولة الى قرابته من بني امية ،مما زاد في حدة الخلاف ادت الى الاطاحة به ، من هنا اراد الامام علي عليه السلام اعادة الاوضاع الى ما كانت في عهد رسول الله ، وردم الهوة بين المسلمين ، وفي نفس الوقت القضاءعلى الطبيقية السائدة في المجتمع عن طريق استرجاع الاموال المأخوذة التي منحها الخليفة الثالث لخاصته من بني امية فاقسم على ردها قائلا « والله لو وجدته قد تزوج به النساء ، وملك به الاماء ، لرددته ، فان في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل ، فالجور عليه اضيق»(٤٩) .

فالعدل هوانشودة الفقراء والضعفاء والصالحين ، وهدفا رساليا لأنصار الرسالة ، ومن الطبيعي ان يتمرد من وجد فيه عدوا يقطع عليه طريقه الى المزيد ، او ينتزع من بين يديه ثروة جمعها من هنا وهناك بحق او بغير حق ، فقد اقسم الامام علي عليه السلام ان يجري العدل على الجميع ابتداءا بنفسه وعائلته ، ولما آلت اليه الخلافة باشر بمشروعه في التغيير الاجتماعي باعلان معالم مشروعه التغييري(٥٠) .

وقد عوتب على تسويته بالعطاء مناديا له بمخالفته سنة الخلفاء الذين سبقوه فقال لهم عليه السلام « أتأمروني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه ، والله لا اطور به ما سَمَر سَمِيرٌ ، وما أمَّ نجمٌ في السَّماءِ نجماً ، لو كان المال لي لسوَّيتُ بينهم فكيف وإنَّما المال مال الله ، ألا وإنَّ اعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف ، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ، ويكرمه في الناس ، ويهينه عند الله ، ولم يضع امرؤٌ ماله في غير حقه ولا عند غير اهله إلا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم ، فإن زلَّت به النعل يوما فاحتاج الى معونتهم فشرُّخليلٍ وألأمُ خدين»(٥١) .

فهذا التيارالقرشي القديم الذي يمثله هذا النفر من الاغنياء ، ومن سار في طريقهم هو الذي ابعد علي عن الخلافة لخشيته منه لأنه انتهج منهجا اجتماعيا ثوريا متقدما ، وقد عجزوا عن تحقيق ما كانوا يصبون إليه في الاستيلاء على المال ، والبقاء على الطبقية السائدة على حساب تعاليم السماء ، فكان لازاما على الامام علي عليه السلام القيام بالتسوية بالعطاء على اساس الناس سواسية ، ومنذ ذلك الوقت ارتفع صوت علي عليه السلام بضرورة الاصلاح الاجتماعي لحفظ حقوق الناس والتسوية بينهم ، فقد انعقدت عليه آمال الفقراء وأنصار العدل في استمرار المنهج الاحتماعي الذي شهدته الجزيرة العربية على يد دعاة الاسلام ، وايضا الظمانة الاساسية كي لا يعود ملأ قريش وأغنيائها للأمساك بالسلطة مرة اخرى تحت رايات الدين الجديد(٥٢) .

فما احوجنا نحن اليوم لهذه الشخصية القيادية لما تحمله من هموم الامة ، والعمل على اصلاح المنظومة السياسية والاجتماعية ، فالعالم الاسلامي يعيش ظلم فساد الحكام واستعبادهم للعباد ، واستأثارهم باموال الشعوب المسلمة وهدرها في ملذات الدنيا ، وعمليات التطبيع مع اعداء الاسلام من اليهود وغيرهم ، ليتك حاضرا اليوم لترى كل هذه المظالم ، نحن بحاجة الى ادارة عادلة وحكيمة ، فالشعوب العربية المسلمة تمتلك كل مقومات السعادة والرفاه ، لكن تنقصها الادارة العادلة القائمة على العدل والانصاف ، والتوزيع العادل للثروات ، ان الاسلام كفل القوانين والانظمة التي من شأنها ان تحافظ على كرامة الانسان ،وتقضي على الطبقية اذا سار عليها المسلمون ، لكن عمد حكام المسلمين الى تشريع قوانين بعيدة عن روح الاسلام من شأنها ترسيخ مبدأ الاستيلاء على الروة والسلطة ، والغاء مبدأ التكافل الاجتماعي بين المسلمين ، حتى وصل الحال الى يعيش جماعة في تخمة من جمع الاموال، في حين الاخر لا يمتلك رغيف من الخبز يقوت فيه نفسه وعياله نتيجة

الساسات الخاطئة لحكام الجور في عالمنا المعاصر ، وان ما نشاهده اليوم من مجازر وابادة جماعية بحق الشعبين اللبناني والفلسطيني ، والقيام بعمليات التهجير القسري وانتهاج سياسة التجويع ، ومنع تقديم المساعدالت الانسانية من قبل المنظمات الانسانية ، متجاوزين كل القوانين الدولية والمعايير الانسانية في حق العيش للشعبين المسلمين دليل على وحسية واجرام الكيان الصهيوني خير دليل على ، ولابد من وقفة جادة لمحاربة هذا الكيان الغاصب وعدم الوقوف موقف الحياد في ان المسألة لا تعنيهم ، وهذه مسؤولية النخب الفكرية الواعية من خلال بناء المؤسسات الثقافية والتي اخذت على عاتقها توعية الناس على المطالبة بحقوقهم الدستورية التي كفلها لهم دستور بلدانهم ، ولابد ايضا من الظغط على الحكام من اجل تصحيح ما افسدوه بحق الشعوب المظلومة ، ونستفيد من التاريخ الاسلامي والحكم العادل للامام علي عليه السلام ، في اشغال المواقع المهمة للدولة الاسلامية لعناصر اكفاء يتصفون بالشجاعة والامانة والنزاهة .

ثالثا : الإصلاح السياسي

بعد ان تسلم الامام علي عليه السلام زمام الحكم قام بعدة اصلاحات ، فكانت اولى خطواته نحو الاصلاح هو نقل الخلافة الاسلامية الى العراق وتحديدا الى الكوفة سائرا بذلك على خطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تاسيس دول العدل الالهي حينما هاجر من مكة الى المدينة ، ثم شرع بخطواته نحو الاصلاح السياسي , والاجتماعي. فلا تصلح الرعية الا بصلاح الراعي ، فقد عد الولاية والحكم مسؤولية شرعية اخذت على عاتق العلماء ، ولم يجعل الامام علي عليه السلام بينه وبين الناس حاجزا ولم يسكن في بروج عاجية ، كما يفعل حكام هذا العصر ، وطلب من الناس ان تعامله لا كما يعامل الناس الملوك والجبابرة اليوم .

يقول عليه السلام « فلا تكلموني بما تُكلم به الجبابرة .... ولا تتحفظوا منّي بما يُتحفّظ به عند اهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة»(٥٣)

بيد انه واجهة مجابهة شديدة من قبل بعض المنتفعين ممن سبقه ، والتي اراد الامام علي عليه السلام ابعادهم عن الامرة ، واستبدالهم باخرين يتمتعون بالكفاءة والنزاهة ،وهؤلاء كانوا من خيرة الصحابة أُبعدوا في عهد سابقيه. (٥٤) دون سبب إلا ان يكون السبق في الاسلام او القرابة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لكنهم خالفوه ، لا سيما معاوية بن ابي سفيان الذي تحصن وراء شعاره الكاذب المطالبة بدم الخليفة المقتول ، ولم يجعل الامام علي عليه السلام المخالفة والمعارضة في الحكم مسوغا لقتالهم وتصفيتهم كما يفعل القادة اليوم بتصفية خصومهم ومعارضيهم تحت مسميات شتى ، من اجل الاستئثار بالحكم يقول علي عليه السلام « ولعمري ما علي من قتال من خالف الحق ، وخابط البغي ، من إدهان ولا ايهان ، فاتقوا الله عباد الله وفروا الى الله من الله ، وامظوا في الذب نجه لكم ، وقوموا بما عصبه بكم ، فعلي ضامن لفلجكم ، ان لم تمتحنوه عاجلا».(٥٥)

لقد انطلق الامام علي عليه السلام في ادارته للدولة من مبدا العدل ، فهو من دعاة التداول السلمي للسلطة ، وليس من مبدأ الغلبة التي تبناها غيره في الاستحواذ على السلطة ، كما انه اول من اسس للديمقراطية في المجتمع الاسلامي ، حينما استسلم لمبدأ التحكيم الذي نادى به المسلمون ، وهي واحدة من الطرق الخبيثة التي استعملها معاوية لتجنب الخسارة التي مني بها في معركة صفين ، وهي رفع المصاحف ، فقال من كان معه لا حكم الا لله ، فقال عليه السلام « كلمة حق يراد بها باطل نعم انه لا حكم الا لله»(٥٦) ، واجبروا الامام علي عليه السلام على التحكيم قال عليه السلام

« دعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا ، ونصحت لكم فلم تقبلوا ...أيها القوم الشاهدة ابدانهم الغائبة عنهم عقولهم المختلفة اهوائهم المبتلى بهم امرائهم ، صاحبكم يطيع الله ، وانتم تعصونه ، وصاحب اهل الشام يعصي الله ، وهم يطيعونه» (٥٧)

فشكى عليه السلام ما لقى من امر هذه الامة الى الله في عدم طاعته والتسليم لأمره ، لانهم فقدوا الاعتقاد

بمقام الامامة جهلا منهم تارة ، وبغضا تارة اخرى يقول عليه السلام « الى الله اشكو من معشر يعيشون جهالا ، ويموتون ضلالا ، ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ، ولا سلعة أنفق بيعا ولا اغلى ثمنا من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ، ولا عندهم أنكر من المعروف ولا اعرف من المنكر» (٥٨). لقد عانى الامام علي من امر هذه الامة ، والتي اراد ايقاضها من سباتها لتدافع عن حقوقها التي سلبها اياهم بني امية ويحافظوا على رسالة الاسلام التي ارادو طمسها ، لكن الكثير منهم نكثوا ووقفوا بوجهه في محاولة لاضعاف الشرعية الحاكمة ، فلم يتمكن من اكمال الاصلاحات الضرورية في بنية الدولة الاسلامية ، لانشغاله بالحروب الداخلية التي اججهها بنوا امية من جهة ، والخوارج من جهة اخرى .

من كل ما تقدم لابد ان نفهم ان عمليات الاصلاح في المجتماعات الاسلامية ، لا يكتب لها النجاح اذا كان القائم بها لا يتحلى بالايمان والصلاح والحكمة في ادارة الامور سواء كان إماما معصوما ، او فقيها ، او عالما ، لأن الناس تحب الصالحين ولا تحب المصلحين ، وقد يصطدم بشكل كبير مع المنتفعين واصحاب المصالح الدنيوية .

الخاتمة :

١- لقد تضمنت العديد من خطب الامام علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة سيما بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الوحدة الاسلامية مما يدل تأكيده على هذه الوحدة ، والتي اعتبرها الاساس في تحقيق العدالة والاستقرار السياسي ، بالاضافة على الاهتمام بضرورة تجنب الانقسامات السياسية التي تؤدي الى الفتن والتمزق في بنية المجتمع الاسلامي .

٢- قد يفهم من الوحدة الاسلامية اليوم هو ان يتنازل كل طرف عن ما يؤمن به من افكار ومعتقدات يراها صحيحة وفق مذهبه الى الطرف الاخر ، بل الوحدة ان يراعي كل منهما القاسم المشترك بينهما وينطلق منها ، وهذا هو المراد من مفهوم الوحدة .

٣- لم يقتصر الاصلاح السياسي في زمن الامام عليه السلام على الانظمة والقوانين بل تعدى ليشمل المبادئ الاخلاقية والقيم الاجتماعية ، فقد كان الامام علي عليه السلام يرفض اي شكل من اشكال الاستبداد ، وعبادة الاشخاص ، وتأليه الملوك ، وهذا ما اكدته خطبه الى اتباعة الذين ولاهم على الولايات.

٤- تعد العدالة الاجتماعية ركيزة من ركائز الاصلاح السياسي ، فقد اكد الامام علي عليه الاسلام على العدالة الاجتماعية في كثير من خطبه وشدد على ضرورة المساواة بين الناس في ظل الطبقية المقيتة التي تأسست واستفحلت في عهد الخليفتين الثاني والثالث مما ادى الى قيام ثورة ضد الخليفة الثالث ، ويرى ان الحكم يجب ان يكون للعدل والانصاف ٥- لم يكن دور الامام علي عليه السلام سلبيا في عهد الخلفاء ، بل على العكس كان يبدي تحفظا شديدا تجاه السياسات الخاطئة لادارة الحكم ، وكان يظهر انتقاده الشديد لما يجري سيما في عهد الخليفة الثالث ، رغم التحديات التي واجهها ، ولم يتوانى في التصدي للمؤامرات والفتن الكبرى التي كانت تهدد وحدة المسلمين ، وافشال التجربة الاسلامية والعودة الى رواسب الجاهلية .

٦- ان عمليات الاصلاح السياسي والاجتماعي للامام علي عليه السلام قد تكون مصدر الهام للانظمة السياسية المعاصرة في سعيها لتطبيق مبادئ الديمقرطية ، وقد اثبتت الدراسات الحديثة بضرورة تطبيق هذه المبادئ على الواقع المعاصرلمعالجة المشاكل السياسية وبث روح المواطنة لدى الامة .

الهوامش:

(١) الجرجاني ، علي بن محمد الشريف ، التعريفات ، مكتبة لبنان للنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٥م ، ص١٧٢ .

(٢) سورة العنكبوت ، الاية ، ٢-٣ .

(٣) سورة الانفال ، الاية ٢٨ .

(٤) الطبرسي ،ابو علي الفضل بن الحسن ، البيان في تفسير القرآن ، ج٤ ، تحقيق لجنة من العلماء ، مؤسسة العلمي للطباعة ، بيروت –لبنان

، ط١ ، ١٩٩٥م ، ص ٤٥٥ .
(٥) الشريف الرضي ، ابو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي ، نهج البلاغة ، خطبة ١٧ تحقيق الدكتور صبحي الصالح ، ايران ، ص ٤٦ .
(٦) نهج البلاغة ، المصدر السابق ، خطبة ١٧، ص٤٦ .
(٧) الغفيرة ، الزيادة
(٨) نهج البلاغة، خطبة ٢٣ ، ص ٥٣
(٩) سورة المائدة ، الاية ٢٧ .
(١٠) نهج البلاغة ، خطبة ٥٠ ، ص ٤٩ .
(١١) نفس المصدر، خطبة ١٥١ ، ص ٢٦٣ .
(١٢) نفس المصدر ، خطبة ١٦٦ ، ص ٣٠٣ .
(١٣) الريشهري ، محمد ، موسوعة الامام علي بن ابي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ ، ج٤ ، تحقيق السيد محمد كاظم الطباطبائي واخرون ، دار الحديث للطباعة والنشر ، قم المقدسة ، ط ٢ ، ١٤٢٧هجرية ، ص ٥١٣ .
(١٤) ابن هشام ، السير النبوية ، ج١ ، تحقيق ، مصطفى السقا واخرون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٣٦م ، ص ٢٦٢ .
(١٥) المحمودي ، محمد باقر ، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ج٣ ،دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٧٧م ، ص ٨٦–٨٧ .
(١٦) بيضون ، ابراهيم ، الامام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ ، مجلد ١ ، نشر العتبة العلوية المقدسة – النجف الاشرف ، ط٢ ، ٢٠١٢م ، ص ٤٨ .
(١٧) سورة الانبياء ، الاية ٩٢ .
(١٨) سورة آل عمران ، الاية ١٠٣ .
(١٩) مغنية ، محمد جواد ، التفسير الكاشف ، مجلد ٢ ، دار الانوار للطباعة والنشر ، بيروت–لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، ص ١٢٠ .
(٢٠) الإربلي ، ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح (ت٦٩٣) ،كشف الغمة في معرفة الائمة ، ج١ ، دار الاضواء ، بيروت لبنان ، ص١٤٦ .
(٢١) ينظر ابراهيم بيضون ، الامام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ ، مجلد ١ ، ص ٤٩–٥٠ .
(٢٢) نهج البلاغة ، ص٢٦ .
(٢٣) عبد الحميد ، صائب ، تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي (مسار الاسلام بعد الرسول ونشأة المذاهب) ، نشر مركز الغدير للدرشات الاسلامية ، مطبعة ، فروردين ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ص ٢٤٨ .
(٢٤) نفس المصدر ، خطبة ٣ ، ص٢٨ .
(٢٥) نفس المصدر ، خطبة ٧٤ ، ص ١١٣
(٢٦) نهج البلاغة الخطبة ١٢٧ .
(٢٧) نهج البلاغة خطبة ١٧٦
(٢٨) سورة هود ، الاية ، ١١٨ .
(٢٩) المطهري ، مرتضى ، المجتمع والتاريخ ، ترجمة محمد علي آذر شب ،مراجعة عبد الكريم الزهيري ، قلم مكنون للنشر ، مطبعة شريعت ، قم – ايران ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ص ١٩٤–١٩٦ .
(٣٠) سورة آل عمران ، الاية ٥٢ .
(٣١) ابن قتيبة الدنيوري ، ابي محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦) الامامة والسياسة ، ج١ تحقيق علي شيري ، دار الاضواء للنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص ٥٠ .
(٣٢) الطبري ، جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠) ، تاريخ الطبري ،مجلد ٤ ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف للنشر ، ط٤ ، بيروت – لبنان ، ص ٣٧٦ .
(٣٣) نهج البلاغة ، خطبة ١٣٥ ، ص ٢٤٣ .
(٣٤) ابن قتيبة الدنيوري ، الامامة والسياسة ،المصدر السابق ، ص ٣١
(٣٥) عبد الحميد ، صائب ، ، تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي ، ص ٤٢٨–٤٢٩ .
(٣٦) نهج البلاغة ، خطبة ٣ ، ص٣٠ .
(٣٧) الأرشية الحبل
(٣٨) البئر العميقة
(٣٩) نهج البلاغة ، خطبة ٥ ، ص ٣٦
(٤٠) نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص ٣٢ .

(٤١) نفس المصدر ، خطبة ٩٢ ، ص ١٦٩.
(٤٢) المصدر نفسه ، خطبة ١٣١ ، ٢٣٧-٢٣٨.
(٤٣) المصدر نفسه ، خطبة ٣٣، ص ٧٣
(٤٤) عبد الحميد ، صائب، تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي ، ص ٤٦٦
(٤٥) . المصدر نفسه ، ص٤٦٧
(٤٦) نهج البلاغة ، خطبة ١١٠ ، ص ٢٠٥ .
(٤٧) عبد الحميد ، صائب، تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي ، ص ٤٩٦
(٤٨) ينظر المصدر نفسه ، ص ٤٩١-٥٠٠ .
(٤٩) نهج البلاغة ، خطبة ، ١٥ ، ص٤٣.
(٥٠) عبد الحميد ، صائب ، ، تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي ، ص ٥٣٩.
(٥١) نهج البلاغة ، خطبة ١٢٦ ، ص ٢٣١.
(٥٢) عبد الحميد ، صائب ، ، تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي ، ص ٥٣٩-٥٤٠.
(٥٣) نهج البلاغة ، خطبة ، ٢١٦ .
(٥٤) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص ٤١٣ .
(٥٥) نهج البلاغة ، خطبة ٢٤ ، ص ٥٦ .
(٥٦) نهج البلاغة ، خطبة ٤٠ ، ص ٨٢ .
(٥٧) المصدر نفسه ، خطبة ٩٧ ، ص ١٧٧.
(٥٨) نهج البلاغة ، خطبة ١٧ ، ص ٤٨ .

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم
٢- ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد ابي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠) ، الكامل في التاريخ ،ج٢ ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي للنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ١٩٩٧م .
٣- ابن هشام ، السير النبوية ، ج١ ، تحقيق ، مصطفى السقا واخرون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٣٦م .
٤- الإربلي ، ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح (ت٦٩٣) ،كشف الغمة في معرفة الائمة ، ج١ ، دار الاضواء ، بيروت لبنان
الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد (ت ٥٤٨ هـ) ، الملل والنحل ، تحقيق علي امير مهنا ، علي حسن فاعور ،
٥- ابن قتيبة الدنيوري ، ابي محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦) الامامة والسياسة ، ج١ ، تحقيق علي شيري ، دار الاضواء للنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٠م .
٦- بيضون ، ابراهيم ، الامام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ ، مجلد ١ ، نشر العتبة العلوية المقدسة – النجف الاشرف ، ط٢ ، ٢٠١٢م .
٧- الجرجاني ، علي بن محمد الشريف ، التعريفات ، مكتبة لبنان للنشر – بيروت لبنان ، ط١ ، ١٩٨٥م ار المعرفة للنشر ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .
٨- الريشهري ، محمد ، موسوعة الامام علي بن ابي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ ، ج٤ ، تحقيق السيد محمد كاظم الطباطبائي واخرون ، دار الحديث للطباعة والنشر ، قم المقدسة ، ط ٢ ، ١٤٢٧هجرية .
٩- الشريف الرضي ، ابو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي ، نهج البلاغة ، تحقيق الدكتور صبحي الصالح ، الجهورية الاسلامية الايرانية .
١٠- الطبرسي ،ابو علي الفضل بن الحسن ، البيان في تفسير القرآن ، ج٤ ، تحقيق لجنة من العلماء ، مؤسسة الاعلمي للطباعة ، بيروت –لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥م .
١١- الطبري ، جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠) ، تاريخ الطبري ،مجلد ٢ ، دار الكتب العلمية للنشر ، بيروت – لبنان .
١٢- الطبري ، جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠) ، تاريخ الطبري ،مجلد ٤ ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف للنشر ، ط٤ ، بيروت – لبنان .
١٣- عبد الحميد ، صائب ، تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي (مسار الاسلام بعد الرسول ونشأة المذاهب) ، نشر مركز الغدير للدرشات الاسلامية ، مطبعة ، فروردين ، ط١ ، ١٩٩٧م .
١٤- المحمودي ، محمد باقر ، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ج٣ ،دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٧٧م .
١٥- المطهري ، مرتضى ، المجتمع والتاريخ ، ترجمة محمد علي آذر شب ،مراجعة عبد الكريم الزهيري ، قلم مكنون للنشر ، مطبعة شريعت ، قم – ايران ، ط١ ، ٣٠٠٨م .

هنري نوكس ودوره السياسي والعسكري في الولايات المتحدة الامريكية (١٧٥٠ – ١٨٠٦)

م. د محمد ناصر فيصل
جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ



المستخلص:

تطرق البحث الى السيرة الذاتية والسياسية والعسكرية لهنري نوكس (١٧٥٠–١٨٠٦)، أحد أبرز القادة العسكريين المؤثرين، وان كان أقل شهرة، في حرب الاستقلال الأمريكية ونشأة الولايات المتحدة، اذ سلط البحث الضوء على الدور المحوري لنوكس كرئيس للمدفعية في الجيش القاري، ومستشار مقرب للجنرال جورج واشنطن، وأول وزير حرب للولايات المتحدة بعد الاستقلال، استطاع رغم افتقاره للتعليم العسكري الرسمي، أن يبني معرفته العسكرية الواسعة من خلال القراءة الذاتية للكتب العسكرية الكلاسيكية والعلمية، وكانت أبرز إنجازاته العسكرية تنظيم رحلة جريئة لنقل المدافع من حصن تيكونديروجا إلى بوسطن، كما لعب دوراً أساسياً في معارك حاسمة مثل ترينتون وبرينستون ويوركتاون، كما أسس اللبنة الاولى للجيش النظامي الأمريكي، من خلال تأسيس الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت، فضلا عن دوره البارز في صياغة الدستور الأمريكي وقمع تمرد شايز، وتاسيس جمعية سينسيناتي لرعاية قدامى المحاربين وعائلاتهم، اذ شكلت تلك الأفكار الأساس للعديد من المؤسسات العسكرية الامريكية ورغم إسهاماته في المجالين العسكري والسياسي، ظل «رجل الثورة المنسي» مقارنة بشخصيات أخرى.

الكلمات المفتاحية: هنري نوكس، تمرد شايز، حصن تيكونديروجا، وزير الحرب الأمريكي.

Abstract:

The research addressed the personal, political, and military life of Henry Knox (1750–1806), one of the most prominent and influential, yet less famous, military leaders of the American Revolutionary War and the early United States. The study highlighted Knox›s pivotal role as the Chief of Artillery in the Continental Army, a close advisor to General George Washington, and the first United States Secretary of War after independence.

Despite lacking a formal military education, he built his extensive military knowledge through self-directed reading of classical and scientific military books. His most notable military achievement was organizing a bold expedition to transport cannons from Fort Ticonderoga to Boston. He also played a fundamental role in decisive battles such as Trenton, Princeton, and Yorktown.

Furthermore, Knox laid the foundation for the professional American army by establishing the military academy at West Point. He also played a prominent role in drafting the U.S. Constitution, suppressing Shays› Rebellion, and founding the Society of the Cincinnati to support war veterans and their families. His ideas formed the basis for many American military institutions. Despite his contributions in both the military and political spheres, he has remained the «Forgotten Man of the Revolution» compared to other figures.

Keywords: Henry Knox, Shays› Mutiny, Fort Ticonderoga, U.S. Secretary of War.

المقدمة.

يعد هنري نوكس أحد أبرز القادة العسكريين غير المعروفين بشكل كافٍ ابان حرب الاستقلال وفي نشأة الجمهورية الفتية، اذ لم يسلط عليه الضوء بشكل واضح، شغل منصب رئيس المدفعية في الجيش القاري، وضابط أركان للقوات الفدرالية ومؤتمنًا مقربًا، وصديقًا ومستشارًا للجنرال جورج واشنطن، ولُقّب بـ»الجنرال المُفضّل لدى واشنطن» بسبب دوره المحوري في انتصارات معارك ترينتون ويوركتاون. كما لُقّب نوكس بـ»رجل الثورة المنسي»، بسبب المعالجات السطحية التي لا تتناسب إطلاقًا مع أهمية دوره الحقيقي، كما شغل منصب أول وزير حرب للولايات المتحدة بعد حرب الاستقلال ويعد مؤسس القوات البحرية التابعة لوزارة الحرب، وصاحب الخطط الأولى لإنشاء الأكاديمية العسكرية الأمريكية في ويست بوينت؛ ومؤسس جمعية سينسيناتي، إذ كان أمينها، ونائب رئيسها، حينما كان واشنطن أول رئيس لها.

المبحث الأول: الولادة والنشأة والتعلم.

تعود أصول عائلة هنري نوكس، إلى الأراضي المنخفضة المجاورة الى إيست لوثيان بإسكتلندا، هاجرت في أوائل القرن الثامن عشر، مع العديد من المشيخيين الأسكتلنديين إلى شمال أيرلندا وانشأوا مستعمرة، يُعرف أحفادها في إنكلترا وأمريكا باسم الأسكتلنديين الأيرلنديين، وفي وقت لاحق من ذلك القرن، عبرت أعداد كبيرة منهم البحار واستقرت في أجزاء مختلفة من ولايات نيو إنكلاند، نزلت مجموعة من هؤلاء المهاجرين، تحت القيادة الروحية للقس جون مورهد، في بوسطن عام ١٧٢٩ ، وأسسوا جمعية دينية هناك(١).

تزوج (ويليام نوكس والد هنري نوكس) في بوسطن، في شباط ١٧٣٥ ، من السيدة ماري، ابنة روبرت كامبل، كان ويليام نوكس ربان سفينة، وكان يعيش في ظروف مادية مريحة لمدة من الوقت، فكان لديه العديد من الاملاك التجارية ومنزل ولد فيه أطفاله العشرة، لم ينج منهم الا الولد السابع هنري نوكس الذي ولد في ٢٥ تموز ١٧٥٠ ، و ويليام، أصغرهم الذي ولد عام ١٧٥٦ ، وقد تعرضت العائلة لضائقة مالية وقت ولادة ابنه الأصغر؛ فاضطر إلى بيع منزله ونقل عمله إلى سانت أوستاتيوس في جزر الهند الغربية، توفي على اثر ذلك عام ١٧٦٢ عن عمر يناهز خمسين عامًا ( )، كان هنري نوكس ابان تلك المدة شابًا على وشك التخرج من مدرسة بوسطن الثانوية، لكنه وجد نفسه مع شقيقه ويليام، السند الوحيد لوالدته بعد وفاة ابيه، مما اضطر هنري نوكس لترك المدرسة، والبحث عن عمل، فحصل على وظيفة في مكتبة (Messrs. Wharton & Bowes) مملوكة لشركة وارتون وبويز في بوسطن، في كورنهيل، وقد وجد بائع الكتب الشاب هناك فرصة جديدة للتعلم وكسب الرزق؛ اذ اكتسب معرفة واسعة بالعلوم العسكرية من الكتب الإنكليزية مثل «حياة بلوتارخ» و»التاريخ الروماني» لكولد سميث، قرأ بشغف الكتب والكتيبات في المكتبة، وكان معظمها عالي الجودة، مستوردًا من إنكلترا، تتناول بشكل رئيسي العلوم العسكرية(٢).

توفيت السيدة ماري في بوسطن في ١٤ كانون الاول عام ١٧٧١ ، فبدأ الشاب هنري نوكس العمل لحسابه الخاص، اذ أنشأ مكتبةً سماها «مكتبة لندن» وملأها بالكتب الإنكليزية، انغمس في قراءتها بشغف عقلٍ نشيطٍ ومُستقصي، اكتسب منها المعرفة ودرس بعمقٍ صفحات بلوتارخ، وأصبح مُلِمًّا بتاريخ القادة والمحاربين المشهورين، ولم يقتصر الأمر على إلمامه الجيد بالكلاسيكيات التي وجدها مُترجمةً إلى الإنكليزية، بل تعلم أيضًا التحدث والكتابة باللغة الفرنسية، وهو إنجازٌ وجده مفيدًا جدًا في حياته لاحقا.(٣)

تزوج هنري نوكس من لوسي فلوكر، ابنة حاكم مقاطعة خليج ماساتشوستس رغماً عن والديها الموالين، وُلد لهما اثنا عشر طفلاً. توفي تسعة منهم في طفولتهم(٤)، عاش له ثلاث أطفال منهم، ابنه هاري جاكسون، عمل ضابطًا في البحرية الأمريكية، لكنه توفي دون أن يترك ذرية، وبنتان هما (لوسي فلوكر وكارولين)، اذ تزوجت لوسي الكبرى، من السيد إيبينيزر ثاتشر؛ وتزوجت كارولين أولاً، جيمس سوان، من دورشيستر، ماساتشوستس، وثانيًا، جون هولمز، من ألفريد، مين، الذي كان أول عضو في مجلس الشيوخ الأمريكي يُنتخب من تلك الولاية(٥).

كانت علامات الاضطراب السياسي تلوح في الافق، مما ضاعف من اهتمام هنري نوكس بالعلوم العسكرية بطرقٍ متعددة

تتجاوز مجرد الاطلاع على الكتب. ولاتصافه بطول القامة وقوة البنية، وجد نفسه عضوًا في فرقة بوسطن للمدفعية، وهي فرقة ميليشيا إقليمية تتكون في معظمها من أصحاب متاجر وميكانيكيين من جنوب بوسطن. كان قائدها الرائد أدينو بادوك، صانع عربات ومدربًا عسكريًا بارعًا، وقد رفع مستوى كفاءته العسكرية إلى مستوى عالٍ، منح هنري نوكس بعد ذلك رتبة ملازم على إثر انضمامه في عام ١٧٧٢ الى فيلق بوسطن غرينادير بقيادة الكابتن جوزيف وسرعان ما أصبح الملازم هنري نوكس نائبه في القيادة(٦).

عُرضت على نوكس حوافز للانضمام إلى الخدمة البريطانية مع اندلاع حرب الاستقلال، متخذين من زوجته ذات الابوين الموالين لبريطانيا مدخلا له، لكنه ظل وفيًا للقضية الأمريكية، ويتضح رأيه وتوجهاته من خلال آخر إعلان لكتاب «دحض بارمر» الشهير لألكسندر هاملتون، الذي عرض فيه وجهة نظر المستعمرين في النزاع مع بريطانيا العظمى، ورداً على عرض بريطانيا، أخذ نوكس زوجته، وتسلل عبر الحدود التي مُنع هو وغيره من سكان بوسطن من تجاوزها إلى ووستر، ثم عرض خدماته على الجنرال (ارتماس وارد)، كمتطوع مدني، وهناك ساعد نوكس في بناء الحصون على تلة بنكر(٧).

المبحث الثاني: رحلة تيكونديروجا.

تفاقمت الاضطرابات السياسية في هذا البلد، اذ مثلت ازمة شاي بوسطن شرارة لها حينما دخل المستعمرون في تحالفٍ وعهدٍ رسميّ بالامتناع عن استهلاك جميع السلع المستوردة من إنكلترا، لم تشكل المستعمرات حينذاك جبهةً واحدةً ولم يروا بوضوح حتى أملًا في الاستقلال، لكنهم كانوا مُصممين على مُعارضة الحكم البريطاني الذي التزم بسياسة القوة والقمع المُميتة، احتلت القوات البريطانية بوسطن وحلت الأحكام العرفية محل الحكم المدني؛ وسُمح للجنود والمحافظين بالاستيلاء على ممتلكات المستعمرين المتمردين، اذ عانى نوكس الغائب من عنف أولئك الذين كانوا يحكمون المدينة، حينما كان شقيقه الأصغر، ويليام، يدير أعماله ومع ازدياد حدة الحرب، فقد نُهبت مكتبته، ودُمرت بضاعته(٨)

كان نشاط الميليشيات الاستعمارية من السمات الخطيرة في ذلك العصر، ففي أوج فترة السلم، شجعت الحكومة البريطانية الروح القتالية بين المستعمرين، ونُظمت عدة سرايا ميليشيا في بوسطن، وتلقت هذه السرايا تدريبات قيّمة على يد ضباط سرية مدفعية بريطانية، والتي دخلت بوسطن في طريقها إلى كيبيك في شتاء عام ١٧٦٦، وبقيت في معسكرها في قلعة ويليام بميناء بوسطن حتى ايار التالي، التحق معظم أعضاء تلك السرية بقوات الدفاع الامريكية، كانت تلك السرية تمتلك ثلاث قطع مدفعية نحاسية، عيار ٣ أرطال صُنعت في إنكلترا، وعند اندلاع حرب الاستقلال، خُزنت هذه المدافع في مخزن خاص في شارع ويست، اعرب الجنرال غيج قائد سرية المدفعية البريطانية عن نيته الاستيلاء على جميع أسلحة ميليشيا بوسطن، وبدأ بالفعل في الاستيلاء على المخازن العسكرية وأسلحة سكان المقاطعة؛ وبناءً على ذلك، استغل ستة شباب وطنيين شجعان، الغياب المؤقت للحارس في مخزن المدافع لإخراج المدافع وإخفائها في مكان اخر. ومن ثم نُقلت ليلًا إلى القوات الأمريكية(٩).

بعد أن أدار نوكس ظهره لكل الإغراءات، توجه مباشرةً إلى مقر الجنرال أرتيماس وارد، قائد قوات المستعمرين، وعرض خدماته كمتطوع، بدأ حصار بوسطن فعليًا، عندها سخر نوكس، العلوم العسكرية والهندسة التي اكتسبها من دراسة كتب العلوم العسكرية لخدمة القضية الوطنية، فأشرف على خط التحصينات حول المدينة، صدرت أوامر الجنرال أرتيماس وارد بعد معركة بانكر هيل، باستدعاء نوكس كمهندس ومدفعي ظل نوكس متطوعًا بالمعنى الحرفي للكلمة، وفور وصوله إلى كامبريدج، بعد تولي واشنطن قيادة الجيش، تفقد الأعمال التي شُيّدت حول مدينة بوسطن المحاصرة، وتشير مقتطفات من رسائل نوكس، المكتوبة آنذاك، إلى إعجاب القائد الجديد بالتحصينات التي كان لنوكس دورٌ الاساسي في بنائها، كتب القائد العام إلى رئيس الكونغرس القاري، قائلا « لقد أخذت على عاتقي أن أوصي بتعيين هنري نوكس عقيدًا». وبناءً على ذلك، عُيّن، في ١٧ تشرين الثاني ١٧٧٥ (١٠).

أيقن الجيش الامريكي بحاجته الشديدة إلى مدافع لمواجهة الحصار، وبدأ الرجال يبحثون في أذهانهم عن وسائل لتوفير مدافع ذات وزن ومدى كافيين لإطلاق النار على المدينة المحاصرة. ففكر نوكس، بذكائه، في مشروع جريء يتمثل في

إرسال قوات إلى حصن تيكونديروجا، على بحيرة شامبلين، بالقرب من الحدود الكندية، لنقل المدافع والذخائر التي استولى عليها إيثان ألين من القوات البريطانية وتركت هناك دون استخدام(١١).

قدمت خطة نوكس إلى واشنطن، فوافق، على هذه المهمة الصعبة والمحفوفة بالمخاطر، بعد دراسة متأنية، اذ أيقن بضرورة وجود المدافع وإلا سيطول الحصار إلى أجل غير مسمى، كانت خطة نوكس تتمثل برحلة إلى حصن تيكونديروجا يستخدم فيها الزلاجات في مناطق الثلج والجليد والقوارب في المياه المفتوحة لنقل تلك المدافع والذخيرة، بتكلفة لا تتجاوز ألف دولار للرحلة (١٢).

وصل هنري نوكس إلى تيكونديروجا في ٥ كانون الأول ١٧٧٥، وبعد أن جمع على الفور الذخائر المطلوبة، بدأ رحلة عودته إلى الوطن، يُظهر جرده للأسلحة أنه أخذ معه ثمانية مدافع هاون نحاسية، وستة مدافع هاون حديدية، ومدفع هاوتزر واحد، وثلاثة عشر مدفعًا نحاسيًا، وثلاثين مدفعًا حديديًا، وبرميلًا من حجر الصوان، وكمية من الرصاص. كانت أثقل المدفعية مدافع النحاس عيار ١٨ و٢٤ رطلاً، ومدافع حديدية عيار ١٢ رطلاً؛ وهو حقًا مكسب كبير لمحاصري بوسطن المنتظرين، وبوصول نوكس إلى المعسكر، مع «قافلة المدفعية»، حُسم الاحتلال البريطاني لبوسطن(١٣).

عمليات الدفاع عن نيويورك.

نُقل مسرح العمليات العسكرية إلى نيويورك ونيوجيرسي في نهاية عام ١٧٧٥، اذ أصبح معلومًا أن الحكومة البريطانية تنوي الاستيلاء على نيويورك ونهر هدسون، أمر نوكس بالتوجه إلى كونيتيكت وورود آيلاند لبناء تحصينات للنقاط على طول الساحل التي سبق أن هاجمتها القوات البريطانية وهددتها، كتب نوكس في ١٠ حزيران عام ١٧٧٦، إلى واشنطن تقريرا يوضح فيه امتلاكه مائة وواحد وعشرون مدفعًا جاهزًا للعمل، خفيفًا وثقيلًا، يتطلب خدمتهم ألفًا ومائتي رجل، في حين بلغ عدد فوجه، الموجود والصالح للخدمة، خمسمائة وعشرين ضابطًا وجنديًا؛ وأوصى بإصدار أمر بتجنيد إجباري لرفع الفوج إلى قوته العددية المطلوبة، كان اللورد البريطاني (هاو) مستعدًا، لوقف الحرب وتجنب المزيد من إراقة الدماء لكن الكونغرس القاري، أعلن رسميًا استقلال المستعمرات(١٤).

اضطر نوكس لإجراء مراسلات مكثفة مع جون آدامز، الذي يبدو أنه كان يُولي اهتمامًا بالغًا لحالة الجيش والإهمال الواضح لرجال ماساتشوستس في اختيار الضباط العامين وفي ٢٧ اب ١٧٧٦ كان على نوكس أن يعبر إلى ساحل لونغ آيلاند برفقة واشنطن يوميًا لتفقد وتوجيه خطوط الدفاع التي أقامها الأمريكيون لانسحاب القوات الأمريكية إلى نيويورك، الذي نُفذ تحت إشراف واشنطن المباشر، بعد هذه المناوشة، تراجع الجيش الأمريكي داخل خطوطه في بروكلين، وتعرض لخطرٍ كبير؛ إذ كانت تلك القوات منهكة ومُحبطة من الهزيمة، وعدوٌّ متفوقٌ في جبهتها، وأسطولٌ قويٌّ على وشك دخول نهر إيست، بهدف قطع طريق انسحابهم بفعالية؛ لكن تدخل العناية الإلهية، وحكمة القائد العام ويقظة، أنقذا الجيش الامريكي من الموت المحقق، تكشف رسائل نوكس المكتوبة في ذلك الوقت أن إحباطه كان يُعزى إلى انخفاض مستوى الكفاءة بين ضباط الجيش المرؤوسين، وإلى طبيعة المجندين غير المنظمة وغير العسكرية لقد اهتزت ثقة واشنطن في الميليشيات بسبب التجارب الأخيرة في لونغ آيلاند، ولم يكن راغبًا في مواصلة الدفاع عن نيويورك بهذه القوات، انضم نوكس إلى غرين وبوتنام، وآخرين، في دعم عزم واشنطن على التخلي عن مواصلة الدفاع عن نيويورك، لكن أغلب أعضاء مجلس الحرب صوتوا في ٦ أيلول ١٧٧٦ على الاحتفاظ بالمدينة مهما كانت المخاطر، وفي ١٢ أيلول ١٧٧٦ صوّت الكونغرس على ترك المسألة برمتها لقرار القائد العام، فبدأت الاستعدادات للإخلاء الفوري بسرعة، لدرجة أن نوكس نجا بأعجوبة من الأسر، ابان سحبه الذخائر والمؤن، وهو يتراجع في ارتباك شديد من كورلاير هوك(١٥).

ظلت رسائل نوكس تبث نفس روح الإيمان الراسخ بالنصر النهائي للأمريكيين، ويتضح ذلك في رسائله إلى زوجته وشقيقه وأصدقائه المقربين، كالجنرال ناثانيال غرين وهاري جاكسون، كما انتقد بخل الكونغرس القاري وتدخله، وقصر نظره الذي سمح بتجنيد قصير الأجل وتوظيف ضباط ليست لديهم أدنى معرفة في العلوم العسكرية، لكنه تنبأ بثقة بالنصر النهائي لجيش الأمة الناشئة التي تكافح الآن في أولى مراحل وجودها. لقد عززت روح نوكس المرحة وإيمانه الهادئ بالنجاح النهائي

إيمان القائد الأعلى(١٦).

قرر واشنطن القيام بخطوة جريئة، صُممت لشل حركة العدو وإسعاد الامريكيين المُحبطين. تمثلت بعبور نهر ديلاوير جنوبًا في ٨ كانون الأول ١٧٧٦، والزحف إلى ترينتون، وفي رسالة نوكس إلى زوجته، التي يروي فيها عبور النهر ومعركة ترينتون، أوضح فيها الدور القيادي الذي قام به منوها الى شجاعة الجنود رغم الظروف الصعبة، يقول نوكس إن «الخطة الجريئة» لمهاجمة ترينتون بهجوم عنيف قد اكتملت، ويبدو أن السيطرة على المدينة كانت من قبل المرتزقة الأجانب، وليس القوات البريطانية، قد عززت الأمل في نجاح «الخطة الجريئة». وقد تم عبور النهر بمساعدة رجال نيو إنكلاند، الذين جُنّدوا من مدن الساحل والمعتادين على إدارة الزوارق، منح نوكس في ٢٧ كانون الاول ١٧٧٦ رتبة عميد بعد النجاح الباهر في هذه المعركة، ومنذ ذلك الحين عُهد إليه بقيادة جميع المدفعية الملحقة بذلك الجيش، وصل عدد قوات واشنطن إلى ستة آلاف رجل، وقد شجعه هذا التحول الإيجابي في مجرى الأمور، فقرر واشنطن اتخاذ خطوة استراتيجية عبقرية، فعبر نهر ديلاوير مرة أخرى في ٣٠ كانون الاول ١٧٧٦ وهاجم القوات البريطانية في جيرسي، ولما سمع كورنواليس بهذه الخطوة الجريئة، سارع لملاقاته، عرفت هذه المعركة تاريخيًا باسم معركة برينستون(١٧).

أجرى نوكس، ابان تلك المدة دراسةً دقيقةً للوضع الطبوغرافي لجيرسي، أوصى بشدةٍ بالزحف إلى موريس تاون وإقامة معسكرات شتوية هناك، كانت المزايا الاستراتيجية لموقع موريس تاون كبيرة، وباحتلاله إياه، أصبح الجيش على جناح العدو، ويمكنه تغيير قاعدته في حال حدوث أي طارئ، دون صعوبة تُذكر. في هذه الأثناء، أُرسل نوكس إلى نيو إنكلاند للإشراف على صبّ المدافع وإنشاء مختبرات لتصنيع البارود ومواد أخرى، ويذكر في رسالة بعثها الى زوجته «عند وصولي الى سبرينغفيلد، فوجئتُ بالمكافأة الاستثنائية التي قدمتها الولاية البالغة (٨٦ دولارًا). لقد كتبت إلى الجنرال جرين من سبرينغفيلد وأخبرته أن هذا هو أفضل مكان في جميع ولايات نيو إنكلاند الأربع لإنشاء مختبر ومصهر مدافع، وآمل أن يأمر معاليكم بإنشائه هناك»(١٨).

اتُبِعَت نصيحة نوكس، وكان إنشاء المصانع التي تُمثّلها ترسانة الولايات المتحدة في سبرينغفيلد ثمرة جهوده الحكيمة والمُدبَّرة، ويمكن القول إنّ حقّه المُستمرّ للكونغرس كان سببًا في إنشاء العديد من المصانع والمختبرات الأخرى، وتأسيس الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت، نيويورك(١٩).

ابان تلك المدة هددت حادثة مؤسفة مسيرة نوكس المهنية بإنهاء خدمته القيّمة في الجيش الأمريكي. تمثلت بتجاوز (سيلاس دين)، أحد المفوضين الذين أرسلهم الكونغرس القاري إلى فرنسا للتفاوض مع فرنسا بشأن شروط الصداقة والمساعدة، صلاحياته في تجنيد ضباط فرنسيين بنفس رتبهم العسكرية للتعاون والخدمة في الجيش الأمريكي، كان من بين الذين قبلوا الخدمة (دوكودراي)، وهو ضابط مهندس موهوب ومتمكن وصل إلى بوسطن في أوائل أيار ١٧٧٧، متوقعًا أن يُعيَّن قائدًا عامًا للمدفعية، سمعت السيدة نوكس، آنذاك بادعاءات دوكودراي، فكتبت إلى زوجها الذي عاد إلى جيرسي: «جنرال فرنسي يدعى (دوكودراي)، يُطلق على نفسه لقب القائد العام للمدفعية القارية برتبة لواء، موجود الآن في المدينة، ويقول إن تعيينه جاء بتوصية من السيد سيلاس دين، وأنه سيتوجه فورًا إلى المقر لتولي القيادة» (٢٠).

شعر نوكس، بطبيعة الحال، بجرح عميق جراء استبداله بضابط أجنبي، فخاطب الكونغرس بعبارات حازمة ومحترمة في آن واحد، رافضًا العمل تحت قيادة من عيّنه السيد سيلاس دين، عند ذلك اتخذ الكونغرس خطواتٍ جادة وحازمة فيما يتعلق بالسيد دوكودراي، اذ قرروا أن السيد سيلاس دين قد تجاوز حدوده، وأنهم لا يستطيعون التصديق على تعيين السيد دوكودراي.

أرسل نوكس رسالة عاجلة الى الجنرال واشنطن، ويبدو من رسالة نوكس أن الجنرال البريطاني هاو حرّك جيشه بالكامل في ١٤ حزيران ١٧٧٧، مُوحيًا للأمريكيين بقرب بدء حملة عسكرية، اذ استقدم قواته من كونيتيكت ونيويورك وجزيرة ستاتن، وزوّد نفسه بعبارات عائمة ووسائل أخرى لعبور الانهار، ومع عربات الذخيرة، زادت حمولته إلى ألف ومائتي عربة. تمركز جيش واشنطن الرئيسي على طول نهر راريتان، مما جعل عبور البريطانيين إلى ديلاوير محفوفًا بالمخاطر. تمركز عند

ذلك سوليفان مع قوة صغيرة في برينستون، في حين تمركزت قوة أخرى أصغر في ميلستون، لإسناد مفرزة سوليفان في حالة تعرضت لضربة.(٢١)

توقف البريطانيين عن عبور النهر والتقدم نحو ديلاوير أو مهاجمة الجنرال سوليفان دون أي تفسير وبدأوا في التحصن على بُعد خمسة وعشرين ميلًا، يقول نوكس: «كان سلوكهم محيرًا فمن غير المبرر أن يتوقف هؤلاء الذين أعلنوا في اليوم السابق، بعبارات مُبالغ فيها، أنهم سيصلون إلى فيلادلفيا في غضون ستة أيام، فجأةً بعد أن قطعوا تسعة أميال فقط». توقفوا في موقع دفاعي ممتاز، ظل البريطانيون يُقيمون المتاريس باستمرار حتى صباح ١٩ حزيران ١٧٧٧، عندها وجد الجنرال البريطاني هاو نفسه محاصرًا من ثلاث جهات من قِبل الأمريكيين الذين بدئوا بشن غارات كثيرة، فرأى من المناسب التراجع الى الخلف، فتوجه إلى برونزويك حوالي الساعة الواحدة من صباح ١٩ حزيران ١٧٧٧، أُحيطت تحركات البريطانيين بسرية تامة، مما اضطر الأمريكيين إلى الاعتماد على التخمين والاحتمالات لمواجهة القوات البريطانية، وحتى عندما أخبر أخيرًا من نيويورك، في ٢٣ تموز، ظل واشنطن في شك بشأن وجهته النهائية(٢٢).

توجه الجنرال البريطاني هاو نحو فيلادلفيا، فظهر اسطوله عند مصب نهر ديلاوير في ٣٠ تموز ١٧٧٧، لكن قوة المقاومة جعلته يبحر مرة أخرى، تاركًا القوات الامريكية في شك بشأن نقطة هدفه النهائية، أُبلغ مرة أخرى عن اقتراب الأسطول البريطاني عند خليج تشيسابيك، فتحرك جيش واشنطن في ٢٥ اب ١٧٧٧، البالغ تعداده سبعة آلاف رجل، جنوبًا عبر فيلادلفيا إلى ويلمنجتون، وفي اليوم الأول من ايلول، كتب هنري نوكس من تلك المدينة، معلناً عن تقدم الجيش البريطاني بسرعة كبيرة، عجز الجيش القاري، رغم بطولته، عن صد تقدمه نحو فيلادلفيا، تصرف فوج المدفعية مع قائده ببرودة أعصابه وشجاعته المعهودة اذ تمكنوا من سحب مدافعهم بأكملها، أرسل نوكس الى الجنرال واشنطن، تفاصيل معركة براندیواین والتي خسرت فيها القوات الأمريكية بنحو ثلاثمائة قتيل وخمسمائة جريح، وعشرة جنود أسرى(٢٣).

كُلف هنري نوكس، ودي كالب، وسانت كلير، من قبل الجنرال واشنطن بتعزيز دفاعاته حصن جيرسي، لكن تفاجئوا بتقدم كورنواليس على رأس قوة كبيرة إلى نيو جيرسي، مما اجبرهم في التخلي عنه، وبذلك سيطرت القوات البريطاني على فيلادلفيا، بعد القضاء على المقاومة الامريكية، عُقد مجلس حرب في مقر قيادة واشنطن للنظر في جدوى مهاجمة العدو في مدينة فيلادلفيا، كان رأي نوكس معارضًا لشن الهجوم المقترح، وفي بيانه المكتوب، المقدم استجابةً لطلب واشنطن، والمؤرخ في ٢٦ تشرين الثاني ١٧٧٧، قال نوكس، بعد أن سرد أسبابًا مختلفة اوضح ان الهجوم ميؤوسًا منه، في ضوء الأحداث الماضية، وأرى أن نجمع قواتنا كاملةً، ونتخذ مواقع في جيرمانتاون، مقرنا الشتوي، ونعمل على تحصين المعسكر بشكل جيد، ثم الشروع بالمعركة ضد البريطانيين، متوقعًا أن يتجلى تفوق الأمريكيين تمامًا، واختتم قائلًا: إذا خرجوا وقاتلوا وهزمونا، فسيكون لدينا ملاذ آمن ومقر شتوي، قدم نوكس لمجلس الحرب هذه الأسباب لمواصلة معارضة الهجوم المخطط له على فيلادلفيا، وأضاف اليها النقص الكامل في الملابس؛ واستحالة القضاء على عشرة آلاف جندي بريطاني، أخيرًا، تم اختيار مقرات إقامة شتوية في فالي فورج، وهي أقرب إلى المدينة من النقطة التي أشار إليها نوكس(٢٤).

يبدو أن العمليات الحربية في أوائل عام ١٧٧٨ قد انتظرت الدبلوماسية، مقترنة بتأزم المفاوضات بين المبعوثين الأمريكيين وحكومة فرنسا، الرامية لإبرام معاهدة صداقة وتحالف، بسبب خبر استسلام بورغوين وجيشه في ساراتوجا، واخيرا أُبرمت المعاهدة في باريس في ٦ شباط ١٧٧٨، وصادق عليها الكونغرس القاري في ٢ أيار ١٧٧٨، اضطرت الحكومة البريطانية أخيرًا إلى الاعتراف بالكونغرس القاري كهيئة قانونية، وقد باءت آخر محاولة للحكومة البريطانية لضمان وقف الأعمال القتالية دون الاعتراف باستقلال الولايات الأمريكية(٢٥).

تسارع إخلاء فيلادلفيا من القوات البريطانية بعد سماع أنباء عن قرب وصول أسطول فرنسي، بقيادة الكونت ديستان، عند ذلك استعد واشنطن لتتبع أثر الجيش المنسحب، اذ عبرت أرتاله في ٢١ حزيران ١٧٧٨ نهر ديلاوير عند معبر كوريلز، في مدينة لامبيرتفيل، نيو جيرسي. ، ثم ضرب الجيش الامريكي في ٢٨ حزيران مؤخرة القوات البريطانية المنسحبة بقيادة كلينتون، وتبع ذلك معركة مونماوث، وعُقد مجلس حرب للقوات الامريكية في هوبويل في ٢٩ حزيران للنظر في

هجوم عام على ما تبقى من قوات كلينتون، أيّد ستة من الجنرالات، متابعة القوات البريطانية ومهاجمته مؤخرته وجناحيه بهجمات منفصلة وحذرة، في حين ايد ستة آخرون، منهم غرين ونوكس ولافاييت، أساليب أكثر حزمًا، عندما اندلعت معركة مونماوث، قام نوكس شخصيًا باستطلاع جبهة القوات المنسحبة، ثم امطرها بنيران كثيفة من بطارية المدفعية، وقد أثنى القائد العام على جهوده الدؤوبة وقيادته البارعة، كما يُشير بفخر في إحدى رسائله، في الأوامر العامة التي صدرت بشأن الاشتباك، يقول واشنطن إنه «يسعده إبلاغ الجنرال نوكس وضباط المدفعية بأن العدو قد أنصفهم بالاعتراف بأنه لا توجد مدفعية أفضل من مدفعية جيشنا». لشجاعتهم في مهاجمة قوة متفوقة كهذه وتحقيقهم هذه الميزة الحاسمة، أقرّ الكونغرس تصويتًا بالشكر للجنرال واشنطن وضباطه ورجاله(٢٦).

سافر واشنطن وهنري نوكس ودي لافاييت في ٢١ أيلول ١٧٨٠، من ويست بوينت إلى هارتفورد بولاية كونيتيكت للقاء روشامبو والأدميرال الفرنسي دي تيرني، للاتفاق على خطة عمليات مستقبلية، وأثناء عودتهم من هذا المؤتمر، علم الجنرالات الثلاثة بحدوث عدة تمردات، تمثلت بخيانة بنديكت أرنولد، قائد ويست بوينت آنذاك، وتمرد القوات المتمركزة في المعسكر الشتوي بالقرب من موريس تاون في بنسلفانيا، وتمرد اخر في جيرسي، كان واشنطن مصممًا على كبح جماح روح العصيان في كل مكان، فكلف نوكس بنقل خبر تمردات الجُندين إلى الكونغرس، وتقديم بيان عن الحالة المزرية للجيش إلى ولايات نيو إنكلاند، مسلحًا برسالة تعليمات صريحة من القائد العام، عرض نوكس بعبارات قوية محنة القوات، وعلى حد تعبيره، فقد أظهر «الكوارث المتفاقمة التي نتجت عن عدم دفع الأجور، لمدة تقرب من اثني عشر شهرًا، والافتقار إلى الملابس في موسم قاسٍ، والافتقار إلى المؤن في كثير من الأحيان»، والتي أعلن أنها تتجاوز الوصف». كانت مهمته ناجحة إلى حد ما، فصوتت «الهيئات التشريعية في ماساتشوستس ونيو هامبشاير» على إرسال مبلغ أربعة وعشرين دولارًا نقدًا على الفور إلى كل مجند وضابط صف التحق من تلك الولايات للحرب، كما جاءت الإغاثة من ولايات أخرى، وتحسنت حالة الجيش، في كثير من النواحي، بشكل ملموس.

اقترح واشنطن بعد تجاوز الأزمة السابقة بسلام، الاستيلاء الكامل على مدينة نيويورك لتحقيق هدفه المباشر، فتوجه برفقة نوكس إلى ويذرفيلد بولاية كونيتيكت لعقد مؤتمر مع روشامبو حول أفضل طريقة لاستخدام الأساطيل الفرنسية وجيوش الحلفاء في العمليات القادمة، كان نوكس من الجنرالات الأمريكيين القلائل الذين يتحدثون الفرنسية بطلاقة؛ فقد درسها أثناء عمله كبائع كتب في مكتبة باوز في كورنهيل؛ فتمكن من إدارة ذلك المؤتمر بطلاقة تامة، ويُرجَّح أن يكون هذا المؤتمر في ويذرفيلد هو الذي اتفق فيه جنرالات الحلفاء على التفاصيل الرئيسية للحملة الاستثنائية ذات الهدف الرئيسي والظاهري وهو حصار نيويورك، إلا أنها في حقيقة الامر كانت تهدف إلى هدف خفي بعيد المدى، وهو إرباك العدو وإلحاق هزيمة نكراء به(٢٧).

حوصر البريطانيون في مدينة يورك تاون في ٣٠ أيلول ١٧٨١، يذكر هنري نوكس بتقرير مفصل قوة المدفعية المستخدمة لحصار يورك تاون، قدمه إلى القائد العام، وقد أبلغ واشنطن الكونغرس بعد الحصار، أن خدمات نوكس لا تُقدر بثمن، وأن عبقريته وهمته في سدّ عجز الموارد الخام بدا واضحا وجليا حينما كان يوجه قذائف الهاون بنفسه ونادرًا ما كان يغادر البطاريات، أثنى الجنرال واشنطن بشكل خاص على نوكس لمهارته وكفاءته في التعامل مع المدفعية، كما أوصى بترقيته. وفعلا رقي نوكس في ٢٢ اذار ١٧٨١، الى رتبة لواء عام، لكن لم ينفذ ذلك الامر الا بتاريخ ١٥ تشرين الثاني ١٧٨١، عاد هنري نوكس الى مقره في ويست بوينت، وهنا أبلغ عن حالة التحصينات في ويست بوينت وعدم قدرتها على مواجهة أي خطر، لذا تم تعيينه قائدًا للمركز في ٢٩ اب ١٧٨٢؛ وبدأ العمل، بكامل طاقته، لإكمال وتعزيز نظام الدفاعات(٢٨).

تمكنت القوات الامريكية من أسر اللورد كورنواليس وجيشه بعد معارك طاحنة وبذلك انتهت الحرب تقريبًا، وعند ذلك دار الحديث عن تفكيك الجيش الأمريكي وتسريحه بسبب التكاليف الباهظة مع الاحتفاظ بقوة معقولة، إلا أن تفكيك الجيش الأمريكي تأخر طويلًا بعد ذلك بسبب التأخر في توقيع معاهدة السلام التمهيدية التي وُقّعت في ٣٠ تشرين

الثاني ١٧٨٢؛ وخلال العامين اللذين تخللتا وقف الأعمال العدائية وإبرام معاهدة السلام، كان من الضروري إبقاء الجيش مسلحًا. عُيّن الجنرال نوكس والحاكم موريس مُفوضَين لترتيب تبادل عام للأسرى، وتسوية نفقات إعالتهم، وتوفير معيشتهم طالما يُعتبرون شرعيًا في عهدة الشعب(٢٩).

تألفت لجنة من الضباط العامين برئاسة هنري نوكس في أوائل كانون الاول ١٧٨٢، صاغت هذه اللجنة بيان هادئ ومحايد وُجهته إلى الكونغرس اوضحت فيه مظالم الجنود والضباط والمبالغ المستحقة للجيش، واقترحت استبدال نصف الراتب مدى الحياة الممنوح للضباط بمبلغ محدد، وتسوية مسألة المعاشات التقاعدية المستقبلية للجنود، ومتأخرات الرواتب، وغيرها من مطالبات الرتب والملفات المهمة الاخرى.

كتب نوكس إلى الجنرال ماكدوغال، يناشده بشدة أن يُطلع أعضاء الكونغرس المتباطئين عن حجم الأضرار التي جلبها تقاعسهم، وفي هذا الوقت تقريبًا، خطرت لـ(نوكس) فكرة جديدة، وهي تنظيم جمعية لتخليد الصداقات التي شكلها ضباط الجيش وتوفير الرعاية لأراملهم المعوزين وأطفالهم اليتامى؛ وكان على كل ضابط، عند انضمامه إلى الجمعية المساهمة في صندوقها براتب شهر واحد اطلق على هذه الجمعية تُسمية «سينسيناتي كانت خطة نوكس كاملة، حتى أصغر تفاصيل ختم الجمعية وشارتها، كما أوصي بأن يُطلب من الكونت دي روشامبو تقديم أسماء الضباط الأجانب المؤهلين للانتخاب لعضويةالجمعية(٣٠).

وجه واشنطن اللواء هنري نوكس في ٢٦ اب عام ١٧٨٣، بالاستعداد لدخول نيويورك والاستيلاء عليها، وفي ٢٥ تشرين الثاني عام ١٧٨٣، استولى نوكس، على رأس قواته، على مدينة نيويورك عسكريًا. ثم بدأ بتوزيع الحراس اللازمين لحفظ النظام، بعد ان أخلى الجيش البريطاني المدينة، عاد نوكس إلى ويست بوينت بعد انتهاء السيطرة الأمريكية لمدينة نيويورك رسميًا وبسلاسة، ، عند ذلك قُدّم له شكر رسمي من قبل مواطني الولاية لاهتمامه بحقوقهم، وعلى الحفاظ على السلام والنظام العام(٣١).

وظف نوكس ما اكتسبه من دراسة العلوم العسكرية والخبرة الميدانية، في تطوير وتحسين مشاريع الدفاع عن بلاده وتعزيز هيبة الجمهورية الجديدة، بقدر ما يسمح به قانون ترسيخ السلام الذي ينتهجه الكونغرس المقتصد، تبادل نوكس وواشنطن مراسلاتٍ كثيرة حول هذا الموضوع، وفي رسالةٍ مؤرخةٍ في ٣ كانون الثاني ١٧٨٤، أبلغ هنري نوكس الجنرال واشنطن أنه شارف على إنهاء خدمته العسكرية في ويست بوينت، وأنه مستعدٌ للتقاعد اذ أشار الى ان ما يتقاضاه من أجور عن المناصب التي تقلدها لا تكفي لسد متطلبات المنصب، قال: «أعتقد أنني لم أذكر لسعادتكم أفكاري حول رواتب المناصب التي قد ترتبط بها؛ أي مهام وزير الحرب، ورئيس هيئة المدفعية، وقيادة أي قوات أخرى تسند لي قيادتها»، كما أسندت المحكمة العامة لولاية ماساتشوستس في صيف عام ١٧٨٤ الى نوكس رئاسة لجنةٍ التعامل مع هنود بينوبسكوت وحثّهم على التنازل عن جزءٍ من أراضيهم الواقعة على نهر بينوبسكوت، مقاطعة مين، اذ لا تزال تلك المنطقة تابعةً لولاية ماساتشوستس، وبعد نقاش مستفيض، قرر الكونغرس رفض طلب هنري نوكس للتقاعد واستمراره في منصب وزير الحرب، حُدد الراتب بمبلغ ٢٤٥٠ دولارًا أمريكيًا، على ان يوفر شاغل المنصب من راتبه أجر كاتب أو مساعد، وفي ٨ اذار ١٧٨٥، صدر قرار بذلك(٣٢).

استطاع وزير الحرب(هنري نوكس) بحكمته من إخماد تمرد شايز الذي نشب بسبب الأوضاع المزرية التي كان يعاني منها جنود وضباط الثورة بسبب ارتفاع الضرائب والسياسية الاقتصادية الخاطئة التي زادت من معاناتهم، لذا كتب نوكس إلى الحاكم موريس يحثهم الى عقد مؤتمر لوضع دستور جديد، اثمرت تلك المناشدات بعقد المؤتمر في فيلادلفيا في ايار ١٧٨٧، للنظر في وضع الهيئة الحاكمة للولايات المتحدة، اقترح هنري نوكس تشكيلها من جمعية أو مجلس نواب يُختار لمدة سنة أو سنتين أو ثلاث سنوات؛ ومجلس شيوخ يُختار لمدة خمس أو ست أو سبع سنوات؛ اما السلطة التنفيذية، فتكون تحت مسمى الحاكم العام، تُختار من قبل الجمعية ومجلس الشيوخ لمدة سبع سنوات، ولكنها عرضة

للمساءلة من قبل مجلس النواب ومحاكمتها من قبل مجلس الشيوخ؛ وسلطة قضائية يُعينها الحاكم العام بحسن سلوك، ولكنها قابلة للمساءلة من قبل مجلس النواب ومحاكمتها من قبل مجلس الشيوخ؛ والقوانين التي تُصدرها الحكومة العامة تُطيعها الحكومات المحلية، وعند الضرورة، تُنفذها قوة مسلحة، وتُحفظ للأغراض التي ينبغي تحديدها؛ وجميع الأهداف الوطنية تُصمم وتُنفذها الحكومة العامة دون أي إشارة إلى الحكومات المحلية، اهتم هنري نوكس بالصراع الدائر في ولاية ماساتشوستس التي ينتمي إليها حول التصديق على الدستور من عدمه، وبعد نقاش طويل بين الفئات الفاعلة في الولاية صادقت ماساتشوستس على الدستور في ٦ من شباط ١٧٨٨ (٣٣).

شكل الرئيس واشنطن حكومته ١٧٨٩–١٧٩٤، واسند منصب وزير الحرب الى صديقه المقرب الكفوء (هنري نوكس) تضمن هذا المنصب قيادة جيش الولايات المتحدة البري فضلا عن قيادة القطعات البحرية، كما كُلّف أيضا برعاية شؤون الهنود وتوزيع الأراضي التي يطلق عليها اراضي المكافأة بين الجنود، وصلاحيات تنفيذية واسعة في الشؤون العسكرية، اسند الرئيس جورج واشنطن هذه الصلاحيات الى وزير الحرب بموجب الدستور(٣٤).

حثّ (هنري نوكس) بصفته وزيرًا للحرب خلال عامه الأول في منصبه، هيئة الكونغرس بمنحه الموافقة على تنفيذ ما يعرف بـ(التشكيل الفيلقي) الذي كان يُفترض أن يُلتحق به جميع مواطني الولايات المتحدة الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانية عشر وستين عامًا، على ان يتكون ذلك التشكيل من ست فرقاطات، واجهت خطته تلك معارضة قوية من قبل أعضاء الكونغرس بسبب ما يعرف بالتجنيد الالزامي والذي يتطلب توفير أموال لتنفيذه، وابان تلك المدة حاول البعض الإطاحة بهنري نوكس من خلال توريطه بحادثة المبعوث الفرنسي الذي سعى إلى اشعال الحرب بين الولايات المتحدة و بريطانيا العظمى، من خلال الضغط على وزير الحربية في استخدام موارد وزارته في تنفيذ مخططاته الحربية ضد بريطانيا العظمى، فُرضت تلك الحجج على الوزير هنري نوكس لكنه استطاع اثبات براءته بتدوّين محضرًا للمحادثة التي أجراها مع المبعوث الفرنسي جينيه، واطلاع الرئيس جورج واشنطن على تلك المحاضر، وما لبثت ان تَهدئ تلك الحادثة حتى ثارت المقاطعات الغربية الثلاث في بنسلفانيا ضد بعض قوانين الكونغرس التي نصت على فرض ضرائب على الويسكي، تسلّح الساخطون، وتحدّوا القانون والحكومة الفيدرالية، اذ تجمع المتمردون في ميدان برادوك، ونظّموا أنفسهم في حشد مسلح وأقسموا على المقاومة، تمكن وزير الحرب(هنري نوكس) بالتعاون مع الرئيس واشنطن من معالجة الوضع باستدعاء القوات العسكرية من باقي الولايات (فرجينيا، ماريلاند، وبنسلفانيا، ونيوجيرسي) للمساعدة في قمع التمرد وهزيمته(٣٥).

ان الاحداث السابقة، لم تُضعف من عزم نوكس على العمل، ولم تُبعده عن خطته للتقاعد والعيش في حياة خاصة بعد ان قضى معظم سنوات شبابه في خدمة وطنه، كان لوفاة صديقه المقرب الجنرال ناثانيال غرين، الذي ترك عائلةً بدون معيل، بعد مسيرة حافلة بالخدمة الوطنية المشرفة، أثّر كبير في نفس نوكس لذلك اتجه بعد ان حل زمن السلم، بالتفكير طويلا في إهمال مصالح عائلته، والتوجه للتقاعد، غادر وزير الحرب السابق فيلادلفيا في الأول من حزيران عام ١٧٩٥ متوجهاً إلى ضيعته في مقاطعة مين، واشتغل بعد التقاعد في مختلف المهن، منها مزارع وصانع ومربي ماشية، ومساهما في الشؤون العامة، اذ عُيّن رئيسا للجنة تحديد الوضع الحقيقي لنهر سانت كروا الذي يمثل الحدود الشرقية للولايات المتحدة، ومشروع قناة كيب كود، لربط مياه خليج بوزارد وخليج بارنستابل(٣٦).

اتصف هنري نوكس بصفات كثيرة ابرزها الشجاعة والكرم اذ تبرع بسخاء لبناء كنيسة في توماستون كما تبرع بخمسين دولارًا لإغاثة بنات الكونت دي غراس الأربع، تقديرًا لخدماته في يوركتاون، اذ كانت هؤلاء السيدات في جزر الهند الغربية يعانين من ضائقة مالية كبيرة، اذ مارست الشخصية المهيمنة للوزير المتقاعد ورجل الدولة تأثيرًا واسع النطاق في كل نشاط في البلاد، سواءً كان اجتماعيًا أو صناعيًا أو سياسيًا أو دينيًا، انتهت مسيرة حياته، التي حلّت على جيرانه ومواطنيه كالكارثة المفاجئة، في ٢٥ تشرين الاول عام ١٨٠٦، اذ ابتلع هنري نوكس سهوًا قطعة صغيرة من عظم دجاج، استقرت

في أمعائه، مسببةً له ألمًا ووفاة عن عمر يناهز ٥٦ عامًا(٣٧).

الخاتمة:

ظل نوكس «رجل الثورة المنسي» رغم إسهاماته البارزة، بسبب التركيز التاريخي على شخصيات مثل واشنطن وجيفرسون، تمثلت تلك الاسهامات في أفكاره العسكرية في تأسيس الأكاديمية الحربية والإصرار على بناء التحصينات على طول السواحل كنقطة دفاع متقدمة ضد أي هجوم محتمل، فضلا عن أفكاره في انشاء مصانع الذخيرة والسلاح كي لا تستخدم كورقة ضغط على الولايات المتحدة عند الحاجة فعدة تلك الافكار حجر الزاوية في تأسيس المؤسسات الدفاعية الأمريكية، تمكن من خلال اطلاعه على الكتب العسكرية من تحويلها من مجرد معرفه نظرية من الكتب إلى انتصارات ميدانية، مجسدًا دور المثقف في صناعة التاريخ، اتضح ذلك جليا في بناء هندسة التحصينات واستخدام العلم في دراسة نقاط قوة وضعف العدو في المعركة للتغلب عليه وخير دليل على ذلك نقله للمدفعية من أماكن بعيدة بوسائل نقل بدائية في ظروف جوية قاسية جدا تمكن بعد عملية النقل تلك من حسم الكثير من المعارك وفك الحصار عن مدن أخرى، وبسبب اطلاعه على مختلف العلوم والمعارف من خلال عمله كبائع كتب تمكن من اكتساب مهارة جيدة في التعامل مع مختلف الفئات وفي مختلف الظروف اذ تمكن من القضاء على تمرد شايز ومشكلة الهنود وعقد معاهدة معهم وتمكن بحكمة من تجنب الولايات المتحدة الامريكية من الدخول في إشكالات سياسية مع بريطانيا العظمى في حادثة جينيه الفرنسي.

عرف عنه السخاء وحبه للخير والمساعدة فتجد اسمه ومشاركته موجودة في اغلب الاعمار الخيرية والدينية ويتضح ذلك جليا في تأسيس جمعية سينسيناتي التي تضم قدامى المحاربين والتي هدفت لرعايتهم ورعاية ايتامهم، لم يمنح المحارب ووزير الحرب الراحة لنفسه ولعائلته بل انعكس ذلك عليهم خاصة في انشغاله عنهم بإدارة الوزارة اذ انعكس بالسلب عليهم ماديا مما جعله يستند على أملاك زوجته حاول فيما بعد تعويض ذلك من خلال التقاعد المبكر ليعيش مع اسرته وتعويضهم عما فات لكن المنية كانت اليه أسرع.

المصادر:

1. Francis S. Drake, Life And Correspondence Of Henry Knox, Boston: Samuel Drake, 1873.

2. Noah Brooks, Henry Knox, A Soldier Of The Revolution, New York: G.P. Putnam›s Sons, 1900.

3. Henry Knox, American National Biography Online, 2000.

4. Mark Mayo Boatner, Encyclopedia Of The American Revolution. Stackpole Books, 1994.

5. James Kirby. Martin, Benedict Arnold, Revolutionary Hero. Nyu Press, 1997.

6. Susan Ware Forgotten Heroes: Inspiring American Portraits from Our Leading Historians, New York: Free Press, 1998.

7. James Thomas Flexner, George Washington In The American Revolution, Little, Brown, 1967.

8. Ketchum Higginbotham, The War Of American Independence: Military Attitudes, Policies, And Practice, 1763–1789, New York: Macmillan, 1971.

9. Don Higginbotham, The War Of American Independence: Military Attitudes, Policies, And Practice, 1763–1789, New York: Macmillan, 1971.

10. Richard M. Ketchum, Victory At Yorktown: The Campaign That Won The Revolution. Henry Holt, 2004.
11. North. Callahan, Henry Knox: General Washington›s General, New York: Rinehart, 1958.
12. Ron Chernow Washington: A Life, New York: Penguin Press, 2010.
13. Willard Sterne Randall, George Washington: A Life. Henry Holt, 1997.
14. John F. Luzader, Saratoga: A Military History of The Decisive Campaign Of the American Revolution. Savas Beatie, 2008.
15. John Ferling, Almost A Miracle: The American Victory In The War Of Independence, New York: Oxford University Press, 2007.
16. Henry Knox, Henry Knox: His Military Journal. Da Capo Press (Reprint), 1972.
17. Charles Neimeyer, Henry Knox And The Transformation Of The American Artillery. Journal Of Military History, Vol. 63, No. 3, 1999.
18. Larrie Ferreiro, Guns And Independence: The Artillery Of The American Revolution, Military History Quarterly, 2011.
19. Michael A Bellesiles, The Origins Of Gun Culture In The United States, The Journal Of American History, Vol. 83, No. 2, 1996.
20. Charle Royster, A Revolutionary People At War, University Of North Carolina Press, 1979.
21. Michael Glover, Washington's Artillerist: The Strategic Genius Of Henry Knox, Military Review, 2003.
22. John K Mahon, The American Militia: Decay And Reconstruction, Military Affairs, Vol. 26, No. 4, 1962.
23. Dave Richard Palmer, The Way Of The Fox: American Strategy In The War For America, 1775–1783., Greenwood Press, 1975.
24. The Papers Of George Washington, Revolutionary War Series. (University Of Virginia Press), Journals Of The Continental Congress, 1774–1789.
25. The American Archives, Series 4 And 5. Documents Of The Continental Congress And Revolutionary Period.
26. U.S. Army Center Of Military History – Biography Of Henry Knox: Https://History.Army.Mil
27. Joseph J. Ellis, Founding Brothers: The Revolutionary Generation., New York: Alfred A. Knopf, 2000. Pp 88–92.
28. David. V Mccullough, 1776. New York: Simon & Schuster, 2005, Pp.178–180.
29. Mark Puls, Henry Knox: Visionary General Of The American Revolution, New York: Palgrave Macmillan, 2008.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

الالتزام بمذهب إمام وأثره في الفقه الإسلامي

أ.م.د. محمد حسين عودة جمعة
جامعة الفلوجة/ كلية العلوم لإسلامية



للمستخلص:
امتازت شريعة الإسلام العموم والخلود، فكانت أحكامها شاملة لكافة ميادين الحياة، إما تصريحا وإما تلويحا لتكتمل الشريعة بوضع القواعد الأساسية والخطوط العريضة؛ لتندرج تحتها كافة القضايا والأمور التي تتغير بتغير الأزمان والعادات والأعراف والبيئات، فالقضايا الثابتة التي لا يؤثر فيها اختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال فقد عالجتها الشريعة بأحكام مفصلة وذلك العبادات وأحكام الزواج والطلاق والمواريث.
الكلمات المفتاحية: شريعة الإسلام، الأحكام، القواعد الأساسية، القضايا.

Abstract:

Islamic law is characterized by its universality and timelessness. Its rulings encompass all aspects of life, either explicitly or implicitly, thus completing the law by establishing fundamental principles and broad guidelines. All issues and matters that change with time, customs, traditions, and environments fall under these principles. The fixed issues that are not affected by differences in time, place, and circumstances are those that remain constant. Islamic law addresses these issues with detailed rulings, including those related to worship, marriage, divorce, and inheritance.

Keywords: Islamic law, rulings, fundamental principles, issues.

المقدمة:

الحمد لله ولي كل فضل ونعمة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة،وعلى آله وأصحابه،ومن سار على إثرهم في استنباط الحكم والحكمة وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. وبعد :

تركت الشريعة للمجتهدين مهمة الاستنباط من القواعد والنصوص العامة لتجد الحكم لكل ما يستجد على هذه الأرض ، حيث حثت الشريعة على الاجتهاد وجعلته فرضا على الأمة؛ لأنه المصباح المنير الذي يستضاء به للكشف عن حكم الله في الوقائع والأحداث المتتابعة. كما وأعطت للعقل البشري حريته لكن مقيدة في استنباط الحكم ،فلا قيمة للاجتهاد إن لم يكن راجعا للكتاب والسنة وإجماع الأمة، ولا عبرة بالاستنباط ما لم يكن له ملكة الاستنباط وأدواته ، والا وجب على غير العارف أن يسال العارف؛ فلهذا جاء هذا البحث ليبين مدى التزام العامي ومدى صلته بهذا المجتهد العارف.

وقسمته بعد هذه المقدمة على تمهيد وسبعة مباحث :

التمهيد: بيان مفردات العنوان

المبحث الأول: حقيقة الإمام وصفاته

المبحث الثاني: التزام العامي بمذهب إمام معين

المبحث الثالث :الانتقال من مذهب إمام إلى مذهب آخر

المطلب الأول: الانتقال من مذهب إمامه إلى مذهب إمام آخر

المطلب الثاني: المخالفة الجزئية

المبحث الرابع : موت الإمام

المبحث الخامس: فتوى الملتزم بمذهب امام

المطلب الأول: المفتي في المذهب .

المطلب الثاني: الإفتاء بغير مذهب الإمام .

المطلب الثالث: تعدد الأقوال .

المبحث السادس: أثر الالتزام بمذهب الإمام
المبحث السابع : ضوابط الالتزام بمذهب
وخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها.
وختاما .... أسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم أجمعين .
التمهيد: بيان مفردات العنوان
لما كان العنوان مركبا من أكثر من كلمة وهي :الالتزام ، والمذهب ، والإمام، فمما لابد منه أن نتعرف على كل واحد منها على حدة ،لان المركب لا يفهم المراد منه إلى بعد معرفة أجزائه، وذلك من خلال معرفة المعنى اللغوي ثم الاصطلاحي لكل منها باعتبار الأجزاء.
أولاً:الالتزام :
لغة: اعتناق الشيئ من غير مفارقة له، قال ابن منظور: الالتزام الاعتناق والجمع لوازم(١)، يقال: لزمه الشيء يلزمه إذا لم يُفارقه (٢) ،(قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) (٣) أي عذابا دائما وهلاكا مقيما لا ينفك عنه (٤)،ومنه يقال : لما بين الكعبة والحجر الأسود الملتزم ؛ لأن الناس يلزمونه ويعتنقونه ويضمونه إلى صدورهم (٥).
اصطلاحاً: اعتناق آراء مذهب من مذاهب أئمة الاجتهاد (٦).
ثانياً:المذهب : يأتي المذهب في قواميس اللغة العربية لأكثر من معنى يمكن حصرها بما يأتي:
أولاً:الطريق والمعتقد الذي يذهب إليه الشخص . يقال ذهب فلان مذهبا حسنا أي معتقدا حسنا وطريقة حسنة .
ثانياً: الأصل : يقال ،فلان ما يدرى له مذهبٌ أي لا يُدرى أين أصله (٧).
ثالثاً:المتوضأ: وهو مَفْعل مِن الذَّهَاب لأنه يُذْهب إليه(٨)، ومنه (أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد الغَائِطَ أبعد في المذهَب) .
المذهب :
اصطلاحاً: هو رأي الإمام المجتهد في المسائل الشرعية الفرعية (٩).
وعرف بأنه :الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية،وأسبابها وشروطها وموانعها والحجاج المبينة للأسباب والشروط والموانع (١٠).
الإمام : يأتي لمعان عدة اشهرها ما يأتي :
أولاً: المتبع ، كل من التم به قوم سواء أكانوا هادين أم ضالين ، ولغة القران شاهدة بذلك ،(يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) (١١) أي سواء كانوا هادين أم ضالين، وجمعه أئمة وإمام، (وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ)(١٢) ، أي قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم، (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)(١٣)، قال ابو عبيدة: هو واحدٌ يَدُلُّ على الجَمْع، لكن قال غيره جَمْعُ آمٍ أي قاصد(١٤) .
ثانياً:الطريق:(فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ)(١٥) أي لبطريق يؤم فيتميز قوم لوط وأصحاب الأيكة ؛فجعل الطريق إماما لأنه يؤم ويتبع (١٦).
ثالثاً: القُرْآنُ . لأنَّه يُؤَمُّ به (١٧) .
رابعاً:الخيط الذي يمد على البناء، فيبنى عليه ويسوى عليه ساف البناء ، ومنه قول بعضهم يصف سَهْمًا :
وَخَلَّقْتُه حَتَّى إذا تَمَّ واسْتَوى كَمُخَّة ساق أو كَمَتن إمام أي كهذا الخَيْط الممدود على البناء في الامْلاس والاسْتِواء(١٨).
خامساً:حادي الإبل وهاديها :إمام الإبل وإن كان وراءها لأنه الهادي لها (١٩).
الإمام اصطلاحاً:هو من توافرت فيه شروط الاجتهاد وصارت له ملكةالاستنباط (٢٠).
الالتزام بمذهب إمام .

اصطلاحا : انتماء المكلف العامي العاجز عن معرفة الحكم الشرعي بدليله إلى مذهب إمام(٢١) .

المبحث الأول:

حقيقة الإمام وصفاته:

وفيه ثلاثة فروع وكما يأتي:

الفرع الأول : حقيقة الإمام هو من تكونت عنده ملكة قادرة على تحصيل الأحكام الشرعية من الأدلة التفصلية من غير تقييد ولا تقليد(٢٢)، وقد أطلق عليه العلماء اسم :المجتهد والمستثمر والفقيه والمفتي(٢٣). قال ابن أمير الحاج: والمفتي المجتهد وهو الفقيه(٢٤)، وقال ابن بدران : أن المفتي يعني المجتهد ينقسم إلى مستقل وغير مستقل فالمستقل هو المجتهد المطلق.(٢٥)

وقال الشوكاني: إن المفتي هو المجتهد. ومثله قول من قال: إن المفتي هو الفقيه لأن المراد به المجتهد في مصطلح الأصول(٢٦).

الفرع الثاني : صفات الإمام

ونعني بها الشروط التي لابد من توافرها فيمن يتبع ويقتدى به،وهذه الصفات قد اختلف فيها العلماء إلى اتجاهات وطرق عدة مابين متساهل ومتشدد ،ومابين مقل ومكثر وسنذكر جملتها بالقدر الذي لا يخل بتعدد المناهج ،ولا بتهيئة الإمام المجتهد لالتزام مذهبه :

الشرط الأول: أن يكون محيطا بآيات الأحكام وأحاديثها، فيكون عالما بمواضعها متى أراد الرجوع إليها،ومعرفة سند الحديث وحال الرواة فيه ،وترجيح بعض الروايات على بعض .

الشرط الثاني : معرفة الناسخ والمنسوخ من القران والسنة

الشرط الثالث : له إطلاع على مسائل الإجماع .

الشرط الرابع :ان يعرف وجوه القياس وشرائطه المعتبرة وعلل الاحكام وطرق استنباطها من النصوص .

الشرط الخامس :أن يكون عالما باللغة العربية نحوها وصرفها وبيانها وحقيقتها ومجازها وغير ذلك مما يتعلق بمباحث الألفاظ .

الشرط السادس:معرفة أصول الفقه لأنه عماد الاجتهاد وأساسه وصمام أمانه .

الشرط السابع: أن يكون له ملكة الممارسة والتتبع لمقاصد الشريعة ما يكسبه قوة يفهم منها مراد الشرع من ذلك وما يناسب أن يكون حكما له في ذلك المحل وإن لم يصرح به كما أن من عاشر ملكا ومارس أحواله وخبر أموره إذا سئل عن رأيه في القضية الفلانية يغلب على ظنه ما يقوله فيها وإن لم يصرح له به(٢٧).

الفرع الثالث: مراتب الأئمة المجتهدين

لعل من المناسب جدا أن نتطرق لهذه المراتب ولوعلى سبيل الإجمال لأجل معرفة حال المفتين والمجتهدين ليكون المفتي المقلد أو المستفتي بوجه عام على بصيرة واقية وكافية في التمييز بين الأقوال والترجيح بحسب تلك المراتب؛ وقد وضح ذلك الامام ابن كمال باشا فقال :(لابد للمفتي المقلد ان يعلم حال من يفتي بقوله ولا نعني بذلك معرفته باسمه ونسبه ونسبه إلى بلد ما ؛إذ لا يسمن ذلك ولا يغني ،بل معرفته بالرواية ودرجته في الدراية وطبقته من طبقات الفقهاء ،ليكون على بصيرة واقية في التمييز بين القولين المتخالفين). وقد اختلف العلماء في منهج عرض هذه المراتب وسأختار تقسيما ملخصا بمرتبتين:

المرتبة الأولى: المجتهد المطلق ، وينقسم إلى قسمي:

الأول: مجتهد مطلق مستقل : وهو الذي يستخرج الإحكام من مضانها الاصليه، ويسلكون سبل الاستدلال الأخرى التي يعتمدونها،فيأخذون من الكتاب والسنة ويقيسون على نصوصها،ويفتون بالمصالح إن رأوها،وفي كل ذلك دون إتباع لأحد (٢٨)ومن رجال هؤلاء المرتبة فقهاء الصحابة ومنهم الخلفاء الاربعة (٢٩) وفقهاء التابعين ومن بعدهم وهم كثر منهم: سعيد بن المسيب (٣٠)، وإبراهيم النخعي(٣١)، والاوزاعي(٣٢)، والليث بن سعد (٣٣)، وسفيان الثوري(٣٤)، والإمام جعفر الصادق(٣٦) والأئمة الأربعة أبو حنيفة(٣٦) ومالك (٣٧)والشافعي (٣٨)واحمد(٣٩) .

الثاني: مجتهد مطلق غير مستقل – المنتسب –: وهم القادرون على استنباط الأحكام معتمدين على القواعد المقررة من لدن الإمام المستقل مع إمكان مخالفته في الجزئيات والفروع وممن نسب إلى هذه المرتبة أبو يوسف(٤٠) ومحمد بن الحسن(٤١) وزفر (٤٢)عند الحنفية ، وابن قاسم(٤٣) وأشهب(٤٤) وسحنون عند المالكية ، والزعفراني(٤٥) والبويطي(٤٦) والمزني(٤٧) عند الشافعية ،ومن الحنابلة صالح أبو بكر المشهور بغلام الخلال(٤٨).

المرتبة الثانية: مجتهد المذهب (المقيد) وهو على ثلاثة مراتب :

المرتبة الأولى : مجتهد تخريج :وهو من يقرر أصول مذهبه بالدليل وخرج عليها ويتمكن الاحكام في الوقائع التي لم يرد فيها نص عن إمامه وهو ما يطلق عليه الآن التخريج على نص الإمام أو تخريج الفروع على الفروع. ومن هؤلاء الكرخي (٤٩) والطحاوي(٥٠) والسرخسي(٥١) من الحنفية ، والابهري(٥٢) وابن أبي زمنين (٥٣)من المالكية ، وأبو إسحاق الشيرازي (٥٤)والمروزي(٥٥) والاسفرايني(٥٦) من الشافعية ، والخرقي وأبو يعلى من الحنابلة (٥٧)،ويسميهم ابن القيم بأصحاب الوجوه والطرق، وقريب منه النووي سماهم اصحاب الوجوه (٥٨) .

المرتبة الثانية: مجتهد ترجيح : وهو من له أهلية الترجيح بين أقوال إمامه وروياته والتخريجات المختلفة في المذهب وفق أصول الترجيح لدى امامه،وممن ذكر من هذه الطبقة :أبو الحسن القدوري (٥٩)، والكاساني(٦٠)من الحنفية ، ومن المالكية المازري(٦١) وابن رشد(٦٢) والقرافي،ومن الشافعية الغزالي(٦٣) والنووي ومن الحنابلة ابن قدامة (٦٤) والمرداوي .

المرتبة الثالثة : مجتهد فتوى : وهو الحافظ المتقن صحيح الفهم لمذهب إمامه في واضحاته ومشكلاته ولكن ضعف في تقرير ادلته وتحرير أقيسته ،علما أن ابن السبكي وصاحب مراقي السعود أرادوا به مجتهد التخريج .

فيتبين لنا ان كل مرتبة تلي مرتبة المجتهد المطلق أو امام المذهب هي ملتزمه بأقواله ومقلدة له ،وان خالفوه ببعض الأحكام الفرعية كالذي يجري لمجتهد المذهب،لكونهم لايخالفون امامهم في قواعد الأصول غالبا؛ لان المخالفة النادرة غالباً لاتضر، فلا يعترض بان هناك من مجتهدي المذهب من له أصول مستقلة عن امامه كأبي يوسف والمزني واليوطي وغيرهم ممن هو في طبقتهم فاجتهادهم كان تبعا لاثره وليس خروجا عنهم ، وغير مجتهد المذهب يتبع من باب اولى . ومن ثمة يقال: كل من عمل بقواعد المجتهد أنضم اليه والتزامه . والمجتهد المطلق يمتاز عن غيره بخصال، وبيانه بما يأتي :

أولا :التصرف في الأصول التي عليها بناء مجتهداته .

ثانيا: تتبع الآيات والأحاديث والآثار لمعرفة الأحكام التي سبقه غيره إليها .

ثالثا: اختيار بعض الأدلة المتعارضة على بعض ،وبيان الراجح من محتملاته،وبيان مأخذ الأحكام من تلك الأدلة.

رابعا:الكلام في الأسئلة التي لم يسبق بالكلام عنها أخذا من تلك الأدلة (٦٥) .

المبحث الثاني: التزام العامي بمذهب إمام معين

بدءا أقول: ينقسم المكلفون إلى قسمين :

القسم الأول : علماء مجتهدون بلغوا من العلم والمعرفة ما يكيفهم للوصول إلى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية كما أسلفنا ذلك قبيل هذا، وفرض هؤلاء إتباع الحق الذي يرونه بدليله ، بل يرى جمع من العلماء أن هذا القسم قائم في الأمة مقام نبيها صلى الله عليه وآله وسلم بأمرين هما: وراثة علم الشريعة وإبلاغها للناس ، وبذل الوسع في استنباط الأحكام. والدليل على ذلك ما يأتي :

اولا: قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (... إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) (٦٦).

وجه الدلالة:

تصريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بان ورثته هم أهل العلم .

ثانياً: قوله صلى الله عليه وآله وسلم :(... ليبلغ الشاهد منكم الغائب فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ...) (٦٧).

وجه الدلالة :

التحضيض ممن علم شيئا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو سمعه منه ان يبلغه لغيره ولايكتمه وليس معنى لهذا سوى

ان المجتهد نائب عن النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ الامة وارشادها .

ثالثا:إن الإمام كاشف عن حكم الشرع ، وإذا كان مظهرا ومبينا لحكم الشرعي فهو واجب الاتباع ،وهذه حقيقة الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦٨).

القسم الثاني: من لم يبلغ درجة الاجتهاد ،وسواء في ذلك طالب العلوم الشرعية وغيره كان من الطبقة المثقفة ام ما يطلق عليهم العامة،الا ان هناك من العلماء من قسم هؤلاء الى قسمين : هما العامي الصرف وهو من ليس له اي دراية لاستنباط الحكم الشرعي ، وفرض هؤلاء البحث عن إمام وسؤال أهل العلم حيثما كانوا، وبهذا قال جمهور العلماء (٦٩). قال السبكي : ذهب جمهور العلماء الى ان العامي الصرف الذي لم يحصل شيئا من العلوم التي يترقى بها الى منازل المجتهدين يجب عليه التزام مذهب امام في جميع فروع الشريعة ولا ينفعه ما عنده من علوم لاتصل به الى رتبة الاجتهاد وان كانت عدد الحصى ،وأما العلم الذي تعالى عن رتبة العامة وكان له من الفهم ما يفوقهم ولم يصل إلى رتبة الاجتهاد فحكمه حكم العامي الصرف لأنه عاجز عن الاجتهاد (٧٠)،وقال ابن امير الحاج:(غير المجتهد المطلق يلزمه التقليد وان كان عالما) (٧١) مستدلين بما يأتي :

اولاً:(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)(الأنبياء: ٧).

وجه الدلالة:

الإرشاد الإلهي والإلزام الرباني لمن لا يعلم بسؤال أهل العلم وتصديق أقوالهم للوصول إلى الحكم الشرعي من طريق المتخصصين الذين درسوا قواعد الشريعة واصولها وبلغوا الاهلية فيها بالعلم المبني على الدليل .

ثانياً: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا)(النساء: ٨٣).

ثالثاً: عن جابر رض الله عنه قال: (خرجنا في سفر فأصاب رجلا منّا حجرٌ فشجَّه في رأسه ثُم احتلم فسأل أصحابه ،فقال هل تجدونَ لي رخصة في التيمم؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الْمَاء، فَاغْتَسل فمات فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبِرَ بذلك، فقال :قتلُوهُ قتلَهُمْ الله ألا سألُوا إذْ لم يعْلَمُوا فإنَّما شِفَاءُ العِيِّ السُّؤال إنما كان يكْفِيهِ أنْ يتيَمَّم ويَعصر أو يَعصب شكَّ مُوسَى على جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عليها وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِه) (٧٢)

وجه الدلالة :

توجيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحابة على السؤال، والبحث عن العالم في هذه المسالة ، ولايجوز له ان يتعبد الله من غير معرفة والفتوى من غير علم قتل.

رابعاً :اجمع المسلمين على أن الاعمي يقلد من يثق به في أمر القبلة والعامي لا بصر له بالأدلة فيتعين عليه السؤال وترك الجدال (٧٣).

فإذا كان طريق العامي وغير المتأهل للاجتهاد هو سؤال أهل العلم لمعرفة الحكم الشرعي كما قرر ذلك جمهور العلماء، فهل يجب عليه التزام مذهب معين في كل واقعة أم لا :

اختلف العلماء في هذه المسالة على أربعة أقوال :

القول الأول : يجب على العامي التزام مذهب إمام معين(٧٤) قد توافرت فيه شروط الاجتهاد المذكورة أنفا ويأخذ بعزائمه ورخصه، وهذا رأي الكيا والمحلي والسبكي من الشافعية وبعض الحنابلة (٧٥)، ودليلهم لذلك :

أن القول بجواز خروج العامي من مذهبه وعدم التزم به مدعاة إلى الانحلال من التكليف وتلقط رخص المذاهب بحسب ما يمليه عليه هواه (٧٦).

القول الثاني : لا يجب عليه التزام مذهب معين في كل واقعة،واشتهر عند هؤلاء القول بان العامي لا مذهب له بل مذهبه مذهب مفتيه، وممن ذهب إلى ذلك النووي(٧٧) والزركشي واستدلوا :

اولا: قوله صلى الله عليه وسلم : (ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه) (٧٨) .

وجه الدلالة : ان الإسلام دين يسر وسماحه ومن سماحته عدم الانصياع والتقيد بمذهب معين لا ينفك عنه بحال ،لان التزامه يعد سمة من سمات التشدد الذي رفضه دين الاسلام.

ثانياً: ان الصحابة رضي الله عنهم لم يوجبوا على احد ممن كان معهم الالتزام بأحد على وجه الخصوص، ولو كان تقييد واحد منهم واجبا لبينوا ذلك ،لان المسالة تتعلق بالتشريع وهم احرص الناس على ذلك .

ثالثا: ما ورد فيه المنع من أئمة المذاهب أنفسهم ، والتي حثت الناس على عدم التقيد والالتزام بمذهب احدهم من ذلك : قول الإمام أبي حنيفة : «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه» (٧٩)

قول الامام مالك رحمه الله حين رام الخليفة أبو جعفر المنصور حمل الناس على مذهبه قال: (ان الله فرق العلم في البلاد بتفريق العلماء فيها فلم يرى الحجر على الناس)، وأما ماورد من قولهم : (لا يفتى ومالك في المدينة) فهو محمول على انه لايتقدم احد بالفتوى حتة يشهد له امام دار الهجرة بانه اهل لذلك (٨٠) .

وقال الإمام أحمد لبعض اصحابه : (لاتحمل الناس على مذهبك فيحرجوا، دعهم يترخصوا بمذاهب الناس(٨١)،وقال ايضا: لاتقلدني ولاتقلد مالكاولا الثوري ولا الاوزاعي وخذ من حيث اخذوا .

القول الثالث :التفصيل في ذلك ، فلا يجب فيما قبل المذاهب الأربعة، ويجب فيما بعدهم وهذا مارجحه ابن المنير (٨٢) ، واستدل لهذا التفريق :

إن الناس كانوا قبل الأئمة الأربعة لم يدونوا مذاهبهم ولا كثرت الوقائع عليهم حتى عُرِفَ مذْهَب كل واحِد منهم في كل الْوَقَائِع وفي أَكْثرهَا وكان الذي يَسْتَفْتِي الشَّافِعِيَّ مَثَلا لا عِلْمَ له بِمَا يقُولُه الْمُفْتِي لِأَنَّهُ لم يَشْتَهِرْ مَذهبه في تِلْك الْوَاقِع أو لِأَنَّهَا ما وَقَعَتْ له قبل ذلك فَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَعْتَمِدَهُ إلَّا سِرٌّ خَاص وَأَما بعد أَنْ فُهِمَتْ الْمَذَاهِبُ وَدُوِّنَتْ وَاشْتَهَرَتْ وَعُرِفَ الْمُرَجَّح من الْمُشَدد في كل وَاقِعَةٍ فَلَا يَنْتَقِلُ الْمُسْتَفْتِي وَالْحَالَةُ هذه من مَذْهَب إلَى مَذْهَب إلَّا رُكونا إلَى الِانْحِلَالِ وَالِاسْتِهْتَار .

القول الرابع : المنع من الالتزام بمذهب إمام معين،وهو ما ذهب إليه أكثر الحنابلة ،وقال تقي الدين :(من أوجب تقليد إمام بعينه استتيب فان تاب والا قتل وان قال ينبغي كان جاهلا ضالا) واستدلوا:

أولا : إن عدم الالتزام بإمام هو الأصل ،لأنه الأيسر والأسهل وهو ما يلائم وضع الشريعة التي أزالت الاصر والحرج .

ثانيا : ان الالتزام بكل ما يقوله الإمام مدعاة إلى القول بالعصمة ،والتعصب لقوله على غيره .

ثالثا: ان القول بالالتزام يعني ترك النصوص أحيانا ،لان المجتهد مهما بلغت رتبته بشر يخطئ ويصيب، فقد يخفى عليه الدليل ،فينظر العامي الى قبول قوله دون النص .

رابعا : الالتزام بمذهب سبب كبير لتفرق المسلمين ونشر العصبية المذهبية التي يعاني منها المسلمون(٨٣) .

المبحث الثالث : هوية الالتزام

بعد أن تبينت لنا أقوال العلماء في الالتزام والانتماء إلى مذهب من المذاهب، لابد أن نحدد هوية الالتزام وبأي شيء يكون؟ إذ اختلف العلماء في ذلك إلى أقوال عدة هي:

القول الأول: الالتزام حاصل بالنية ، وذلك بأن يعزم على العمل بقول إمام معين سواء عمل أم لا، وهذا قول الجمهور؛ لأن النية مبادىء الأعمال وأساسها فإنه إذا نوى عملا صار له حكمه (٨٤).

القول الثاني: يتحقق الالتزام بنية مع لفظ أوعمل،وهذا أخص من الأول؛ لأنه ضم إلى النية أحد أمرين اللفظ والعمل ،قالوا: لأن الالتزام إيجاب على النفس فلا بد من اللفظ كالنذر أو العمل؛ لكونه أقوى في الدلالة من النية وضعف كونه إيجابا بل هو اختيار منه .

القول الثالث: أنه يكون ملتزما بعمله بقول مجتهد، فلا يحتاج إلى عزم ولا تلفظ وهذا رأي ابن الحاجب.

القول الرابع: أنه يصير ملتزما بالشروع في العمل، فإذا شرع فيه حرم الانتقال .

القول الخامس: باعتقاده لقول المجتهد اعتقاد صحته، لأن اعتقاد الصحة مرجح يجب إتباعه كما يجب على المجتهد إتباع الدليل الراجح في ظنه .

القول السادس: يصير المقلد ملتزما بسؤاله للمجتهد ولا يجوز له بعد سؤاله الانتقال عنه (٨٥).

المبحث الثالث :الانتقال من مذهب إمام إلى مذهب آخر

وفيه مطالب:

المطلب الأول: الانتقال من مذهب إمامه إلى مذهب إمام آخر

بعد النظر والتأمل فيما كتبه العلماء تبين لنا أن لا خلاف بينهم في أن من لم يلتزم مذهبا معينا وعمل بقول مجتهد ممن تقدمت شروطه في مسالة ما ،لا يجوز له الانتقال إلى مجتهد آخر في مثلها،لأنه قد التزم ذلك القول بالفراغ من العمل به ، وإنما اختلفوا في من التزم مذهبا معينا هل له الانتقال منه إلى غيره أم لا ، في المسالة صورتان :

احدهما: الانتقال الكلي .

ثانيهما :الانتقال الجزئي .

حكم الانتقال الكلي :

إن كان الانتقال كليا، بأن تحول من مذهب الإمام الشافعي إلى مذهب الإمام مالك أو العكس أو إلى مذهب الإمام جعفر الصادق ، فالذي عليه جمهور العلماء الجواز؛ لعدم إنكار هذا الأمر في العصور المتقدمة، وتقريرهم لذلك المنتقل إلى المذهب الذي انتقل إليه ،إذ المذاهب المعتمدة كلها طريق إلى الجنة، فمن سلك طريقاً منها أوصلته إلى السعادة والنجاة . قال عبد الله العلوي :

فكل مذهب وسيلة إلى دار الحبور والقصور جعلا(٨٦)

ومع هذا فهناك شروط لجواز الانتقال الكلي هي :

الأول: أن لا يجمع بين الإمامين قولا يخالف الإجماع ،كمن تزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود، فإن هذه الصورة لم يقل بها أحد .

الثاني: أن يقصد فيمن يقلده الفضل ببلوغ أخباره إليه.

الثالث: أن لا يتتبع الرخص(٨٧).

واشترط الإمام القرافي: لجواز الانتقال من جميع المذاهب بعضها إلي بعض في كل مالا ينقض فيه حكم حكمه حاكم تنحصر في أربعة مواضع :

أن يخالف الإجماع أو النص أو القياس الجلي أو القاعدة، فإذا كان الرجل شافعياً أو حنبلياً، ونظر في كتب الخلاف، ووجد دليلاً صحيحاً قد استدل به مالك، فعمل بالدليل، كان هذا هو المناسب في حقه، فيجعل إماماً بإزاء إمام، ويسلم له الدليل بلا معارض؛ وليس هذا من الاجتهاد المطلق، بل هو من الاجتهاد المقيد؛ فهو يتبع الدليل، ويقلد الإمام الذي قد أخذ به(٨٨).

وقال الجلال السيوطي(٨٩): وممن بلغنا أنه انتقل من مذهب إلى الآخر من غير نكير عليه من علماء عصره :

الشيخ عبد العزيز بن عمران الخزاعي كان من أكابر المالكية فلما قدم الإمام الشافعي بغداد تبعه وقرأ كتبه ونشر علمه.

ومنهم: محمد بن عبد الله بن الحكم كان على مذهب الإمام مالك فلما قدم الإمام الشافعي إلى مصر انتقل إلى مذهبه وصار يحث الناس على اتباعه ويقول: يا إخواني هذا إنما هو شريعة كله، وكان الإمام الشافعي يقول له: سترجع إلى مذهب أبيك فلما مات الإمام الشافعي رجع كما قال الشافعي، وكان يظن أن الإمام يستخلفه على درسه بعده فلما استخلف البويطي رجع ابن عبد الحكم وصحت فراسة الإمام الشافعي.

ومنهم: إبراهيم بن خالد البغدادي كان حنفياً فلما قدم الإمام الشافعي بغداد ترك مذهبه واتبعه.

ومنهم: أبوجعفر بن نصر الترمذي رأس الشافعية بالعراق كان أولاً حنفياً فلما حج رأى انتقاله لمذهب الشافعي فتفقه على الربيع وغيره من أصحاب الشافعي.

ومنهم: أبو جعفر الطحاوي كان شافعياً وتفقه على خاله المزني ثم تحول حنفياً بعد ذلك.

ومنهم: سيف الدين الآمدي الأصولي كان حنبلياً ثم انتقل إلى مذهب الشافعي.

ومنهم: الشيخ نجم الدين بن خلف المقدسي كان حنبلياً ثم انتقل إلى مذهب الشافعي.وغيرهم كثير(٩٠) .

ومنهم ابن دقيق العيد اذ انتقل مذهب الامام مالك الى مذهب الامام الشافعي .

كما وانتقل حجة الاسلام الغزالي في اخر حياته من مذهب الشافعي الى مذهب مالك لان هراه أكثر احتياطا (٩١).

وقال صاحب جامع الفتاوي يجوز للحنفي أن ينتقل إلى مذهب الشافعي وللشافعي أن ينتقل إلى مذهب الحنفي لكن

بالكلية، أما في مسألة واحدة فلا يمكن، كما لو خرج دم من بدن حنفي وسال فلا يجوز له أن يصلي قبل أن يغسله اقتداءً بمذهب الشافعي في هذه المسألة فإن صلى بطلت صلاته.

القول الثاني: ليس لعامي أن ينتقل من مذهب إلى مذهب حنفياً كان أو شافعياً، لكن رد الجلال السيوطي بقوله : وهذه دعوى لا برهان عليها اذ ان العصور المتقدمة لم يظهر منها النكيرعلى من كان مالكياً ثم عمل حنفياً أو شافعياً ثم تحول بعد ذلك حنبلياً ثم رجع إلى مذهب مالك، وإنما يظهر النكير على المنتقل لإيهامه التلاعب(٩٢).

فنقول أما المقلد الذي لم تجتمع فيه الشروط، ففرضه التقليد وسؤال أهل العلم؛ قال عبد الله بن الإمام أحمد: سألت أبي عن الرجل تكون عنده الكتب المصنفة، فيها قول رسول ، واختلاف الصحابة والتابعين، وليس للرجل بصر بالحديث الضعيف المتروك، ولا الإسناد القوي من الضعيف، أيجوز أن يعمل بما شاء؟ ويتخير ما أحب منها، فيفتي به ويعمل به؟ قال: لا; لا يعمل حتى يسأل ما يؤخذ به منها، فيكون يعمل على أمر صحيح، يسأل عن ذلك أهل العلم(٩٣).

وأما إذا وجد الحديث قد عمل به بعض الأئمة المجتهدين ولم يعلم عند غيره حجة يدفع بها الحديث، فعمل به، كان قد عمل بالحديث وقلد هذا الإمام المجتهد(٩٤).

و أن الشافعي قال: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس؛ وأما الانتقال من مذهب إلى مذهب، لمجرد الهوى، أو لغرض دنيوي، فهذا لا يجوز، وصاحبه يكون متبعاً لهواه.

وقد نص الإمام أحمد، على أنه: ليس لأحد أن يعتقد الشيء واجباً، أو محرماً، ثم يعتقده غير واجب أو محرم، بمجرد هواه، وذلك مثل: أن يكون طالباً للشفعة بالجوار، فيعتقدها أنها حق، ويقول: مذهب أبي حنيفة في هذه المسألة أرجح من مذهب الجمهور، ثم إذا طلبت منه الشفعة بالجوار، اعتقد أنها ليست ثابتة، وقال: مذهب الجمهور في هذه المسألة أرجح. ومثل من يعتقد: إذا كان أخاً مع جد، أن الإخوة تقاسم الجد، كما هو مذهب الأئمة الثلاثة، فإذا كان جد، مع أخ، اعتقد أن الجد يسقط الإخوة كما هو مذهب أبي حنيفة؛ فهذا ونحوه لا يجوز، وصاحبه مذموم، بل يجب عليه أن يعتقد الحق فيما له وعليه، ولا يتبع هواه، ولا يتبع الرخص، فمتبع الرخص مذموم، والمتعصب للمذهب مذموم، وكلاهما متبع هواه (٩٥).

القول الثالث : التفصيل فإن كان المذهب الذي أراد الانتقال إليه مما ينقض فيه الحكم فليس له الانتقال إلى حكم يجب نقضه فإنه لم يجب نقضه إلا لبطلانه، وإن كان المأخذان متقاربان جاز التقليد والانتقال ،لأن الناس لم يزالوا من زمن الصحابة رضي الله عنهم إلى أن ظهرت المذاهب الأربعة يقلدون من اتفق من العلماء من غير نكير من أحد يعتبر إنكاره ولو كان ذلك باطلاً لأنكروه (٩٦) .

فلولا أن علماء السلف رأوا أنه ليس بذلك بأس ما أقروا من انتقل من مذهب إلى غيره، ولولا علمهم بأن الشريعة تشمل المذاهب كلها وتعمها لأنكروا عليه أشد النكير، ثم لا يخلو أمر السلف من أمرين إما أن يكون قد اطلعوا على عين الشريعة ورأوا اتصال جميع المذاهب بها أوسكتوا عل ذلك إيماناً بصحة كلام الأئمة وتسليماً لهم، فإن الأئمة كلهم في الحق سواء فليس مذهب أولى من مذهب.

وقد سئل الجلال السيوطي عن حنفي يقول يجوز للإنسان أن يتحول حنفياً ولا يجوز للحنفي أن يتحول شافعياً أو مالكياً أو حنبلياً فقال: إن هذا الحكم من قائله لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولم يرد لنا في حديث صحيح ولا ضعيف تميز أحد من أئمة المذاهب على غيره على التعيين والاستدلال وبتقديم زمن أبي حنيفة لا ينتهض حجة ولو صح لوجب تقليده على كل حال ولم يجز تقليد غيره البتة وهو خلاف للإجماع وخلاف ما رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله قال:(مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله، فسنة لي ماضية فإن لم يكن سنة مني ماضية، فما قال أصحابي إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيما أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة)(٩٧)

قال السيوطي(٩٨): ثم أنه يلزم من تخصيص تحريم الانتقال بمذهب الإمام أبي حنيفة طرد ذلك في بقية المذاهب فيقال بتحريم الانتقال من مذهب المتقدم بالزمن إلى مذهب المتأخر كالشافعي يتحول مالكياً والحنبلي يتحول حنفياً دون العكس، وكل قول لا دليل عليه فهو مردود على صاحبه، قال رسول الله ﷺ: (مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ

رَدٌّ)(٩٩) .

المطلب الثاني: المخالفة الجزئية

إذا التزم العامي مذهبا معينا واعتقد رجحانه من حيث الإجمال ، فهل له مخالفة إمامه في بعض المسائل فيعمل بقول غيره فيها ، أم لابد من الانصياع والطواعية له بكل ما قال فلا يخرج عن دائرته .اختلف في ذلك العلماء إلى أقوال يمكن تلخيصها باربع :

القول الأول :يجوز له ذلك بناء على أن التزام مذهب معين غير ملزم له وهو قول الجمهور،واستدلوا بما يأتي:

أولا: إجماع الصحابة رضي الله عنهم على انه يسوغ للعامي السؤال لكل عالم منهم،فيجوز لمن استفتى أبا بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ان يستفتي ابا هريرة ومعاذ وعبد الله بن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم، ويعمل بقولهم ،ومن ادعى خلاف ذلك فعليه بالدليل.

ثانيا:إذا ثبتت أهلية المجتهد فلا مانع من اخذ رأيه والعمل به (١٠٠) .

ثالثا:إن لكل مسالة حكم نفسها ،فكما لم يتعين الأول للإتباع ،في المسئله الأولى الا بعد سؤله فكذلك في المسالة الاخرى.

رابعا :انعقد الاجماع على ان من اسلم له الحق في تقليد من شاء من اهل الاجتهاد من غير حجر على احد (١٠١).

القول الثاني : المنع : واليه ذهب الامدي و الجيلي من الشافعية وبعض الحنابلة؛ لان التزامه مذهبا معينا يعني صيرورته لازما له ،كما لو التزم مذهبه في حادثة معينة. ولان قول الامام في الوقائع والاحكام مستقل، والانتقال منه الى غيره مدعاة لاتباع الرخص في كل مذهب وهو ممنوع .

القول الثالث : التفصيل :اذا عمل بهذه المسالة ثم اراد المخالفة منع من ذلك ، أما مالم يتصل عمله بها فلا مانع من اتباع غير امامه المعين (١٠٢).مثال ذلك : من التزم مذهب الحنابلة في مسالة الوضوء من أكل لحم الابل ،فليس له ان يخالف في هذه المسالة، ويجوز له في غيرها مما لم يتبع فيها قول المذهب كالدم اليسير اذا سال ؛لانه ينقض الوضوء عند الحنفية خلافا للجمهور.

القول الرابع : الجواز بشروط هي :

الشرط الأول:أن لا يجمع بين القولين على حالة يخالف فيها الإجماع كمن تزوج امرآة من غير صداق ولا ولي ولا شهود.

الشرط الثاني: أن ينتقل إلى المذهب لأنه هو الأفضل في المسألة؛ لوجود الدليل الراجح .

الشرط الثالث : ألا يتتبع رخص المذاهب وإنما الانتقال بحسب الضرورة ،ولايمنع هذا من العمل بالرخصة في مسئله من المسائل على ان يكون حاله تتبع الرخص في كل حال . كان يختار الشافعي مذهب الحنفية في الحج ودفع القيمة في الزكاة والنذر. بل ان الزركشي حبذ الانتقال في صورتين :

احدهما:اذا كان مذهب غير امامه يقتضي تشديدا كالحلف بالطلاق الثلاث على فعل شيء ثم فعله ناسيا او جاهلا وكان مذهبه يوقع الطلاق استحب له الانتقال احتياطا، ولهذا قال الشافعي: ان القصر في سفر جاوز ثلاثة مراحل افضل من الاتمام .

الثانية : إذا رأى الدليل الراجح مع غير مذهبه، محافظة للعمل بظاهر الدليل (١٠٣).

وأما ما نقله بعض العلماء من الإجماع على منع رجوع المقلد عمن قلده فهو – إن صح – محمول على تلك المسألة بعينها بعد أن عمل بقوله فيها. واعلم أنا حيث قلنا بالجواز فشرطه أن يعتقد رجحان ذلك المذهب الذي قلد في هذه المسألة. وعلى هذا فليس للعامي ذلك مطلقا، إذ لا طريق له إليه.

ولهذا قال البغوي: لو أن عاميا شافعيا لمس امرأته وصلى ولم يتوضأ وقال: عند بعض الناس الطهارة بحالها، لا تصح صلاته، لأنه بالاجتهاد يعتقد مذهب الشافعي. فأشبه ما إذا اجتهد في القبلة فأداه اجتهاده إلى جهة فأراد أن يصلي إلى غيرها لا يصح، قال: ولو جوزناه لأدى ذلك إلى أن يرتكب جميع محظورات المذهب، كشرب المثلث، والنكاح بلا ولي ونحوه، ويقول: هذا جائز، ويترك أركان الصلاة ويقول: هذا جائز، ولا سبيل إليه.

و (الثالث) : أنه كالعامي الذي لم يلتزم مذهبا معينا، فكل مسألة عمل فيها بقول إمامه ليس له تقليد غيره، وكل مسألة

لم يعمل فيها بقوله فلا مانع فيها من تقليد غيره.

و (الرابع) : إن كان قبل حدوث الحوادث فلا يجب التخصيص بمذهب، وإن حدث وقلد إماما في حادثة وجب عليه تقليده في الحوادث التي يتوقع وقوعها في حقه. واختاره إمام الحرمين، لأن قبل تقرير المذاهب ممكن، وأما بعد فلا، للخبط وعدم الضبط.

و (الخامس) : إن غلب على ظنه أن بعض المسائل على مذهب غير مقلده أقوى من مقلده جاز. قاله القدوري الحنفي.

و (السادس) : واختاره ابن عبد السلام في « القواعد « –: التفصيل بين أن يكون المذهب الذي أراد الانتقال عنه بما ينقض الحكم أو لا، فإن كان الأول فليس له الانتقال إلى حكم يجب نقضه، لبطلانه، وإن كان المأخذان متقاربين جاز التقليد والانتقال، لأن الناس لم يزالوا كذلك في عصر الصحابة، إلى أن ظهرت المذاهب الأربعة. من غير نكير من أحد يعتبر إنكاره، ولو كان ذلك باطلا لأنكروه.

وقال في « الفتاوى الموصلية « –وقد سئل عن شافعي حضر نكاح صبية لا أب لها ولا جد والشهادة على إذنها له في التزويج – فأجاب: إن قلد المخالف في مذاهب جاز، وإلا فلا. ويوافقه قول النووي في « الروضة « في النكاح بلا ولي ولا شهود أنه يجب مهر المثل، سواء اعتقد التحريم أو الإباحة، باجتهاد، أو تقليد، أو حسبان، أو مجرد.

و (السابع) : – واختاره ابن دقيق العيد – الجواز بشروط: (أحدها) أن لا يجتمع في صورة يقع الإجماع على بطلانها، كما إذا اقتصد ومس الذكر وصلى. (والثاني) ألا يكون ما قلد فيه مما ينقض فيه الحكم لو وقع به. (والثالث) انشراح صدره للتقليد المذكور وعدم اعتقاده لكونه متلاعبا بالدين متساهلا فيه. ودليل اعتبار هذا الشرط قوله: «والإثم ما حاك في نفسك» فهذا تصريح بأن ما حاك في نفسك ففعله إثم، بل إن هذا شرط جميع التكاليف وهو ألا يقدم الإنسان على ما يعتقده مخالفا لأمر الله.

ولا اشتراط أن يكون الحكم مما ينقض فيه قضاء القاضي، بل إذا كان مخالفا لظاهر النصوص بحيث يكون التأويل مستكرها، فيكفي في ذلك عدم جواز التقليد لقائل القول المخالف لذلك الظاهر.

ونقل القرافي عن الزناتي من أصحابهم الجواز بثلاثة شروط: (أحدها) أن لا يجمع بينهما على صورة تخالف إجماع المسلمين، كمن تزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود. و (الثاني) أن يعتقد فيمن يقلده الفضل بوصول أخباره إليه ولا يقلده في عمله. و (الثالثة) أن لا يتبع رخص المذاهب. قال: والمذاهب كلها مسلك إلى الجنة، وطرق إلى الخيرات، فمن سلك منها طريقا وصله.

وحكى بعض الحنابلة هذا الخلاف في أن الأولى الأخذ بالأخف أو الأثقل. ثم قال: والأولى أن من بلي بوسواس أو شك أو قنوط فالأولى أخذه بالأخف والإباحة والرخص، لئلا يزداد ما به ويخرج عن الشرع، ومن كان قليل الدين كثير التساهل أخذ بالأثقل والعزيمة لئلا يزداد ما به، فيخرج إلى الإباحة. ومر بي أن عبد الله بن المبارك سئل عمن حلف بالطلاق ألا يتزوج ثم بدا له، فهل له أن يأخذ بقول من يجوز له ذلك؟ فقال: إن كان يرى هذا القول حقا أن يبتلى بهذه المسألة فنعم، إلا فلا. وما أحسن هذا الجواب من متورع. (١٠٤)

المبحث الرابع : موت الإمام

إذا مات إمام المذهب فهل يبقى العامي تبعا له ملتزما بأقواله لا ينفك عنها أم يكون الموت قاطعا لهذه الصلة والتبعية بينهما. اختلف العلماء في ذلك إلى ثلاثة أقوال :

القول الأول: لا تنقطع التبعية بين المتبع وإمام المذهب، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك إذ جوزوا لمن لم يره العمل والاقتداء بأقواله ومنهجه. فيعود لمذهبه المنقول عنه إذا كان النقل عنه صحيحا ويكون عمله بمقتضى أقواله كعمله بها إذا كان حيا ،وهو مذهب جمهور العلماء ،قال ابن القصار :(يجوز للعامي أن يقلد مالكا بعد موته وكذلك غيره من الأئمة الذين اشتهرت إمامتهم،لان العامي إذا جاز له أن يعمل على اجتهاد بعض أصحاب الإمام مالك ،كان عمله على اجتهاد إمام دار الهجرة أولى،لان قوله بمنزلته وهو حي وأدلتهم في ذلك هي:

اولا: عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(اقتدوا بالذين بعدي أبو بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وتمسكوا بعهد بن أم عبد) (١٠٥).

وجه الدلالة:

انه صلى الله عليه وسلم امرنا بالاقتداء بسيرة هؤلاء الاربعة رضي الله عنهم والسير على ماقالوا في حياتهم وبعد مماتهم .

ثانيا : عن علي قال إياكم والاستنان بالرجال فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة الزمن الطويل لو مات لقلت من أهل الجنة ثم ينقلب لعلم الله فيه فيعمل عمل أهل النار فيموت وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار الزمن الطويل فينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل الجنه فيموت وهو من أهل الجنة فإن كنتم لا بد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء(١٠٦)

ثالثا: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:(من كان مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة)(١٠٧)

وجه الدلالة:

يبين لنا هذا الاثران ان الميت يؤمن عليه الفتن اكثر من الحي،واذا كان الامر كذلك فاتباع الامام الميت والبقاء على منهجه، اولى من الانتقال منه الى غيره الذي يكون عرضة للحور بعد الكور .

ثالثا : اذا امتنع التزام مذهب الإمام الميت بطل الإجماع بموت المجمعين وحينئذ تكون المسالة اجتهادية تتحول من القطعية الى الظنية .

رابعا : لا فرق بين رأي الإمام المجتهد بعد موته وبين اعتبار شهادة العدل بعد موته،لان قول كل منهما معتبر شرعا في الحياة ، فكما يعمل بشهادة الشاهد بعد موته اجماعا فكذلك راي المجتهد(١٠٨) .

خامسا : إن المذاهب لا تموت بموت أصحابها (١٠٩).

القول الثاني : تنقطع التبعية بينهما ، واختاره الإمام الرازي من الشافعية وبعض الحنابلة (١١٠). وممن قال بعدم جواز تقليد الميت أبو الحسين البصري، وقال الغزالي: «وقد قال الفقهاء: يقلده وإن مات، لأن مذهبه لم يرتفع بموته، وأجمع علماء الأصول على أنه لا يفعل ذلك»، وأيّد هذا القول الشوكاني (١١١).

وأدلتهم في ذلك هي:

أولا: لا بقاء لقول الميت بدليل انعقاد الإجماع بعد موت المخالف ،مع انه لايصح انعقاده لو كان حيا (١١٢).

ثانيا: لا يصح وصف الإمام بعد موته بالاجتهاد ، فلا يعد من المجتهدين،لان طرو الوصف على الوصف المناقض له يرفعه (١١٣).

ثالثا: انه لو عاش لربما تغير اجتهاده في المسالة

رابعا :ان النصوص التي حثت على التزام وسؤال اهل العلم كانت للاحياء لا الاموات

القول الثالث :التفصيل، إذا فقد إمام الحي جاز إتباع الميت وإلا فلا . وهو ما اختاره السبكي . اذا اننا جوزنا الالتزام بمذهبه للضرورة ،فلاتتصل به مع موته الا اذا تعذر وجود الحي لان الضرورة حينئذ باقية .

القول الرابع : يجوز الالتزام باقوال الامام الميت التي تنقل عن مجتهد المذهب الحي ، وهذا اختيار الامدي و الصفي الهندي،دليله في ذلك :...

اولا :لانه يكون الميزان العدل لقوة مدركه ومعرفته في الاخذ باقوى الاقول واصحها وتمييز صحيحها عن ضعيفها، فلا ينقل للمقلد سوى المعتمد في المذهب ومن ثمة يؤمن للاقوال .

ثانيا: إن هذا النوع من الفتوى نقلها عن المجتهد متفق عليه من غير نكير لاحد من الامة فيكون اجماعا (١١٤).

المبحث الخامس: فتوى الملتزم بمذهب امام

الفتوى من فتا : والفَتاء: الشَّباب. و الفَتى والفَتِيَّةُ: الشابُّ والشابَّةُ، والفعل فَتُوَ يَفْتُو فَتاء (١١٥) وأَفْتاه في الأَمر: أبانَه له. و أَفْتَيْته في مسألته إذا أجبته عنها. والفُتيا تبيين المشكل من الأَحكام ، أَصله من الفَتَى وهو الشاب الحدث الذي شَبَّ وقوي، فكأَنه يُقَوِّي ما أَشكل ببيانه فيَشِبُّ ويصير فَتِيّاً قوِيّاً. وأَفْتَى المفتي إذا أَحدث حكماً. (١١٦) .

قال الصيمري (١١٧) : قل من حرص على الفتيا وسابق إليها وثابر عليها إلا قل توفيقه واضطرب في أمره ، وإن كان كارها لها كانت المعونة له من الله أكثر والصلاح في جوابه أغلب (١١٨) .



مما يجب معرفته على ملتزم المذهب أحوال الفتوى من مذهب امامه وضوابطها،وسنتاول هذا من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول: المفتي في المذهب .

المطلب الثاني: الإفتاء بغير مذهب الإمام .

المطلب الثالث: تعدد الأقوال .

المطلب الأول: المفتي في المذهب

هو من ينقل الحكم الشرعي في مسالة ما من نصوص إمامه تصريحا او تلويحا . واشترطوا له شروطا اختلف فيها العلماء على قولين:

القول الاول : يشترط فيه ان يكون حافظا لنصوص صاحب المذهب وان لم يعرف غوامضه وحقائقه ،وهذا ما اشترطه الجويني:

القول الثاني: لابد ان يكون عالما بمأخذ صاحب المذهب ومداركه وقواعده على نحو يتبين له فيه صحة الحكم المنصوص عليه، بحيث يتحرى وسيتفرغ ما في وسعه لذلك .وهو شرط أبي زكريا الانصاري (١١٩).

ومن ثمة اختلف العلماء في صحة فتوى المقلد على اربعة أقوال :

القول الأول: لا تجوز الفتوى بالتقليد مطلقا لان التقليد ليس علما، والافتاء غير علم حرام.

القول الثاني:(جواز الافتاء للمقلد ،لانه يفتي بمذهب امامه وعلى ضوء قواعده واصوله ،فتكون فتواه علما لاجهلا. قال ابن الصلاح :ومن ترك).

القول الثالث: يجوز في فتوى نفسه لا غيره .

القول الرابع: يجوز بطريق الحكاية لا النقل (١٢٠).

المطلب الثاني: تعدد الأقوال في مذهب الإمام

لا يجوز للمفتي المقيد بمذهب إمام له أقوال متعددة،الإفتاء بما رجع عنه إمام المذهب،لان تلك الأقوال القديمة صارت منسوخة بهذا الرجوع،وبهذا صرح الامام النووي بان العمل يكون بالمتاخر لا المتقدم الا في بعض المسائل لابد ان يتتبعها ويعرف سبب الرجوع اليها ،فعلى هذا يجب على المفتي ان يتجنب ذلك وقد ساق ابن القيم ثلة من النماذج على ذلك: الافتاء بلزوم المنذورات التي مخرجها مخرج اليمين كالحج والصوم والصدقة مع ا نابي حنيفة افتى بالكفارة فيها قبل موته بثلاثة ايام .

افتاء بعض الحنابلة بوقع طلاق السكران مع تراجع الامام عنه على ماحكاه عنه الميموني قال: (أكثر مافيه عندي انه لايلزمه الطلاق،فقيل له ام قلت: انه يلزمه، قال،ولكن اكثر ماعندي انه لايلزمه. (١٢١)

واما الشافعية فقد افتوا بمسائل كثيرة على القول القديم جمعها الامام السيوطي منها :

فإذا تعددت الأقوال في المذهب الواحد ،يتعين على المفتي ان لايختار من الاقوال جزافا،بحجة انه قول امام مجتهد فهو معتبر ثم يجعله بطاقة رابحة متى اراد ليخالف غيره او ليظهر على انه المفتي الأعظم،بل عليه ان يرجح احدها باحد طرق الترجيح المعتبرة لدى العلماء، قال الدسوقي: فلا يجوز له الإفتاء إلا بالراجح من مذهب إمامه لابمذهب غيره ولابالضعيف من مذهبه.

نعم يجوز العمل بالضعيف في خاصة نفسه اذا تحققت الضرورة لذلك ولايجوز الافتاء بغير المشهور من المذهب لغيره؛ لانه لايتحقق الضرورة من غيره كتحققها من نفسه .فان لم يترجح احدهما على الاخر،تخير العمل بايهما شاء.(١٢٢)

وقيل يفتيه بالاحوط واختار ابن القيم التوقف في مثل هذه المسألة؛ لان أحدهما خطأ فليس له ان يفتيه بما لايعلم انه صواب كما ليس له ان يخبره بين الحق والصواب (١٢٣).

المطلب الثالث: الإفتاء بغير مذهب الإمام

الأصل في المفتي أن يسير ويميل مع الدليل الراجح سواء كان مستقلا أم مقيدا وهذا يحتم عليه أن لا يخالف نصا صحيحا صريحا وان خالف مذهبه؛ لان المذهب تابع للنص لا العكس،لقوله: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا)(الأحزاب: ٣٦).ومن ثمة فإذا سئل مفت

مذهب معين عن حكم مسالة ما ،وكان الحق والنص الراجح مع غير مذهبه ، فالأمر لا يخلو من حالتين:
الأولى : أن يسال عن مذهب ذلك الإمام كأن يقال : ما مذهب الشافعي في مدة القصر؟ وحينئذ يجب عليه أن يذكر الفتوى وفقا لذلك المذهب، فان كانت موجودة نقلها والا خرجها على قواعده المعروفة لديه(١٢٤).
الثانية :أن يسال عن حكم شرعي من غير نظر إلى إمام ما ،كان يقول: ما حكم صوت المرأة ؟ ففي المسالة قولان :
القول الأول: يجب عليه الإفتاء بما هو راجح واقرب إلى الكتاب والسنة سواء كان موافقا لمذهب إمامه أم غيره،ولا يجوز له الإفتاء بغير ذلك .قال القفال الشافعي : لو أدى اجتهادي إلى مذهب أبي حنيفة، لقلت :مذهب الشافعي كذا،لكني أقول بمذهب أبي حنيفة ،لان السائل انما يسالني عن مذهب الشافعي فلابد ان اعرفه ان الذي افتيه به غير مذهبه (١٢٥).

القول الثاني : شروط الخروج عن قول المذهب:

١– ان تكون الحاجة شديدة، والبلوى عامة في نفس الأمر لا مجرد توهم .
٢– أن يتأكد المفتي بآراء غيره من اصحاب الفتوى من مسيس الحاجة لهذا الانتقال.
٣– ان يؤخذ ذلك المذهب بجميع شروطه حتى لا يكون ملفقا (١٢٦).

المبحث السادس: أثر الالتزام بمذهب الإمام

أولا: النهي عن تتبع الحيل المكروهة والمحرمة

لا يجوز للمفتي تتبع أمثال هذه الحيل ومن فعل ذلك فسق وحرم استفتاؤه وإن حسن قصده في حيلة جائزة لا شبهة فيها ولا مفسدة لتخلص المستفتي بها من حرج جاز، كما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم بلالا رضي الله عنه إلى بيع التمر بدراهم ثم يشتري بالدراهم تمرا آخر فيتخلص من الربا بذلك وهذا إذا كان قبض الدراهم فاشترى في ذمته بدراهم من جنس الأولى وعلى صفتها فتحل المقاصة ويتخلص من الربا ،وأما إذا اشترى بعين تلك الدراهم قبل قبضها مما يشاركه في العلة.(١٢٧)

ثانياً:حكم القاضي بغير مذهب إمامه

من الفروع الفقهية التي ترتبت على لزوم المذهب وعدم الانتقال منه قضاء القاضي بغير مذهب الإمام الذي عين على شرطه : وهذه المسالة تتلخص فيما لو قلد الإمام رجلا القضاء على أن يقضي بمذهب معين ،هل لهذا الشرط قيمة بحيث يؤثر سلبا على العقد ام ماذا ؟
قرر الفقهاء أن لا قيمة لهذا الشرط وانه باطل لكن هل له سلطة إبطال العقد(١٢٨) فيه قولان:
القول الاول : لايبطل العقد (١٢٩)قال الماوردي :وَلَوْ لَمْ تَجْرِ صِيغَةُ بِشَرْطِ كَاحْكُمْ بِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَوْ لَا تَحْكُمْ بِمَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ صَحَّ التَّقْلِيدُ وَلَغَا الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ قال وَلَوْ قال له لَا تَحْكُمْ في قَتْلِ الْمُسْلِمِ بِالْكَافِرِ مَثَلًا جَازَ وَحَكَمَ في غَيْرِ ذلك(١٣٠) .
القول الثاني: بطلان التولية (١٣١)

ثالثا:التركيب القادح.

ونعني به تركيب قولين من امامين قولا واحدا لايقول به احدهما .
من المسائل الفقهية المهمة في هذا الجانب والتي يجب على ملتزم المذهب ان يعرفها التكيب القادح اي المضر في لانتقال من مذهب الى مذهب؛ فمن قلد اماما لزمه أن يجري على قضية مذهبه في تلك المسالة وجميع مايتعلق بها، حتى لايبتدع حقيقة مركبة لايقول بها كل منهما ومن ذلك :تقليد الشافعي لمذهب أبي حنفية في جهة القبلة فعليه ان يلتزم شروط ابي حنيفة في صحة الوضوء فيمسح قدر الناصية من راسه وان لايسيل منه دم بعد الوضوء وما اشبه ذلك والا كانت صلاته باطلة باتفاق المذهبين (١٣٢).

رابعا : الصلاة خلف المخالف في الفروع.

لا مانع من صلاة بعض المذاهب خلف بعض، لان الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الأربعة صلى بعضهم خلف بعض مع اختلافهم فى كثير من المسائل الفرعية، ولم يقل أحد من السلف انه لا يصلى بعضهم خلف بعض

ومن أنكر ذلك فهو مخالف للكتاب والسنة واجماع سلف الأمة ،اذ كان الصحابة والتابعون ومن بعدهم منهم من يقرأ البسملة ومنهم من لا يقرأها ،ومنهم من يجهر بها ومنهم من لا يجهر بها ،وكان منهم من يقنت فى الفجر ومنهم من لا يقنت ، ومنهم من يتوضأ من الحجامة والرعاف والقيء ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ومنهم من يتوضأ من مس الذكر ومس النساء بشهوة ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يتوضأ من القهقهة فى صلاته ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ومنهم من يتوضأ من أكل لحم الابل ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومع هذا فكان بعضهم يصلى خلف بعض ،مثل ما كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعى وغيرهم يصلون خلف أئمة أهل المدينة من المالكية وان كانوا لا يقرؤون البسملة لا سرا ولا جهرا وصلى أبو يوسف خلف الرشيد وقد احتجم، وأفتاه مالك بانه لا يتوضأ فصلى خلفه أبو يوسف ولم يعد، وكان أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الحجامة والرعاف، فقيل له فان كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضأتصلى خلفه؟فقال: كيف لا أصلى خلف سعيد بن المسيب ومالك (١٣٣).

وبالجملة فهذه المسائل لها صورتان :

احداهما: أن لا يعرف المأموم أن امامه فعل ما يبطل الصلاة فهنا يصلى المأموم خلفه باتفاق السلف والأئمة الأربعة وغيرهم وليس فى هذا خلاف متقدم وانما خالف بعض المتعصبين من المتأخرين فزعم أن الصلاة خلف الحنفى لا تصح وان أتى بالواجبات لأنه اداها وهو لا يعتقد وجوبه، وهو قول لاصحة له ؛لانه ما زال المسلمون على عهد النبى وعهد خلفائه يصلى بعضهم ببعض وأكثر الأئمة لا يميزون بين المفروض والمسنون بل يصلون الصلاة الشرعية.

ولو كان العلم بهذا واجبا لبطلت صلوات أكثر المسلمين ولم يمكن الاحتياط، فان كثيرا من ذلك فيه نزاع وأدلة ذلك خفية، وأكثر ما يمكن المتدين أن يحتاط من الخلاف وهو لا يجزم بأحد القولين فان كان الجزم بأحدهما واجبا فأكثر الخلق لا يمكنهم الجزم بذلك وهذا القائل نفسه ليس معه الا تقليد بعض الفقهاء ولو طولب بأدلة شرعية تدل على صحة قول امامه دون غيره لعجز عن ذلك ولهذا لا يعتد بخلاف مثل هذا فانه ليس من أهل الاجتهاد (١٣٤).

والمسألة الثانية: فيها نزاع مشهور اذا ترك الامام ما يعتقد المأموم وجوبه مثل أن يترك قراءة البسملة سرا وجهرا والمأموم يعتقد وجوبها أو مثل أن يترك الوضوء من مس الذكر أو لمس النساء أو أكل لحم الابل أو القهقهة أو خروج النجاسات أو النجاسة النادرة والمأموم يرى وجوب الوضوء من ذلك..

فهذا فيه قولان أصحهما صحة صلاة المأموم، وهو مذهب مالك وأصح الروايتين عن أحمد فى مثل هذه المسائل وهو أحد الوجهين فى مذهب الشافعى بل هو المنصوص عنه... فانه كان يصلى خلف المالكية الذين لا يقرؤون البسملة ومذهبه وجوب قراءتها والدليل على ذلك ما رواه البخارى وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يصلونَ لكُم فإن أصابُوا فلكُم ، وإن أخطؤوا فلكُم وعليهم)، فجعل خطأ الامام عليه دون المأموم، وهذه المسائل ان كان مذهب الامام فيها هو الصواب فلا نزاع وان كان مخطئا فخطؤه مختص به، والمنازع يقول المأموم يعتقد بطلان صلاة امامه وليس كذلك بل يعتقد أن الامام يصلى باجتهاد أو تقليد ان اصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر وهو ينفذ حكم الحاكم فى مسائل الاجتهاد وهذا أعظم من اقتدائه به فان كان المجتهد حكمه باطلا لم يجز انفاذ الباطل ولو ترك الامام الطهارة ناسيا لم يعد المأموم عند الجمهور كما ثبت عن الخلفاء الراشدين مع أن الناسى عليه اعادة الصلاة والمتأول لا اعادة عليه فاذا صحت الصلاة خلف من عليه الاعادة فلأن تصح خلف من لا اعادة عليه أولى والامام يعيد اذا ذكر دون المأموم ولم يصدر من الامام ولا من المأموم تفريط؛ لأن الامام لا يرجع عن اعتقاده بقوله بخلاف ما اذا رأى على الامام نجاسة ولم يخبره منها، فان المأموم هنا مفرط فاذا صلى يعيد؛ لأن ذلك لتفريطه وأما الامام فلا يعيد فى هذه الصورة فى أصح قولى العلماء، كقول مالك والشافعى فى القديم وأحمد فى أصح الروايتين عنه.. وعلم المأموم بحال الامام فى صورة التأويل يقتضى أنه يعلم أنه مجتهد مغفور له خطؤه فلا تكون صلاته باطلة وهذا القول هو الصواب المقطوع به والله اعلم (١٣٥).

الصورة الثانية : أن يتيقن المأموم أن الامام فعل ما لا يسوغ عنده ،مثل أن يمس ذكره أو النساء لشهوة أو يحتجم أو يفتصد أو يتقيأ ثم يصلى بلا وضوء فهذه الصورة فيها قولان:

القول الاول : لا تصح صلاة المأموم لأنه يعتقد بطلان صلاة امامه ،وهو قول أصحاب أبي حنيفة والشافعى وأحمد(١٣٦) .

القول الثاني : تصح صلاة المأموم وهو قول جمهور السلف، وهو مذهب مالك وهو القول الآخر في مذهب الشافعي وأحمد بل وأبي حنيفة وأكثر نصوص أحمد على هذا، وهذا هو الصواب لما ثبت في الصحيح وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال: يصلونَ لكُم فإن أصابُوا فلكُم ، وإن أخطؤوا فلكُم وعليهم) (١٣٧)، فقد بيّن أن خطأ الامام لا يتعدى إلى المأموم؛ ولأن المأموم يعتقد أن ما فعله الامام سائغ له وأنه لا اثم عليه فيما فعل فانه مجتهد أو مقلد مجتهد، وهو يعلم أن هذا قد غفر الله له خطأه فهو يعتقد صحة صلاته، وأنه لا يأثم اذا لم يعدها بل لو حكم بمثل هذا لم يجز له نقض حكمه بل كان ينفذه واذا كان الامام قد فعل باجتهاده فلا يكلف الله نفسا الا وسعها والمأموم قد فعل ما وجب عليه كانت صلاة كل منهما صحيحة، وكان كل منهما قد أدى ما يجب عليه وقد حصلت موافقة الامام في الأفعال الظاهرة.

وقول القائل أن المأموم يعتقد بطلان صلاة الامام خطأ منه فان المأموم يعتقد أن الامام فعل ما وجب عليه، وأن الله قد غفر له ما أخطأ فيه وأن لا تبطل صلاته لأجل ذلك (١٣٨).

خامساً : الوقف على مقلدي مذهب معين .

اختلف الفقهاء في اشتراط الواقف لذي مذهب معين كأن يخصصهم بغلة وقفه او النظر إليه :

صرح جميع الفقهاء على إن وقف الواقف على مذهب معين لم يجز أن يتناوله غيره وإن خص المسجد بمعنيين لم يختص بهم وإذا غلب في بعض البلاد مذهب على أئمة المساجد بحيث لا يكون فيها غيره حمل الوقف على ذلك، ولا يستحقه من ينتقل عن مذهبه إلى مذهب آخر، وإن كان هذا الإمام معتقدا لجواز ما يتناول ذلك فلا بأس بالائتمام به، وإن كان يعتقد تحريمه فالائتمام به اقتداء (١٣٩). لأنه ماله ولم يأذن في صرفه إلا على وجه مخصوص والأصل في الأموال العصمة (١٤٠).

المبحث السابع : ضوابط الالتزام بمذهب

تبين لنا مما سبق أن أئمة المذاهب من خيار علماء المسلمين لهم ضوابط للالتزام بمذهب.. وهي كما يأتي:

الضابط الأول: ألا يكون هذا الالتزام سبيلاً لاتخاذ هذا المذهب دعوة يُدعى إليها، ويوالي ويعادي عليها، فيؤدي إلى الخروج عن جماعة المسلمين وتفريق وحدة صفهم،لان الدعوة لاينبغي ان تكون إلا إلى اتباع كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – وما اتفقت عليه الأمة، لانها هي الأصول المعصومة،دون ما سواها (١٤١).

الضابط الثاني: ألا يعتقد أنه يجب على جميع الناس اتباع واحد بعينه من الأئمة ، وأن قوله هو الصواب الذي ينبغي اتباعه دون قول من خالفه، فمن اعتقد هذا كان جاهلاً ضالاً. بل غاية ما يقال: إنه يسوغ أو ينبغي أو يجب على العامي أن يقلد واحدًا لا بعينه، من غير تعيين (١٤٢).

الضابط الثالث: أن يعتقد أن هذا الإمام الذي التزم مذهبه ليس له من الطاعة إلا لأنه مبلغ عن الله دينه وشرعه، وإنما تجب الطاعة المطلقة العامة لله ولرسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – فلا يجوز أن يأخذ بقولٍ أو يعتقده؛ لكونه قول إمامه، بل لأجل أن ذلك مما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم (١٤٣).

الضابط الرابع: أن يحترز من الوقوع في شيء من المحاذير التي وقع فيها بعض المتمذهبين، ومن ذلك:

المحذور الأول: التعصب والتفرق، ووقوع الفتن بين أهل المذاهب.

ومعلوم أن الاعتصام بالجماعة والائتلاف أصل من أصول الدين، والمسائل المتنازع عليها بين هذه المذاهب من الفروع، فكيف يقدح الأصلُ بحفظ الفرع! (١٤٤) .

المحذور الثاني: الإعراض عن الوحي، وعدم الانتفاع بنصوص الكتاب والسنة، والاستغناء عنه بأقوال الرجال، ووزن ما جاء به الكتاب والسنة على رأي المتبوعين بل العكس هو الصحيح اتباع الوحي، والعمل بالنصوص، والأخذ بالأدلة الشرعية،أصل عظيم من أصول هذا الدين.بل إنه مقتضى توحيد الله والإيمان به (١٤٥).

المحذور الثالث: الانتصار للمذاهب بالأحاديث الضعيفة والآراء الفاسدة، وترك ما صح وثبت من الأحاديث النبوية (١٤٦).

المحذور الرابع: تنزيل الإمام المتبوع في أتباعه منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في أمته، وذلك إذا التزم هؤلاء الأتباعُ قول إمامهم في كل ما قال (١٤٧) .فهذا تبديل للدين، يشبه ما عاب الله به النصارى في قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا

أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }(١٤٨) (١٤٩)

الهوامش:

(١) ينظر : لسان العرب ١٢/٥٤١_ ٥٤٢، تاج العروس ٣٣/٤١٨_ ٣٣/٤٢٠، مقاييس اللغة ٥/٢٤٥

(٢) ينظر: تاج العروس ٣٣/٤١٨_ ٣٣/٤٢٠، مقاييس اللغة ٥/٢٤٥

(٣) سورة الفرقان : اية ٧٧

(٤) تفسير البغوي ٣/٣٨٠

(٥) المصباح المنير: ص ٥٥٣.

(٦) ينظر: حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع،حسن بن محمد العطار:٢/٤٤٠،غاية الوصول في شرح لب الأصول،زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، الناشر: دار الكتب العربية الكبرى، مصر أصحابها: مصطفى البابي الحلبي وأخويه،١/ ١٦٠.

(٧) المعجم الوسيط ١/٣١٧، لسان العرب ١/٣٩٤ تاج العروس ٢/٤٥٠ الكليات ١/٨٦٨

(٨) ينظر: تاج العروس ٢/٤٥٠، لسان العرب ١٢/٢٥

(٩) ينظر : مواهب الجليل ١/٢٤،التعاريف١/٦٤٦.

(١٠) ينظر: غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر ١/ ٣٠، الفواكه الدواني على رسالة ابن ابي زيد القيرواني ١/ ٢٤ .

(١١) سورة الإسراء من آية٧١ .

(١٢) سورة التوبة اية١٢ .

(١٣) سورة الفرقان: ٧٤.

(١٤) لسان العرب ١٢/٢٥، تاج العروس ٣١/٢٤٣.

(١٥) سورة الحجر: ٧٩.

(١٦) لسان العرب ١٢/٢٦،تاج العروس ٣١/ ٢٤٤.

(١٧) تاج العروس ٣١/ ٢٤٥.

(١٨) لسان العرب ١٢/٢٥، تاج العروس ٣١/٢٤٤.

(١٩) لسان العرب ١٢/٢٦، تاج العروس ٣١/٢٤٣، ٢٤٥.

(٢٠) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسون:ص ٣٢٧.

(٢١) ينظر: حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي:٢/٤٤٠.

(٢٢) ينظر: تيسير التحرير ٤/١٣٧، المستصفى ١/٩،نهاية السول ٢/١٠٢٦،أعلام الموقعين،لابن قيم الجوزية :٤/٢١٢، صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، أحمد بن حمدان الحرّاني الحنبلي: ص١٦ ،البحر المحيط:١/١٧ ،عقد الجيد: ص ٣.

(٢٣) ينظر: التقرير والتحبير: ٣/٤٥٥.

(٢٤) ينظر: التقرير والتحبير: ٣/٤٥٥.

(٢٥) ينظر: المدخل ١/٣٧٤ ،الإنصاف للدهلوي ١/٧١.

(٢٦) ينظر: إرشاد الفحول،للشوكاني: ٢/٢٤٠.

(٢٧) ينظر الابهاج: ١/٨.

(٢٨) ينظر تاريخ المذاهب ٣١٥ ،عقد الجيد في احكام الاجتهاد والتقليد: ص٥ ،الاجتهاد يوسف القرضلوي:ص ٧٥

(٢٩) للمزيد من ذلك ينظر:أعلام الموقعين ؛ إذ ذكر طبقات الفقهاء ومراتبهم .

(٣٠) أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي رضي الله عنه ، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه ، وتوفي بالمدينة قال يحي بن سعيد: سنة إحدى أو اثنتين وتسعين. (ينظر: طبقات الفقهاء ١/٣٩).

(٣١) أبو عمران ابراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة النخعي رضي الله عنه توفي سنة ست وتسعين طبقات الفقهاء ١/٨٣.

(٣٢) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الفقيه روى عن القسم بن مخيمرة وعطاء وخلق كثير من التابعين وكان رأسا في العلم والعمل جم المناقب ومع علمه كان بارعا في الكتابة والترسل قال الهقل بن زياد أجاب الأوزاعي عن سبعين ألف مسألة وقال إسماعيل بن عباس سمعت الناس سنة أربعين ومائة يقولون الأوزاعي اليوم عالم الأمة وقال عبد الله الخريبي كان

الأوزاعي أفضل أهل زمانه. الكامل في التاريخ ٥/٢١٣ ،شذرات الذهب ١/٢٤١.

(٣٣) شيخ إقليم مصر وعالمه أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم الإصبهاني الأصل المصري أحد الأعلام. تاريخ الإسلام ١١/٣٠٧، ٣٠٣.

(٣٤) تاريخ ابن خلدون ٢/٣٨١. شذرات الذهب ١/٢٥٠. وهو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله بن منقر بن نصر بن الحارث الفقيه: سيد أهل زمانه علما وعملا.

قال ابن المبارك: كتبت عن ألف شيخ ومائة شيخ ما فيهم أفضل من سفيان، وقال شعبة ويحيى بن معين وغيرهما سفيان أمير المؤمنين في الحديث، وقال أحمد بن حنبل لا يتقدم على سفيان في قلبي أحد.

(٣٥) أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين الهاشمي العلوي وأمه فروة بنت القسم بن محمد ابن أبي بكر فهو علوي الأب بكري الأم . هو المعروف بالصادق الإمام العلم المدني وهو سبط القاسم بن محمد فإن أمه فروة ابنة القاسم وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ولهذا كان يقول جعفر الصادق ولدني الصديق مرتين ،مولده سنة ثمانين والظاهر أنه رأى سهل بن سعد وغيره من الصحابة. وحدث عنه أبو حنيفة وابن جريج وشعبة والسيانان ومالك ووهيب وحاتم بن اسماعيل ويحيى القطان وخلق عبرهم كثيرون أخرهم وفاة أبو عاصم النبيل وثقة يحيى بن معين والشافعي وجماعة وقال أبو حاتم ثقة لا يسأل عن مثله .

قال أبو حنيفة ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد وكان يقول سلوني قبل تفقدوني فإنه لا يحدثكم بعدي بمثل حديثي وتوفي سنة ثمان وأربعين ومنة ودفن بالبقيع.(ينظر: شذرات الذهب ١/ص٢، ٢٢٠/٢١٦، الوافي الوفيات ١١/٩٨،٩٩).

(٣٦) أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي الكوفي فقيه أهل العراق وإمام أصحاب الرأي وقيل إنه من أبناء فارس رأى أنسا وروى عن حماد بن أبي سليمان وعطاء وعاصم بن أبي النجود والزهري وقتادة وخلق آخرين ، قال ابن المبارك: ما رأيت في الفقه مثله، وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة توفي سنة ١٥٠هـ (ينظر: طبقات الحفاظ ١/٨٠)

(٣٧) أحمد بن حنبل:هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني،امتحن أيام المأمون والمعتصم ليقول بخلق القرآن فأبى ،وعلى يديه أظهر الله مذهب أهل السنة له من المؤلفات:المسند،ومسائل وفضائل الصحابة توفي بسنة:٢٤١هـ. (ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان البرمكي: ١/٦٣ –٦٥).

(٣٨) الشافعي:هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القريشي ،جمع الفقه والقراءات والأصول والحديث واللغة والشعر ،من مصنفاته: الأم في الفقه ،والرسالة في أصول الفقه واحكام القرآن وغيرها توفي سنة:٢٠٤هـ. (طبقات الفقهاء١/٧١).

(٣٩) الإمام مالك:هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك ابن أبي عامرالأصبحي الحميري ، شيخ الأئمة وإمام دار الهجرة،روى عن نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وغيرهم الكثير وروى عنه الشافعي وقال البخاري أصح الأسانيد مالك عن نافع عن بن عمر توفي سنة ١٧٩هـ من أشهر مصنفاته:الموطأ،وله رسالة في القدر والرد على القدرية. (ينظر: طبقات الحفاظ، للسيوطي:ص ٩٦).

(٤٠) أبو يوسف:هو الإمام يعقوب بن إبراهيم القاضي أخذ الفقه عن الإمام أبي حنيفة وهو أول من لقب بقاضي القضاة من أهم مصنفاته:الخراج أدب القاضي،الجوامع،توفي سنة إحدى أو اثنتين وثمانين ومائة.(ينظر: وفيات الاعيان، لابن خلكان:٦/٣٧٨، مغاني الأخيار، محمود بن احمد العيني:٣/٢٥٣)

(٤١) محمد بن الحسن الشيباني:هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني ،إمام في الفقه والأصول ،وهو ثاني أصحاب أبي حنيفة بعد أبي يوسف من مصنفاته الجامع الكبير والجامع الصغير توفي سنة:١٨٩هـ. ينظر:البداية والنهاية ١/٢٠٢

(٤٢) زفر:هو زفر بن الهذيل بن قيس العنبري اصله من أصبهان ،فقيه إمام من المقدمين من تلاميذ أبي حنيفة،وهو أقيسهم وكان يأخذ بالأثر، وقال ما خالفت ابا حنيفة في القول إلا وقد كان أبو حنيفة يقول به ،تولى قضاء البصرة وبها مات وهو أحد الذين دونوا الكتب، ينظر الاعلام١/٧٨

(٤٣) ابن القاسم : هو عبد الرحمن بن قاسم بن خالد العتقي المصري ، شيخ حافظ حجة فقيه ، صحب الإمام مالك وتفقه منه ويروى انه لم يرو أحد الموطأ عن مالك أثبت منه ، وروى عن مالك (المدونة) وهي من أجل كتب المالكية خرج عنه البخاري في صحيحه وأخذ عنه أسد بن الفرات ، ويحيى بن يحيى ونظراؤهما ، توفي بالقاهرة.ينظر :الاعلام ٤/٩٧.

(٤٤) أشهب:هو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري الجعدي،فقيه الديار المصرية في عهده كان صاحب الإمام مالك قال الشافعي:ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه قيل اسمه مسكين ،وأشهب لقب له ،مات بمصر،ينظر الاعلام ١/٣٣٥

(٤٥) الحسن بن محمد بن الصباح أبو علي البغدادي الزعفراني قال ابن حبان في الثقات كان راويا للشافعي وكان يحضر أحمد وأبو ثور عند الشافعي وهو الذي يتولى القراءة عليه وقال الزعفراني لما قرأت كتاب الرسالة على الشافعي قال لي من أي العرب أنت فقلت ما أنا بعربي وما أنا إلا من قرية يقال لها الزعفرانية قال فأنت سيد هذه القرية وقال الساجي سمعت الزعفراني يقول إني لأقرأ كتب الشافعي وتقرأ علي منذ خمسين سنة وكان طبقات الشافعية ج١/ص٦٣

إماما في اللغة وقال الماوردي هو أثبت رواة القديم توفي في رمضان سنة ستين ومائتين قاله النووي في تهذيبه وقال ابن خلكان في شعبان وقال الذهبي في سلخ السنة طبقات الشافعية ١/ ٦٢.
(٤٦) طبقات الشافعية ١/ ٧٠.
يوسف بن يحيى القرشي أبو يعقوب البويطي المصري الفقيه أحد طبقات الشافعية ج١/ص٧١
الأعلام من أصحاب الشافعي وأئمة الإسلام قال الربيع وكان له من الشافعي منزلة وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول سل أبا يعقوب فإذا أجاب اخبره فيقول هو كما قال وربما جاء إلى الشافعي رسول صاحب الشرطة فيوجه الشافعي أبا يعقوب البويطي ويقول هذا لساني وخلف الشافعي في حلقته بعده قال الشافعي ليس أحد أحق بمجلسي من أبي يعقوب وليس أحد من أصحابي أعلم منه ببغداد في السجن والقيد في المحنة في رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين
(٤٧) طبقات الشافعية ١/ ٥٨.
إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق أبو إبراهيم المزني المصري الفقيه الإمام صاحب التصانيف أخذ عن الشافعي وكان يقول أنا خلق من أخلاق الشافعي ذكره الشيخ أبو إسحاق أول أصحاب الشافعي وقال كان زاهدا عالما مجتهدا مناظرا محجاجا غواصا على المعاني الدقيقة صنف كتبا كثيرة قال الشافعي المزني ناصر مذهبي ولد سنة خمس وسبعين ومائة وتوفي في رمضان وقيل في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائتين
(٤٨) طبقات الحنابلة ٢/ ١١٩ .عبد العزيز بن جعفر بن احمد بن يزداد بن معروف أبو بكر المعروف بغلام الخلال وكان أحد أهل الفهم موثوقا به في العلم متسع الرواية مشهورا بالديانة موصوفا بالأمانة مذكورا بالعبادة
(٤٩)الكرخي:أبو الحسن عبيد الله بن الحسين بن دلال الكرخي(ت ٣٤٠هـ)إليه انتهت رئاسة العلم في أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله تعالى وكان ورعا وعنه أخذ أبو بكر الرازي وابو علي الشاشي . ينظر طبقات الفقهاء١/ ١٤٨
(٥٠) طبقات الحنفية ج١/ص١٠٢، ١٠٣ .. أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم بن سليمان الحجري المصري أبو جعفر الطحاوي الفقيه الإمام الحافظ.
كان إماما فقيها من الحنفيين ولد سنة تسع وعشرين ومائتين ومات سنة ٢٢٩.
(٥١) محمد بن أحمد بن سهل أبو بكر شمس الأئمة فقيه ، أصولي ، مجتهد ، قاضي من كبار أئمة الأحناف ، مجتهد،ونسبته تعود الى سرخس في خراسان ، أشهر كتبه (المبسوط) (شرح الجامع الكبير للإمام محمد) (والأصول) توفي عام ٤٨٣هـ على الأشهر. (ينظر: معجم المؤلفين ٨ / ٢٦٧، الأعلام ٦ / ٢٠٨).
(٥٢) طبقات الفقهاء ١/ ١٦٨ . أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن صالح الأبجري التميمي من أنفسهم وتفقه ببغداد على أبي عمر محمد بن يوسف وبابنه أبي الحسن وجمع بين طبقات الفقهاء ج١/ص١٦٩
القرآآت وعلو الاسناد والفقه الجيد وشرح مختصر أبي عبد الله ابن عبد الحكم وانتشر عنه مذهب مالك في البلاد ومولده قبل التسعين ومأتين ومات سنة خمس وسبعين وثلاثمائة
(٥٣) هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الروزي كان فقهيا بارعا وتولى القضاء ببعض جهلت غرناصة ،توفي سنة ٥٤٤ .ينظر: الديباج المذهب ص٢٣١.
(٥٤) ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي أبو إسحاق العلامة المناظر، ولد في فيروزأباد (بفارس) عام ٣٩٣هـ و انتقل إلى شيراز فقرأ على علمائها و انصرف إلى البصرة ومنها إلى بغداد له تصانيف عديدة منها (التنبيه) و(المهذب) و (التبصرة في أصول الشافعية) و (اللمع و شرحه) في أصول الفقه و غيرها مات ببغداد عام ٤٧٦هـ. ينظر: معجم المؤلفين ١/ ٦٨، الأعلام ١/ ٥١.
(٥٥) عبد الله بن محمد بن عيسى هو الذي اظهر مذهب الشافعي بمو وقرا على المزني والربيع. . (ينظر: طبقات الشافعية ص٢٨٨) .
(٥٦) الشيخ ابو حامد احمد بن محمد بن أحمد بن أبي طاهر الاسفرايني، الفقيه الشافعي؛ انتهت إليه رياسة الدنيا والدين ، وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلاثمائة فقيه(٣٤٤-٤٠٦هـ)، ينتسب إلى إسفرايين من بلاد نيسابور، وتوفي ببغداد. (ينظر: سير اعلام النبلاء ١٧/ ١٩٤ .وفيات الاعيان :١/ ٧٢).
(٥٧) ينظر: عقد الجيد في احكام الاجتهاد، ولي الله الدهلوي.، ص ٢٤ ،مختصر طبقات الحنابلة، للنابلسي (٣٧٧)، وينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (٢/ ٢٥٦)، سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٨٩)، الكامل في التأريخ لابن الاثير ، (١٠/ ٥٢)، البداية والنهاية، لابن كثير (١٢/ ٩٤).
(٥٨) ينظر: المجموع: ١/ ٤٤، الانصاف في معرفه الراجح من الخلاف للمرداوي: ١٢/ ٢٦٣. .
(٥٩) هو ابو الحسن احمد بن محمد بن جعفر بن حمدان المعروف بالقدري،شيخ الحنفية في العراق توفي:٤٢٨ ،ينظر: وفيات الاعيان١/ ٧٨. معجم المؤلفين٢/ ٦٦.
(٦٠) هو مسعود بن أحمد الملقب بعلاء الدين تفقه على علاء الدين السمرقندي ،ينظر :معجم المؤلفين ٣/ ٧٥
(٦١) محمد بن علي بن عمر المازري فقيهيه مالكي، ومن كبار أئمة زمانه، وُلد عام ٤٥٣ هـ، وتوفي ٥٣٠ هـ.

(ينظر: سير اعلام النبلاء للذهبي: ٢٠/١٠٤).
(٦٢) ابو الوليد محمد بن ابي الوليد ابن رشد يلقب بقاضي الجماعة،و يُطلق عليه ابن رشد الجد، توفي ٥٩٥هـ (ينظر.: سير علم النبلاء للذهبي: ١٧/ ٥٠١).
(٦٣) أبو حامد بن محمد الغزالي الشافعي ،له مصنفات عديدة منها المستصفى ،والمنخول في أصول الفقه. وُلد عام ٤٥٠هـ في طوس (ايران حاليًا)، وتوفي فيها عام ٥٠٥هـ. لقب بالغزالي.(ت ٥٠٥هـ). (ينظر: سير اعلام النبلاء: ١٩/٣٢٢).
(٦٤) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ،المعروف بموفق الدين الحنبلي،من فقهاء الحنابلة ، ومن أهم مصنفاته:المغني في الفقه شرح الناظر مختصر الخرقي،والكافي،والمقنع،والعمدة،وله روضة الناظر في أصول الفقه. توفي يوم عيد الفطر عام ٦٢٠ هـ في دمشق، ودُفن بجبل قاسيون خلف الجامع المظفري. (ينظر سير اعلام النبلاء الذهبي ٢٢/١٦٥، شذوات الذهب ٥/٨٨، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/١٣٣)
(٦٥) ينظر:عقد الجيد، ص: ٥.
(٦٦) ينظر:سنن أبي داود : ٢/٣١٧.
(٦٧) ينظر : السنن الكبرى للبيهقي: ١/٢٢٩.
(٦٨) ينظر :الموافقات : ٤/٢٤٤ .
(٦٩) ينظر: شرح الكوكب المنير ٤/٥١٧، المسودة ص ٥١٧، الموافقات ٤/٢٤٤، تشنيف المسامع ٢/٢٢٠
(٧٠) ينظر الابهاج ٢/٢٢٨
(٧١) ينظر: التقرير والتحبير٣/٤٥٩ ، حاشية العطار على جمع الجوامع٢/٤٣٣ .
(٧٢) ينظر: سنن أبي داود ١/٩٣.
(٧٣) ينظر: أضواء البيان: ٧/٣١٩.
(٧٤) ينظر البحر المحيط في أصول الفقه ٤/٥٩٧،تشنيف المسامع٢/٢٢٩
(٧٥) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية ٢٠/٢٢٢، ارشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين ١/٢٥١، قمع أهل الزيغ والإلحاد ٦٤،الفقه الاسلامي مرونته وتطوره، ص١٦٠
(٧٦) ينظر: تشنيف المسامع : ٢/٢٢٩
(٧٧) ينظر : البحر المحيط ٤/٥٩٦ ، تشنيف المسامع ٢/٢٢٩.
(٧٨) اخرجه ابن حبان في صحيحه: ١/٦٩ برقم (٣٥٤) واسناده صحيح.
(٧٩) اعلام الموقعين : ١/٧٩.
(٨٠) ينظر البحر المحيط ٤/٥٩٦، الاجتهاد والتقليد ٣٢٢
(٨١) المصدران انفسهما
(٨٢) ينظر: البحرالمحيط في أصول الفقه ٤/٥٩٧
(٨٣) ينظر: كشاف القناع عن الإقناع ٦/٢٩٣، الفروع٣/٤٩٣،شرح منتهى الإرادات ٣/٤٩١، مطالب أولي النهى٦/٤٦٣ . ارشاد المقلدين، ص١٧٠
(٨٤) ينظر: إجابة السائل شرح بغية الآمل ١/٤١٢ ، إجابة السائل شرح بغية الآمل ١/ ٤١٢، السيل الجرار ١/٢٢
(٨٥) ينظر: إجابة السائل شرح بغية الآمل ١/٤١٢.
(٨٦) ينظر : نشر البنود على مراقي السعود ٢/٢٢٤
(٨٧) ينظر:الفواكه الدواني: ٢/٣٥٦-٣٥٧. قمع أهل الزيغ والإلحاد، ص٦٤.
(٨٨) ينظر: قمع اهل الزيغ والإلحاد، ص٦٤.
(٨٩) ينظر:جلاء العمى في إتباع الأئمة العظماء ٢٢، جزيل المواهب في اختلاف المذاهب للسيوطي نقلا عن تنقيح الفتاوي الحادية، لإبن عابدين: ٧/ ٤١٢، الطبقات السنية في تراجم الحنفية: ١/١٣٧. قمع اهل الزيغ والإلحاد، ص٦٤.
(٩٠) ينظر: المراجع السابقة.
(٩١) نشر البنود على مراقي السعود ٢/٢٣١. قمع اهل الزيغ والإلحاد، ص ٦٤ وما بعدها.
(٩٢) ينظر جلاء العمى في إتباع الأئمة العظماء ٢٤.
(٩٣) ينظر عقد في أحكام الاجتهاد والتقليد الفاروقي الدهلوي ١/١٢.
(٩٤) ينظر الدرر السنية في الكتب النجدية ٥/٥٣.
(٩٥) الدرر السنية في الكتب النجدية: ٥ / ٥٤.
(٩٦) ينظر: عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد الفاروقي الدهلوي ١/١٢.

(٩٧)جامع الأحاديث للسيوطي، ٢٢/٧٥ برقم ٢٤٣٥٥، والخطيب في الكفاية:ص٤٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق:٢٢/٣٥٩، وقيل: الحديث غريب.
(٩٨) ينظر: جلاء العمى في إتباع الأئمة العظماء ٢٥.
(٩٩) ينظر: صحيح البخاري ٨/٨٠، صحيح مسلم ١١/٤٠٣.
(١٠٠) ينظر البحر المحيط ٤/٥٩٧ عقد الجيد١٢
(١٠١) نشر البنود ٢/٢٢٩
(١٠٢) احكام الامدي :٢/٤٥٨، ينظر البحر المحيط ٤/٥٩٨
(١٠٣) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه: ٤/٥٩٧.
(١٠٤) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه: ٤/٥٩٩، ٣٧٦ وما بعدها.
(١٠٥) ينظر: مسند الحميدي: ١/٢١٤.
(١٠٦) كنز العمال: ١/١٨٧.
(١٠٧) مشكاة المصابيح: ١/٦٧، الحلية لأبي نعيم ١/ ٣٠٥،٣٠٦،حلية الأولياء ١/١٣٦.
(١٠٨) ينظر: بيان المختصر شرح ابن الحاجب، ابو الثناء الاصبهاني:١/٥٨٥.
(١٠٩) ينظر: البحر المحيط في اصول الفقه، لبدر الدين الزركشي، ٨/٣٤٨، الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني: ٤/١٤٧.
(١١٠) ينظر: الدرر اللوامع: ٤/١٤٧، المسودة، ص ٤٦٦، الروضة للامام النووي: ١١ / ٩٩، تيسير التحرير: ٤/ ٢٥٠، المدخل إلى مذهب أحمد: ص/ ١٩١.
(١١١) ينظر: المعتمد: ٢/ ٣٦٠، المنخول: ص ٤٨٠، إرشاد الفحول: ص ٢٦٩.
(١١٢) ينظر: نفائس الاصول في شرح المحصول، القرافي: ٩/ ٣٩٢٣.
(١١٣) ينظر: المصدر نفسه.
(١١٤) ينظر: الدرر اللوامع: ٤/١٤٩ وما بعدها، المحصول: / ٣/ ٩٧ – ٩٨.
(١١٥) لسان العرب، ابن منظور : ١٥/١٤٥ .
(١١٦) لسان العرب : ١٥/١٤٧ – ١٤٨.
(١١٧) هو القاضي أبو القاسم عبد الواحد بن الحسين اليمري كان حافظا للمذهب شيخ الشافعية وعالمهم القاضي من أحاب الوجوه تفقه بأبي حامد المروروذي وبأبي الفياض وارتحل الفقهاء إليه إلى البرة وعليه تفقه أقضى القضاة الماوردي، وألف كتاب الإيضاح في المذهب سبع مجلدات وكتاب القياس والعلل وغير ذلك ،كان موجودا سنة ٤٠٥هـ .طبقات الفقهاء : ١/٢٢٣–٢٢٤ .طبقات الشافعين :٢/١٨٤–١٨٥ .سير أعلام النبلاء : ١٧/١٤ .
(١١٨) أدب المفتي والمستفتي : ١/٨٤ ، صفة الفتوى : ١/١١، آداب الفتوى : ١/١٦.
(١١٩) ينظر:غاية الوصول في شرح لب الأصول، ص ٤٨٦ ، ٤٨٤، ٤٨٥، البحر الرائق٦/٢٩٠
(١٢٠) ينظر: إرشاد الفحول، ٢/٢٥٠.
(١٢١) شرح الزركشي على الخرقي:٢/٤٦٣، ٤٨٦
(١٢٢) ينظر:مطالب اولي النهى٦/٤٤٧
(١٢٣) ينظر:اعلام الموقعين ٤/١٧٧.
(١٢٤) ينظر:إعلام الموقعين ٤/١٧٥.
(١٢٥) ينظر :اعلام الموقعين٤/١٧٦
(١٢٦) ينظر: التمذهب دراسه نظرية نقدية، د.خالد مساعد الرويتع: ٣/١٢٧٤.
(١٢٧) كشاف القناع ٦/٣٠٧–٣٠٨
(١٢٨) مختصر الفتاوى المصرية ١/٣٩٧، منح الجليل ٨/٢٧٠،الفتاوى الفقهية الكبرى ٢/٢١٣.
(١٢٩) ينظر: كشاف القناع ٦/٢٩٣، مطالب اولي النهى٦/٤٦٣.
(١٣٠) ينظر:الحاوي١٦/٢٥ ،كشاف القناع ٦/٢٩٣.
(١٣١) ينظر: روضة الطالبين ١١/١٢٠
(١٣٢) ينظر:اعانة الطالبين ٤/٢١٩، التمهيد للاسنوي١/٥٢٨
(١٣٣) ينظر: المغني ٢/١١، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ٢٣/٣٧٥.
(١٣٤) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ٢٣/٣٧٦
(١٣٥) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه: ٢٣/٣٧٨–٣٨٠.
(١٣٦) ينظر: رد المحتار ٢/٣٠٢، الاقناع في حل الفاظ ابي شجاع ١/٣٥٧، زاد المحتاج١/٢٦٨،المغني ٢/١١

(١٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه: ١/٦٩٤ برقم (٦٩٤) .
(١٣٨) ينظر: المنثور ١/٣٩٨، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ٢٣/٣٧٨.
(١٣٩) ينظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للخطاب: ٦/٣٧،حاشية الدسوقي ٤/٨٨ الذخيرة ٦/٣٢٧
(١٤٠) ينظر: مطالب أولي النهى: ٤/٣٢٦.
(١٤١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠/١٦٣، ١٦٤، ١١/٥١٤، ٢٢/٢٥١ –٢٥٣)، إعلام الموقعين، (١/٤٩).
(١٤٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٢٢/٢٤٨، ٢٤٩)، إعلام الموقعين (٤/٢٦٢).
(١٤٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠/٨، ٩، ١٧، ٢٢٣، ٢٢٤).
(١٤٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٢/٢٥٤)، إعلام الموقعين (٢/٢٧٥).
(١٤٥) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/٣٦٧، ٢١/١٥٠).
(١٤٦) ينظر: المصدر السابق (٢٢/٢٥٥، ٢٤/١٥٤).
(١٤٧) ينظر: المصدر السابق (٣٥/١٢١). وينظر: إعلام الموقعين (٢/١٩٢).
(١٤٨) سورة التوبة: آية ٣١.
(١٤٩) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠/٢١٦).

المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم.
١. إجابة السائل شرح بغية الآمل، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ)، تح: القاضي حسين بن أحمد السياغي – الدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: ٢، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨
٢. التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي (ت ٧٧٢ هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصوصه: د. محمد حسن هيتو، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: ٢، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م
٣. نهاية السول (شرح منهاج الوصول في علم الأصول)، المؤلف: جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (ت ٧٧٢ هـ)، ضبطه وصححه ووضع حواشيه: عبد القادر محمد علي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م
٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، تح: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.
٥. نفائس الأصول في شرح المحصول، المؤلف: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المصري المشهور بـ (القرافي) (ت ٦٨٤ هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة – السعودية، ط: ١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م
٦. التمذهب (دراسة نظرية نقدية)، المؤلف: الدكتور خالد بن مساعد بن محمد الرويتع، رسالة دكتوراه – قسم أصول الفقه بكلية الشريعة بالرياض بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،الناشر: دار التدمرية الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.
٧. الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (٨١٢ – ٨٩٣ هـ)، تح: سعيد بن غالب كامل المجيدي، رسالة دكتوراة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م
٨. البحر المحيط في أصول الفقه، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، الناشر: دار الكتبي، ط: ١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م
٩. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، المؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت ٩٧٠ هـ)، وفي آخره: «تكملة البحر الرائق» لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري [ت بعد ١١٣٨ هـ] ، وبالحاشية: «منحة الخالق» لابن عابدين [ت ١٢٥٢ هـ]، الطبعة: الثانية، دار الكتاب الإسلامي.
١٠. بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، المؤلف: محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني (ت ٧٤٩ هـ)، المحقق: محمد مظهر بقا، الناشر: دار المدني، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م
١١. روضة الطالبين وعمدة المفتين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، حققه: قسم التحقيق والتصحيح في المكتب الإسلامي بدمشق، بإشراف زهير الشاويش [ت ١٤٣٤ هـ]، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢ هـ–١٩٩١م.
١٢. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق – كفر بطنا، الناشر: دار الكتاب العربي، ط: ١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩،عدد الأجزاء: ٢.
١٣. إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين، المؤلف: الامام باب بن الشيخ سيديا الشنقيطي ت ١٣٤٢ هـ.
١٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،

الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م
١٥. الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: سيف الدين، أبو الحسن، علي بن محمد الآمدي [ت ٦٣١ هـ]، علّق عليه: عبد الرزاق عفيفي [ت ١٤١٥ هـ]، الناشر: مؤسسة النور بالرياض، سنة ١٣٨٧ هـ، ثم أعاد طباعتها: المكتب الإسلامي (دمشق – بيروت) طبعة ثانية سنة ١٤٠٢ هـ
١٦. الإبهاج في شرح المنهاج (على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفى سنه ٦٨٥ هـ)، المؤلف: شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى: ٧٥٦ هـ) وولده تاج عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١ هـ)؛ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م.
١٧. الفروع، شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي (ت ٧٦٣ هـ)، ومعه: «تصحيح الفروع» لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: (مؤسسة الرسالة – بيروت)، (دار المؤيد – الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
١٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، الناشر: مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، عام النشر: ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤م
٢٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ ٢١. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.
٢٢. تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩ هـ – ٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م
٢٣. تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي
المؤلف: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)
دراسة وتحقيق: د سيد عبد العزيز – د عبد الله ربيع، المدرسان بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر، الناشر: مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث – توزيع المكتبة المكية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م
٢٤. التقرير والتحبير [وهو] شرح ابن أمير الحاج (ت ٨٧٩) على «تحرير الكمال بن الهمام» (ت ٨٦١) في علم الأصول، الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية، الطبعة: الأولى، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر ١٣١٦ – ١٣١٨ هـ
٢٥. الكامل في التاريخ
المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)
تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان
الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م
٢٦. آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١ – ٦٧٦ هـ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي [ت ١٤٣٨ هـ]، الناشر: دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٢٧. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى
٢٨. الوافي الوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م
٢٩. تيسير التحرير على كتاب التحرير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية لكمال الدين ابن همام الدين الإسكندرية، المؤلف: محمد أمين المعروف بأمير بادشاه الحسيني الحنفي الخراساني البخاري المكي (ت ٩٧٢ هـ)، الناشر: مصطفى البابي الحلبي – مصر (١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م)، دار الكتب العلمية – بيروت (١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م)، ودار الفكر – بيروت (١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م)
٣٠. تاريخ ابن خلدون، المؤلف: عبد الرحمن بن بن خلدون (٧٣٢ – ٨٠٨ هـ)
ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م
٣١. تاريخ بغداد (أو مدينة السلام)، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: (الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م)، (الثانية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م)
٣٢. البداية والنهاية، المؤلف: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي المعروف بـ (ابن كثير) (ت ٧٧٤ هـ)، مطبعة السعادة – القاهرة، (الجزء الأول فقط، طبع مطبعة كردستان العلمية بمصر، لصاحبها فرج الله الكردي)، ط: ١، ١٣٤٨ – ١٣٥٨ هـ
٣٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)؛

المحقق: عمر عبد السلام التدمرية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.
٣٥. التمذهب (دراسة نظرية نقدية)، المؤلف: الدكتور خالد بن مساعد بن محمد الرويتع، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه – قسم أصول الفقه بكلية الشريعة بالرياض بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الناشر: دار التدمرية الرياض – المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.
٣٦. جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطي والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوي، والفتح الكبير للنبهاني)، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية)، طبع على نفقة: د حسن عباس زكي.
٣٧. أدب المفتي والمستفتي، المؤلف: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح الشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ)، دراسة وتحقيق: د موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: (مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة)، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.
٣٨. جزيل المواهب في اختلاف المذاهب، مؤلف: جلال الدين السيوطي، الناشر: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دار الخاني للنشر والتوزيع، تاريخ الإصدار: ٠١ يناير ١٩٩٢.
٤٠. حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، المؤلف: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
٤١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩ هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط [ت ١٤٢٥ هـ]، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
٤٢. شرح منتهى الإرادات – المسمى: «دقائق أولي النهى لشرح المنتهى»، المؤلف: منصور بن يونس بن بن إدريس البهوتي، فقيه الحنابلة (ت ١٠٥١ هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت (وله طبعة مختلفة عن عالم الكتب بالرياض؛ فأثبتته)، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.
٤٣. شرح الزركشي على الخرقي شرح الزركشي، المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (ت ٧٧٢هـ)، الناشر: دار العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.
٤٤. عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، المؤلف: أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف«الشاه ولي الله الدهلوي» (ت ١١٧٦ هـ)، المحقق: محب الدين الخطيب [ت ١٣٨٩ هـ]، الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة.
٤٥. الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (٨١٢ – ٨٩٣ هـ)، المحقق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، سنة النشر: ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٤٦. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام
المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: ٦، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦.
٤٧. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، المؤلف: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت ٧٩٩هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢.
٤٩. الفقه الاسلامي مرونته وتطوره، جاد الحق علي جاد الحق.
٥٠. الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (٧٣٦ – ٧٩٥ هـ)، وقف على طبعه وصححه: محمد حامد الفقي [ت ١٣٧٨ هـ]، الناشر: مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، (وصورتها دار المعرفة، بيروت)، عام النشر: ١٧٣٢ هـ – ١٩٥٢ م.
٥١. غاية الوصول في شرح لب الأصول، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ)، الناشر: دار الكتب العربية الكبرى، مصر (أصحابها: مصطفى البابي الحلبي وأخويه).
٥٢. حاشية رد المحتار، على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار، المؤلف: محمد أمين، الشهير بابن عابدين [ت ١٢٥٢ هـ]، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م
٥٣. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد [ت ١٣٩٢ هـ]، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت
٥٤. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
٥٥. سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: حسين أسد، شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، بشار معروف، محيي هلال السرحان،وغيرهم بإشراف: شعيب الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
٥٦. شرح الكوكب المنير = المختبر المبتكر شرح المختصر
المؤلف: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (ت ٩٧٢ هـ)، المحقق: محمد الزحيلي – نزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م

٥٧. صحيح البخاري، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفري، تحقيق: جماعة من العلماء الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت.
٥٨. إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)، المؤلف: أبو بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (ت ١٣١٠هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧
٥٩. صحيح مسلم، المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، عام النشر: ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م.
٦٠. صحيح ابن حبان،المؤلف: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ)المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، الناشر: دار ابن حزم – بيروت
الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.
٦١. صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النميري الحرّاني الحنبلي (ت ٦٩٥هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧
٦٢. طبقات الفقهاء، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)
هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ)
المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان ط: الاولى، ١٩٧٠ ٦٣. طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٤١٣هـ.
٦٤. الطبقات السنية في تراجم الحنفية، المؤلف: الملوى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري الحنفي (ت ١٠١٠ هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو [ت ١٤١٤ هـ]، الناشر: دار الرفاعي – الرياض، السعودية، ط: ١، (١٤٠٣ – ١٤١٠ هـ) = (١٩٨٣ – ١٩٨٩ م).
٦٥. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المؤلف: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (ت ١١٢٦هـ)، دار الفكر
الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٦٦. قمع أهل الزيغ والإلحاد في جواز تقليد أئمة الاجتهاد» للشيخ محمد الخضر الشنقيطي، مطبعة دار البشير.
٦٧. كشاف القناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي
راجعه وعلّق عليه: هلال مصيلحي مصطفى هلال – أستاذ الفقه والتوحيد بالأزهر الشريف، الناشر: مكتبة النصر الحديثة بالرياض، لصاحبيها/ عبدالله ومحمد الصالح الراشد، الطبعة: بدون تاريخ طبع.
٦٨. مجموع الفتاوى، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، وساعده: ابنه محمد وفقه الله، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – السعودية، عام النشر: ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م ٦٩. القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)؛ المحقق: عبد الرحمن عبد الخالق، الناشر: دار القلم – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.
٧٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المؤلف: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ)، ضبطه وفسر غريبه: الشيخ بكري حياني، صححه ووضع فهارسه ومفتاحه: الشيخ صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م
٧١. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران (ت ١٣٤٦هـ)، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ
٧٢. المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م
٧٣. المسودة في أصول الفقه، المؤلف: آل تيمية [بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية (ت ٦٥٢ هـ)، جمعها وبيضها: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الحراني الدمشقي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد [ت ١٣٩٢ هـ] ، الناشر: مطبعة المدني (وصورته دار الكتاب العربي).
٧٤. المعجم الوسيط، المؤلف: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة: الثانية [كُتِبَتْ مقدمتُها ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م]
وصوّرتْها: دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت، وغيرهما كثير
٧٥. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون [ت

١٤٠٨ هـ]، الناشر: شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ٢، (١٣٨٩ – ١٣٩٢ هـ) (١٩٦٩ – ١٩٧٢ م).
٧٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠ هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت
٧٧. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى: : مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيباني مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (ت ١٢٤٣هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
٧٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغوي ين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
٧٩. الفتاوى الكبرى الفقهية، شهاب الدين، أحمد بن حجر المكي الهيتمي (٩٠٩ – ٩٧٤ هـ)، جمعها: تلميذ ابن حجر الهيتمي، الشيخ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي (التوفى ٩٨٢ هـ)تصوير: المكتبة الإسلامية
٨٠. الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان
الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م
٨١. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان
الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م
٨٣. المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)
باشر تصحيحه: لجنة من العلماء، الناشر: (إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي) – القاهرة، عام النشر: ١٣٤٤ – ١٣٤٧ هـ
٨٥. معجم المؤلفين، المؤلف: عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٨٧. مختصر الفتاوى المصرية، در الدين أبو عبد الله، محمد بن علي الحنبلي البعلي (ت ٧٧٧ هـ)، أشرف على تصحيحه: عبد المجيد سليم [ت ١٣٧٤ هـ] مفتي الديار المصرية ورئيس لجنة الفتوى الأزهر، شارك في تحقيقه وقام على طباعته: محمد حامد الفقي [ت ١٣٧٨ هـ] بمطبعته السنة المحمدية (وصوّرتها دار الكتب العلمية وغيرها)
٨٨. مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.
٨٩. مسند الحميدي، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (ت ٢١٩هـ)، تحقيق: حسن سليم أسد الدّارانيّ، الناشر: دار السقا، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م.
٩٠. الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، المحقق: مكتب البحوث والدراسات – دار الفكر، الناشر: دار الفكر – بيروت.
٩١. المنخول من تعليقات الأصول، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمد حسن هيتو، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت لبنان، دار الفكر دمشق – سورية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
٩٢. المعتمد في أصول الفقه، المؤلف: أبو الحسين محمد بن علي الطيب البَصْري المعتزلي (ت ٤٣٦ هـ – ١٠٤٤ م)، قدم له وضبطه: خليل الميس (مدير أزهر لبنان)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.
٩٣. المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (٥٤١ – ٦٢٠ هـ)، على مختصر الخرقي (المتوفى ٣٣٤ هـ)، تحقيق: طه الزيني – ومحمود عبد الوهاب فايد – وعبد القادر عطا [ت ١٤٠٣ هـ]– ومحمود غانم غيث، الناشر: مكتبة القاهرة، ط: ١، (١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م) – (١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م)
٩٤. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (ت ٩٥٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٩٥. نشر البنود على مراقي السعود، المؤلف: عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، تقديم: الداي ولد سيدي بابا – أحمد رمزي، الناشر: مطبعة فضالة بالمغرب
الطبعة: (بدون طبعة) (بدون تاريخ)
٩٦. الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، المؤلف: أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ «الشاه ولي الله الدهلوي» (ت ١١٧٦هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار النفائس – بيروت، ط: ٢، ١٤٠٤هـ.
٩٧. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي (٧١٧ – ٨٨٥ هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي [ت ١٣٧٨ هـ]، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، ط: ١، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م، وصوّرتها: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٩٨. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، المؤلف: أحمد الريسون، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

الشعوبية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ «ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م»

م. د. زينب ضاري حسين
جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية/قسم التاريخ



المستخلص:
الشعوبية هي حركة اجتماعية قومية ظهرت بوادرها في العصر الأموي، إلا أنها ظهرت للعيان في بدايات العصر العباسي، وهي حركة من يرون أن لا فضل للعرب على غيرهم من العجم، وقد تصل إلى حد تفضيل العجم على العرب والانتقاص منهم.
وقد تصدى مجموعة من المفكرين للرد على الشعوبيين, ومن بينهم بل يعد أولهم الجاحظ من تصدى لهم، فقد أنفق ما يملك من قوة ليثبت أن العرب يستطيعون أن ينهضوا بكل المفاخر الاعجمية, وأن يأتوا بخير منها، فالجاحظ الذي يعد من كبار أئمة الأدب, بل هو أمام الأدباء في العصر العباسي الثاني، فقد عاش هذا المفكر قرابة المئة عام، وكان العصر الذي عاش فيه يعد عصر ازدهار لكافة العلوم، والمعارف العربية والإسلامية، فقد اشتملت ثقافة الجاحظ على كافة العلوم المعروفة في عصرة من منطق, وفلسفة, ورياضيات, وطبيعيات, وسياسة, وأخلاق, وفراسة، فقد ابدع فيها جميعاً, وتكونت لديه ثقافة متنوعة وغزيرة، لذا جاء اختيارنا لموضوع (الشعوبية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)) لدراسته. فقد قسم البحث إلى فقرتين، تناولنا في الأولى سيرة حياة الجاحظ وبصورة مختصرة، أما الفقرة الثانية، فقد درسنا فيها تعريف للشعوبية ورد الجاحظ عليها، أعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع تشهد فيها القائمة في نهاية البحث.

الكلمات المفتاحية: الشعوبية، الشعوبيين، المفكرين، العلوم،المعارف .

Abstract:
Shu›ubism is a social nationalist movement whose beginnings appeared in the Umayyad era, but it became apparent in the early Abbasid era. It is a movement of those who believe that Arabs have no superiority over non-Arabs, and it may even reach the point of favoring non-Arabs over Arabs and disparaging them.
A group of thinkers rose up to respond to the Shu›ubism, and among them, he was considered the first to confront them. He expended all his strength to prove that Arabs could rise up to all the glory of non-Arabs and produce better ones. Al-Jahiz, considered one of the greatest literary figures and indeed the foremost literary figure of the second Abbasid era, lived for nearly a hundred years, and the era in which he lived was considered an era of prosperity for all Arab and Islamic sciences and knowledge. Al-Jahiz›s culture encompassed all the sciences known at his time, including logic, philosophy, mathematics, physics, politics, ethics, and physiognomy. He excelled in all of them, and he developed a diverse and rich culture.

Keywords: Populism, Populists, Thinkers, Science, Knowledge.

أولاً. الجاحظ ومسيرته العلمية:
هو عمرو بن بحر بن محبوب(١), الكناني بالولاء الليثي(٢), البصري, المكنى بأبي عثمان، وأشتهر بلقب الجاحظ(٣)، وهو مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني(٤).
ولد الجاحظ في البصرة قيل سنة (١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، وقيل سنة (١٥٩هـ/ ٧٧٥م)، وقيل سنة (١٦٣هـ/ ٧٦٨-٧٧٦- ٧٨٠م)، التي كانت محط أنظار العلماء, والفقهاء, والأدباء(٥)، فقد أزداد نمو البصرة وتطورها, على الرغم من بناء بغداد لتكون عاصمة للدولة العباسية سنة (١٤٥هـ/ ٧٦٢م)، فظلت البصرة تتمتع بمكانتها الثقافية حتى صارت

تمثل باب بغداد الكبير, والمنفذ الرئيس لإقليم العراق، وعلى هذا الأساس ذكرها الجاحظ بقوله: «إن العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق»(٦), تتلمذ الجاحظ على مجموعة من الشيوخ الأجلاء في مختلف فنون العلم والآدب, ففي علم الكلام, يعد أبو الهذيل العلاف(٧) من أشهر من أخذ عنه(٨)، وأبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور(٩)، كان أستاذ وصاحب الجاحظ, وأورد ذكره أكثر من مائة مرة, وأثبت أراءه في مسائل عدة مثل الأعراض والجواهر(١٠).

بالإضافة إلى ثمامة بن الأشرس(١١) الذي يُعدُّ من أجلّ المتكلمين من المعتزلة, قضى حياته في العلم, والأدب، كما أنه حمل المأمون على جعل الاعتزال مذهب الدولة الرسمي، وحرضه على إعلان البراءة من معاوية, فكان من كبار شيوخ الجاحظ(١٢), وقال الجاحظ عن أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي(١٣)، ويزيد بن هارون(١٤) في مجال الفقه والحديث(١٥).

ومن شيوخ الجاحظ في اللغه, والأدب, والشعر, والرواية, والانساب, أبي عبيد معمر بن المثنى التميمي(١٦)، والاصمعي(١٧)، الذي أخذ عنه الأخبار, والنوادر, والمعارف الطبيعية عن الحيوانات(١٨)، وأبو زيد بن أوس الأنصاري(١٩), الذي كان بارعاً في اللغة والنوادر(٢٠)، وأخذ عن شيحة محمد بن زياد بن الاعرابي(٢١)، فقد كان بارعاً في الشعر واللغة(٢٢)، وخلف الاحمر(٢٣)، كما أخذ عن أبو عمرو الشيباني(٢٤)، فقد استفاد منه الجاحظ كثيراً في كتابة الحيوان(٢٥).

كما أخذ عن أبي الحسن الاخفش(٢٦)، فقد أخذ عنه الجاحظ الكثير من الروايات, وخاصة في كتابة النحو(٢٧)، وروى الكثير الكثير من الأخبار في كتبه عن علي بن محمد المدائني(٢٨)(٢٩).

كما أخذ الجاحظ عن الهيثم بن عدي(٣٠)، وخاصة في كتابه البيان والبرصان والبخلاء(٣١)، كما أخذ عن هشام بن محمد الكلبي(٣٢)، فقد أخذ عنه الكثير من علم الأنساب, واخبار العرب, واخبار العرب ووقائعها(٣٣).

أما أشهر من أخذ عن الجاحظ, والذي يعدون من تلامذته هو ميموت بن المزرع، فقد أخذ عنه الاخبار, والنوادر, والاشعار, والنحو, والحديث(٣٤)، ومن تلامذته كذلك أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله, والمعروف بالفراء الديلمي الكوفي(٣٥)، وكذلك محمد بن يزيد المبرد(٣٦)، فقد روى عنه كثير من الأخبار والنوادر في كتابه الكامل في الأدب(٣٧)، وكذلك أبو العيناء محمد بن القاسم(٣٨)، صاحب نوادر, وشعر وأدب، كان من المقربين للجاحظ, فروى عنه, وأقتبس منه العلم، وكانت بينهما صداقة ومودة(٣٩)، وأبو بكر بن أبي دؤاد(٤٠)، وميمون بن هارون(٤١)، وأبو حيان التوحيدي, الذي ألف كتاباً في تقريض الجاحظ(٤٢)، ومحمد بن عبد الله بن أبي الدلهاث(٤٣).

أما عن مؤلفاته: فقد عد الجاحظ من أقدم المؤلفين وأكثرهم تصانيف في كل فن, وعلم، كان معروفاً لزمانه, بل يمكن أن يقال إنه هو الذي شرع التأليف في الأدب، فقد جمعت كتبه, ورسائله بين العلم, والفائدة, لبراعته في التعبير, وسحر البلاغة في الأسلوب, فقد ترك الجاحظ بحدود (٣٦٠) مؤلفاً, قسماً منها قد طبع والأخر ما زال مخطوطاً, فضلاً عما فقد منها، وسنذكر قسماً منها على سبيل المثال لا الحصر, (كتاب الحيوان)، و(كتاب البيان والتبين)، و(كتاب البخلاء)، و(كتاب المحاسن والاضداد)، و(كتاب التاج في أخلاق الملوك)، و(الفصول المختارة من كتب الجاحظ)، و(كتاب تهذيب الاخلاق)، و(كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير)، ومن رسائله، (رساله في بني أمية وقد سماها بعضهم رسالة النامية)، (ورساله الحكمين)، و(رساله العثمانية)، و(رساله في مناقب خلفاء بني العباس)، وغيرها الكثير(٤٤).

يتضح مما تقدم ان التراث الذي خلفه الجاحظ, ينم عن ثقافة متنوعه في شتى الميادين، فلم يكن الجاحظ ذا اختصاص واحد, بل تعدد ليكتب في كل فروع المعرفه.

أما عن سنة وفاته، فقد توفي الجاحظ في شهر محرم سنة (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، في البصرة بعد أن جاوز التسعين من عمرة, بعدما اصيب بمرض الفالج(٤٥).

ثانياً. الشعوبية:

عَرَفها مجموعة من المؤرخين, كعبد القاهر البغدادي، إذ قال عنها هُمْ: «الذين يرون تفضيل العجم على العرب, ويتمنون

عودة المُلك الى العجم»(٤٦)، وقال عنها القرطبي: «هي حركة تبغض العرب, وتفضل العجم»(٤٧)، أما ابن منظور, فقد قال عنها: «محتقر أمر العرب وهم الشعوب»(٤٨)، كما قال عنها عبد العزيز الدوري: «هي تعصب كل شعب لقوميته، وحضارته، وبغض العرب»(٤٩).

فالشعوبية تمثل جانباً من محاولات شعوب غير عربية ضرب السلطان العربي، عن طريق الفكر, والعقيدة، فقد بدأت الحركة الشعوبية في المراحل الأخيرة للدولة الأموية، واندفعت بقوة في العصر العباسي(٥٠)، ويعود السبب في ذلك الى وقوع العراق كحد فاصل بين العرب والعجم(٥١)، وقد وقف الجاحظ في وجه هذه الحركات الهدامة التي هدفت إلى تقليل من شأن التراث الحضاري العربي الإسلامي، متصدياً لها من خلال مدافعته عن العرب, واللغة العربية. وفي الرد على الشعوبيين، فقد ألف رساله مناقب الترك، ورساله فخر السودان على البيضان، والتي صور من خلالها الحركة الشعوبية تصويراً واضحاً(٥٢)، ومن كتبه للرد على الشعوبية كتابه البيان والتبين، فقد طعنت الشعوبية في بلاغة العرب, وموهبتهم الكتابية.

عرض الجاحظ من خلال كتابه الحيوان بداية الشعوبية قائلاً: «إن عامة من أرتاب بالإسلام, إنما كان أولُ ذلك رأي الشعوبية, والتمادي فيه, وطول الجدال المؤدي إلى الضلال، فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة, أبغض تلك الجزيرة، وإذا أبغض تلك الجزيرة, أحب من أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات تنقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وهي السلف والقدوة»(٥٣).

هذة الكلمات تبين مدى العداء بين العرب والشعوبية باعتبارهما تياراً معادياً للعرب والمسلمين معاً وأما أهم الدوافع التي حملت الجاحظ على مناهضة الحركة الشعوبية فتكمن في سببين, الأول: يتمثل في الدفاع عن الإسلام ضد هجمات الشعوبية، والثاني: يتمثل في دعم خلفاء بني العباس له والذين طلبوا منه أن يقوم بدوره في الرد على هؤلاء الشعوبية، ثم ولاؤه للعرب فيرد على الهجمات التي تطال العرب والعروبة.

طعنت الشعوبية في ثقافة العرب، فقد زعم الفرس أن لهم كتاباً، ورسائل محبره, ولليونان كتباً في المنطق والحكمة، وللهنود كتباً في الحكمة والاسرار، وليس للعرب مثل تلك الرسائل والكتب(٥٤)، وفي ذلك قال الجاحظ: «يقولون ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة، ويعرف الغريب، ويتبحر في اللغة، فليقرأ كتاب كاروند، وهذه يونان ورسائلها وخطبها، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بما تعرف السقم من الصحة...»(٥٥)، فيرد عليهم الجاحظ قائلاً: «صحيح أن للهند كتباً مخلدة, ولكنها لا تضاف إلى رجل معروف، وأن لليونان فلسفة, وصناعة منطق، ولكن صاحب المنطق [ارسطو] كان بكيء اللسان، وأن للفرس خطباء, ولكن كل كلام للفرس إنما هو ثمرة التفكير, والدراسة, وكدّ الخاطر، أما العرب فكلامهم وليد البديهية, والإلهام, لا يعانون فيه جهداً, ولا يحيلون فكراً»(٥٦).

كما يضيف الجاحظ أن هذه الكتب, والرسائل المنسوبة إلى الفرس, واليونان, ليست صحيحة، وهي منحولة ولدها, أمثال ابن المقفع, وسهل بن هارون، وعبد الحميد، وغيلان، ونسبوها إلى قومهم الفرس(٥٧)، «ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي بأيدي الناس للفرس، أنها صحيحة غير مصنوعة، وقديمة غير مولدة، إذ كان مثل ابن المقفع, وسهل بن هارون, وأبي عبيد الله، وعبد الحميد، وغيلان، يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل، ويصنعوا مثل تلك السير»(٥٨).

بل أن بعض هذه المؤلفات الموضوعة نسبت إلى بعض الأعلام, لتكتسب قيمة خاصة، ألم تكن نسبة الكتاب إلى بعض الأعلام المشهورين فناً جديداً من فنون الشعوبية(٥٩).

روجت الشعوبية لافكارها, ومبادئها من خلال الأدب, والشعر، فقد دأبت الشعوبية على استخدام الأدب في الترويج لافكارها, وزرع بذور الحقد, والكراهية في نفوس الفرس أتجاه العرب خاصة, والإسلام عامة(٦٠).

ذكرت الشعوبية من خلال الشعر وحدة العرب محتجة بوجود أنساب مختلفة كالقحطانية والعدنانية، يرد عليها الجاحظ ويحدد مقومات ينبغي على كل الأمة الإسلامية الالتفات حولها بقوله: «فإن قلت: فكيف كان أولادهما [قحطان وعدنان], جميعاً عرباً مع اختلاف الأبوة، قلنا: إن العرب لما كانت واحدةً فاستووا في التربة, وفي اللغة, والشمائل, والهمة، وفي الأنف, والحمية، وفي الأخلاق السجية، فسكبوا سبكاً واحداً، وأفراغاً بواحداً، وكان القالب واحداً،

تشابهت الأجزاء وتناسبت الأخلاط، وحين صار ذلك أشد تشابهاً في باب الأعم والأخص، وفي باب الوفاق والمباينة من بعض ذوي الأرحام، جرى عليهم حكم الاتفاق في الحسب، وصارت هذه الأسباب ولادةً أخرى»(٦١). فالجاحظ لا يحسب النسب، أو العنصر أساس تكوين الأمة، بل يرى في اللغة، والطباع، والسجايا، وفي البيئة الجغرافية، المقومات التي تكون الأمة، وطبيعي أن تكون هذا المفهوم أكثر ثباتاً، وأبعد أثراً من المفهوم العنصري الذي اتخذته الشعوبية، وأن يلعب دوره في توسع العروبة، وفي صمودها أمام النظرة الضيقة التي تحدثها(٦٢).

صغرت الشعوبية من شأن العرب وثقافتهم حتى في الإسلام، بأنه لم يسلم من تحجم شعوبيي الكتاب حتى القرآن والحديث، ويبدو أن الكتّاب على تضلعهم بالعربية وأدبها لا يعنون بأصول الثقافة العربية الإسلامية(٦٣)، بل إن الجاحظ يتهمهم في تكوين ثقافتهم بقوله: «إنه لم ير كاتب قط جعل القرآن سميره، ولا عَلَمَهُ تفسيره، ولا التفقه في الدين شعاره، ولا الحفظ للسنن، والآثار عماده»(٦٤)، ونلاحظ من خلال ذلك أن الكّتاب بذلوا مجهوداً كبيراً لطبع الإدارة العباسية، وثقافة أصحابها بطابع أعجمي، كل ذلك في ظل دولة عربية إسلامية(٦٥).

لكن الشعوبية أغفلت أنه بازدهار الثقافة العربية، أصبحت الرابطة العربية اللغوية الثقافة رابطة حية، فالجاحظ يؤكد على عروبة، وثقافة العرب منذ عهد إسماعيل(عليه السلام)(٦٦)، بقوله: «وقد جعل إسماعيل وهو أبن أعجميين عربياً، لأن الله تعال لما فتق لهاته بالعربية المبينة على غير التلقين والترتيب، وفطره على الفصاحة العجيبة على غير النشوء والتمرين، وسلخ طباعه من طبائع العجم، ونقل إلى بدنه تلك الأجزاء، وركبه اختراعاً على ذلك التركيب، وسواه تلك التسوية، وصاغه تلك الصيغة، ثم حماه من طبائعهم، ومنعه من أخلاقهم، وشمائلهم، وطبعه من كرمهم وأنّفتهم وهممهم على أكرمها واشتاها، وأشرفها وأعلاها»(٦٧)، وهذا توضيح للأسس الثقافية للعروبة، ولمفهوم الروابط التي تجعل من العرب أمة، فالشعوبية خطر يهدد الإسلام بالارتياب فيه، والجدال في تعاليمه، وبغض أهله، ولغتهم التدرج بالمرتاب حتى ينسلخ عن الإسلام، فتتلاشى العقيدة، ويتضاءل العدد، وتخرس اللغة، ويتلاشى مركز الثقل الجغرافي ببعده التاريخي والثقافي(٦٨).

فالشعوبية جرحت أعلام الثقافة العربية الإسلامية(٦٩)، أمثال شريح(٧٠)، والشعبي(٧١)، وسعيد بن جبير النخعي (٧٢)، فرد الجاحظ قائلاً: «فإن استرجح أحد عنده أصحاب الرسول(صلى الله عليه وآله)، قتل عند ذكرهم شدقه، ولوى عند محاسنهم كشحه(٧٣)، وإن ذكر عنده شريح جرحه، وإن نعت له الحسن أستثقله، وإن وصف له الشعبي أستحمقه، وإن قيل له أين جبير استجهله، وإن قدم عنده النخعي استصغره، ثم يقطع ذلك من مجلسه سياسة اردشير بابكان، وتدبير أنوشروان، واستقامة البلاد لآل ساسان»(٧٤)، هذا الموقف يشعرك بتصغير شأن العرب.

ومن مظاهر حقد الحركة الشعوبية على العرب، محاولة الطعن بصفاتهم، وخصالهم، وخاصة صفتي الشجاعة والكرم، فقد رمت الشعوبية العرب بجهل فنون الحرب، والأسلحة، فقد قالت إنهم يتقنون تنظيم الجيوش، ولا يعرفون الكمين، فيرد عليهم الجاحظ قائلاً: «وأما قولهم: ولا يعرفون الكمين فقد قال أبو قيس بن الأسلت(٧٥):

وأحرزنا المغانم واستبحنا ... حمى الأعداء والله العين
بغير خلابة [الخديعه] وبغير مكر ... مجاهرة ولم يخبأ كمين»(٧٦).

كما رمتهم الشعوبية بأنهم لا علم لهم بالميمنة، والميسرة، والقلب، والجناح، والقتال في الليل، «ليس فيما ذكرتم من هذه الأشعار دليل على أن العرب لا تقاتل بالليل، وقد يقاتل بالليل والنهار من تحول دون ماله المدن، وهول الليل، وربما تحاجز الفريقان وإن كل واحد منهم يرى البيات»(٧٧)، ويروى الجاحظ في ذلك شعراً:

وليلة تبع وخميس كعب ... أتونا، بعد ما نمنا، دبيبا
فلم نحدد لبأسهم ولكن ... ركبنا حد كوكبهم ركوبا
بضرب يفلق الهامات منه ... وطعن يفصل الحلق الصليبا (٧٨).

كما قالت: ولا يحسنون استعمال الأسلحة التي يحسنها الفرس مثل الدراجة(٧٩)، والمنجنيق، والدبابة، ثم إن رماح العرب رديئة النوع لا تضارع رماح الفرس الجيدة، رد للجاحظ على مطاعنهم، فقال: «إن الرماح العربية أجود من الرماح الفارسية، وهي متنوعة، منها للمربوع(٨٠)، والمخموس(٨١)، «وأما ما ذكروا من شأن رماح العرب، فليس الأمر في

ذلك على ما يتوهمون، للرماح طبقات: فمنها المربوع ومنها المخموس، ومنها الخطل، وهو الذي يضطرب في يد صاحبة لإفراط طوله، فإذا أراد الرجل أن يخبر عن شدة أمر صاحبه ذكره، كما ذكر متمم بن نويرة أخاه(٨٢)(٨٣).

كما حاولت الشعوبية إظهار فصاحة الخطباء العرب بمظهر البساطه البدويه الذي لا صنعة فيه, ولا بديع, فرد الجاحظ عليهم بالقول: «وكذلك الأسجاع عند المنافرة(٨٤)، والمفاخرة، واستعمال المنثور في خطب الحمالة(٨٥)، وفي مقامات الصلح, وسل السخيمة(٨٦)، والقول عند المعاقدة والمعاهدة، وترك اللفظ يجري على سجيته وعلى سلامته، حتى يخرج على غير صنعة, ولا اجتلاب تأليف، ولا التماس قافية، ولا تكلف لوزن»(٨٧).

كما أعابت الشعوبية على العرب ضعف ملكتهم الخطابية، وقالت إنهم لا يضاهون الفرس, واليونان, والهنود في مضمار الخطابة والبلاغة، فيرد عليهم الجاحظ, بان ملكة العرب الخطابية أمر ظاهر جلي لا يحتاج إلى برهان، ويكفي أن نأخذ بيد الشعوبي وندخله بلاد العرب الخلص, معدن الفصاحة، ونوقفه على خطيب مصقع, أو شاعر مفلق, ليعلم الحق, ويبصر الشاهد عياناً، ولذلك يقطع الجاحظ بأن العرب أخطب الأمم, «والخطابة شيء في جميع الأمم, وبكل الأجيال إليه أعظم الحاجة، حتى أن الزنج مع الغثارة [الحمق والجهل], ومع فرط الغباوة، ومع كلال الحد [شدة التعب والاعياء] وغلظ الحس وفساد المزاج، لتطيل الخطب، وتفوق في ذلك جميع العجم، وإن كانت معانيها أجفى وأغلظ، وألفاظها أخطل وأجهل، وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس, وأخطب الفرس أهل فارس، وأعذبهم كلاماً، وأسهلهم مخرجاً, وأحسنهم دلاً, وأشدهم فيه تحكماً، أهل مرو، وأفصحهم بالفارسية الدرية [لغه المدائن], وباللغة الفهلوية [من اللغات الفارسية], أهل قصبة الأهواز، فأما نغمة الهرابذة [حكام المجوس], ولغة الموابذة [لغة سادتهم], فلصاحب تفسير الزمزمه [صوت خفي]»(٨٨)، وكثيراً ما نجد الجاحظ ينقد الشعوبية في مواضع مختلفة من مؤلفاته, خاصة في استعمالهم لزمزمه في كلامهم(٨٩).

فالجاحظ ينسب للعرب الفضل على الأمم كلها في الخطابة والبلاغة, ويناظر في ذلك الشعوبية، ويسفه أحلامهم في إنكار ذلك، ثم قال: «ونحن أبقالك الله إذا ادعينا للعرب الفضل على الأمم كلها في أصناف البلاغة، من القصيدة والأرجاز، والمنثور والأسجاع, ومن المزدوج, ومما لا يزدوج, فمعنا على أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة, والرونق العجيب، والسبك, والنحت, والذي لا يستطيع أشعار الناس اليوم, ولا أرفعه في البيان, أن يقول مثل ذلك, إلا في اليسير والشيء القليل»(٩٠).

كما أعابت الشعوبية على العرب أخذهم المحضرة عند القاء الخطب, وقالت أنه لا يوجد بين العصا والخطبة شيئاً, وأن العصا لم توجد للخطابة, بل للقتال, او لهش المواشي، وانها لا تفيد الخطيب في شيء فهي للنهي السامع, وأن العرب قوم رعاة اعتادوا على حمل العصا في رعي مواشيهم, فنقلوا تلك العادة إلى خطابهم, وإلى ذلك أشار الجاحظ قائلاً: «وبمطاعنهم على خطباء العرب: يأخذ المخصرة(٩١)، عند مناقلة الكلام, ومساجلة الخصوم بالموزون والمقفى، والمنثور الذي لم يقف، وبالأرجاز عند المنح(٩٢)، وعند مُجاثاة(٩٣) الخصم، وساعة المشاولة(٩٤)، وفي نفس المجادلة والمحاورة(٩٥).

وأكمل قائلاً: «قالت الشعوبية ومن يتعصب للعجمية: القضيب للإيقاع، والقناة للبقار، والعصا للقتال، والقوس للرمي، وليس بين الكلام, وبين العصا سبب، ولا بينه وبين القوس نسب، وهما إلى أن يشغلا العقل, ويصرفا الخواطر...»(٩٦).

فرد الجاحظ على الشعوبية, بأن العرب أخطب من العجم, وأن أتخاذ الخطيب العربي للعصا, لا يقلل من فنه الخطابي، فالعصا محمودة في القرآن الكريم, والسنة النبوية الشريفة، وفي التوراة, وفي أحاديث القدماء, ومن هنا قضى الجاحظ في تعداد فضائل العصا, حتى أفرد لها في ذلك سفراً كاملاً في كتابه البيان والتبيين قائلاً: «ونحن لو تركنا الاحتجاج لمخاصر البلغاء، وعصي الخطباء، لم نجد بداً من الاحتجاج لجلة المرسلين، وكبار النبيين، لأن الشعوبية قد طعنت في جملة هذا المذهب على قضيب النبي(صلى الله عليه وآله)، وعنزته، وعلى عصاه, ومخصرته، وعلى عصا موسى، لأن موسى(عليه السلام) قد كان أتخذها من قبل أن يعلم ما عند الله فيها، وإلام يكون صيور أمرها إلا ترى أنه لا قال الله عز وجل: ﴿ ﴾, قال: ﴿ ﴾ وبعد ذلك قال: ﴿ ﴾ (٩٧)(٩٨).

كما قال: أن العصا كانت لا تفارق يد نبي الله سليمان بن داؤد(عليه السلام)، في مقاماته وصلواته(٩٩)، ولا في موته,

ولا في أيام حياته، حتى جعل الله تسليط الارضه عليها, وسليمان ميت وهو معتمد عليها، من الآيات عند من كان لا يعلم أن الجن لم تكن تعلم إلا ما تعلم الانس(١٠٠)، وإنما بدأنا بذكر نبي الله سليمان(عليه السلام)، لأنه من أبناء العجم، والشعوبية إليهم أميل، وعلى فضائله أحرص، ولما أعطاهم الله أكثر وصفاً وذكراً(١٠١).

وذكر الجاحظ أن العصا قد أخذت من أصل كريم, ومعدن شريف, ومن المواضع التي لا يعيبها إلا جاهل، ولا يعترض عليها إلا معاند، أتخاذ نبي الله سليمان بن داؤد(عليه السلام) العصا لخطبته وموعظته، ولمقاماته، ولطول التلاوة والانتصاب، فجعلها لتلك الخصال جامعة(١٠٢).

كما حاولت الشعوبية أن تنفي صفة الأمة عن العرب فإطلاق الفرس على أنفسهم لفظ الشعوبية, يشعر بأنهم قصروا مفهوم الشعوبية على أنفسهم(١٠٣)، وأما العرب في زعمهم فقبائل متفرقة متنازعة دائمة الترحال والتنقل(١٠٤)، ورد الجاحظ عليهم, بأن حياة الترحال فيها الفضيلة والحرية، وأن الترحال دليل على نيل الهمة وشدة الأنفة والحمية والهروب من الذل، فسكن البادية تحتاج جهد وقوة، وإلى صبر لتحمل شظف العيش والمشقة في البادية(١٠٥)، «وقد يصيب القوم في باديتهم ومواضعهم من الجهد ما لم يسمع به في أمة من الأمم، ولا في ناحية من النواحي، وأن أحدهم فيجوع حتى يشد على بطنه الحجارة، وحتى يعتصم بشدة معاقد الإزار، وينزع عمامته من رأسه, فيشد بها بطنه، وإنما عمامته تاجه»(١٠٦).

كما حاولت الشعوبية أن تنفي صفة الكرم والمروءة عن العرب، وتشويه ما فيه من بذل وتضحية, وبالغوا في التشنيع به، وذهبوا إلى أبعد من ذلك, وكتبوا رسائل في البخل(١٠٧).

ولما وجهت الشعوبية هجومها على الكرم الذي اشتهر به العرب، تناول الأدباء العرب الكرم بالمدح, واستطاعوا من خلال هذا المدح إظهار صفة الكرم بمظهر رائع(١٠٨)، فرددوا قول الرسول(صلى الله عليه وآله): «السخي قريب من الله, قريب من الناس، بعيد عن النار، والبخيل بعيد عن الله، بعيد عن الناس، بعيد عن الجنة, قريب من النار, والجاهل سخي أحب إلى الله من عباد مخيل»(١٠٩)، ومن كلام الجاحظ في الرد على الشعوبية ما جاء في كتاب البخلاء: «وقال ثمامة لم أر الديك في بلدة قط إلا وهو لاقط، يأخذ الحبة بمنقاره، ثم يلفظها قدام الدجاجة, إلا ديكة مرو، فإني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب، فعلمت إن بخلهم شيء في طبع البلاد، وفي جواهر الماء, فمن ثم عم جميع حيوانهم»، إن مطالعة كتاب البخلاء تنقلنا من السخرية إلى الجد، ومن إنكار البخل إلى تحليل شبه فلسفي, يبين لك أن البخل طبع متأصل في الشعوبيين، وبذلك يقدم الجاحظ دفاعاً قوياً عن الكرم(١١٠).

وقال: «طول جثوم الحسد على أكبادهم، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم، وغليان تلك المراجل الفائرة، وتسعر تلك النيران المضطرمة، ولو عرفوا أخلاق أهل كل ملة، وزي أهل لغة وعللهم، على اختلاف شاراتهم وآلاتهم، وشمائلهم وهيئاتهم، وما علة كل شيء من ذلك، ولم تكلفوه، لأراحوا أنفسهم، ولخفت منوتنهم على من خالطهم»(١١١)، والجاحظ، وإن انتصر للعرب ضد الشعوبية، لم يرتكب الخطأ الذي ارتكبه البعض، فهو ذهب إلى أن الأمم ينبغي أن تكف عن البغضاء والتعصب لمزاياها، وأن تتعاون, وتتآلف, لأن لكل أمة مزايا ونقائص(١١٢).

الخاتمة:

أتضح مما تقدم ما يلي:

١. يعد الجاحظ أبرز الأدباء والمفكرين المسلمين في القرنين (الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين)، وكانت مصنفاته التي تعبر عن خلاصة فكرة مثار اهتمام الباحثين، فقد وجد الأديب في أعماله بغيته، فتناوله أدبياً، والفلاسفة وجدوا في مصنفاته مبتغاهم وأهل الفكر درسوا فكره الاعتزالي وأثره في مسيرة الاعتزال.

٢. لقد برع الجاحظ في الكتابة, إذ تعد كتبه موسوعية تضمنت جوانب مختلفة ومتنوعة، كما تفرد بمنهج سار عليه الكثير من الكتاب الذين اقتفوا أثره ومنهجه في الكتابة، كما عمل الجاحظ على تكوين رؤية خاصة به، لمختلف هذه المعارف والآداب والعلوم.

٣. الجاحظ على الرغم إن أصله غير عربي, أظهر من خلال كتاباته دفاعه عن الإسلام والعرب تجاه مناهضيهم، فقد تمثل موقفه المناوئ لحركة الشعوبية من خلال ما كتبه, وصنفه في الرد على أفكارها المنحرفة، ولما كانت أنساب العرب

وأخلاقهم بغيه الشعوبية وهدفها, فان الجاحظ صنف في الدفاع عنها, والرد عليهم أفضل رد, وبما يستحقونه.

الهوامش:

(١) كان محبوب جد الجاحظ أسود وكان جمّالاً لعمرو بن قلع, الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, ج١٤, ص١٢٤؛ السمعاني, الأنساب, ج١, ص٥١٤.

(٢) هذه النسبة إلى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانه بن خزيمة, وكنانة قبيلة عربية الأصل, ترجع إلى مُضر, ولذلك نُعت الجاحظ أيضاً بالكناني, للمزيد ينظر: أبن السائب الكلبي, جمهرة النسب, ص٣؛ أبن خلكان, وفيات الأعيان, ج٣, ص٤٧٠.

(٣) قيل له «الجاحظ» لأن عينيه كانتا جاحظتين, والجحوظ: النتوء, وكان يقال له أيضاً «الحدقي» لذلك, السمعاني, الأنساب, ج٦, ص٦؛ أبن خلكان, وفيات الأعيان, ج٣, ص٤٧٠؛ وذهب أبن بسام الشتريني إلى أبعد من ذلك عندما ذكر أن جحوظ عيني الجاحظ أقعده عن التماس العزة, والمودة من الخلفاء, والسلاطين, كما فعل أبن الزيات وإبراهيم بن العباس, ينظر: الذخيرة, ج١, ص٢٤٣.

(٤) عمرو بن قلع الكناني, ثم الفقمي, وهو أحد النساة, المرباني, المختصر في المقتبس, ص٨٥.

(٥) حسن, البصرة في حياة الجاحظ, ص١٧٩.

(٦) وردت هذه العبارة عند الجاحظ في رسالتين: الجدل والهزل, ج٤, ص٣٩؛ ورسالة الأوطان والبلدان, ص١١٧, للمزيد ينظر: الثعالبي, ثمار الملوك, ص١٢٧.

(٧) أبو الهذيل العلاف محمد بن محمد (ت: ١٣٥– ٢٣٥هـ/ ٧٥٣– ٨٥٠م), من أئمة المعتزلة, أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل, تلميذ واصل بن عطاء الغزال, وجاوز التسعين, الذهبي, سير أعلام النبلاء, ج١٠, ص٥٤٢.

(٨) هياجنه, الجاحظ مؤرخاً, ص٥٠.

(٩) إبراهيم بن سيار بن هاني النظام (ت: ٢٣١هـ/ ٨٤٥م), كان متكلماً شاعراً أديباً, وكان يتعنف أبا نواس, وله فيه عدة مقطعات, طالع كلام الفلاسفة, فخلطه بكلام المعتزله, وتكلم في القدر, أبن النديم, الفهرست, ص٢١١؛ الذهبي, تاريخ الإسلام, ج١٦, ص٤٧٠؛ كحاله, معجم المؤلفين, ج١, ص٣٧.

(١٠) هياجنة, الجاحظ مؤرخاً, ص٤٣.

(١١) ثمامة بن أشرس النميري (ت: ٢١٣هـ/ ٨٢٨م): أحد المعتزلة البصريين, ورد بغداد, وأتصل بهارون الرشيد, وغيره من الخلفاء, وبعد من كبار المعتزلة, وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين, وكان له اتصال بالرشيد, ثم بالمأمون, من تلاميذه الجاحظ, وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه, وأتباعه يسمون (الثمامية), نسبة إليه, قال= =عنه الجاحظ: «ما علمت أنه كان في زمانه قروي, ولا بلدي, بلغ من حسن الإفهام, مع قلة عدد الحروف, ولا من سهولة المخرج, مع السلامة من التكليف, ماكان بلغة», للمزيد ينظر: السمعاني, الأنساب, ج١, ص٥١٤.

(١٢) البغدادي, الفرق بين الفرق, ص١٥٧؛ المقريزي, المواعظ والأعتبار, ج٣, ص١٠٢؛ بلا, الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء, ص٣٩١؛ هياجنه, الجاحظ مؤرخاً, ص٤٧.

(١٣) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب القاضي, سكن بغداد, وولاه الهادي موسى بن المهدي القضاء بها, ثم هارون الرشيد من بعده, وهو أول من دعي بقاضي القضاة في الإسلام, السمعاني, الأنساب, ج٤, ص٤٣٢؛ الذهبي, تاريخ الإسلام, ج١٢, ص٤٩٧.

(١٤) يزيد بن هارون بن زاذان بن ثابت (ت: ١١٨– ٢٠٦هـ/ ٧٣٦– ٨٢١م), مولى بني سليم, يكنى أبا خالد, توفي بواسط سنة ست ومائتين, وله من الكتب كتاب الفرائض, أبن النديم, الفهرست, ص٢٨٠؛ كحالة, معجم المؤلفين, ج١٣, ص٢٣٨.

(١٥) بلا, الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء, ص١١٨.

(١٦) أبو عبيدة مولى بني سلامة من بني تيم بن مرة, ولد سنة اثنتي عشر ومائة, وتوفي سنة ثمان ومائتين, بلغ ثلاثاً وتسعين سنة, كان متوسعاً في علم اللسان, وأيام الناس, أبن النديم, الفهرست, ص٧٦؛ المرزباني, نور القبس, ص٤٠.

(١٧) أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمعكان الأصمعي من أهل البصرة, كان من أئمة أهل اللغة, سلك البراري, والبوادي, وصحب الأعراب, وأخذ الأدب من معدنه, السمعاني, الأنساب, ج١, ص١٧٧؛ أبن خلكان, وفيات الأعيان, ج٣, ص١٧٠.

(١٨) القيرواني, العمدة, ج٢, ص٢٣٣؛ هياجنه, الجاحظ مؤرخاً, ص٢٨.

(١٩) سعيد بن أوس الأنصاري من صلبية الخزرج, قال أبو العباس المبرد: «كان أبو زيد عالماً بالنحو», أبن النديم, الفهرست, ص٧٧.

(٢٠) الجاحظ, البيان والتبين, ج١, ص٢٨٠؛ هياجنه, الجاحظ مؤرخاً, ص٣١.

(٢١) أبن الأعرابي محمد بن زياد بن الأعرابي, مولى العباس بن محمد, كان عجباً في معرفة اللغة, والأنساب, وكان أحول, المرزباني, نور القبس, ص١١٢؛ الصفدي, الوافي بالوفيات, ج١, ص١٣١.

(٢٢) ياقوت الحموي, معجم الأدباء, ج٦, ص١٤٣– ١٤٨؛ أبن خلكان, وفيات الأعيان, ج٤, ص٣٠٦– ٣٠٨.

(٢٣) اللغوي الشاعر, يكنى أبا محرز, مولى بلال بن أبي بردة, تعبد في أواخر عمره, حمل عنه ديوانه أبو نواس, ورثاه بقصيدة السائرة, التي مطلعها تأبط شراً: «إن بالشعب الذي دون سلع...لقتيل دمه ما يطل», ياقوت الحموي, معجم الأدباء, ج٣, ص٣٦٤؛ الذهبي, تاريخ

الاسلام، ج١١، ص١٠٨؛ للمزيد ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٣٧٤.

(٢٤) أبو عمر إسحاق بن مرار الشيباني مولى وليس من بني شيبان، ولكنه كان مؤدباً لأولاد بعضهم، فنسب إليهم كالبزيدي، هو راوية أهل بغداد، واسعُ العلم باللغة والشعر، له كتبٌ منها: (النوادر)، ومنها (كتاب الحروف)، الذي لقبه بالجيم، المرزباني، نور القبس، ص١٠٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص١٧٢.

(٢٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص٢٦٠.

(٢٦) سعيد بن مسعدة المجاشعي (ت: ٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، كان أبو الحسن الأخفش الأوسط أجعل، لا تنطبق شفتاه على أسنه، قرأ النحو على سيبويه، وكان أسن منه، ولم يأخذ عن الخليل، وكان معتزلي من غلمان أبي عُمر، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص٨٢؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٤، ص٢٣١.

(٢٧) هياجنه، الجاحظ مؤرخاً، ص٤١.

(٢٨) أبو الحسن علي بن محمد المدائني السمري (ت: ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م)، وهو صاحب التصانيف الكثيرة، السمعاني، الأنساب، ج٣، ص٢٩٧؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٧، ص٢١١.

(٢٩) هياجنه، الجاحظ مؤرخاً، ص٣٥.

(٣٠) أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الطائي الكوفي، ولد قبل سنة (١٣٠هـ/ ٧٤٧م)، من أهل الكوفة، ولد ونشأ بها، ثم انتقل إلى بغداد، ابن قتيبة، المعارف، ص٥٣٨؛ ابن النديم، الفهرست، ص١١٢.

(٣١) هياجنه، الجاحظ مؤرخاً، ص٤٦.

(٣٢) من أهل الكوفة قدم بغداد وحدث بها، وكان علماً بالنسب، وأخبار العرب، وأيامها، ومثالبها، ووقائعها، وله كتاب الجمهرة في النسب، ابن قتيبة، المعارف، ص٥٣٦؛ ابن النديم، الفهرست، ص١٠٨.

(٣٣) هياجنه، الجاحظ مؤرخاً، ص٤٦.

(٣٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٥، ص٤٣٣؛ بلا، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ص٩٥؛ هياجنه، الجاحظ مؤرخاً، ص٥٦.

(٣٥) أبو زكريا الديلمي المعروف بالفراء، له مصنفات مشهورة في النحو، واللغة، ومعاني القرآن، مات بطريق مكة سنة سبع ومئتين، الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو، ص٨٠.

(٣٦) المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ابو العباس (ت: ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب، والأخبار، مولده بالبصرة، ووفاته ببغداد، من كتبه الكامل، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٣٨٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٣١٣.

(٣٧) هياجنه، الجاحظ مؤرخاً، ص٥٦.

(٣٨) أبو العيناء الهاشمي، مولى أبي جعفر المنصور البصري الاخباري اللغوي الضرير، ولد بالأهواز، ونشأ بالبصرة، وكان أحد الموصوفين بالذكاء، والحفظ، وسرعة الجواب، توفي في جمادي الأخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢١، ص٢٨٧.

(٣٩) هياجنه، الجاحظ مؤرخاً، ص٥٢.

(٤٠) أبو بكر بن أبي دؤاد الإيادي، كان ثقة كثير الحديث، عارفاً بالفقه على مذهب الشافعي، سكن بغداد إلى حين وفاته، السمعاني، الأنساب، ج٢، ص٥٠٠.

(٤١) ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان (ت: ٢٩٧هـ/ ٩١٠م)، كاتب، صاحب أخبار، وأداب، وأشعار، من أهل بغداد، أخذ عن الجاحظ ومعاصريه، وأخذ عنه جعفر بن قدامة وآخرون، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢١٠.

(٤٢) كتاب تقريظ الجاحظ، ضاع، ولم يعد له أثر، إلا ما نقل عنه ياقوت الحموي، فكثيراً ما يستشهد به في كتابه، ارشاد الأريب بعبارة «قرأت بخط أبي حيان التوحيدي في كتابه الذي ألفه في تقريظ عمرو بن بحر»، ينظر: معجم الأدباء، ج١، ص٢٥٩، ٢٧٤، ٨٧٨ وغيرها.

(٤٣) أبي الدلخاث: كان حسن النظر في علل النحو، وكان يؤدب ولد سعيد بن قتيبة الباهلي، وكان من أعيان أصحاب الفراء، وأخذ عنه ثعلب، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٨٣.

(٤٤) مردم، أئمة الأدب، ج١، ص٣٠– ٣٥.

(٤٥) الطبري، تاريخ، ج١١، ص٦٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٢٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٧٤.

(٤٦) الفرق بن الفرق، ص٢٨٥.

(٤٧) تفسير القرطبي، ج١١، ص١٨٩.

(٤٨) لسان العرب، ج٥، ص٥٠٠.

(٤٩) الجذور التاريخية للشعوبية، ص٩.

(٥٠) الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص٩.

(٥١) الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص٩.

(٥٢) ينظر: هاتين الرسالتين.

(٥٣) ج٧، ص١٣١.

(٥٤) الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص٥٣.
(٥٥) البيان والتبيين، ج٧، ص٩.
(٥٦) البيان والتبيين، ج٣، ص١٠.
(٥٧) الدوري، الجذور التاريخية، ص٥١– ٥٢.
(٥٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص٢١.
(٥٩) الدوري، الجذور التاريخية، ص١٠.
(٦٠) السامرائي، الشعوبية حركة مضادة، ص٧٦.
(٦١) رساله مناقب الترك، ص٤٧٧.
(٦٢) الدوري، الجذور التاريخية، ص٧٥– ٧٦.
(٦٣) حجاب، مظاهر الشعوبية في الأدب العربي، ص٨٧؛ الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص٥٤.
(٦٤) الجاحظ، رسالة ذم أخلاق الكتاب، ج٢، ص٦٠٩.
(٦٦) حجاب، مظاهر الشعوبية، ص٧٦؛ الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص٥٥.
(٦٦) الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص٧٨.
(٦٧) الجاحظ، رساله في الجد والهزل، ص١٩١.
(٦٨) الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص٧٨– ٧٩.
(٦٩) الجاحظ، رسالة ذم أخلاق الكتاب، ج٢، ص٦٠٨؛ الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص٥٤.
(٧٠) شريح بن هانئ بن يزيد الحارثي (ت: ٧٨هـ/ ٦٩٧م)، من مقدمي أصحاب الإمام علي( )، ومن أمراء جيشه يوم الجمل، ولما كان يوم التحكيم، بعث الإمام علي(عليه السلام) أبا موسى الاشعري، ومعه أربعمائة رجل، عليهم شريح بن هانئ، فقتل غازياً بسجستان، الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٩٧، ٢٠١؛ الطبري، تاريخ، ج٣، ص١١١– ١١٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص٢٠١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣، ص١٢.
(٧١) عامر بن شراحيل الشعبي (١٩– ١٠٣هـ/ ٦٤٠– ٧٢١م)، من التابعين، ولد، ونشأ، ومات بالكوفة، أتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه، وسميره ورسوله إلى ملك الروم، استقضاه عمرو بن عبد العزيز، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص٣٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٧١.
(٧٢) سعيد بن جبير الاسدي (٤٥– ٩٥هـ/ ٦٦٥– ٧١٤م)، من موالي بني واليه بن الحارث من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيداً، وما على وجه الأرض أحد، إلا وهو مفتقر إلى علمه، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص٣٩٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٧١.
(٧٣) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، وهو من لدن السرة إلى المتن، لسان العرب، ج٢، ص٥٧٢.
(٧٤) الجاحظ، رسالة ذم أخلاق الكتاب، ج٢، ص٦٠٨.
(٧٥) صيفي بن جشم بن وائل من شعراء الأوس المشهورين، كان سيد قومة، وأسندت إليه الأوس حربها يوم بعاث الذي أنتصر فيها الأوس على الخزرج وهو والد الصحابي عقبة بن أبي قيس الذي استشهد يوم القادسية، أنظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١، ص٢٩٧؛ الصفدي، والوافي بالوفيات، ج٧، ص٤٤٥.
(٧٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص١٦.
(٧٧) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص١٤.
(٧٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص١٤.
(٧٩) تشبه الدبابة، يختبئ تحتها الجنود أثناء الحصار، لسان العرب، ج٢، ص٢٦٦.
(٨٠) الذي ليس بطويل ولا قصير، لسان العرب، ج٨، ص١٠٧.
(٨١) رمح مخموس الذي طوله خمس أذرع، ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٦٧.
(٨٢) أخاه مالك بن نويره الذي أرتد عن الإسلام بعد وفاة الرسول( )، فجاء أخوه تميم، فكان يرثيه، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٦.
(٨٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص١٧.
(٨٤) المحاكمة في الحسب، ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٢٦.
(٨٥) الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم، وكانوا يسمون السيد يفعل ذلك الحمال، ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص٣١٩.
(٨٦) الحقد، والضغينة والموجدة في النفس، ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٩٦.
(٨٧) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص٦.
(٨٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٥١.
(٨٩) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٥١.

(٩٠) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٣١.
(٩١) العصا، يأخذها الرجل بيده ليتوكأ عليه. مثل العصا ونحوها، ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٢٤٢.
(٩٢) الناقة يعيرها صاحبها لمن يحلبها وينتفع بها ثم يعيدها. وأيضاً العطية والسقي من البئر بالدلاء، ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٤٧٢.
(٩٣) أن يحثو الخصمان على الركب أمام بعضهما ثم يأخذان في صنوف الجدل، ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص١٣٢.
(٩٤) تناول القوم بعضهم بعضاً بالرماح عند القتال، ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٣٧٧.
(٩٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص٥.
(٩٦) الجاحظ، البيان والتبين، ج٣، ص٩.
(٩٧) سورة طه، الآيات/ ١٧– ٢٠.
(٩٨) البيان والتبيين، ج٣، ص٦٢.
(٩٩) البيان والتبيين، ج٣، ص٦٢.
(١٠٠) البيان والتبيين، ج٣، ص٦٢.
(١٠١) البيان والتبيين، ج٣، ص٢٢
(١٠٢) البيان والتبيين، ج٣، ص٢٢.
(١٠٣) النعمي، موقف الجاحظ من الشعوبية، ص٣٣٣.
(١٠٤) الجاحظ، البخلاء، ص١٨٨.
(١٠٥) الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص٦٨.
(١٠٦) الجاحظ، البخلاء، ص٢٨٢.
(١٠٧) الجاحظ، البخلاء، ص٢٨٨؛ الدوري، الجذور التاريخية، ص٨٤– ٨٥.
(١٠٨) الدوري، الجذور التاريخية، ص٨٤ز
(١٠٩) اليعقوبي، تاريخ، ص١٤٢.
(١١٠) الجاحظ، البخلاء، ص٣٨.
(١١١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص٢١.
(١١٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١٠، ص٢٨٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
أولاً. المصادر الأولية:
• ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٦٠م).
١. الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، ١٩٨٢م).
• ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام (ت: ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م).
٢. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار الغرب الاسلامي، (بيروت ١٩٩٩م).
• الثعالبي، عبد الملك بن محمد إسماعيل (ت: ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م).
٣. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف (القاهرة، ١٩٨٥م).
• الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م).
٤. البخلاء، تقديم وشرح: عباس عبد الستار، دار مكتبة الهلال، (بيروت، ١٩٩٣م).
٥. البيان والتبيين، قدم له وشرحه: علي أبو ملحم، ط٢، مكتبة الهلال، (بيروت، ١٩٩٢م).
٦. رسالة الاوطان والبلدان، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٦٤م).
٧. رسالة الجد والهزل، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٦٤م).
• الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م).
١. تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٧١م).
• ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).
٢. وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، منشورات الثقافة، (بيروت، ١٩٦٩م).
• الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).
٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ط٢، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ٢٠١٠م).
٤. سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الارناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، (القاهرة، ١٩٨٥م).
• ابن السائب الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت: ٢٠٤هـ/ ٨١٩م).
٥. جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، ٢٠١٠م).

• السمعاني، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد (ت: ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م).
٦. الأنساب، تقديم: محمد احمد حلاق، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٨٨م).
• الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢).
٧. تاريخ الرسل والملوك، مراجعة وتقويم نواف الجراح، دار صادر، (بيروت، ٢٠٠٣م).
• عبد القاهر البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت: ٤٢٩هـ/ ١٠٢٧م).
٨. الفرق بين الفرق، تحقيق: البير نصري، ط٢، دار المشرق، (بيروت، ١٩٨٣م).
• ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٦م).
٩. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: سكينه الشهابي، ط١، دار الفكر العربي، (دمشق، ١٩٨٢م).
• الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ/ ١٤١٥م).
١٠. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد البصري، ط١، جمعية أحياء التراث الإسلامي، (الكويت، ١٩٨٦م).
• ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).
١١. أدب الكاتب، مراجعة: درويش جويدي، المكتبة العصرية، (بيروت، ٢٠٠٩م).
• القرطبي، محمد بن احمد (ت: ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م).
١٢. تفسير القرطبي، دار الشعب، (القاهرة، ١٩٦٤م).
• المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت: ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م).
١٣. نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء (اختصار أبي المحاسن اليغموري)، تحقيق: رودولف زلهايم، بفيسبادن، (المانيا، ١٩٦٤م).
• المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).
١٤. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٦، دار الأندلس للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٨٤م).
• المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).
١٥. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٧م).
• ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م).
١٦. لسان العرب، ط٦، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٧م).
• ابن النديم، محمد بن أسحاق (ت: بعد ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م).
١٧. الفهرست، ط١، دار قطري بن الفجاءة، (الدوحة، ١٩٨٥م).
• ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).
١٨. معجم الأدباء، ط١، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٨٨م).
ثانياً. المراجع الثانوية:
• بلا، شارل.
١٩. الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة: أبراهيم الكيلاني، ط١، دار الفكر العربي، (دمشق، ١٩٨٥م).
• حجاب، محمد نبيه.
٢٠. مظاهر الشعوبية في الادب العربي، مطبعة الرسالة، (القاهرة، ١٩٦١م).
• الدوري، عبد العزيز.
٢١. الجذور التاريخية للشعوبية، ط٣، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٨١م).
• كحاله، عمر رضا.
٢٢. معجم المؤلفين، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٥٧م).
• مردم، خليل.
٢٣. الجاحظ أئمة الأدب، مؤسسة هنداوي، (مصر، ٢٠١٦م).
ثالثاً. الدوريات:
• حسن، زاجيه عبد الرزاق.
٢٤. البصرة في حياة الجاحظ، مجلة كلية الآداب، العدد ٢٥، جامعة البصرة.
• فوزي، فاروق عمر.
٢٥. طبيعة الحركة الشعوبية، مجلة أفاق عربية، العدد ٦، (بغداد، ١٩٧٧م).
• النعيمي، حسن أحمد.
٢٦. موقف الجاحظ من الشعوبية، مجلة الجمعية العلمية للغه العربية، العدد ٤، (الرياض، ٢٠٠٨م).
رابعاً. الرسائل والاطاريح الجامعة:
• هياجنه، أيمان عبد الرحمن.
٢٧. الجاحظ مؤرخاً (١٦٠هـ/ ٧٧٦م– ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، كلية الآداب، ١٩٩٦م.

الانزياح الاسلوبي في دواوين نثرية عراقية

م. د. حوراء عبد صبر الشريفي
جامعة ذي قار/ كلية العلوم الإسلامية

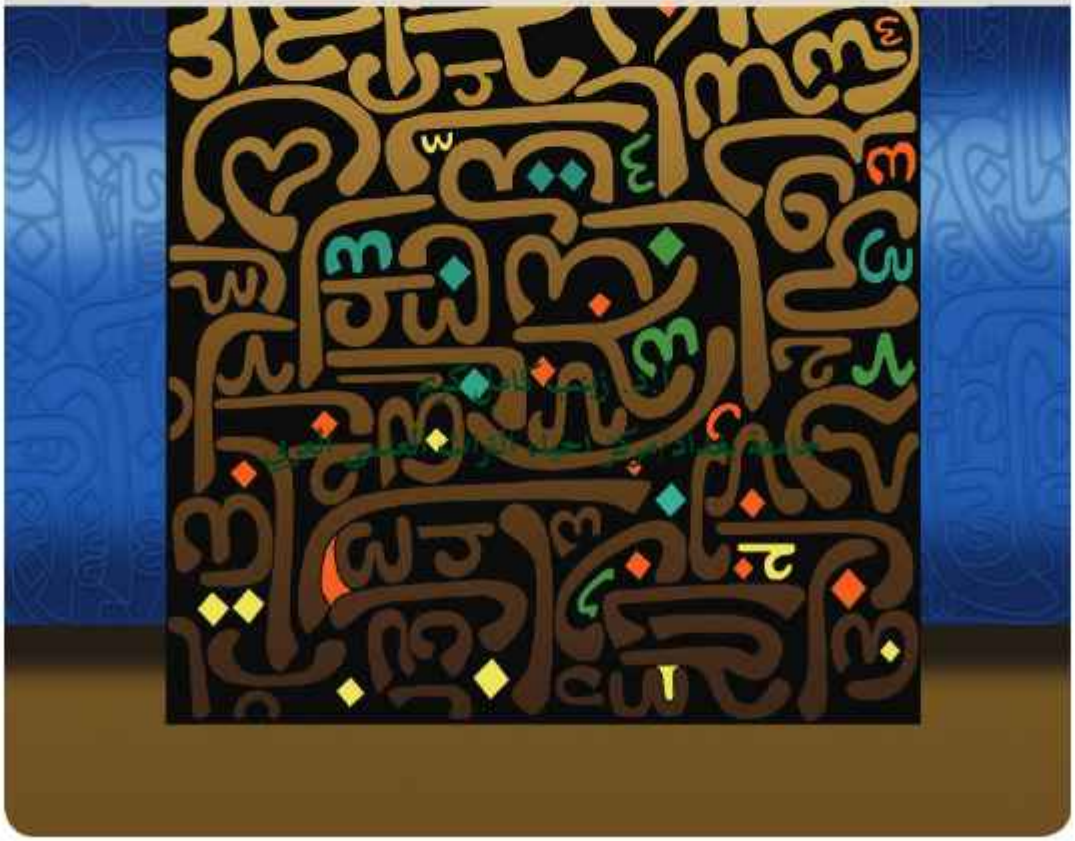

المستخلص:
عمد الشعراء إلى الابداع والتميز في القصيدة الشعرية عبر توظيفهم لتقانات الانزياح وذلك لإضفاء التوهج على نصوصهم فضلا عن إثارة اهتمام المتلقين وكسر أفق توقعاتهم . و الانزياح في قصيدة النثر لم يكن انزياحا على مستوى الموسيقى وعمود الشعر فحسب بل هو انزياحا فوق الزياح عمود الشعر بما ضمنوه من معان وتراكيب وايقاع ضَمِنَ للقصيدة النثرية شعريتها بما تحمله من خروج عن المألوف وبث المفاجأة في نفس المتلقي.
الكلمات المفتاحية : قصيدة النثر . الانزياح . الاسلوبي . محور الاختيار . محور التوزيع

Abstract:
Poets have strived for creativity and excellence in poetry by employing techniques of deviation in order to add brilliance to their texts, to arouse the interest of the recipients, and to break the horizon of their expectations. The deviation in the prose poem was not a deviation at the level of music and the participating metrical structure, but rather a deviation beyond the deviation of the metrical structure, including meanings, structures, and rhythm, which ensured that the prose poem has a poetic quality with what it carries of a departure from the era and the instilling of surprise in the recipient.
Keywords: Prose poem, deviation, stylistics, axis of selection, axis of distribution.

المقدمة :
لفتت ظاهرة الانزياح انتباه كثير من الدارسين الذين وجدوا فيها ميدانا رحبا للبحث في تفاصيل العمل الادبي ، واصبحت الدراسات الاسلوبية على اختلافها ذات وقع وتأثير تغري الباحثين لاتخاذها شعارا لهم ، ولعل اختيار قصيدة النثر مادة تطبيقية للدراسة اضاف متعة قرائية و جمالية اخرى بوصفها انزياحا على القصيدة العمودية و قصيدة التفعيلة ، فوددت البحث في قصائد النثر وسبر اغوار نصوصها للكشف عن شعرية اللغة المتكونة من الانزياح ، واقتضى البحث ان يكون بتمهيد وثلاثة محاور و خاتمة ، تناول التمهيد اضاءة عن قصيدة النثر ، فيما اختص المحور الاول للحديث عن المستوى التركيبي اما المحور الثاني فقد كان مختصا بدراسة المستوى الدلالي فيما كان المستوى الصوتي نصيب المحور الاخير ، وقد عمدت الدراسة الى اختيار ثلاثة دواوين شعرية لثلاثة شعراء عراقيين هم :
١-عقيل علي ومجموعته جنائن آدم
٢-عبد الرحمن مجيد الربيعي ومجموعته الشعرية شهريار يبحر
٣-حيدر عبد الخضر ومجموعته الشعرية هذا غبار دمي
وقد اتخذت الدراسة المنهج الاسلوبي للبحث والتنظير و التطبيق والدراسة .

التمهيد:
إضاءة عن قصيدة النثر :
لعل اهم ثورة شعرية حدثت في تاريخ الادب العربي تمثلت في قصيدة النثر. وهي لون من الوان التعبير الشعري , دخل حقل الشعر.
ينطلق مفهوم الشعر لدى شعراء قصيدة النثر من التفكير الجمالي؛ اذ يقول ادونيس:((الشعر افق مفتوح , وكل شاعر يزيد في سعة هذا الافق . اذ يضيف إليه مسافة جديدة)) (١) ويرى أن التعبير الشعري جزء من الحالات النفسية

والشعورية , والتعبير لغة , والشعر الجديد يعبر عن نفسه تعبيراً جديداً , وهذا يعني ان له لغة متميزة وخاصة (٢)، ان علاقة الشاعر باللغة تختلف عن علاقتها بالناثر فهي عند الشاعر رمز اكثر من معنى , وكثيرا ما يلجأ الشاعر الى تفجير الكلمة , من اجل مفاجأة القارئ وايقاضه وحمله الى عالم غريب وسحري طالما حلم به دون ان يلقاه (٣). و((ليس امتياز الشعر في انه يخضع لقاعدة ثابتة , وينظم الطاقة شأن العلم ؛ بل امتيازه في انه يسبق القاعدة ويحرر الطاقة يفجرها ويضيئها)) (٤). والشاعر لكي يؤكد امتلاكه شعوراً مفارقاً للاعتيادي من الاحاسيس , بأن يتوفر على طاقة لغوية قصوى . فقد كان ((ورذزورث وكولردج يعملان بأشكال متنوعة متبادلة على جعل اللغة غريبة , وكأن احدهما كان يسعى الى خلع الغرابة على المألوف , في حين يسعى الاخر الى جعل المدهش أليفاً))(٥) وهذا ماكان يسعى اليه جماعة قصيدة النثر عندنا ؛ اذ تنم عن وعي شعري متجاوز معالد بفضل المجاز لجانية المعجم وجاهزيته التعبيرية , وهذه سمة قصيدة النثر بوصفها إمكانا لغوياً جديداً قالماً على اختراق منظومات ثبات الذاكرة عن طريق نقل الشعر من الزاماته التوصيفية الى حركاته التعبيرية الممتدة (٦) فقد سنم شاعر قصيدة النثر من التشبيه والكناية والطباق وما اليها من فنون البلاغة , وجعل يبحث عن بدائل داخل اللغة نفسها بحيث تكون اكثر صفاءً واعمق دلالة واغزر ايحاء واللغة ((تنبجس وتتفجر في حركة الاعماق وفي الابداع الشعري يصل غنى هذه اللغة الى أوجه , وتصبح غابة شاسعة كثيفة من الايقاع والايحاء والتوهج لاحد لابعادها الشفافة)) (٧) وتمارس هذه اللغة تأثيرها على فعل القراءة من حيث الطريقة والدلالة , أذ تأخذ القارئ الى فضاء من الايقاعات والصور والعلاقات فلا يعود ويتمسك بالأشياء والافكار فلا يراها فإنما يرى انفجاراتها واشعاعها (٨).

وتعد قصيدة النثر ضمن حداثة الوعي الشعري مخترقة لبنى الذاكرة ولكنها عبر سمة الاختراق نجدها تعكس عمق الحياة ومجراها الباطني , وتبدو لغة الانتهاك والانزياح عند فئة من الشعراء محاولة للاقتراب من النثر وذلك عبر تبسيط الجملة والتركيب والمفردة (٩). واهم خصائص الشعر هو امتلاكه ذلك الكم الهائل في القدرة على الانزياح في متن اللغة بوصفها المورد الاساس في تغذية النص الشعري .

الانزياح

الانزياح لغة : نزح – نزحاً نزوحاً – ويقال : نزحت البئر اي قل ماؤها ونفذ , ويقال : نزح وانزح وانتزح اي بعد وابعد وابتعد (١٠) وهو مصدر الفعل المطاوع (انزاح) اي ذهب وتباعد .

اما في المعنى الاصطلاحي فقد عرف بمصطلحات متعددة وذلك لتباين النظرة الى المفهوم واختلافها باختلاف التيارات والاتجاهات .

وقد ورد مصطلح انزياح بوصفه ظاهرة اسلوبية على انه ((خروج التعبير عن السائد او المتعارف عليه قياسا في الاستعمال رؤية ولغة وصياغة وتركيبا))(١١) وهو ((انحراف الكلام عن نسقه المألوف وحدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته , يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الاسلوب الادبي , ويمكن كذلك اعتبار الانزياح الاسلوب الادبي ذاته))(١٢) ويرى ريفاتير ان الانزياح : ((خرق لقواعد حينا ولجوء الى ما ندر من الصيغ حينا آخر)) (١٣) .

وقد عدّ عبد الملك مرتاض الانزياح بأنه)): المسروق عن المألوف في نسج الاسلوب بخرق التقاليد المتواضع عليها بين مستعملي اللغة مشيرا الى ان البلاغيين عرّفوا المصطلح باسم التقديم والتأخير والاختصاص والحذف والالتفات)) (١٤).

ان اللغة الشعرية هي لغة مخالفة للغة المألوفة , تنطوي على انحرافات عديدة في الصورة الفنية , وفي التشكيل الصوتي , وفي التراكيب الشعرية ولا يكفي ان تكون الانحرافات موجودة فيها , فالأصل ان هناك جديدا يطرح ويشكل انزياحاً (١٥) . وعملية الكشف عن حدوث الانزياح داخل بنية النص تقوم على عاتق المبدع ومتلقي النص على حدٍ سواء . اذ لابد للمبدع ان يعي فكرة حصول الانزياح في النص الذي هو بصدد انتاجه , كي يقوم بالتحكم في درجة حصول انزياحه من حيث القوة والتأثير داخل النص , فضلا عن ان هذا الانزياح ان لم يكن له مكتشف ليمتلك القدرة على

التأويل والتحليل فأنه لن يكون الزياحا في هذه الحالة , ولابد للانزياح ان يثير الدهشة والغرابة والمفاجأة في نفس المتلقي . فالأمور التي يجب توفرها في الانزياح : انه يقوم على محورين أساسيين هما : محمور (الاختيار) ومحور (التوزيع) وكل صور الانزياح الاخرى تخضع الى هذين المحورين , وبما ان اللغة تتكون من ثلاثة مستويات (التركيبي , والدلالي , والصوتي) فإن عملية حدوث الانزياح لابد أن تشمل جانبا من هذه الجوانب الثلاثة .

والانزياح الحاصل على صعيد محور (الاختيار) يكون النص فيه محتويا في اغلب الاحيان على السمات الاسلوبية عبر اسناد المبدع الاشياء المحسوسة الى الاشياء غير المحسوسة (١٦). وهذه الانزياحات تحصل على صعيد المستوى الدلالي عبر عنصر التشبيه والكناية والمجاز والاستعارة والرمز . في حين ان الانزياح الذي يحصل على صعيد محور (التوزيع) يكون على مستوى اللغة التركيبي عبر عناصر التقديم والتأخير وغيرها , اذ يتحقق الانزياح الذي يرتهن لتحقيقه اتصاف هذا الخطاب بالسمة الاسلوبية (١٧).

اما الانزياح الذي ينتج عن طريق جانب اللغة الثالث وهو المستوى (الصوتي) الذي يشتمل على النظم (الوزن والقافية) والعروض والمظاهر الصوتية , ففي هذا الجانب يحدث الانزياح عند انتقال اللغة من مستواها العام او مستواها النثري الفني الى صعيد الشعر الموزون المقفى او الشعر الحر , إذ أن القافية تقوم بصنع الانزياح الشعري الصوتي عبر قلبها للموازاة الصوتية الدلالية التي تقوم عليها سلامة الرسالة النثرية(١٨). وكذا الامر على مستوى الجناس والوزن والعروض .

• المحور الأول : الانزياح التركيبي

١– التقديم والتأخير :

وهو من اهم الاشكال التي تحقق الانزياح على مستوى الجملة لانه تقنية مرتبطة بالشعر اشد الارتباط يقول ابن رشيق : ((ورأيت من علماء بلدنا من لا يحكم للشاعر بالتقدم , ولا يقضي له بالعلم الا أن يكون في شعره التقديم والتأخير)) (١٩).

لقد شاع هذا الاسلوب في لغتنا شعراً ونثراً مما جعلها لغة ذات شاعرية ولطف ذلك ((ان الجملة العربية لا تتميز بحتمية في ترتيب اجزائها ... والعدول عن هذا الرتب يمثل خروجاً عن اللغة النفعية الى اللغة الابداعية))(٢٠) .

وهناك وسائل يستعين بها هذا الاسلوب , فهو لا يحدث عبثا انما هو مقرون بفكر المُخاطِب ونفسه من جهة , وبنفس المُخاطَب من جهة اخرى, فبحسب ترتيب الافكار في ذهن الباث يرتب كلامه (٢١).

إن التقديم والتأخير من ابرز مظاهر الانزياح في التركيب اللغوي ؛ إذ يلجأ اليه المبدع ليحقق اغراضاً نفسية ودلالية كالعناية والاهتمام , او لفت الانتباه , او الاختصاص , او غير ذلك . كما ان التقديم والتأخير يُحدث ((تأثيراً معنوياً اسلوبيا لينقل مواقع التركيز المعنوي من كلمة الى كلمة اخرى)) (٢٢)؛ اذ ان اعادة ترتيب الالفاظ بشكل آخر يعيد ترتيب المعاني لتتخذ شكلا جديدا يتلاءم مع ما حدث من تجديد حركي في فضاءات التركيب المكانية (٢٣).

ومن الانزياحات التركيبية في التقديم والتأخير بعض الامثلة في قصائد النثر معتمدين على ثلاثة نصوص شعرية لثلاثة شعراء , يطالعنا النص الاول للشاعر عقيل علي في قصيدة الموسومة بـ (مرثية الايام المؤجلة) يقول(٤٢):

آن للعين ان تكف عن الافتنان
آن لليد ان تكتسح اخطائها
آن للفم ان يعلن عن الخدعة
آن لي ان اقول :
بالتانيب ملأنا الدفاتر
للندم تركنا قلب السلاح
وبالطائر اعلنا النهاية .

نجد حدوث الانزياح في قوله (بالتأنيب ملأنا الدفاتر) ؛إذ قدم (بالتأنيب) على ملئنا الدفاتر وهو جار ومجرور تقدم للعناية مع العلم هو متعلق بالفعل (ملأنا) والتقدير ملأنا الدفاتر بالتأنيب . و (للندم) كذلك قدم الجار والمجرور للعناية على الفعل تركنا والتقدير : (تركنا قلب السلاح للندم و قوله : (بالطائر اعلنا النهاية انزياح تركيبي تقدم فيه ب (الطائر) على الفعل اعلن و التقدير : (اعلنا النهاية بالطائر) الا انه قدم الطائر واتى بهذا الانزياح لكسر افق التوقع ولاهتمامه بالمتقدم وعنايته به ؛ إذ كيف تكون النهاية بالطائر؟ اراد هنا ان يوصل رسالة السلام عبر طائر الحمام لتعلن النهاية .

ان القصد الذي يبتغيه المبدع هو الحصول على تنويعات دلالية يهدف عبرها كسر رتابة التلقي عن طريق جذب انتباه المتلقي الى النص باستمرار , وهذا ناتج من التنوع الحركي بنقل موقع الكلمة الى موقع آخر يمكن ان لا يتوقعه القارئ (٢٥) مما يولد لديه (كسر افق التوقع).

في مقطع (الحيبة الاخيرة)من قصائد عبد الرحمن الربيعي التي تحمل عنوان : (هذه القصائد ... ذلك التاريخ) نجد سمة التقديم والتأخير واضحة ومهيمنة على النص يقول(٢٦):

احتفت في الخناجر وانا
اتأهب للرحيل
على متن سفينة ممزقة الشراع
ملاحوها السكارى سقطوا في البحر
وفوق شفتيك
عشي الصغير الذي تهدم
تلوح سخرية.

فقد قدم (فوق شفتيك) على تلوح سخرية و التقدير تلوح سخرية فوق شفتيك الا انه جاء بهذا التقديم ليوهم القارئ ان على شفتيها تهدم عشه الصغير و الاصل في هذا الهدم هو عدم وصوله لشفتيها والانتشاء بها فتهدم عشه الصغير الذي بناه في احلامه , الا ان الحقيقة هي انها تسخر من احلامه وباتت سخريتها واضحة عبر ابتسامتها الجافة المرسومة على شفتيها . فقد اعتمد الشاعر الى هذا الاسلوب محققا بهذا الابتعاد او الانزياح عن المعنى المألوف والاتيان بالغرابة والدهشة , وان سبب ظهور هذه الظاهرة في البيت الشعري ((قد تكون نتيجة لانفعال الشاعر او حرصه على موسيقى شعره , او محاولة الخروج على القيود التي تفرضها قواعد النحو)),(٢٧) كما تمرد على القيود التي فرضتها عليه هذه المرأة .

وفي مقطع من قصيدة (تأشيرة لمقايضة البحر) للشاعر حيدر عبد الخضر نجد هذه السمه الاسلوبية بارزة بقوله(٢٨):

تتكئ على صحائف الكون
... اوردة متيبسة
فيتشظى ذلك الركام
الازلي
كأدعية شاحبة ...
على اضلع ... الكنائس
اضرحة معانقة تمتص ...
اثداء الارض
ليطفح هذا النشيج

فقد قدم الخبر (على اضلع الكنائس) على المبتدأ ؛ إذ أخر المبتدأ الذي هو (اضرحة معانقة) والجملة الفعلية بعده حال وهي (تمتص اثداء الارض) هذه الجملة حال (لأضرحة معانقة) انزاح الشاعر عبر تقديمه (لأضلع الكنائس) ليوصل

رسالة للمتلقي على ان من يرتكنون الكنائس هم من يمتصون خيرات الارض رغما عن انوف الطبقة الكادحة ليطفح النشيج وتثور الصدور , والكنيسة هنا فيها دلالة رمزية عن السلطة وليست الكنيسة هي المعنية بحد ذاتها . لقد كان استعمال الشعراء لخاصية التقديم والتأخير استعمالا مترابطا بالدلالات الايحائية التي يوفرها التقديم والتأخير والتي تربط بأثرها بمقاصد تتعلق بذوق الشعراء وما يحبط بهم من واقع حال ادى الى تركيزهم على اهمية الدلالة عبر تقديم لفظة على اخرى ؛ اذ ربطوا ذلك بالسياق العام للنص لتحقيق غايات فنية بلاغية لها من السحر والجمال مالم تتوافر عليه الكلمة او التركيب لو كان خارجاً عن الانزياح وجاء وفق الترتيب الاعتيادي للكلام .

٢ – الالتفات

يعد الالتفات من الظواهر الاسلوبية التي تعتمد على انتهاك النسق اللغوي وتجاوزه معتمدة على الانزياح عبر المطابقة , (٢٩) وتقوم على مقتضيات التخطي والانحراف عن الانماط المعتادة وهي خاصية تعبيرية ذات طاقات ودلالات ايحائية تبنى على الانزياح عن النسق اللغوي المألوف (٣٠).

والالتفات من السمات التضليلية التي يلجأ اليها الشعراء لتطرية نشاط السامع ومداورة القارئ مع الانزياح . وعدّ الالتفات من صميم الانزياح بوصفه مشتملا على بنية التباسية يشترك في تكريسها كل المعمار والاسلوب والدلالة , ويتم ذلك كله بلغة شعرية (٣١).

وعبر قراءتنا لقصائد النثر وجدنا ان ظاهرة الالتفات قد وردت في النصوص بشتى انواعه , واسهمت هذه الظاهرة مع الظواهر الانزياحية الاخرى في تقوية الإحساس الجمالي بالنص ؛ اذ ورد الالتفات في القصائد بالأنواع الاتية .

١ – الانتقال الفعلي :

وهذا النوع من الالتفات يقع بين صيغ الافعال , مثل المضارع الى الماضي , ومن الماضي الى المضارع , ومن المضارع الى الامر وهكذا فعنه قول الشاعر :

لقد طعنت من قبل
جرحك وجرحها هذا اعترافي
ولكنني ازاول مراوغة تقلباتك
يا خفقتي الجديدة
لن انتهي (٣٢)

نلاحظ وجود الالتفات الفعلي في هذه المقطوعة الشعرية في :

طعنت = ماضي ← ازاول = فعل مضارع

لقد ادرك الشاعر اثر تقلبات حبيبته على علاقتهما لذا عد طعنها اخفاقة جديدة من اخفاقاته بيد انه لن ينتهي من حبها ومن ما آل اليه الوضع , هنا ندرك ان التركيب السطحي لهذه القصيدة والمكون من الالتفات الفعلي بين الافعال مناسب تماما لما يريده الشاعر من التطورات الحاصلة بسبب تقلبات المرأة , وكأنه بهذا الاسلوب اراد ان يشير الى تقلباتها في تعاملها معه .

استعمل الشاعر حيدر عبد الخضر تقنية الالتفات في سياق قصيدته النثرية(لهات) الا ان دلالة الالتفات , اختلفت عن القصيدة السابقة يقول (٣٣):

انا شاعر مسالم
لا احمل في جيبي
غير دبق
الملاهي
وآخر قصيدة كتبها

على سرير
فتر
وانثى
بعمر الجوع
فمسقط رأسي الذي
ظل عالقاً
في جسد العشيرة
يؤرخ لي نزيفاً
من الكبوات
ها آنا ذا ... أتأبط سواتر احلامي
وفي فمي
قبضة من عويل

نلاحظ وجود الالتفات الفعلي في هذه القصيدة في قوله:

احمل = مضارع ← كتبتها = ماضي

ظل = ماضي ← يؤرخ = مضارع

لقد تحدث الشاعر عن نفسه وما آل اليه تواجده في بيئته و مجتمعه المتمثل بالعشيرة نزيفا من الكبوات فأخذ يتخبط بأحلامه وفي فمه عويل مكتوم . فاستعماله للالتفات جاء مناسبا وحالته هذه فربما جاءت هذه الرغبة متلونة مرتبطة بأحوال الشاعر النفسية وقد تحيّ مضطربة متأججة فأختار لها لغة متفجرة لترد الصياغة في اشكال من التحول تفسح للأسلوب مجالا اقوى للعدول عن المعنى وانصرافه الى معنى آخر حتى لا يقع القارئ على معنى معين وانما يجد نفسه ازاء فيض من الدلالات ؛ اذ ان الالتفات يشكل ((خاصية تعبيرية تتميز بطاقاتها الايحائية من حيث ان بناءها يعتمد على العدول))(٣٤) ويؤدي هذا التغيير المفاجئ في النسق اللغوي الى كسر بنية التوقعات لدى المتلقي محدثا فجوة بين المرتقب والمنشكل فعلياً , وبفضل تتحقق هذه الفجوة تتولد السمة الشعرية في النص (٣٥). وعبر هذه التحولات تتحقق دلالات جديدة ينتج عنها خيبة للمتلقي في امر لم يكن يتوقعه .

٢- الانتقال الضميري :

ويقع بين انواع الضمائر (التكلم , والخطاب , والغيبة) ومفاده ((ان الالتفات يأتي نتيجة العلائق التي تنسجها الضمائر بين الغياب والحضور , والداخل والخارج ساعية الى تنظيم هذا الاجراء في سياقه الانزياحي المتدفق وليس ضمن اخضاعه لشروط ارتباطه بالقرينة التي تحصده في مجرد انتقال الضمائر من صيغة الى اخرى)) (٣٦). ويمثل لكل نوع من انواع الضمائر وظائف في النص الشعري يستدل عليها تبعا للعلاقات القائمة بينها ؛ اذ ان تلك الضمائر يمكن ان تخرج من نطاقها المحدود داخل الجملة النحوية لتدل على نماذج جمالية تتعلق بالشاعر واحاسيسه لان الالتفات ((من الفنون ذات الاثر الفعال في تنويع انماط الكلام تلبية لبواعث نفسية شتى)) (٣٧). ولم تكن قصيدة النثر خالية من هذه السمة الاسلوبية بل اعتمد عليها الشعراء بشكل مكثف . ففي قصيدة الشاعر عقيل علي التي تحمل عنوان (الى امرأة مخلصة) نلاحظ الانتقال عبر الضمائر بقوله (٣٨) :

اهم ما يعنينا
هو سرور القصيدة
حيث يمكننا ان نجعل المدن رجلا معنى
يفكر بك

يجمع لإخوانه الاسرى باقات من فضاء
وهم قادمون
وبالتأكيد ,
من كان واحد

نلحظ استعمال الشاعر للضمائر جاء بدءا بضمير المتكلمين (نا) في (يعنينا) واستمر بهذا الضمير (يمكننا) ثم تحول الى استعمال الضمير الغائب في قوله (رجلا يفكر) والتقدير (هو) للغائب ومن ثم تحول الى المخاطب (بك) ويعود لينتقل الى الغائب (لاخوانه) و (هم قادمون) . فقد افتتح الخطاب بالحديث عن نفسه ومن جمع به وهذا الاسلوب قد اعتمده الشعراء والغاية منه كسب اصغاء المتلقي واضفاء الجمالية على قصائدهم ثم يتسللوا من بعده الى الغرض الاصلي , وهذا ما فعله الشاعر ؛ إذ انتقل من صيغة المتكلم الى صيغة الضمير الغائب بعد ان هيء الاجواء بأمنياته ان يجعل المدن رجلاً , بعد ذلك يعود الى اسلوب الخطاب (بك) وبعد ان فقد الاول من استجابة المحبوب يعود للحديث عن الغائب , وهذا الضرب من الالتفات يسهم في تلوين الخطاب , وتقطع جريان الكلام على جهة واحدة ؛ توخيا للتأثير في المتلقي ودفع السأم عنه , وهذا ما دفع الشاعر للتنقل بين اساليب عدة ليضمن سلامة الاصغاء اليه .

وفي النص الاتي للشاعر عبد الرحمن الربيعي يتمظهر اسلوب الالتفات والانتقال عبر الضمائر يقول(٣٩):

((امضيت لحظاتي في رياض هواك , احاول السخرية من اولئك الذين يقدمون لك ازهارهم , كنت ابتسم ولكنني احس دبيب اقدامهم على قلبي ... منافقون وجبناء واشباه رجال لم يقاوموني مرة ... اما انت فكنت تتغافلين وضعي ,
ايتها الفاتحة بالإثم والرجال ما جدوى همهماتك المدسوسة وخنجر الغدر ما زال
مغروسا في ظهري؟)) اذ انتقل من اسلوب المتكلم الى الخطاب وفقا لما تتطلبه الافكار التي يطرحها في النص فقد عجز الشاعر عن فهم امرأته اللعوب التي تتلذذ بتعذيبه بالتفاؤل والتجاهل والخيانة . ان الالتفات في هذا النص جاء نتيجة للعلائق التي تنسجها الضمائر بين الحضور والغياب والخطاب ساعية الى تنظيم هذا الاجراء في سياقه الانزياحي المتدفق وليس مجرد انتقال للضمائر من صيغة الى اخرى او اخضاعه لشروط ارتباطه بالقرينة التي تحصره (٤٠), وهذا الاسلوب ادى الى تشويق المتلقي لسماع الكلام واستدرار اصغائه اليه فحقق جمالية شعرية عبر هذا الانزياح .

المحور الثاني : الانزياح الدلالي

الانزياح الدلالي او الانزياح الاستبدالي , اذا ما اريد له يتحقق لابد له ان يتخطى الدلالة السطحية للألفاظ الى الدلالة الاخرى او الدلالة العميقة له ؛ اذ ان جوهر الاسلوب هو ما يحدث لدى المتلقي من خيبة الانتظار او التذبذب او الصدمة (٤١), وهذه الانزياحات هي ما اطلق عليها (كوهن) بالانزياحات الاستبدالية (٤٢) او ما اسماه ريفاتير بـ (المفاجأة) (٤٣).

هذه الانزياحات التي تحدثها الادوات البلاغية كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز ... وغيرها من اهم الوسائل التي كان لها الاثر الكبير في تمييز النصوص الشعرية من النصوص النثرية , او تمييز النصوص الشعرية بعضها عن بعض من حيث الجودة (٤٤)؛ إذ ان ((الذي يميز الخطاب الادبي النثري مثلا عن الشعري هو كثرة الانزياحات في هذا عن ذاك)) (٤٥)
وهذا ما نحاول الكشف عنه في هذا المحور

اول ما يطالعنا من انزياح دلالي في مجموعة حيدر عبد الخضر الشعرية هو عنوان المجموعة الموسوم بـ(هذا ... غبار دمي) كعتبة اولى لتكون معبرة عن قصدية لذا يلزم الدخول اليها وفك شفرة المعنى المتواري خلف دلالات (غبار الدم) بحثا عن ما وراء المعنى المباشر ؛ وهذا ما يصعب الامساك به داخل صورة او معنى واحد كونه ينفتح دلاليا داخل النص الواحد بوصفه مرتبطا بشبكات تأويلية سسيو دلالية تتشظى لتكون عنوان قصيدة فرعية كعتبة ثانية لذا تظل متوازية خلف الشكل المعنى عبر عناوين القصائد الفرعية الاخرى التي تظل مغلقة على داخلها وهو ما يعكس القصدية والهدف من التأويل ؛ إذ يتحرك النص داخل بنية نصية مغلقة طالما مارست وصايتها على صورة المعنى الثقافي والفني للمجموعة

بأكملها ،عمد الشاعر الى اعادة تشكيل افق ومنظور شعري على وفق رؤية تأويلية فكرية وفنية تتسع وتتمدد لتتجاوز صورة المعنى السائد وذلك بأعتماد تقنية الانزياح الدلالي , معتمدا اسلوب الاستبدال الفني الجمالي تمثل في المعنى ودلالته معتمدا على الاستعارة ؛ اذ عدها الباحثين ((استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينه صارفة عن ارادة المعنى الاصلي)) (٤٦) وهو عادة ((المبالغة والتلميح الذي يغني عن التصريح)) (٤٧) ومن سماتها ((التركيز والايحاء والكثافة التعبيرية))(٤٨) وانما تبنى على ((جمال الصورة واختزال التعبير)) (٤٩) الا انها تكون اشد واكثر ايحاء من التشبيه .

ان جماليات الانزياح التي يحملها مفهوم الاستعارة تتمظهر في ان كلما كان الشاعر مبتعدا في استعاراته عن الحقيقة والمألوف يبلغ قمة الانزياح ومتى قارب الشاعر الحقيقة كانت بوادر الانزياح لديه ضعيفة (٥٠). والصورة الاستعارية التي استعملها الشاعر كانت قوية اذا بابتعادها عن المعنى الحقيقي ؛ إذ لا يوجد (للدم غبار) الا انه عبر عن حالة دمه المتفحمة التي تبدو كالغبار نتيجة لما يمر به الشاعر من تقلبات نفسية بسبب احداث مجتمعة وعصره وما يمر به شعبة من معاناة تغلي الدم لدرجة ان تتحول اجزاءه الى غبار .

وعند الولوج داخل النصوص الشعرية للمجموعة ذاتها نجد الانزياح الدلالي متموقعاً في النصوص وقد شكل مهيمناً اسلوبياً لافتاً للنظر ، ففي القصيدة التي تحمل عنوان (قياصرة اكثر مما ينبغي) يقول :(٥١)

احدهم
يجلس محتقناً
يلوك المحنة
ويوزع الارتياب بجدارة
آخر يمتعض من ... القادمين
ما أقدس الفراغ
لولا هؤلاء

فقد استعمل الاستعارة في قوله (يلوك المحنة) معتمدا على تقنية التشخيص في اعطاء الصور الانسانية للجمادات ؛ اذ ان المحنه لا تلاك كيف له ذلك؟

انزياح دلالي عميق جمع الشاعر بواسطته بين الانسان والمحنه عندما استعار للمحنه من صفات الانسان وبذلك احدث خلخلة في التماثل تطلبت من المتلقي شيئاً من اعمال الذهن للوصول الى المعنى المراد .

وفي قصيدة (من حكايات الليل) يقول الشاعر عبد الرحمن الربيعي (٥٢)

ولأنني مفعم بشوقي
قطعت خيطي من قاعدتي
وصلبت طريقي
عند هيكلك الوردي
كضوء قمر في ليلة صحو

لقد وظف الشاعر الانزياح الدلالي عبر تقنيات متعددة متخذا من الاستعارة والكناية والتشبيه ادوات له لتحقق غرضه؛ إذ استعار صفات للنباتات واعطاها للإنسان عبر قوله (قطعت خيطي من قاعدتي) فالجذر الخيطي الذي يغرز داخل الطعام والنبات تكون له قاعدة خيطية تزال عندما يتعفن النبات وتقتلع عنه جذورها فقد استعار الشاعر هذه الالفاظ للدلالة على الحالة التي يصل اليها في الليل عند تأمله للمعشوقة . وقوله (صلبت طريقي) استعار فعل الصلب الذي هو للإنسان واضفاه للطريق كناية عن رغبة الشاعر بقتل الطريق وطيه ليصل الى محبوبته التي تبدوا كالقمر وضياءه في ليلة صحو فاستعان بالتشبيه في ختام المقطع ليؤدي الوظيفة الجمالية للانزياحات الدلالية او الاستبدالية داخل النص .

من هذا نستنتج ان استخدام الشاعر لهذه الانزياحات ((تكشف عن ايحائية جديدة في التعبير لا يحس بها السامع في الاستعمال الحقيقي))(٥٣) لان ((البنية الدلالية شيء ينجزه القارئ بعملية فرز عبر دلالات الايحاء الواردة في كلمات النص وعباراته بحثا عن النماذج المطلوبة)) (٥٤) وهذا كفيل بلفت انتباه القارئ ومعايشته للنص والتفكير بدلالته العميقة بخياله المحدود.

في قصيدة (اعشاب آسيا) للشاعر عقيل علي نتلمس الانزياح الدلالي الذي وظفه الشاعر بقوله (٥٥) :

عشب يجلس قبالتي , منبثقا من نار كونه يتلظى , ها هو يتلوى
قبالتي , يحدّق ولا ينطق
يستحيل القريب , وقد انبثق فجأة من ظاهر جلده ,
يستحيل هدوءا يغذي لقوبا في جمجمة الموت
ويضيق الداخل لموت الخارج ذريعةً ها هي تتحلل
قبالتي تنتحب ولا تنطق

ابتدأ حديثه باستعارة فعل الجلوس الذي هو مختص بالإنسان للعشب عبر تقنية التشخيص , ثم استعار له فعل التلوي وهو الشعور بالألم كونه يحترق , واعطاه ميزة البصر بقوله (يحدق ولا ينطق) كما استعار للموت جمجمة كناية منه لتهري العشب عبر الاحتراق اذ جعل الجمجمة مثقوبة تتخللها النار من جميع الجوانب الى ان يصل الى (النحيب) الذي هو من فعل الانسان واضفاءه للعشب الا انه ملتزم الصمت وهذا التوظيف الحاصل كله يصب في تحميل الدلالة ايحاءات عميقة بإيحاءات الدوال التنافرية ؛ لان التواتر الاستعاري بتتابعه يعمل على زيادة حركية الصورة وترسيخ اواصرها (٥٦) فالصورة الشعرية ليس هدفها تبسيط المعنى وتقريبه الى ذهن المتلقي وانما ((خلق رؤية جديدة))(٥٧) فهي تفرض على متلقيها نوعا من ((الانتباه واليقظة ذلك انها تبطء ايقاع التقائه بالمعنى وتنحرف الى اشارات فرعية مباشرة لا يمكن الوصول الى المعنى دونها (٥٨).

المحور الثالث : الانزياح الصوتي

تبدو اهمية التراكيب الصوتية بوصفها احدى الوسائل الاسلوبية في الخطاب الشعري والتي تعمل على جعله خطاباً يثير في النفس الرقة والعذوبة , وعبرها تبرز شاعرية الشاعر ويتجلى ابداعه ؛ لان الشعر من اشد الفنون ارتباطا بالموسيقى ؛ ((لان لغة الشعر الموقعة الموزونة انما هي موسيقى))(٥٩) ولهذا فان موسيقى الشعر كانت وما زالت من اهم مقاييس النقد والتقييم , وبها نعرف مدى قدرة الشاعر على الملائمة بين عواطفه وموضوعه فليس الشعر الا ((كلاماً موسيقياً تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر بها القلوب))(٦٠) .

ومما لا شك فيه ان الايقاع يمثل في القصيدة العربية ضرورة لابد منها وتتجلى ضرورته في ان ((العنصر الذي يميز الشعر من سواه))(٦١) فضلا عن كونه يمثل ((حيوية نغمية موسيقية ترتبط ارتباطا حميما بموسيقية اللغة وتركيبها الايقاعي من جهة وبطبيعة التشكيلات الموسيقية التي تمنحها القاعلية الفنية العربية من جهة اخرى))(٦٢) وهذه الحيوية النغمية هي التي تجعل من النص الشعري صورة موسيقية متكاملة تتلاقى وتفترق فيها الانغام محدثة بذلك نوعا من الايقاع الذي يساعد بدوره على تنسيق الاحاسيس والمشاعر المشتتة (٦٣). فالمستوى الصوتي يعمل على تحفيز طاقات اللغة عبر الانساق الدلالية فيتم الكشف عن الملامح الاسلوبية في البنية الدلالية حال انبثاقها (٦٤) ؛إذ يتحكم ذوق المبدع عبر اسلوبية الاختيار .

وقصيدة النثر هي انزياح على انزياح , لأنها جاءت لتكسر نظام القصيدة التقليدية وقصيدة التفعيلية , لكونها لا تعترف بضرورة القافية ولا الوزن واصبح طول الابيات فيها متفاوتا يخضع الى الدقة الشعورية فليس في قصيدة النثر بيت ولا شطر . فعبر هذه الانزياحات سنقوم بسبر اغوار النصوص الشعرية لـ (قصيدة النثر) للوصول الى الشاعرية التي تجلت في المستوى الصوتي . وهكذا تكون المهمة صعبة لان الباحث مطالب بالقبض على البنية الايقاعية لنص ذي شكل جديد

, تخلى عن معطيات آلفتها الذائقة العربية فمهمة الباحث هي البحث عن الانزياحات في الايقاع الداخلي للقصيدة , ونقصد به الموسيقى الداخلية , الصادرة عن الكلمة الواحدة التي تحمل صدى ووقعا في النفس . ويعد الصوت اصغر وحدة لغوية غير قابلة للتحليل , وما يعنيها هو التكرار الصوتي وما ينشئ عنه من بعد جمالي ودلالي إذ يكون صورة توحي بتجربة الشاعر وشاعريته . والتكرار الصوتي ما هو الا تكرار حرف يهيمن صوتيا في بنية المقطع ويقوم عبر انفعالات الشاعر وتصاعدها , كما يجب ربط الاصوات بموضوع القصيدة وصورها الفنية لان الشاعر يعمد الى تكرار ما يثير اهتمامه ليرسم به الصورة التي يريد ان ينقلها للجمهور (٦٥).

ان تكرار الفاظ مخصوصة يكون بمثابة اضاءة للنص يستطيع المتلقي ان يبني تحليلاته بوساطة هذا الملمح التعبيري البارز للكشف عن الملامح الرئيسة للتجربة الشعورية ومحاولة فك رموزها (٦٦). يتقصده الشاعر لغايات دلالية ايحائية , كما انه يضع في ايدينا مفتاحا للفكرة المتسلطة على الشاعر .

يقول الشاعر عقيل علي في قصيدته التي تحمل عنوان (مرثية الايام المؤجلة) (٦٧)

آن للعين ان تكف عن الافتنان
آن لليد ان تكتسح اخطاءها
آن للفم ان يلعن عن الخدعة
آن لي ان اقول

لقد كرر الشاعر لفظة (آن) ولهذه اللفظة دلالتها في النص ؛ اذ ان تكرار اللفظة لمرتين او اكثر لها دلالاتها ووقعها في النفس لان هذا النظام ((يعمل على انتاج فوائد جديدة داخل كيان العمل الفني ليتحد مفهومه في الاتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني))(٦٨) وقد يؤتى بالتكرار من اجل تحقيق اهداف نفسية كتكرار لفظة (آن) في هذه القصيدة اذ ان عنوانها (مرثية) ولفظة آن توعز بالأنين المستمر من قبل الشاعر وما يعزز هذا ارداف لفظة (للعين) وهذا لا يدل على ان الانين مصاحب للبكاء , كما تمتاز توظيف اللفظة بالشاعرية لان الشعر الجيد من اكثر اهدافه ((احداث الاثر الموسيقي وتوكيد الالفاظ والمعاني)) (٦٩)

في قصيدة (لحظة غضب صغير) للشاعر عبد الرحمن الربيعي نجد تكرار اصوات واستعمال اصوات جعلت للنص ملمحا بارزا وسمة اسلوبيه انزاح عبرها الشاعر ليضفي معانٍ مؤثرة وايحائية على نصه يقول (٧٠):

بأم عيني رأيت انهيار العناقيد
ولكنني كتمت نشيدي
بأم عيني ولم يحدثني احد
(وجد... تلد ... ولد ...ها)
وطيف هذا الهذيان ... (آن ...بان)
يتصورونني الغو .. غو .. غو..)
فرعون في جبهتك معركة محتدمة
حشدنا لها عيوننا واناملنا وكل النبال
آه ... هو ... ثو... فو... لا... ما...
وا.. عون.. فرعون.. يون
اتدري؟
انك لن تكون
لن تغلب النور .. لن تكون

لقد لجأ الشاعر الى هذه الاصوات معتبرا اياها وسيلة من وسائل التأثير ؛ اذ ان الشاعر عند استعماله لهذه الاصوات

يبحث عن تجاوب المتلقي معه : لان التكرار يحقق توازننا موسيقيا فيصبح النغم اكثر قدرة على استثارة المتلقي والتأثير في نفسه .

ان ما يعنينا هو مقدار ما يتحقق نتيجة لاستعمال هذه الاصوات من انزياحات اسلوبية ، هذه الانزياحات التي يحدثها التكرار او استعمال الاصوات المقاربة تقوم بصنع نسق مغاير لما تكون عليه اللغة العادية , كذلك يحدث الانزياح اذ تتعدد التراكيب المكررة على نسق واحد. لكن الاختلاف يكون بتباين المعاني التي خرج اليها كل تركيب, وعند الولوج في النص واستنطاقه عبر الغوص في فضاءاته المشحونة بالطاقات الايحائية نجد ان هذه الاصوات تعبر عن اضطراب الشاعر ازاء القضية التي اراد ان يعبر عنها القضية التي رءاها (بأم عينه) يشاهد جور السلطة ولا ينفعه (ولد – تلد – جد) وتحدث الاضطرابات ويعبر عنها ب (الغو – غو – غو) نتيجة للغوغاء التي آل اليها الوضع الى ان يرد الاصوات (هو .. ثو .. فو .. آه .. لا .. ما .. وا .. عون .. فرعون .. بون ..) هذه الاصوات تعبر عن دلالة عميقة وهي متمثلة في شخص (فرعون) الذي عذب الشعب فأخذ يصيح ال (هو .. ثو.. فو.. آه.. ما.. ولا..) ويطلب العون لكن هنالك فرق واسع بين العون والفرعون اذ انّى يكون العون من فرعون!

استثمر الشاعر ترجيح الاصوات في زيادة التنظيم الايقاعي , فضلا عن تكريس المعنى المراد اشاعته والمتمثل بجور السلطة وانينه على وطنه كالطفل الثائر في لحظة غضب ؛ وهذا الاستعمال هو ((محور الاهتمام بما يقدمه لنا من انزياحات لغوية تمثل جزءا من التطور في البنية الصوتية التي تضمر طبيعة الحدث))(٧١) لقد اظهر هذا التكرار وهذا الاستعمال والتوظيف حاجة الشاعر للتنفيس عن حزنه فجاءت موسيقاه موحية بالحزن الماّ على حالته المزرية .

كما ان هناك انزياح صوتي آخر في قصيدة النثر هو (البياض النصي) الذي يعد خاصية اخرى من خصائص القصائد الحديثة اذ يعبر عن دلالات كامنة في ذات المبدع لم يتمكن التشكيل اللغوي وحده من ايصالها وبهذا اصبح البياض جزءا من الملفوظ غائبا دالا ومدلولا فهو واقع في المكونات الغائبة التي ينشئها المستقبل نيابة عن باث الخطاب . ففي هذا القانون ((تنفجر ازمة البيت الحديث؛ اذ تفقد المعيار السائد الذي يعين حدود البيت ان البياض يتدخل في اعادة بناء البيت وفق نسق ايقاعي لممارسة الكتابة))(٧٢) والنصوص المدروسة مليئة بمثل هذا ومن ذلك قول الشاعر حيدر عبد الخضر (٧٣).

كلما ذهب
لسريره
يتمطى
تلطخت الشوارع
بجماجم
تمتهن الشخير
..
إخ
آخ
إخ .

ففي هذا النص الشعري يفسح الشاعر المجال للمتلقي لبناء العديد من الدلالات , وقد لا يستطيع المتلقي سد هذه الفجوة الا بعد القراءة الفاحصة للنص ؛ إذ ان الفراغات التي تركها الشاعر داخل النص تعد انزياحاً ؛ لأن المعيار هو ان تكون الفاصلة ملاصقة للكلمة التي قبلها ؛ اذ يمثل هذا الامتلاء والفراغ ملمحاً اساسيا يبديه المتلقي اولا ، بمقدار ما تمتد الاسطر الشعرية يتقلص الفراغ و كأن الامتلاء يلتهم بياض الصفحة الا ان الوضع في هذه القصيدة مختلف تماما ؛ لأن البياض قد حاصر السواد وهذا لا يخلو من دلالات فالبياض ليس فعلا بريئا او عملا محايدا انما هو عمل واع

ومظهر من مظاهر الابداعية وبذلك ((يكون البياض دالا اساسيا في انتاج دلالية الخطاب))(٦٧) والقارئ وحده هو الذي يستطيع ان يستوعب الفراغ ووظيفته هذا الفراغ هو فسح المجال لمن يريد التأويل والزيادة. ومن هنا كان للانزياح الصوتي جمالية عالية وشعرية مستضيف؛ إذ عبر الشعراء بوساطته عن تجاربهم الشعرية مخلخلين به ذهن المتلقي ومحفزين له على ملاحقة المعاني وايجاد دلالات وتأويلات مختلفة .

نتائج البحث :

بعد انتهاء مسيرة البحث يمكن الاشارة الى بعض النتائج والمقترحات التي توضح جماليات الانزياح في قصيدة النثر العراقية بمستوياته الثلاثة : التركيبي والدلالي والصوتي وكما يأتي :

١- اسهم التقديم والتأخير بالانحراف بنظام الجملة عن ترتيبها المألوف, فالتقديم والتأخير ارتقى بالجملة الى مستويات وتراكيب اخرى في قصيدة النثر, تجلى اثرها في تجديد تجربة المتلقي بالنص ونسيجه الجديد بما انشأته من دلالات متنوعه وبما تحتوي من ملامح اسلوبية تولد عنه مجموعة من الصور والدلالات التي تأتي بها الشعراء الى اللغة الابداعية.

٢- مثّل الالتفات انزياحا اسلوبيا اسهم الى حد كبير في كسر توالي الخطاب على وتيرة واحدة, واحدث تنوعه تنوعا في الاساليب, وكان له دورا مهما في مفاجأة المتلقي, كما اوحى بدلالات جديدة عبرت عن رؤية الشعراء وافكارهم وعواطفهم فضلا عن اسهامه في كسر الزمن, اذ تنقل الشعراء بين الازمنة لكي يضمنوا حضور اذهان المتلقين الى شعرهم .

٣- تجاوزت الدوال المعجمية دلالاتها الاصلية الى دلالات اخرى ايحائية, بما احدثته الاستعارة من مفارقة دلالية اتاحت للشاعر ان ينقل خطابه من العادي المباشر الى الشعري غير المباشر, فحول المعنوي الى مادي, والمجرد الى محسوس واردفها باستعمال تشكيلات اخرى مثل (التشخيص) فحققت سمات دلالية تنماز بطابع جمالي ذو رؤية ابداعية, كما حققت الكناية انزياحا عن المألوف والعادي تمثل في تجاوز الدوال اصلها المعجمي الى دلالات اخرى ايحائية.

٥- استطاع الشعراء بفضل براعتهم ان يستثمرو بعض الفنون البلاغية كالتكرار بانواعه, واستعمال الاصوات المتقاربة والبياض النصي في ابراز الموسيقى الداخلية لشعرهم فعبر هذه الفنون وتناولها في السمع اسهموا في انتاج شعرية عالية لنصوصهم وذلك عبر الانتقال بين الفونيمات الصوتية التي تمثل في طياتها انزياحات اسلوبية.

٦- إنّ الانزياح بكل أشكاله التركيبية والدلالية والصوتية قد ارتقى بخطاب قصيدة النثر الى درجة الشعرية, وان الشعرية لم تكن قيمة خاصه بخطاب الشعراء الادبي في ذاته بل في قدرة ذلك الخطاب على ايقاظ المشاعر الجمالية في المتلقي, واثارة الدهشة والغرابة او ايجاد الحس بالمفارقة, او احداث نوع من الفجوة او كسر بنية التوقعات لدى المتلقي, او بعث اللذة واثارة الاهتمام في نفوس القراء والسامعين.

الهوامش:

(١). مقدمة الشعر العربي : ١٠٨ .
(٢). ينظر : زمن الشعر : ٤٠
(٣). النقدي الادبي الحديث من المحاكاة الى التفكيك : ١٩٤ .
(٤). مقدمة للشعر العربي : ١٠٩ .
(٥). نظرية الادب : ٣١٩ .
(٦). ينظر : ضد الذاكرة : ١١٠ . ١٠٩ .
(٧). مقدمة للشعر العربي : ١٢٧ .
(٨). ينظر : موسيقى الحوت الازرق : ٣٠ .
(٩). ينظر : قصيدة النثر العربي : ١٥٨ .

(١٠). لسان العرب : مادة (نزح) .
(١١). اطياف الوجه الواحد : ٩٢ .
(١٢). مصطلحات النقد العربي الكيميائي : ٨٦ .
(١٣). الاسلوبية والاسلوب : ١٠٣ .
(١٤). شعرية القصيدة : ١٣٠ .
(١٥). ينظر : الانزياح الشعري عند المتنبي : ١٠
(١٦). ينظر : ينظر الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب ١٢، ١٣ .
(١٧). ينظر : م.ن :١٤.
(١٨). ينظر : بنية اللغة الشعرية : ٧٦، ٨٦ .
(١٩). العمدة : ٢١٨، ٢١٩ .
(٢٠). البلاغة والاسلوبية : ٣٢٩ .
(٢١). ينظر : قصيدة (قذى بعينيك) دراسة اسلوبية : ٦٨ .
(٢٢). التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم : ٧٥ .
(٢٣). ينظر : الانزياح في شعر السياب : ٣٨
(٢٤). جنائن آدم : ٣٥ .
(٢٥). ينظر : الانزياح في شعر السياب : ٤١ .
(٢٦). شهريار يسجر : ١٨
(٢٧). بحوث لغوية : ٥٧ .
(٢٨). هذا غبار دمي : ٨٠ .
(٢٩). ينظر : شعرية الانزياح في دراسة في جماليات العدول : ٢٢٤ .
(٣٠). ينظر : خصائص الاسلوب في شعر طرفة بن العبد : ٣ .
(٣١). ينظر : اسلوبية البناء الشعري : ٢٢٩ .
(٣٢). شهريار يسحر : ١١٩ .
(٣٣). هذا غبار دمي : ٢٦، ٢٧ .
(٣٤). البلاغة والاسلوبية : ٢٧٩ .
(٣٥). ينظر : الشعرية في النقد العربي : ٢١٦ .
(٣٦). الشعرية والخطاب الشعري في الشعر العربي الحديث : ٩١
(٣٧). من الالتفات في مباحث البلاغيين : ٦٥ .
(٣٨). جنائن آدم : ٢٨ .
(٣٩). شهريار يسحر : ١٦٥، ١٦٦ .
(٤٠). ينظر : اقنعة النص : ٥٠ .
(٤١). ينظر : الاسلوبية والاسلوب : ٨٤، ٨٥ .
(٤٢). ينظر : بنية اللغة الشعرية : ١١٠ .
(٤٣). ينظر : الاسلوبية والاسلوب : ٨٥ .
(٤٤) . ينظر : الاسلوبية الشعرية في النقد العربي : ١٢٠
(٤٥).م . ن : ١٢٠ .
(٤٦). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ٣٠٣ .
(٤٧). البلاغة العربية اصولها وامتداداتها : ٢٩٩ .

(٤٨). ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والاسلوبية الحديثة : ٢٦١ .
(٤٩). م . ن : ٢٦٢ .
(٥٠). ينظر : الانزياح الاسلوبي في شعر احمد مطر : ١٢٥ .
(٥١). هذا غبار دمي : ٧٦ .
(٥٢). شهريار يسحر : ١١ .
(٥٣). لغة الشعر بين جيلين : ٢١٠ .
(٥٤). اللغة والخطاب الادبي : ١١١ .
(٥٥). جنائن آدم : ١٨٣ .
(٥٦). ينظر : البنوية وعلم الاشارة : ٥٩ .
(٥٧). نظرية البنائية في النقد العربي : ٨٥ .
(٥٨). الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي : ٣٢٨ .
(٥٩). مسائل فلسفة الفن المعاصر : ١٤٠
(٦٠). موسيقى الشعر : ٢٢ .
(٦١). تحليل النص الشعري : ٩٦ .
(٦٢). في البنية الايقاعية للشعر العربي نحو بديل جذري لعروض الخليل : ٢٣٠ .
(٦٣). ينظر : الشعرية الايدية : ٢ .
(٦٤). ينظر : مبادئ في علم الدلالة : ٤٨ .
(٦٥). ينظر : قضايا الشعر المعاصر : ٢٧٥ .
(٦٦). ينظر : قراءة الشعر بين النظرية الشكلية وآفاق الاتجاهات الاسلوبية : ١٥٥ .
(٦٧). جنائن آدم : ٣٥ .
(٦٨). القصيدة العربية بين البنية الدلالية والبنية الايقاعية : ١٨٣ .
(٦٩). التكرير بين المثير والتأثير : ٢٩١ .
(٧٠). شهريار يسحر : ٦١ .
(٧١). شعر الشماخ بين ضرار دراسة اسلوبية : ١٣٥ .
(٧٢). القصيدة العربية الحديثة في النقد العربي المعاصر : ٢١٠ .
(٧٣). هذا غبار دمي : ٧١ . ٧٢ .
(٧٤). القصيدة العربية الحديثة في النقد العربي المعاصر : ٢١١ .

المصادر:

١– الاسلوبية والاسلوب نحو بديل السني في نقد الادب : عبد السلام المسدي, الدار العربية للكتاب , ليبيا–تونس , ط ١٩٧٧،١
٢– اطياف الوجه الواحد, دراسات نقدية في النظرية والتطبيق : نعيم الياخي, منشورات اتحاد الكتاب العرب, دمشق, ١٩٩٥ .
٣– اقنعة النص : سعيد الغانمي , دار الساقي, بغداد, ١٩٩١
٤– الانزياح الاسلوبي في شعر احمد مطر : غازي هلال مخلف (رسالة ماجستير) كلية التربية للعلوم الانسانية, جامعة الانبار, ٢٠٢٠م .
٥– الانزياح الشعري عند المتنبي, قراءة في التراث النقدي عند العرب : احمد المبارك الخطيب, دار الحوار, سوريا ط١ , ٢٠٠٩ م .
٦– الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب : عباس رشيد الددة, دار الشؤون الثقافية, بغداد, ط١, ٢٠٠٩ .٧– الانزياح في شعر السياب : سعدون محسن اسماعيل (رسالة ماجستير) كلية العلوم الاسلامية, جامعة بغداد , ٢٠٠٦ .
٨– بحوث لغوية : دار احمد مطلوب , دار الفكر للنشر , عمان , ط١, ١٩٨٧ .
٩– البلاغة والاسلوبية: محمد عبد المطلب, مكتبة لبنان– بيروت ط١ , ١٩٩٤ .
١٠– بنية اللغة الشعرية: جون كوهن, تر: محمد العمري ومحمد الولي, دار توبقال – الدار البيضاء , ١٩٨٦ .

١١- البنيوية وعلم الاشارات : ترنس هوكز , تر : مجيد الماشطة ، دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد , ١٩٨٦.
١٢- تحليل النص الشعري : محمد فتوح , مجلة النادي الادبي الثقافي جدة – السعودية , العدد ١, ١٩٩١ .
١٣- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم: عودة خليل ابو عودة, مكتبة المنار , الزرقاء–الاردن , ط١ , ١٩٨٥ .
١٤- التكرير بين المثير والتأثير : عز الدين علي السيد, دار عالم الكتب , بيروت , ط٢, ١٩٩٨٦ .
١٥- جنائن آدم : عقيل علي , منشورات دار الجمل, بغداد – بيروت ٢٠٠٩ م .
١٦- زمن شعر : ادونيس, دار آداب , بيروت , ١٩٧٢ .
١٧- شعر الشماخ بن ضرار دراسة اسلوبية : بلال ابراهيم شبيب (رسالة ماجستير) كلية الاداب, جامعة الانبار, ٢٠١٠ .
١٨- الشعرية الاندلسية عصر بني الاحمر انموذجا: علي محمد عبد (اطروحة دكتوراه) , كلية التربية , جامعة الانبار , ٢٠٠٦م .
١٩- شعرية القصيدة قصيدة القراءة عبد الملك مرتاض, دار هومة , الجزائر, ١٩٩٧ .
٢٠- شهريار يبحر: عبد الرحمن مجيد الربيعي, عالم الكتب, بيروت , ط١,, ١٩٨٥
٢١- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي : جابر عصفور دار الثقافة للطباعة والنشر, القاهرة , ١٩٧٤.
٢٢- ضد الذاكرة شعرية قصيدة النثر: محمد العباس , المركز الثقافي العربي, جامعة ميشغان , ط١, ٢٠٠٠ .
٢٣- علم الاسلوب مبادئه واجراءاته : صلاح فضل , دار الشؤون للنشر والتوزيع , ١٩٩٨.
٢٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني, ت: محمد محي الدين عبد الحميد , دار الجيلي, بيروت , ط٤, ١٩٧٢.
٢٥- في البنية الايقاعية للشعر العربي نحو بديل جذري لعروض الخليل و مقدمة في علم الايقاع: كمال ابو ديب, دار الشؤون الثقافية العامه, بغداد ,ط٣, ١٩٨٧.
٢٦- قراءة الشعر بين النظرية التشكيلية وافاق الاتجاهات الاسلوبية : ابراهيم السيد, مجلة علامات في النقد, مجلد ١٠ جزء ٣, النادي الثقافي بجدة ,٢٠٠١ .
٢٧- القصيدة العربية بين البنية الدلالية والبنية الايقاعية حساسية الانبثاقة الشعرية الاولى جيل الرواد و الستينات : محمد صابر , اتحاد الكتاب العرب , دمشق , ٢٠٠١
٢٨- القصيدة العربية الحديثة في النقد العربي المعاصر : مشري بن خليفة منشورات الاختلاف , الجزائر , ط١, ٢٠٠٦.
٢٩- قصيدة قذى بعينيك للخنساء , دراسة اسلوبية : البكاي اخداري (رسالة ماجستير) كلية الاداب واللغات جامعة الجزائر , ٢٠٠٤-٢٠٠٥م .
٣٠ قصيدة النثر العربية الاطار النظري : احمد بزون , دار الفكر الجديد , ط١, بيروت ,١٩٧١ .
٣١- قضايا الشعر المعاصر : نازل الملائكة , دار العلم للملايين , بيروت ,ط, ٤ ١٩٧٤.
٣٢- لسان العرب : ابن منظور , ت: عبد الرحمن النجدي, دار صادر , بيروت , ط١, ١٩٧١ .
٣٣- مبادئ في علم الدلالة: رولان بارت ,ت : محمد البكري كلية الاداب , مراكش ,ط٢, ١٩٨٦ .
٣٤- مسائل فلسفة الفن المعاصر : جان ماري جويو, ت: سامي الدروبي , دار اليقظة العربية- دمشق ,ط٢, ١٩٦٥.
٣٥- مصطلحات النقد العربي السيميائي الاشكالية والاصول والامتداد مولاي علي بو خاتم, منشورات اتحاد الكتاب العرب , دمشق ,٢٠٠٥م .
٣٦- مقدمة الشعر العربي : ادونيس , دار الساقي , ٢٠٠٩م.
٣٧- موسيقى الحوت الازرق الهوية الكتابة العنف: ادونيس , دار الآداب , بيروت , ط١ , ٢٠٠٢ م.
٣٨- موسيقى الشعر : ابراهيم أنيس, مكتبة الانجلو المصرية , ط٢, ١٩٥٢م.
٤٠- نظرية الادب : رينيه ويليك و آوستن وارن , تر: شكري عزيز الماضي , المؤسسة العربية للدراسات و النشر ,٢٠١٣م.
٤١- نظرية البنائية في النقد العربي : صلاح فضل , دار الشروق , القاهرة ,ط١ , ١٩٩٨م.
٤٢- النقدي الادبي الحديث من المحاكاة الى التفكيك : ابراهيم محمود خليل , دار المسيرة , ٢٠١١م.
٤٣- هذا غبار دمي : حيدر عبد الخضر , دار الشؤون الثقافية , بغداد, ٢٠١٠م.

A Comparative Discursive Analysis of Iran V.S. Israel War Propaganda: Western, Israeli and Iranian Media Discourse

Zahraa Radhi Hanoon
Ministry of Education, Iraq.Najaf
Directorate of Education



Abstract:

This article talks about Iran V.S. Israel War as a discursive study comparing stories from Western countries, Israel, and Iran. It looks at how different viewpoints and media biases from various places influence the propagandas about the event. This study uses discourse analysis to look closely at media texts. It examines how they are organized, the words used, and how ideas are presented in news stories. This study looks at how the media from the West, Israel, and Iran talked about the conflict and what we can learn from their different stories in influencing what people think. The findings aim to help us understand how the media talks about international news and to improve the study of communication and international relations by showing how the media shapes stories about global conflicts. The results show that Western media focus on diplomacy and humanitarian issues, Israeli media concentrate on themes of conflict, its superiority, and Iranian media highlight political and social impact of war in the region. These differences show that discussions are influenced by different local interests and opinions, which affects how people in each area see and understand these conflicts.

Keywords: Discourse, Media, Israel, Iran, War, Propaganda

للمستخلص:

يتناول هذا المقال الحرب بين إيران وإسرائيل من منظور دراسي خطابي، من خلال المقارنة بين السرديات الإعلامية الصادرة عن الدول الغربية، وإسرائيل، وإيران. ويسعى إلى تحليل الكيفية التي تؤثر بها التوجهات المختلفة والانحيازات الإعلامية في صياغة الدعاية المتعلقة بهذا الحدث. وتعتمد الدراسة على منهج تحليل الخطاب لفحص النصوص الإعلامية بدقة، من حيث بنيتها التنظيمية، والألفاظ الموظفة فيها، والآليات التي تُعرض من خلالها الأفكار ضمن التغطيات الإخبارية. كما تستعرض الدراسة كيفية تناول وسائل الإعلام الغربية والإسرائيلية والإيرانية للصراع، وما يمكن استخلاصه من تباين رواياتها في تشكيل الرأي العام. وتهدف النتائج إلى الإسهام في فهم أعمق لآليات تناول الإعلام للأحداث الدولية، وإلى تعزيز دراسات الاتصال والعلاقات الدولية من خلال الكشف عن الدور الذي يؤديه الإعلام في صياغة السرديات المتعلقة بالنزاعات العالمية. وتبين النتائج أن الإعلام الغربي يركز بصورة أساسية على قضايا الدبلوماسية والجوانب الإنسانية، بينما ينزع الإعلام الإسرائيلي إلى التركيز على موضوعات الصراع وإبراز تفوقه، في حين يسلط الإعلام الإيراني الضوء على الأبعاد السياسية والاجتماعية للحرب في المنطقة. وتعكس هذه الاختلافات أن الخطابات الإعلامية مشروطة بالمصالح والاعتبارات المحلية، الأمر الذي يؤثر مباشرة في كيفية إدراك المجتمعات لهذه النزاعات وفهمها لها.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الإعلام، إسرائيل، إيران، الحرب، الدعاية

1.2.Introduction

Politics is a way for people to express what they want from others, us-

ing words to reach their goals. Beard (2000) points out that language and politics are closely connected. This means we should pay more attention to the political aspects when analyzing how people use language. Beard (2000) says it's important to closely examine political language because it helps us understand how people use words to gain, use, or keep power. It's important to understand that a key part of political speech is how politicians use words to affect and control their audience. Fairclough and Fairclough (2012) provide reasons to support this view, stating that , "Language is significant in the production, maintenance, and change of social relations of power. Indeed, it is a political tool employed to grab the attention and support of the electorate and manipulate their minds with the view to gaining and retaining political power." (p. 74).

Fairclough's stance in the aforementioned excerpt demonstrates how closely linked language is to politics as a profession. For politicians to win votes, they often need to be at the top of their persuasive game. Consequently, the most effective speakers have the greatest opportunity to influence voters' views. That's why language plays a big role in politics.

Lawan (2016, P.12) adds to the argument that language is an essential component of politics. Lawan suggests that:

"...of all the resources available to man, his most cherished explored and exploited resource is language. Language provides the variant selections and possibilities which he uses to manipulate and control people to achieve desired interests, which are often politically inclined."

Therefore, the role of media in reporting conflicts extends beyond delivering factual ac- counts; it involves shaping public understanding, influencing diplomatic narratives, and potentially swaying geopolitical outcomes. News agencies often operate at the inter- section of journalism and advocacy, with their reporting sometimes reflecting inherent biases, ideological leanings, or underlying institutional interests. Such tendencies can blur the lines between objective reporting and implicit propaganda. This study examines the framing of the April 2024 Iran–Israel confrontation by two prominent international news agencies—Al-Jazeera and BBC News. The attack, which marked a departure from the longstanding proxy nature of Iran–Israel hostilities, escalated into direct military engagement, drawing widespread international attention and raising the stakes for regional stability. Utilizing Galtung's framework on

peace journalism (Gouse et al., 2018), this re– search evaluates whether media portrayals of the conflict exacerbated tensions or fostered greater understanding.

The New York Times and The Washington Times were chosen because they are well–known and have a big impact on important conversations both in their regions and around the world. Al–Jazeera, based in Qatar, is an important news source in the Middle East and is well–known in the Muslim community. In comparison, the BBC, which is located in London, represents the history of Western media and is often mentioned by other TV and radio stations around the world. These sources show their own viewpoints on global issues and also measure how people understand the conflict in different cultures and political situations. Their wide influence and trustworthiness make them important to study how media coverage affects views on the Iran–Israel conflict.

Both sides of this conflict involve history, politics, and culture, especially regarding the recent actions related to nuclear concerns. Media stories and official statements in Iran about the war between the two countries are good and useful for comparison because Iraq wants its people to strongly support their country. Since 2008, Iran's leadership under Mahmoud Ahmadinejad has focused on gaining nuclear knowledge. This shows that countries have different ways of reporting news about the recent war. As a result, media, which includes online or digital media (Hoewe & Peacock, 2020, p. It helps influence how people view these conflicts and how policies are made in response to them. As new media grows, it's clear that people want more information from online sources, including the latest news (Martianto & Isnaini, 2021, p. It looks like you may have forgotten to include the text you'd like me to simplify. Please provide the text, and I'll help rewrite it in simpler words. By presenting news in certain ways, media help people understand and respond to ongoing crises.

This study looks at how media report on Iran's military attack on Israel. It focuses on how their way of presenting the news affects conflicts in the region. This study looks at how different news outlets present information. It aims to show how these presentations influence public opinion, affect decisions made by policymakers, and impact relationships between countries.

This study is important because it looks at a new increase in the conflict between Iran and Israel and compares how different media outlets are presenting the situation. Previous studies have looked at how Al-Jazeera and the BBC report on different global events, like the Arab Spring and the Gulf crisis. However, not many have focused on how these networks cover the direct military conflicts between Iran and Israel. This research helps to explain how the media portrays important international conflicts.

Finally, the present studi main purpose is to explore the following questions

Q.1. Using Leeuwen's model of D.A, how media can reflect the ideological, and cultural contexts of each region?

Q.2. Using Leeuwen's model of D.A how the ideology and interests of each region's media can influence public perception of Iran V.S Israel war?

2. Literature Review

Past studies highlight how much the way media presents stories affects people's political beliefs and their views on conflicts. For example, studies show that how people talk about conflicts can make tensions worse (Canetti et al. , 2019; Hawkins, 2011). They also highlight the effects of biased reporting in the media on controversial topics (Bhowmik and Fisher, 2023; Elmasry et al. , 2013) Academic discussions have looked closely at how global media present the Israel-Palestine conflict. These studies show that some media are biased in their reporting, which affects how people around the world understand the issue (Amer, 2022; Deprez and Raeymaeckers, 2010). However, no one has closely examined how Al-Jazeera and the BBC show the direct conflict between Iran and Israel, which shows an important gap in media research. Lee, 2005 offers important ideas about the differences between war journalism and peace journalism. This is especially true for conflicts in Asia, like those in Aceh and Maluku, as well as in worldwide conflicts like the Iraq War. Their findings show that local media often tend to.

Fairclough and Wodak (1997) say that Critical Discourse Analysis is a complex way of studying language that combines different ideas, methods, and research topics. Discourse analysis explains how meaning is created and shows the ways people influence and define social roles.

It also looks at how these representations help create a particular understanding of the topic. (Bertrand & Hughes, 2005).

Further evidence from Lee's study illustrates that war journalism dominates head- lines, while feature and opinion sections often adopt a more reflective peace journalism approach. This juxtaposition reflects an attempt to balance sensationalism with a commit- ment to fostering understanding. Nonetheless, the prevalence of war journalism in international media underscores its potential to exacerbate conflicts, highlighting the need for a more coordinated global approach to conflict reporting.

Saddiqi and Silab (2023) said that both old and new forms of media can affect society and people's lives in good and bad ways. Media creates news as a product that provides information and makes money, following specific rules and routines. Karidi (2018) stated that the news created by media is both informative and aimed at making money. It should follow specific routines, factors, and standards. The media tries to give information that helps readers learn more and see different points of view through their stories (Miranda et al. , 2016, pIt seems like your request may not have included the text you want rewritten. Could you please provide the text you'd like simplified.

According to Fairclough (2001), media discourse is a type of communication where one side (the producer) has more control. It involves a lot of interaction between private life and public life. Politics, war, crime, the economy, and society are shared with people through media like TV, newspapers, radio, and social media. Also, both written texts and signs, along with how they are made, reflect ideas about media that come from powerful people in politics and the media, like politicians and journalists (Richardson, 2017).

3. Methodology

This study looks at how news Media's coverage of Iran's attack on Israel in Tel Aviv. It uses a method called discourse analysis based on van Leeuwen's ideas about who is included or left out in the news. Van Dijk says that discourse studies started from studying language critically and have grown to include other fields, like semiotics, communication, and more (Sugiyanto 2023, 70). Discourse analysis is a newer area of study that is still growing. In the past, different language experts looked mainly

at how sentences are built, but over time, many of them began to study how people communicate in larger conversations (Lubis 1993, 12). This study looks at how two countries talk about war in their news media. It compares Iranian news channels like IRINN and Press TV with Israeli news channels such as NBC, ABC, Washington Times and New York Times. The study also looks at how the ideas and goals of the media in each region affect how people view Iran's attack on Israel. This study looks at how news from around the world and countries at war presents events. It aims to understand how the media influences ideology and interests of people about conflicts and affects what people think about them. This model identifies exclusion, where certain actors are omitted from the narrative, and inclusion, where groups are portrayed in specific ways. Both processes shape public understanding and can legitimize particular viewpoints (Badara 2012, 6). This comparison helps us understand how media talks and propaganda show and strengthen regional perspectives on global events

4. Results and Discussion

The history of relations between Iran and Israel has evolved through a complex journey. After its founding in 1948, Israel maintained close relations with Iran (al Hadab et al. 2022). Iran became the second Muslim country, after Turkey, to recognize the Jewish state (Shidiq 2021). Iran's relations with Israel were not always hostile. After Israel gained independence in 1948, the two countries developed strategic and economic ties.

The history of how Iran and Israel get along has changed a lot over time. After it was established in 1948, Israel had good connections with Iran. It looks like you typed "2022). " without any additional context. Could you please provide the full text or more information so I can help you rewrite it in simpler words. Iran was the second Muslim country, after Turkey, to accept Israel as a country (Shidiq 2021). Iran and Israel did not always have a bad relationship. After Israel became independent in 1948, the two countries started to build important connections in trade and strategy.

On April 1, 2024, Israel attacked Iran's embassy in Syria's capital, Damascus. This led Iran to respond with its own attack on April 13, 2024. Iran used drones and missiles against Israel, which caused a counterat-

tack on April 19, 2024. Iran reacted strongly, making the conflict between Iran and Israel much worse. Iran fired missiles at Tel Aviv in reaction to Israeli airstrikes in Syria, which made the conflict even worse.

Discursive Analysis of Israeli's Media reflection on War

The headline "Iran fires missiles at Israel in escalating conflict over nuclear site attacks" from N. BC uses careful wording and structure to tell a strong and concise story (N. BC, 2025)Starting the headline with "Iran" highlights its main role in causing trouble, and the word "FIRE" suggests strong and violent action. This text shows that "Israel" is being presented as the target, creating a simple story where Iran is seen as the attacker and Israel as the one being attacked (Badara 2012, 40). This structure helps explain things clearly, but it makes the complicated world politics seem easier than it is. It emphasizes direct conflicts but ignores the bigger picture. This way of presenting information affects how people see things. It makes Iran seem like a troublemaker by using strong words like "attacks," while showing Israel as weak and in need of compassion. This kind of language creates a divided view of the conflict, focusing on anger and who is suffering. The headline is short and clear, but it might lead readers to only see one side of the Iranian–Israeli conflict. This shows how media language can influence stories and emphasizes the importance of looking closely at how conflicts are presented, especially in long–lasting international issues.

Also, looking at the headline from Headshot 12, a well–known Israeli news network, which says "Worried Iran Keeps Tensions High; Supporters Cause Most of the Death, Unrest, and Damage" (Wolfgang 2024), shows how the media shapes identities and labels important people involved, using a method from the Inclusion approach (Badara 2012, 40). Iran is seen as the main cause of tensions in the region. It is called "war–wary" to show that it doesn't want to fight directly, but it still causes problems. This description shows that Iran is careful about starting big wars but still plays an important role in influencing events in other ways. The word "proxies" refers to groups that act for Iran, showing them as tools that carry out Iran's policies without going into much detail. These groups are seen as causing violence, protests, and damage, which supports the idea that Iran is a main troublemaker. But this way of looking at things misses important information about who these representatives

are and how other groups or countries play a role in the bigger conflict. By concentrating on Iran and its allies, the media makes the story easier to understand but ignores other viewpoints. Overall, this strategy focuses on Iran's influence and the actions of its allies, but it simplifies the situation by leaving out other important factors and roles in the conflict.

Discourse analysis of news leads looks at how the media writes and shows information in the first few paragraphs, which are often called leads (Wulandari et al. "2023, 4). " Here it is in simple words: "Year 2023, number 4." Leads are very important in news articles because they give a brief summary of the story and catch the reader's interest. By looking at the words and how they are put together in these stories, discourse analysis shows how media companies shape the message and affect how readers understand what happened..

"Iran's missile attack on Israel is over, for now, and almost all the missiles missed their targets. " (ABC News 2025)

The discourse theory of differentiation can help reveal deeper meanings. Differentiation is clear in how Iran is seen as the attacker and Israel as the victim. The main point highlights that Iran started the missile attack, and Israel is shown as the one being attacked. This clear distinction sets up a story of action and response, defining the roles for everyone involved.

On the other hand, the phrase "for now" suggests that there is some uncertainty about whether this situation will last. This way of speaking makes it unclear if the attack means the conflict is over or if more problems are expected. By keeping the length of the event unclear, the leader creates a feeling of uncertainty. Also, by linking the attack to its failure, the leader downplays its importance, implying that the result didn't matter much even though the attack happened.

Overall, this leader wisely mixes differences—pointing out who is doing what—with similarities, which makes outcomes unclear and uncertain. This interaction helps readers understand what happened and shows how powerful language can be in telling stories and affecting how people think (Badara 2012, 42).

Discourse Analysis of Western Medias

The articles from The New York Times and The Washington Times show different sides of Iran's involvement in the conflict with Isra-

el. By using an inclusive way of talking (Badara 2012, 44), both sources show Iran as an important player, but they describe its role in different ways. The New York Times talks about Iran's military actions, highlighting the missile attack on Israel as a response to earlier attacks on its embassy. Israel is shown as the victim, using words like "missile attack," "retaliation," and "intercepted" to emphasize how serious the conflict is and how Israel is responding with military action. Even though Israel's defense systems stopped most missiles, the attack still caused harm and injuries, including to a little girl, highlighting the human impact of the situation. This story shows the conflict as a pattern of people attacking each other, highlighting how the situation is becoming more divided and violent in the area.

Data 1:

News coverage from The New York Times

Even as Israel Blitzes Tehran, It Fears Iran's Destructive Missiles

Prime Minister Benjamin Netanyahu of Israel presented Iran's sophisticated ballistic missiles

as a critical threat to Israel's survival.

The Israeli military has so far not released data about the number of missiles it has intercepted or how many have evaded its air defenses, saying such details could aid the enemy. But the Israel prime minister's office said on Saturday afternoon that 17 sites had been identified where missiles made impact. Some have hit Tel Aviv and its suburbs of Ramat Gan and Rishon LeZion, in central Israel's coastal plain. On Saturday night, a barrage was aimed at the northern city of Haifa and its surroundings

In differentiate, the Washington Times gives a broader point of view by counting Iranians utilize of intermediary bunches to raise pressures. Whereas still depicting Iran as a driver of struggle, the article highlights its circuitous part through intermediaries, which are delineated as apparatuses to carry out viciousness and destabilize the locale without coordinate showdown, as appeared in Figure 2. This surrounding presents Iran as both an assailant and a vital on-screen character overseeing occasions through middle people, advertising a more complex see of its inclusion. By joining these intermediaries, the article moves past the parallel account of assailant versus casualty, appearing the broader effect of Iranians s approaches. Together, these points of view uncover how

media surrounding shapes open understanding of the Iranian–Israeli strife, with one outlet emphasizing coordinate activity and the other investigating circuitous impacts and more extensive flow.

Data 2:

News Coverage from the Washington Times

Fears of a direct and escalating Iran–Israel war are running high. Iran's national security council threatened Monday to deliver an even "harsher response" if Israel retaliates for attacks over the weekend in which the Iranian military launched hundreds of drones and ballistic and cruise missiles into Israel. The "Supreme National Security Council" in Tehran is saying it otherwise has no further Iranian military action planned against Israel.

Iranian Media Coverage: Contrasting Perspectives of IRINN and Press TV

The Islamic Republic of Iran News Network (IRINN) is an Iranian news channel. It is part of the Islamic Republic of Iran Broadcasting (IRIB) organization and is located at Jame Jam Park in Tehran, Iran. Also, Press TV is an English–language news channel in Iran that started in 2007. It provides news from around the world all day, every day. It shares stories and viewpoints that other global news outlets often miss. Its goal is to find the truth and help people think critically about regular news. IRINN published a news story titled "Highlighting Iran–Israel Tensions, Analyst: War in the Middle East Could Lead to World War III" (Aditya & Rastika 2025). This headline can be analyzed using Van Leeuwen's theory of inclusion and identification to understand how the conflict's narrative is shaped (Badara 2012, 45). In this case, Iran and Israel are explicitly labeled as the central actors in the tensions, making them the primary focus of the discourse. The word "Highlighting" emphasizes the prominence of the tensions, framing them as a critical issue with the potential to escalate into a global crisis, specifically World War III. The inclusion of "Analyst" introduces a third–party perspective, adding a sense of neutrality and authority to the warning, while also underscoring the gravity of the situation. However, this framing sidelines other significant actors in the Middle East, such as Gulf states or other powers, who may play key roles but are excluded from the narrative.

As a result, the headline positions the Iran–Israel tensions as not just a

regional issue but a conflict with profound global implications, with the threat of World War III serving as a stark cautionary signal.

Press TV posted a news article called "Government Makes Plans to Reduce Economic Effects of the Iran–Israel Conflict." This headline was looked at using Van Leeuwen's ideas about inclusion and identification. The focus was on how governments and other groups are described in the story. The word "Government" refers to an active and responsible group that works to handle the possible economic effects of the Iran–Israel conflict. It shows how important the government is in reducing local risks caused by global issues. The headline shows the economic dangers of the Iran–Israel conflict and points out how the government is trying to protect Indonesia's economy. By highlighting the government's actions, the story shifts away from Iran and Israel, showing the government as important in keeping things calm at home during worldwide tensions.

The association–dissociation discourse strategy looks at whether a person or group is shown as acting alone or as part of a bigger group. This process usually happens without us being aware of it (Badara 2012, 49). This study looks at how different parts and people in these texts are connected to create a bigger conversation about possible global conflicts. In the IRNN news, a person is called a "cautionary voice" because they are warning about the dangers of a possible World War III if the problems in the Middle East continue (see Figure 3).

Data 3

The Translation of IRNN News Lead

An Israeli airstrike hit Iran's state–run television broadcaster during a live broadcast Monday, intensifying an already volatile confrontation between the two regional rivals. The attack came amid a series of tit–for–tat strikes that have killed hundreds across both countries since the outbreak of hostilities late last week, when Israel launched a preemptive strike against Iran's nuclear capabilities. The blast interrupted a live program on the Islamic Republic of Iran News Network (IRINN), operated by the state–owned Islamic Republic of Iran Broadcasting (IRIB), as an anchor was speaking.

This group shows that it is important and trusted when talking about how local fights could affect the world. The word "Attack" highlights

how serious the situation is, suggesting there could be bad outcomes if the tensions in the Middle East are not dealt with. The text talks about how the problems between Iran and Israel could lead to a worldwide conflict. The United States, being Israel's main supporter, is important in either making these problems worse or helping to reduce them. The link between "Middle East tensions" and "World War III" suggests that local fights could lead to larger global problems. The story highlights the big effects of these conflicts and asks readers to think about how they impact the whole world.

The minister is shown as someone who takes action, saying that the government has made plans to reduce the economic impact of the Iran–Israel conflict. This connection between government actions and the country's economic stability shows that the government is trying to protect the economy from problems caused by global issues. The news highlights that the Iranian government's plans are meant to safeguard the country's economy from possible effects of the conflict between Iran and Israel. The phrase "significant impact" means that the country could face big losses if the conflict continues, like higher energy prices, problems with international trade, or unstable markets. Even though Indonesia isn't directly involved, its economy can still be affected by problems around the world. This means the government plays an important role in keeping the economy stable during global tensions.

True Promise III: A barrage of Iranian missiles pounds occupied territories

Iran has launched its retaliatory operation following a series of Israeli attacks by firing a barrage of missiles towards the occupied Palestinian territories, sending illegal settlers into shelters.

The US is seen as Israel's main partner and is ready to help Israel if Iran keeps attacking. On the other hand, Iran is shown as responding to Israel because it says it has the right to defend itself, using Article 51 of the UN Charter to explain why it is taking action. In the same way, Israel uses this idea to justify its military actions against Hamas in Gaza. This shows how both sides use the idea of self-defense in international law to explain their actions. The discussion links these legal reasons to the increasing international conflicts, highlighting how each player fits into the global legal and political scene.

The US is known as Israel's main friend and is ready to help Israel if Iran keeps attacking. On the other hand, Iran is shown as responding to Israel because it says it has the right to protect itself. It uses Article 51 of the UN Charter to explain its actions. In a similar way, Israel uses this idea to justify its military actions against Hamas in Gaza. This explains how both sides use the idea of self-defense according to international law to defend what they do. The discussion links these legal reasons to the larger situation of rising international conflicts, showing how each player sees its role in the world's laws and politics.

Comparative Media Coverage of the Iran–Israel Conflict

After looking at six news sources from three areas (the West, the Middle East, and Iran), the authors compared how the news is presented to show the different political, beliefs, and cultural backgrounds of each region. Table 1 shows the main points of each outlet's coverage, making it easy to compare their focus, way of presenting stories, and what influences them.

Table 1

Comparative Analysis of the Media Outlets

Media	Key Focus	Factors Affecting Coverage
The New York Times	Focuses on war, the chances of it getting worse, and its effects on the world. Pointing on the friendship between the US and Israel.	Support for Israel, US political interests, and national safety issues.
The Washington Times	Criticizes Iran's policies, highlights Iranian pressure, emphasizes risks to global security	Conservative ideology, pro-Israel stance, concerns about terrorism and nuclear proliferation.
N.B.C	Anti- Iran ideology, pro-Israel stance, call Iranian government as terrorist and nuclear proliferation as a threat to humanity	Anti-Iranian perspective, scrolled humanitarian concern, emphasis on its superiority and racism of Jewish
Press TV	Highlights Iran's courageous defense, international reactions, and tensions in Middle East.	Islamic world ties, religious factors, focusing on Islamic unitary and regional stability
IRINN	Warns of potential global escalation, objective tone highlighting risks of global instability and middle east destruction.	Neutral stance, global impact focus, influence of Iran' Muslim majority and supporting Arab world's association to defend Palestine
IRNA News (Channel One)	Emphasizes Iranian government's resistance and military measures to mitigate the conflict's influence	Reducing US and Israel Tensions and the public's mental war

The co[illegible] great-
ly influe[illegible] fferent

values and beliefs. For example, news outlets in the West focus on political issues and safety risks, while media in the Middle East highlight humanitarian issues and the need for stability in the region. Indonesian news outlets remain unbiased, looking at the worldwide effects and matching the feelings of the local people. These patterns show how complicated media stories can be in influencing how people think. They also point out how culture and beliefs affect how international conflicts are presented.

Conclusion

Media coverage of the tensions between Iran and Israel differs a lot in the West, Middle East, and Iran. This is because each region has its own beliefs, political goals, and local issues that influence how they report the news. Western news sources like The New York Times, The Washington Times, NBC, and Headshot 12. Iran is a key player in the conflict, using its own attacks or supporting others to fight. At the same time, the US backs Israel, which affects security around the world. Iranian media, like IRINN, Press TV, and IRNA News, focus more on practical issues, especially how the conflict affects Iran's economy and what the government is doing to keep things stable at home.

This comparison shows how different media outlets focus on what matters most to their regions. Western media talk a lot about political alliances and security issues. Middle Eastern outlets care more about stability and humanitarian issues. Iranian media mainly discuss the economic effects on their own country. To encourage fair reporting, news organizations should work to share well-rounded stories that include humanitarian, political, and economic aspects, steering clear of limited or biased views. Future researchers could study how digital and social media affect what people think about international conflicts. They could also look at how different audiences in various areas respond to stories in the media. In the same way, governments, especially in Indonesia, should keep improving their diplomatic and economic plans to reduce the impact of global issues, making sure the country stays stable in a world that is more connected.

References

AFP. (2024, April 16). Israel Presses on in Gaza as World Awaits Reaction to Iran

Attack. The Jordan Times. https://www.jordantimes.com/ news/ region/israel-presses-gaza-world-awaits-reaction-iran-attack

Badara, A.(2012). Analisis Wacana (Teori, Metode, dan Penerapannya pada Wacana Media (1st ed.). Jakarta: Kencana .

Beard, A. (2000). The Language of Politics. London: Routledge.

Routledge.

Biber, D., Johansson S., Leech, G., Conrad, S. and Finegan, E. (2021). Grammar of spoken and written English. John Benjamins, Amsterdam. https://doi.org/10.1075/z232

BNC Consortium. (2007). The British National Corpus, version 3. BNC Consortium. Retrieved from www.natcorp.ox.ac.uk

Cordall, S. S. (2024, April 14). What does Israel Want to Do after Iran's Drone and Missile Attacks? Aljazeera. https://www.alja zeera.com/news/2024/4/14/what-does-israel-want-to-do-after-irans-drone-and-missile-attacks .

Fairclough, N. (1989). Language and Power. London: Longman

Fairclough, I. & Fairclough, N. (2012). Political Discourse Analysis: A method for advanced students. New York:

Juwita, S. R. et al. (2024). Representasi Seksisme Korban Kasus Pelecehan Seksual Anak pada Pemberitaan Media Massa Siber di Indonesia. Interaksi: Jurnal Ilmu Komunikasi, 13(01): 80–93. DOI: https://doi.org/10.14710/interaksi.13.1.80–93.

Kadir, Abdul. 2015. Syiah dan Politik: Studi Republik Islam Iran. Jurnal Politik Profetik, 5(1):1–15.

Littlejohn, S. W. 1996. Theories of Human Communication (5th ed.). Belmont: Wadsworth Publishing Company. Lubis, A, H. H. 1993. Analisis Wacana Pragmatik. Bandung: Angkasa. Mak, Angela. K. Y. et al. 2015. Communicating Corporate Social Responsibility: Media Agenda Building in Australia. Australian Journalism Review, 37(01): 149–164.

Littlejohn, S. W. (1996). Theories of Human Communication (5th ed.). Belmont: Wadsworth Publishing Company.

Muhammadin, F. M. 2023. Genosida Gaza 2023 Memahami Realitas dan Mengambil Sikap. Yogyakarta: Pustaka Pelajar.

Nadila, R. U. et al. 2024. Analisis Wacana Pemberitaan tentang Konflik Palestina dan Israel pada Media Online CNBC Indonesia.com. Social Science and Contemporary Issues Journal, 2(2): 347–353. DOI: https://doi.org/10.59388/sscij.v2i2.487

نقد المفيد لإعتقادات الصدوق في الصفات والأسماء الإلهية

الباحثة: قمر بني هاشم عباس علي أ. د أحمد عبد السادة زوير
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة



المستخلص:

إن منهج الإمامية الأول التي تم تأسيسه بعد عصر النص هو المنهج النقلي الذي أعتمده الشيخ الصدوق(ت٣٨١هـ) في إرساء عقائد الإمامية وكان مفصلاً أصلياً في السياق التاريخي لتبلور علم الكلام الإمامي، حيث انتشرت من خلاله المعارف الأعتقادية لأهل البيت(عليهم السلام) وكان المنهج النقلي يكتفي بنقل الروايات ويحجم عن الدخول في دائرة التأويل العقلي الكلامي،إذ يرى ان الصفات الإلهية عين الذات وينفي الصفات الخبرية عن الله تعالى بأرتكازه على ظواهر النص ولم يخوض النقاش العقلي فيها، خلافاً للشيخ المفيد(ت٤١٣هـ) الذي مزج المنهج النقلي مع المنهج العقلي بالأستناد على أراءه وافكاره والى أقوال أهل البيت(عليهم السلام) لتصحيح عقائد الأمامية المبنية على المنهج النقلي دون تعرضها للتأويل العقلي، حيث قال بعينية الصفات وخضع الصفات الخبرية للتأويل العقلي الفلسفي لنفي التشبيه والتجسيم عن الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الإمامية، المنهج، الصفات، العينية، الذات، التجسيم.

Abstract:

The first Imami approach established after the era of the text is the transmitted approach, which Sheikh Al-Saduq adopted in establishing the Imami doctrines. It was an original detail in the historical context of the crystallization of Imami theology, as the doctrinal knowledge of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) was disseminated through it. The transmitted approach was satisfied with transmitting narrations and refrained from entering the realm of rational theological interpretation, as it viewed the divine attributes as the same as the essence and denied the descriptive attributes of God Almighty by relying on the apparent meanings of the text and did not engage in rational discussion of them. This is in contrast to Sheikh Al-Mufid, who combined the transmitted approach with the rational approach, relying on his opinions and ideas and on the sayings of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) to correct the Imami doctrines based on the transmitted approach without subjecting them to rational interpretation. He believed in the identity of the attributes and subjected the descriptive attributes to rational philosophical iterpretation to deny likening and embodiment to God Almighty.

Keywords : Imamism, approach,the objective attributes, the essence Embodiment

المقدمة:

يُعد كل من الشيخ الصدوق والشيخ المفيد من أبرز علماء الإمامية في القرن الرابع الهجري إذ كان لهم أثر محوري في إبراز المعالم العقدية ودفع الشبهات عنها، حيث شهد علم الكلام الشيعي مرحلة تطور اتسمت بالانفتاح والانتقال من المرحلة التقليدية الى مرحلة المناهج الجدلية العقلية، وعلى الرغم من أنتماء الشيخين الى وحدة المذهب إلا أنهم

اختلفوا في المنهجين مما أدى هذا التباين الى نقد صريح وواضح احياناً أو نقد ضمني في بعض الأحيان، من خلال مؤلفه المعروف» تصحيح الأعتقاد» رداً على كتاب الشيخ الصدوق «الأعتقادات في دين الإمامية» كان يحوي عرضاً مجملاً لعقائد الإمامية كما فهمها من أقوال أهل البيت(عليهم السلام)، إلا أن المفيد رأى في بعض ما تناوله الصدوق في ذلك الكتاب تقصيرات أو اخطاء قام بتفنيدها ويرى أنها لا تليق بمقام العقيدة فبين الرأي السديد من وجهة نظره الكلامية، وعليه هل أقتصر منهج الإمامية على سرد مواقف العلماء وآراءهم العقائدية؟ أم تطلب فحصاً دقيقاً للمنهج الذي أُعتمد في بناء الفكر العقائدي الكلامي؟

توحيد الصفات والأسماء

يُعد توحيد الصفات والأسماءأحد الأركان الأساسية في أصول الدين، وهو فرع من فروع توحيد الله تعالى الذي يشمل توحيد الألوهية والربوبية وتوحيد صفاته العُلا وأسمائه الحسنى أثبات ما أثبته تعالى لنفسه في كتابه أو أثبته له نبيه محمد(صلى الله عليه وآله) أو أوليائه الصالحين(عليهم السلام) من غير تمثيل ولا تكييف ومن غير تعطيل ولا تحريف، فقد شكلت هذه المسألة أختلاف واضح وكبير بين أهم الفرق الكلامية (الأشاعرة والمعتزلة والإمامية)، لذا فأن كل فرقة اخذت موقفها الخاص بما يناسب منهجها في التفسير والتأويل، وعليه فأن مسألة الصفات والأسماء تكتسب أهمية كبرى؛ لأنها الواسطة لمعرفة الذات الإلهية، فالمعرفة لتلك الذات المقدسة لا تتم إلا عن طريق أسمائه وصفاته، حيث جعل الله تعالى صفاته سُبل للتعبير عنه وبيان ذاته لا بمعنى ان تلك الصفات قادرة أن توضح حقيقة الذات الإلهية وتبين كنه الله تعالى؛ بل هي معتقدات وضعت لترشد العباد بحجم وسعها المحدود الى معرفة الله الكلية، وما هو محدود لا يمكنه الكشف التام عما هو غير محدود، لكن وجب على العباد معرفة من هو خالقهم وموجدهم؛ لأنه لو كانت معرفة صفاته تعالى غير ممكنة لم يجد العبد طريقاً لمعرفة ربه، فتغلق أبواب عبوديته ولا يمكن تحقيق العبودية إلا بعد معرفة المعبود.(المجلسي،١٤٠٣هـ،١٥٧)

والصفة في اللغة عرفها أبن منظور قائلاً:»وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفة: خلاه».(ابن منظور،ص٣٥٦) اصطلاحاًعرفهاالمفيد:» إنّ الصّفة في الحقيقة ما أنبأت عن معنى مستفاد يخص الموصوف و ماشاركه فيه، ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون قولاً أو كتابةً يدل على ما يدل النّطق عليه وينوب منا به فيه».(المفيد،١٤١٣هـ،ص٥٥.٥٦) والأسم ما يعبر عن ذات الشيء أي أن» الإسم؛ ما يعرف به ذات الشيء، وأصله سمو بدلالة قولهم: أسماء وسمي، وأصله من السمو، وهو الذي به رفع ذكر المسمى فيعرف به».(الاصفهاني،١٤٣٠هـ،ص٢٤٤) والأسم ليس مجرد لفظ؛ لأن اللفظ يدل فقط على المفهوم، بل يشير الى وجود خارجي عيني، وأسم(الله) تعالى هو أعلى أسم من أسمائه تبارك وتعالى، حيث يقع موصوفاً لجميع أسمائه الحسنى ولصفاته الكمالية والجمالية ولا يعد صفة لأي أسم آخر.(الآملي،١٤٣٢هـ،ص٣٢٩.٣٣٠) وبالتالي نرى أن الفرق الكلامية أختلفت مابين الأسم والصفة، هل أن الصفة غير الأسم؟ أم لا تمايز بينهما؟ قد دفع المتكلمين بناءً على نزعاتهم الكلامية إجابات متضاربة على تلك الأسئلة واقترحوا نظريات لذلك وقع أختلاف في الرأي، حيث يعتقد علماء الامامية الصدوق والمفيد وهم مركز أهتمامنا في البحث، أذ يرى الصدوق أن الصفة غير الأسم؛لأن الصفة تشير الى الموصوف وليست الصفة هي الذات، بل سبحانه اختار لنفسه أسماء ليتضرع بها عباده إليه، ونظراً لرأي الصدوق حيث أسند موقفه بحسب ما جاء في الرواية، نُقل عن» أحمد بن أدريس، عن الحسين بن عبدالله، عن محمد بن عبدالله وموسى بن عمر والحسن بن علي بن عثمان، عن ابن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا(عليه السلام): هل كان الله عز وجل عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: نعم، قلت: يراها ويسمعها؟ قال: ما كان محتاجاً إلى ذلك لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها وهو نفسه هو، قدرته نافذة فليس يحتاج أن يسمي نفسه، ولكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنه إذا لم يدع بأسمه لم يعرف، فأول ماأختار لنفسه العلي العظيم لأنه أعلى الأشياء كلها، فمعناه الله واسمه العلي العظيم هو أول أسمائه علاكل شيء، وبهذا الأسناد عن محمد بن سنان قال: سألته عن الأسم ما هو؟ قال: صفة لموصوف».

(الكليني،١٤٢٨هـ،ص٦٦)

كما أن المفيد على النحو ذاته يوافق الصدوق بأن الأسم غير الصفة فضلاً عن أن المفيد أرتكز على رأيه بأسلوبه العقلي، أذ يقول:» إن الأسم غير المسمى كما تقدم من القول في الصفة وأنما في الحقيقة غير الموصوف».(المفيد،١٤١٣هـ،ص١١٩)

و نلاحظ أيضاً أتفاق المعتزلة مع رأي الإمامية، إذ نرى المعتزلة هم أصحاب فكر عقلي قائم على أساس اللغة وشواهدها، أن الاسم لايدل على المسمى ويرجع ذلك الى ان حقيقة الحروف لا تتعلق بالمسمى ذاته، بل هناك ما يوجب القصد والإرادة بحسب اهل اللغة لذا فليس هناك ارتباط مباشر بين الأسم والمسمى.(المعتزلي،ص١٦٠)حيث أن نظرة الاشاعرة تُعارض الرؤية الفكرية لفرقة الامامية والمعتزلة،أذ ترى أن الصفة نفس الاسم ولا تمايز بينهما، كما قال الباقلاني:» والذي يذهب اليه أهل الحق أن أسم الإسلام هو نفس المسمى أو الصفة العالقة به».(الباقلاني،١٤٠٧،ص٢٥٨)وكذلك اختلفت الفرق الكلامية في توقيفية أسماء الله تعالى، هل أن أسماء الله تعالى توقيفية؟ وهل يجوز الأجتهاد فيها؟

ومعنى التوقيفية:» ما حدده الشارع وليس لأحد زيادته أو نقصانه أو الأجتهاد فيه، كعدد ركعات الصلاة». (مركز المعجم الفقهي، ٨٣٤) وكذلك تباينت آراء الفرق الكلامية في توقيفية اسماء الله تعالى.تجوز المعتزلة إطلاق الأسماء على الله تعالى عقلاً من غير إذن شرعي بشرط ألا توهم تشبيهاً او نقصاً عن الله تعالى.(المعتزلي، ص١٧٩) فالاشاعرة لا يجوزون تسمية الله تعالى بأسماء لم تورد في القران والسنة، كما قال الأشعري:»لا يجوز أن نسمي الله تعالى باسم لم يسم به نفسه، ولا سماه به رسوله ولا أجمع المسلمون عليه ولا على معناه».(الأشعري،١٣٧٥هـ،ص٢٤) وكذلك الإمامية توافق الأشاعرة في توقيفية أسماء الله تعالى يجب أن لا تؤخذ الا عنه تعالى أوعن رسوله(صلى الله عليه وآله) أو عن الائمة المعصومين(عليهم السلام) أذ قال الصدوق: «أسماء الله تبارك وتعالى لا تؤخذ إلا عنه أو عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أو عن الأئمة الهداة(عليهم السلام)».(الصدوق،١٤٢٩هـ،ص٢٣٧) وعلى نحو مماثل يؤكد المفيد توقيفية أسماء الله تعالى أذ قال:» لا يجوز تسمية الباري تعالى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه(صلى الله عليه وآله) أو ما سماه به حججه من خلفاء نبيه».(المفيد، ١٤١٣،ص٥٣)

نلاحظ اتفاق الصدوق مع المفيد في توقيفية الأسماء، غير أن الصدوق كان أكثر تشدداً على أن لا يطلق على الله اسماء إلا بما ورد عن النبي(صلى الله عليه وآله) والائمة (عليهم السلام)، بينما المفيد كان اكثر مرونة منه، حيث يرى، لا مانع من أستخدام أوصاف لله تعالى لم ترد عن طريق الوحي لها دلالات عقلية تدل على الكمال كوصف الله(بالواجب) لكن شرط ألا توهم نقصاً او تشبيهاً لله عز وجل.

إما الصفات الإلهية المتصفة بالكمال والجمال من القدرة والعلم والحياة أتفق أهل التوحيد عليها، بيد انهم أختلفوا في تحديد حقيقة الصفات والعلاقة بينها وبين الذات المقدسة، هل هي عين الذات أم زائدة عن الذات؟ حيث ترى الامامية أن الصفات عين الذات وليست زائدة وكذلك المعتزلة، بيد أن الأشاعرة عارضت الامامية والمعتزلة وترى أن الصفات الإلهية قديمة زائدة عن الذات، فالإمامية ترى أن الصفات غير منفصلة او مستقلة عن ذات الله تعالى بل هي عين الذات حيث أستند الصدوق برأيه على قول الإمام الصادق(عليم السلام) روي عن:» علي بن إبراهيم، عن محمد بن خالد الطيالسي، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله(عليه السلام) يقول: لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم، وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور، قال: قلت: فلم يزل الله متحركاً؟ قال: فقال: تعالى الله عن ذلك، إن الحركة صفة محدثة بالفعل،قال: قلت: فلم يزل الله متكلماً؟ فقال: إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عز وجل ولا متكلم».(الكليني،١٤٢٨هـ،ص٦٢) وكذلك المفيد يعزز قول أستاذه الصدوق بأن الصفات عين

الذات، قائلاً:» إن الله ـ عز وجل اسمه حي لنفسه لا بحياة، وأنه قادر لنفسه وعالم لنفسه...وهذا مذهب الإمامية كافة».(المفيد،١٤١٣هـ،ص٥٢)كما ان الشريف المرتضى يوافق الصدوق والمفيد ويرى ان الله سبحانه يتصف بصفات عين الذات وهذا ضروري؛ وذلك لاستحالة خروج الله تعالى عن تلك الصفات وأثباتها للنفس .(الشريف المرتضى،١٤١٩هـ،ص٧٠)وعلى نفس النحو أبي جعفر الطوسي أذ قال: «الله تعالى لا يتصف بصفة زائدة على ذاته، لأنها لو كانت قديمة لزم تعدد القدماء وان كانت حادثة كان محلاً للحوادث» .(الطوسي،١٤١٤هـ،ص٩٦) وعليه تبين من قول أبي جعفر أن الصفات غير زائدة على الذات؛ لأنها لو كانت كذلك لا تخلو بأن تكون قديمة أو حادثة، إن كانت قديمة لزم تعدد القدماء وإن كانت حادثة كان محلاً للحوادث تعالى الله عن ذلك، وعلى النحو ذاته العلامة الحلي، أذ يقول بعينية الصفات وان كانت مغايرة للذات، اي ان العقل يفصل او يفرق بين الذات والصفات كالعلم والقدرة و لكن هذا الفصل ذهني فقط ليس في الواقع الخارجي وفي الحقيقة الوجودية ان الصفات عين الذات قائلاً:»موصوف بصفات الكمال لكن تلك الصفات نفس الذات في الحقيقة وإن كانت مغايرة لها بالاعتبار».(الحلي، ١٤٣٣هـ،ص٤١٠) إما المعتزلة تؤيد رأي الامامية وتعتقد ان الصفات غير زائدة وإنماهي عين الذات لا تزول ولا تتغير كالحياة والعلم والقدرة، أذ قال عبد الجبار المعتزلي:» أما الذي يدل على أنه جل وعز يكون عالماً فيما لا يزال، هو أنه لا يستحق هذه الصفة لذاته، والموصوف بصفة من صفات الذات لا يصح خروجه عنها بحال من الأحوال».(المعتزلي،ص١٦٠) إلا أن الأشاعرة تناقض رأي الأمامية والمعتزلة بأكمله، أذ تعتقد ان الصفات الأهية قديمة زائدة عن الذات، أذ يرى الأشعري ان الصفات قائمة بالله أزلية لكنها زائدة عن الذات؛ لأنها لو كانت عين الذات لاستلزم التركيب تعالى الله عن ذلك.(الأشعري، ١٤٧٥،ص٣١)وبالتالي نلاحظ اتفاق علماء الامامية على ان الصفات عين الذات غير ان الاختلاف كان في المنهج، حيث ان الصدوق أكتفى بنقل الرواية دون النقاش او الخوض في المسألة، بيد ان المفيد ومن بعده نلاحظ تطور المنهج عندهم، أذ جمع مابين النقل والعقل، وعليه قسم علماء الكلام الصفات وتعددت التسميات لهذه الصفات فلذلك سنتناول التقسيمات التي وردت في مصنفات الصدوق والمفيد لكونهم أساس موضوعنا، أذ ينظر كلاً منهما الى صفات الله تعالى من منظور عقلي ونقلي، حيث قسم الصدوق والمفيد الصفات الى:

أولاً: صفات الذات: من الصفات الجوهرية التي تشير الى تلازم الله تعالى بذاته ونفي ضدها عنه عز وجل و التي لا يصح لصاحبها خلوه منها ولا الاتصاف بأضدادها (كالحياة القدرة العلم السمع البصر الحكيم القيوم الواحد القديم).(الصدوق،ص٨) (المفيد،١٤١٣هـ،ص٤١) كما أشار الصدوق في كتاب التوحيد قائلاً:» إذا وصفنا الله تبارك وتعالى بصفات الذات فإنما ننفي عنه بكل صفة منها ضدها فمتى قلنا: إنه حي نفينا عنه ضد الحياة وهو الموت، ومتى قلنا أنه عليم نفينا عنه ضد العلم وهو الجهل...فلما جعلنا معنى كل صفة من هذه الصفات التي هي صفات ذاته نفي ضدها أثبتنا ان الله لم يزل واحداً لا شيء معه».(الصدوق،١٤٢٩هـ،ص١٠٤) حيث أقام الصدوق حجته على قول أبا عبد الله الصادق(عليه السلام) نقل عن:»علي بن إبراهيم، عن أبيه عن العباس بن عمرو، عن هشام بن الحكم قال في حديث الزنديق الذي سأل أبا عبدالله(عليه السلام): أنه قال له: أتقول: إنه سميعٌ بصيرٌ؟فقال أبو عبدالله: هو سميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه وليس قولي:إنه سميع بنفسه أنه شيء والنفس شيء آخر ولكني أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً فأقول يسمع بكله لا أن كله له بعض لأن الكل لنا له بعض ولكن أردت إفهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك كله إلا أنه السميع البصير العالم بلا أختلاف الذات ولا اختلاف معنى».(الكليني،١٤٢٨هـ،ص٦٣) والدليل على انه تعالى عالم لنفسه لا بعلم، قادر لنفسه لا بقدرة، حي لا بحياة؛ لأنه لوكان عالم بعلم خارج عن ذاته لم يخل ان يكون ذلك العلم قديم او حادث، فإذا كان حادث فهو عز وجل كان غير عالم قبل حصول العلم وهذا من صفات النقص، وان كان قديم وجب ان يكون غير الله

قديم وهذا كفر، وكذلك القدرة والحياة لم يزل عالم وقادر وحي لنفسه صح بالدليل أنه تعالى حياً و قادر وعليم. (الصدوق،١٤٢٩،ص١٧١-١٧٢)وقد جاء تأييد المفيد ايضاً لما استند عليه الصدوق بالأخبار المتواترة عن آل محمد(صلى الله عليه وآله) والكتاب المسطور ويضيف عليه دلائل العقول في إثبات الصفات الذاتية لله تعالى، قائلاً:» إن الله تعالى عالم بكل ما يكون قبل كونه، وإنه لا حادث إلا وقد علمه قبل حدوثه، ولا معلوم وممكن ان يكون معلوماً إلا وهو عالم بحقيقته وأنه سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وبهذا قضت دلائل العقول والكتاب المسطور والأخبار عن آل الرسول(صلى الله عليه وآله)».(المفيد،١٤١٣هـ،ص٥٥) وكذلك أنه تعالى سميعاً بصيراً مدرك صفات أثبت جميعها عن طريق الوحي، وليس المعنى الزائد في اللغة كحواسنا تعالى الله عن ذلك، وإنما هو عز وجل القديم المنزه عن جميع الحدوث والتغير والجوارح، بل المراد بها العلم بأنه تعالى سميع بصير، مدرك لا يهرب منه شيءولا يفوته أمراً في الأرض ولا في السماء.(المفيد،١٤١٣هـ،ص٥٤) وكذلك(المفيد،١٤١٣هـ،ص٢٥)

كما ان المعتزلة قسموا صفات الذات الى خمس(القدرة والعلم والحياة والسمع والبصر والوجود).(المعتزلي،ص١٥٥) بيد ان الأشاعرة صنفوا صفات الذات الى سبع صفات(الحياة والقدرة والسمع والبصروالإرادة والكلام") كلها صفات قديمة زائدة على الذات.(الاشعري،١٣٧٥هـ،ص٣١-٣٣)مخالفة للامامية والمعتزلة، آذ ترى المعتزلة ان صفة الكلام من صفات الافعال وأن كلام الله محدث ليس أزلياً بل هو حكاية عن كلام الله.(المعتزلي،١٤٠٥،ص١١٧) ثانياً: صفات الافعال:أنها تجب بوجود الفعل داخلة في باب المضاف، أي تقتضي وجود غير الموصوف الذي وقع عليه الفعل ولا تقتضي قبل وجود الفعل، أي لا يصح ان تكون صفة «الخالق» إلا اذا وجد من وقع عليه الفعل وهو» المخلوق» وصفات الافعال هي:(الرازق، الخالق، المبدىء، المعيد، المحيي، المميت، الكلام، المريد والمشيئة). (المفيد،١٤١٣هـ،ص٤١) وكذلك(الكراجكي،١٤٠٥،ص٧٦) جميعها صفات محدثة كما صرح عنها الصدوق بقوله:»لان هذه صفات أفعاله وهي محدثة لا يجوز ان يقال: لم يزل الله موصوفاً بها».(الصدوق،١٤١٢هـ،ص٩٨) كصفة الكلام، هل فرق الصدوق بين الكلام اللفظي والنفسي كما فعل الأشاعرة؟ وهل أيد المفيد ذلك ام رفضه كما رفضته المعتزلة ولماذا؟ والى من كان اقرب الصدوق والمفيد في موقفهما من باب الصفات؟

أثبت الصدوق ان كلام الله حادث غير قديم لكنه غير مخلوق؛ لأن المخلوق في اللغة بمعنى مكذوب، بل هو كلام الله المنزل المحدث بحدوث أسبابه قائلاً:»قد جاء في الكتاب أن القرآن كلام الله ووحي الله وقول الله وكتاب الله، ولم يجيء فيه أنه مخلوق وإنما أمتنعنا من إطلاق المخلوق عليه لأن في اللغة قد يكون مكذوب، قال الله تبارك وتعالى : (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا).(سورة العنكبوت، اية: ١٧) أي كذبا ، وقال تعالى حكاية عن منكري التوحيد : (مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ).(سورة ص، اية: ٧) اي أفتعال وكذب، فمن زعم أن القرآن مخلوق بمعنى أنه مكذوب فقد كفر، ومن قال: إنه غير مخلوق بمعنى أنه غير مكذوب فقد صدق وقال الحق والصواب، ومن زعم أنه غير مخلوق بمعنى أنه غير محدث وغير منزل وغير محفوظ فقد أخطأ وقال غير الحق والصواب، وقد أجمع أهل الإسلام على أن القران كلام الله عز وجل على الحقيقة دون المجاز، وأن من قال غير ذلك فقد قال منكراً من القول وزوراً، ووجدنا القران مفصلاً وموصلاً وبعضه غير بعضه قبل بعض كالناسخ الذي يتأخر عن المنسوخ، فلو لم يكن ما هذه صفته حادثاً بطلت الدلالة على حدوث المحدثات وتعذر إثبات محدثها بتناهيها وتفرقها واجتماعها».(الصدوق،١٤٢٩هـ،ص١٧٣-١٧٤) ويضيف الصدوق شيءً آخر اجتمعت عليه الأمة عقلاً وشرعاً على أن الله تبارك وتعالى صادق في أخباره كقوله عز وجل عن فرعون: (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ).(سورة ص، اية: ٧) وقول نوح لأبنه: (وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ). (سورة هود،اية:٤٢) يقول الصدوق: فإن كان هذا القول قديماً مذكور في القران قبل فرعون هذا تناقض؛ لأنه تعالى أخبر عن شيء قبل أن يحدث، وهذا كذب لا يجوز أن ينسب لله ويطلق أن كلامه قديم، إنما قال فرعون

ذلك وهذا يعني أن الأية حادثة فالنتيجة كلام الله حادث.(الصدوق، ١٤٢٩هـ،ص١٧٤)حيث أسند الصدوق حجته على ما نقل في كتابه التوحيد، قائلاً:» حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، رضي الله عنه، قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن علي بن معبد، عن الحسين بن خالد، قال: قلت للرضا علي بن موسى(عليه السلام): يابن رسول الله أخبرني عن القرآن أخالق أو مخلوق؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله عز وجل».(الصدوق،١٤٢٩هـ،ص١٧٢)كما أن المفيد أتفق مع الصدوق بصفة الكلام انه حادث غير مخلوق، قائلاً:» إن القران كلام الله ووحيه، وأنه محدث كما وصفه الله تعالى وامنع من إطلاق القول عليه بأنه مخلوق وبهذا جاءت الآثار عن الصادقين(عليهما السلام)».(المفيد،١٤١٣هـ،ص٥٣) واستدل على ان كلام الله حادث بالدليلين العقلي والنقلي، من جهة العقل، فالكلام مركب من الحروف وهذه الحروف متتالية يسبق بعضها ويعدم بعضها البعض فيكون حادثاً، إما من جهة النقل ورد في قوله تعالى):(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ). (سورة الحجر،اية:٩) وقوله تعالى: (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ).(سورة الأنبياء،اية:٢) ويفسر المفيد أن الذكر هو القرآن.(المفيد،١٤١٣هـ،ص٢٧) لذلك خالف المفيد قول الأشاعرة بقدم القران وتقسيمه الى: الكلام النفسي واللفظي الذي يدل على الحروف والأصوت؛ لأن كلام الله(القران) ما نسمعه ونقرؤه او نكتبه ليس هو ذات الله تعالى بل هو حكاية عن الله، مثلاً لمن يقال: فلان تبع دين رسول الله(صلى الله عليه وآله) أو امتثل أوامره، هو ليس اتبع دين محمد(صلى الله عليه وآله) مباشرةً منه، بل وصل اليه عن طريق الأئمة(عليه السلام) والتابعين، وبالتالي التسمية هنا واسعة أطلاق من دون تقييد، كذلك اطلاق القران نقل عن المحكي عنه وهو تعالى عز وجل وليس ذاته بنفسه.(المفيد،١٤١٣هـ،ص١٢٢)

وبالتالي نستنتج ان الصدوق اثبت ان كلام الله حادث ، لكن دون الخوض في النقاش عن كيفية الكلام، بل ركز في أثبات ان كلام الله المخبر عنه صادق غير مكذوب؛ وذلك لأعتماده فقط على ظواهر النصوص مشابهاً الى اهل الحديث.

أما المفيد، نعم اثبت أيضاً ان كلام الله حادث غير مخلوق، لكنه أبطل رأي الأشاعرة في كيفية الكلام؛ لأن ذلك يؤدي الى القول بالحروف والأصوات،مما يفضي الى تشبيه الله تعالى عن ذلك. بل يعتقد ان كلام الله(القرآن) هو حكاية عن بيان كلام الله تعالى وليس ذاته، وبذلك نستنتج أن المفيد يوافق المعتزلة بذلك نتيجة أثر تأويله الكلامي الفلسفي.

الفرق بين صفات الذات وصفات الافعال

الفرق بينهما كبير حيث أن:

صفات الافعال: يصح ان يوصف الله تعالى بضدها اي نفيها عنه عز وجل بأنه غير خالق اليوم ولا محيي لميت ولا رازق لزيد ولا راحماً لكافر.

صفات الذات: لا يصح ان ينتفي عن كونه قادراً عالماً حياً، بمعنى لا يجوز اتصافه تعالى كان عالماً ثم صار جاهلاً في الأمر تعالى الله عن ذلك، بل هذه كلها صفات نفسية قائمة بذات الله تعالى، وفقاً لما قاله الكراجكي:» إن كل صفة تصف الله تعالى بها، ولا يجوز ان يدخلها التخصيص فتثبتها له في حال وتنفيها منه في أخرى فهي صفة نفسية، كقولك: موجود وحي وقادر وعالم، فإنه لا يجوز ان ينتفي عنه ولا يتخصص شيء من ذلك».(الكراجكي،١٤٠٥هـ،ص٧٧)

ثالثاً: صفات التنزيه او (السلبية): أجمع أهل التوحيد تبعاً للأدلة النقلية والعقلية أنه سبحانه كامل أشد الكمال غنياً بذاته لا يلحقه نقصاً ولا حاجة ، فدليل النقل تبعاً لذلك ما ورد في قوله تعالى من توصيف نفسه بالغنى: (أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ).(سورة فاطر،اية:١٥) ودليل العقل ان كل متصور إما ان يكون ممكن الوجود أو واجب الوجود او ممتنع، فالممتنع ليس محلاً للكلام، والممكن لا يتصف بالألوهية، وعليه يبقى واجب

الوجود الذي تنتهي اليه جميع الموجودات لا يكون محتاجاً ولا فقيراً في ذاته وفعله؛ لأن الفقر والحاجة دلالة الأمكان وعلى ذلك يترتب نفي كل صفة نقص تناسب الممكنات لا تجتمع مع واجب الوجود، فالصفات السلبية هي نفي وسلب كل ما لا يليق بالذات الإلهية.(السبحاني،١٤٣٠هـ،ص١٠٩-١١٠) التي لا يمكن حصرها لان النقائص كثيرة ومنزه الله تعالى عنها وعلى الرغم من عددها وكثرتها يمكن ان ترجع الى انه تعالى:(ليس محلاً للحوادث، لا ضد له، غني غير محتاج، نفي الاتحاد، نفي التجسيم ونفي الرؤية البصرية.(الصدوق،١٤١٢هـ،ص٤٠٣)وكذلك.(المفيد،١٤١٣هـ،ص٣١.١٦)وكذلك(العلامة الحلي،١٤٣٣هـ،ص٤٠٥-٤٠٩)حيث أنالصدوق والمفيد ينزهان التجسيم والتشبيه والرؤية عن الله تعالى كلاً حسب منهجه، لذلك لا بد لنا أن نبين متى ظهرت هذه المسألة وما معنى التجسيم؟ حيث ركز علماء الكلام في مسألة نفي التجسيم والتشبيه عن الله تعالى والتي تُعد من أكبر الأشكالات المطروحة في علم الكلام؛لأنها تناقض التوحيد الخالص لله عز وجل، حيث ظهرت تلك المسألة في بعض النصوص المقدسة في التوراة، نتيجة فهم المسلمين الظاهري لتلك النصوص، ومنهم صاحب كتاب الملل والنحل للشهرستاني، حيث قال:» وجدوا التوراة ملئت من المتشابهات مثل الصورة والمشافهة والتكلم جهراً والنزول عند طور سينا انتقالاً والاستواء على العرش استقراراً وجواز الرؤية فوقاً وغير ذلك».(الشهرستاني،١٤١٤هـ،ص٢٣٢) وكان سبب فهم علماء المسلمين لتلك النصوص التي توحي الى التشبيه، تمسك بعض الاتجاهات بالمعنى الظاهري للنص وكذلك الصياغة المختلفة والترجمة التي تغير معنى النص مما يؤدي الى تفسيرات وتأويلات مختلفة، حيث طرح علماء اليهود في التأويل، مغالطة التشبيه بين الله والإنسان، منهم الفيلسوف فيلون السكندري* الذي ادرك هذه المغالطة الواردة في الكتاب المقدس، وبين بواسطة تأويله لتلك النصوص، ان الله الحي لا يقارن بالمخلوقات وغيرمرتبط بالصفات البشرية، وأنكر مبادىء التعددية.(علي،١٤٣٩هـ،ص١٣٠)

فالتجسيم لغة: جاء في لسان العرب:» الجسم جماعة من البدن أو الأعضاء من الناس والإبل والدواب وغيرهم من الأنواع العظيمة الخلق، وجسم الشيء حقيقته».(ابن منظور،ص٩٩)

إما في الاصطلاح: قدم المفيد تعريف للجسم بقوله:» الجسم هو المتحيز الذي قبل القسمة في الطول والعرض والعمق».(المفيد،١٤١٣هـ،ص١٨) لذلك تتضمن مسألة صفات الله وخاصةً الصفات التي توهم التجسيم الواردة في النصوص الشرعية(كالوجه، اليد، الساق والنزول والاستواء...) لذا تُعد من أكثر المسائل التي أثارت الجدل في علم الكلام الإسلامي ومن أعظم المباحث العقدية التي أنقسمت منها قضايا مهمة كمسألة الرؤية ونفي التجسيم والتشبيه، هل يمكن رؤية الله في الآخرة؟ وهل هذه الرؤية ممكنة شرعاً وعقلاً؟ وهل لله تعالى ساق ووجه ويد؟

حيث تنطوي وجهة النظر حسب كل فرقة، أذ ورد عند الأشاعرة تجويز رؤية الله في الآخرة واستدلوا على ذلك بالايات القرانية.(الاشعري،١٣٧٥هـ،ص٦١) والأمكان العقلي، حيث يرى الرازي(ت٦٠٦هـ) ان الرؤية واقعة شرعاً وممكنة عقلاً، أي أن الشرع يؤكد صحتها ووقوعها، وممكنة عقلاً؛ لأن العقل المحدود لا قدرة له على أدراك الأمور الغيبية.(الرازي،طبعة قديمة جداً لم يظهرتاريخ الأصدار ولا رقم الصفحة)وكذلك اثبتوا لله تعالى عن ذلك الوجه واليدين واعتبروها من الصفات الخبرية الذاتية الثابتة لله عز وجل.(الاشعري،١٤٣٢هـ،ص١١٣) وأنكرت الاشاعرة قول المعتزلة باستحالة رؤية الله ونفي التشبيه من كل وجهاً وجسماً وتحيزاً وجهة ومكان وانتقال وزوال... حيث استند المعتزلة في نفي كل ذلك على الله عن طريق التأويل العقلي لظواهر النص.(المعتزلي،ص١٥٥)كما نرى ان الأمامية تؤيد القول أن الله تعالى لا يوصف بجوهر ولا صورة ولا جسم ولا عرض... واستحالة رؤيته تعالى في الآخرة وتبرهن على ذلك بقول الصدوق والمفيد نظراً لكونهم جوهر حديثنا وهنا يثار السؤال هل كان هناك توافق بين الصدوق والمفيد في تأويل النص الذي يفهم الرؤية والتجسيم والتشبيه لله تعالى؟ وهل انتقد المفيد طريقة شيخه الصدوق في بيان تلك المسألة؟

على اعتبار ان الصدوق تناول مسألة التشبيه والتجسيم ونفي الرؤية في كتابه التوحيد ويرجع السبب الى تأليف

ذلك الكتاب ما نسبوا الى الامامية القول بالتشبيه، نتيجة ما وجدوا في كتبهم من أخبار لم يعرفوا معانيها وجهلوا في تفسيرها مما دفع به الصدوق دعواهم الباطلة عن طريق تأليفه لكتاب التوحيد.(الصدوق،١٤٢٩هـ،ص٧)وعليه انطلق الصدوق في معالجة هذه القضية من منهج إخباري صرف،حيث اعتمد في رأيه على مرويات أهل البيت(ع) التي تبطل إمكان الرؤية وتؤكد ان الله لا يرى بالأبصار ولا يدرك بالحواس،اذ نقل عن» أَحْمَدُ بْن ادريس، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: سَأَلَنِي أَبُو قُرَّةَ الْمُحَدِّثُ أَنْ أُدْخِلَهُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا(عليه السلام) فَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي ذَلِكَ فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَلَالِ والْحَرَامِ والْأَحْكَامِ، حَتَّى بَلَغَ سُؤَالُهُ إِلَى التَّوْحِيدِ فَقَالَ أَبُو قُرَّةَ: إِنَّا رُوِّينَا أَنَّ اللهَ قَسَمَ الرُّؤْيَةَ والْكَلَامَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَقَسَمَ الْكَلَامَ لِمُوسَى ولِمُحَمَّدٍ الرُّؤْيَةَ، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ(عليه السلام): فَمَنِ الْمُبَلِّغُ عَنِ اللهِ إِلَى الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْجِنِّ والْإِنْسِ: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ) (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ؟ قَالَ : بَلَى قَالَ : كَيْفَ يَجِيءُ رَجُلٌ إِلَى الْخَلْقِ جَمِيعاً فَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّهُ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ بِأَمْرِ اللهِ فَيَقُولُ: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ) (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ثُمَّ يَقُولُ أَنَا رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي وأَحَطْتُ بِهِ عِلْماً وهُوَ عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ؟! أَمَا تَسْتَحْيُونَ؟! مَا قَدَرَتِ الزَّنَادِقَةُ أَنْ تَرْمِيَهُ بِهَذَا أَنْ يَكُونَ يَأْتِي مِنْ عِنْدِ اللهِ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ يَأْتِي بِخِلَافِهِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ؟! قَالَ أَبُو قُرَّةَ: فَإِنَّهُ يَقُولُ: (وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى) فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ(عليه السلام): إِنَّ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا رَأَى. حَيْثُ قَالَ: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) يَقُولُ : مَا كَذَّبَ فُؤَادُ مُحَمَّدٍ مَا رَأَتْ عَيْنَاهُ، ثُمَّ أَخْبَرَ بِمَا رَأَى فَقَالَ: (لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَتِ رَبِهِ الْكُبْرَى) فَآيَاتُ اللهِ غَيْرُ اللهِ وقَدْ قَالَ اللهُ: (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)فَإِذَا رَأَتْهُ الْأَبْصَارُ فَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ الْعِلْمُ ووَقَعَتِ الْمَعْرِفَةُ ؛ فَقَالَ أَبُو قُرَّةَ: فَتُكَذِّبُ بِالرِّوَايَاتِ؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ(عليه السلام): إِذَا كَانَتِ الرِّوَايَاتُ مُخَالِفَةً لِلْقُرْآنِ كَذَّبْتُهَا ومَا أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ، أَنَّهُ لَا يُحَاطُ بِهِ عِلْماً ولَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ».(الكليني،١٤٢٨هـ،ص٥٦)ولكن الصدوق يرى من ظاهر الروايات انه يمكن رؤية الله رؤية قلبية في الآخرة وليست من رؤية العين ، بل رؤية إظهار قدرة الله وآثاره بتحقيق الثواب والعقاب لحقيقة الوعد الإلهي وليست رؤية الذات الإلهية.(الصدوق،١٤٢٩هـ،ص٨١)

إما المفيد حيث أستدل في مسألة نفي رؤية الله في الدنيا والآخرة على الدليلين العقلي والنقلي، قائلاً:» إنه لا يصح رؤية الباري سبحانه بالأبصار، وبذلك شهد العقل ونطق القرآن وتواتر الخبر عن أئمة الهدى من آل محمد(صلى الله عليه وآله)».(المفيد،١٤١٣هـ،ص٥٧) ويعتقد انه تعالى ليس بمرئي إذ قال:» الدليل على ذلك ان المرئي بحاسة البصر لابد وان يكون في جهة والله تعالى منزه عن الجهة فلا يكون مرئياً بحاسة البصر»

واستخلاصاً لما سبق ان الصدوق نفى الرؤية بالبصر لأن ذلك يستلزم التجسيم، إذ اعتمد على ظاهر الأخبار دون تمحيص كلامي فلسفي ويعتقد برؤية الانكشاف الكامل لإظهار حقيقة العدل الإلهي في الآخرة، بينما المفيد نفى الرؤية نفياً قاطعاً، عندما أنطلق من عقل كلامي يرفض كل تأويل يؤدي الى الرؤية البصرية وشدد على التنزيه المطلق لله تبارك وتعالى.

إما نفي التجسيم والتشبيه عند الصدوق والمفيد، حيث اخذوا موقفاً حاسماً في هذا الباب وأثبتوا تنزيه الله عز وجل عن الصورة والجسمية والزمان والمكان، أي انكار كل مايخص المخلوقات بأن يشبه الله تعالى بها، كما قدم الصدوق معالجة نقلية، إذ قال:»إن لله تعالى واحد أحد ليس كمثله شيء، قديم لم يزل ولا يزال، سميعاً بصيراً عليماً حكيماً حياً قيوماً عزيزاً قدوساً عالماً قادراً غنياً، لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض ولا خطّ ولا سطح ولا ثقل ولا خفّة ولا سكون ولا حركة ولا مكان ولا زمان، وأنّه تعالى متعال من جميع صفات خلقه، خارج عن الحدّين حدّ الإبطال وحدّ التشبيه، وأنّه تعالى شيء لا كالأشياء، صمد، لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك ولم يكن له كفواً أحد،ولا ندّ له ولا ضد ولا شبه ولا صاحبة ولا مثل ولا نظير ولا شريك له، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار

ولا الأوهام وهو يدركها، لا تأخذه سنة ولا نوم وهو اللّطيف الخبير،خالق كلّ شيء، لا إله إلاّ هو، له الخلق والأمر، تبارك الله ربّ العالمين، ومن قال بالتشبيه فهو مشرك، ومن نسب إلى الإماميّة غير ما وصف في التوحيد فهو كاذب، وكلّ خبر يخالف ما ذكرت في التوحيد فهو موضوع مختَرع، وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو باطل، وان وجد في كتب علمائنا فهو مدلّس والأخبار الّتي يتوهّمها الجهال تشبيهاً لله تعالى بخلقه فمعانيها محمولة على ما في القرآن من نظائرها».(الصدوق،١٤١٢هـ،ص٥٣) بأستناده الى مرويات أهل البيت(عليهم السلام) و نقل عن:» مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: سُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ الثَّانِي (عليه السلام): يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ للهِ: إِنَّهُ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، يُخْرِجُهُ مِنَ الْحَدَّيْنِ: حَدِّ التَّعْطِيلِ وحَدِّ التَّشْبِيهِ».(الكليني،١٤٢٨هـ،ص٤٨)حيث عرض الصدوق تفسير آيات القرآن التي قد يتوهم منها التجسيم، أولاً: كقوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ).(سورةالقصص،اية:٨٨) ويعتقد الصدوق ان الوجه هو السبيل الى الله الذي يؤتي منه، هم أنبياءالله وحججه (عليهم السلام) بأعتماده على ما نقل من الروايات، عن» مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِاللهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ صَبَّاحٍ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ(عليه السلام): إِنَّ اللهَ خَلَقَنَا فَأَحْسَنَ خَلْقَنَا وصَوَّرَنَا فَأَحْسَنَ صُوَرَنَا وجَعَلَنَا عَيْنَهُ فِي عِبَادِهِ ولِسَانَهُ النَّاطِقَ فِي خَلْقِهِ ويَدَهُ الْمَبْسُوطَةَ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّأْفَةِ والرَّحْمَةِ، ووَجْهَهُ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ، وبَابَهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ وخُزَّانَهُ فِي سَمَائِهِ وأَرْضِهِ، بِنَا أَثْمَرَتِ الْأَشْجَارُ وأَيْنَعَتِ الثِّمَارُ، وجَرَتِ الْأَنْهَارُ وبِنَا يَنْزِلُ غَيْثُ السَّمَاءِ ويَنْبُتُ عُشْبُ الْأَرْضِ وبِعِبَادَتِنَا عُبِدَ اللهُ ولَوْلَا نَحْنُ مَا عُبِدَ اللهُ».(الكليني،١٤٢٨هـ،ص٨٣.٨٤)

ثانياً: قوله تعالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ).(سورةالقلم،اية:٤٢) يفسر الصدوق معنى الساق وجه الأمر وشدته.(الصدوق،١٤١٢هـ،ص٥)

ثالثاً: قوله تعالى:(واذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ).(سورة ص،اية:١٧) بمعنى ذا القوة.(الصدوق،١٤١٢هـ،ص٦)

رابعاً: قوله تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ).(سورة المائدة،اية: ٦٤) يعني نعمة الدنيا والآخرة.(الصدوق،١٤١٢هـ،ص٦)

خامساً: وقوله تعالى: (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) .(سورة الحجر،اية:٢٩)ويفسر الصدوق الروح، ان الله سبحانه لما نفخ الروح في آدم وعيسى(ع) ليست أن هذه الروح جزءاً من ذات الله، بل روح مخلوقة، وإنما قال روحي أضافها الله لنفسه كما قال: عبدي ونبيي وجنتي و ناري وأرضي وسمائي ومخلوقي، أي أنها بكل مافيها مخلوقة لله تبارك وتعالى.(الصدوق،١٤١٢هـ،ص٥)

إما تفسير المفيد لتلك الآيات لا يختلف عن الصدوق بتنزيه الله تعالى عن التجسيم وعن صفات المخلوقات، كتفسير المفيد عن معنى (الساق) وهو يوم القيامة أمر عظيم شديد الحساب، وكذلك(الأيد) بمعنى النعمة، أي النعمتي في الدنيا والآخرة.(المفيد،١٤١٣هـ،ص٣٠.٢٨) إما (الروح) قد يرفض المفيد تفسير الصدوق لها بقوله:» ليس وجه إضافة الروح والبيت الى نفسه والنسبة اليه من حيث الخلق فحسب، بل الوجه في ذلك التمييز لهما بالإعظام والإجلال والاختصاص بالإكرام والتبجيل من جهة التحقق بهما، ودل بذلك على أنهما يختصان منه بكرامةو إجلال لم يجعله لغيرهما من الأرواح والبيوت، فكان الغرض من ذلك دعاء الخلق إلى اعتقاد ذلك فيهما والإعظام لهما به».(المفيد،١٤١٣هـ،ص٣٢) وما يفهم من كلام المفيد ليست الإضافة هنا لكونها من خلقه فقط، بل لتشريفهما وتمييزهما وإعلاء منزلتهما والغرض من ذلك أن يعظم الخلق هذه الأمور والاعتقاد بها بالإجلال والتقدير كما أراد الله تعالى.

الفرق بين الصدوق والمفيد في الصفات السلبية، من حيث النتائج العقدية رفض التشبيه والتجسيم واثبات التنزيه لله تعالى فهما متفقان تماماً، إنما لم يكن هذا التوافق بشكل كامل بين الصدوق والمفيد في تأويل تلك النصوص التي

قد يشير ظاهر الفاظها الى التشبيه والتجسيم، بل كان الأختلاف بينهما في المنهج، من حيث ان الصدوق كان حديثي نقلي أكتفى بنقل الروايات وقبلها كما وردت، أي ثبت اللفظ ونفي التجسيم لكن دون تفسير عقلي، بينما المفيد نفى التجسيم من منطلق كلامي أستخدم العقل بشكل معمق في فهم النصوص وأخضعها للتأويل العقلي.

نقد المفيد أستاذه الصدوق بسبب أستناده الى ظاهر النص دون تأويل عقلي وفهم عميق، يقول: من ينكر النظر العقلي فهو ضعيف الرأي في دينه وفهمه؛ لأن ذلك يقصي نفسه عن مراتب المستبصرين وينزله الى التقليد الأعمى، بل النظر غير المناظرة، فالنظر هو الاستدلال أو التأمل العقلي، والمناظرة هي الجدل قد يصح النهي عنها في ظروف التقية لكن ترك النظر يؤدي الى التقليد وهو محكوم عليه بالذم باتفاق نص القرآن والسنة وأتفاق العلماء.(المفيد،١٤١٣هـ،ص٧٢)حيث أستدل المفيد بالنص القرآني، كقوله تعالى: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ) .(سورة الزخرف،اية:٢٣.٢٤)وكذلك نُقل عن آل محمد(صلى الله عليه وآله):« مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عطِيلِكُ فِي قَوْلِ اللهِ جَلَّ وعَزَّ: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ) فَقَالَ: واللهِ ما صَامُوا لَهُمْ ولَا صَلَّوْا لَهُمْ ولَكِنْ أَحَلُّوا لَهُمْ حَرَاماً وحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ حَلَالًا فَاتَّبَعُوهُمْ». (الكليني،١٤٢٨هـ،ص٣١) اي قلدوهم في ذلك.

الخاتمة:

- نستنتج أن الإمامية تؤمن بعينية الصفات الإلهية وأنها عين الذات وليست زائدة عليه وقسموا الصفات الى ذاتية وفعلية.
- وأن الأسم غير المسمى واسماء الله توقيفية على ما جاء في النص القرآني وعن النبي محمد(ص) وأقوال الأئمة(عليهم السلام).
- مثل الشيخ الصدوق مرحلة روائية تقليدية في التراث الشيعي الإمامي.
- بينما الشيخ المفيد مثل مرحلة النضج الكلامي العقلي ، حيث بدأ الفكر الشيعي يعالج العقائد عن طريق النقاش والجدال العقلاني مع الفرق الكلامية.
- نقد المفيد لاعتقادات الصدوق يعكس مرحلة أزدهاروتحول داخل الفكر الإمامي مما يدل أن منهج الإمامية لم يقتصر على سرد ومواقف علمائها، إنما خاض تأمل ونظر ونقد المنهج الذي أستند في بناء عقيدتها. وهذا النقد لم يعد اختلاف جوهري في الأصول إنما كان اختلاف منهجي ضمن المسائل الفرعية.

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

المصادر:

الأصفهاني،أبي القاسم الحسين بن محمد(ت٥٠٢هـ)

١.المفردات في غريب القران،تحقيق وضبط:محمد سيد كيلاني،دار المعرفة،لبنان،بيروت،١٤٣٠هـ

الأشعري،أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري(ت٣٣٠هـ)

٢.الإبانة عن أصول الديانة،تحقيق:صالح بن مقبل بن عبدالله العصيمي التميمي،ط١(مدار المسلم، السعودية،الرياض،١٤٣٢هـ

٣.اللمع والرد على أهل الزيغ والبدع، تصحيح وتقديم:حموده غرابة،مطبعة مصر،١٣٧٥

الباقلاني،أبي بكر بن الطيب (ت٤٠٣هـ)

٤.الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به،تحقيق وتعليق وتقديم:محمدزاهد بن الحسن الكوثري، ط٢، الناشر المكتبة الازهرية للتراث، ١٤٢١هـ

٥ .تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل،تحقيق:عماد الدين احمد حيدر،ط١،مؤسسة الكتب الثقافية،لبنان،بيروت،١٤٠٧
الرازي،ابو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين(ت٦٠٦هـ)
٦ .الأربعين في أصول الدين، نسخة قديمة
العلامة الحلي،ابي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي(ت٧٢٦هـ)
٧ .كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تحقيق وتعليق:حسن حسن زاده الآملي،ط١٤،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة،١٤٣٣هـ
الشريف المرتضى،علي بن الحسين الموسوي(ت٤٣٦هـ)
٨ .جمل العلم والعمل،تصحيح وتعليق:يعقوب الجعفري،ط٢،دار الأسوة للطباعة والنشر،ايران، طهران،١٤١٩هـ
الشهرستاني،ابي الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي احمد(ت٥٤٨هـ)
٩ .الملل والنحل،تحقيق:امير علي مهنا وعلي حسن فاعور،دار المعرفة،لبنان،بيروت
الصدوق،أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت٣٨١هـ)
١٠ .الأعتقادات في دين الإمامية،تحقيق:غلام رضا المازندراني،المطبعة العلمية،ايران،قم،١٤١٢هـ
١١ .التوحيد،ط١،دار المرتضى،لبنان،بيروت،١٤٢٩هـ
الطوسي،محمد بن الحسن بن علي (ت٤٦٠هـ)
١٢ .الرسائل العشر،ط٢،مؤسسة النشر الإسلامي،١٤١٤هـ
المعتزلي،عبد الجبار بن احمد الأسد آبادي(ت٤١٥هـ)
١٣ .شرح الاصول الخمسة،تحقيق وتقديم:عبد الكريم عثمان،الناشر مكتبة وهبة
١٤ .المغني في ابواب التوحيد والعدل،تحقيق: محمود محمد قاسم،مراجعة:إبراهيم مذكور،أشراف:طه حسين
١٥ .المنية والأمل، تحقيق وتعليق: عصام الدين محمد علي،جمعه:احمد بن يحيى المرتضى، دار المعرفة،١٤٠٦هـ
المفيد،محمد بن النعمان ابن المعلم العُكبري(ت٤١٣هـ)
١٦ .وائل المقالات،موسوعة مصنفات المفيد، المؤتمر العالمي مناسبة ذكر الفية الشيخ المفيد،مؤسسة التاريخ العربي،١٤١٣هـ
١٧ .تصحيح الأعتقاد، موسوعة مصنفات المفيد، المؤتمر العالمي مناسبة ذكر الفية الشيخ المفيد،مؤسسة التاريخ العربي،١٤١٣هـ
١٨ .النكت الاعتقادية، موسوعة مصنفات المفيد، المؤتمر العالمي مناسبة ذكر الفية الشيخ المفيد،مؤسسة التاريخ العربي،١٤١٣هـ
الكراجكي،ابي الفتح محمد بن علي بن عثمان(ت٤٤٩هـ)
١٩ .كنز الفوائد،تحقيق وتعليق:عبدالله نعمة،دار الأضواء،لبنان،بيروت،١٤٠٥هـ
الكليني،محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)
٢٠أصول الكافي،ط١،منشورات الفجر،لبنان،بيروت،١٤٢٨هـ
المراجع:
الآملي،عبدالله الجوادي الطبري
٢١ .تسنيم في تفسير القران،تحقيق: محمد عبد المنعم الخاقاني،تعريب:عبد المطلب رضا،ط٢،دار الإسراء للنشر،لبنان،بيروت،١٤٣٢هـ
علي،حمادة أحمد
٢٢ .فلسفة الدين اليهودي،ط١،دار النشر،نيو بوك،مصر، القاهرة،١٤٣٩هـ
المجلسي،محمد باقر(ت١١١١هـ)
٢٣ .بحار الأنوار،ط٣، مؤسسة الوفاء،دار احياء التراث العربي،لبنان،بيروت،١٤٠٣هـ
المعاجم
ابن منظور،ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)
٢٤ .لسان العرب،دار صادر،لبنان،بيروت
٢٥ .المصطلحات، أعداد:مركز المعجم الفقهي.

المصاهرات العباسية العلوية وأثرها السياسي في العصر العباسي الأول (١٣٢- ٢٣٢هـ/ ٧٥٠- ٨٤٧م)

الباحثة: ابتسام حسين شلتاغ الدكتورة: هدى علي فحص
جامعة الجنان /طرابلس- لبنان/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية



المستخلص:
المصاهرة كانت من أهم الروابط بين القبائل والأفراد قديماً، وبرز دورها في العصر العباسي حيث استخدمت أحياناً لأهداف سياسية لضمان بقاء الدولة. في الخلافة العباسية الأولى كانت المصاهرات الخارجية قليلة، ومعظمها يقتصر على بيوت خلفاء بني العباس أنفسهم، نظراً لقوة الخلفاء وعدم حاجتهم لداعمين خارجيين. من بين المصاهرات النادرة تلك التي عقدت مع العلويين، لما كان لهم من مكانة اجتماعية ودعم شعبي، فحرص العباسيون على صلتهم بهم. ومع ذلك، بقيت العلاقة بين البيتين متوترة، واستمرت ثورات العلويين المطالبة بحقوقهم. تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أبرز المصاهرات بين العباسيين والعلويين وأثرها السياسي.

الكلمات الافتتاحية: الأثر، السياسة، العباسية، العصور، العلوية، المصاهرة .

Abstract:
Marriage alliances were among the most important ties between tribes and individuals in ancient times, and they played a notable role during the Abbasid era, where they were sometimes used for political purposes to ensure the stability of the state. In the early Abbasid Caliphate, external marriage alliances were rare, and most were limited to the households of the Abbasid caliphs themselves, due to their strength and lack of need for outside support. Among the few alliances were those made with the Alawites, who held significant social standing and popular support, prompting the Abbasids to maintain ties with them. Nevertheless, the relationship between the two houses remained tense, and Alawite uprisings demanding their rights continued. This study aims to highlight the most notable marriage alliances between the Abbasids and the Alawites and their political impact.

Keywords: impact, politics, Abbasid, eras, Alawite, intermarriage.

المقدمة:
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام أكملهما على نبي الرحمة محمد، وعلى أهله وأصحابه الأطهار، ومن سار على نهجه إلى يوم القيامة، وبعد

بعد انهيار الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ١٣٢هـ/٧٥٠م، حرص الخلفاء العباسيين على إحكام سيطرتهم على أنحاء الخلافة عن طريق تكوين مصاهرات سياسية، وتختلف أغراض هذه المصاهرة حسب العصر، ففي عصر الخلفاء الأقوياء كان غرضهم بسط سيطرتهم على أنحاء الدولة، أما في عصر الضعف كان الغرض منه الحفاظ على ملكهم واتقاء شر الأمراء، وكان للعلويين دوراً في قيام دولة بني العباس، فقد حمل العلويين لواء المعارضة ضد الأمويين، وبعد قيام الدولة اعتقد العلويون أن العباسيين خدعوهم واغتصبوا الخلافة منهم، فظلوا على دعوتهم ونشاطهم، وقاموا بثورات كثيرة، وعلى الرغم من الاضطهاد الذي تعرض له العلويين في بداية عهد العباسيين، إلا أن علاقتهم بالعباسيين لم تنقطع، وسوف نعرض في هذا البحث معنى الصهر لغة واصطلاحاً، وأشهر مصاهرات البيت العلوي من البيت العباسي، وأثرها السياسي في العصر العباسي الأول.

فرضيات الدراسة: بحسب طبيعة الموضوع الذي تتناوله هذه الدراسة، وبما أن أي بحث علمي ينبغي أن يستند إلى مجموعة من الفرضيات الأولية التي ترسم مساره وتحدد أهدافه ونتائجه، فإن هذه الدراسة تقوم على فرضيات أساسية يمكن صياغتها على النحو الآتي:

الأصهار هم الأقارب من جهة المرأة سواء كان زوج الابنة أو أقارب الزوجة.

١) حرص خلفاء على مصاهرة العلويين لكسب شرعية لحكمهم.

٢) لم تؤثر المصاهرات على العلويين بل ازدادت ثوراتهم في العصر العباسي.

٣) تأثر العباسيون بالفكر الديني العلوي، فتلقبوا بألقاب الأئمة مثل (المنصور والهادي والمهدي).

أسئلة الدراسة:

١) ما معنى الصهر لغة واصطلاحاً؟

٢) ما هي أشهر المصاهرات العباسية العلوية في العصر العباسي الأول؟

٣) ما هو أثر العلويين السياسي في العصر العباسي الأول؟

٤) ما هي أشهر ثورات العلويين في العصر العباسي الأول؟

أهمية الدراسة وأهدافها:

ترجع أهمية الدراسة أنها ترصد ظاهر سياسية – اجتماعية ألا وهي ظاهرة المصاهرات السياسية وتأثيرها على الأوضاع السياسية في العصر العباسي الأول، وعلى الرغم من العداء بين العباسيين والعلويين في العصر العباسي الأول، إلا أن هذا العداء لم يمنع وجود مصاهرات بين البيتين الكبيرين، أما أهداف الدراسة تتلخص في الآتي:

١) القاء الضوء على أشهر المصاهرات العباسية العلوية.

٢) القاء الضوء على تأثير هذه المصاهرات على الأوضاع السياسية.

٣) القاء الضوء على دور المأمون في نقل الخلافة للفرع العلوي.

٤) القاء الضوء على موقف العباسيين من نقل الخلافة للفرع العلوي.

المنهج المتبع:

اعتمدت هذه الدّراسة على توظيف مجموعة من المناهج البحثيّة للكشف عن بعض الحقائق التاريخيّة التي قد يشوبها شيء من الغموض، ولتحقيق أهدافها والإجابة عن تساؤلاتها. فقد استُخدم المنهج الوصفي لتجميع المادة العلمية وتنظيمها وعرضها بما يخدم عناصر البحث، والمنهج النّقدي الذي يقوم على توثيق الظواهر التاريخية وتفسيرها والتحقق من أصالتها ودقتها، إضافة إلى المنهج التحليلي الذي يُعنى بدراسة ما ورد في المصادر وتحليل مضامينه للوصول إلى الحقائق العلمية.

الحدود الزمنية: العصر العباسي الأول (١٣٢– ٢٣٢هـ/ ٧٥٠– ٨٤٧م).

الحدود المكانية: بلدان الخلافة العباسية.

الدراسات السابقة:

وفيما يخص الدراسات السابقة حول الموضوع ، فإنه من خلال البحث في قوائم الرسائل الجامعية التي تمكن الباحث من الوصول إليها، وكذلك من خلال البحث عبر شبكة الإنترنت، لم يعثر الباحث – حتى ساعته – على أي دراسة حول المصاهرات العباسية العلوية وأثرها السياسي في العصر العباسي الأول (١٣٢– ٢٣٢هـ/ ٧٥٠– ٨٤٧م)، ومن أهم الدراسات التي تناولت البيوتات العلوية:

سلامة فيض الله حسن: البيوتات العلوية في العصر العباسي الأول، مكتبة الرافدين، بيروت، ٢٠١٣م، وناقشت هذه الدراسة الأحوال الاجتماعية في العصر العباسي الأول وإسهاماتهم الإدارية والسياسية والفكرية.

محمد البطانية: العلاقات بين العلويين والعباسيين في العصر العباسي الأول، جامعة اليرموك، اربد (الأردن)، ١٩٧٣، وناقشت هذه الدراسة الصراعات العباسية العلوية وأشهر الثورات العباسية.

محمد راجي حسن كناس: أزواج الخلفاء، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧، ناقشت هذه الدراسة أزواج الخلفاء منذ عهد الخلافة الراشدة حتى عصر المتوكل على الله.

وفاء محمد علي: الزواج السياسي في عصر الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م، ناقشت هذه الدراسة الزواج السياسي طوال العصر العباسي.

التمهيد: معنى الأصهار لغة واصطلاحاً.

الصهر لغة: اسم مفرد والجمع أصهار، والفعل المصاهرة، يقال: ورد في المعاجم أنَّ المصاهرة تعني الزواج والارتباط بالنسب، يُشير بعض اللغويين إلى أن مصطلح «الصاهرة» يُطلق على من تزوج من قوم معين، ويضيف الأزهري أن الصهر يشمل جميع أقارب المرأة من المحارم وغيرهم، كالوالدين والإخوة، كما يشمل أقارب الزوج من ذوي قرابته المحارم، فهم يُعدّون أصهاراً للمرأة أيضاً(١)، الصِّهر في اللغة يُطلق على القَرابة الناشئة عن المصاهرة وحُرمة الخُتونة، فيُقال: أصهار وصُهراء، ويُطلق على زوج البنت وزوج الأخت، كما أن الأخْتان يُعَدّون من الأصهار أيضاً. ويُقال: صاهَرَ القوم إذا تزوّج منهم، وأصهَرَ بهم وإليهم أي صار صهراً لهم. وقد ورد لفظ الصهر في القرآن الكريم في موضع واحد، قال تعالى :{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْماء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا}(٢)، ذكر القرطبي أنَّ الصهر في اللغة مأخوذ من الفعل «صهرت» أي خلطت، ومن هنا استُخدم للدلالة على المصاهرة، إذ يترتب على الزواج اختلاط الأسرة وامتزاج روابطها، لذلك أُطلق الصهر على المناكح لما تحدثه من تداخل بين العائلات، يُستخدم مصطلح الصهر أيضًا للإشارة إلى قرابة النكاح، حيث تُسمّى قرابة الزوجة بالأختان، وقرابة الزوج بالأحماء، ويشمل لفظ «الأصهار» جميع هذه الروابط(٣).

المصاهرة اصطلاحاً:

يعرف الصِّهْرُ بأنَّه الصهر هو الاسم الذي يطلق على العلاقة الناشئة بين الشخص وأقارب زوجه، كما يطلق على أقارب الزوج بالنسبة للزوجة، وتعرف هذه الرابطة أيضاً بالمصاهرة لأنها تكون من الجهتين معاً. فيقال: صاهر فلان فلاناً إذا تزوج من أقاربه، سواء كانت القرابة قريبة أو بعيدة كقرابة القبيلة، وهي رابطة تكاد تكون ملازمة للبشر جميعاً، سواء كانوا متزوجين أم لم يتزوجوا بعد(٤)، عرّف الراغب الأصفهاني الصهر بأنه الخُتن، وأطلق على أهل بيت المرأة لقب «الأصهار»، مشيراً بذلك إلى أن المصاهرة تربط الأسرة بقرابة خاصة تشمل أهل الزوجة (٥)، وحكى الزهراوي أن النسب يتعلق بالذكور، أي من جهة البنين، بينما الصهر يتعلق بالإناث، أي من جهة البنات (٦).

يطلق لفظ الصهر على أقارب الزوجين جميعاً، غير أن بعض أهل اللغة قصره على أقارب المرأة خاص(٧)، يطلق الصهر على القرابة الناشئة عن عقد النكاح، وهو ما يظهر في كتب الفقه عند الحديث عن أسباب الميراث وعند بيان المحرمات في الزواج (٨)، ومنهم من قال هي حرمة الختونة(٩)، قال ابن عباس إن الله حدّد المحظورات في الزواج من جهة النسب والصهر، حيث تحرم من جهة النسب أمك وبناتك وأخواتك وعماتك وخالاتك وبنات الإخوة وبنات الأخوات. أما من جهة الصهر، فهناك سبع حالات يمنع فيها الزواج، وهي: أمهاتكم اللاتي أرضعنكم، أخواتكم من الرضاعة، أمهات نسائكم، رَبائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن، حلائل أبنائكم، النساء اللاتي نكح آباؤكم من قبل، والجمع بين الأختين في وقت واحد(١٠)، يتضح من ذلك أن الصهر يُشير إلى الروابط التي تنشأ بين أسر الزوجين، بحيث يُعد صهر الرجل كل من له قرابة بزوجته، وصهر المرأة كل من له قرابة بزوجها، وقد يرى بعض الفقهاء أن مصطلح المصاهرة يختص بأقارب المرأة فقط.

أولاً: المصاهرات العباسية العلوية.

ارتبط البيت العباسي بالبيت العلوي بالمصاهرة، ومن أشهر هذه المصاهرات:

تزوجت ميمونة بنت الحسين بن زيد بن علي بن الحسين (١١)، من الخليفة العباسي المهدي (١٥٨هـ – ١٦٩هـ /٧٧٥م – ٧٨٦م) (١٢).

ارتبط الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠–١٩٣هـ / ٧٨٧–٨٠٩م) بزواج زينب بنت عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (١٣)، وتذكر بعض الروايات أن الرشيد لما زفها إليه، دخل خادم ليشد لها

تكة فرفسته، فكُسرت له ضلعان. فهابها الرشيد وأعادها في اليوم التالي إلى الحجاز، مع تخصيص راتب سنوي لها قدره أربعة آلاف دينار (١٤)، يشير مصعب الزبيري إلى أنّ زينب بنت عبد الله كانت عند هارون الرشيد ليلةً واحدة فقط، ثم طلقها، ومن هنا أطلق عليها أهل المدينة لقب «زينب ليلة» (١٥).

تزوجت أم حبيب، ابنة الخليفة المأمون (١٩٨هـ–٢١٨هـ / ٨١٤م–٨٣٣م)، من الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق سنة ٢٠٢هـ / ٨١٨م(١٦) بعد أن نصبه المأمون ولياً للعهد (١٧).

تم زواج أم الفضل، ابنة الخليفة المأمون، من الإمام محمد الجواد بن علي (١٨) سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م(١٩).

تزوج عبيد الله بن محمد بن عمر الأطرف بن علي بن أبي طالب (٢٠) من عمة الخليفة أبي جعفر المنصور حين بلغ سن السابعة والخمسين(٢١).

ارتبطت أم كلثوم، ابنة موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن بن علي بن أبي طالب (٢٢) بزواج سياسي من ابن أخي الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، في إطار المصاهرات التي جمعت بين البيت العلوي والبيت العباسي لتعزيز الروابط السياسية والاجتماعية بينهما (٢٣).

ارتبطت ابنة محمد بن عبد الله بن الحسن، المعروف بالنفس الزكية(٢٤) بزواج من محمد بن أبي العباس السفاح (٢٥)، حيث دخل بها في المدينة بعد مقتل أبيها، ثم طلّقها في صبيحة اليوم التالي. وبعد طلاقها تزوجها كل من: عيسى بن علي (٢٦)، ثم محمد بن إبراهيم الإمام(٢٧)، ثم الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن(٢٨) غير أن بعض المصادر تذكر أن الحسن بن إبراهيم إنما تزوج أختها لا هي، مما يثير شكوكاً حول دقة هذه الرواية، خصوصاً أن وفاة النفس الزكية وقعت في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، أي بعد وفاة السفاح، الأمر الذي يجعل القصة غير متوافقة زمنياً. (٢٩).

مما سبق يتضح أن عدد المصاهرات بين البيتين العباسي والعلوي في العصر العباسي الأول يعد قليلاً نسبياً، فعدد الزيجات لم تتعد سبع حالات، وهذا يدل على أن العلاقات بين البيتين كانت متوترة وغير مستقرة، وهذا الأمر سينعكس على الجانب السياسي.

ثالثاً: الأثر السياسي للمصاهرات.

تقرب العباسيون في بادئ الأمر من العلويين وتأثروا بأفكارهم السياسية، فأخذوا منهم فكرة الإمامة والوصية، فالعلويون يرون أحقيتهم بالإمامة، ورأوا أن علياً هو الإمام بنصٍ من الله ورسوله(صلى الله عليه وآله)(٣٠)، لقد تبلور مفهوم الوصية في البيئة الفكرية العلوية، حيث ارتبط بمبدأ أن الإمامة تقوم على النص والتعيين المباشر لا على أسس الاختيار أو البيعة(٣١)، وقد استفاد العباسيون من هذه الفكرة وجعلوها إحدى الوسائل التي اعتمدوا عليها في تدعيم شرعيتهم السياسية وتأكيد أحقّيتهم في تولي الخلافة (٣٢).

كما تأثر العباسيين بالشعارات العلوية، وتلقبوا بألقاب العلويين، كالمنصور والهادي والمهدي وغيرها(٣٣)، فيتخذ الخليفة أبي جعفر لقب المنصور، ليوهم النّاس أنه هو المنصور حقاً، ويستغل هذا اللقب للقضاء على خصومه من الشيعة العلوية، وخصوصاً على حركة محمد بن النفس الزكية، ليبين للناس أن دعوة محمد بن النفس الزكية باطلة، وأنه على الحق، وإلا لما استطاع المنصور أن يقضي على المهدي(٣٤).

رغم المصاهرات بين البيتين العباسي والعلوي، اتبع العباسيون سياسة متباينة بين الشدة أحيانًا واللين أحيانًا أخرى، حتى أن بعض العلويين تمنوا عودة أيام بني أمية (٣٥) بسبب الظلم الذي لحق بهم في عهد بني العباس. ففي عهد أبو جعفر المنصور (١٣٧هـ–١٥٨هـ/٧٥٤–٧٧٥م)، أعلن محمد النفس الزكية (المهدي) أحقيته بالخلافة لكونه حفيد الحسن بن علي رضي الله عنه، واستنادًا إلى مبايعة الهاشميين له في أواخر الدولة الأموية. وقد اتفق محمد النفس الزكية الموجود في المدينة مع أخيه إبراهيم في البصرة على إعلان الثورة في الوقت نفسه، إلا أن مرض إبراهيم بالجدري أجل قيام ثورته لمدة شهرين، ما أتاح للمنصور القضاء على الأخوين واحدًا تلو الآخر. (٣٦).

انفرد المنصور بمحمد النفس الزكية وأرسل جيشًا كبيرًا بقيادة عيسى بن موسى وحميد بن قحطبة (٣٧) فالتقى الجيش مع أنصار محمد قرب المدينة، حيث قُتل محمد واحتُز رأسه ونُقل إلى المنصور سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م (٣٨). أما أخوه إبراهيم الإمام، فثارت البصرة تحت قيادته، فأرسل المنصور جيشًا بقيادة عيسى بن موسى وسعيد بن مسلم، فاشتبك إبراهيم مع الجيش العباسي قرب الكوفة في منطقة باخمري، فانهزم وقتل في نفس العام، ونُقل رأسه أيضًا بواسطة عيسى بن موسى (٣٩).

بعد القضاء على ثورة العلويين في سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، والتي انتصر فيها على جميع الثورات، شعر المنصور أنه أصبح خليفة حقًا بلا منازع، فاعتمد على تخليد هذا الانتصار وأطلق على نفسه لقب المنصور في تلك السنة (٤٠).

تنوعت سياسة العباسيين مع العلويين بين الشدة والظلم في بعض الأحيان وبين التودد والملاينة في أحيانا أخرى، ففي عهد الخليفة المهدي (١٥٨هـ – ١٦٩هـ/ ٧٧٥م– ٧٨٦م)، الذي عرف بالعفو والصفح عن المخالفين، قام بالعفو عن جميع السجناء من العلويين الذين تم سجنهم في عهد والده المنصور (٤١)، ولم يكتفِ بذلك قام بالإحسان إليهم، وأمر برواتب لهم، وعفا عن السجناء السياسيين ما عدا المجرمين (٤٢).

في عهد الخليفة الهادي (١٦٩هـ–١٧٠هـ/٧٨٦–٧٨٧م) شُدَّ القيد على العلويين وحُرموا من الأعطيات، وذكر اليعقوبي أن الهادي ألح في مطاردة الطالبيين وأرعبهم، كما أوقف ما كان المهدي يمنحه لهم من أرزاق وأوامر، وأمر بالبحث عنهم في البلاد وملاحقتهم. (٤٣).

وفي عهد الرشيد(١٧٠هـ – ١٩٣هـ/ ٧٨٧م – ٨٠٩م) اتخذ سياسة بين التضيق على العلويين في أحيان كثيرة، والعفو والصفح أحياناً، ففي سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٦م اعتمر الرشيد فحمل موسى الكاظم معه إلى بغداد فحبسه بها، فتوفي في حبسه سنة ١٨٣هـ/ ٨٠٠م(٤٤)، يُروى أن هارون الرشيد غضب من موسى الكاظم خلال زيارة المدينة المنورة، حين ألقى موسى التحية على قبر النبي(صلى الله عليه وآله) قائلاً: «السلام عليك يا أبي»، بعد أن سبقه الرشيد بتحية مشابهة للتفاخر، ما أثار استياءه وتغيرت ملامحه (٤٥)، يذكر ابن الجوزي أن موسى الكاظم، أثناء سجنه الطويل، كتب إلى هارون الرشيد رسالة أكد فيها أن البلاء لن ينتهي عنه إلا بانتهاء اليسر عن الرشيد، محذرًا من أن ذلك مستمر حتى يوم الحساب الذي يُخسر فيه الظالمون(٤٦).

سياسة هارون الرشيد (١٧٠–١٩٣هـ / ٧٨٧–٨٠٩م) تجاه العلويين لم تكن ثابتة، فقد شملت العفو عن بعض المحكومين وتأمين الهاربين من المتهمين والمجرمين، ومن أبرزهم يعقوب بن داود (ت ١٨٦هـ/٨٠٢م)(٤٧) الوزير السابق للمنصور، الذي سُجن لميله للعلويين، ثم أخرجه المهدي واستوزره، لكنه عاد إلى ميوله العلوية فأُعيد سجنه حتى أخرجه الرشيد. وعند حضوره وقد شاخ وأصيب بالعمى، أمر بإحضاره، فقيل له أن يسلم على أمير المؤمنين فسلم، فسأل الرشيد: «أي أمير المؤمنين أنا؟»، فأجابه يعقوب: «المهدي»، فرد الرشيد: «نعم، اطلب حاجتك». فأخبر يعقوب أنه يرغب فقط في المقام بمكة، فأمر له الرشيد بمال يكفيه وأقر له راتبًا يعيش منه حتى وفاته، فودعه شاكراً وانصرف(٤٨).

وعلى الرغم من هذه السياسة العنيفة التي مارسها هارون الرشيد (١٧٠هـ– ١٩٣هـ/ ٧٨٧م – ٨٠٩م) تجاه العلويين، استطاع العلويين من تكوين أول دولة لهم في بلاد المغرب وهي الدولة الإدريسية، (١٧٢–٣٦٣هـ/ ٧٨٨ – ٩٧٤م)(٤٩)، فعندما ثار العلويون في عهد الخليفة الهادي (١٥٩– ١٧٠هـ/ ٧٨٥ – ٧٨٦ م) بقيادة الحسين بن علي بن الحسن(٥٠) بمكة سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٦م لحقت بهم هزيمة نكراء في موضع يسمي فخ(٥١)، وقتل في هذه المعركة الحسين ومعظم أصحابه، ولم يفلت منها إلا عدد قليل، كان منهم إدريس بن عبد الله الذي اتجه إلى مصر برفقة مولي له اسمه راشد، ومنها سار إلى المغرب الأقصى ونزل بمدينة وليلي(٥٢) في ربيع الأول سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م(٥٣)، استقبله قائد قبيلة أوربة البربرية، إسحاق بن محمد بن عبد الحميد، الذي كان يتولى إمارة أوربة(٥٤)، بعد أن عرف قرابته للرسول، وقدم له العون والتأييد لنشر دعوته وتأسيس دولته ، فبايعه ومعه أفراد قبيلته يوم الجمعة رمضان سنة ١٧٢هـ/ فبراير ٧٨٩م، ثم وفدت إليه قبائل البربر فبايعوه علي السمع والطاعة(٥٥).

فلما استوثق لإدريس بن عبد الله الأمر اتخذ مدينة وليلي مقراً له وجمع جيشاً من القبائل التي انطوت تحت لوائه، وزحف بهم إلى بلاد تامسنا(٥٦) وتادلة(٥٧)، وكان أكثر سكانها من اليهود والنصارى، فهدم معاقلهم وحصونهم فأسلموا علي يديه، ثم عاد إدريس إلى مقر إقامته في مدينة وليلي في ذي الحجة سنة ١٧٢هـ / مايو ٧٨٩م فأقام بها إلى أن استراح جيشه(٥٨)، ثم خرج لغزو بقايا اليهود والنصارى البربر في المناطق الجبلية الحصينة التي لم تكن قد خضعت له فدمر بلادهم وهدم حصونهم حتي (دخلوا في الإسلام طوعاً وكرها)(٥٩)، ثم رجع مرة ثانية إلى وليلي في منتصف جمادي الثاني سنة ١٧٣هـ / تشرين الأول ٧٨٩م(٦٠).

وفي منتصف رجب ١٧٣هـ/ ٨ كانون الأول ٧٨٩م خرج إدريس بن عبد الله إلى مدينة تلمسان(٦١) لإخضاعها فلما وصل إلى مشارفها خرج إليه أميرها يطلب منه الأمان، فأجابه إلى ما طلب، فبايعه أميرها وجميع من كان معه بتلمسان من قبائل زناته بالإمامة، فدخل إدريس تلمسان صلحاً وأمن أهلها ثم عاد مرة أخري إلى قاعدة ملكه بمدينة وليلي وذلك في صفر سنة ١٧٤هـ/ حزيران ٧٩٠م بعد أن عين محمد بن خزر والياً على المدينة وأمر ببناء مسجدها الجامع ويصنع منبر له نقش عليه اسمه وتاريخ إنشائه(٦٢).

فلما علم هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ /٨٧٦ – ٨٠٩ م) بما وصل إليه إدريس بن عبد الله من نفوذ وسلطان في المغرب الأقصى، وأنه بدأ يوجه أنظاره ناحية الشرق بعد فتحه لمدينة تلمسان، وأنه عزم علي غزو إفريقية، اشتد خوفه وقلقه، وأخذ يفكر في إرسال جيش كثيف للقضاء عليه، ولكنه عدل عن ذلك لبعد المسافة ووعورة الطريق(٦٣)، فأشار عليه وزيره يحيى البرمكي بأن يبعث له برجل من ذوي الحزم والمكر والأقدام ليقتله، ووقع اختيارهم علي سليمان بن جرير المعروف بالشماخ(٦٤) لتنفيذ هذه المهمة، فخرج متوجهاً إلى المغرب الأقصى، فلما التقي بإدريس تظاهر له بالتشيع ومحبته لآل البيت، فأكرمه وقربه إليه، ومن ثم أخذ الشماخ ينتظر الفرصة المناسبة لتنفيذ خطته، إذ كان راشد لا يفارق إدريس أبداً فلما واتته الفرصة، دس السم له في قارورة طيب ، فلما شمها إدريس وقع مغشياً عليه، وتوفي سنة ١٧٥هـ/ ٧٩٢م (٦٥).

استغل العلويون النزاع بين الأمين والمأمون، فشهدت فترة حكم المأمون (١٩٨هـ – ٢١٨هـ / ٨١٤م – ٨٣٣م) (٦٦)، اندلا ع عدة ثورات في مناطق مختلفة من العراق والحجاز واليمن، ومن أبرزها ثورة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل، المعروف بابن طباطبا (٦٧) في الكوفة سنة ١٩٩هـ/٨١٤م، ورغم سياسة المأمون المتساهلة وتقريبه للعلويين، إلا أن هذه التدابير لم تمنع قيام الثورة ضده(٦٨).

والشعار (الرضا من آل محمد) رفعه ابن طباطبا, وهو الشعار نفسه الذي رفعه بنو العباس ، كما كان ابن طباطبا يدعو إلى العمل « بكتاب الله وسنه نبيه (صلى الله عليه وآله)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والسيرة بحكم الكتاب»(٦٩).

وساند ابن طباطبا في هذه الثورة شخصية بارزة ومهمة ، هي شخصية أبي السرايا (٧٠)، وكان أحد القادة الكبار في جيش الأمين وسُمي أبو السرايا(٧١)، وكانت هذه الثورة ذات طابع عربي عراقي صميم. ونجحت الدعوة في الكوفة مركز تجمع العلويين، وانضم إلى الثورة عدد كبير من العلويين المستائين من حكم بني العباس، وكان أبو السرايا الشخصية المحورية والقائد الفعلي للحركة، أما ابن طباطبا العلوي فكان شخصية ثانوية بجانبه(٧٢)، وكان السري بن منصور يطمح في الوصول إلى النفوذ والجاه والسلطان، وهذا لا يأتي إلا بمبايعة شخص يدين له العديد من الناس بالولاء، فوجدها في ابن طباطبا، وأعلن خروجه على الدولة العباسية باسم ذلك العلوي(٧٣).

توسعت الثورة العلوية حتى تمكن محمد بن حسن السلق (٧٤) من السيطرة على واسط، فأرسل المأمون عبد الله بن سعيد الحرشي لمواجهته، فالتقيا شرق دجلة وهُزم السلق (٧٥)، وفي سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م، استولى محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي على البصرة بلا مقاومة (٧٦)، كما استولى محمد بن سليمان بن داود بن حسن بن حسن بن علي على المدينة دون قتال (٧٧)، أما في اليمن، فقد نُفي إبراهيم بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين

بن علي إسحاق بن موسى بن عيسى، وأرسل المأمون سليمان بن داود بن موسى بن عيسى لإقامة الحج، لكن ابن الأفطس محمد بن علي بن حسن بن حسين بن علي سيطر على مكة، فتراجع سليمان، وتوقف الناس عن أداء المناسك دون إمام، حتى وصل الحسن بن الحسين إلى عرفات ليلة النحر ووقف الناس غداة الجمع (٧٨).

وأمام هذه الثورات والحركات العلوية ضد الحكم العباسي فكر المأمون في نقل ولاية العهد إلى الفرع العلوي، ففي عام ٢٠١هـ / ٨١٦م جعل المأمون على الرضا ولياً للعهد والخليفة من بعده، ولقبه بالرضا من آل محمد، وقام بكتابة ذلك إلى ولاته على الأقاليم، وأمر جنده بلبس الثياب الخضراء بدلا من السوداء(٧٩).

ويذكر أن المأمون (١٩٨هـ–٢١٨هـ/ ٨١٤م–٨٣٣م) استدعى علي الرضا إلى مرو (٨٠)، استقبل المأمون الإمام علي الرضا بحفاوة، وعرض عليه الخلافة قائلاً: «أريد أن أقلدك الحكم بعدي، فما رأيك؟»، فرفض الرضا ذلك مستغرباً، محذراً المأمون من سماع أحد بهذا الكلام. وأكد المأمون أنه لا بد من قبول ولاية العهد، فرفض الرضا رفضاً قاطعاً، مشدداً على أنه يقبل العهد بشرط ألا يتدخل في الأمور القائمة من القضاء والإمارة والإفتاء والتعيين. وافق المأمون على هذا الشرط (٨١)، وفي شهر رمضان عام ٢٠١هـ/ ٨١٥م جمع المأمون الأمراء والأشراف ورجال الدولة، وأعلن البيعة لعلي الرضا كولي للعهد من بعده، وأقام احتفالاً لتنصيبه والياً للعهد، وذكر اسمه في المنابر، وضرب اسمه على الدراهم، وزوج المأمون ابنته أم حبيبة لولي عهده الجديد (٨٢).

وكان هدف المأمون من هذه البيعة كبح الثورات والحركات العلوية، فأعلن العفو عن زعماء هذه الحركات، ومن بينهم زيد بن موسى (٨٣)، وإبراهيم بن موسى(٨٤) أخو الإمام، ولم يقتصر على ذلك، بل عيّن بعضهم ولاة على الأمصار، كإبراهيم بن موسى واليًا على اليمن والعباس بن موسى على الكوفة، لضمان تأييد عدد كبير من الشيعة لهذه المناطق إلى جانبه (٨٥).

في سنة ٢٠١هـ/٨١٧م، تحرك أهالي بغداد وبني العباس احتجاجًا على قرار المأمون بتعيين علي بن موسى الرضا وليًا للعهد، وسعوا لخلع المأمون وتأييد إبراهيم بن المهدي (٨٦) للخلافة (٨٧)، وقد نجحت هذه الجهود في سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م، حيث بايعوا إبراهيم بن المهدي وتخلّوا عن المأمون (٨٨)، وأطلقوا على إبراهيم لقب «المبارك». (٨٩).

الخاتمة:

ركزت هذه الدراسة على المصاهرات بين العباسيين والعلويين وأبعادها السياسية خلال العصر العباسي الأول (١٣٢–٢٣٢هـ/٧٥٠–٨٤٧م)، وأسفرت عن مجموعة من النتائج والتوصيات الهامة وهي:

أولاً: النتائج.

١. على الرغم من العلاقات القديمة بين العلويين والعباسيين ونضالهما سوياً لإسقاط الحكم الأموي، إلا أن عدد المصاهرات بين البيتين كان قليلاً وهذا يدل على توجس العباسيين من العلويين.

٢. تأثر العباسيون بالعلويين على نطاق الفكر السياسي فأخذوا منهم فكرة الوصية، كما تلقب العباسيون بألقاب العلويين كالمنصور والمهدي وغيرها.

٣. اتسمت سياسة العباسيين إزاء العلويين واتباعهم أشكالاً متنوعة ومتعددة، بين سياسة التنكيل بالعلويين وسياسة التقرب.

٤. على الرغم من وقوف العباسيين بالمرصاد لأي حركة علوية، إلا أن العلويين (الأدارسة) نجحوا في إقامة دولة مستقلة لهم في المغرب العربي في عهد الخليفة هارون الرشيد.

٥. حانت فرصة عظيمة لانتقال الخلافة للفرع العلوي في عهد الخليفة المأمون، ولكن نجح العباسيون في إبطال هذه المحاولة.

ثانياً: التوصيات.

١. تشجيع الدراسات التاريخية المقارنة: يُوصى بإجراء بحوث موسعة حول المصاهرات السياسية في العصور الإسلامية المختلفة، بهدف دراسة دورها في تعزيز السلطة السياسية وإدارة النفوذ بين البيوتات الحاكمة.

٢. تحليل العلاقات بين السلطة والدين: من المهم دراسة الأبعاد الدينية والاجتماعية للمصاهرات، وخاصة تأثيرها في تهدئة النزاعات أو تصعيدها بين العباسيين والعلويين، لفهم التوازن بين السياسة والدين في التاريخ الإسلامي.

٣. تطوير قاعدة بيانات تاريخية: يُقترح إنشاء قاعدة معلومات شاملة تتضمن جميع المصاهرات بين العباسيين والعلويين، تشمل تواريخها، الأطراف المشاركة، وأثرها السياسي والاجتماعي، لتسهيل الدراسات المستقبلية وتحليلها بدقة.

٤. تعميق البحث في الأبعاد السياسية والاجتماعية: يُنصح بالتركيز على دراسة أثر المصاهرات في تقوية الولاءات، وتأثيرها على استقرار الدولة العباسية، وتوزيع النفوذ بين مختلف المناطق والأقاليم.

الهوامش:

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١، ج٦، ص٦٨.

(٢) سورة الفرقان: آيه ٥٤.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ج١٣، ص٦٠.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤، ج١٠، ص١٨٠.

(٥) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ١٩٩١م، ج١، ص٥٩٤.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٦٠.

(٧) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٩٠هـ، ج٧، ص٨٥.

(٨) الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، حققه وعلّق عليه: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م، ج٤، ص٦٦.

(٩) البركتي، محمد عميم الإحسان، قواعد الفقه، دار الصدف ببلشرز، كراتشي، ١٩٨٦م، ص٢٥٥.

(١٠) الأزهري، تهذيب اللغة، ج٦، ص٦٨.

(١١) الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله الحسني ثم الكوفي الزيدي (ت ١٩٠هـ/٨٠٥م)، ولد بالشام، وشارك في ثورة محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن. بعد مقتل أبيه وأخيه يحيى تكفّل به الإمام جعفر الصادق، وأخذ عنه علماً كثيراً. عُرف بالزهد وكثرة البكاء حتى لُقّب بـ «ذي الدمعة». توفي عن ست وسبعين سنة، وروى عن والده وعمه الباقر وابن عمه الصادق وغيرهم، وكان من بقية رجالات بيت النبوة. انظر: العُمري، علي بن أبي الغنائم (٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، المجْدي في أنساب الطالبيين، ط٢، تح: أحمد المهدوي الدامغاني، مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٣٨٠هـ، ص٤٠٩؛ الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ، تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣، ج٤، ص٨٣٤.

(١٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٥٨؛ بن قتيبة الدينوري، المعارف، ط٢، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٢١٦.

(١٣) لم نقف على ترجمته.

(١٤) العُمري، المجْدي في أنساب الطالبيين، ص٤٠٩.

(١٥) نسب قريش، ط٣، تحقيق: يفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٧٣.

(١٦) الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (ت ٢٠٣هـ/٨١٩م) يُعد من أبرز أئمة أهل البيت عند الإمامية. تزوج ابنته أم حبيب وعيّنه الخليفة المأمون وليًا للعهد سنة ٢٠٢هـ، وأمر بذكر اسمه على النقود الرسمية. جاء هذا بعد أن جمع المأمون بني العباس والعلويين في مرو، وأعلن أن الرضا هو الأحق بالخلافة، ما أثار غضب العباسيين في العراق، فخلعوا المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهدي. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس ، دار صادر، ط٧، بيروت، ١٩٩٤م، ج٣، ص٢٧٠.

(١٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥م، ج٦، ص٣٥٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تح: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، الجيزة– مصر، ١٩٩٧، ج١٤، ص١٢٥.

(١٨) الإمام أبو جعفر محمد بن علي الجواد (ت ٢٢٠هـ/٨٣٥م) هو الإمام التاسع عند الشيعة الإمامية، واشتهر بسخائه حتى أُطلق عليه لقب «الجواد». اتسم بذكاء وفصاحة ولباقة في الكلام، على غرار أسلافه من آل البيت. وُلد في المدينة المنورة وانتقل مع والده إلى بغداد، وعقب وفاة والده تولّى الخليفة المأمون رعايته، وزوجه ابنته أم الفضل. أقام فترة في المدينة، ثم عاد إلى بغداد حيث وافته المنية،

فانتقلت زوجته إلى دار عمها المعتصم العباسي. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دراسة وتح مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، ج٤، ص٨٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٤٤٦.

(١٩) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٣٥٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٤٤٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٢٥.

(٢٠) عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، من البيت القرشي الهاشمي العلوي، ووالدته خديجة بنت علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٤٤٦–٤٤٨؛ المزي، تهذيب الكمال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠، ج١٩، ص١٥٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣، ص٩٢٤.

(٢١) العُمري، المَجْدي في أنساب الطالبيين، ص٤٥٧.

(٢٢) أبو الحسن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م) كان من شعراء الطالبيين ولُقّب بـ«الجون» لسواد لونه. وُلد في المدينة المنورة واهتم بنقل الحديث بشكل محدود. هو شقيق محمد وإبراهيم بن عبد الله، وقد أسره الخليفة أبو جعفر المنصور بعد وفاة أخويه ثم عفا عنه. انتقل موسى إلى بغداد وأقام هناك حتى عهد هارون الرشيد، مع احتفاظه ببعض الروايات عن أبيه. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٥، ص١١؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٧، ص٣٢٤.

(٢٣) العُمري، المَجْدي في أنساب الطالبيين، ص٢٣١.

(٢٤) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (٩٣–١٤٥هـ/٧١٢–٧٦٢م)، الملقب بالأرقط والمهدي والنفس الزكية، كان من أمراء الطالبيين. وُلد ونشأ في المدينة المنورة، وعُرف بـ«صريح قريش» نظرًا لعدم وجود أمّ ولد في أمه وجداته، وأطلق عليه أهله لقب المهدي. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٨٩؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٠٠٤م، ج٢٥، ص٧.

(٢٥) محمد بن عبد الله أبو العباس السفاح (ت ١٤٧هـ/٧٦٤م) وُلد في منطقة البلقاء قرب دمشق، وانتقل مع والده إلى الكوفة. عُين لاحقًا من قبل عمه المنصور على ولاية البصرة، وكان معروفًا بسلوكه غير المستقيم. انظر: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تح:وحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٨٤، ج٢٢، ص٢٩٥.

(٢٦) عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي (٨٣–١٦٤هـ/٧٠٢–٧٨٠م) كان من علماء الأسرة العباسية وعمّي كل من السفاح والمنصور. وُلد في المدينة واستقر ببغداد حتى وفاته، واشتهر بالتقوى والزهد واعتزال الأعمال السلطانية. فلم يكلف أي من أقاربه بمسؤوليات الحكم. وقد وصفه هارون الرشيد بأنه «راهبنا وعالمنا». انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٤٦٧.

(٢٧) محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (ت ١٨٥هـ/٨٠٠م) كان أميراً هاشمياً عباسياً، أقام في بغداد ووُلي إمارة الحج لعدة سنوات خلال حكم المنصور قبل أن يعزله المهدي. بقي في بغداد بقية حياته، حيث اعتاد الاجتماع كل خميس مع أبنائه وأحفاده للتعليم والمناقشة. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص٢٦٦.

(٢٨) الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب جُلب إلى بغداد بأمر والي مكة يعقوب بن داود خلال حكم الخليفة المهدي سنة ١٦٠هـ /٧٧٧م، وقد خشي أقارب الحسن من تصرفات يعقوب، وأدركوا أنه لو امتلكوا السلطة لما تركوه على قيد الحياة. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٢٧٦.

(٢٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م، ج٧، ص٥٩٥.

(٣٠) المسعودي، إثبات الوصية ، ط٢ ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص ١٥٢.

(٣١) ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، ط٢، دار الجيل ن بيروت ، ١٩٩٦م ، ج١، ص ١٤٧– ١٥٠.

(٣٢)الاسْفرايني، التبصير في الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٣٢.

(٣٣) في أواخر الحكم الأموي، كان العلويون يلقبون الإمام زيد بن علي بـ«المنصور». معبرين بذلك عن أملهم في أن يضع حداً لسيطرة بني أمية. وعند خروجه، صاح الناس في الطرقات مرددين هتافات تأييدهم له: «يا منصور أمت، أمت يا منصور». انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ج٣، ص ٤٣٣؛ الطبري، تاريخ، ج٧، ص ١٦٦، ١٨٢.

(٣٤) فوزي، فاروق عمر، العباسيون الأوائل، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٢١٢.

(٣٥) صادق، عبد الرضا، في أدب العراق الحديث دور الأدباء الشيعة، ١٩٠٠–١٩٥٨م، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٩، ص١٣٢.

(٣٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٦٣؛ ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ، ج ٥، ص١٠٩.

(٣٧)حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي (ت١٥٩هـ / ٧٧٦م) شغل إمارة مصر سنة ١٤٣هـ / ٧٦٠م، ثم تولى إمارة الجزيرة. وقاد حملات عسكرية إلى أرمينية سنة ١٤٨هـ / ٧٦٥م وكابل سنة ١٥٢هـ / ٧٦٩م، ثم عُيّن أميرًا على خراسان حيث أقام حتى وفاته. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٤٣.

(٣٨) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٩٥.

(٣٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٤٢.

(٤٠) العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م ، ص ٥٣–٥٤.

(٤١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ١٣٠.

(٤٢) المدور، جميل نخلة، حضارة الإسلام في دار السلام، مصر، ١٩٣٢م، ص ١٤٥.
(٤٣) تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٢، ص٤٠٤.
(٤٤) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح ودراسة محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج٩، ص٨٨.
(٤٥) المصدر نفسه.
(٤٦) المنتظم، ج٩، ص٨٨.
(٤٧) أبو عبد الله يعقوب بن داود بن عمر السلمي بالولاء (ت ١٨٧ هـ/ ٨٠٣م) كان من كبار الوزراء وكتاب الدولة. شارك مع إبراهيم الإمام في البصرة، وبعد مقتل الأخير سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م سُجن يعقوب وأُفرج عنه بعد وفاة المنصور. تقرب من الخليفة المهدي فارتفعت مكانته، حتى صدر مرسوم يقرّ أخوة المهدي له، واستوزره سنة ١٦٣هـ/٧٨٠م، فأصبح مؤثرًا في شؤون الدولة. وامتدحته الأشعار وكثر حساده، ووردت إليه الوشايات بسبب صلته السابقة بالعلويين. وحين اختبره المهدي بأن طلب منه قتل شخص من العلويين، اكتفى يعقوب بإرسال رجاله مع مال للمعني وأمرهم بالرحيل والاختفاء، وعندما سأل المهدي عنه قال يعقوب إنه مات، فاعترف المهدي بالكذب وغضب، فعُزل يعقوب سنة ١٦٧هـ/٧٨٤م وحُبس في «المطبق» وصودرت أمواله. استمر سجنه خمس سنوات وشهور حتى ولاية هارون الرشيد، فأُخرج سنة ١٧٥هـ/٧٩٢م، فأقام بمكة حتى وفاته. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص١٩؛ الذهبي، السير، ج٨، ص٣٤٦.
(٤٨) الطبري، تاريخ، ج٨، ص ١٥٩.
(٤٩) الشيال، جمال الدين، تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٦٢.
(٥٠) أبو عبد الله الحسين بن علي، المعروف بالمثلث (ت١٦٩هـ/٧٨٥م)، كان شريفًا شجاعًا وكريمًا. قصد المهدي العباسي وقدم له أربعين ألف دينار وزّعها على أهل بغداد والكوفة. ومع ذلك، دفعه غضبه من تصرفات الهادي إلى الخروج عليه في المدينة، وبايعه الناس على الكتاب والسنة للمرتضى من آل محمد. فأرسل الهادي بعض قواده للقضاء عليه، فاشتبك معهم وقُتل بمكة، ونُقل رأسه إلى الهادي الذي أبدى الحزن لوفاته. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٥٥٣–٥٥٤؛ الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٢٤٤.
(٥١) يبعد عن مكة مسافة ثلاثة أميال عبر فجاج مكة.. انظر: الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠، ص ٤٣٦.
(٥٢) ليلى هي مدينة تقع في شمال المغرب، بالقرب من مدينة طنجة، وتندرج ضمن المناطق الساحلية المطلة على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، وتتميز بموقعها الجغرافي الذي يجعلها قريبة من المراكز الحضرية الكبرى في شمال المغرب . انظر: الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ج٥، ص٣٨٤.
(٥٣) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ومراجعة: ج.س. كولان وإ.ليفي بروفنسال، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠م، ج١، ص٢١٠.
(٥٤) مدينة بالأندلس ضمن كورة جيان، تُنسب إليها باسم أوربي، وأوربة قبيلة بربرية تقيم قرب فاس. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٧٨.
(٥٥) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، ١٩٧٢، ص٢٠.
(٥٦) إقليم تامسنا يقع في بلاد المغرب. الحميري، الروض المعطار، ص١٢٩.
(٥٧) تادلة إقليم بالمغرب قرب تلمسان. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥.
(٥٨) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٠.
(٥٩) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢١.
(٦٠) المصدر نفسه.
(٦١) تلمسان، عاصمة المغرب الأوسط، تقع عند واد يُعرف بالمجمع، على منتصف الطريق بين مدينة مليانة وبداية بلاد تازة. تمتد على الطريق المؤدي إلى سجلماسة ووارگلان ومناطق أخرى في الصحراء. تعد هذه المدينة قديمة وعريقة. وتحتوي على آثار تشير إلى أنها كانت مركزًا ملكيًا لشعوب سابقة. الحميري، الروض المعطار، ص١٣٥.
(٦٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢١. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣.
(٦٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢١؛ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، ١٩٥٤، ج١، ص ١٤٢–١٤٣.
(٦٤) الشماخ اليمامي، مولى المهدي، ولاه المهدي إمارة مصر بعد نجاحه في القضاء على إدريس.. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٩٣.
(٦٥) الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٩٨–١٩٩.
(٦٦) تولى الأمين، ابن هارون الرشيد، الخلافة سنة ١٩٣هـ/٨٠٩م، ولم يمض وقت طويل حتى أعلن سنة ١٩٤هـ/٨١٠م إمارة ابنه موسى على المنابر. تصاعدت الخلافات بين أشقاء الرشيد، فأسقط الأمين سنة ١٩٥هـ/٨١١م العملة الخاصة بالمأمون في خراسان،

وأطلق على ابنه موسى لقب «الناطق بالحق»، وعلى ابنه عبد الله لقب «القائم بالحق»، مع حذف اسم المأمون عن المنابر. وفي ذات السنة، اندلعت معارك بين جيوش الأمين والمأمون، ودُعي المأمون للخلافة سنة ١٩٦هـ/٨١٢م، فبدأت قواته بالانتصار حتى حاصر الأمين في بغداد سنة ١٩٧هـ/٨١٣م، حيث أُعدم في السنة التالية. انظر: ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص٣٨٤؛ الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٨٩؛ القضاعي، تاريخ القضاعي كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق: جميل عبد الله محمد المصري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٥، ص ٤٢٦.

(٦٧) محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب (١٧٣–١٩٩هـ / ٧٨٩–٨١٥م) كان يقيم في المدينة المنورة. خلال حج سنة ١٩٦هـ / ٨١٢م، واكب الحرب بين الأمين والمأمون، فاختفى خوفًا من الفتنة. حرضه نصر بن شبيب على الثورة ضد العباسيين، فدخل الكوفة وبايعه نحو ١٢٠ رجلاً، ثم توجه إلى الجزيرة والتقى بأبي السرايا فبايعه أيضاً. عاد إلى الكوفة وبايعه أهلها في جمادى الأولى سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م. توفي عن عمر ٢٦ سنة بعد مرض في الحاصرة، وذكرت بعض المصادر أنه قد يكون مات مسموماً، ودفن في الكوفة. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٣٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٠٩؛ الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٩٤.

(٦٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٥٢٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٧٣.

(٦٩) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ط٢ ، منشورات الشريف الراضي، قم، ١٤١٦هـ ، ص ٥٢٣.

(٧٠) السري بن منصور الشيباني (ت ٢٠٠هـ / ٨١٥م) ينتمي إلى نسل هانئ بن قبيصة، برز بشجاعته في أرمينية، وانضم لعسكر هرثمة بن أعين أثناء فتنة الأمين والمأمون. بعد مقتل الأمين، قاد نحو ٢٠٠ فارس واستولى على عين التمر، ثم انتقل إلى الأنبار والرقة حيث بايعه محمد بن إبراهيم ابن طباطبا. تولى قيادة الجند وسيطر على الكوفة وضرب فيها الدراهم، ثم توسع نفوذه ليشمل البصرة والمدائن وواسط، ووصل إلى اليمن والحجاز والأهواز. انتهت حياته على يد الحسن بن سهل، وأُرسل رأسه إلى المأمون وعُرضت جثته على جسر بغداد. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤، ص١٠٥٦–١٠٥٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٠٩؛ الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٨٢.

(٧١) كان طموحه الحصول على المنصب والسلطة، وعمل لمصلحته الشخصية، محاولًا تولي الإشراف على الشخصيات العلوية دون إخلاص أو وفاء تجاههم. انظر: ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق، ١٣٩٧هـ، ج٢، ص ٥٠٦.

(٧٢) الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩، ص٢٠٩–٢١٠.

(٧٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٥٢٩.

(٧٤) محمد بن الحسن، المعروف بـ«السليق»، رافق محمد بن الصادق إلى مكة، وكان من العلماء المحدثين وسيدًا، ووالدته تنتمي إلى الأمويين. العمري، المجدي في أنساب الطالبيين، ص٤١٣.

(٧٥) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٤٧.

(٧٦) ابن خياط، تاريخ، ص١٤٠.

(٧٧) المصدر نفسه.

(٧٨) المصدر نفسه.

(٧٩) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٨٨؛ الطبري، تاريخ، ج٨، ص٥٥٤؛ القضاعي، تاريخ، ص٤٣١.

(٨٠) مرو الشاهجان مدينة في خراسان، تُعرف أيضاً بأم خراسان. ويعكس اسمها بالفارسية معنى «مرح نفس الملك»، إذ تشير «مرو» إلى المرح، و«الشاه» إلى الملك، و«جان» إلى النفس. الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٢.

(٨١) المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تح مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٣هـ، ج٢، ص٢٥٩.

(٨٢) ابن خياط، تاريخ، ص١٤٠؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٤٨.

(٨٣) زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الطالبي شارك مع أبي السرايا في ثورته وتولى إمارة الأهواز، ثم ضم البصرة وأصبح عليها وكيلًا لأبي السرايا قبل أن يستقر فيها مع بداية حكم المأمون. عُرف بـ«زيد النار» لكثرة ما أحرقه من بيوت العباسيين وأتباعهم، كما كان يفرض عقوبات على أتباع المسودة ويأخذ أموال التجار. بعد وفاة أبي السرايا ونقل رأسه سنة ٢٠٠هـ/٨١٦م، حوصر زيد في البصرة فاستأمن وأُرسل إلى بغداد، حيث توفي في عهد الخليفة المستعين. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٧١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤، ص١٠٥٩.

(٨٤)إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الحسيني الطالبي العلوي (ت بعد ٢٢٢هـ/٨٣٧م) كان أحد أمراء العلويين ومقيمًا بمكة. أثناء ثورة أبي السرايا في العراق سنة ٢٠٠هـ/٨١٦م، اتجه إلى اليمن ودعا أهل صعدة للانضمام إلى ابن طباطبا، واستولى على اليمن بعد أن تنازل له واليها إسحاق بن موسى عن بعض المناطق. لُقّب بـ«الجزار» لكثرة ما أوقعه من قتلى في اليمن. عاد بعدها إلى مكة، واستولى عليها بالقوة وقتل أميرها يزيد بن حنظلة المخزومي، ثم عينه المأمون والياً على المدينة بعد أن جعل أخاه علي بن موسى الرضا ولياً للعهد. حج إبراهيم بالناس سنة ٢٢٢هـ/٨٣٧م، ويعد جد الشريفين الرضي والمرتضى. انظر: ابن خياط، تاريخ، ص١٤١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،

ج٤، ص١٠٥٩.
(٨٥) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٤٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٤.
(٨٦) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي الهاشمي، المعروف بـ«ابن شكلة» (١٦٢-٢٢٤هـ/٧٧٩-٨٣٩م)، شقيق هارون الرشيد، وُلد ونشأ في بغداد. عُيّن والياً على دمشق في عهد الرشيد، وعُزل ثم أعيد إليها ليقضي فيها أربع سنوات. مع خلافة المأمون، استغل النزاع بين الأمين والمأمون ليحث بعض أهل بغداد على مبايعته، فطالب المأمون بالقبض عليه، فاختفى ثم استسلم بعد أن أهدر دمه، وسُجن ستة أشهر قبل أن يُعفى عنه عقب اعتذاره. حكم بغداد مدة سنتين وخمسة وعشرين يوماً (٢٠٢-٢٠٤هـ/٨١٨-٨٢٠م)، وامتد نفوذه إلى الكوفة والسواد، بينما كان المأمون في خراسان. وبعد ست سنوات وأربعة أشهر وعشرة أيام من الاختفاء، قبض عليه المأمون سنة ٢١٠هـ/٨٢٦م، وتوفي في الخفاء، وصلى عليه الخليفة المعتصم. انظر: ابن خلكان، الوفيات، ج١، ص ٣٩-٤١؛ الذهبي، السير، ج١٠، ص٥٥٧- ٥٦٠.
(٨٧) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٥٥٥.
(٨٨) ابن خياط، تاريخ، ص٤٧٠؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٣٣٨.
(٨٩) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٥٥٧.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.
١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني ت (٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥م.
٢) الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
٣) الاسفرايني، أبو المظفر(ت٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)، التبصير في الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.
٤) الأصفهاني، أبو الفرج (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، مقاتل الطالبين، ط٢ ، منشورات الشريف الراضي، قم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٥) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦.
٦) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق ودراسة محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.
٧) ابن حبيب، أبو جعفر، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، المحبر، رواية: أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، اعتنت بتصحيحه: إيلزه ليختن شتيتر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن – الهند، ١٩٤٢م.
٨) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
٩) ابن أبي حديد (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، ط٢، دار الجيل ن بيروت ، ١٩٩٦م.
١٠) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
١١) الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠.
١٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
١٣) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر، ط٧، بيروت، ١٩٩٤م.
١٤) ابن خياط، خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر (ت٢٤٠هـ- ٨٥٤ م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم , دمشق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م.
١٥) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.
١٦) الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ، تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣.
١٧) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل(ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ١٩٩١م.
١٨) الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية،

الكويت، ١٩٦٥م.
١٩) الزبيري، نسب قريش، ط٣، تحقيق: يفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦م.
٢٠) ابن أبي زرع، علي الفاسي (٧٤١هـ/١٣٤١م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، ١٩٧٢م.
٢١) الشربيني، محمد الخطيب (ت٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، حققه وعلّق عليه: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
٢٢) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.
٢٣) ابن عذاري، أبو العباس أحمد المراكشي (ت بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان و إ.ليفي بروفنسال، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٤) العُمري، علي بن أبي الغنائم (٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، المجْدي في أنساب الطالبيين، ط٢، تحقيق: أحمد المهدوي الدامغاني، مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
٢٥) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال، بيروت، دت.
٢٦) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، القاموس المحيط، ط٨، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م.
٢٧) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.
٢٨) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٩) القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي (ت٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)، تاريخ القضاعي كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق: جميل عبد الله محمد المصري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٥م.
٣٠) ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، الجيزة– مصر، ١٩٩٧.
٣١) المزي، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج، تهذيب الكمال، تحقيق : بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠.
٣٢) المسعودي، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، إثبات الوصية، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٨م.
٣٣) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٣٤) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ /١٣١١م)، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٨٤م.
٣٥) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
٣٦) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، د.ت.

ثانياً: المراجع.

٣٧) البركي، محمد عميم الإحسان، قواعد الفقه، دار الصدف ببلشرز، كراتشي، ١٩٨٦م.
٣٨) الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، ط٢،، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩م.
٣٩) الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، ٢٠٠٢م.
٤٠) الشيال، جمال الدين، تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣م.
٤١) صادق، عبد الرضا، في أدب العراق الحديث دور الأدباء الشيعة، ١٩٠٠–١٩٥٨م، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٩م.
٤٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٤٣) العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.
٤٤) فوزي، فاروق عمر، العباسيون الأوائل، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٧٠م.
٤٥) المدور، جميل نخلة، حضارة الإسلام في دار السلام، مصر، ١٩٣٢م.

أثر وتبعات إنكار السُنَّة النبويَّة

الباحث: مالك عبد الحسين إبراهيم أ.م.د. حامد جويد عبد الحسن
جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية



المستخلص:

تُمثل السُنّة النبويّة الأصل الثاني الذي يلي القرآن الكريم رُتبة وأهميّة في المنظومة الفكرية والتشريعية الإسلامية؛ وذلك لمكانتها مِنَ التطبيق العملي لأحكام القرآن، إذ انَّها الشارحة، والمبيّنة، والكاشفة لمُراد الله تعالى في آيات القرآن الكريم، فيما تتضمّنه تلك الآيات مِنْ أحكام مُتنوعة تتناول جوانب التشريع المُختلفة المتعلّقة بالفرد، والمجتمع، مِن عقائد، وفقه، ومعاملات، وأخلاق، كما إنَّها تُمثل الموازنة العملية في فهم النُصوص القرآنية، لذا جرّ إنكارها لوازم، وأثر، وتبعات، مرتبطة بتلك الصُعد، بين وضع بدائل بعيدة عَن القصد الإلهي والنبوي، وبين التعطيل والتفريط بالمفاهيم الإسلامية وإفراغها من محتواها . وقد ألزم إنكار السُنّة النبوية؛ اعتماد مناهج وأساليب لتعويض الشرخ الحاصل من إنكارها وبما أنَّ ذلك ليس بالأمر اليسير لحق فقد استحكم التخبط والتشتت في اعتماد منهجية أو منظومة فكرية تستقيم والنص القرآني لدى أصحاب ذلك الاتجاه مما بهم إلى تناول المفاهيم الإسلامية خلافًا لأصولها من خلال ما تناولوه إزاء المواضيع المُختلفة التي تضمّنتها آيات القرآن الكريم .

الكلمات المفتاحية: الأثر، التبعات، السُنّة النبويّة، إنكار السُنّة

Abstract:

The Prophetic Sunnah represents the second primary source, following the Holy Qur'an in rank and significance within the Islamic intellectual and legislative framework. Its importance lies in being the practical application of Qur'anic rulings, serving as the interpreter, clarifier, and expositor of God Almighty's intent within the Qur'anic verses. These verses encompass a wide range of rulings that address different aspects of legislation related to the individual and society – covering matters of creed, jurisprudence, transactions, and ethics. The Sunnah also constitutes the practical balance in understanding Qur'anic texts. Therefore, denying it has led to consequences, implications, and repercussions connected to these domains: either by introducing alternatives far removed from the divine and prophetic intent, or by suspending and neglecting Islamic concepts, thereby emptying them of their true substance. The denial of the Prophetic Sunnah has also necessitated reliance on certain methodologies and approaches to compensate for the rupture caused by such rejection. However, since this is no simple task, confusion and inconsistency have prevailed among adherents of this trend in adopting a methodology or intellectual framework that harmonizes with the Qur'anic text. Consequently, they have dealt with Islamic concepts in ways contrary to their authentic foundations, as reflected in their treatment of various topics encompassed in the Qur'anic verses .

Keywords: impact, implications, Prophetic Sunnah, denial of Sunnah

المبحث الأول: الأثر والتبعات الفكريّة المترتبة على إنكار السُنّة النبويّة:

لمّا كان للسُنّة النبويّة أهميّة بالغة مِنَ النصّ القرآني تمثّل في محوريّتها مِنَ التبيين والتوضيح النبوي للمفاهيم القرآنية المختلفة، منها الجانب الفكري والعقدي؛ صار لتنحيتها وتحييدها أثرًا وتبعات خطيرة على الميزان الفكري والمنهجي للأمة الإسلامية؛ مما ألقى بظلاله على تفسير آيات القرآن الكريم وتقديم رؤية معاكسة ومخالفة لما بيّنه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

المطلب الأول: غياب المرجعية الفكريّة وتشتت المنهجيّة

لكل جماعة تلتزم اتجاه فكري معين، مُتبنيات وأسس تنطلق من خلالها لتبني تصوراتها وأفكارها عن المعارف والمفاهيم المختلفة، والتي يُفترض أنْ تكون مُنتظمة ولها معالم واضحة، إلا أنَّ بعض دعاة التجديد والقراءة المعاصرة ومُدّعي قراءة النصوص الدينية قراءة حديثة، يُصرحون بأنّهم لا يستندون إلى منظومة بعينها، بل إلى جملة من المفاهيم التي يُحتمل أن تتعارض وتتناقض فيما بينها، ويمكن التدليل من خلال ما صرّحوا به: « تجديد الفكر الديني الذي ندعو إليه لا يعتمد مرجعية أو منظومة فكرية واحدة: بل يستمد مصادره المعرفية مِنْ منظومات متعددة، مثل العالم، تنوع مناهج البحث العلمي، الأحداث المعاصرة، الظروف الدولية، والواقع الذي يعيشه الناس باختلاف الزمان والمكان؛ وهذا بدوره يستدعي بضرورة القبول بتعدد القراءات وتعدد مستوياتها»(١)، يرى أصحاب الاتجاه الإنكاري افتقار المسلمين لرؤية معرفية « عدم وجود نظرية إسلامية في المعرفة الإنسانية، مُصاغة صياغة حديثة مُعاصرة، ومستنبطة حصرًا من القرآن الكريم لتعطينا ما يسمى إسلامية المعرفة، بحيث تُعطي هذه النظرية منهجًا في التفكير العلمي لكل مسلم ... إنَّ غياب هذه النظرية، المصاغة صياغة معاصرة أدّى بالمسلمين إلى التفكك الفكري والتعصب المذهبي، واللجوء إلى مواقف فكرية أو سياسية تُراثية، مضى عليها مئات السنين»(٢)، إنَّ أصحاب الاتجاه الإنكاري لم يُقدموا نظرية أو منهجية واضحة المعالم إلا ما شخّصته بعض الدراسات: « يعتمد هذا الفكر على التناول المُباشر الظاهري للقرآن الكريم، والفهم الذاتي لآياته، دون التقيّد بقواعد، أو التفات لأصولٍ في التعامل مع القرآن الكريم»(٣)، مع ما زعموه مِنْ أنّهم أصحاب مشروع فكري يُنادي

بالعودة إلى القرآن الكريم وحده في أمور العقيدة، والشريعة، مع أنّهم اعتمدوا على بعض كتابات المستشرقين وأفكارهم، واجتزاء النصوص وبترها لتنسجم مع رؤيتهم وتأصيلهم وتناول القرآن تناولًا ذاتيًا، وتمييع الكثير مِنَ المفاهيم الإسلامية وإحلال العُرف والآراء الشخصيّة مكانها (٤) وكذلك تأثر الاتجاه الإنكاري بالحداثة وبعض مناهجها، « قام الحداثيون العرب والمسلمين بتطبيق التاريخية الغربية على التراث الإسلامي» (٥)، وكذلك مبدأ بشرية النص وإلهية المعنى القائل: « أنَّ هناك معنى وصل النبي الأكرم وهو قام بتبليغه بصياغته وألفاظه « (٦)، وهو ما يُفسره موقف الاتجاه الإنكاري من خلال أقوال وعبارات متبنيه:« القرآن الشريف والأحاديث النبوية مجموعة مبادئ خلقية وسلوكية مسببة، بحيث أنَّ أحكامها عرضة للتبدل بتبدل الأحوال والأسباب « (٧)، وايضًا: « إنَّ الدين هو ما احتواه كتاب الله وأنَّ أقوال الرسول الأخرى أو تقريره بما ليس في القرآن إنما هو نابع من بشر، ولا يمثل دين الله وكان يمكن أنْ يتناسى الناس كل ما صدر عن الرسول من أقوال وتصرفات وما حدث مِنْ أحداث مع الزمن، وإنْ تناقلوها مشافهة فستكون بالطريقة نفسها التي يتناقلون الأخبار التي تتحدث عمن سلف من البشر كتاريخ»(٨)، زاعمين أنَّ الأمة تعيش أزمة معرفية بحاجة إلى ما هو جديد : « إنَّ المسلمين في العصر الحاضر يعيشون أزمة فقهية حادّة، وهناك صيحات صادقة تقول أننا بحاجة إلى فقه جديد معاصر، وبحاجة إلى فهم معاصر للسُنة النبوية، وقد تم تشخيص هذه المشكلة، ولكن دون وضع حل لها، فإذا أردنا أن نخترق الفقه الإسلامي

الموروث الفقهاء الخمسة وجب علينا إعطاء البديل»(٩)، فها هم يعترفون بوجوب إعطاء البديل أي منهجية تقوم مقام ما يحاولون إقصائه من المنظومة الإسلامية أو تبقى أقوالهم مجرد تأملات وأفكار شخصية، « منهجية تقنين للفكر ودون هذا التقنين يتحول الفكر إلى تأملات وخطرات انتقائية قد تكون عبقرية ومشرقة جدا وذات جدوى في كثير من الأحيان وتصلح للمواعظ والمجادلة الحسنة ولكنها لا تكون منهجية فمنهجية الأفكار أو تقنينها بالمنهج تماثل حالة توليد القوانين من الطبيعة فإذا لم تستند أسلمة المعرفة

إلى منهج، إلى ضابط قانوني للفكر تتحول فعلا إلى خطرات تأملية انتقائية»(١٠)، ويمكن التطرُّق لمحاور تُمثل موازنة أو الحدّ الفاصل بين التصوّر الحداثوي والتصوّر الإسلامي في سياق نظرية المعرفة (١١)

١– مصادر المعرفة هي الكون والوحي معًا في التصوّر الإسلامي، وهي الكون والعقل بحسب التصوّر الحداثي؛ فالعقل مصدر مِنْ مصادر المعرفة عند الحداثيين، وأداة من أداوتها عند أصحاب التصوّر الإسلامي .

٢– يُمكن للعقل أنْ يستقل بنفسه عن موجّه خارجي في التصوّر الحداثي، ولكنّه يحتاج إلى ذلك الموجّه، وهو الوحي والغيب في التصوّر الإسلامي .

٣–القيم ثابتة وليست نسبية، والرؤية الكُليّة ذات بعدين؛ مادّي، وروحي، كما في التصور الإسلامي، أمّا في التصوّر الحداثي فالقيم نسبية، والرؤية الكلية ذات بُعد مادّي فحسب.

حاول الاتجاه الإنكاري التوفيق بين المنهجيتين الإسلامية والحداثية ينتقي منها متحرزًا التناقض وهو ما لم يستقم « إنَّ المنهجية لا تقبل التوفيق ولا التوسط، فهي قانون محدد لإنتاج الأفكار»(١٢)، لذا وبكل وضوح يمكن القول: « إنَّ مشروعات إعادة قراءة التُراث، أو الانتقاء منه لتأسيس عقلانية إسلامية على المنهج الحداثي بمعظمها، كانت قراءات لإزاحة التراث بوصفه عائقًا أمام إمرار الحداثة، وذلك بإيقاعه في تناقضات داخلية كفيلة بإزاحته، وكذلك؛ فإن مشروعات المزاوجة بين المناهج الحداثية والمناهج التُراثية أثبتت أنها تنتهي إلى طريق مسدود باعتبار التعارض في هذه المناهج التي تُعبّر عن رؤى فلسفية متقابلة ليس لها أنْ تجتمع إلا بعد أنْ تُجرّد من خصوصيتها التُراثية الذاتيّة:(١٣) .

المطلب الثاني: وسائل التفسير عند الاتجاه الإنكاري

يرفض مُنكرو السُنّة النبويّة الركون إلى أي مِنَ المناهج التفسيرية المُعتمدة عند عُلماء المسلمين قديمًا وحديثًا أو أي تفسير مِنَ التفاسير، « حيث أنَّ تاريخ الأمّة الثقافي، والحضاري، والفكري، والجهادي، والاجتهادي تمحور حول النصوص القرآنية، ولذا، ولقد ولدت اتجاهات مُختلفة في فهم النصوص القرآنية واستنباط المعاني منها، فمنهم استخدم المنهج الظاهري، وآخر استعمل المنهج الباطني، وآخر استعمل المنهج العقلي أو القياسي، والسواد الأعظم استعمل المنهج النقلي في تفسير القرآن، ومن ضِمنه التفسير بالأثر أو تفسير القرآن بالقرآن، تارة بعضهم يُعطون الأولوية للغة والبلاغة وتارة للجانب التاريخي أو القصصي»(١٤) وهو دأب المسلمين الأوائل في إرجاع أمورهم للقرآن والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخير مثال عنهم « إنَّ الإمام علي (عليه السلام) قد انحاز في إرجاع كُل أمرٍ إلى نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي»(١٥)، وأمّا منكرو السُنّة بالعادة اعتمدوا على آرائهم وفهمهم الخاص للنصوص القرآنية، « يرى القرآنيون عدم الأخذ بالتفاسير لأنّها في زعمهم ملينة بالأغاليط، والإسرائيليات، ويرون الاعتماد على الفهم الذاتي للقرآن دون حاجة إلى تفسير أو بيان من سُنة أو غيرها»(١٦)، رافعين شعار إنَّ القرآنَ لا يحتاج مَنْ يُبينه مُستندين بأقوالهم إلى آياتٍ قرآنيةٍ على فهمهم، مثال على ذلك قولهم: « بيان القرآن في داخل القرآن، القرآن كتابٌ مبين في ذاته يقول تعالى:(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ)(١٥٩:البَقَرَة):«كتاب الله هو الكتاب المبين بذاته، وآياته موصوفة بالبينات أي التي لا تحتاج في تبيينها إلا لمجرد القراءة والتلاوة والتفكُّر والتدبُّر

فيها»(١٧)، ومثله أيضًا: « كُل المطلوب منّا أنْ نتلوا القرآن، فإذا تلوناه؛ نطقت آياته البينات بنفسها، والتي لا تحتاج منّا إلا مجرد النطق وعدم الكتمان. لذا فإنَّ الله تعالى يجعل الكُتمان كتمان الآيات هو عكس التبيين... فَشَرَحَ تعالى تَبيين البشر للكتاب بأنّه عدم كتمانه، أي تلاوته وقراءته، ومتى تلونا الكتاب المبين نطقت آياته البينات لمن يريد تدبرها، والآيات التي

أولًا: الشُمول في القرآن الكريم

لا شك إنَّ القرآن الكريم شامل لكل ما تحتاجه الأمّة من أمور دينها ودُنياها، وأنَّ القرآن هو المصدر الأول والأساس للشريعة الإسلامية، « القرآن الكريم كتاب الحياة والأحياء فيه تتحقق مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، وقد وازن القرآن بين متطلبات الروح، والجسد، وبين متطلبات الدنيا، والآخرة بما يكفل للحياة استمرارها وديمومتها لبقاء الجنس البشري بما يحفظ له الحياة لتحقيق عبادة الله التي هي أساس وجود الإنسان» (١٨)، والقرآن الكريم نفسه قد أشار إلى مَنْ يضطلع بمهمّة تُبيين ذلك إلا أنَّ هناك مَنْ له رؤية مغايرة إذ « ينظر منكرو السُنّة النبويّة إلى القرآن الكريم على اعتبار أنّه الإسلام وحده؛ وهو أساس الشريعة الوحيد الذي قامت عليه أحكامه، فقد جاءت أحكامه شاملة لكل نواحي الحياة الدنيا والآخرة، مُفصلة لكل ما يحتاجه المؤمن في حياته، إنّه الركيزة الأساسية لبناء دين الله في الأرض»(١٩)، وأيضًا يرون « قد أنزل الله تعالى القرآن الشريف بلسان العرب، وخاطبهم فيه بما يعرفون وبما يفهمون. فهو وحي الله إليهم مباشرة وإلى العالمين بواسطتهم، وجميع ما فيه مفهوم لهم بدون احتياج إلى تفسير مُفسر أو تأويل مؤول. أمّا الأمم الأخرى التي تأخذ القرآن عن العرب، فلا بُد لهم منْ معرفة اللغة العربيّة معرفة تامّة، وكذا معرفة أحوال العرب وعاداتهم واصطلاحاتهم؛ حتّى يتيسّر لهم فهم القرآن على حقيقته، وهم غير محتاجين إلى معرفة شيء آخر من أحاديث، أو ناسخ أو منسوخ، أو قصص أو غير ذلك، وبالاختصار إنَّ العرب لا تحتاج إلى شيءٍ مطلقًا لفهم القرآن»(٢٠)، وأيضًا: « إنَّ التنزيل الحكيم هو الأصل الوحيد للتشريع الشُمولي والعالمي» (٢١)، وعندهم كذلك« إنَّ دولة الإسلام تقوم على ثلاثة مصادر للتشريع هي: القرآن الكريم، والشورى العامّة وبجردهم مما سمّوه الاجتهاد في استنباط الأحكام والتشريعات ونسبتها إلى دين الله، وما شابهها مما يُدعى الفتاوى. كما يُلغي أنْ يكون ما سمّاه الفقهاء بالحديث مصدرًا للتشريع في الإسلام ... وكل ما نُسب إلى الرسول من حديث، وإنْ ثبت عنه، لا يُمثل كلام الله ولا دين الله ولكنّه يُمثل كلام رسول الله الذي ليس له من أمر الإسلام ودولته شيء»(٢٢)، « إنَّ هدفهم من هذا الإقصاء لهذه المصادر المُجمع عليها بين المسلمين أنْ يُحلوا مصادر بشرية أخرى؛ تُخول لهم تشريع ما تهواه أنفسهم من المُحرّمات فنصبوا مصادر أخرى تقوم عليها الشريعة الإسلامية»(٢٣)، فلا اعتبار لمنهج التفسير الأثري، أو للأحاديث النبويّة في فهم الآيات القرآنيّة عند منكري السُنّة النبويّة منْ خلال تصريحهم: « وقد بَلَغَ الدس والحشو في التفاسير إنك لا تجد أصلا من أصول القرآن إلا وتجد بجانبه رواية موضوعة لهدمه وتبديله والمفسرون قد وضعوا هذا في كتبهم من حيث لا يشعرون»(٢٤)، وبهذا هُم يصرحون برفض وإنكار كل شيء تقريبًا ممكن الاستعانة به لتفسير وفهم القرآن الكريم، وبالتالي نكار كل ما يتمخض عن ذلك التفسير من فهم ومعرفة .

ثانيًا: الاعتماد على اللغة العربية

أحد المرتكزات التي يعتمدها المفسرون في فهم القرآن الكريم ودلالات آياته والفاظه هي اللغة العربية فقد نزل القرآن بلغة العرب، وهو ما اعتمده ايضًا منكرو السُنّة النبويّة بل اتخذوها أحد المرتكزات في تفسيراتهم، وأحد الحجج لإنكار المباني والمناهج الأخرى، وقد شخّصت الدراسات التي تناولت منكرو السُنّة أو القرآنيين ذلك، « أنهم يعتمدون في فهم القرآن وبيانه للناس على اللغة وحدها، حتّى في المفردات المنقولة أو التي خصصها الشرع،

فأصبحت عَلَمًا على أمرٍ معين، كالصلاة والطواف مثلًا ومنَ القرآنيين مَنْ صرّح بسلوك هذا المسلك ومنهم منْ سلكه دون تصريح « (٢٥)، ومن تأكيدهم على اللغة العربية وحدها كمصدر للتفسير قولهم: « يبحث المفسرون في غير القرآن أكثر منه في القرآن، ولو نظرنا في القرآن بعينٍ فاحصة لوجدنا بيانًا مفصلًا، إذ نجد في القرآن تفسير الحقائق وحلول المشاكل ومعاني الاصطلاحات، ولا يتأتى كل ذلك إلا بالتمكن من اللغة العربية، وكل من تعلم اللغة العربية يفهم القرآن بدون أنْ يحتاج إلى علمٍ آخر» (٢٦)

وشورى أهل الاختصاص والخبرة، وهذا يُلغي الصلاحيات التشريعية التي أوجدها الفقهاء لأنفسهم ومنهم مَنْ صرّح بشكل واضح باعتماده في مؤلفاته على اللغة كمنهجية وحيدة لفهم القرآن في ضوء سياق الآيات بقوله: « إنَّ كتابي هذا هو دراسة متواضعة للنص القرآني الحكيم بأسلوبٍ علمي ومحاولة لفهم النص القرآني في سياق الآيات نفسها، في ضوء اللغة العربية التي نزلت بها آيات هذا القرآن على لسان خاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» (٢٧)، وقد وضع محمد شحرور ما أسماها بالضوابط والقواعد للتأويل فيما يتعلق باستعمال اللغة. كتقييد اللسان العربي على أساس عدم الترادف، بل إنَّ اللفظة الواحدة يُمكن أنْ يكون لها أكثر من معنى مثل فعل أمر، وإنَّ الأصل هي المعاني وما الألفاظ إلا لتُظهرها انطلاقا من أنَّ الأساس عند العرب هي المعاني، مدعيًا إنَّه لا يُمكن فهم أي نص لُغوي إلا على ما يقتضيه العقل والمطابقة الموضوعية، مع ضرورة الخزين المعرفي فيما يخص اللغة وكل ما يتعلق بفقه اللغة (٢٨) .

ثالثًا: تفسير القرآن بالقرآن

« يُمثل القرآن الكريم المنظومة المتكاملة لحياة المسلمين يسيرون على وفق تعاليمه وأصوله، لذلك فهو يُمثل القيمة العُليا، وحُجَّة قائمة، وسلطة حاكمة وآمرة»(٢٩)، « نظرًا لأهمية القرآن الكريم التي تجلّت في آياته وشرائعه ومبادئه ولكونه مصدر التشريع الأول في الإسلام، ومعجزته الخالدة، فقد عدَّ علماء الإسلام ومفكروه تعلم القرآن الكريم وتعليمه الركن الأساس في البنية المعرفية الإسلامية»(٣٠)، لذا فإنَّ العودة إلى القرآن الكريم لفهم آياته من خلالها نفسها، أصلٌ متفق عليه بين جميع المسلمين، ولا يُتصور أنَّ هناك من يخالف في ذلك الأصل. وهو أيضًا مما قرره منكرو السُنَّة النبويّة إذ زعموا أنَّه أحد أصولهم ومناهجهم التي يرتكزون إليها في تفسير وفهم القرآن الكريم (٣١) ويمكن استعراض أبرز أقوالهم بهذا الخصوص « القرآن هو الذي يُفسّر نفسه كما أخبر الله، ولا يحتاج إلى شيء من الخارج غير الواقع الذي ينطبق عليه ويؤيده من سُنن الله في الكون ونظامه في الاجتماع»(٣٢) ورغم أنَّ هذا المنهج من المناهج الجليلة والممدوح استعمالهافي تفسير القرآن إلا أنَّ منكري السُنَّة لم يلتزموه منْ خلال تأكيد بعض الدراسات على محاور متعددة: (٣٣)

١- إنَّ رجال هذه الطائفة لم تلتزم المنهج الصحيح في تفسير القرآن بالقرآن، فإنَّ القوم اعتقدوا أفكارًا محددة في عقولهم مقدمًا وسعوا لتدعيمها بالآيات القرآنية .

٢- إنَّ تفسير القرآن بالقرآن ليس بالأمر السهل كما ظنّه هؤلاء القوم، بل هو مبني على فكر ثاقب، وعمق في التفكير، وإعمال العقل في آيات الله بتدبر ونظر فاحص، ولا يقدر عليه إلا الفحول من العلماء، فالقرآن قد اشتمل على الإطناب وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص .

٣- إنَّ هذه الأعمال التفسيرية التي قاموا بها هي في حقيقتها أبعد ما تكون عن تفسير القرآن بالقرآن .

٤- إن هذه الطريقة التي سلكها البعض منهم في تفسير القرآن بالقرآن، قدّمت صورة مشوهة عن تفسير القرآن بالقرآن بما طرحوه من تكلفات وصعوبات عند تفسير بعض الآيات، وتشتيت لذهن القارئ .

رابعًا: المنهج العقلي

لقد وهبنا الله تعالى العقل للاستدراك والتبصر ودعانا إلى التفكر والتدبر فقال:(كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ)(٣٤)، إذ التدبُّر في آيات القرآن أمر ممدوح نصّ عليه القرآن الكريم إلا إنّه ليس دعوة للقول في كتاب الله بالرأي والهوى. وقد شخّصت بعض الدراسات ما عُرف عن منكري السُنّة النبويّة من استغلالهم هذا المنهج خلافًا لعهدته السليمة « إنَّ من يطالع كتابات منكري السنة النبوية، ومدّعي القرآنية، وما قاموا به مِنْ تفسير للآيات القرآنية، يلحظ ملاحظة هامّة، وهي أنَّ القوم في تعاملهم مع كتاب الله تعالى لم يسلكوا الطريق المنهجي الصحيح، وذلك من خلال النظر في آيات القرآن ابتداءً والاعتماد عليها، واستنباط هداياتها، والاسترشاد بمدلولاتها، ولكنّهم جعلوا عقولهم هي الأساس وما

قررتهُ عقولهم بالاعتماد على خلفياتهم الفكرية هي الأصل، ومن ثم ذهبوا إلى القرآن يبحثونَ عَنْ أدلّة قُرآنية تدعم الأفكار التي وضعتها عقولهم مسبقًا»(٣٥)، وأيضًا « طغى المنهج العقلي في فكر القرآنيين، وتَرَكَ أثرًا بارزًا في تفسيرهم لآيات القرآن الكريم» (٣٦)، إذ يقول شحرور: « والقراءة المعاصرة لا تكتفي بصنوف التبرُّم من سطوة هذا العقل ومن عنفه الفكري والسياسي الضاغط على الإنسان، وتسعى بجد واجتهاد إلى إحداث خروقات حقيقية في بُنية هذا العقل وزحزحته بالنقد الحاسم، وذلك عن طريق تفكيك ونقد آليات فعل العقل السلفي، والمقصود هنا الاشتغال على تلك المفاهيم المؤسسة لوعي العقل الإسلامي بنيته الذاتية وعلاقاتها بمحيطها الواقعي والتاريخي « (٣٧)، وقوله أيضًا « وينبع إيماننا بمشروعية القراءة المعاصرة، من وعينا بالمردود الإيجابي الذي يمكن للعقل الإنساني أنْ يستخلصه منَ التنزيل الحكيم إذا تحرر منْ أسر الخوف من مساءلة الخطاب الإلهي ومن أغلال العبودية للتاريخ ومن إصر تقديس تجارب أقرانه من الناس»(٣٨) .

المطلب الثالث: نماذج تفسيرية لمنكري السُنّة النبويّة

ويمكن التطرّق إلى سردِ أمثلة حيّة مِن تفسيرات منكري السُنّة النبويّة القصد منْ خلالها، استعراض مسالكهم في تناول الآيات القرآنية بعد ما تم ذكره من أساليبهم، أو المناهج التي زعمُوا أنّهم سَلَوا منها طريقتهم في فهم وتأويل القرآن الكريم .

١- تأويل مفهوم ليلةُ القدر منْ قولِ الله تعالى:(إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ١)(٣٩)، يرى محمد شحرور إنّ ما يُفهم من ليلة القدر طابعًا زمانيًا ليس صحيح، بل وفق اللسان العربي تدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، يقال قدره كذا، أي نهايته، وبما أنَّ محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) هو خاتم الأنبياء، والقرآن هو خاتم النُبوات. وفي عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصل اللِّسان العربي إلى مرحلة اللِّسان العربي المُبين فوصل إنزال القرآن إلى مبلغه وغايته، وأمّا مفهوم الليلة فهي لا تعني الليل الاصطلاحي، فالليل موجود في كل المدن والمعنى لا يستقيم، والمعنى المقصود هو الظلام ومعناه، أنَّ اللوح المحفوظ والإمام المبين لا يخضعان لمفهوم الليل والنهار، فليلة القدر مصطلح يعني صدور أمر رب العالمين بإشهار القرآن الكريم بلسان عربي مبين (٤٠) .

٢- مفهوم أُولي الأمر في قولهِ تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ)(٤١)، وأيضًا قوله تعالى:(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ)(٤٢) فهناكَ مَنْ ذَهب في مفهوم أُولي الأمر بما نصّه: « فأولي الأمر هنا هم أصحاب الخبرة والشأن الذين يستطيعون الاستدلال على أنسب الخطط لمواجهة تحركات العدو والعمل على إفشال خططه والاستفادة من تحركاته، واختيار مكان المعركة ونحو ذلك، أي إنّهم أهل الاختصاص في تبنّي التشريعات المدنية»(٤٣)، كما يَرون إنَّ أُولي الأمر هُم العلماء وممثلو الهيئات الشعبية، وليس الأمراء كما جاء في الأحاديث (٤٤).

٣- مفردة الناس في مختلف الآيات القرآنية لا تعني عموم الناس، فمثلا قوله تعالى:(أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ

مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)(٤٥)، يذهب أحمد صبحي منصور إلى بعض الآيات التي وردت فيها لفظة الناس محاولًا تفسيرها بحسب السياق القرآني بقوله: « فبالنسبة لقوله تعالى:(وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)(النَّحل :) فإنَّ المقصود بكلمة الناس هو أهلُ الكتاب طالما تتحدث الآية عن الأنبياء السابقين وما أنزل الله عليهم من البينات والزبر، وأهل الذكر الذين لديهم علم بالكتب السماوية السابقة»(٤٦) .

٤- عبارة الصراط المستقيم في القرآن، يذكر أحمد صبحي الآيات القرآنية التي ورد فيها جملة الصراط المستقيم، زاعمًا أنَّ الصراط المستقيم هو القرآن الكريم، ولم يجعل للسياق القرآني نصيبًا في تأويله كما ادَّعى مراعاته في آيات أخرى، فيقول: « في الفاتحة ندعو الله تعالى فنقول:(ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ)(٦ الفَاتِحَة)، والصراط المستقيم هو القرآن الكريم يقول الله تعالى عن كتابه الكريم :(وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) ١٢٦ الأنعام :) (٤٧) .

٥- الآيات النافية لمعرفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للشعر، قولهم: « فعندما يقول تعالى:(وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ)(٤١ الحَاقَّة :)ويقول: وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ)(يس :) فهذا خبرٌ صادقٌ، ولكن أين أهميته وفائدته، وكل مَنْ عايش النبي على مدى أربعين عامًا، يعرف أنّه ليس بشاعر، نقول: الأهمية تكمُن في أنّه تعالى يُحذرنا مِنْ أنْ ننظر إلى التنزيل نظرتنا إلى الشعر، ومِنْ أنْ نتعامل مع آياته كما نتعامل مع الأبيات الشعريّة، فالشعرُ وهمٌ، أهله مع كل وادٍ يهيمون، والتنزيلُ واقع»(٤٨)

٦- نفي العصمة عن الأنبياء من خلال تأويلهم بعض الآيات، دون جمع الآيات كلها في الموضوع الواحد مثال ذلك « إذا ثبتت العصمة للرُسل في حدود رسالتهم كرسل، فهل تثبت للأنبياء في حدود نبوتهم ... نفهم تعرض الأنبياء للعتب الإلهي حين لا يُصيبون في اجتهادهم . كقوله تعالى لإبراهيم(أَوَلَمْ تُؤْمِن)(البَقَرَة :) وكقوله لنوح (إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ)(٤٦ :هُود)وقوله لموسى:(لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ) (النَّمل :) وقوله للنبي العربي (صلى الله عليه وآله وسلم)(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ)(التَّحريم :) وأما سحب العصمة ونُور النُبوة على الأئمّة والأولياء والعُلماء، فالعِصمة لَمْ تثبت للأنبياء أنفسهم فما بالك بورثتهم « (٤٩) .

٧- إباحة شحم الخنزير، هناكَ مِنْ مُنكري السُنّة، القرآنيون تحديدًا مَنْ تعرّض لقولِ الله تعالى:(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ)(المَائِدَة :)،فخرج بنتيجة، أنّه لم يُحرّم من الخنزير إلّا لحمه، ولا حُجّة بتحريم الشحم، زاعمًا أنّه لو أرادَ اللهُ تعالى تحريم الخنزير كلّه لحرّمه، وأنَّ اللّحم شيءٌ والشحم شيء آخر وأنّ الخنزير بهيمةٌ خُلقت لإنتاج الشحوم (٥٠) .

٨- الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل شيءٌ واحدٌ، اللهُ تعالى يقول لعيسى(وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَ المَائِدَة : ويقول تعالى عن عيسى:(وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ)(٤٨ آل عِمْرَان :)، فالكتاب والحكمة أوصاف للتوارة والإنجيل، ولا يعني ذلك أنّ الله تعالى علّم عيسى أربعة أشياء منفصلة مختلفة، والدليل هو قوله تعالى عن عيسى:(وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ)(الزُّخْرُف :)،فالحكمة هنا تعني الإنجيل الذي جاء به عيسى» (٥١) .

٩- نفي بعضهم تعدد الزوجات أو حصره بأربع، قال تعالى:(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟)(النِّسَاء٣) فهذه الآية ليست لتشريع تعدد الزوجات؛ لأنّها لا تقول تزوجوا بأربع، إلا إنّها تخاطب مَنْ أرادَ الزواج بيتيمة الأبوين وليس لها ولي، فليس له أنْ يستضعفها ويسلب مالها، أو لا يعطيها ما فَرَضَهُ اللهُ تعالى مِنْ حقوق، أو تزوج بما شئت مِنْ غيرِ اليتامى وبالعدد الذي ترغب، مثنى أو ثلاث أو رُباع أو أقل مِنْ ذلك أو أكثر (٥٢) كل ذلك التكلّف

سببه إنكار أنْ يكون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد فسّر شيئًا من القرآن، أو ذكَرَ حديثًا يوضّح فيه آيةً ما، وهو ما يُعلنه محمد شحرور صراحة بقوله: « إنَّ النبي لم يفسر القرآن إطلاقًا، ولو فسّره لقضى على نبوته وعالميته وخاتميته بنفسه، وإذا فتحتنا كُتب التفسير وجدنا فيها كل شيء ما عدا التفسير» (٥٣) كما إنَّ بعض منكري السُنَّة النبويَّة لا سيما القرآنيين، تعمّدوا قراءة مفردات القرآن قراءة مغايرة؛ مفسرينها تفسيرًا مغايرًا للتقليد والمشهور، قاصدين من ذلك تطوير أو إيجاد دلالات جديدة للألفاظ لأنه من المعلوم « إنَّ من أهم العوامل التي تؤدي إلى تطور الدلالة هي الحاجة إلى كلمة جديدة تُعبّر عن معنى جديد لم يكن معروفًا من قبل»(٥٤)، « وهكذا ببساطة يُريد القرآنيون إخضاع النص القرآني لفهمهم الذاتي الظاهري دون النظر في كتب المفسرين السابقين ولا اعتبار لمعاني اللُغة العربيّة ومرادفاتها وفق فهم العرب الذين نَزل القرآن بلغتهم « (٥٥) .

١٠- تفسيرهم لآيات أكل الربا مثل قوله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ) (٥٦) فيرى بعضهم إنَّ الله تعالى قد وضع سقفًا للفائدة يأخذها مستحقو الزكاة على شكل هبات دون مقابل، وأيضًا لا مانع من أنْ يضع المسلم ماله في تلك المصارف التي تتقيد بنوع من الشروط التي يرون منها أن لا تزيد الفائدة أكثر من الضعف فتدير ماله ويأخذ عليه الفوائد (٥٧) . وخلاصة القول سُجّل بحق الاتجاه الإنكاري بعمومه عدم الالتفات إلى السياق القرآني من موضع الآية القرآنية وما تسبقها أو تليها فضلا عن جمع وتدارس الآيات في الموضوع الواحد، فقد حرموا أنفسهم من الفهم النبوي وتوجيه وإرشاده (٥٨)، وبهذا يغلب على تفسيراتهم المنهج الذاتي والأفكار الاجتهادية التي لا تستند إلى أي حُجّة مِنَ المُمكن الركون إليها في إثبات تأويلهم للآيات، برغم ما أدّعوه مِنْ أهمية تفسير القرآن ببعضه، كما انحدروا حدّ الإفراط نحو المنهج العقلي دونما دليل، ناكرين على كثير من أهل التفسير والمناهج المختلفة ما يذهبون إليه، متجاهلين ما لها مِنْ أثر وفائدة في تلاقُح الأفكار .

الخاتمة:

وبأثر ذلك يتبيّن مدى خطورة تحييد وإنكار التوضيح النبوي بدعوى التزام القرآن الكريم وحده مصدرًا للتشريع، وما الذي يُمكن أنْ تتعرض له المفاهيم الإسلامية المتعددة من خلال ترك النصوص القرآنية عُرضة للمنهج الذاتي والعقلي والرأي والهوى؛ وما يُولد ذلك من تبعات تمس صميم الدين الإسلامي بصُعده المتعددة، من عقائد، وفقه، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق، إذا ما تُرك التبيين النبوي جانبًا وأستبدل عنه مناهج غريبة عن المنهج الإسلامي القائم على الوحي، مما يستدعي وقفات علمية فاعلة، تحمل على عاتقها مُعالجة تلك الظواهر وآثارها التي تظهر في المجتمع وأفعال المكلفين، حاملة شعار إنكار السُنَّة النبوية كمصدر تشريع إلى جانب القرآن الكريم تحت حُجج وأعذار واهية .

الهوامش

١- تجديد الفكر الديني دعوة لاستخدام العقل، احمد البغدادي، الطبعة الثانية، ص١٩ .

٢- الكتاب والقرآن، محمد شحرور، دار الأهالي، سورية – دمشق، ص٣١ .

٣- القرآنيون في مصر، عبد الرحمن محمد محمد يوسف، ص٣٤ .

٤- يُنظر: المصدر نفسه، ص٣٢ – ٣٣ .

٥- أثر الاستشراق في الفهم الخداثي، كاظم جواد الحكيم، ص٩٧ .

٦- المصدر نفسه، ١٠٧ .

٧- ثورة الإسلام، احمد زكي أبو شادي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص٦٣ .
٨- سنة الأولين، أبن قرناس، ص٥١٧ - ٥١٨ .
٩- الكتاب والقرآن، محمد شحرور، ص٣٢ .
١٠- منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، محمد أبو القاسم حاج حمد، دار الهادي، مركز دراسات فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد، ص٣٤
١١- منهجية التعامل مع السُنّة النبويّة في عالم ما بعد الحداثة، بحث: محمد أنس سرميني، ص١٠٧ . مجلة الفكر الإسلامي المُعاصر، العدد١٠١، ربيع١٤٤٠هـ - ٢٠٢١م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي .
١٢- منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، محمد أبو القاسم حاج حمد، ص٣٤ .
١٣- منهجية التعامل مع السُنّة النبويّة في عالم ما بعد الحداثة، محمد أنس سرميني، ص١٣٤ .
١٤- المنهج الاستنباطي باستخدام الجينيالوجيا في تفسير النصوص الدينية، بحث: علي عبد سفيح، ص١١٦، مجلّة الأستاذ العدد٢١٩ - المجلد الأول لسنة ٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ .
١٥- سياسة الإمام علي (عليه السلام) تجسيدًا للمنهج القرآني، بحث: فاضل لطف خضير و حامد جويد عبد الحسن، ص١١٥ . مجلة الأستاذ للعوم الإنسانية والاجتماعية . المجلد ٦٢ .العدد ٣ . الملحق ١ . لسنة ٢٠٢٣م .
١٦- القرآنيون في مصر، عبدالرحمن محمد محمد يوسف، ص٢٨٢ .
١٧- القرآن وكفى، احمد صبحي منصور، ص١٥
١٨- المصدر السابق، ص١٥ - ١٦ .
١٩- منظور القرآن والسنة التربوي للعمل المهني والحرفي، بحث: عبدالسلام درداح فالح عودات، ص ١٣٥، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٥٩ العدد٤ ،كانون الأول لسنة ٢٠٢٠م - ١٤٤٢هـ .
٢٠- القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير، جمال بن محمد بن أحمد هاجر، ص٤٦٦ .
٢١- حوار حول الإسلام هو القرآن وحده، محمد توفيق صدقي و رشيد رضا و طه البشري، تحقيق: هشام عبد العزيز، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص١٥٠ - ١٥١ .
٢٢- السُنّة الرسولية والسُنّة المحمدية، محمد شحرور، ص٨٨ .
٢٣- سنّة الأولين تحليل مواقف الناس من الدين وتعليلها، ابن قرناس، منشورات الجمل، العراق - المانيا، ٢٠٠٨، ص٣٣٨ .
٢٤- القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير، جمال بن محمد بن أحمد هاجر، ص٤٧٠ .
٢٥- الهداية والعرفان في تفسير القرآن(المقدمة) ، محمد أبو زيد، طبعة مصطفى الباب الحلبي ، ١٣٤٩هـ ، ص(ب ، ج) .
٢٦- القرآنيون وشبهاتهم حول السُنّة، خادم حسين الهي بخش، ص٢٧٥ .
٢٧- الاتجاه القرآني أو القرآنيون في تركيا، (بحث) محمد أزكور، ص٢٥٥ - ٢٥٦، مجلة المعرفة، العدد الخامس عشر، ماي (ايار) ٢٠٢٤م
٢٨- إنذار من السماء، نيازي عز الدين، دار الأهالي - دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص٢٩ .
٢٩- يُنظر: الكتاب والقرآن، محمد شحرور، ص١٩٦ .
٣٠- سُلطة الحجاج بالشاهد القرآني خطبة الزهراء ( )، بحث: فاطمة كريم رسن، ص٥١. مجلة الأستاذ، العدد ٢٢٢المجلد الأول ٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ .
٣١- دراسة في طرائق تدريس القرآن الكريم وأحكام تلاوته، بحث: عادلة علي ناجي السعدون، ص٦٦٣ . مجلة الأستاذ، العدد ٢٠٤، المجلد الأول ٢٠١٣ - ١٤٣٤ هـ .
٣٢- يُنظر: القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير، جمال بن محمد بن أحمد هاجر، ص٤٤٤ - ٤٤٥ .
٣٣- الهداية والعرفان في تفسير القرآن(المقدمة) : محمد أبو زيد، ص(ج)

٣٤- القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير، جمال بن محمد بن احمد هاجر، ص٤٥٠ – ٤٥١ .

٣٥- سورة ص : آية ٢٩ .

٣٦- القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير، جمال بن احمد بن محمد هاجر، ص٤٩٧ .

٣٧- المصدر نفسه، ص٤٩٨ .

٣٨- القصص القرآني قراءة معاصرة مدخل إلى القصص وقصة آدم، محمد شحرور، دار الساقي بالاشتراك مع مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ج١، ص٢٧ ٤٠- المصدر نفسه، ٢٧ .

٣٩- سورة القدر : آية ١ .

٤٠- يُنظر: الكتاب والقرآن، محمد شحرور، ص٢٠٥ – ٢٠٦ .

٤١- سورة النساء : آية ٥٩ .

٤٢- سورة النساء آية : ٨٣ .

٤٣- سنة الأولين، ابن قرناس، ص٩١ – ٩٢ .

٤٤- يُنظر: نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، فقه المرأة ، محمد شحرور، دار الأهالي ، سوريا – دمشق ، ٢٠٠٠م، ص١٩٩

٤٥- سورة النحل : آية ٤٤ .

٤٦- القرآن وكفى، احمد صبحي منصور، ص٢١

٤٧- المصدر نفسه، ص٢٣ .

٤٨- نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، فقه المرأة ، محمد شحرور، ص١٩٠ – ١٩١ .

٤٩- المصدر نفسه، ص٢٠٣ .

٥٠- يُنظر: منهج القرآنيين وأثره في استنباط الأحكام الفقهية، حسين فاضل محسن الحكيم، ص٦٥ .

٥١- القرآن وكفى، احمد صبحي منصور، ص٢٥ – ٢٦ .

٥٢- يُنظر: سُنة الأولين، ابن قرناس ص٧٥٠ .

٥٣- السنة الرسولية والسنة النبوية، محمد شحرور، ص٢٠٧ .

٥٤- المنهج الاستنباطي باستخدام الجينيالوجيا في تفسير النصوص الدينية، بحث: علي عبد سفيح،ص١٨٣، مجلة الأستاذ، العدد٢١٩ – المجلد الأول لسنة ٢٠١٦م – ١٤٣٧هـ .

٥٥- القرآنيون في مصر وموقف الإسلام منهم، عبد الرحمن محمد محمد يوسف، ص ٢٨٢ .

٥٦- سورة آل عمران : آية ١٣٠ .

٥٧- يُنظر: الكتاب والقرآن، محمد شحرور، ص٤٦٩ – ٢٧٠ .

٥٨- القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير، جمال بن محمد بن أحمد هاجر، ص ٨٠١ – ٨٠٢ .

المصادر:

القرآن الكريم

١- تجديد الفكر الديني دعوة لاستخدام العقل، أحمد البغدادي، الطبعة الثانية .

٢- الكتاب والقرآن، محمد شحرور، دار الأهالي، سورية – دمشق .

٣- القرآنيون في مصر وموقف الإسلام منهم، عبد الرحمن محمد محمد يوسف، دار البيان، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .

٤- أثر الاستشراق في الفهم الخدالي، كاظم جواد الحكيم، الطبعة الأولى، ١٤٤٣هـ – ٢٠٢١م، النجف – العراق، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية .

٥- ثورة الإسلام، احمد زكي أبو شادي، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان .

٦- منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، محمد أبو القاسم حاج حمد، دار الهادي، مركز دراسات فلسفة

الدين وعلم الكلام الجديد .
٧- منهجية التعامل مع السُنّة النبويّة في عالم ما بعد الحداثة، بحث: محمد أنس سرميني . مجلة الفكر الإسلامي المُعاصر، العدد١٠١، ربيع١٤٤٠هـ - ٢٠٢١م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي .
٨- نظرية المعرفة في سياقها التاريخي والعلمي، أيوب ناصر نعمة، الابستمولوجيا (مجلة نصف سنوية تعنى بنظرية المعرفة وفلسفة العلوم)، العدد الأول، السنة الأولى. جمادي الآخرة١٤٤٣هـ - شتاء ٢٠٢٢م. مؤسسة صاد الثقافية - النجف الأشرف .
٩- المنهج الاستنباطي باستخدام الجينيالوجيا في تفسير النصوص الدينية، بحث: علي عبد سفيح، مجلّة الأستاذ العدد٢١٩ - المجلد الأول لسنة ٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ .
١٠- القرآن وكفى مصدرًا للتشريع الإسلامي، احمد صبحي منصور، noor-book.com/kiexAnl .
١١- منظور القرآن والسنة التربوي للعمل المهني والحرفي، بحث: عبدالسلام درداح فالح عودات، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٥٩ العدد٤ ، كانون الأول لسنة ٢٠٢٠م - ١٤٤٢هـ .
١٢- القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير، جمال بن محمد بن احمد هاجر، دار التفسير، جدة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م .
١٣- حوار حول الإسلام هو القرآن وحده، محمد توفيق صدقي و رشيد رضا و طه البشري، تحقيق: هشام عبد العزيز، الطبعة الأولى، ٢٠١١ .
١٤- السُنّة الرسولية والسُنّة المحمديّة، محمد شحرور، دار الساقي، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م .
١٥- سنّة الأولين تحليل مواقف الناس من الدين وتعليلها، ابن قرناس، منشورات الجمل، العراق - المانيا، ٢٠٠٨ .
١٦- الهداية والعرفان في تفسير القرآن(المقدمة) ، محمد أبو زيد، طبعة مصطفى الباب الحلبي ، ١٣٤٩هـ ،
١٧- القرآنيون وشبهاتهم حول السُنّة، خادم حسين الهي بخش، مكتبة الصديق، الطائف - السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
١٨- الاتّجاه القرآني أو القرآنيون في تركيا، بحث: محمد أزكور، مجلة المعرفة، العدد الخامس عشر، ماي (ايار) ٢٠٢٤م
١٩- إنذار من السماء، نيازي عز الدين، دار الأهالي - دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م
٢٠- سُلطة الحجاج بالشاهد القرآني خطبة الزهراء ( )، بحث: فاطمة كريم رسن، مجلة الأستاذ، العدد ٢٢٢المجلد الأول ٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ .
٢١- دراسة في طرائق تدريس القرآن الكريم وأحكام تلاوته، بحث: عادلة علي ناجي السعدون، مجلة الأستاذ، العدد ٢٠٤، المجلد الأول ٢٠١٣ - ١٤٣٤ هـ .
٢٢ التعريفات، علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي(ت٨١٦هـ) الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، بيروت - لبنان .
٢٣- القصص القرآني قراءة معاصرة مدخل إلى القصص وقصة آدم، محمد شحرور، دار الساقي بالاشتراك مع مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م
٢٤- نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، فقه المرأة ، محمد شحرور، دار الأهالي، سوريا - دمشق، ٢٠٠٠م،
٢٥- منهج القرآنيين وأثره في استنباط الأحكام الفقهية، حسين فاضل محسن الحكيم، مجلة كلية الفقه - جامعة الكوفة، العراق. العدد: ٤٦ . المجلد:١ . السنة التاسعة عشرة . ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م .
٢٦- سياسة الإمام علي (عليه السلام) تجسيدًا للمنهج القرآني، بحث: فاضل لطف خضير و حامد جويد عبد الحسن، ص١١٥ . مجلة الأستاذ للعوم الإنسانية والاجتماعية . المجلد ٦٢ .العدد ٣ . الملحق ١ . لسنة ٢٠٢٣م .

البعد التربوي في نهج الإمام محمد بن علي الباقر(عليه السلام) «النشأة، النبوغ، التسامح»

م. حسين علاوي حاجي
وزارة التربية/المديرية العامة لتربية محافظة بغداد الرصافة الثالثة



المستخلص:

يعد هذا البحث دراسة أكاديمية قام بها الباحث والموسوم بـ(البعد التربوي في نهج الإمام الباقر (عليه السلام). لبيان أهمية الأثر التربوي والأخلاقي في علاقاته ومعاملاته إزاء المتغيرات التي تعصف بالأمة من اجل هديها إلى سبيل الرشاد فضلاً عما يتمتع به الإمام الباقر (عليه السلام) من عظيم الأخلاق خاصة وانه قد نشأ وترعرع في ظل اسرة تميزت بسمو أخلاقها لانها سلكت نهج القرآن الكريم وسنة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد قسمنا هذا البحث على ثلاثة محاور الأول (النسب الشريف والولادة الميمونة للإمام الباقر (عليه السلام) والثاني (الأسرة وأثرها في البناء التربوي) في حين تطرق المحور الثالث إلى (الدور التربوي للإمام الباقر في علاقاته ومعاملاته).

وكان من بين ابرز النتائج التي تم التوصل اليها في بحثنا هذا هي الآثار التربوية التي كانت واضحة في حياة الإمام الباقر (عليه السلام) حيث كان يمارس دوره الإنساني والأخلاقي في التصدي لظواهر الفساد والانحراف والتأكيد على الالتزام بالقيم العليا للدين الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: البعد التربوي ، نهج الإمام، النشأة ، النبوغ ، التسامح.

Abstract:

This research is an academic study conducted by the researcher, titled «The Educational Dimension in the Approach of Imam al-Baqir (peace be upon him)» (PBUH). This study aims to demonstrate the importance of educational and moral influence on his relationships and interactions with the changes sweeping the nation, in order to guide it to the path of righteousness. This study also highlights Imam al-Baqir›s (peace be upon him) great moral character, especially since he was raised and nurtured in a family distinguished by its sublime morals, following the path of the Holy Qur›an and the Sunnah of the Greatest Messenger (peace be upon him and his family).

We divided this research into three axes: the first, «The Noble Lineage and Blessed Birth of Imam al-Baqir (peace be upon him),» the second, «The Family and Its Impact on Educational Structure,» while the third axis addresses «The Educational Role of Imam al-Baqir in His Relationships and Interactions.» Among the most prominent results reached in this research were the educational effects that were evident in the life of Imam al-Baqir (peace be upon him), as he practiced his humanitarian and moral role in confronting the phenomena of corruption and deviation and emphasizing commitment to the supreme values of the Islamic religion.

Keywords: educational dimension, Imam›s approach, upbringing, genius, tolerance

المقدمة:

إن الحاجة إلى منهج تربوي سليم في اصوله واضح في مقوماته يعد ضرورة ملحة من ضرورات المنظومة التربوية لذا فان المنهج التربوي عند الإمام محمد بن علي بن الحسين الباقر (عليهما السلام) منهج واقعي في ادراك الحقائق لتمييز الحسن من القبيح في الاقوال والافعال.

فالإمام الباقر (عليه السلام) من اعلام الهدى فقد كان نبراساً مضيئاً في المثل والقيم العليا التي تمثلت بالحلم والصبر

والزهد والرأفة بالفقراء والبر بالناس والنصح لمن يتعظ فهو من الائمة المتقين ومن سادات العابدين ومن ابرز رجال الفكر والعلم فقد سلك طريق شأنه في ذلك اهل بيته ابتعد من خلاله عن مختلف التيارات السياسية والفكرية المضادة مع اخذ الإنسان نحو الصلاح والكمال فقد اوتي من عظيم الاخلاق والتجرد عن كل نزعة مادية فكان في سلوكه يمثل روح الإسلام فقد كان مشغولاً حيث ينفق لياليه ساهراً في الصلاة والمناجاة لله تعالى مبتعداً عن الدنيا بجميع زخارفها فأثر طاعته على كل شيء متجهاً نحو كل ما يقربه اليه زلفى فكانت سيرته تحاكي سيرة اباءه واجداده في جميع محطات حياتهم وقد عاش في ظل احكام تعسفية مقيدة لكل حركة وصوت معارض لأي سياسات خاطئة ولكنه ظل ثابتاً في ممارسة وأداء رسالته بمضامينها الإنسانية والأخلاقية التي محورها الانسان في كيفية بناءه وفق أسس الدين الإسلامي الحنيف وكيفية المحافظة عليه من كل ما قد يلحق به ضرراً ويأخذ به نحو متاهات تلك الدنيا الفانية فكان لا يكل ولا يمل عن ابداء الوعظ والنصح كي يسير به نحو ما يضمن سلامة دينه من معاصي الدنيا.

ويعود سبب اختيار هذا الموضوع إلى بيان الدور التربوي الذي سلكه الإمام الباقر (عليه السلام) والذي كان هدفه إشاعة مكارم الاخلاق والالتزام بمبادئ الإسلام والعمل على تقويم الواقع الفاسد.

اما من بين المشكلات التي اعترضت سبيل البحث فقد تمثلت بندرة المعلومات التي تناولت المنهج التربوي للإمام الباقر (عليه السلام)، وقد قسمنا البحث على ثلاث محاور تناول الأول (النسب الشريف والولادة الميمونة للإمام الباقر (عليه السلام) اما الثاني تطرق إلى (الأسرة واثرها في البناء التربوي) في حين تناول الثالث (الدور التربوي للإمام الباقر في علاقاته ومعاملاته)، ومن بين اهم المصادر التي اعتمدنا عليها في انجاز هذا البحث كتاب كشف الغمة في معرفة الائمة للأربلي (٦٥٢هـ/١٢٩٢م) وكتاب الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ (٨٥٥هـ/١٤٥١م).

المحور الأول:

النسب الشريف والولادة الميمونة:

محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) (ابن سعد، ١٤٠٣هـ١٩٧١م، صفحة ج٥/٣٢٠) (الذهبي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، صفحة ج٤/٤٠١) (ابن حجر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، صفحة ج٩/٣٠٣)، فهو هاشمي من هاشميين وعلوين من علويين (ابن الصباغ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، صفحة ٢٠٠)، وهو أول من اجتمعت له ولادة الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام) (الأمين، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، صفحة ج٤/٣٨)، فالأب هو سيد الساجدين وزين العابدين الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام)، من ألمع سادات المسلمين فقهاً وعلماً وتخرجاً في الدين (الطبري، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، صفحة ٩٤) ، فأن الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) قد نال خير الفضائل فعرف بزهده وتعبده فكان يقضي جل اوقاته في التقرب والتذلل من الله تعالى حتى سمي بخير الأسماء وتلك الخصال موروثة عن اباءه، وقد تخلى الإمام الباقر بكل ذلك.

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) كان ابي يقول في تضرعه أمي أمرتني لم ائتمر ونهيتني فلم انزجر فها انا عبدك بين يدك ولا اعتذر (الجوزي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، صفحة ج٢/٤٨) (الشبلنجي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، صفحة ١٣٠). وأما امه فهي السيدة الزكية الطاهرة فاطمة بنت الإمام الحسن بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) وتكنى ام عبد الله (اليعقوبي، د.ت، صفحة ج٢/٦٠) (ابن خلكان، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، صفحة ج٣/٣٨٤). وبذلك فأن الأم من خير النساء فهي العنصر الفاعل والصالح التي لها الأثر الكبير في بناء وصلاح الأبناء بالشكل الذي ينسجم مع نهج القرآن والسيرة النبوية.

وحسبها سمواً انها بضعة من ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانها نشأت في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه، فهي من سيدات نساء بني هاشم كما كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يسميها الصديقة(مبهمة) ويقول فيها الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) صديقة لم تدرك في آل الحسن مثلها (الكليني، ١٣٦٣هـ/١٩٨٤م، صفحة ج١/٤٦٩) (القرشي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، صفحة ج١/٢٠) وحسبها سمواً قد ضم مكارم الاخلاق بعد ان ارسو

اركانه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولد الإمام محمد بن علي (عليهما السلام) بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة (المفيد، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، صفحة ١٨٣) (الكنجي، ١٤٠٤هـ/١٩٩٢م، صفحة ٤٥٥) (ابن الصباغ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، صفحة ٢٠٢)، وكنيته أبو جعفر (الحصيبي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، صفحة ٢٣٧)، اما القابه فقد دلت على ملامح شخصيته العظيمة ونزعاته الرفيعة وهي الأمين (الطبري، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، صفحة ٢١٧)، والشاكر (الأربلي، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، صفحة ج٢/٣٢٩)، والهادي (الحصيبي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، صفحة ٢٣٧)، والباقر لأنه بقر العلم أي شقه فعرف اصله وعلم خفيه (القرشي ا.، ١٤١٢هـ/٢٠٠٠م، صفحة ٢١٣) (ابن عنبه، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، صفحة ١٨٣)، وايضاً التبقير التوسيع وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبى على الاحبل

(ابن طولون، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، صفحة ٨١)وبذلك فان الأصل الكريم والعرق الصالح له تأثير كبير وواضح على سلوكه الإنساني فهي تخلق في نفسه الاستعداد والقابلية للاتصاف بالمكارم والفضائل وتسهم في بناء شخصيته حيث تنعكس على جميع جوانبه الجسدية والنفسية والروحية؟

وقد اشرقت الدنيا بمولد الإمام الزكي والذي بشر به النبي (صلى الله عليه وآله) قبل ولادته وكان أهل البيت (عليهم السلام) ينتظرونه بفارغ الصبر (القرشي ب.، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، صفحة ج١/١٩)، وقال جابر بن عبد الله الانصاري قال: رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا جابر يوشك ان تلتحق بولد لي من ولد الحسين اسمه كاسمي فاقرأه عني السلام (ابن الصباغ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، صفحة ٢٠٠). وان بشارة الرسول (صلى الله عليه وآله) بقدومه وأيضاً تشريفه بسلام الرسول فانه تشريف عظيم فهو من البدء يوضح مكانة وعظمة الإمام الباقر (عليه السلام) فهو بمنزلة آباءه واجداده.

واما ملامحه الشريفة فقد كانت كملامح جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هيبته ووقاره وفي شمائله وشابهه في معالي أخلاقه التي امتاز بها (الكليني، ١٣٦٣هـ/١٩٨٤م، صفحة ج١/٤٦٩). واستقبل اهل البيت (عليهم السلام) بمزيد من الفرح الوليد المبارك وكان ابتهاجهم به اعظم ما يكون الابتهاج لانه اول مولود التقت به عناصر السبطين الحسن والحسين (عليهم السلام) حيث امتزجت به الأصول الكريمة (القرشي ب.، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، صفحة ج١/١٩).

فهو يتقلب ما بين أجل المكارم خير الفضائل حتى بزغ نجمه وتلألأ في ذلك البيت الذي يعد مطمح من يريد ان ينال الشرف العظيم والذكر الخالد ان يحظى بالانتماء اليه.

وقد أجريت له فور ولادته المراسيم الشرعية من الاذان والإقامة في اذنيه كما أجريت له بعض المراسيم الأخرى في اليوم السابع من ولادته من حلق رأسه والتصدق بزنة شعره على المساكين والعتق عنه بكبش والتصدق به على الفقراء (الطبري، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، صفحة ٩٤)، وكان (عليه السلام) في طفولته آية من آيات النبوغ والذكاء (الصدوق، د.ت، صفحة ج١/٢٣٤)، وهذا هو شأن أبناء بيت النبوة فهم ينفردون في تميز قدراتهم وامكانياتهم العقلية والجسمانية لذلك يتفوقون على غيرهم ولا يمكن يقارن بهم في أي خصلة من الخصال التي يتمتع بها أي إنسان.

وقد عاش مع جده الإمام الحسين (عليه السلام) أربع سنين وشهد واقعة كربلاء (دخيل، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، صفحة ج١/٣٣٥) وبقي بعد موت ابيه الإمام زين العابدين تسع عشر سنة (ابن الصباغ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، صفحة ٢٠٠) كان له سبعة أولاد الإمام جعفر الصادق ويكنى أبو عبد الله وعبد الله وامهما ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر وابراهيم وعبد ورجا امهما ام حكيم بنت اسد بن المغيرة الثقفية وعلي وزينب لام ولد وام سلمى لام ولد (الأربلي، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، صفحة ج٢/٦٧) ومضى الإمام محمد بن علي الباقر (عليهم السلام) وله من العمر سبع وخمسون سنة وهو عمر ابيه الإمام زين العابدين وايضا عمر جده الإمام الحسين (عليهم السلام) (الحصيبي،

١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، صفحة ٢٣٧) سنة مائة وأربعة عشر من الهجرة (الجوزي ا.، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، صفحة ١٣٣) (الكنجي، ١٤٠٤هـ/١٩٩٢م، صفحة ٤٥٥) (ابن عنبه، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، صفحة ١٧٥)، وسبحان الله حتماً يكمن وراء هذا التوافق من حكمة ربانية تتمثل في ان الثلاث حياتهم في نفس العمر الابن والأب والجد، وانتقالهم الى جوار ربهم وهم في سن الـ ٥٧ سنة.

المحور الثاني:

(أثر الأسرة في البناء التربوي):

نشأ الإمام الباقر (عليه السلام) في بيت الرسالة ومهبط الوحي ومصدر الاشعاع في دنيا الإسلام كان جده الإمام الحسين (عليه السلام) وابوه الإمام زين العابدين (عليه السلام) يغذيانه بالمثل الكريمة ويفيضان عليه ما استقر في نفسيهما من الخير والهدى ويعلمانه السلوك النير والاتجاه السليم ليكون قدوة لهذه الامة.

وعنى الإمام الحسين (عليه السلام) بتربية حفيده فافرغ عليه اشعة من روحه المقدسة التي أضاءت افاق هذا الكون يجلسه في حجره ويوسعه تقبيلا ويقول له (ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقرأك السلام) (ابن عساكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، صفحة ج٥١/٣٨) (الذهبي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، صفحة ج٤/٢٤١).

وهو تأكيد على عظمة مكانة الإمام الباقر من خلال نبوة الرسول (صلى الله عليه وآله) بولادته وكيف يحمل سبطه الحسين (عليه السلام) سلامه اليه وهذا يوضح جلالة قدره لأنه ليس طفلا عاديا لأنه نبتة مباركة سوف تنمو وتزدهر في طاعة الله تعالى.

عاش الإمام الباقر (عليه السلام) في كنف ابيه (٣٤) عاماً وقد لازمه وصاحبه طيلة هذه المدة فلم يفارقه وقد تأثر بهديه الذي يمثل هدي الأنبياء والمرسلين (القرشي ب.، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، صفحة ج١/٣٤)، والطفل في بداياته لا بد ان يكتسب من الذين حوله قليلاً من السلوكيات والفترة التي عاشها الإمام الباقر (عليه السلام) مع ابيه ابتداء من ولادته (عليه السلام) حتى وفاة ابيه في سنة خمس وسبعين للهجرة اكتسب فيها عن ابيه خصائصه ومميزاته من اب تميز بكثرة عبادته وسجوده كما وبرز على اخوانه في الزهد والسؤدد كان انبههم ذكراً واجلهم في العامة والخاصة واعظمهم قدراً.

وما ظهر في احد من أبناء الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام) من علم الدين والآثار والسنن وعلم القرآن وفنون الآداب ما ظهر عن الإمام الباقر (عليه السلام) (المفيد، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، صفحة ٢٧٩) (دخيل، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، صفحة ج١/٣١٨) (الدباغ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، الصفحات ١٣١-١٣٣)، فان الأسرة هي المحيط التربوي المسؤول عن اعداد وتنشئة الطفل للولوج في الحياة الاجتماعية فهي تؤثر في كل مراحل الحياة ايجاباً وسلباً وتسير به نحو مراتب السمو والرفعة.

وقد عرف الصحابة ما يتمتع به الإمام الباقر (عليه السلام) من نعومة اظافره من سعة الفضل والعلم الغزير فكانوا يرجعون اليه في المسائل التي لا يهتدون اليها لقد خص الله تعالى أئمة اهل البيت (عليهم السلام) بالعلم ووهبهم الكمال المطلق الذي يهبه لأنبيائه ورسله فكان كل فرد لا تخفى عليه أية مسألة تعرض عليه (القرشي ب.، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، صفحة ج١/٣٥)، فهو الحاضر الذاكر الخاشع من سلالة النبوة (الاصفهاني، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، صفحة ج٣/١٨٠).

كان تعليم الطفل معرفة ربه هي أولى خطوات التدين فأن معرفة الله سبحانه وتعالى هي السبيل الوحيد الواقعي لصيانة الطفل من الانحراف كما من اهم القيم التي يجب غرسها في الطفل.

وحياة الائمة (عليهم السلام) حلقات متصلة في العبادة وهي كلها لله وفي الله فهم أن فرغوا من صلاة بدأوا بالدعاء وان انتهوا من ورد صاروا إلى ذكر وليس العجب في ذلك بل العجب في ان عبادتهم (عليهم السلام) هي جانب واحد من جوانب حياتهم المتعددة فهناك مدارسهم القائمة ومحافلهم العلمية التي عن طريقها امتدوا بالإسلام ونشروا تعاليمه إلى جوانب أخرى لهم في توجيه الأمة وإصلاح المجتمع.

وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام) كان أبي كثير الذكر لقد كنت أمشي معه وانه ليذكر الله وآكل معه الطعام وانه

ليذكر الله ولقد كان يحث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لا إله إلا الله وكان يجمعنا الذكر (الأمين، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، صفحة ج٤/٤٨). وقال افلح: مولى الإمام الباقر (عليه السلام) خرجت معه حاجاً فلما دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته فقلت : بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك فلو رفقت بصوتك قليلاً فقال لي : ويحك يا أفلح ولما لا أبكي لعل الله ينظر إلي برحمته فافوز بها عنده غداً (دخيل، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، صفحة ج١/٣٤١). لقد فطر الإمام (عليه السلام) على حب الخير وصلة الناس وإدخال السرور عليهم فقد كان مع ما هو عليه من العلم والفضل والرئاسة والإمامة ظاهر الجود في الخاصة والعامة معروف بالفضل والإحسان (ابن الصباغ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، صفحة ٢٢٧).

فقد عرف الله معرفة استوعبت دخائل نفسه فأقبل على ربه بقلب منيب وأخلص في طاعته كاعظم ما يكون الإخلاص كما وزهد الإمام (عليه السلام) في جميع مباهج الدنيا واعرض عن زينتها فلم يتخذ الرياش في داره وانما كان يفرش في مجلسه حصيراً (ابو حنيفة، ١٣٢٢هـ/١٩٦٣م، صفحة ١٥٨).

وقد صبر على مكاره الدهر ونوائب الأيام ونجرع الخطوب التي تعجز عنها الكائنات في انتقاص السلطة لآبائه الطاهرين وإعلان سبهم على المنابر والمآذن وهو (عليه السلام) يسمع ذلك ولا يتمكن أن ينبس ببنت شفة قصير على كظم الغيظ وأوكل الأمر الى الله الحاكم بين عباده بالحق (القرشي ب.، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، صفحة ٤١٨).

المحور الثالث:

(الدور التربوي للإمام الباقر في علاقاته ومعاملاته):

كان جابر بن عبد الله الانصاري على شيخوخته يأتيه فيجلس بين يديه فيعلمه وقد بهر جابر من سعة علوم الإمام ومعارفه وهو يقول (يا باقر لقد اوتيت الحكم صبيا) (الصدوق، د.ت، صفحة ج١/٢٣٢).

فقد كانت معالي اخلاقه نفحة من روح يهتدي بها الحائر ويسترشد بها الضال وقد حاكى بهذه الظاهرة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي أمتاز على سائر النبيين فكان الإمام (عليه السلام) يقابل كل من اساء اليه بالعفو والصفح الجميل ويغدق عليه بره ومعروفه ليقلع من نفسه جذور البغي والاعتداء على الغير وهذه بعض البوادر التي أثرت عنه.

ومن الصور الرائعة والمدهشة عن سمو اخلاق الإمام (عليه السلام) ان شاميا كان يرتاد إلى مجلس يقيمه الإمام ويستمع إلى محاضراته وقد اعجب بها فاقبل يشتد نحو الإمام وقال له : يا محمد إنما اغشى مجلسك لا حباً مني إليك ولا أفول أن أحداً أبغض إلي منكم أهل البيت وأعلم أن طاعة الله تعالى وطاعة الحاكم الاموي في بغضكم ولكني أراك رجلاً فصيحاً لك أدب وحسن لفظ قائماً اختلف إليك لحسن أدبك فنظر اليه الإمام بعطف وحنان حتى استقام الرجل وتبين له الحق فبدلت حالته من البغض إلى الولاء للإمام وظل ملازماً له حتى حضرته الوفاة فأوصى أن يصلي عليه الإمام (المجلسي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

فهو ابن خير المدارس مدرسة العبادة والزهد وكظم الغيض فأبوه صاحب السجدة الطويلة لذا فأن أثار تلك الخصال قد بانت في بناء وتكون شخصيته.

ومن بين ما كان يعظ به (عليه السلام) الناس قوله : ما من عبادة افضل من عفة بطن وفرج وما من شيء احب الى الله من أن يسال ولا يدفع القضاء الا بالدعاء وان سرع الخير ثواباً البر واسرع الشر عقوبة البغي وكفى بالمرء عيباً ان يصر عن الناس ما يعمى عنه من نفسه وان يامر الناس بما لا يفعله وان ينهي الناس عما لا يستطيع التحول عنه وان يؤذي جليسه بما لا يعنيه (الدباغ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، الصفحات ٢١٤–٢١٥) ولو تتبعنا كلامه (عليه السلام) لوجدناه جامع لكثير من خصال المؤمن فهو يدعو إلى العفة وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز في أكثر من مورد ومكان من القرآن الكريم تدعونا إلى فعل الحلال الذي اباحة الله تعالى ونهانا عن ارتكاب المعاصي والمحرمات في الاقوال والافعال و جوارحنا وجوانحنا من كل ما يسخط رضا الله تعالى ومن ذلك قوله تعالى ((إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ))(سورة النساء، آية ١٠) وقوله تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ

نارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا))(سورة البقرة، آية ٢٧٥).

ذلك ان الدعوة إلى صلاح النفس واستقامتها ليست مجرد خطابات تلقي أو أفكار تطرح بل هي مسؤولية كبيرة مليئة بالمصاعب والمتاعب ومختلف المشاكل لانها تصدم بتيارات منحرفة وعقول فاسدة.

ومن اعظم الدروس في صبر الإمام (عليه السلام) وكظم غيظه انه كان جالساً مع أصحابه إذ سمع صيحة عالية في داره فاسرع اليه بعض مواليه فأسره بوفاة طفلاً له قد سقط من جارية كانت تحمله فقال (عليه السلام) : الحمد لله على كل ما أعطى وله وما اخذ وطلب في تجهزه وقال (عليه السلام)، قولوا لها لا ضير عليك فانت حرة لوجه الله لما تداخلك من الورع ثم اقبل غلامه فقال له : قد جهزناه فأمر أصحابه بالقيام معه للصلاة على ولده ودفنه (الجاحظ، ١٣٦٩هـ/١٩٤٨م، صفحة ج٣/١٥٧).

لقد تسلح الإمام (عليه السلام) بالصبر وفوض امره إلى الله تعالى مؤمنا بقدره وقضاءه فقابل ذلك بإرادة صلبة وايمان راسخ من غير ضجر ولا سأم وكل ذلك اختبار وامتحان حيث بقي لا يجتازه ويعبره سوى أولئك الذين تسلحوا بنهج القرآن وسنة رسوله.

كما انه كان يبجل الفقراء ويرفع من شأنهم لئلا يرى عليهم ذلة الحاجة وانه عهد لاهله إذا قصدهم سائل ان لا يقولوا له : يا سائل خذ هذا وانما يقولون له : يا عبد الله بورك فيك وقال سموهم بأحسن أسماؤهم وكان شغوفاً بعتق العبيد وانقاذهم من رق العبودية (ابن الحاجب، ١٣٧٩هـ/١٩٥٨م، صفحة ج٢/١٧٦).

وذلك ان اعانة الفقراء واكرامهم من النبل القيم التي دعا اليها أئمة أهل البيت لا من باب الشفقة فحسب بل من باب الواجب الإنساني وضرورة ان يكون تحقيق لمبدأ العدالة الاجتماعية ومن اعظم صور الاكرام ان لا يشعر المحتاج بضعفه او يهان لسؤاله.

وعن جابر الجعفي* (ابن حبان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، صفحة ج٤/٤٦٦) قال : قال لي محمد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) إني لمشتعل القلب قلت وما يشغل قلبك قال : يا جابر انه من دخل قلبه دين الله الخالص شغله عما سواه يا جابر ما الدنيا وما عسى ان تكون هل هي الا ركب ركبه او ثوب لبسته ام امرأة أصبتها يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا لزوالها ولم يأمنوا الأخرة لأهوالها وان اهل النفوس ايسر اهل الدنيا مؤونة واكثرهم معونة وان نسيت ذكروك، وان ذكرت اعانوك قوالين للحق قوامين بامر الله فاجعل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت منه او كمال اصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء واحفظ الله بما استرعاك من دينه وحكمته (ابن الصباغ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، صفحة ٢٠٢).

وبذلك فان الإمام (عليه السلام) لا يغتر بزخرف الدنيا وجمالها فانها إلى زوال وكل ما فيها فان ولا يبقى الا وجه الله ذو الجلال والاكرام وان الحياة لها طالبت فانها قصيرة في ميزان الاخرة ومهما عظمت فانها لا تعني شيء عند الله تعالى.

وحج الحاكم الاموي هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متكيا على يد مولى له ومحمد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) في المسجد فقال له : يا أمير المؤمنين هذا محمد بن علي بن الحسين قال : المفتون به أهل العراق؟ قال : نعم قال : اذهب اليه فقل له يقول لك أمير المؤمنين : ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟ فقال له الإمام (عليه السلام) يحشر الناس على أرض مثل قرص نقي فيها انهار متفرقة يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب قال : فرأى هشام انه قد ظفر به فقال : الله اكبر اذهب اليه فقل له : ما اشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ؟ فقال له الإمام (عليه السلام) هم في النار اشغل (الأربلي، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، صفحة ج٢/٦٦٦). وقد قال الله تعالى ((أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ)) (سورة الأعراف، آية ٥٠) فسكت هشام ولا يستطيع الرد (الأربلي، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، صفحة ج٢/٦٦٦).

كم كانت نوايا هشام بن عبد الملك واضحة في احراج الإمام واظهار عجزه وان يحط من شانه ولكن هيهات ان ينال ذلك فأن أئمة اهل البيت هم اعلام الهدى وقدوة المتقين عرفوا بالعلم والحكمة وسائر صفات الكمال.

ومن وصية له (عليه السلام) للخليفة عمر بن عبد العزيز لما دخل له الإمام الباقر (عليه السلام) : انما الدنيا سوق من الأسواق يبتاع فيها الناس ما ينفعهم وما يضرهم وكم قوم اتباعوا ما ضرهم فلم يصبحوا حتى اتاهم الموت فخرجوا من الدنيا ملومين لما لم يأخذوا ما ينفعهم في الاخرة فقسم ما جمعوا لمن لم يحمدهم وصاروا إلى من لا يعذرهم فنحن والله حقيقيون ان ننظر الى تلك الاعمال التي نتخوف عليهم منها فكف عنها واتق الله واجعل في نفسك اثنتين انظر إلى ما تحب ان يكون معك إذا قدمت على ربك فأرمه ورائك ولا ترغبن في سلعة بارت على من كان قبلك فترجوا ان يجوز عنك وافتح الأبواب وسهل الحجاب وانصف المظلوم ورد الظالم (الصدوق ا.، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، صفحة ١٠٥) (ابن شهراشوب، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، صفحة ج٢/٢٩٣).

اعتقد ان وصية الإمام (عليه السلام) هذه تعد منهاج عمل حقيقي للسير به في زمن كثرت فيه المظالم وصمت فيه الكثير عن قول الحق لانه لا بد من نصرة المظلوم فهي بمثابة واجب شرعي واخلاقي كما أشار على وضاعة الدنيا التي لا قيمة لها تكر حيث وصفها بانها عبارة عن سوق فيجب ان يأخذ منها الإنسان ما ينفعه لاخرته.

وكذلك من وصيته أيضاً (عليه السلام) لبني هاشم اهله فقد قال (عليه السلام) : اتقوا الله شيعة آل محمد وكونوا النمرقة الوسطى يرجع إليكم الغالي ويلحق بكم التالي قالوا له :

وما الغالي

قال : الذي يقول فينا ما لا نقوله في انفسنا.

قالوا : فما التالي

قال : الذي يطلب الخير فيزيد به خيراً والله ما بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله من حجة ولا نقترب اليه ألا بالطاعة فمن كان منكم مطيعاً لله يعمل بطاعته نفعته ولايتنا اهل البيت ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا (المجلسي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، الصفحات ج١٧/١٧-١٦٨)، كما سئل (عليه السلام) في النجاة غدا قال : انما النجاة في ان لا تخادعوا الله فيخدعكم فانه من يخادع الله يخدعه ويخلع الله منه الايمان ونفسه يخدع لو يشعر قيل له : كيف يخادع الله فقال : يعمل بما أمر الله عز وجل به ثم يريد به غيره فاتقوا الله والرياء فانه شرك بالله عز وجل ان المراني يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك وبطل اجرك فالتمس اجرك ولا خلاق لك يوم ممن كنت تعمل له (دخيل، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، صفحة ٣٧٤).

وبذلك فان الإمام (عليه السلام) يرى وكلامه عين الصواب بان النجاة في الطاعة الله والعمل باوامره ونواهيه وان يكون صادقاً ومخلصاً مع الله ومع نفسه المخادع مطلع الله على خفاياه وما ايمانه الا نفاقا كما يحذر من الرياء الذي طاهره الطاعة الذي يغتر بدح وثناء الناس لكنه منبوذ عند الله لان عمله لم يكن له بل كان للخلق.

الخاتمة:

١- النسب الشريف للإمام الباقر (عليه السلام) فهو هاشمي من هاشميين وعلوي من علويين حيث اجتمعت له ولادة الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام).

٢- النشأة الفريدة في بيت كان مهبط الوحي والتنزيل حيث منه تخرج الفضائل التي انفردوا بها عمن سواهم.

٣- البناء السليم للأسرة في ضوء دائرة تكاملية بدءاً من الاب الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) الذي تميز بكثرة عبادته وطول سجوده فكان ينهل عليه من ثمير أدبه وعلومه.

٤- الزهد والتواضع والحلم وغيرها من اسمى الصفات التي تحلى بها الإمام الباقر (عليه السلام) فانها تدل انه لا قيمة للدنيا تذكر إلا بما يتركه الإنسان من أثر حسن.

٥- اخلاقه في كيفية التعامل مع من يبغضه ويحمل الحقد والكراهية اتجاهه بمنتهى الشفقة والتسامح.

٦- العلوم والمعارف التي كان يحملها الإمام الباقر (عليه السلام) في مجاراة خصومه ومناظرة من يحاول النيل من مكانته بين الناس.

٧- وصاياه للموالي والمعادي والتي تنصب على التحذير من مغبة الإصرار على ارتكاب المعاصي والاثام وبيان بان الدنيا لا قيمة لها.

المصادر والمراجع:

١- ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) ابن خلكان. (١٤١٥هـ/١٩٩٤م). وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان. (تح : احسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.

٢- ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) الجوزي. (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م). صفوة الصفوة (المجلد ط٢). (تح : محمود فاخوري محمد رواس قلعةجي، المحرر) بيروت: دار المعرفة.

٣- ابو جعفر محمد بن علي (ت٥٨٨هـ/١١٨٨م) ابن شهراشوب. (١٤١١هـ/١٩٩٠م). مناقب آل أبي طالب (المجلد ط١). (تح : يوسف البقاعي، المحرر) بيروت: دار الاضواء.

٤- ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت٣١٨هـ/٩٩١م) الصدوق. (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م). الخصال. (تح : علي اكبر الغفاري، المحرر) طهران: دار الكتاب الاسلامي.

٥- أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت٣١٨هـ/٩٩١م) الصدوق. (د.ت). علل الشرايع (المجلد ط١). (تح : سين الاعلمي، المحرر) منشورات المكتبة الجعفرية.

٦- ابو عثمان بعمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م) الجاحظ. (١٣٦٩هـ/١٩٤٨م). البيان والتبيين (المجلد ط١). (تح : عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.

٧- ابو نعيم احمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ/١٠٠٥م) الاصفهاني. (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. بيروت: دار الكتب العلمية.

٨- ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م) الأربلي. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). كشف الغمة في معرفة الائمة (المجلد ط١). (تح : احمد الحسيني، المحرر) طهران: منشورات الشريف الرضي.

٩- ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) الجوزي. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). شذور العقود في تاريخ العهود (المجلد ط١). (تح: ابي الهيثم الشهبابي واحمد عبد الكريم نجيب، المحرر) منشورات مركز نجيبويه.

١٠- ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ/١١٧١م) ابن عساكر. (١٤١٥هـ/١٩٩٤م). تاريخ دمشق (المجلد ط١). بيروت: دار الفكر.

١١- ابي حاتم محمد بن احمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م) ابن حبان. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). الثقات (المجلد ط١). (تح : ابراهيم شمس الدين وتركي فرحان المصطفى، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢- ابي عبد الله الحسين بن حمدان (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م) الحصيبي. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). الهداية الكبرى (المجلد ط٢). بيروت: مؤسسة البلاغ.

١٣- ادريس بن الحسن بن عبد الله (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م) القرشي. (١٤١٢هـ/٢٠٠٠م). عيون الاخبار وفنون الأثار. (تح : مصطفى غالب، المحرر) دار الأندلس.

١٤- النعمان بن محمد(ت٣٦٣هـ/٩٧٤م) ابو حنيفة. (١٣٢٢هـ/١٩٦٣م). دعامي الاسلام. القاهرة: دار المعارف.

١٥- باقر شريف القرشي. (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م). حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام) (المجلد ط١). (تح : مهدي باقر القرشي، المحرر) النجف الأشرف: مطبعة الوردي.

١٦- شمس الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي بن حماروبه (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م) ابن طولون. (١٣٧٧هـ/١٩٥٨م). الأئمة الاثنا عشر. (تح ك صلاح الدين آل منجد، المحرر) بيروت: دار صادر.

١٧- شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) اللهبي. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). سير اعلام النبلاء. (تح : شعيب الارناؤوط وآخرون، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٨- شهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ابن حجر. (١٤١٥هـ/١٩٩٤م). تهذيب التهذيب (المجلد ط١). (تح : مصطفى عبد القادر عطا، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

١٩- علي بن محمد بن احمد المكي (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) ابن الصباغ. (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م). الفصول المهمة في معرفة الاحوال الائمة (عليهم السلام) (المجلد ط٢). بيروت: دار الاضواء.

٢٠- علي محمد علي دخيل. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م). المتنا (المجلد ط١). ايران: مؤسسة دار الكتب الاسلامي.
٢١- مال الدين احمد بن علي الحسيني (ت٨٣٨هـ/١٤٣٨م) ابن عنبه. (١٤١٧هـ/١٩٩٦م). عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب (المجلد ط١). قم: الصدر.
٢٢- محسن الأمين. (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). اعيان الشيعة (المجلد ط٢). بيروت: دار المعارف.
٢٣- محمد باقر بن محمد تقي مقصود علي (ت١١١١هـ/١٦٩٩م) المجلسي. (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). بحار الانوار (المجلد ط٢). بيروت: مؤسسة الوفاء.
٢٤- محمد بن جرير بن رستم (من أعلام القرن الرابع الهجري) الطبري. (١٤١٣هـ/١٩٩٣م). دلائل الإمامة (المجلد ط١). قم: مؤسسة البعثة.
٢٥- محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م) المفيد. (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م). الارشاد (المجلد ط٥). (تح : حسين الاعلمي، المحرر) بيروت: مؤسسة الاعلامي.
٢٦- محمد بن منيع الهاشمي البصري (ت٢٠٣هـ/٨١٨م) ابن سعد. (١٤٠٣هـ١٩٧١م). الطبقات الكبرى (المجلد ط١). (تح : محمد عبد القادر عطاء المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
٢٧- محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت٣٢٩هـ/٩٤١م) الكليني. (١٣٦٣هـ/١٩٨٤م). أصول الكافي. (تح : علي اكبر الغفاري، المحرر) طهران: دار الكتب الاسلامية.
٢٨- محمد بن يوسف الشبلنجي. (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م). نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار (المجلد ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.
٢٩- محمد بن يوسف بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت٢٩٢هـ/٩٠٣م) اليعقوبي. (د.ت). تاريخ اليعقوبي (المجلد ط١). (تح : خليل المنصور، المحرر) النجف الأشرف: مؤسسة العطار.
٣٠- محمد بن يوسف بن محمد القرشي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٧م) الكنجي. (١٤٠٤هـ/١٩٩٢م). كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب (عليه السلام) (المجلد ط٣). (تح : محمد هادي الاميني، المحرر) طهران: دار احياء تراث اهل البيت.
٣١- محمد رضا عباس محمد الدباغ. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). سيرة الائمة (المجلد ط١). ايران: قلم.
٣٢- نجم الدين ابي الفتح عثمان بن عمر بن ابي بكر (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) ابن الحاجب. (١٣٧٩هـ/١٩٥٨م). شافية ابي فراس (المجلد ط١). (تح : احمد محمد الجوفي، المحرر) القاهرة: دار الكتب المصرية.



الإمام الغريب القاسم بن موسى بن جعفر (عليهما السلام)

م. محسن رشك حمادي
وزارة التربية / المديرية العامة لتربية محافظة بغداد الرصافة



المستخلص:
يعد هذا البحث دراسة اكاديمية قام بها الباحث عن الإمام القاسم بن موسى بن جعفر (عليهما السلام) لبيان مدى تحمله آلام البعد وغصة الغربة وحجم التحديات التي واجهها فضلا عما تميز به من وقار وهيبة وحسن الخلق حتى كان موضوع اجلال واحترام أينما حل خاصة وانه من أعظم البيوتات نسباً ومنزلة ومقاماً حيث انها سارت بسيرة القرآن الكريم وسنة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) .
وقد قسمنا هذا البحث على ثلاث فكان المحاور الأول (الولادة والنسب الشريف) أما المحور الثاني فهو (المكانة العلمية لأسرته) في حين تناول المحور الثالث (هروبه إلى العراق ووفاته فيها).
ولعل من بين ابرز النتائج التي توصلنا اليها في بحثنا هذا هي سمو اخلاق القاسم (عليه السلام) وكرامة وعفة نفسه وان يكون نموذجاً فريداً كسائر اهل بيته في علمه وعبادته وايمانه وورعه.
الكلمات المفتاحية: الوقار ، العبادة ، الغربة

Abstract:
This research is an academic study conducted by the researcher on Imam Al-Qasim ibn Musa ibn Ja'far (peace be upon them). It aims to demonstrate the extent to which he endured the pain of separation and the anguish of exile, as well as the magnitude of the challenges he faced. Furthermore, it highlights his distinguished dignity, prestige, and good character, which earned him reverence and respect wherever he settled, especially since he belonged to one of the most distinguished families in terms of lineage, status, and position, following the example of the Holy Qur'an and the Sunnah of the Greatest Prophet (peace and blessings be upon him and his family).
We divided this research into three sections. The first section focused on his birth and noble lineage. The second section focused on the scholarly status of his family, while the third section addressed his escape to Iraq and his death there.
Perhaps among the most prominent findings we have reached in this mission is the sublime morals of Al-Qasim (peace be upon him), his dignity, and his chastity, and that he was a unique model, like all his family, in his knowledge, worship, faith, and piety.
Keywords: Dignity, Worship, Alienation

المقدمة:
ان قوما بهذا المقام والرفعة ولهم من السجايا والفضائل التي يعجز اللسان من ان يأتي بجزء منها فضلا من ان يأتي بأجمعها فلا يمكن لنا ان نقيس من هذا الا على نحو الوصف والمجاز وهذا الشخص العظيم القاسم (عليه السلام) سليل النبوة والإمامة وغصن بانع من ايكتها المعطاء الذي كان على مدى عمره بمستوى عال من حسن السيرة والسلوك، فهو من بيت افضل البيوتات مناقب وسوابق واعلمها بالكتاب والسنة وأكثرها اخلاصاً لله تعالى وعبادة له وجهاداً في سبيل دينه

، وان الغاية من البحث الكشف عن حقائق علمية قد غيبت فكان لزاماً ان نبين تلك الحقائق المغيبة من حياته، فحياة الإمام القاسم (عليه السلام) منذ ولادته وحتى وفاته كانت مليئة بالنبل والعطاء الفكري والأخلاقي، الامر الذي تطلب جهوداً مضاعفة لمواجهة شحة المعلومات وقلة المصادر وعدم توافر بحث متكامل يعطي صورة موضوعية شاملة لحياته (عليه السلام) ومن الجدير بالذكر ان من اهم أسباب اختيارنا لهذا الموضوع لبيان حياة الإمام القاسم (عليه السلام) وما تحلى به من مكارم الاخلاق ونشأته بين أحضان البيت النبوي الذي تميز علماً وعبادة وجهاداً وهروبه من ظلم وبطش وملاحقة السلطة الحاكمة وما عانى من آلام البعد والغربة وقد قسمنا البحث على ثلاث أوجه الأول الولادة والنسب الشريف أما الثاني المكانة العلمية لأسرته في حين تطرق الثالث إلى هروبه إلى العراق ووفاته فيها بعيداً عن اهله ولعل من اهم المصادر التي أسهمت في اغناء هذا البحث بالمعلومات المهمة كتاب عيون اخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق (ت٣٨١هـ/١٩٩٢م)، وكتاب عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب لابن عنبة (ت٨٣٨هـ/١٤٣٨م).

المحور الأول:

الولادة والنسب الشريف:

القاسم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق(ابن عنبة، ٣٨٣هـ/١٤٣٨م، ص١٧٨). بن محمد الباقر بن علي السجاد(الكليني، بلا تاريخ، ج١، ص٣١٤)؛ (الحائري، بلا تاريخ، ج١، ص١٧١)؛ (الطبري، ١٤٢٠هـ/١٩٩٧م، ص١٣٤). بن الحسين سيد الشهداء بن علي بن ابي طالب امير المؤمنين (عليهم السلام)(الاصفهاني، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص٧٨)، وامه السيدة الجليلة تكتم المكناة بأم البنين(ابن خلكان، بلا تاريخ، ج٥، ص٣١٠)، وبذلك فانه ينحدر من نسب عظيم يتصل بجده سيد الكائنات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي لا يمكن بأي حال من الأحوال ان يضاهيهم أياكان في نسبهم رفعة ومقاماً وسموا فهو من اسرة تعد من اشرف الاسر والتي انجبت سادات الدنيا حيث تميزت عن غيرها بما لها من الفضائل والمناقب التي انفردت بها.

حيث ان والده الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) هو الإمام السابع من أئمة اهل البيت حيث كانت ولادته في منطقة الابواء التي تبعد فراسخ قليلة عن المدينة المنورة وقد عاش الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) جزء من حياته في العصر الاموي واستمر به الحال إلى وفاة والده في أوائل العصر العباسي وهذه المدة كانت مشحونة بالاحداث السياسية والاجتماعية(القاسمي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٢٥)؛ (آل الطعان، بلا تاريخ، ج٢، ص٧٠)، وقد كان يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده وانه دخل مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسجد سجدة في أول الليل وهو يقول في سجوده عظم الذين عندي فليحسن العفو من عندك يا أهل النفوس ويا أهل المغفرة فيجعل يرددها حتى الصباح كما انه كان سخياً كريماً وكان يبلغه عن الرجل انه يؤذيه فيبعث اليه بصره فيها الف دينار وكان يصر الصرر ثلاث مائة دينار وأربعة مائة دينار ومائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة وكان مثل صرر موسى بن جعفر اذا جاءت الانسان الصرة فقد استغنى(المفيد، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٧٢).

في حين كانت ام القاسم من افضل النساء في عقلها ودينها واعظامها لمولاتها السيدة حميدة المصفاة والدة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) حتى انها ما جلست بين يديها منذ ان ملكتها اجلالا لها فقالت لابنها موسى (عليه السلام) يا بني ان تكتم جارية ما رأيت جارية قط افضل منها ولست اشك ان الله تعالى سيظهر نسلها إن كان لها نسل وقد وهبتها لك فاستوصيك خيرا بها(الصدوق، بلا تاريخ، ج١، ص٢٤)، فقد كانت كل امرأة تطمع في ان تنال ذلك الشرف وان تحظى بتلك المنزلة كي تصبح احدى سيدات هذا البيت العظيم وان تسير بسيرتهم وتأخذ مما يتحلون به من خير الصفات .

وان الايمان العميق الذي تملكه هذه السيدة الجليلة فتح لها افاقا واسعة لاستلهام الفضائل الجمة من بيت النبوة فكانت مثالا رائعا للمرأة الرسالية الصالحة فقد اقبلت على طاعة الله اقبالاً شديداً وتأثرت بسلوك زوجها الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وهذا ما ظهر جلياً في سلوكها الحياتي والبيتي وعلاقتها بوصفها اماً حنون على أولادها وان من مظاهر عبادتها انها لما ولدت الإمام الرضا (عليه السلام) قالت : اعينوني بمرضعة فقيل لها : أتقص الدر فقالت : ما اكذب والله

نقص الدر ولكن على ورد من صلواتي وتسبيحي وقد نقص منذ ولدت(القرشي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج١، ص٢٢).
وبذلك هكذا هو شأن النساء اللواتي حصلن شرف الانتماء والعيش في بيوت أبناء النبوة فيكون طابع التميز هو الغالب بعناوين العفة والوقار والحصانة والعزوف عن ملذات الدنيا وتكريس حياتها من اجل كل ما لديها عطاء وبذل.
وقد ولد للإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) سبعة وثلاثون ولداً ما بين ذكراً وأنثى(ابن الصباغ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٣٠)؛ (ابن عنبة، ٣٨٣هـ/١٤٣٨م ، ص١٧٨).
ومنهم علي الرضا وابراهيم والعباس والقاسم(اليعقوبي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٢، ص٢٩) ؛ (الاربلي، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ج٢، ص٧٦٤) وقد ولد الإمام القاسم سنة ١٥٠هـ(المفيد، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٢١٠).
وقد نشأ القاسم (عليه السلام) في بيت من اشرف البيوت جده الإمام جعفر الصادق وابنه الإمام موسى الكاظم (عليهم السلام) بيت النبوة والإمامة(القاسمي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م ، ص٥٤) وبذلك قطع الإمام القاسم شوطاً من طفولته وهو ناعم البال يغدق عليه ابوه من عطفه المستفيض وقد بدت في ملامح شكله سيماء الائمة الطاهرين من آبائه(الكفعمي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٩٠). وقد اصطفاهم الله عز وجل من بين خلقه جميعهم بالرسالة والإمامة وقيادة الامة ولله در ابي نؤاس عندما قال فيهم:

مطهر ومن نقيات جيوبهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه فماله في قدم الدهر نفتخر (الطبري، ١٤٢٠هـ/١٩٩٧م، ص١٣٤)

والإمام القاسم (عليه السلام) منذ بدايات حياته الميمونة صاحب مقام رفيع فهو فرع زاك من فروع الإمامة ونفحة قدسيه من نفحات النبوة في تقواه وصلاحه وان الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) كان يكن في نفسه اعظم الحب والود لولده القاسم لما يراه فيه من الهدى والصلاح وما يتمتع به من الفضل والقابليات الفذة فكان (عليه السلام) يثني عليه ويشيد به ويقدمه على سائر أبنائه ما عدا ولده الإمام الرضا (عليه السلام) (القرشي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج٢، ص٤٣٠).
حيث تدرج الإمام القاسم (عليه السلام) في طفولته وقد تربى في حجر الإسلام يغذيه الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بافكاره ويرشده إلى العادات الشريفة ويهديه إلى السلوك النير.
وقد امتاز في ظل تلك الأجواء بميزات كثيرة تندر في اقرانه مثل النباهة العالية والفكر العميق والعقل الرحب والإيمان الراسخ ولم يكن أمثال هذه المميزات توجد في زمانه الا عند المعصوم(الصدوق، بلا تاريخ، ج١، ص٢٤).
فانه بذلك قد نشا في أحضان ابيه الذي ما عرف التاريخ نظيراً له في ايمانه وتقواه وحلمه فساهم في بناء شخصيته واكتسابه لعادات تبقى ملازمة له طوال حياته وفي استقامة سلوكه وسلامته من الانحراف.

المحور الثاني:

المكانة العلمية لاسرته:

لقد ترعرع الإمام القاسم (عليه السلام) في خير البيوت بيت الرسالة والعلم والأخلاق والزهد والجهاد بيت جده الإمام جعفر الصادق وابيه الإمام موسى الكاظم (عليهما السلام) (الكفعمي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٩٠).
حيث ان الحالة العلمية في زمان الإمام الصادق (عليه السلام) قد بلغت أعلى اوجها في النهوض والتقدم والاتساع وهذا الاوج والنهوض وهو للجد المباشر للإمام القاسم (عليه السلام) والحقيقة ان مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) الفكرية قد انجبت خير المفكرين وصفوة الفلاسفة وجهابذة العلماء وإذا كانت هناك حقيقة يجب ان تقال فهي ان الحضارة الإسلامية والفكر العربي مدينان لهذه المدرسة الفكرية بالتطور والرقي والخلود(حيدر، بلا تاريخ ، ج١، ص٧١).
وما كان للكثير من العلماء ان ينالوا مراتب متقدمة وتسلط الأضواء على علومهم لانهم قد اخذوا اليسير اليسير من مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) التي كانت زاخرة بمختلف العلوم.
وقد أسس الإمام الصادق (عليه السلام) مدرسته الفكرية العملاقة في مطلع القرن الثاني الهجري ليجدد بها مدرسة جده

(صلى الله عليه وآله وسلم) التي قامت بالوظائف النبوية ورسمت المنهج الشامل المتكامل(سيد الاهل، ١٣٧٥هـ/١٩٥٤م، ص٤٩)، الذي قال فيه الله عز وجل في كتابه {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}(القرآن الكريم، سورة المائدة، آية ٣)، وكان كبار العلماء وطلبة العلوم على اختلافهم يترددون على مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) التي لم تختص بعلم دون علم اخر ولم تقتصر على منهج معين فكان كل وارد يجد عنده ما يطلب وكل سائل يأخذ عنه احسن الجواب(ديالمة، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م، ص٤٠٢).

وبذلك فان الإمام الصادق (عليه السلام) فجر ينابيع العلم والحكمة في الأرض وفتح للناس ابوابا وقد ملأ الدنيا بعلمه وعمل على ايقاظ الفكر البشري لان من اهم ما عني به الإسلام في رسالته المشرفة نشر الوعي وإشاعة العلم بين الناس لأنه فريضة دينية يتحتم على المسلمين القيام به لتطوير حياتهم.

وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) قطب الحرى لنشر العلوم وهي امتداد لابيه الإمام الصادق (عليه السلام) الذي ارسى بناء الحضارة الإسلامية ولاسيما تدوينها ونشرها فقد احتضن الإمام الكاظم (عليه السلام) كل طالب علم ولولاه لما استطاع العلماء من نقل العلوم المختلفة وبدأ (عليه السلام) بالقاء الدروس والمحاضرات ورواية الحديث والتفسير والعقائد والأخلاق والتربية(الامجد، ٢٠٠٣م، ص١٩).

فان الإسلام يؤمن بالعلم ويؤمن بقدراته الخلاقة في صنع الحضارة الإنسانية وقد اقام أئمة اهل البيت (عليه السلام) بدور إيجابي في بعث الحركة العلمية.

لذلك اتجهت جهود الإمام الكاظم (عليه السلام) في هذا المجال أي حركته العلمية إلى التخطيط الواعي لبناء كتلة ايمانية إيجابية ملتزمة مرتبطة بصراط اهل البيت (عليهم السلام) منهجاً وسلوكاً وذلك بتنمية وعيها وعقلنة عواطفها الجياشة فبدأ بحركة علمية نشيطة وواسعة(صالح، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٢٥).

حيث ان الإمام الكاظم (عليه السلام) ادرك من العلوم والمعارف في سنه المبكر بإدراكه أفكار كبار العلماء وعنى بدعوة المسلمين بالجد في تحصيل العلم والتفقه في الدين وان يبنوا حياتهم على أساس من الوعي العلمي.

فقال الإمام الكاظم (عليه السلام) تفقهوا في دين الله فان التفقه مفتاح البصيرة وتمام العبادة والسبب إلى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة في الدين والدنيا وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب ومن لم يتفقه في دينه لم يرضى الله له عملا(الحراني، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٣٠١).

ومما لا ريب فيه ان علاقة القاسم (عليه السلام) بالمدرسة الإسلامية الكبرى التي قادها ابيه الكاظم (عليه السلام) بعد جده هي علاقة جذرية إرثية وهي أكبر من علاقة تلميذ بمدرسه فكان فيها طالباً مجداً واستاذاً حاذقاً وعالماً متبحراً(القرشي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج١، ص٣٣).

وعند استقرار القاسم (عليه السلام) في مدينة سورا وفي احد احيائها فتح اول حلقات الدروس العلمية وفي احدى تلك الحلقات الدراسية تقدم اليه احد طلاب العلم فسأله مسألة دينية فأجابه ثم سأله طالب أخر فأجابه فرأى الطلاب ما أجاب به الإمام القاسم طبق مذهب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانوا يأخذون منه معالم دينهم وآداب دنياهم(الناصري، بلا تاريخ ، ص١٩٠).

ولا غرابة في ذلك فأنه من بيت قد نذروا حياتهم في نشر العلوم وحرصوا ان تكون كل اقوالهم وافعالهم تتوافق مع احكام القرآن الكريم وسنة جدهم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وان يرثوا من ابائهم واجدادهم ما ينفردون به عن سائر الناس خلقاً وخلقاً.

المحور الثالث:

هروبه إلى العراق

واجه أئمة اهل البيت (عليهم السلام) بشكل خاص والعلويين عامة، من ظلم العباسين وجورهم ما لا طاقة لبشر على تحمله والصبر عليه وبلغ الاضطهاد والظلم النفسي والجسدي اقصى حدوده مما اضطرهم إلى الهروب والنجاة بأنفسهم

من القتل حتى قيل في ذلك

تالله ما فعلت امية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس. (الحائري، بلا تاريخ، ج١، ص١٧١)

وكان من اشتداد غضب الخليفة العباسي هارون الرشيد انه قام بقطع الايدي وسمل الاعين وتتبع العلويين وقتلهم وارهابهم(القرشي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج٢، ص٤٣١)، حتى شردوهم في البلدان ومن جملتهم الإمام القاسم (عليه السلام) (الحائري، بلا تاريخ، ج١، ص١٠٢).

ويبدو ان الدول التي تعاقبت على حكم البلاد العربية كان من أولويات حكمها اخماد صوت الحق وقمع أي فكر مناهض لطغيانهم لذلك كان لبيوت الائمة الطاهرين الحصة الأكبر من ظلم الحكام بل ممارسة بحقهم ابشع أنواع القتل والتنكيل. لذلك فان القاسم (عليه السلام) نزح هارباً متخفياً من يثرب كاتما اسمه حتى لا يعرف(القرشي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج٢، ص٤٣١).

{فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} (القرآن الكريم، سورة القصص، آية ٢١)، خائفا على نفسه وقد كتم امره لئلا يعرفه احد وقد أحاطت به الهواجس وراودته الآلام القاسية التي جرت على اهله واسرته وكان اعظم ما يحز في نفسه ما حل بابيه الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) من الرزايا واعتقاله في ظلمات السجون وتشريد اخوانه(القرشي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج٢، ص٤٣١)، وخرج القاسم (عليه السلام) حتى وصل مدينة سورا بناحية الفرات وهي مدينة ذات سور وأسواق وبها عمارة كافية ونخيل واشجار وبساتين(الادريسي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج٢، ص٦٦٨).

وعندما وصل المدينة وجد بنتين تلعبان احدهما تقول للأخرى لا وحق الأمير صاحب بيعة يوم الغدير ما كان الامر كذا وكذا وتعتذر من الأخرى فلما رأى عذوبة منطقها قال لها من : تعنين بهذا الكلام قالت : اعني الضارب بالسيفين والطاعن بالرمحين أبا الحسن والحسين علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال لها : يا بنية هل لك ان ترشديني الى رئيس هذا الحي؟ قالت : نعم أنه ابي كبيرهم فمشت ومشى القاسم (عليه السلام) خلفها حتى وصلت الى بيتهم فاستقبله وضيفه رئيس الحي ثلاثة أيام بكل عز واحترام(الحائري، بلا تاريخ، ج٢، ص١٠٢) فلما كان اليوم الرابع دنا القاسم (عليه السلام) من الشيخ وقال له : يا شيخ انا سمعت ممن سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (ان الضيف ثلاثة أيام وما زاد على ذلك يأكل صدقة) (ابن حجر، ١٤٣٦هـ/٢٠١٦م، ج١، ص٥٤٩)، ذلك لم يرغب الإمام القاسم ان يكون ثقيلا ومملا وان يقيم عند رئيس الحي من دون أي فائدة او منفعة خاصة وان مدة الضيافة ثلاثة أيام فقط لذلك أراد ان يأكل من عرق جبينه وان ما يحصل عليه هو مقابل ما يقدمه من جهد.

لذا قال للشيخ اني اكره ان اكل الصدقة وأريد ان تختار لي عملا اشتغل فيه لئلا يكون ما اكله صدقة فقال له: اجعلني اسقي الماء في مجلسك فوافق الشيخ وبقي القاسم يمارس عمله حتى ذات ليلة خرج الشيخ في منتصف الليل لحاجة يقضيها فمر على القاسم فوجده صافا قدميه ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد فعظم ذلك في نفسه فجعل الله تعالى محبة القاسم في قلبه فلما كان الصباح جمع وجهاء عشيرته وقال لهم : اريد ان ازوج احدى بناتي من هذا العبد الصالح فما تقولن قالوا؟ نعم ما رأيت فزوجه من ابنته(الحائري، بلا تاريخ، ج٢، ص١٠٢).

وما كان الشيخ ان يزوجه ابنته وان ينعته بالعبد الصالح الا لما رآه فيه من سمات المؤمنين مما جعل الشيخ يحبه ويتعلق به وينال شرف القرب منه ان يعرض عليه ابنته للزواج، وبقي القاسم عندهم مدة من الزمان حتى رزقه الله تعالى من زوجته ابنة وصار لها من العمر ثلاث سنين وقد مرض القاسم (عليه السلام) مرضا شديداً حتى دنا اجله وتصرمت أيامه فجلس الشيخ عند رأسه يسأله عن اسمه ونسبه وقال له : يا ولدي لعلك هاشمي قال له : نعم انا ابن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) لطم الشيخ رأسه وهو يقول : وحياتي من ابيك الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال له: لا بأس عليك يا عم إنك أكرمتني يا عم فإذا انا مت فغسلني وحنطني وكفني وادفني واذا صار وقت موسم الحج اذهب انت وخذ معك زوجتي وابنتي فاذا فرغت من مناسك الحج اذهب حيث مدينة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) واسأل عن بيتنا هناك وانزل ابنتي عند باب البيت فليس فيها الا نساء كلهن ارامل(الحائري، بلا تاريخ، ج٢، ص١٠٢) وقد

قضى نحبه سنة ١٩٢هـ(الكليني، بلا تاريخ، ج١، ٣١٤)، أقام القاسم (عليه السلام) في مدينة سورا طيلة حياته القصيرة الأمد وهو يعاني الم الغربة والخوف من السلطة وقد نخر الحزن قلبه(القرشي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج٢، ص٤٣١) فانه عانى كثيرا ما بين بعده عن اهله وانقطاعه عنهم خوفا من السلطة الحاكمة وما بين فقده اباه واخوته وما جرى عليهم من الويلات حيث كان اضطهاد الحكام يلاحقهم.

وعمل الشيخ بتوصية القاسم (عليه السلام) فلما حان وقت الحج اخذ ابنته وحفيدته وبعد إتمام مناسك الحج اخذ حفيدته إلى بيت اباها القاسم وعندما طرقت الباب ودخلت اجتمعن حولها النساء وقلن لها من تكونين وأبنة من؟ فلم تجبهم الا بالبكاء والنحيب فعند ذلك خرجت ام القاسم فلما نظرت إلى شمائلها جعلت تبكي وتنادي واولداه واقسماه والله هذه يتمية ولدي القاسم قالت: انظرن الى شمائلها فإنها تشبه شمائل ولدي القاسم ثم اخبرتهم البنت بوقوف جدها وامها على الباب فدخلوا الى البيت وبعدها تمرضت ام الإمام القاسم ثلاثة أيام حتى فارقت الحياة(الحائري، بلا تاريخ، ج٢، ص١٠٣) اما مرقده الشريف فيقع في مدينة سورا والتي تعرف اليوم بناحية القاسم نسبة الى اسمه الشريف في محافظة بابل(حرز الدين، بلا تاريخ، ج٢، ص١٨٢).

فقد شاء الله تعالى ان تحتضن تلك البقعة المباركة جثمانه الطاهر ليبقى بها علماً تحفو له النفوس والقلوب والمشاعر من كل حدب وصوب.

الخاتمة:

١- النسب الشريف للإمام القاسم (عليه السلام) حيث الجد الإمام جعفر الصادق والأب الإمام موسى الكاظم (عليهما السلام) وامه السيدة الجليلة تكتم، وبذلك فانه ينحدر من نسب عظيم.

٢- النشأة في بيت من خير البيوتات وارفعها شأنا بيت النبوة والإمامة فكانت سيماء الأئمة الطاهرين من ابائه جلية في حياته.

٣- مقدار الحب والود الكبير الذي كان يكنه الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) لولده القاسم لما يتمتع به من الهدى والصلاح.

٤- البناء التربوي والعلمي للإمام القاسم وهو يتدرج في مدرسة جده الإمام الصادق (عليه السلام) وابيه الإمام الكاظم (عليه السلام) التي كانت زاخرة بمختلف العلوم والمعارف ومنها بزغ نجم الكثير من العلماء والفقهاء.

٥- علاقة الإمام القاسم بتلك النهضة الفكرية والعلمية لجده وأباه كانت علاقة جذرية وعميقة قد جعلت منه عالما متميزاً وفقهياً بارعاً وتوليه لحلقات الدروس العلمية لطلبة العلم.

٦- خروج القاسم (عليه السلام) من مدينة جده رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هارباً ومتخفياً من ملاحقة السلطة الحاكمة التي كانت تتعقبهم.

٧- استقراره في مدينة سورا والتي تعرف اليوم باسمه وهو يعاني من الغربة فارضاً نفسه بما يحمله من افضل الصفات فكان محط اعجاب ورضا جميع الناس.

٨- نيل رئيس الحي في مدينة سورا شرف الصلة والارتباط بالإمام القاسم (عليه السلام) من خلال تزويجه من ابنته ومكوثه فيها حتى قضى نحبه.

المصادر:

القرآن الكريم .

١- ابن الصباغ، علي بن محمد بن احمد المالكي (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م). (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، الفصول المهمة في معرفة الائمة، ط٢ ، بيروت : دار الأضواء.

٢- ابن حجر، شهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م). (١٤٣٦هـ/٢٠١٦م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت : دار الكتب العلمية.

٣- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٧٧م). (بلا تاريخ)، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تح : احسان عباس، بيروت : دار صادر.

٤- ابن عنبة، جمال الدين احمد بن علي الحسيني (ت٨٣٨هـ/١٤٣٨م). (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، ط١ ،قم .

٥- الادريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٥٦٠هـ/١١٦٠م). (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، بيروت : عالم الكتب.

٦- الاربلي، ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م). (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة ، تح: احمد الحسيني، ط١، قم : مطبعة شريعة.

٧- الاصفهاني ، ابي الفرج علي بن العباس (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م). (١٣٦٨هـ/١٩٤٩م)، مقاتل الطالبين، تح : احمد صقر، ط١، (القاهرة : دار احياء الكتب العربية.

٨- آل الطعان، احمد بن الشيخ صالح القطيفي. (بلا تاريخ)، وفاة الإمام الرضا (عليه السلام)، النجف الاشرف : المطبعة الحيدرية.

٩- الامجد، محمد سعيد. (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، الفكر الإصلاحي للإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، ط١، المركز الإسلامي المعاصر.

١٠- الخالري، محمد مهدي. (بلا تاريخ)، شجرة الطوبى، ط٢، قم : مطبعة شريعة.

١١- الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبه (من اعلام القرن الرابع الهجري). (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، تحف العقول عن آل الرسول، بيروت : مؤسسة الاعلمي.

١٢- حرز الدين، محمد. (بلا تاريخ)، مراقد المعارف، تح : محمد حسين حرز الدين، بيروت : دار المتعارف.

١٣- حياة الإمام، (بلا تاريخ). علي بن موسى الرضا (ع)، ط١، قم : مطبعة مهر.

١٤- دياحلة، حسناء. (١٤٣٠هـ/٢٠١٠م)، الفكر التربوي الإسلامي عند الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، ط١، بيروت : المكتبة العصرية.

١٥- سيد الاهل، عبد العزيز . (١٤٧٥هـ/١٩٥٤م)، جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، بيروت : دار الشرق.

١٦- صالح، نبيل علي . (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، الإمام موسى الكاظم ألق الفكرة واصالة الانتماء، الغدير للدراسات والنشر.

١٧- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/١٩٩٢م). (بلا تاريخ)، عيون اخبار الرضا (ع)، تح : حسين الاعلمي، بيروت : مؤسسة الاعلمي.

١٨- الطبري، محمد بن ابي القاسم (ت٥٢٥هـ/١١٢٥م). (١٤٢٠هـ/١٩٩٧م)، بشارة المصطفى، تح : جواد القيومي الاصفهاني، ط١ ، مؤسسة النشر الإسلامي.

١٩- القاسمي، إسكندر. (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، القاسم بن الإمام موسى بن جعفر (عليهم السلام)، ط١، بيروت : مؤسسة انوار المعرفة.

٢٠- القرشي، باقر شريف. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، حياة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، ط١، النجف الاشرف " مركز الأمير لاحياء التراث الإسلامي.

٢١- الكفعمي، إبراهيم بن علي (ت٩٠٥هـ/١٤٩٩م). (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، محاسبة النفس، ط١، قم : مؤسسة قائم آل محمد.

٢٢- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م). (بلا تاريخ)، أصول الكافي، ط١، قم : دار المرتضى للطباعة والنشر.

٢٣- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م). (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، الارشاد، تح : حسين الاعلمي، ط٥، بيروت : مؤسسة الاعلمي.

٢٤- الناصري، محمد علي البحراني. (بلا تاريخ)، القاسم بن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، البحرين : مكتبة العلوم.

الانحراف التشريعي اطارهُ التعريفي وموقف القوانين والقضاء الدستوري منهُ

م. سنبل عبد الجبار احمد
جامعة كركوك / كلية النباتات الطبية والصناعية

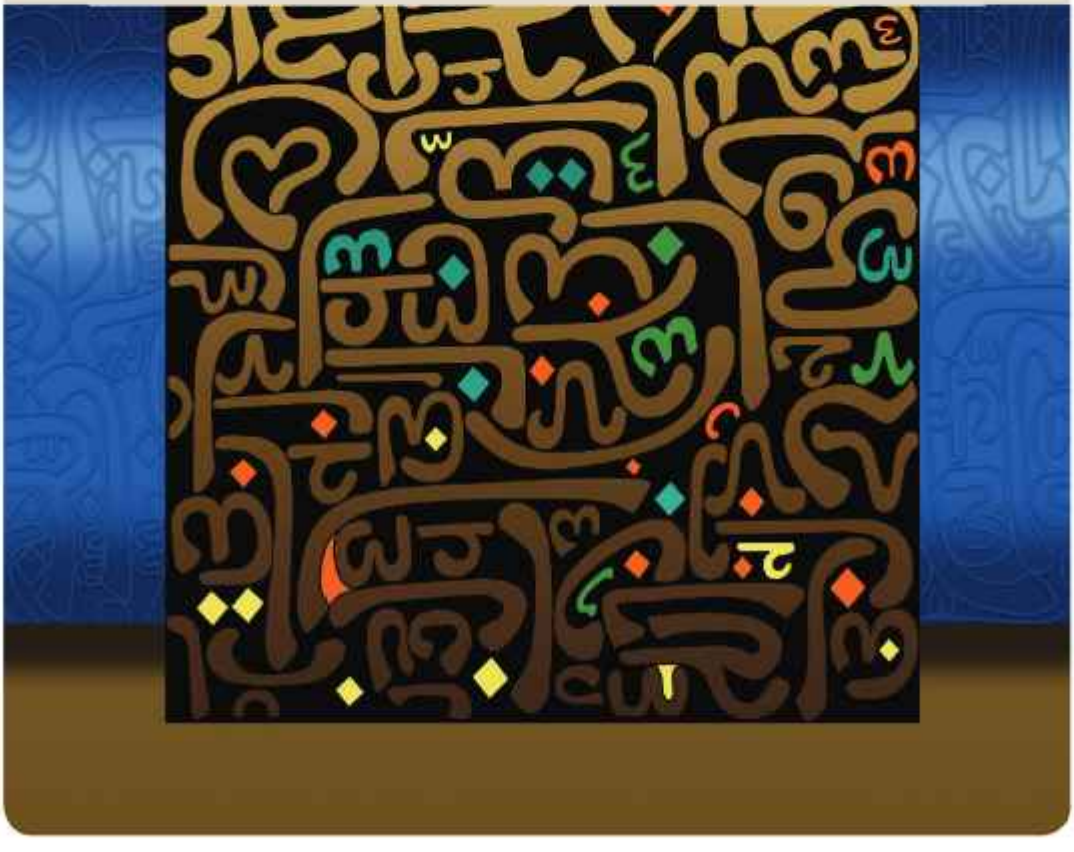

المستخلص:

تعد نظرية الانحراف التشريعي من اهم اوجه عدم الدستورية ،وان عيب الانحراف التشريعي يتعلق بعيب الغاية ،اي الغاية التي يبتغيها المشرع من القانون ،والهدف من التطرق الى موضوع الانحراف التشريعي في بحثنا هذا هو لغرض التوسع من نطاق الرقابة على دستورية القوانين ،لتشمل ايضاً الغاية من التشريع ،فقد يصدر المشرع قانوناً مستوفياً فيه كافة الاجراءات الشكلية والموضوعية التي يتطلبها القانون ،في هذه الحالة يكون التشريع صحيحاً في ظاهرة ،الا انه قد يكون باطلاً في باطنه اذا كان الغرض منه هو تحقيق منافع وغايات شخصية ، حيث ان من المعروف ان المشرع يتمتع اما بسلطة تقديرية او بسلطة مقيدة وذلك حسب ماينص عليه دستور كل دولة ، فقد ينص الدستور على منح المشرع سلطة تقديرية ،في هذه الحالة يتمتع المشرع بسلطة واسعة في تشريع القوانين ،لكن مع ذلك يجب ان يكون الغرض من التشريع هو تحقيق المصلحة العامة ،والا كان القانون معيباً بعيب الانحراف التشريعي ويتوجب بطلانه ، اما اذ اكانت سلطة المشرع مقيدة بموجب الدستور في هذه الحالة يجب على المشرع ان لايحيد عن الغاية التي حددها الدستور له ، وفي حالة انحراف المشرع في تشريعه عن الغاية التي حددها الدستور ،هنا يكون التشريع باطل لتعارضه مع مانص عليه الدستور ،سواء كان التشريع يهدف الى تحقيق المصلحة العامة من عدمه ، فالعبرة هنا هو الالتزام بما نص عليه الدستور فلايجوز للمشرع العادي مخالفة احكام الدستور، وذلك استناداً الى مبدأ سمو الدستور الذي يعني علو القواعد الدستورية على جميع التشريعات القانونية في الدولة ،وقد اختلف الفقه في تحديد المعايير التي يمكن اعتمادها لتحديد الانحراف التشريعي ،بين معيارين هما المعيار الموضوعي والذاتي ، كما اختلف القضاء الدستوري في مدى الاخذ بمصطلح الانحراف التشريعي من عدمه ،وهذا ما سنتطرق اليه في بحثنا هذا ...

الكلمات المفتاحية: الانحراف التشريعي، القضاء الدستوري.

Abstract:

The theory of legislative deviation is considered one of the most important aspects of unconstitutionality. The flaw in legislative deviation relates to the purpose of the legislation; that is, the objective the legislator intends to achieve. The aim of this research is to broaden the scope of judicial review of the constitutionality of laws to include the purpose of legislation. A legislator may enact a law that complies with all the formal and substantive procedures required by law. In this case, the legislation is valid on its face, but it may be invalid in substance if its purpose is to achieve personal benefits or objectives. It is well known that the legislator has either discretionary or limited powers, depending on what the constitution of each state stipulates. The constitution may grant the legislator discretionary power; in this case, the legislator has broad authority to enact laws. However, the purpose of the legislation must be to serve the public interest; otherwise, the law is flawed by legislative deviation and must be declared invalid. If the legislator›s power is limited by the constitution, then the legislator must not deviate from the purpose specified in the constitution. If the legislator deviates from the purpose stipulated in the constitution, the legislation is invalid because it conflicts with the constitution, regardless

of whether the legislation aims to serve the public interest or not. The crucial point here is adherence to the constitution; ordinary legislation cannot violate constitutional provisions, based on the principle of constitutional supremacy, which means that constitutional rules prevail over all other legislation. Legal principles in the state, and legal scholars have differed in defining the criteria that can be used to determine legislative deviation, specifically between two criteria: the objective criterion and the subjective criterion. Similarly, constitutional courts have differed in their acceptance or rejection of the concept of legislative deviation. This is what we will address in our research.

Keywords: Legislative deviation, Constitutional court .

المقدمة:

اولاً : مدخل تعريفي للموضوع :

إنَّ القواعد القانونية بطبيعتها هي قواعد توضع لتنظيم الاوضاع في الدولة ،وان هذه القواعد هي في حقيقتها قواعد عامة مجردة ،اي انها تسن لتطبق على جميع الافراد وفي كافة الاوضاع في الدولة ،وفي هذا الصدد فان هذه القواعد القانونية يتم وضعها من السلطة المختصة في الدولة والتي غالباً ما تكون السلطة التشريعية ،فهي المختصة بسن القانون ، وان هذه القواعد يجب ان تكون متوافقة مع الدستور من ناحية ،وان تكون مستوفية للإجراءات الموضوعية والشكلية التي يتطلبها القانون فضلاً عن ذلك يجب ان تكون الغاية من التشريع هو تحقيق المصلحة العامة ،لان الدستور عندما يمنح السلطة التشريعية سلطة التشريع يجب ات تتجه في كافة تصرفاتها الى تحقيق الصالح العام ،وسواء أكانت السلطة التي يمنحها الدستور للبرلمان مقيدة او تقديرية ففي كلا الحالتين يجب ان يكون الغرض من التشريع هو تحقيق المصلحة العامة ،وحتى في حالة السلطة التقديرية للمشرع فان من البديهي ان تتجه نية المشرع الى تحقيق المصلحة العامة ،لان الدستور لم يمنح هذه السلطة للبرلمان لتحقيق اغراض بعيدة عن المصلحة العامة ،اما في حالة تقييد الدستور للمشرع فانه عليه الالتزام بالحدود الممنوحة من قبل الدستور من غير زيادة او نقصان ،ولايجوز للمشرع تجاوز سلطته بحجة تحقيق المصلحة العامة بل عليه الالتزام بالقيود المقررة بالدستور ،اما في حالة تجاوز المشرع لحدود سلطته التقديرية او المقيدة فان التشريع هنا يكون معيباً بعيب الانحراف التشريعي الذي بدوره يختلف عن العيوب الاخرى التي تصيب التشريع والتي يمكن اعتبارها وجه من اوجه الطعن بعدم الدستورية ،وهذه العيوب هي عدم استيفاء للأجراءات القانونية الشكلية والموضوعية المطلوب مراعاتها في تشريع القوانين ،كأن يصدر القانون من غير السلطة المختصة بسنه ،او يتم تشريع قانون يتعارض مع قاعدة دستورية ،ففي هذه الحالة يكون التشريع غير دستوري ويتوجب ابطاله ،ويتم اثباته من خلال المقارنة بين النص المطعون بعدم دستوريتة ونصوص الدستور ،اما في حالة تجاوز المشرع لحدود سلطته باصدار قواعد قانونية لاتحقق المصلحة العامة ،فهنا يتوجب على القاضي الدستوري البحث في الغاية من التشريع ،اي ماهي الغاية التي دفعت المشرع الى سن القانون ،ومن المعروف ان الغاية من التشريع تختلف عن بواعث التشريع ،حيث من الممكن للقضاء الدستوري البحث في الغاية من التشريع فيما اذاكانت تحقق المصلحة العامة او تهدف الى تحقيق اغراض شخصية،اما البحث في بواعث التشريع فالقضاء الدستوري لايملك سلطة النظر في بواعث التشريع اي مدى ملائمة سن التشريع في وقت معين من عدمه ،حيث لايستطيع القضاء الدستوري ان يقر بعدم جواز سن تشريع قانون معين خلال فترة زمنية معينة او من خلال وقت معين ،وانما ذلك يعود للسلطة التقديرية للمشرع ، وان عيب الانحراف بالسلطة هو عيب خفي كما وصفه الفقه المصري وهو عيب مستتر كما وصفه القضاء الدستوري الامريكي ، اما في العراق فان موقف القضاء الدستوري حيال هذا العيب كان

غامضاً وغير صريح ، وكان اول من تطرق الى فكرة الانحراف التشريعي هو الفقيه عبد الرزاق السنهوري في مجال القضاء الاداري ،ثم تطورت هذه النظرية تدريجياً الى مجال القضاء الدستوري .

ولقد ثار التساؤل حول امكانية الاستعانة بعيب الانحراف التشريعي كعيب من عيوب عدم الدستورية من عدمه من قبل القضاء بصفة عامة والقضاء الدستوري بصفة عامة ،وهل ان سلطتهم في الكشف عن الانحراف التشريعي تجعلهم لايتجاوزون حدود عملهم كقضاة .

عليه سنطرق في بحثنا هذا الى دراسة القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية ،وفيما اذا كانت قد صدرت خلافاً لما نص عليه الدستور من حيث التقييد بالحدود التي منحها الدستور للسلطة التشريعية من عدمه ،والتي يجب ان يكون الغرض منها هو تحقيق الصالح العام من عدمه وفيما اذا كان القانون مصاباً بعيب الانحراف التشريعي من عدمه وما مدى سلطة القضاء الدستوري في النظر في عيب الغاية كونها احد عيوب عدم الدستورية التي تصيب القانون .

ونرجو ان تكون دراستنا هذه نقطة البدء لدراسات اخرى حول هذا العيب الخفي من عمل كل من السلطة التشريعية والسلطة القضائية .

ثانياً : اهمية الموضوع :

يجد عي الانحراف التشريعي اهميته في البحث من الناحيتين النظرية والعملية ،فمن الناحية النظرية فتتمثل اهميته في قلة الدراسات التي تطرقت الى هذا الموضوع ،ما من الناحية العملية فتظهر اهميته في قلة التطبيقات العملية للانحراف التشريعي في القضاء الدستوري المقارن بصورة عامة وفي القضاء الدستوري العراقي بصفة خاصة ،حيث يعد عيب الانحراف التشريعي من العيوب التي تصيب التشريعات التي تسنها السلطة التشريعية ،حيث من المفترض ان يكون الغاية من التشريع هو تحقيق المصلحة العامة ، اما في حالة انحراف المشرع عن هذه الغاية يكون في هذه الحالة معيباً بعيب الانحراف التشريعي ،ويعد عيب الغاية من أكثر العيوب شيوعاً وأكثرها خطورة على المصلحة العامة والحقوق والحريات العامة .

ثالثاً : اسباب اختيار الموضوع :

ان من اهم اسباب اختيار الباحث للموضوع محل البحث هي مايأتي :

١- يعد عيب الانحراف التشريعي من العيوب الخفية والمستترة التي تصيب التشريع ،حيث ان من المعروف ان العيوب التي تصيب القانون هي عدم استيفاء للإجراءات الموضوعية والشكلية التي تصيب التشريع،ويمكن التوصل اليه من خلال مقارنته القانون المطعون بعدم دستوريته من نصوص الدستور ،اما بالنسبة لعيب الغاية فانه عيب خفي وغالباً ما يصعب اثباته

٢- من خلال التطرق الى الواقع العملي في العراق نجد ان هناك ضعف في المنظومة التشريعية ،بسبب عدم كفاءة البرلمان لان القوانين التي تصدر عن السلطة التشريعية غالباً ماتعبر عن مصالحها الشخصية او تعبر عن وجهة حزب معين ،ومن ثم فالتشريعات الصادرة عن البرلمان قد لا تحقق المصلحة العامة .

رابعاً : اشكالية البحث :

ان موضوع الانحراف التشريعي من الموضوعات المهمة والشائكة في ان واحد ،لما يثيره من مشاكل عديدة تتعلق بانحراف التشريع عن المصلحة العامة ،وكذلك من الصعوبة اثبات عيب الانحراف التشريعي كونه من العيوب المستترة ، ونادراً ما نجد ان القضاء الدستوري يتطرق الى موضوع الانحراف التشريعي كعيب من عيوب عدم الدستورية ،ولايتطرق الى عيب الغاية كعيب من عيوب عدم الدستورية بصورة صريحة ،ومن المفترض ان يبحث القضاء الدستوري في عيب الانحراف التشريعي كعيب يصيب التشريع كسائر العيوب الاخرى التي تصيب التشريع .

خامساً : منهجية البحث

اعتمد الباحث على المنهج التحليلي ،في بحث هذا الموضوع ،اضافة الى المنهج المقارن من خلال التطرق الى موقف

القضاء الدستوري من عيب الانحراف التشريعي مع التطرق الى التطبيقات العملية لكل منها .

سادساً : هيكلية البحث :

سيتم التطرق الى موضوع الانحراف التشريعي ودور القضاء الدستوري فيه، من خلال تقسيم البحث الى مبحثين ،حيث سنبحث في المبحث الاول الى التعريف بالقضاء الدستوري وتمييزه عن الانحراف التشريعي في المطلبين الاول والثاني ،اما في المطلب الثالث فسنتطرق الى معايير الانحراف التشريعي. وسنبحث في المبحث الثاني الى موقف القضاء الدستوري من عيب الانحراف التشريعي في كل من فرنسا، والولايات المتحدة الامريكية ، ومصر والعراق .

المبحث الاول

التعريف بالانحراف التشريعي

إنَّ مفهوم الانحراف التشريعي يعد من المفاهيم الحديثة نسبياً ومن المعلوم ان معظم الدساتير تمنح السلطة التشريعية صلاحية اصدار التشريعات اللازمة لتنظيم مصالح الدولة العليا وحقوق ومصالح الافراد الاساسية ، الا ان السلطة التي يمنحها الدستور للسلطة التشريعية سواء كانت سلطة مقيدة او مطلقة هي محكومة بان تكون خاضعة لهدف او غرض واحد ومحدد الا وهو تحقيق المصلحة العامة ، فاذا ما انحرفت السلطة التشريعية بالقانون عن هذا الهدف ،واستهدفت اغراضاً اخرى لا تتعلق بالصالح العام ،يكون التشريع هنا معيباً بعيب الانحراف التشريعي ،مما يستوجب الامر الى ضرورة الطعن به بعيب الانحراف التشريعي المعروف ب (عيب الغاية) وذلك تجنباً من تشريع قوانين تحقق المصالح الفردية او مصلحة السلطة الحاكمة فقط ،لان الغاية الاولى والاخيرة من التشريع يجب ان تكون هي تحقيق المصلحة العامة ،عليه سنتطرق في هذا المبحث مفهوم الانحراف التشريعي وحالاته في المطلب الاول ، ومن ثم سنتطرق الى معايير الانحراف التشريعي وكالاتي :

المطلب الاول

مفهوم الانحراف التشريعي

وسنتطرق الى مفهوم الانحراف التشريعي لغة وتشريعاً من خلال الفرعيين الاتيين :

الفرع الاول

مفهوم الانحراف التشريعي لغة

الانحراف لغة هو مصدر مشتق عن الفعل الثلاثي (حرف)، بمعنى الميل والعدول ،وهو تغيير الشيء عن موضعه (١)، وتحريف الكلم عن مواضعه تغييره والانحراف عن الشيء الميل (٢)،والحرف عن كل شيء طرفة وشفيره وحده (٣)، وفي لسان العرب : مادة (حرف)تحريف الكلم عن مواضعه أي تغيير الحرف عن معناه ،وتغيير الكلمة عن معناها ، وفلان على حرف من امره كأنه ينتظر ويتوقع فان رأى من ناحية ما يحب والا مال الى غره ، او راى شيئاً لا يعجبه ، وعدل عنه(٤).

وقد وردت كلمة تحريف في القرآن الكريم بعدة مواضع منها قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف)(٥) ،وتحريف الكلام ان تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين ، وكذالك قوله تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه)(٦)، وفي موضع اخر قوله تعالى (يحرفون الكلم من بعد مواضعه)(٧)،وايضاً (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) (٨)، أي من بعد ما فهموه وضبطوه في عقولهم .

ومما تقدم نجد ان التحريف هو التبديل والتغيير واصله من التحريف عن الشيء او الانحراف عنه وهو معارضة الشيء عن حقه وحمله على تغيير اللفظ اولى من حمله على تغيير معناه وقد يؤدي الى جعل الكلام محتملاً من دون تغيير في الفاضه (٩).

اما التشريع لغة : فهو مصدر للفعل (شرع يشرع) ، وهو فعل ثلاثي مزيد بحرف واحد بين الفاء والعين من جنس عين فعله .

ومن المعلوم ان الزيادة في مبنى اللفظ يدل على الزيادة في معانيه وذلك من غير الزيادة التي تكون للإلحاق ، وهذا يعني ان معنى الشرع غير معنى شرع ،لذلك فان تمام الفهم متوقف على معرفة اصل الفعل الثلاثي المجرد (شرع) في اللغة ليعرف بعد معنى الزيادة عليه . وفي لغة العرب للشرع معاني كثيرة (كالشريعة والشرعة) ،ومن اهمها الشيء المرتفع والحسب والكفاية والمثال المستقيم ومورد الماء والسبيل الواضح وتطلق هذه المعاني على الشرع مجازاً . اما بالنسبة الى المعنى الحقيقي له فهو الاظهار ،والشريعة ايضاً ما شرع الله لعباده من الدين (١٠)، ويمكن الاستدلال بذلك من الاية القرآنية قوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعاً ومنهاجاً) (١١)وقوله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولاتتبع اهواء الذين لايعلمون) (١٢) .

والتشريع هو من شرع وشرعت الدواب في الماء تشرع شرعاً وشروعاً ،وهي شرع الوارد يشرع الوارد يشرع شرعاً وشروعاً ،والشريعة والشراع والمشرعة والمواضع التي ينحدر منها الماء (١٣).

الفرع الثاني:

مفهوم الانحراف التشريعي اصطلاحاً:

اما الانحراف اصطلاحاً فهو انتهاك التوقعات والمعايير الاجتماعية ،والتصرف المنحرف هو حالة من حالات التصرفات السيئة ،والانحراف ضد الاستقامة التي امر الله بها ورسوله ويقصد به الميل عن طلعة الله ورسوله ، والوقوع في المحرمات ، وبهذا فهو ارتكاب الافعال التي نهت الشريعة الاسلامية عن ارتكابها ، او ترك أي فعل اوجبته الشريعة الاسلامية ،دون أي عذر شرعي معتبر (١٤) .

وهناك من يرى ان الانحراف هو الخروج من اصل الصواب ، والبعد عن الاعتدال والاتزان .

وعرفه البعض ايضاً بانه هو العدول او الضلال عما هو صحيح وسوي او انتهاك المعايير والقواعد الاساسية ،والميل عن الاعتدال ،كما عرفه علماء النفس والامراض العقليه بأنه سلوك يخالف الاعراف المألوفة او المقبولة اجتماعياً(١٥) .

عليه يمكن ان نعرف الانحراف مما تقدم بأنه هو الانحراف عن منحى الحق والحيدة عنه ، او الاتيان بأسلوب ايجابي او سلبي من شأنه الانحراف عن الاعراف المألوفة او المقبولة اجتماعياً ، او الميل والخروج عن الهدف والصواب .

اما الانحراف في مجال القانون الدستوري فله معنيان احدهما واسع والاخر ضيق ، اما المعنى الضيق فأنه يتمثل بالعيب الذي يصيب ركن الغاية من التشريع وهو مايسمى بالعيب المستتر ،أي الانحراف في استعمال السلطة التشريعية ، وان موضع الانحراف في في استعمال السلطة التشريعية هو الموضع الذي يكون فيه للمشرع سلطة تقديرية ، وتكون هذه الحالة عندما لايقيد الدستور المشرع بقيود محددة ،حيث من المعلوم ان السلطة التقديرية هي الاصل والسلطة المقيدة هي الاستثناء ،فما عدا الحالات التي ينص عليها الدستور على تقييد سلطة المشرع تكون سلطة المشرع تقديرية ، ونطاق السلطة التقديرية هو النطاق الذي يقع فيه الانحراف التشريعي

فالمشرع في حدود الدستور له سلطة التشريع ،فما لم يقيده الدستور بقيود محددة فأن سلطته في التشريع هي سلطة تقديرية، ومن الامثلة على السلطة المحددة في التشريع ، عدم استطاعة المشرع من يصدر تشريع يخل بمبدأ المساواة بين العراقيين ، وكذلك لايجوز ان ينص على ابعاد العراقي من بلاده ، فاذا ماجاوز المشرع حدود سلطته المحددة في الدستور كان التشريع باطلاً لمخالفته الدستور (١٦).

وفيما عدا الحالات التي تكون فيها سلطة المشرع سلطة مقيدة ، تكون سلطة المشرع تقديرية ونطاق هذه السلطة التشريعية تكاد ان تستغرق النشاط التشريعي بأكمله ، وهو النطاق الذي يقع فيه الانحراف التشريعي (١٧).

ومن هنا نرى ان نطاق الانحراف في التشريع اوسع بكثير من نطاق مخالفة التشريع للدستور .

اما معنى الانحراف بالمعنى الواسع فيتمثل في انحراف المشرع في ممارسة وظيفته التشريعية ،ويكون ذلك بتشريع القوانين المتعارضة مع الدستور شكلاً وموضوعاً(١٨)، اما بمخالفة قواعد الاختصاص او الاجراءات التي رسمها الدستور لعملية اقتراح القانون او اقراره واصداره وكذلك خروجه عن القيود الموضوعية التي فرضها الدستور على السلطة الشريعة مثل

الخروج عن الغاية من التشريع ، وبناءاً على ذالك يكون البرلمان ملزماً بمراعاة القيود الشكلية والموضوعية التي يفرضها الدستور ،واي تجاوز لهذه القيود يمثل انحرافاً بحسب المعنى الواسع للانحراف (١٩).

اما معنى التشريع اصطلاحاً :

ان اصل كلمة التشريع هو لاتيني ،فهو مستمد من كلمتين هما (lex) اي القانون و (latam) أي وضع وهاتان الكلمتان تعنيان (وضع القانون) ،ويعد التشريع من المصادر الشكلية الهامة للقانون التي يستمد منها قوته الملزمة (٢٠).

والتشريع اصطلاحاً له معنيان :

المعنى الاول : وهو المعنى العام الذي يعني سن قواعد قانونية بصورة مكتوبة واعطائها القوة الالزامية عن طريق السلطة التي يمنحها الدستور الاختصاص بذلك ،وهي السلطة التشريعية ،على ان هناك سلطات اخرى يكون لها سلطة التشريع ،فالدستور هو التشريع الاساسي يصدر عادة من السلطة التأسيسية وهي اعلى من السلطة التشريعية ،والانظمة القرارات بقوانين تصدر عن السلطة التنفيذية وهي غير مختصة اصلاً بالتشريع .

عليه يعرف التشريع بأنه سن القواعد القانونية من قبل السلطة المختصة وعادة ماتسمى هذه السلطة او المؤسسة التشريعية وفقاً للإجراءات معينة وتصاغ في حدود نصوص مكتوبة ،فتكتسب هذه القواعد صفة الالزام لصدورها من السلطة المختصة (٢١).

اما المعنى الثاني للتشريع : وهو المعنى الخاص ويجيء التشريع بمعنى اسم المفعول المشرع ،أي النصوص العامة الملزمة ذاتها التي وضعتها السلطة المختصة لتنظيم سلوك الاشخاص في المجتمع وفق اجراءات مخصوصة وشكل معين (٢٢) .

عليه يمكن تعريف التشريع بأنه وضع القواعد القانونية في صورة مكتوبة بواسطة السلطة المختصة بذالك وفقاً لأحكام الدستور ،وعليه فأن المعنى الاول للتشريع يعني صياغة القواعد القانونية واظهارها للوجود ، في حين يعني المعنى الثاني القانون المكتوب الذي تسنه السلطة التشريعية المختصة (٢٣).

عليه يمكن تعريف عيب الانحراف التشريعي بأنه» قيام السلطة المختصة بالتشريع وغالباً ما تكون هي السلطة التشريعية (البرلمان) باستخدام سلطاتها وصلاحياتها سواء مقيدة او تقديرية بشكل مغاير للأهداف المحددة لها « وان اول من استعمل مصطلح الانحراف بالسلطة الفقيه الفرنسي Aucoc(٢٤)، وان نظرية الانحراف بالسلطة التشريعية من النظريات المسلم بها من قبل الفقه الفرنسي والمصري ،والتي تعد من قبيل رقابة المشروعية ، اما في اطار المجال التشريعي فنجد ايضاً ان الفقه الفرنسي كان من اوائل ابتداع هذه النظرية في المجال الدستوري ،وكان الفقيه الفرنسي Barthelemy اول تطرق الى مفهوم الانحراف التشريعي في المجال الدستوري ،حيث اشار الى هذه الفكرة بمناسبة قانون ٧ يوليو ١٩٠٧ والذي يخص التسريح المبكر لمجندي ١٩٠٣ (٢٥) .

المطلب الثاني:

عيب الانحراف التشريعي وبواعث التشريع:

إنَّ عيب الانحراف التشريعي يتعلق بالغاية من التشريع من حيث كونها تستهدف المصلحة العامة ام لا ، وان هذا العيب أي (الانحراف التشريعي) ليس له صلة بالباعث الذي يدفع المشرع من سن قانون معين او عدم سنه ،وذلك لان ذلك متروك لسلطة المشرع التقديرية ،ولا يمكن ان تخضع لأي نوع من الرقابة سواء كانت دستورية ام لا (٢٦) ، وعلى الاغلب فان ذلك يرتبط بالجانب السياسي والاعتبارات الحزبية والتنظيمات والفلسفة السياسية ،فقد يكون حزب ما في الحكم له فلسفة معينة تدعوه الى اتجاهات تشريعية معينة وهذه الحالات تدخل ضمن باب المواءمات والملائمات التي لا تخضع لرقابة الدستورية ، على عكس الغاية من التشريع التي يجب ان تكون تهدف الى تحقيق المصالح العامة ،فاذا كان الاصل ان بواعث التشريع وملائمته لا تخضع لأي نوع من الرقابة سواء كانت دستورية ام غير دستورية ،فعلى العكس من ذلك نجد ان الانحراف التشريعي يخضع لرقابة القضاء الدستوري ،وذلك لان انحراف المشرع عن الغاية من التشريع التي هي تحقيق المصلحة العامة اى اهداف وغايات اخرى يعد انحرافاً تشريعياً ويخضع للرقابة الدستورية .

وان عيب الغاية ليس له أي علاقة بالباعث من التشريع التي تدفع المشرع الى سن قانون معين في وقت معين او عدم سنه ،فان الباعث من التشريع يخضع لسلطة المشرع التقديرية ، والتي غالباً ما تخضع ايضاً للاعتبارات السياسية والضغوطات الحزبية في الدولة .فالغاية من التشريع يجب ان يتجه المشرع في سلطته الى اعتبارات المصلحة العامة وفي حالة انحراف المشرع عن الاهداف المحددة بالدستور او انحرافه بسلطته التقديرية الى مصلحة شخصية او اعتبارات سياسية فان التشريع هنا يكون منحرفاً ويخضع للرقابة الدستورية ، ويحق للقضاء البحث في الغاية من التشريع وهل كونه يحقق المصلحة العامة ام لا ، اما بالنسبة الى الباعث من التشريع فان المشرع يتمتع بسلطة تقديرية في تحديد الوقت المناسب والملائم للتشريع ، ولا يحق للقضاء الدستوري البحث في الباعث من التشريع على عكس الغاية من التشريع (الانحراف التشريعي) . (٢٧) عليه يمكن التمييز بين بواعث التشريع والانحراف التشريعي على اعتبار الاولى أي بواعث التشريع هي مسألة نفسية لا تمتد اليها الرقابة الدستورية ، وليس من حق المحاكم الدستورية ان تتعرض الى بواعث تشريع القوانين وذلك لكونها تخضع للسلطة التقديرية للمشرع ، اما الغاية من التشريع فهي تقع ضمن اطار المشروعية التي يمكن التعرف اليها من خلال التفسير الموضوعي للقانون محل الطعن وهي حق قانوني للقاضي الدستوري وله ان يمارسه دون ان يعد ذلك تدخلاً في عمل المشرع(٢٨).

ومما يؤكد ضرورة التمييز بين الانحراف التشريعي وبواعث التشريع هو قبول القضاء الدستوري في اغلب الانظمة السياسية لأوجه الطعن التي تقوم على مجاوزة السلطة التشريعية للمصلحة العامة ،كأن يكون القصد من التشريع تحقيق مصالح شخصية ،فالقضاء يختص بالنظر بالغاية من التشريع ،ولكن ليس له صلاحية النظر في بواعث التشريع ،وهذا ما ذهبت اليه المحكمة الدستورية في مصر ، في قرارها رقم (٦)لسنة ١٩٨١ حين اقرت بانحراف المشرع في استعمال سلطته التقديرية حين غالى في زيادة سعر الضريبة على الايراد العام وذلك برفعه الى ٩٥٪ على الشرائح الاخرى وفقاً للقانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٥ ،بعد ان تبين ان الطريق الذي اختاره المشرع في تحديد سعر الضريبة لا يؤدي الى المصادرة ،كما انه لا يتعارض مع احكام الدستور ،وان ما أدعاه المدعي في هذا الشأن ينحل في حقيقته من الخوض في سياسة المشرع الضريبية ،التي تنفرد بها السلطة التشريعية بموجب الدستور ، عليه يكون ما ادعاه المدعي على النص المطعون بعدم دستوريته بهذا الشأن سليم (٢٩)

المطلب الثالث

معايير الانحراف في استعمال السلطة التشريعية

إنَّ البحث عن معيار محدد للانحراف التشريعي قد اثار خلافاً بين الفقهاء،وان نظرية الانحراف التشريعي قد ظهرت في بادئ الامر في القانون الاداري بسبب انحراف الادارة عن الهدف المحدد لها ، فاذا ما ربطنا بين الانحراف في استعمال السلطة التشريعية والانحراف في استعمال السلطة الادارية الذي تقوم على جانبين : جانب ذاتي يتعلق بالنوايا والاغراض التي تستهدفها السلطة مصدرة القرار ،وجانب موضوعي يتعلق باستهداف الصالح العام ،فان الاخذ بهذه الفرضية تحوطه مأخذ كثيرة ،فليس من الممكن افتراض نسبة غايات شخصية الى الهيئة التشريعية ،فيقال ان قصد رجل الادارة هي غايات شخصية كالانتقام او الحصول على نفع شخصي وقد يكون تحقيق اغراض حزبية او سياسية او دينية اوالى ما غير ذالك ،فمن غير المقبول ان تنسب غايات شخصية الى الهيئة التشريعية ، فالأصل ان تستخدم السلطة التشريعية سلطتها لتحقيق المصلحة العامة وليس هدف او غاية اخرى فالسلطة التشريعية عندما تصدر تشريعاً وتقصد به ان تفيد او تضر بعض الافراد او الهيئات فانها تسعى دائماً الى الباس هذا التشريع ثوب المصلحة العامة (٣٠)،عليه فقد اختلف الفقهاء في تحديد معيار ثابت وواضح لأثبات الانحراف التشريعي اذا ذهب جانب من الفقه ان معيار الانحراف التشريعي هو معيار موضوعي لا يدخله أي عنصر ذاتي ،في حين ذهب جانب اخر من الفقه الى ان معيار الانحراف في الغاية من التشريع هو معيار ذاتي (٣١)وسنتطرق اليها من خلال مايأتي :

اولا: المعيار الموضوعي للانحراف التشريعي :

ومن انصار هذا المذهب الفقيه عبد الرزاق السنهوري ،الذي ذهب الى انه لايمكن اعتماد معيار ذاتي للانحراف التشريعي اسوة بأساءه استخدام السلطة في المجال الاداري ،وذلك لان المعيار الذاتي يذهب الى الكشف عن نوايا المشرع الحقيقية ،وان كان هذا الامر مقبولاً في اطار سلك الادارة كون رجل الادارة قد يسعى الى تحقيق غايات شخصية ،كالانتقام او تحقيق نفع شخصي او مصلحة ذاتية ،الا ان هذا الامر لايمكن قبوله بالنسبة للمشرع ،اذا انه ليس من المقبول ان تسعى السلطة التشريعية الى تحقيق غايات شخصية ،لان الاصل ان السلطة التشريعية يجب ان تستخدم سلطتها التي منحها الدستور لتحقيق المصلحة العامة .

وبموجب هذ المعيار يتحقق الانحراف اذا اصدر البرلمان قانون معين يحقق المصلحة الشخصية وليست الصالح العام ،كأن يكون غرض البرلمان تحقيق اهداف حزبية او سياسية او دينية لا تمت بالمصلحة العامة بصلة ،او قد يصدر البرلمان تشريع لا يحقق المصلحة العامة ،ويرى جانب من الفقه بانه لايمكن الاستناد الى المعيار الموضوعي لأثبات الانحراف التشريعي وذلك لكون السلطة التشريعية هي الممثلة للشعب برمته ويتوجب عليها تحقيق النفع العام ، ويمكن الوصول للعنصر الموضوعي من خلال تفحص القانون المصاب بعيب الانحراف التشريعي ومقارنته بالقواعد والمبادئ الدستورية وبيان مدى موافقته لروح الدستور وغايته وان العنصر الموضوعي اسهل اثباتاً من العنصر الشخصي او الذاتي للانحراف التشريعي (٣٢).

وقد برر انصار المعيار الموضوعي فرضيته على امران هما :

١ – الاصل ان تعلو السلطة التشريعية وهي تمارس اختصاصها التشريعي عن الفرد الذي يمارس حقوقه الخاصة وعن رجل الادارة وهو يمارس سلطته الادارية ،حيث تمارس السلطة التشريعية اختصاصها لتحقيق المصلحة العامة ،ومما يؤكد صحة هذه الفرضية ان الهيئة التشريعية (البرلمان) تتكون من عدد كبير من الاعضاء مما يصعب معه تواطؤهم على الباطل

٢ – ان المعيار الموضوعي يضفي على التشريع ثباتاً واستقرارا (٣٣) .

وكما بينا ان من ابرز مؤيدي هذا المعيار الدكتور عبد الرزاق السنهوري ، واستعرض هذا المعيار في فروضاً خمسة وسنتدرج هذه الفروض في الموضوعية ،ابتداءً بأقصى حدودها :

١ – اعتماد طبيعة التشريع ذاته على اعتباره معياراً موضوعياً .

إنَّ طبيعة التشريع الذي يصدر عن البرلمان يجب ان يتضمن قواعد عامة مجردة ، حيث ان العمومية والتجريد هو اهم مايميز القاعدة التشريعية عن القرار الاداري، ففي حالة صدور تشريع معين من قبل البرلمان على اساس انها قاعدة عامة مجردة ومن ثم نجد انها لاتطبق الا على حالات فردية فالتشريع هنا باطل لان البرلمان قد انحرف في استعمال سلطته التشريعية ومعيار الانحراف هنا هو معيار موضوعي محض ،وهو بذلك يتعارض مع طبيعة التشريع ،ومثال على ذلك ان يصدر البرلمان تشريعاً بإلغاء هيئة قضائية للتخلص من اعضائها ،ثم يعاد تشكيل الهيئة التشريعية بعد فترة من صدور التشريع الاول ،فهنا يكون قصد البرلمان هو اصدار قرار فردي في صورة قانون صوري (٣٤).

٢ – تجاوز التشريع للأهداف المحددة له .

وهي حالة ان ينص الدستور للمشرع دائرة معينة لا يتخطاها ،ولهدف مخصص لايجاوزه ، فالأصل هو اعطاء سلطة تقديرية للمشرع ،والاستثناء هو تقييد سلطته ،ففي حالة نص الدستور على تحديد الهدف من التشريع فلايجوز عليه تجاوزه ، ويعد ذلك انحرافاً للتشريع (٣٥)، ومثال على ذالك صون الامن والنظام العام في التشريعات والاحكام العرفية ،ووقاية النظام الاجتماعي في تشريعات الصحافة والتنظيم القانوني لحق الانتخاب والاجتماعات العامة (٣٦) .

٣ – كفالة الحقوق والحريات العامة في اطارها الموضوعي .

تعد الحقوق والحريات من الفروض التي تتطرق اليها الدكتور عبد الرزاق السنهوري في بحثه باعتبارها من الحالات التي ينطبق عليها المعيار الموضوعي في حالة انحراف التشريع عن مقاصد التشريع وغاياته ،اذا انها مجموعة من الحقوق والحريات

المطلقة الغير قابلة للتقيد او التنظيم ،فاذا ما صدر تشريع من البرلمان يقيد الحقوق والحريات التي نص عليها الدستور يعد هذا التشريع باطلاً لمخالفته لنصوص الدستور .

اما بالنسبة للحقوق والحريات العامة التي نص الدستور على تنظيمها ،فان المشرع الدستوري قد خول بشأنها السلطة التشريعية سلطة تقديرية لتنظيمها على ان لا ينحرف عن الهدف الذي قصده الدستور ،وهو ضمان وكفالة الحقوق والحريات العامة في حدودها الموضوعية ،فاذا ما نقص او نقضها المشرع وهو في صدد تنظيمها ،كان تشريعه مشوباً بعيب الانحراف التشريعي (٣٧)،وهنا يكون التشريع منطوياً على الانحراف لا مخالفة لنصوص الدستور ،ومثال على ذلك مانص عليه دستور العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ على احالة تنظيم اغلب الموضوعات الدستورية الى قانون يسن من البرلمان مثل احالة تشكيل المحكمة الاتحادية العليا في العراق الى قانون (٣٨) فأذا ما اصدر البرلمان قانوناً يتعارض مع غايات الدستور عد ذلك انحرافاً للتشريع .

٤ – كفالة الحقوق المكتسبة وعدم المساس بها في غير ضرورة .

الاصل في التشريع انه لا يسري على الماضي ،حفاظاً على الحقوق والحريات المكتسبة ،باستثناء بعض لقوانين التي اجاز فيها الدستور على سريان القانون على الماضي وخصوصاً في القوانين الجنائية والضريبية ،فإذا ما صدر تشريع من البرلمان ينص على سريان القانون على الماضي ،وادى لك الى المساس بالحقوق المكتسبة يعد هذا التشريع منحرفاً وذلك لانحراف السلطة التشريعية في استخدام سلطاتها .

٥ – اما الفرض الاخير هو مخالفة التشريع لروح ومبادئ الدستور العليا (نظرية القانون الاعلى) (٣٩).

ومن مؤيدين هذه النظرية الفقيه الفرنسي ليون ديكي حيث يرى ان هناك مبادئ عليا تسود الدستور وتهيمن على جميع احكامه ،وهي تعد بمثابة روح الدستور ،ويرى ان التشريع لايكون سليماً مجرد اتفاقه مع نصوص الدستور ،وانما يجب ان يتطابق مع القانون الاعلى الذي يحكم نصوص الدستور ،فالانحراف هنا يتحقق لمعارضة التشريع لروح الدستور او مبادئه العليا (٤٠).

ثانياً : المعيار الذاتي للانحراف التشريعي .

ويذهب اصحاب هذا المعيار الى ان الانحراف التشريعي لايمكن اثباته الامن خلال البحث في النوايا الحقيقية للمشرع وذلك لان الاسباب التي يحددها المشرع ليست كافية لأثبات الانحراف التشريعي ،كون ان المشرع عند قيامه بتشريع قانون معين قد لا يعلن الا عن الاسباب المشروعة فقط لتشريع القانون ،ويخفي الغاية الحقيقية من وراء سن التشريع ،وبالتالي لايخضع التشريع للرقابة على الرغم من بطلانه ،ولذلك بات من الضروري البحث عن النوايا والاهداف المستترة التي رافقت التشريع وقت صدوره ،ومن انصار هذا المذهب الفقيه الكبير الدكتور ماهر ابو العينين ،والذي ذهب الى تبني المعيار الذاتي الذي يبحث في النوايا والغايات الحقيقية من وراء تشريع القانون (٤١).

وبموجب هذا المعيار قد تتجه نية السلطة التشريعية الى الاضرار بمجموعة معينة او تحقيق مكاسب مادية لفئة معينة من افراد الشعب او حزب سياسي ،او اقليم معين اذاكان التشريع من الصلاحيات الحصرية للاتحاد ،وان بعض الفقه يشير الى صعوبة التسليم بالعنصر الذاتي للانحراف التشريعي ،فاذاكان من المتصور الى اتجاه نية الفرد الى الاضرار بالغير وهو بصدد استعمال حقوقه الخاصة على النحو المألوف في نظرية التعسف في استعمال الحق ،فان نية الاضرار تكاد ان تكون اقل نسبياً في مجال اتجاه نية البرلمان في استعمال سلطته في التشريع كونه اقل انقياداً للدوافع الذاتية من الفرد عند ممارسته لحقوقه الخاصة .

ويمكن الوصول الى العنصر الذاتي لواضعي التشريع من خلال البحث عن الغايات التي رافقت سن التشريع من خلال مداولات ومناقشات البرلمان ولجانه المتخصصة.

وقد انتقد انصار المعيار الذاتي ما جاء به انصار المعيار الموضوعي والفروض الذي جاء بها الدكتور السنهوري ،على اساس ان الرجوع الى طبيعة التشريع ذاتها لايمكن ان يوصف بانه معيار موضوعي، وانما هو تطبيقاً لفكرة معارضة القانون،لان

تشريع البرلمان اما ان يكون وفقاً لطبيعته الموضوعية قانوناً، واما ان يكون على غير ذلك فلا تثبت له حصانة التشريع ،فيغنينا عن نظرية الانحراف الغائي تطبيق المعيار المادي الموضوعي على التصرفات القانونية ،ونبذ المعيار الذاتي الفروض والامثلة التي جاء بها الفقيه السنهوري ،فلم يستطيع الفقيه المذكور من جعل نظريته نظرية موضوعية بحتة ،بل على عكس ذلك فأنها تغلب طبيعة الانحراف الذاتي على المعيار الموضوعي (٤٢).

وان اثبات المعيار الذاتي للانحراف يصعب اثباته في كثير من الاحيان ،فان القانون المشوب بعيب الانحراف التشريعي هو صحيح في ضاهره ،معيب في باطنه ،فهو يصدر وفقاً لقواعد الاختصاص وبموجب الشكل الذي يحدده القانون ،كما انه لايخالف احكام الدستور في نصوصه وان كان مخالفاً له في روحه فحواه،ومع ذلك فان هذا العيب هو خفي يصعب اثباته .

وان ما ذهب عليه الدكتورعبد الرزاق السنهوري بصدد المعيار الموضوعي للانحراف التشريعي هي امثلة لحالات مخالفة الدستور البينة وليست المستترة ،فلم يتمكن الفقيه السنهوري من جعل نظريته نظرية موضوعية بحتة بل ان طبيعة الانحراف الذاتية قد تغلبت على ما ذكره من حالات وامثلة للانحراف ،ومع ذلك حاول ان يميله باتجاهه الموضوعي ، ففي الفرض الاول الذي جاء به والذي عد ان التشريع يجب ان يكون عاماً مجرداً والا عد التشريع معيباً بعيب الانحراف التشريعي ، فاذا كان التشريع عاماً مجرداً في ضاهره ،ولكن في حقيقته تشريع فردي يطبق على حالات معينة بالذات، لايقع الا على حالات فردية ،فهنا يقع العيب المستتر للانحراف التشريعي ،وهنا تظهر النزعة الذاتية لان علم البرلمان هو الاساس في الحكم على صحة غايته وبطلانها .

اما بالنسبة الى الفرض الثاني : هو حالة تجاوز التشريع للغرض المخصص له ،فيرى جانب من الفقه ان من غير الممكن ان يحدد الدستور مقدماً الهدف من كل تشريع ، وان كان ذلك ممكناً فان الخروج عن تلك الاهداف لايعد انحرافاً ،وانما يعد خروجاً عن نصوص الدستور ،ومن ثم تعد مخالفة موضوعية للدستور ،وان تحديد الدستور لغايات التشريع قدماً يعد مساساً بمبدأ سيادة الشعب على اعتبار ان البرلمان هو منتخب من قبل الشعب عليه لايجوز تقييد هذه السلطة مقدماً والا كان دور البرلمان معدوماً ، كما انه يتنافى مع مبادئ الديمقراطية الذي يعطي للبرلمان سلطة تقديرية في تحديد غايات التشريع (٤٣).

والفرض الثالث الخاص بحماية الحقوق والحريات العامة : فان تحقيق الحماية للحقوق والحريات العامة بحدوده الموضوعية لا تثير فكرة الانحراف ،ان النص في الدستور على كفالة الحقوق والحريات وتخويل البرلمان سلطة تنظيمها فان هذا التنظيم لا يصل الى درجة اهدار اصل الحق ،اما اذا وقع البرلمان في اهدار هذه الحقوق فنه لا يعد انحرافاً وانما يعد مخالفاً لنص الدستور .

وبخصوص الفرض الرابع وهي ضرورة احترام الحقوق المكتسبة وعدم المساس بها :فقد جاء الدكتور عبد الرزاق السنهوري بهذا الصدد مثالاً وجاء فيه بامتناع سريان بعض القوانين باثر رجعي ،فهنا يجب التفرقة بين فرضيتين اساسيتين ،اولهما اذا كان الدستور ينص على عدم جواز سريان القانون باثر رجعي ،فان تشريع البرلمان لقانون يسري اثره على الماضي ،يعد تعارضاً مع نص الدستور الذي يمنع سريان القانون على الماضي ، واما اذا كان الدستور ينص على جواز سريان القانون على الماضي في حالات استثنائية ،فن الناحية النظرية يمكن اثارة فكرة الانحراف باعتبار تدخل ضمن نطاق عنصر الملائمة ،اما الاسراف في تقرير مبدأ الاثر الرجعي ،لايمكن الاخذ به ، وذلك لان القضاء يباشر الرقابة على تشريع معين ،لايكن له ان يبسط هذه الرقابة على البرلمان في عدة تشريعات ،واقصى مايكن القول بهذا الاسراف ،انها سياسة تشريعية تتعارض مع روح الدستور (٤٤).

اما الفرض الاخير وهو حالة تعارض التشريع مع روح الدستور ومبادئه والذي عدت انحرافاً للتشريع وفقاً للمعيار الموضوعي ،فان تعارض التشريع مع روح الدستور ومبادئه فانه يعد تعارضاً مع نصوص الدستور ذاتها وليس مع روح الدستور ومبادئه ،ولقد اكد الفقهاء ان الامثلة التي ذكرها الدكتور عبد الرزاق السنهوري تتعارض مع نصوص الدستور لا

مع روح الدستور ومبادئه فحسب ،وان اناطة مهمة الرقابة الى هيئة قضائية يخرجها في اغلب الاحيان من ميدان رقابة المشروعية الى رقابة الملائمة (٤٥).

عليه استعرضنا لاهم الانتقادات الموجهة الى النظرية التي جاء بها الفقيه السنهوري بصدد اثبات الانحراف التشريعي ،والذي حاول بشتى الطرق اثبات ان معيار الانحراف هو معيار موضوعي وليس معيار ذاتي ،ويرى الفقهاء المؤيدين للمعيار الذاتي ،ان حتى في مجال الاداري فان معيار الانحراف بالقرار الاداري هو معيار ذاتي ،وذلك لان الانحراف ينصب على ارادة مصدر القرار .

المبحث الثاني

دور القضاء الدستوري في الرقابة على الانحراف التشريعي

استكمالاً لفكرة الانحراف التشريعي سنتناول في هذا المبحث الى القضاء الدستوري ودوره في الرقابة على الانحراف التشريعي للمشرع . فالانحراف التشريعي لايعد عيباً صريحاً للقاضي الدستوري كسائر العيوب الاخرى التي تصيب القانون كعيب الشكل والاختصاص والمحل والتي يكفي لكشفها المقارنة بين النصوص القانونية والنص الدستوري او روح الدستور ليحكم القاضي الدستوري على النص القانوني بالصحة او البطلان لعدم دستوريته ،اما الانحراف التشريعي في مجال التشريع ،فالبحث يدور حول الهدف الحقيقي لإصدار القانون ،وهنا لايمكن اجبار المشرع عن الافصاح عن غرضه الحقيقي ،فالبحث هنا يتجه الى الادلة والقرائن على وجود هذه النية غير المشروعة ،وهذه الادلة تتمثل ب المناقشات البرلمانية والظروف والملابسات وغيرها ومن خلال هذه الادلة يصدر القاضي الدستوري حكمه بإثبات وجود الانحراف التشريعي من عدمه وهل اتجه التشريع الى تحقيق الغاية من التشريع (المصلحة العامة) من عدمه (٤٦) .

وان الانحراف التشريعي ليس له تطبيقات ثابتة في ظل دستور واحد او ظل دساتير متعاقبة ،بل يتوقف في وجوده على القوى السياسية في مراحل مختلفة في ظل نفس الدستور ،فقد يظهر الانحراف التشريعي خلال حقبة معينة بتوفر فرص محددة ،وقد تختفي هذه الفرص في حقبة اخرى من الدستور ،وكلاهما يحكمهما دستور واحد عليه سنتطرق في هذا المبحث الى موقف القضاء الدستوري المقارن في اربع مطالب مستقلة وكالاتي :

المطلب الاول

الانحراف التشريعي وموقف القضاء الدستوري الفرنسي

ان نظرية الانحراف التشريعي لم تظهر بصورة واضحة في قضاء المجلس الدستوري الفرنسي وذلك لكونه يشكل ادانة واتهاماً مباشراً للسلطة التشريعية باستخدام سلطاتها التشريعية بشكل مغاير للغاية منه وبعيداً عن المصلحة العامة ،عليه فان الاعتراف بعيب الانحراف التشريعي وقبوله باعتباره صور من صور عدم الدستورية يسمح للقضاء الدستوري الفرنسي بالتدخل في نية المشرع والبحث عن الغاية الحقيقية للتشريع (٤٧).

وان المجلس الدستوري الفرنسي قد اتبع في بعض احكامه موقفاً سلبياً بصدد مسألة الانحراف التشريعي ،حيث قدمت الى المجلس الدستوري العديد من الطلبات من قبل اعضاء الجمعية الوطنية وكذلك مجلس الشيوخ التي كانت تشير الى وجود انحراف تشريعي للمشرع في استعمال سلطته التقديرية ، وكان من بين المبررات التي قدمها المجلس الدستوري بصدد مواقفه السلبيه من عيب الانحراف التشريعي هو ان البحث في نوايا المشرع تخرج القضاء الدستوري عن اختصاصه في الرقابة .

ومن التطبيقات القضائية للمجلس الدستوري الفرنسي النظر في دستورية قانون **Loipasqua** المتعلق بتقسيم الدوائر الانتخابية والخاص بالانتخابات اعضاء الجمعية الوطنية ،حيث قي عام ١٩٨٦ نازع اعضاء مجلس الشيوخ في دستورية القانون اعلاه على اساس ان هذا القانون يهدف الى تحقيق المصالح الشخصية والسياسية لنواب بعض الاحزاب ولايحقق المصلحة العامة ، ونجد ان قرار المجلس الدستوري كان بانه لايمكن للمجلس الدستوري البت في الاعتبارات التعسفية التي اجراها البرلمان ، وذلك مراعاة حالة الدعوى المماثلة وتعقد وتنوع الاوضاع المحليه .

ويرى جانب من الفقه الفرنسي ومنهم الفقيه «**Rousseau**» ان توجه المجلس الدستوري الى الحكم بعدم تعارض

القانون اعلاه مع احكام الدستور والصياغة المبهمة للقرار تشير الى تعرض المجلس الدستوري الى ضغوط سياسية .
وعلى الرغم من موقف المجلس الدستوري السلبي حيال الانحراف التشريعي للبرلمان نجد انه مارس رقابته في البحث عن الانحراف التشريعي في حالات معينة ،ومنها قراره الخاص بتحديد سن التقاعد بالنسبة للقضاة خارج التدرج الوظيفي لمحكمة النقض ، وكذلك قراره الخاص بتحديد سن التقاعد لشاغلي الوظائف العليا (٤٨).
ومن اهم القضايا التي تعرض لها المجلس الدستوري الفرنسي بشأن الانحراف التشريعي هي القضية التي تقدم بها بعض النواب والشيوخ بخصوص عدم دستورية القانون «Loifilloud « المرقم (٩٣٧ -٨٤) الخاص بتنظيم المؤسسات الصحفية ومنع الاحتكار وتحقق الشفافية والتعددية المالية فيها ،حيث طعن النواب بعدم دستورية القانون اعلاه وانه لا يحقق المصلحة العامة ،وان القانون قد شرع لأغراض سياسية تتمثل بالتخلص من اكبر مجموعة صحفية معارضة للنظام السياسي وهي مجموعة «هيرسنت « ،مما يؤدي ذلك ان يفقد هذا القانون العمومية والتجريد الذي يتطلبه القانون .
وعلى الرغم من قبول المجلس الدستوري الفرنسي للقضية اعلاه الا انها مع ذالك لم تسلم بنظرية الانحراف التشريعي ،حيث نجد ان المجلس الدستوري قد توصل الى الغاية الحقيقية للقانون وانها لم تكن تهدف الى تحقيق المصلحة العامة ، بل على العكس فانها تهدف الى هدم المؤسسة الصحفية المعارضة للنظام السياسي الاشتراكي الذي كان سائداً انذاك ،وان المجلس الدستوري قد توصل الى الحكم بعدم دستورية الفقرة ٣ من المادة ١٣ من القانون اعلاه ،الا انه لم ينص على عدم دستوريتها لكونها تعد انحرافاً تشريعياً من قبل البرلمان ،بل نص على عدم دستورية المادة المذكورة لانتهاكها لمبدأ الحرية والتعبير وحرية الصحافة ومن ثم تعد اعتداءاً على المراكز المكتسبة قبل صدور القانون ،حيث جاء في مضمون الحكم « اذا سمح للمشرع في حالة تنظيمه للحريات العامة ان يقرر مايعد ضرورياً في المستقبل من القواعد الاكثر تشدداً وصرامة ،فانه لايجوز له المساس باحدى الحريات العامة الا في حالتين وهما : الاولى ان تكون هذه المراكز مخالفة للقانون ثانياً : اذا كان المساس بالمراكز هذه ضرورياً لضمان تحقيق الهدف الدستوري الذي يسعى اليه المشرع (٤٩).
ومن ابرز الفقهاء الفرنسيين الذين استخدموا مصطلح الانحراف التشريعي في المجال الدستوري هو الفقيه الفرنسي Barthelemy والذ عبر عن فكرته عن الانحراف التشريعي على اساس انحراف القانون رقم ٧ يوليو لسنة ١٩٠٧ ،الخاص بالتسريح المبكر لجندي ١٩٠٣ ، حيث ذهب الى ان القصد الحقيقي من هذا التشريع هو معاقبة مجندي الفرقة السابعة عشر مشاة ، وان كان التشريع يتصف بالتجريد والعمومية في ظاهره ،الا انه كان يستتر من ورائه تشريع هذا القانون عقوبة مبطنة اراد تطبيقها على مجندي الفرقة السابعة عشر بأثر رجعي (٥٠) .
مما تقدم نجد ان موقف المشرع الدستوري الفرنسي المتمثل بمجلس الدستوري الفرنسي ،لم يكن له موقف صريح وثابت تجاه نظرية الانحراف التشريعي ، فقد كانت قراراته تارة تأخذ بالمواقف السلبية للقوانين التي تصدر بصورة منحرفة وعلى الرغم من بحثها في دستورية القانون محل الطعن الا انها لم تسلم بنظرية الانحراف التشريعي وانما تسند عدم دستورية القوانين الى المخالفة الموضوعية للقانون من الدستور ، وتارة اخرى نجد انه يقر بالانحراف التشريعي لكن من منضور ضيق جداً وكان السبب في ذالك هو الضغوط السياسية التي كانت تسيطر على القضاء الدستوري .

المطلب الثاني

الانحراف التشريعي وموقف القضاء الدستوري الامريكي

اتجه جانب من الفقه الدستوري الى القول بان المحكمة الاتحادية العليا في الولايات المتحدة الامريكية لم تأخذ بمصطلح الانحراف التشريعي ،وليست لها أي محاولات جادة لصياغة نظرية بشأن الانحراف التشريعي ، وان المحكمة الاتحادية العليا في امريكا تعد التشريع دستورياً اذا كان التشريع في ظاهره داخلاً ضمن السلطات التي يسمح الدستور للبرلمان بممارستها ،فان المحكمة لاتبحث في الغايات الحقيقية من وراء التشريع سواء كانت هذه الغايات تهدف الى تحقيق الصالح العام من عدمه ، وقد استند الفقه في تبرير رأيهم اعلاه الى حكم المحكمة الاتحادية العليا في قضية «UnitedState VDoremus « والذي جاءت فيه بأنه المحكمة لاتستطيع ان تؤيد احد الخصوم في طعنه بعدم الدستورية قانون

ما ،اذاكان التشريع مستوفياً للشروط القانونية التي يتطلبها القانون عند اصداره ،وذلك عندما طعن احد الخصوم بان التشريع قد صدر لبواعث غير شريفة وعلى اساس انها لها تأثير على بعض اعضاء البرلمان الذي سن التشريع (٥١) .

وان الاستناد الى القرار اعلاه من قبل جانب من الفقه للقول بان المحكمة الاتحادية العليا لم تأخذ بمصطلح الانحراف التشريعي لايمكن التسلم به ، وان ما اشارت اليه المحكمة بصدد الشروط القانونية للقانون بقولها اذاكان التشريع مستوفياً لأركانه الموضوعية والشكلية فأنه ليس للمحكمة الا ان تقر بدستوريته ،الا انه كيف للمحكمة ان تقر بدستورية تشريع معين اذا ما استوفى شروطه الموضوعية والشكلية من غير ان تتأكد من مدى صحة ركن الغاية والذي يعد من الاركان الاساسية للقانون ويظهر الانحراف بأجلى مظاهره اذاكان التشريع متفقاً مع نصوص الدستور في ظاهره الا انه يكون مخالفاً للأهداف التي ينص الدستور ،عليه فان غياب مصطلح الانحراف التشريعي في الفقه الدستوري الامريكي لايعني بالضرورة ان القضاء الدستوري الامريكي متمثلاً بالمحكمة الاتحادية العليا لم تأخذ بالرقابة على الغاية من التشريع ،اذا ان المحكمة قد اخذت بفكرة الغاية لكن بمصطلح اخر وهو «التشريع المستتر « ،ومن اهم القضايا التي تطرقت اليها المحكمة الاتحادية العليا في امريكا الى الانحراف التشريعي لكن تحت تسمية الانحراف المستتر حكمها الصادر في عام ١٩٢٢ في قضية» « **Bally V D rexei** والتي تتلخص وقائعها في ان الكونغرس الامريكي قد فرض ضريبة قيمتها عشرة بالمئة على الارباح التي تجنيها المصانع والمحاجر والمناجم ،والتي استخدمت ايدي عاملة من قبل الاطفال الذين هم دون السن القانوني المسموح لهم بالعمل ، وهذا يعني ان هناك استغلال لهؤلاء الاطفال ،وقد ذهبت المحكمة الاتحادية العليا في البحث عن غاية هذا التشريع ، وتوصلت ان الغاية ليست فرض ضريبة على المصانع والمناجم والمحاجر ، وانما الغاية كانت لحل مشكلة تشغيل الاطفال الذين يعدون دون السن القانوني المقرر لهم للعمل ، اي ان هذا التشريع يتضمن عقوبة ضمنية على المخالفين ،وقد تبين للمحكمة من خلال النظر وتفحص نصوص القانون ،ان الضريبة التي يفرضها القانون اعلاه لايتناسب مع وعائها لثبات مقدارها ، رغم كون صاحب العمل قد ارتكب مخالفة ،كما له ان يعفى من دفع الضريبة اذا ادعى واثبت ادعائه ان لايعلم بحقيقة عمر عماله ، ولذا كان قرار المحكمة انها لاتستطيع ان تغض النظر عن الحقيقة وتتجاهل الضريبة التي لاتعد سوى وسيلة لمنع تشغيل العمال ،ولذلك فان من صميم واجبها ان تمتنع عن النظر في كل نص يتخذ بخلاف الحقيقة ،متى ما ثبت انه يتعرض لمسائل ليس من اختصاص الكونغرس الخوض فيها (٥٢) .

من التطبيقات القضائية للكونغرس الامريكي على الانحراف التشريعي هو محاولاته لفرض عقاب تشريعي على بعض الموظفين في سنة ١٩٤٦ في قضية لوفيت ،والتي كانت تتلخص وقائعها في قيام لجان الكونغرس بإجراء تحقيق قررت فيه توجيه الاتهام الى عدد من موظفي الحكومة المركزية بالشيوعية ،وانه من غير الممكن البقاء في مراكزهم ،الا ان الجهات الحكومية المختصة بعملهم رفضت ذلك مستندة بأنها لاتشك بصلاحيتهم ووطنيتهم ،وبناءاً على ذلك اتخذ الكونغرس اجراء اخر للتحايل والوصول الى ذات النتيجة ،فأضاف الى احد قوانين الاعتمادات المالية ملحقاً يتضمن منع صرف اي مبلغ لهؤلاء الموظفين الثلاثة ،وقد اعترض مجلس الشيوخ على الاجراء المتخذ من قبل الكونغرس ،واستطاع انقاذ القانون الاصلي ، والوصول الى حل وسط يتضمن منع صرف رواتب هؤلاء الموظفين الثلاثة الا بعد اعادة تعينهم من قبل رئيس الجمهورية وموافقة مجلس الشيوخ على ذلك وقد رفض الرئيس الامريكي «روزفلت» على هذا الاجراء عى اعتبار انه اغتصاب خطير من قبل الكونغرس للسلطتين التنفيذية والقضائية ،الا انه اضطر الى الموافقة على هذا الاجراء لانقاذ القانون الاصلي ،واستمر الموظفين في عملهم من دون ان يتقاضوا رواتبهم ،وقاموا برفع دعوى امام محكمة المطالبات طالبوا بتسليم مرتباتهم عن تلك المدة ، وقد تم عرض القضية امام المحكمة الاتحادية العليا ، والتي توصلت الى عدم دستورية القانون اعلاه ،على اعتباره عقاباً تشريعاً منعه الدستور ،لان حرمان الموظف من العمل هي عقوبة لاشك فيها .

وكذلك تجلى موقف المحكمة الاتحادية العليا في الولايات المتحدة الامريكية بأجلى مظاهر الوضوح في قضة الدوائر الامنة

والتي خصصت بموجبها بعض الدوائر في احدى الولايات الامريكية لكل من الحزب الديمقراطي والجمهوري ،بشرط ان النتيجة لاحد هذين الحزبين ،وقد تم رفض الطعن بعدم الدستورية التشريع وذلك على اعتبار ان الادعاء بوجود اعتبارات سياسية وراء عملية التقسيم لايعد كافياً للحكم بعدم دستورية القانون اعلاه(٥٣) ويتبين لنا مما تقدم ان البحث غي الغاية من التشريع يعد من ضمن الاختصاصات التي اخذت بها المحكمة الاتحادية العليا في الولايا المتحدة الامريكية ،وهي بصدد ممارسة رقابتها على السلطة التقديرية للمشرع ،عليه فهي تمارس رقابتها على الانحراف التشريعي ،وان لم تنص احكامها على مصطلح الانحراف التشريعي ،وذلك لان تأكيدها على الغاية من التشريع يعد من اهم واجباتها ،وذلك يؤكد بلاشك اتباعها منهجاً قضائياً يتفق مع فكرة الرقابة الدستورية على السلطة التقديرية للمشرع والخاص بركن الغاية ،عليه فالتشريع المستتر الذي اخذت به المحكمة الاتحادية العليا في الولايات المتحدة الامريكية تعد صورة من صور الانحراف التشريعي ،على اعتباره سليم في مظهره ويهدف الى تحقيق الصالح العام ،الا انه معيب في باطنه لايهدف المشرع من وراءه الوصول للغاية التي نص الدستور على تحقيقها .

المبحث الثالث:

الانحراف التشريعي وموقف القضاء الدستوري المصري:

استقر القضاء الدستوري في مصر على اعتبار ان الرقابة القضائية على دستورية القوانين هي رقابة مشروعية وليست رقابة ملائمة ،حيث يقتصر دور المحكمة الدستورية العليا على التحقق من مطابقة القانون المطعون بعدم دستوريته مع النصوص الدستورية ،من غير التوغل الى البواعث التي تدفع السلطة التشريعية الى تشريع القانون ،بأعتبار ان ذلك يعد من قبيل السلطة التقديرية للمشرع مالم ينص الدستور على خلاف ذلك ويقيد التشريع بقيود وضوابط معينة (٥٤).

وعلى الرغم من موقف المحكمة الدستورية العليا في مصر بعدم الاخذ بالرقابة على بواعث التشريع وملائمته ، الا انه يمكن الاستنتاج من بعض احكامها انها ميزت بين بواعث التشريع وغايته ،واقتصرت رقابتها على الغاية من التشريع الذي يجب ان يهدف الى تحقيق المصلحة العام (٥٥)دون بواعثه .

وان رقابة المحكمة الدستورية العليا كانت مقيدة فيما يتعلق بالانحراف التشريعي ،وان المحكمة قد تعرضت في مناسبات عديدة الى مناقشات البرلمان وذهبت بصدد نظرها للطعون المقدمة اليها ،على انها كانت ذات طبيعة احتياطية ،وان سوء استعمال السلطة التشريعية لوظائفها لايدخل من ضمن عملها بل يعد عيباً احتياطياً ، ولذلك كانت معظم قراراتها بصدد الطعون المقدمة اليها تستند الى العيوب الشكلية والموضوعية التي تصيب التشريع المطعون بعدم دستوريته من غير ان تدين المشرع في غاياته طالما ان النتيجة هي واحدة وهي نقص التشريع من دون اي صدام مع السلطة التشريعية(٥٦).

ومن اهم التطبيقات القضائية لموقف المحكمة الدستورية العليا حيال نظرية الانحراف التشريعي،الطعن بالقانون رقم ٦٢٢ لسنة ١٩٥٥ والمتضمن بإلغاء قرار وزارة التربية والتعليم معادلة شهادة المساحة بشهادة الفنون والصنائع، حيث ان سلطة المشرع في تنظيم النقابات والانضمام اليها لم يقيدها الدستور بقيود ،وعليه تكون سلطته في هذا الشأن تقديرية ،الا ان المشرع لم يستخدم سلطته لتحقيق المصلحة العامة وانحرف باستخدام سلطته، وقد تم رفع الدعوى ضد كل من رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ، حيث ادعى المدعي بعدم دستورية القانون اعلاه وانه قد صدر مشوباً بعيب الانحراف التشريعي ،ولم يهدف تحقيق المصلحة العامة ،مستنداً الى المذكرة الايضاحية للتشريع اعلاه ،وان اصدار القانون اعلاه لم يكن الغرض منه الا لتحقيق اغراض شخصية .

واقرت المحكمة الاتحادية العليا في مصر بعدم وجود انحراف تشريعي ، ورفضت النظر في الدعوى ، وكان قرار المحكمة اعلاه من القرارات التاريخية الهامة لأنها المرة الاولى التي تستخدم فيه مصطلح الانحراف التشريعي ، وكان هذا القرار من الدلائل على تبني المحكمة فكرة الانحراف التشريعي ،وذلك كونها قد بحثت في الدلائل والقرائن الاثبات التي قدمها المدعي على كون ان القانون اعلاه قد شابه انحرافاً تشريعياً ،فهي لم تتجنب البحث في الانحراف التشريعي الذي ادعاه المدعي ، وبحثت فيما اذا كان القانون قد صدر بدافع الانتقام والكيد ام لا ، وبذلك تكون المحكمة قد راقبت فيما اذا

كان المشرع قد انحرف باستخدامه لسلطته من عدمه .

وان قرار المحكمة اعلاه قد وضع الخطوة الاولى لتبني المحكمة العليا لمفهوم الانحراف التشريعي ، كونها بحثت في الاهداف الشخصية من وراء تشريع القانون ، كما انها بحثت في مدى صحة غاية التشريع ، واتبعت منهاجاً صحيحاً ومنطقياً في فحص ما قدمه المدعي من ادلة وقرائن اثبات عن الانحراف التشريعي ، كما انها بحثت في كافة الملابسات والظروف التي رافقت تشريع القانون، ومما تقدم نستطيع ان نجزم ان القضاء الدستوري في مصر قد اخذ بعيب الانحراف التشريعي كأحد العيوب الاساسية التي تصيب القانون المطعون بعدم دستوريته (٥٧).

ومن التطبيقات الحديثة التي اخذ به القضاء الدستوري في مصر هو الطعن الخاص بتنظيم مباشرة الحقوق السياسية والذي يعرف بقانون العزل السياسي ،والذي يتناول البحث بالقانون رقم ١٧ لسنة ٢٠١٢ ،والذي اقرت فيه المحكمة العليا لأول مرة بان التشريع اعلاه معيب بعيب الانحراف التشريعي ،حيث ان المادة الاولى من القانون رقم ١٧ لسنى ٢٠١٢ قد نصت على عدم جواز مباشرة الحقوق السياسية من اشخاص معينين وهم :

١ – المحجور عليهم طيلة مدة حجرهم .

٢ – المصابون بأمراض عقلية والمحجوزون طيلة مدة حجزهم .

٣ – الذين تم اشهار افلاسهم .

٤ – كل من عمل خلال العشر السنوات الاخيرة على تاريخ ١١ فبراير سنة ٢٠١١ رئيساً للجمهورية ،او نائباً له ،او رئيساً للوزراء ، او رئيساً للأحزاب .

وحيث ان ممارسة الحقوق السياسية هي من ضمن الحقوق التي اقرها الدستور المصري ولايجوز لاحد تقييدها ، وان ماذهب اليه القانون اعلاه والتي تتعلق بالفقرة الرابعة بحرمان ممارسة الاشخاص اعلاه الحقوق السياسية خلال عشر سنوات يعد مساساً بالحقوق السياسية للأفراد التي اقرها الدستور ، لذلك اقرت المحكمة الدستورية العليا في مصر بعدم دستورية نص المادة الاولى من القانون رقم ١٧ لسنة ٢٠١٢ ،لمساسه بالحقوق السياسية للأفراد(٥٨).

عليه نجد ان القضاء الدستوري في مصر والذي يتمثل بموقف المحكمة الدستورية في مصر لم ينص على مصطلح الانحراف التشريعي بصورة صريحة وواضحة وانما عده عيباً احتياطياً ،حيث ان موقف المحكمة كان واضحاً من الاخذ بالعيوب الموضوعية كأساس النظر في دستورية القوانين من عدمه وعدم التطرق الى الغاية من التشريع في حالة وجود عيوب موضوعية تشوب التشريع محل الطعن ،اما بالنسبة الى عي الغاية فهو عيب احتياطي .

المطلب الرابع

الانحراف التشريعي وموقف القضاء الدستوري العراقي

على الرغم من نص الدساتير العراقية السابقة متمثلة بالقانون الاساسي العراقي لسنة ١٩٢٥ ،ودستور العراق لسنة ١٩٦٨ على الرقابة الدستورية وتبنية الرقابة القضائية ، الا ان الممارسة الفعلية للرقابة الدستورية لم تطبق في العراق بصورة حقيقية من الناحية العملية والتطبيقية ،الا بعد صدور دستور العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ ،وتحول العراق الى دولة ذات نظام اتحادي فدرالي ،وذلك بأنشاء المحكمة الاتحادية العليا التي تعد اول تجربة حقيقية لإنشاء قضاء دستوري في العراق ،ورغم نص قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية على انشاء المحكمة الاتحادية العليا في العراق ويكون اختصاصها الرقابة على دستورية القوانين ، وتم بعد ذلك صدور قانون المحكمة الاتحادية العليا رقم (٣٠) لسنة ٢٠٠٥(٥٩)، الا ان الممارسة الفعلية للمحكمة الاتحادية بدأت بعد صدور دستور العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ.

وبالرجوع الى موضوع بحثنا عن الانحراف التشريعي ، نجد ان القضاء الدستوري العراقي ،متمثلاً بموقف بالمحكمة الاتحادية العليا ،لم يكن لديه موقف واضح وصريح من الناحية النظرية ازاء مسألة انحراف المشرع ،وخصوصاً في ظل المرحلة الراهنة ، الا انه في ظل تعدد الاحزاب وائرها على السلطة التشريعية ، لايمكن بالفعل استبعاد الوقوع بانحراف تشريعي ، وان موقف القضاء الدستوري في العراق اتسم بالغموض حيال مسألة الانحراف التشريعي .

عليه سنحاول استنتاج موقف المحكمة الاتحادية العليا من موضوع الانحراف التشريعي من خلال التطرق الى قانونين ، الا وهما قانون رقم (٨) لسنة ٢٠١٣ والذي يتعلق بمسألة تحديد ولاية الرئاسات الثلاث ، والقانون الاخر هو قانون رقم (١٣) لسنة ٢٠١٠ والذي يتعلق ب قانون هيئة الدعاوي الملكية وكالاتي :

الفرع الاول

الانحراف التشريعي في قانون رقم (٨) لسنة ٢٠١٣

تم تشريع قانون القانون اعلاه من قبل مجلس النواب وتم نشره في مجلة الوقائع العراقية بالعدد (٤٢٧٣) في ٢٠١٣\٤\٨(٦٠)،وتم بموجبه تحديد مدة ولاية كل من رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء ورئيس مجلس النواب ، وتم صدور هذا القانون بناءاً على مقترح من قبل اعضاء مجلس النواب ،وتم الطعن بدستورية القانون اعلاه من قبل رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء ،وذلك على اعتبار ان مقترح القانون لم يأخذ بالأسس الدستورية التي نص عليه الدستور ،وهي ضرورة تقديم مشروعات القوانين من قبل السلطة التنفيذية متمثلة برئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء ،كما ان مقترحات القوانين تقدم من عشرة من اعضاء مجلس النواب او احد لجانه المتخصصة كما نص على ذلك دستور العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ(٦١)،اضافة الى ذالك فان الدستور قد حدد في المادة (٧٢) منه مدة ولاية رئيس الجمهورية بأربع سنوات ، ولايجوز لمجلس النواب تعديل المادة أعلاه بقانون عادي ،استناداً الى مبدأ سمو الدستور (٦٢) والاجراءات الدستورية الخاصة بتعديل الدستور التي نص عليها الدستور ،والذي يتطلب فيه موافقة ثلثي اعضاء مجلس النواب ،وموافقة الشعب عليه باستفتاء شعبي ، ومصادقة رئيس الجمهورية (٦٣)، اما بالنسبة الى تحديد مدة ولاية رئيس الوزراء ورئيس مجلس النواب فلايجوز لمجلس النواب تحديد مدة ولاية كل منهم لعدم النص على ذالك في الدستور ، لكون ان رئيس مجلس النواب يتم اختياره من ممثلي مجلس النواب ، كما ان رئيس الوزراء يتم تكليفه من قبل رئيس الجمهورية ،وذلك استناداً الى مبدأ سيادة الشعب ،عليه تم الطعن بدستورية القانون اعلاه استناداً الى ما ذكرناه اعلاه ، وقد تم النظر في الطعن اعلاه من قبل المحكمة الاتحادية العليا والتي جاءت في قرارها (٦٤) ان القانون اعلاه غير دستوري وذلك استناداً الى ان مجلس النواب لم تأخذ بنظر الاعتبار الاجراءات التي يتطلبها تشريع القوانين من اقتراح القوانين وضرورة عرضها على السلطة التنفيذية ،الا ان المحكمة الاتحادية قد اغفلت النظر بجانب مهم وجدي الا وهو ماهو الباعث من التشريع ، حيث ان مجلس النواب قد اقدم على سن القانون اعلاه وذلك لأغراض شخصية ومحاولة منه بمنع تولي احد الشخصيات السياسية لولاية ثانية في الحكم ، فكل الوقائع اعلاه تدل على وجود الانحراف التشريعي ،وكان على المحكمة التطرق الى عيب الانحراف التشريعي ، وذلك لان الدستور قد منح مجلس النواب سلطة تقديرية بإصدار القوانين ،وعليه يجب ان تكون هذه السلطة الى تحقيق المصلحة العامة ، وان ماذهب اليه مجلس النواب هو الاضرار بشخص واحد ولم يتضمن قواعد عامة مجردة كما يتطلبه القانون .

عليه يكون القانون اعلاه مشوب بعيب الانحراف التشريعي على الرغم من عدم نص المحكمة الاتحادية العليا على ذلك بصورة صريحة ، الا انه يمكن استنباط الانحراف من البحث في النوايا الحقيقية لمصدري القانون محل البحث ، ونجد ان ماذهبت اليه المحكمة الاتحادية في قرارها اعلاه لم يكن موفقاً وكان الاولى بالمحكمة البحث بالبواعث الحقيقية من وراء صدور التشريع وخصوصاً ان القانون لم يكن يحقق المصلحة العامة .

الفرع الثاني

الانحراف التشريعي وقانون هيئة الدعاوي الملكية رقم ١٣ لسنة ٢٠١٠

نص قانون هيئة الدعاوي الملكية رقم (١٣) لسنة ٢٠١٠ في المادة(٢٥) منه على انه (يحق للذين وقع عليهم غبن نتيجة تطبيق القانون رقم (٢) لسنة ٢٠٠٦ بما يخص التعويض وقت اقامة الدعوى ولهم الحق بإقامة الدعوى بموجب القانون الجديد بأثر رجعي لرفع الحيف عنهم)، وان الغاية من تشريع القانون اعلاه هو حماية وضمان حقوق المواطنين الذي انتزعت عقاراتهم خلافاً للقانون وتعويضهم تعويضاً عادلاً وحماية المال العام ،ويجب ان يكون هذا التعويض متساوياً لكل

المواطنين من دون تمييز بسبب الجنس او العرق او الدين ،استناداً الى نص دستور ٢٠٠٥ النافذ الذي نص على ان (العراقيين متساوون امام القانون دون تمييز بسبب الجنس او العرق او القومية او الاصل او الدين او المذهب او المعتقد او الرأي او الوضع الاقتصادي او الاجتماعي)(٦٥)، وكذلك نص الدستور على انه (انه لكل فرد الحق في ان يعامل معاملة عادلة في الاجراءات القضائية والادارية)(٦٦) ، الا ان المادة (٢٥) من قانون هيئة الدعاوي الملكية قد جاءت بمبدأ يتعارض مع مبدأ المساواة في تقرير التعويض عن العقارات التي انتزعت منهم لأسباب غير قانونية .

وقد تم الطعن بالمادة (٢٥) من القانون اعلاه من قبل قاضي محكمة بداءة الكرخ امام المحكمة الاتحادية العليا ، حيث جاء في الطعن ان المحكمة ترى ان نص المادة (٢٥) من قانون هيئة الدعاوي الملكية يتعارض مع احكام المادتين (٢\ج) و(١٤) من دستور جمهورية العراق النافذ ،وذلك لكون تلك المادة قد جاءت خلافاً لمبدأ المساوة بين الطرفين المتداعيين ،ونصت على احتساب التعويض مرة اخرى للغبن الوارد في احكام المحكمة المكتسبة درجة البتات وبأثر رجعي .

وقد تم النظر في الطعن من قبل المحكمة الاتحادية العليا ، والذي جاءت في قراراها بان نص المادة (٢٥)من قانون هيئة الدعاوي الملكية يعد غير دستورية لمخالفتها نص المادة (٢\ج) و(١٤) من الدستور ، فنص المادة اعلاه ينص على رجعية القانون،وان فكرة رجعية القانون يفتح التساؤل حول حقيقة المقصود من النص عليه ،وهل كان المقصود اشخاص معينين ، وبما ان نص المادة (٢٥) قد اخلت بمبدأ المساواة ،فان ذلك يدل على ان المحكمة الاتحادية قد تعرضت الى بحث في الباعث من التشريع ، وبما ان الغاية من التشريع هو التمييز بين فئتين من المواطنين في التعويض ،فبعضهم يحق لهم رفع دعوى بأثر رجعي ، اما باقي المواطنين فلا يحق لهم ذلك ، وهذا دليلا واضحاً على وجود انحراف تشريعي في القانون اعلاه ،وان المحكمة الاتحادية قد نقضت هذه المادة استناداً الى اخلالها بمبدأ المساواة ، على الرغم من ان الانحراف كان واضحاً وكان الاولى بالمحكمة ان تشير الى وجود انحرافاً من قبل المشرع في القانون محل الطعن وتبحث في الغاية التشريع ،الذي ينبغي ان يكون يهدف تحقيق المصلحة العامة (٦٧).

عليه ومما تقدم نجد ان القضاء الدستوري العراقي متمثلاً بموقف المحكمة الاتحادية العليا ،هو الاخر لم يكن له موقف صريح وواضح من الانحراف التشريعي (عيب الغاية) وحاول الاستناد الى الاسباب الموضوعية دون الذاتية للوصول الى الحكم بعدم دستورية قانون معين .

واستناداً الى ما تقدم نجد ان القضاء الدستوري في الانظمة السياسية المقارنة التي سبق ان تطرقنا عليها متمثلة بموقف القضاء الدستور ي في كل من فرنسا وامريكا ومصر والعراق ،لم يكن لديها موقف واضح وصريح حيال مسألة الانحراف التشريعي ،ونجد انها قد اخذت بالمعيار الموضوعي دون المعيار الذاتي ، وان اخذت في بعض الاحيان بعيب الانحراف الا انه كان عيباً احتياطياً دون الاشارة الى مصطلح الانحراف التشريعي بصورة صريحة فمثلاً على سبيل المثال نجد ان القضاء الدستوري في مصر قد اخذ مصطلح العيب المستتر بدلاً من الانحراف التشريعي ، وان موقف القضاء الدستوري حيال الانحراف التشريعي كان مرده التجنب في التدخل في اعمال السلطة التشريعية ،وذلك اخذاً بمبدأ الفصل بين السلطات هذه من ناحية ومن ناحية اخرى كانت للاعتبارات السياسية والضغوطات الحزبية اثراً كبيراً على المحاكم الدستورية في هذا الشأن .

الخاتمة :

في نهاية مطاف بحثنا عن الانحراف التشريعي وموقف القضاء الدستوري ازاءه ، يتوجب علينا الاشارة الى جملة من الاستنتاجات والتوصيات التي توصلنا اليها من خلال بحثنا اعلاه ،لتكن البداية لوضع الحلول من قبل الباحثين والقضاء الدستوري لمسألة انحراف المشرع عن الاهداف المخصصة من تشريع القانون ،عليه سنتطرق فيما يلي الى اهم الاستنتاجات والتوصيات وكالاتي :

١ – يقصد بالانحراف التشريعي بأنه انحرف السلطة التشريعية في ممارسة الاختصاصات الموكلة اليها والخاصة بتشريع القوانين ،والانحراف التشريعي هو عيب مستتر يصيب القانون فيجعل ظاهره الصحة وباطنه الفساد .

٢– ان السلطة التشريعية وهي تمارس اختصاصها تتمتع اما بسلطة تقديرية او بسلطة مقيدة ،بحسب ماينص عليه الدستور ، فاذاكانت السلطة التشريعية تتمتع بسلطة مقيدة فهنا يجب ان تكون جميع القوانين التي تصدرها مقيدة بالحدود التي منحها اياها الدستور ،اما اذا ما تجاوزت سلطتها فهنا التشريع يكون باطلاً لمخالفتها الدستور ، اما اذاكانت السلطة التي تتمتع بها السلطة التشريعية في تشريع القوانين هي سلطة تقديرية ،في هذه الحالة تكون لها الحرية في اصدار ما تشاء من قوانين ،لكن من البديهي ان تكون هذه التشريعات تحقق المصلحة العامة ، لان الغرض او الغاية الاساسية من التشريع هي تحقيق المصلحة العامة فاذا ما تجاوزت السلطة التشريعية حدوده بإصدار تشريعات تحقق مصالح فردية او حزبية فهنا يكون المجال الرئيسي للانحراف التشريعي .

٣– ان عيب الانحراف التشريعي هو عيب خفي (مستتر) ومن الصعوبة اثباته كباقي العيوب الموضوعية والشكلية التي تصيب القانون والتي يمكن استنباطها من خلال مقارنة نصوص القانون ومطابقتها مع نصوص الدستور .

٤– من خلال دراستنا لموضوع الانحراف التشريعي والمتمثل بركن الغاية تبينا لنا ان الفقه الدستوري قد تبنى عدة معايير للانحراف التشريعي ،وهما المعيار الذاتي والمعيار الموضوعي الذي جاء به الفقيه عبد الرزاق السنهوري والذي جاء فيه بأنه لايمكن اعتماد معيار ذاتي للانحراف التشريعي اسوة بانحراف السلطة في المجال الاداري ،لان المعيار الذاتي يذهب الى الكشف عن نوايا المشرع الحقيقية ،فاذاكان ذالك ممكن في المجال الاداري ،فانه يستحيل معرفته في المجال التشريعي

٥– من خلال تطرقنا الى دور القضاء الدستوري في اثبات الانحراف التشريعي ،بحثنا عن دور القضاء الدستوري في الانظمة المقارنة في كل من فرنسا وامريكا ومصر والقضاء الدستوري العراقي وكالاتي

أ– موقف القضاء الدستوري في فرنسا من عيب الانحراف التشريعي.

لم يتطرق مجلس القضاء الدستوري الى نظرية الانحراف التشريعي بصورة صريحة ،تجنباً من توجيه الاتهام للسلطة التشريعية ،وان المجلس قد اتخذ موقفاً سلبياً بصدد مسألة الانحراف التشريعي ،وذلك عندما قدمت اليه العديد من الطلبات من الجمعية الوطنية ومجلس الشيوخ بشأن النظر بانحراف السلطة التشريعية عن مهامها ،وقد قدم المجلس الدستوري العديد من المبررات لامتناعه النظر في الانحراف التشريعي للبرلمان وكان من بين المبررات التي قدمها المجلس الدستوري بصدد مواقفه السلبيه من عيب الانحراف التشريعي هو ان البحث في نوايا المشرع تخرج القضاء الدستوري عن اختصاصه في الرقابة .

ب– موقف القضاء الدستوري في الولايات المتحدة الامريكية من عيب الانحراف التشريعي .

ان المحكمة الاتحادية العليا في الولايات المتحدة الامريكية لم تأخذ بمصطلح الانحراف التشريعي ،وليست لها أي محاولات جادة لصياغة نظرية بشأن الانحراف التشريعي، وان المحكمة الاتحادية العليا في امريكا تعد التشريع دستورياً اذا كان التشريع في ظاهره داخلاً ضمن السلطات التي يسمح الدستور للبرلمان بممارستها ،فان المحكمة لا تبحث في الغايات الحقيقية من وراء التشريع سواء كانت هذه الغايات تهدف الى تحقيق الصالح العام من عدمه، الا ان القضاء الدستوري قد اخذ بنظرية الانحراف التشريعي من خلال تبني العيب المستتر لكن دون الافصاح عن ذالك بقراراته بصورة صريحة .

ت– موقف المشرع الدستوري في مصر .

إنَّ القضاء الدستوري في مصر والذي يتمثل بموقف المحكمة الدستورية في مصر لم ينص على مصطلح الانحراف التشريعي بصورة صريحة وواضحة وانما عده عيباً احتياطياً ،حيث ان موقف المحكمة كان واضحاً من الاخذ بالعيوب الموضوعية كأساس النظر في دستورية القوانين من عدمه وعدم التطرق الى الغاية من التشريع في حالة وجود عيوب موضوعية تشوب التشريع محل الطعن ،اما بالنسبة الى عي الغاية فهو عيب احتياطي.

ث– ان القضاء الدستوري العراقي متمثلاً بموقف المحكمة الاتحادية العليا ،هو الاخر لم يكن له موقف صريح وواضح

من الانحراف التشريعي (عيب الغاية) وحاول الاستناد الى الاسباب الموضوعية دون الذاتية للوصول الى الحكم بعدم دستورية قانون معين .

٦- مما تقدم توصلنا الى ان القضاء الدستوري في الانظمة المقارنة ،لم يكن لها مواقف ايجابية ازاء نظرية الانحراف التشريعي المتمثل بعيب الغاية ،ونجد ان السبب وراء موقف القضاء الدستوري السلبي حيال عيب الغاية هو تجنبا من التدخل في اعمال السلطة التشريعية اخذاً بمبدأ الفصل بين السلطات ، لذا نجد ان القضاء الدستوري وان تحقق من وجود عيب الانحراف في التشريع فأنه يبرر ذلك الى العيوب الموضوعية التي تصيب التشريع دون ان ينص صراحة على وجود الانحراف التشريعي ، والذي غالباً ما يصعب اثباته .

المقترحات :

١- يجب ان يأخذ مشروع القانون الوقت الكافي واللازم للبحث فيه ومناقشته من قبل اللجنة المختصة بالتشريع ،لان التشريع اذا يتبع فيه منحى متسارع في تشريعه ومن غير اتباع الاجراءات المطلوبة ، مع ضرورة عرضه على الجهة المختصة اذا تطلب القانون ذلك يكون معيباً بعيب الانحراف التشريعي كونه يتعارض مع مقومات القاعدة القانونية التي تقتضي بان يكون التشريع قاعدة عامة مجردة وتهدف الى تحقيق المصلحة العامة وليس مصلحة فردية .

٢- ضرورة تشكيل لجنة مختصة للنظر بمقترحات القوانين ،حيث من المعروف وفقاً لدستور العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ لذي نص فيه على ان مقترحات القوانين تصدر من مجلس النواب ،بينما مشاريع القوانين تصدر من رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء ،وهذا ما أكدته المحكمة الاتحادية العليا بالتمييز بين مقترح القانون ومشروع القانون ،حيث ان مشروع القانون لايقدم لمجلس النواب الابعد عرضه على مجلس شورى الدولة ،ومن الاجدر ايضاً ان تكون هناك لجنة مختصة للنظر بمقترحات القوانين المقدمة من مجلس النواب ،لصياغتها والنظر في كونها قد اتبع فيها الاجراءات المطلوبة لإقرارها وفي كونها تحقق المصلحة العامة .

٣- يجب ا يكون اعضاء اللجنة اعلاه من اعضاء مجلس النواب ومن المختصين والخبراء بالشأن القانوني والمالي والتشريعي والدستوري ،ويومن من صلاحية هذه اللجنة تقديم التوصيات والمشورة لمجلس النواب تجنباً من تشريع قانون معيباً بعيب الانحراف التشريعي حماية للنظام القانوني في الدولة .

٤- ندعو المشرع الى ضرورة الاسراع في تشريع قانون مجلس الاتحاد ،وذلك لأهمية المجلس في العملية التشريعية ،ولكي لا يستأثر مجلس النواب بالتشريع ،وكذلك في امكانية تأثير كل مجلس على الاخر في تشريع القوانين مما يحول دون الوقوع في انحراف تشريعي .

٥- من خلال بحثنا عن دور القضاء الدستوري ازاء مسألة الانحراف التشريعي توصلنا الى ان معظم الانظمة الدستورية لم يكن لها موقف واضح وصريح من عيب الانحراف التشريعي ،مع محاولة اسناد عدم دستورية القانون الى العيوب الموضوعية دون التطرق الى مسألة الانحراف التشريعي ،عليه نوصي المشرع بتبني نظام الرقابة السابقة الى جانب الرقابة اللاحقة من خلال تشكيل لجنة مختصة من السلطة التشريعية والقضائية للنظر بمشروعات ومقترحات القوانين ،والعبرة بتشكيل هذه اللجنة من كل من السلطتين القضائية والتشريعية ،يكمن في عدم توجيه الاتهام الى القضاء الدستوري بالتدخل في عمل السلطة التشريعية استناداً الى مبدأ الفصل بين السلطات .

٦- اخيراً ندعو الفقه والقضاء الدستوري الى التوسيع بالأخذ بنظرية الانحراف في استعمال السلطة التشريعية لكونها باتت ضرورة ولاسيما بعد تطور الحياة التشريعية ،متى ما وجدت الدلائل على وجود الانحراف وخصوصاً اذا ما ثبت ان الباعث من التشريع يحيد عن تحقيق المصلحة العامة ، فليس هناك ما يمنع القضاء من النظر في الغاية من التشريع في حالة اذا ما ثبت ذلك ،ولاسيما ان المشرع قد يلجأ الى تشريع قانون معين متبعاً الاجراءات الشكلية والموضوعية ولكن

دون ان يكون الباعث تحقيق المصلحة العامة ،فهنا يتعذر على القضاء الحكم بعدم دستورية القانون اذا امتنع من البحث في عيب الغاية (الانحراف التشريعي

الهوامش:

(١) ينظر ابراهيم مصطفى واخرون ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ج١ ، تركيا ، دار الطباعة والنشر والتوزيع ،١٩٨٩ ،ص ٦٧ .

(٢) ينظر ابن منظور ،محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، لسان العرب ،ج٣ ،بيروت ،دار صادر ، سنة ١٩٥٥ ، ص ١٢٩ .

(٣) ينظر محد محمد فيروز ، القاموس المحيط ،ج٤ ، مؤسسة الفن للطباعة ، ص ٧٩٩ .

(٤) السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس المجلد الثاني عشر ، بيروت دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٧ ص ٧٣ .

(٥) ينظر سورة الحج : الاية : (١١) .

(٦) ينظر سورة النساء : الاية : (٤٦) .

(٧) ينظر سورة المائدة : الاية : (٤١).

(٨) ينظر سورة البقرة : الاية (٧٥) .

(٩) ينظر الامام الفخري الرازي ، لبتفسير الكبير ،المجلد الاول ، بيروت ،دار احياء التراث العربي ،٢٠٠١، ص ٥٦٠ .

(١٠) محمد بن ابي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٣ ، ص٣٣٤ .

(١١) سورة المائدة : الاية (٤٨).

(١٢) سورة الجاثية :الاية (١٨) .

(١٣) ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) ،لسان العرب ، ج ٨ دار صادر ،بيروت ٢٠١٣ ، مسألة الشرع ، ص ١٦٥ .

(١٤)محمد سلامة محمد غباري ، مدخل علاجي جديد الانحراف الاحداث ،ط٢ ، الاسكندرية ، المكتب الجامعي ، ١٩٨٩ ، ص ٦ .

(١٥) عدنان فاضل بارة ، عيب الانحراف التشريعي في التشريعات المالية والاقتصادية في العراق ، رسالة ماجستير ، جامعة النهرين ،كلية الحقوق ، ٢٠١٧ ، ص ٢٧ .

(١٦) انتصار محمد علي ، مصير التشريعات النافذه بين مبدأ ثبات الدستور وتغييره ، رسالة ماجستير ، جامعة كركوك ،كلية القانون والعلوم السياسية ، ٢٠١٧ ، ص ٤٥ .

(١٧) د عبد الرزاق احمد السنهوري ، مخالفة التشريع للدستور والانحراف في استعمال السلطة التشريعية ، دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة سنة ١٩٥٢ ص ٦٦.

(١٨) د حبشي لرزق ، اثر سلطة التشريع على الحريات العامة وضماناتها ،اطروحة دكتوراه ، جامعة ابي بكر بلقايد، كلية الحقوق ، ٢٠١٣ .

(١٩) عدنان فاضل بارة ، عيب الانحراف التشريعي في التشريعات المالية والاقتصادية في العراق ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .

(٢٠) انتصار محمد علي ، مصير التشريعات النافذه بين مبدأ ثبات الدستور وتغييره.مرجع سابق ، ص ٩ .

(٢١) د. لمى علي الظاهري ،وسمير داود سلمان ،بحوث دستورية ، ط١ ، المركز القومي للاصدارات القانونية ،القاهرة ،٢٠١٥ ، ص ٢٥ .

(٢٢) د النعمان منذر الشاوي ،اشكالية سن التشريع في مملكة البحرين ، بحث منشور في مجلة الحقوق البحريني ،العدد (٧) السنة ٢٠٠٧ ،ص ٤٢٧ . د نبيل ابراهيم سعد ، المبادئ العامة للقانون ،دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠١٣ ، ٣٧ .

(٢٣) د رافد خلف هاشم البهادلي ود. عثمان سلمان غيلان العبودي ،التشريع بين الصناعة والصياغة ،ط١ ،منشورات الحلبي الحقوقية ،بيروت ،٢٠١٢ ، ص ١٣ .

(٢٤) د سليمان الطماوي ، نظرية التعسف في استعمال السلطة ،دراسة مقارنة ، مطبعة عين شمس ، ط ٣ ،١٩٧٨ ،ص ١١ .

(٢٥) د عبد المنعم عبد الحميد ، المعالجة القضائية والسياسية للانحراف التشريعي ،اطروحة دكتوراه ،كلية الحقوق ، جامعة القاهرة ، ٢٠١١، ص٢٨ .

(٢٦) د احمد ابراهيم حسن ، غاية القانون دراسة في فلسفة القانون ، دار المطبوعات الجامعية ،الاسكندرية ، ٢٠١٦ ، ص ٥٩ .

(٢٧) د يحيى الجمل ، القضاء الدستوري في مصر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط١، ص ٢٠٨ . للمزيد ينظر د احمد عبيس نعمة ، التشريع السليم ومعوقات العملية التشريعية في العراق ، منشورات زين الحقوقية ، ط١ ، ٢٠١٥ ،ص ٤٤ .

(٢٨) د منير عد الحميد ، اصول الرقابة القضائية على دستورية القوانين واللوائح ، منشاة المعارف ،الاسكندرية ، ٢٠٠١، ص ١٧٤ .

(٢٩) للمزيد ينظر قرار المحكمة الدستورية المصرية ،رقم ٦ لسنة ١ القضائية ،الجلسة ٩ ، مايو، سنة ١٩٨١ .

(٣٠) د عبد الرزاق السنهوري ، المرجع السابق ،ص ٦٧ . و د رجب محمد السيد احمد ، الانحراف التشريعي واثره على ممارسة الحقوق والحريات العامة ،، دار النهضة العربية ،القاهرة ، ٢٠١٦ ،ص ١٧٩ .

(٣١) د عثمان سلمان غيلان العبودي ،قرضية عيب الانحراف التشريعي بين الفقه والقضاء والنظرية والتطبيق ، بحث منشور في مجلة كلية الحقوق /جامعة النهرين ،العدد ١٩ ،المجلد ٣ ، ص٤٣ .

(٣٢) د عثمان سلمان غيلان العبودي ،قرضية عيب الانحراف التشريعي بين الفقه والقضاء والنظرية والتطبيق ،المرجع السابق ، ص ٦٦ . للمزيد ينظر د عصمت عبدالله الشيخ ، الدستور بين مقتضيات الثبات وموجبات التغيير ،دار النهظر العربية ، القاهرة ، ط١ ، ص ٨٥ .

(٣٣) د محمد ماهر ابو العينين ، الانحراف التشريعي والرقابة على دستوريته ، المركز القومي للاصدارات القانونية ، القاهرة ، ٢٠١٣ ، ص ٢١٢ .

(٣٤) د. فوزي حسين سلمان ، حق الملكية ازاء اتجاهات الدولة في التأميم و التخصصية ، دار شتات ، مصر ، ٢٠١٩ ، ص ٢٢٥

(٣٥) د عصام علي الدبس ، رقابة دستورية الانظمة المستقلة (دراسة مقارنة) ،بحث منشور في مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة ،السنة ٢٠١٠ ،المجلد ١، العدد ٢٤ ، ص ٢٤ .

(٣٦) د محمد ماهر ابو العينين ،المرجع السابق ، ص ٢١٨ . ؛ و د. باسم محمد عريان و سنبل عبد الجبار ، النظام الانتخابي في التجربة العراقية في قانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم ٩ لسنة ٢٠٢٠ ، بحث منشور في مجلة حولية المنتدى للدراسات الانسانية ،العدد ٤٩ ، السنة ١٣ ، النجف الاشرف ،كانون الثاني ، ٢٠٢٢ ، ص ٢٨٩ و ما بعدها

(٣٧)د عبد الرزاق السنهوري ، المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٣٨) للمزيد ينظر المادة (٢/٩٢) من دستور العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ .

(٣٩) د محمد ماهر ابو العينين ،المرجع السابق ، ص٢٢٣ .

(٤٠) د مصدق عادل طالب ، القضاء الدستوري في العراق ، مكتبة السنهوري ،بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٧ .

(٤١) د عبد المنعم عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ٣٢٠ . للمزيد ينظر د ماهر ابو العينين ، المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(٤٢) د.عثمان سلمان غيلان العبودي ،المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٤٣) د. عبد الرزاق السنهوري ،المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٤٤) د. عثمان سلمان غيلان ،المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٤٥) د .ماهر ابو العينين ، المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٤٦) د ماهر ابو العينين ، المرجع السابق ، ٣٢٣ .

(٤٧) د شعبان احمد رمضان ، ضوابط واثار الرقابة على دستورية القوانين ، دار النهظة العربية ، ٢٠٠٠ ، ص ٤١٤ .

(٤٨) د. ابراهيم محمد صالح الشرفاوي ، رقابة المحكمة الدستورية على السلطة التقديرية للمشرع ، منشورا الحلبي الحقوقية ، ط١ ، ٢٠١٦ ، ص٣٨٣ .

(٤٩) د ابراهيم محمد صالح الشعبان ، المرجع السابق ، ص ٣٨٤ . للمزيد ينظر د عصام سعيد عبد احمد ،الرقابة على دستورية القوانين ،اطروحة دكتوراه ،جامعة الموصل ، كلية القانون ،٢٠٠٧ ص ٤١٣ .

(٥٠) د عبد المنعم عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

(٥١) د احمد كمال ابو مجد ،الرقابة على دستورية القوانين ، دار النهضة العربية ،القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٤٧٨ .

(٥٢) د محمد ابراهيم صالح الشرفاني ،رقابة المحمة الدستورية على السلطة التقديرية للمشرع ، منشورات الحلبي الحقوقية ، ط١ ، ٢٠١٦ ، ص ٣٨٥ .

(٥٣) د.احمد كمال ابو المجد ، المرجع السابق ، ص ٤٧٥

(٥٤) د سراج الدين شوكت ، المرجع السابق ، ص ٢٤٤.

(٥٥) د. رمزي الشاعر ، الرقابة على دستورية القوانين ، دار النهظة العربية ،،مصر ، ط١ ، ٢٠٠٢ ص ٧٠٩ .

(٥٦) د سراج الدين شوكت ، المرجع نفسه ، ص ٢٤٥ .

(٥٧) د محمد ماهر ابو العينين ، المرجع السابق ، ص ٨٩٣ –٨٩٤ .

(٥٨) د . سراج الدين شوكت ، المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

(٥٩) للمزيد ينظر قانون المحكمة الاتحادية رقم ٣٠ لسنة ٢٠٠٥ .

(٦٠) ينظر مجلة الوقائع العراقية ،العدد (٤٢٧٣) في ٨\٤ \٢٠١٣ .

(٦١) ينظر المادة (٦٠) من دستور العاق لسنة ٢٠٠٥ النافذ .

(٦٢) ينظر المادة (١٣) من دستور العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ .

(٦٣) ينظر المادة (١٢٦) من دستور العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ .

(٦٤) ينظر قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم (٦٤) :اتحادية :٢٠١٣ .

(٦٥) ينظر المادة (١٤) من دستور العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ .

(٦٦) ينظر المادة (١٩) من دستور العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ .

(٦٧) د سراج الدين شوكت ، مرجع سابق ، ص ٢٧٦ .

المصادر:

أولاً: القرآن الكريم .

ثانياً : الكتب القانونية :

١- د راقد خلف هاشم البهادلي ود. عثمان سلمان غيلان العبودي ،التشريع بين الصناعة والصياغة ،ط١ ،منشورات الحلبي الحقوقية ،بيروت ،٢٠١٢ ، ص ١٣ .

٢- د سليمان الطماوي ، نظرية التعسف في استعمال السلطة ،دراسة مقارنة ، مطبعة عين شمس ، ط ٣ ،١٩٧٨ ،ص ١١ .

٣- د احمد ابراهيم حسن ، غاية القانون دراسة في فلسفة القانون ، دار المطبوعات الجامعية ،الاسكندرية ، ٢٠١٦ .

٤- د يحيى الجمل ، القضاء الدستوري في مصر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط١ ..

٥- د احمد عبيس نعمة ، التشريع السليم ومعوقات العملية التشريعية في العراق ، منشورات زين الحقوقية ، ط١ ، ٢٠١٥ .

٦- د منير عد الحميد ، اصول الرقابة القضائية على دستورية القوانين واللوائح ، ،منشأة المعارف ،الاسكندرية ، ٢٠٠١ .

٧- د رجب محمد السيد احمد ، الانحراف التشريعي واثره على ممارسة الحقوق والحريات العامة ،، دار النهضة العربية ،القاهرة ، ٢٠١٦ .

٨- د عصمت عبدالله الشيخ ، الدستور بين مقتضيات الثبات وموجبات التغيير ،دار النهظر العربية ، القاهرة ، ط١ .

٩- د محمد ماهر ابو العينين ، الانحراف التشريعي والرقابة على دستوريته ، المركز القومي للاصدارات القانونية ، القاهرة ، ٢٠١٣ .

١٠- د مصدق عادل طالب ، القضاء الدستوري في العراق ، مكتبة السنهوري ،بغداد ، ٢٠٠٥ .

١١- د شعبان احمد رمضان ، ضوابط واثار الرقابة على دستورية القوانين ، دار النهضة العربية ، ٢٠٠٠ .

١٢- د. ابراهيم محمد صالح الشرفاوي ، رقابة المحكمة الدستورية على السلطة التقديرية للمشرع ، منشورا الحلبي الحقوقية ، ط١ ، ٢٠١٦ .

١٣- د احمد كمال ابو مجد ،الرقابة على دستورية القوانين ، دار النهضة العربية ،القاهرة ، ١٩٦٠ ،

١٤- . د محمد ابراهيم صالح الشرفاي ،رقابة المحمة الدستورية على السلطة التقديرية للمشرع ، منشورات الحلبي الحقوقية ، ط١ ، ٢٠١٦ .

١٥- د. رمزي الشاعر ، الرقابة على دستورية القوانين ، دار النهظة العربية ،،مصر ، ط١ ، ٢٠٠٢ .

١٦- ابراهيم مصطفى واخرون ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ج١ ، تركيا ، دار الطباعة والنشر والتوزيع ،١٩٨٩ .

١٧- ينظر ابن منظور ،محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، لسان العرب ،ج٣ ،بيروت ،دار صادر ، سنة ١٩٥٥ .

١٨- مجد محمد فيروز ، القاموس المحيط ،ج٤ ، مؤسسة الفن للطباعة ،القاهرة .

١٩- السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس المجلد الثاني عشر ،لبنان ، بيروت دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٧ .

٢٠- الامام الفخري الرازي ، لتفسير الكبير ،المجلد الاول ، بيروت ،دار احياء التراث العربي ،٢٠٠١ .

٢١- محمد بن ابي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٣ .

٢٢- ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) ،لسان العرب ، ج ٨ دار صادر ،بيروت ٢٠١٣ ، مسألة الشرع .

٢٣- محمد سلامة محمد غباري ، مدخل علاجي جديد الانحراف الاحداث ،ط٢ ، الاسكندرية ، المكتب الجامعي ، ١٩٨٩ .

٢٤- د عبد الرزاق احمد السنهوري ، مخالفة التشريع للدستور والانحراف في استعمال السلطة التشريعية ، دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة سنة ١٩٥٢ .

٢٥- د. فوزي حسين سلمان الجبوري ، حق الملكية ازاء اتجاهات الدولة في التأميم و التخصصية ، دار شتات ، مصر ، ٢٠١٩ .

٢٦- د. لمى علي الظاهري ،وسمير داود سلمان ،بحوث دستورية ، ط١ ، المركز القومي للاصدارات القانونية ،القاهرة ،٢٠١٥ .

٢٧- د نبيل ابراهيم سعد ، المبادئ العامة للقانون ،دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠١٣ .

ثالثاً: الرسائل والاطاريح :

١- د عبد المنعم عبد الحميد ، المعالجة القضائية والسياسية للانحراف التشريعي ،اطروحة دكتوراه ،كلية الحقوق ، جامعة القاهرة ، ٢٠١١ .

٢- د عصام سعيد عبد احمد ،الرقابة على دستورية القوانين ،اطروحة دكتوراه ،جامعة الموصل ،كلية القانون ،٢٠٠٧ .

٣- عدنان فاضل بارة ، عيب الانحراف التشريعي في التشريعات المالية والاقتصادية في العراق ، رسالة ماجستير ، جامعة النهرين ، كلية الحقوق ، ٢٠١٧ .

٤- انتصار محمد علي ، مصير التشريعات النافذه بين مبدأ ثبات الدستور وتغييره ، رسالة ماجستير ، جامعة كركوك ، كلية القانون والعلوم

السياسية ، ٢٠١٧ .
٥– د حبشي لرزق ، اثر سلطة التشريع على الحريات العامة وضماناتها ،اطروحة دكتوراه ، جامعة ابي بكر بلقايد، كلية الحقوق ، ٢٠١٣ .
رابعاً :البحوث المنشورة :
١ – د. باسم محمد عريان و سنبل عبد الجبار احمد ، النظام القانوني في التجربة العراقية في ضوء قانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم (٩) لسنة ٢٠٢٠ ، بحث منشور في مجلة حولية المنتدى ، العدد ٤٩ ، السنة ١٣ ، النجف الاشرف ،كانون الثاني ، ٢٠٢٢ .
٢– د عثمان سلمان غيلان العبودي ،فرضية عيب الانحراف التشريعي بين الفقه والقضاء والنظرية والتطبيق ، بحث منشور في مجلة كلية الحقوق /جامعة النهرين ،العدد ١٩ ،المجلد ٣ .
٣– د عصام علي الدبس ، رقابة دستورية الانظمة المستقلة (دراسة مقارنة) ،بحث منشور في مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة ،السنة :٢٠١٠ ،المجلد ١ ، العدد ٢٤ .
٤– د النعمان منذر الشاوي ،اشكالية سن التشريع في مملكة البحرين ، بحث منشور في مجلة الحقوق البحريني ،العدد (٧) السنة ٢٠٠٧ .
خامساً : القوانين :
١ – قانون المحكمة الاتحادية رقم ٣٠ لسنة ٢٠٠٥ .
٢– قانون مجلس النواب رقم (٨) لسنة ٢٠١٣ .
٣– قانون هيئة الدعوي الملكية رقم ١٣ لسنة ٢٠١٠ .
سادساً : القرارات :
١ – قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم (٦٤) :اتحادية :٢٠١٣ .
٢– قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم (١١٤) :اتحادية :٢٠١٣ .



تقييم مصداقية روايات الفقيه يونس بن ظبيان في الكتب الأربعة من خلال منهج إحصائي«دراسة رجالية تحليلية»

الباحث: حيدر راضي محيسن
جامعة ميسان / كلية التربية الأساسية



المستخلص:
يهدف هذا البحث إلى تقديم تقييم موضوعي ومنهجي لمصداقية روايات يونس بن ظبيان الكوفي، أحد الرواة الجدليين في التراث الحديثي الشيعي، وذلك من خلال تطبيق منهج إحصائي تحليلي على مروياته الواردة في الكتب الأربعة الأساسية للحديث الشيعي (الكافي، من لا يحضره الفقيه، التهذيب، الاستبصار). ينطلق البحث من إشكالية التباين الحاد والتضارب الواضح في تقييم علماء الرجال ليونس بن ظبيان، حيث تراوحت الآراء فيه بين التوثيق المطلق والتضعيف الشديد، مما خلق حالة من عدم اليقين حول الاعتماد على مروياته في الاستنباط الفقهي والعقدي.
لتحقيق أهداف البحث، يقوم الباحث أولاً بحصر شامل وتصنيف دقيق لجميع روايات يونس بن ظبيان في الكتب الأربعة، مع تحليل إحصائي معمق لأسانيدها لتحديد طبقات الرواة عنه ومروياته عنهم، وقياس نسب الثقات والضعفاء في هذه الطبقات. كما يقوم البحث بمقارنة متون رواياته مع الروايات الأخرى الصحيحة في نفس الأبواب الفقهية والعقدية لتقييم مدى التوافق أو التفرد والشذوذ في المضامين.
تشير النتائج الأولية للدراسة إلى أن نسبة كبيرة من روايات يونس بن ظبيان تأتي عبر طرق ضعيفة أو مشكوك فيها، وأن عدداً لا يستهان به من مروياته يتفرد بمضامين لا تتوافق مع الثابت من الأصول العقدية والفقهية المقررة، مما يدعم بشكل كبير أقوال علماء الرجال الذين حكموا بضعفه الشديد واتهموه بالغلو ووضع الحديث. ومع ذلك، أظهر التحليل الإحصائي وجود نسبة محدودة من الروايات التي يرويها عنه بعض الثقات المعتبرين وتتوافق متونها مع روايات أخرى مقبولة، مما يفتح الباب أمام إمكانية قبول روايته في حالات نادرة جداً وبشروط دقيقة ومحددة، كوجود شاهد أو متابع قوي لها.
في النهاية، يؤكد البحث أن الحكم العام على يونس بن ظبيان بالضعف الشديد يظل هو الأسلم والأحوط في التعامل مع مروياته، ولكن المنهج الإحصائي المطبق في هذه الدراسة يقدم رؤية أكثر تفصيلاً ودقة ونضجاً من الحكم الرجالي المجرد، ويساهم في تطوير أدوات نقدية جديدة لتقييم الرواة الجدليين في التراث الإسلامي.
الكلمات المفتاحية: يونس بن ظبيان، الكتب الأربعة، المنهج الإحصائي، علم الرجال، نقد الحديث، التحليل الكمي، الدراسات الرجالية.

Abstract:
This research aims to provide an objective and systematic evaluation of the credibility of the narrations of Yunus ibn Zubyan al-Kufi, one of the controversial narrators in Shia hadith tradition, through the application of a statistical analytical methodology to his narrations found in the four fundamental books of Shia hadith (al-Kafi, Man la Yahduruhu al-Faqih, Tahdhib al-Ahkam, and al-Istibsar). The research stems from the problem of sharp variance and clear contradiction in the evaluation of Yunus ibn Zubyan by rijal scholars, where opinions about him ranged from absolute authentication to severe weakening, creating a state of uncertainty regarding reliance on his narrations in jurisprudential and doctrinal inference.
To achieve the research objectives, the researcher first conducts a comprehensive enumeration and precise classification of all narrations of Yunus ibn Zubyan in the four books, with an in-depth statistical analysis of their chains of transmission to determine the layers of narrators from him and his narrations from them, and to measure the proportions of trust-

worthy and weak narrators in these layers. The research also compares the texts of his narrations with other authentic narrations in the same jurisprudential and doctrinal chapters to evaluate the extent of conformity or uniqueness and anomaly in the contents.

The preliminary results of the study indicate that a significant proportion of Yunus ibn Zubyan›s narrations come through weak or questionable chains, and that a considerable number of his narrations are characterized by contents that do not conform to the established doctrinal and jurisprudential principles, which strongly supports the statements of rijal scholars who ruled his severe weakness and accused him of extremism (ghuluw) and hadith fabrication. However, the statistical analysis revealed the existence of a limited proportion of narrations that are transmitted by some reliable trustworthy narrators and whose texts conform to other accepted narrations, which opens the door to the possibility of accepting his narration in very rare cases and under precise and specific conditions, such as the presence of a strong witness or corroborating evidence.

Ultimately, the research confirms that the general ruling on Yunus ibn Zubyan as severely weak remains the safest and most cautious approach in dealing with his narrations. However, the statistical methodology applied in this study provides a more detailed, accurate, and mature perspective than abstract rijal judgments, and contributes to developing new critical tools for evaluating controversial narrators in Islamic tradition.

Keywords: Yunus ibn Zubyan, the Four Books, Statistical Methodology, Rijal Science, Hadith Criticism, Quantitative Analysis, Rijal Studies.

المقدمة:

يُعدّ علم الرجال والجرح والتعديل حجر الزاوية في منظومة حفظ السنة النبوية الشريفة وتراث أهل البيت عليهم السلام، فهو الأداة النقدية الأساسية التي تُمكّن المحدثين والفقهاء من تمييز الرواية الصحيحة من السقيمة عبر فحص دقيق ومنهجي لأحوال الرواة في سلسلة السند [١]. وقد شهد هذا العلم تطوراً مستمراً عبر القرون، حيث وضع العلماء قواعد صارمة ومعايير دقيقة لتقييم الرواة، تراوحت بين دراسة سيرتهم الشخصية وعقائدهم ومدى ضبطهم وحفظهم للحديث [٢].

وفي هذا السياق العلمي الثري، تبرز شخصيات رجالية أثارت جدلاً واسعاً وتضارباً كبيراً بين العلماء في تقييمها، ومن أبرز هذه الشخصيات الجدلية يونس بن ظبيان الكوفي، الذي تراوحت الآراء حوله بين من وثّقه واعتمد روايته وبين من ضعّفه ضعفاً شديداً ونسبه إلى الغلو والكذب ووضع الحديث [٣]. هذا التباين الحاد في التقييم لا يقتصر على كونه مجرد اختلاف أكاديمي، بل يمتد ليؤثر بشكل مباشر على قبول أو رد عدد كبير من الروايات الفقهية والعقدية المنتشرة في أهم مصادر الحديث الشيعي، وخاصة الكتب الأربعة التي تُعتبر المرجع الأساسي للاستنباط الفقهي عند الشيعة الإمامية [٤].

مشكلة البحث:

تكمن المشكلة الرئيسية لهذا البحث في التضارب الكبير والتباين الواضح في الأحكام الرجالية الصادرة بحق يونس

بن ظبيان من قبل علماء الجرح والتعديل. فبينما نجد نصوصاً قاطعة من أئمة الرجال المعتبرين كالنجاشي وابن الغضائري والفضل بن شاذان تصفه بالضعف الشديد والكذب والغلو ووضع الحديث [٥]، نجد في المقابل أن كبار الثقات المشهورين كابن أبي عمير يروون عنه، وأن مروياته منتشرة في أسانيد الكتب الأربعة، بل إن بعض العلماء كعلي بن إبراهيم القمي وابن قولويه اعتمدوا على رواياته في مصنفاتهم المعتبرة [٦].

هذا التباين الحاد يجعل التعامل مع مروياته المنتشرة في مصادر الحديث الأساسية أمراً إشكالياً يتطلب تحقيقاً علمياً دقيقاً يتجاوز النقل المجرد لأقوال الرجاليين إلى تحليل موضوعي ومنهجي لواقع رواياته ومضامينها. وعليه، يطرح البحث الأسئلة الجوهرية التالية:

١. ما هو الحجم الحقيقي والعدد الفعلي لروايات يونس بن ظبيان في الكتب الأربعة؟

٢. من هم أبرز شيوخه وتلاميذه في هذه الأسانيد؟ وما هي نسبة الثقات والضعفاء بينهم؟

٣. هل تنفرد رواياته بمضامين عقدية أو فقهية غريبة وشاذة عند مقارنتها بالروايات الصحيحة الأخرى في نفس الأبواب؟

٤. هل يمكن للمنهج الإحصائي التحليلي أن يقدم حكماً أكثر موضوعية ودقة على مصداقية رواياته من الأحكام الرجالية التقليدية؟

٥. ما هي المعايير الكمية التي يمكن اعتمادها لتقييم مصداقية الرواة الجدليين في التراث الإسلامي؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من عدة اعتبارات علمية ومنهجية مهمة:

أولاً: الأهمية النظرية والمنهجية: يقدم البحث تطبيقاً عملياً رائداً للمنهج الإحصائي في نقد الحديث ودراسة الرجال، وهو منهج يضيف بعداً كمياً وموضوعياً للدراسات الرجالية التقليدية التي اعتمدت بشكل أساسي على التقييمات النوعية والأحكام الشخصية للعلماء [٧]. هذا التطبيق يمكن أن يفتح آفاقاً جديدة في تطوير أدوات نقدية حديثة لتقييم التراث الحديثي بطريقة أكثر دقة وموضوعية.

ثانياً: الأهمية التطبيقية والعملية: يساهم البحث في حل إشكالية قائمة ومستمرة حول راوٍ له حضور كبير ولا يستهان به في المصادر الحديثية الأساسية، مما يؤثر بشكل مباشر وواضح على قبول أو رد عدد كبير من الروايات الفقهية والعقدية المهمة [٨]. النتائج المتوقعة للبحث ستوفر للفقهاء والمحدثين أساساً علمياً أكثر دقة للتعامل مع مرويات يونس بن ظبيان في الاستنباط الفقهي.

ثالثاً: الأهمية المنهجية للبحوث المستقبلية: يوفر البحث للباحثين والدارسين نموذجاً منهجياً متكاملاً يمكن تطبيقه على الرواة الجدليين الآخرين الذين لم يحسم فيهم القول بعد، مثل المفضل بن عمر وجابر بن يزيد الجعفي ومحمد بن سنان وغيرهم من الرواة الذين اختلف فيهم العلماء [٩]. هذا النموذج يمكن أن يساهم في تطوير منهجية علمية شاملة لدراسة التراث الرجالي.

رابعاً: الأهمية في تطوير علم الرجال: يساهم البحث في إثراء علم الرجال بأدوات تحليلية جديدة تعتمد على البيانات الكمية والتحليل الإحصائي، مما يمكن أن يقلل من الذاتية في الأحكام الرجالية ويزيد من موضوعيتها ودقتها العلمية [١٠].

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية المحددة والواضحة:

الهدف الرئيسي: تقديم تقييم موضوعي وشامل لمصداقية روايات يونس بن ظبيان في الكتب الأربعة باستخدام المنهج الإحصائي التحليلي، والوصول إلى نتيجة علمية مدعومة بالأدلة الكمية حول درجة الاعتماد على رواياته في الاستنباط الفقهي والعقدي.

الأهداف الفرعية:

١. الحصر والتصنيف الشامل: إجراء حصر كامل ودقيق لجميع روايات يونس بن ظبيان في الكتب الأربعة، مع تصنيفها حسب الموضوع (عقائد، فقه عبادات، فقه معاملات، آداب، تاريخ) والمصدر والطبقة الرجالية.

٢. التحليل الإحصائي للأسانيد: تحليل أسانيد رواياته إحصائياً لتحديد طبقات الرواة عنه وعمن روى عنهم، وحساب نسب الثقات والضعفاء والمجاهيل في هذه الطبقات، مع دراسة أنماط الرواية والتلقي.

٣. التقييم الكمي للمتون: تقييم متون رواياته من خلال مقارنتها بالأصول الحديثية المقررة والروايات الصحيحة في نفس الأبواب، وحساب نسب التوافق والاختلاف والتفرد والشذوذ في المضامين.

٤. تطوير معايير كمية للتقييم: وضع معايير كمية وإحصائية يمكن الاعتماد عليها في تقييم مصداقية الرواة الجدليين، مع تحديد العتبات الرقمية للقبول والرد.

٥. المقارنة مع التقييمات التقليدية: مقارنة نتائج التحليل الإحصائي مع الأحكام الرجالية التقليدية لتحديد مدى التوافق أو التباين، وتقييم فعالية المنهج الإحصائي في هذا المجال.

منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج التكاملي المختلط الذي يجمع بين عدة مناهج بحثية متكاملة لتحقيق أهدافه العلمية:

أولاً: المنهج الاستقرائي الشامل: يتم من خلاله تتبع وجمع كافة روايات يونس بن ظبيان في الكتب الأربعة المحددة، مع فحص دقيق لجميع الأسانيد والمتون المتعلقة به، واستقراء أقوال علماء الرجال فيه من المصادر الرجالية المعتبرة [١١].

ثانياً: المنهج التحليلي النقدي: يتم عبره تحليل الأسانيد والمتون وفقاً لقواعد علمي الرجال والدراية المقررة، مع نقد وتمحيص الأقوال الرجالية المختلفة وتحليل أسباب التضارب فيها، ودراسة السياق التاريخي والعقدي لهذه التقييمات [١٢].

ثالثاً: المنهج الإحصائي الكمي: وهو المنهج المحوري في هذا البحث، حيث يتم تحويل البيانات المستخرجة إلى أرقام ونسب مئوية ومؤشرات كمية قابلة للقياس والمقارنة. يشمل هذا المنهج:

- الإحصاء الوصفي: لحساب التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات للمتغيرات المختلفة
- التحليل الارتباطي: لدراسة العلاقات بين المتغيرات المختلفة (مثل العلاقة بين نوع الراوي ونوع الرواية)
- التحليل المقارن: لمقارنة النسب والمؤشرات بين مجموعات مختلفة من البيانات
- التحليل الاتجاهي: لدراسة الأنماط والاتجاهات في البيانات [١٣]

رابعاً: المنهج المقارن: يتم من خلاله مقارنة نتائج التحليل الإحصائي مع التقييمات الرجالية التقليدية، ومقارنة حالة يونس بن ظبيان مع حالات مشابهة لرواة جدليين آخرين، ومقارنة مروياته مع روايات الثقات في نفس الأبواب [١٤].

الدراسات السابقة

رغم أهمية موضوع يونس بن ظبيان في الدراسات الرجالية، إلا أن الدراسات المتخصصة حوله محدودة نسبياً، وأغلبها يقتصر على النقل والتلخيص للأقوال الرجالية التقليدية دون تحليل معمق أو تطبيق مناهج حديثة. من أبرز ما كُتب حوله: دراسة الشيخ السبحاني في «كليات في علم الرجال» التي تناولت إشكالية رواية ابن أبي عمير عنه [١٥]، ودراسة السيد الخوئي في «معجم رجال الحديث» التي جمعت الأقوال الرجالية حوله مع تحليل نقدي محدود [١٦]. كما تناولته بعض الدراسات الحديثة في سياق البحث عن قاعدة «من روى عنه ابن أبي عمير فهو ثقة» [١٧].

ما يميز هذا البحث عن الدراسات السابقة هو تطبيق المنهج الإحصائي بشكل منهجي وشامل، والاعتماد على التحليل الكمي للبيانات بدلاً من الاكتفاء بالتحليل النوعي التقليدي، مما يوفر رؤية جديدة وأكثر موضوعية لهذه الإشكالية الرجالية المعقدة.

خطة البحث

ينقسم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسية مع مقدمة وخاتمة:

المبحث الأول: يونس بن ظبيان في ميزان الجرح والتعديل – دراسة نظرية شاملة المبحث.

المبحث الثاني: التحليل الإحصائي لروايات يونس بن ظبيان في الكتب الأربعة

المبحث الثالث: نتائج التقييم الإحصائي ومناقشتها في ضوء المعايير الرجالية

وتختتم الدراسة بخاتمة تلخص أهم النتائج المتوصل إليها مع تقديم توصيات للبحوث المستقبلية في هذا المجال.

المبحث الأول: يونس بن ظبيان في ميزان الجرح والتعديل – دراسة نظرية شاملة

يُعتبر هذا المبحث الأساس النظري والتاريخي للدراسة، حيث يقدم صورة شاملة ومتكاملة عن شخصية يونس بن ظبيان الرجالية من خلال استقراء وتحليل جميع الأقوال والنصوص الرجالية المتعلقة به في المصادر المعتبرة. هذا التأسيس النظري ضروري لفهم طبيعة الإشكالية الرجالية المحيطة بهذا الراوي، وسيوفر الخلفية العلمية اللازمة للتحليل الإحصائي الذي سيأتي في المباحث اللاحقة.

المطلب الأول: ترجمة يونس بن ظبيان – الهوية والسيرة

الاسم والنسب والكنية

يونس بن ظبيان، وقيل ابن ظبيان، هو راوٍ من أهل الكوفة عاش في القرن الثاني الهجري. اختلفت المصادر في ضبط اسم أبيه، فبينما أثبت أكثر الرجاليين أنه «ظبيان» بالظاء المعجمة والباء الموحدة، ذكر بعضهم أنه قد يكون «ضبيان» بالضاد المعجمة [١٨]. هذا الاختلاف في الضبط، وإن كان يبدو بسيطاً، إلا أنه يعكس طبيعة التداول الشفهي للأسماء في تلك الفترة وقد يشير إلى عدم الشهرة الواسعة لهذا الراوي بين معاصريه.

أما نسبه فقد اتفقت المصادر على أنه مولى، دون تحديد دقيق لمن كان مولى له. النجاشي في رجاله يذكره بصيغة «يونس بن ظبيان مولى» دون إضافة [١٩]، وهذا الإطلاق قد يشير إلى أن ولاءه لم يكن مشهوراً أو محدداً بدقة. كونه مولى يضعه في فئة اجتماعية معينة في المجتمع الإسلامي المبكر، حيث كان الموالي يشكلون شريحة مهمة من رواة الحديث، خاصة في الكوفة التي كانت مركزاً مهماً للعلم والرواية.

من الناحية الجغرافية، تتفق جميع المصادر على أنه كوفي الأصل والمنشأ. الكوفة في تلك الفترة كانت من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي، وكانت موطناً لعدد كبير من أصحاب الأئمة عليهم السلام ورواة أحاديثهم. هذا الانتماء الجغرافي يضع يونس بن ظبيان في بيئة علمية ثرية ومتنوعة، مما يجعل احتمالية تلقيه للعلم والحديث من مصادر متعددة أمراً وارداً ومنطقياً [٢٠].

الطبقة الزمنية وتحديد عصره

تحديد الطبقة الزمنية ليونس بن ظبيان أمر بالغ الأهمية لفهم سياق رواياته وتقييم إمكانية لقائه بالأئمة الذين يروي عنهم. من خلال تتبع أسانيد رواياته ومقارنتها بطبقات الرواة المعروفة، يمكن القول بثقة كبيرة أنه عاش في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وأنه أدرك الإمام جعفر الصادق عليه السلام (المتوفى سنة ١٤٨هـ) وروى عنه مباشرة.

الشيخ الطوسي في رجاله يعدّه من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، حيث يقول: «يونس بن ظبيان الأزدي، كوفي» [٢١]. هذا التصنيف يؤكد أنه كان من المعاصرين للإمام الصادق وأنه تلقى منه الحديث مباشرة. كما أن البرقي في رجاله يذكره أيضاً ضمن أصحاب الإمام الصادق [٢٢]، مما يعزز هذا التوجه في تحديد طبقته الزمنية.

من خلال دراسة الرواة الذين رووا عنه، نجد أن أغلبهم من الطبقة التي عاشت في أواخر القرن الثاني وبدايات القرن الثالث الهجري، مما يشير إلى أن يونس بن ظبيان توفي على الأرجح في العقود الأخيرة من القرن الثاني الهجري. هذا التحديد الزمني مهم جداً لأنه يضعه في فترة حساسة من تاريخ التشيع، حيث كانت هناك تيارات فكرية متنوعة وأحياناً متضاربة، وحيث ظهرت بعض الاتجاهات الغالية التي اتُّهم يونس بالانتماء إليها [٢٣].

شيوخه وتلاميذه من خلال كتب الرجال

دراسة شيوخ وتلاميذ الراوي تُعتبر من أهم الوسائل لتقييم مكانته العلمية ومدى اعتبار العلماء له. بالنسبة لشيوخ يونس بن ظبيان، فإن أبرزهم وأهمهم على الإطلاق هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام، الذي يُعتبر المصدر الرئيسي لمعظم رواياته. هذا الاتصال المباشر بالإمام الصادق يُعطي رواياته أهمية خاصة من الناحية النظرية، لكنه في الوقت نفسه يجعل تقييم صحة هذا الاتصال أمراً بالغ الأهمية.

إلى جانب الإمام الصادق، يظهر في أسانيد رواياته أسماء رواة آخرين، لكن بنسبة أقل بكثير. هذا التركز الشديد في الرواية عن الإمام الصادق قد يكون مؤشراً إيجابياً على تخصصه وتركيزه، أو قد يكون مؤشراً سلبياً على محدودية مصادره أو على اختلاق بعض الروايات ونسبتها للإمام [٢٤].

أما بالنسبة لتلاميذه الذين رووا عنه، فهنا تكمن إحدى أهم الإشكاليات الرجالية المتعلقة بيونس بن ظبيان. فمن جهة، نجد أن محمد بن أبي عمير، الذي يُعتبر من أوثق الثقات وأجلّهم في المذهب الشيعي، يروي عنه. هذا الأمر أثار جدلاً واسعاً بين العلماء، لأن ابن أبي عمير معروف بتثبته الشديد وعدم روايته إلا عن الثقات، حتى أن بعض العلماء وضعوا قاعدة تقول: «من روى عنه ابن أبي عمير فهو ثقة» [٢٥].

من جهة أخرى، نجد أن عدداً من الرواة الآخرين رووا عنه، منهم من هو معتبر ومنهم من هو مجهول أو ضعيف. هذا التنوع في طبقة تلاميذه يعكس طبيعة الجدل المحيط بشخصيته، حيث لم يكن هناك إجماع واضح بين معاصريه على تقييمه. الشيخ السبحاني في تحليله لهذه الإشكالية يشير إلى أن رواية ابن أبي عمير عنه قد تكون محدودة جداً أو قد تكون بواسطة، مما يقلل من قوة الاستدلال بها على وثاقته [٢٦].

المطلب الثاني: أقوال المعدّلين والموثّقين – عرض وتحليل

رغم الشهرة الواسعة لتضعيف يونس بن ظبيان، إلا أن هناك مؤشرات وقرائن يمكن أن تُفسر على أنها تدل على قبوله أو على الأقل عدم رفضه المطلق من قبل بعض العلماء. هذه المؤشرات تستحق الدراسة والتحليل بعناية، لأنها تشكل الجانب الآخر من الصورة الرجالية المعقدة لهذا الراوي.

رواية الثقات عنه كمؤشر على القبول

أهم مؤشر على إمكانية قبول يونس بن ظبيان هو رواية محمد بن أبي عمير عنه. ابن أبي عمير (المتوفى حوالي ٢١٧هـ) يُعتبر من أجلّ الثقات في المذهب الشيعي، وقد أثنى عليه جميع علماء الرجال بلا استثناء. النجاشي يصفه بأنه «جليل القدر، عظيم المنزلة فينا وعند المخالفين» [٢٧]، والشيخ الطوسي يعدّه من «الأجلاء الثقات» [٢٨].

المعروف عن ابن أبي عمير أنه كان شديد التثبت في الرواية، ولا يروي إلا عمن يثق به. هذا ما دفع بعض العلماء إلى وضع قاعدة رجالية تقول: «كل من روى عنه ابن أبي عمير فهو ثقة»، وإن كانت هذه القاعدة محل جدل بين العلماء [٢٩]. السيد الخوئي في معجمه يناقش هذه القاعدة بتفصيل، ويشير إلى أن لها استثناءات، ومن ضمن هذه الاستثناءات المحتملة يونس بن ظبيان [٣٠].

لكن مجرد وجود رواية لابن أبي عمير عن يونس بن ظبيان يبقى مؤشراً مهماً يستحق التأمل. فحتى لو لم تكن هذه الرواية دليلاً قاطعاً على وثاقته، إلا أنها تشير إلى أن الأمر ليس بالوضوح الذي قد يبدو عليه من خلال أقوال المضعفين فقط. الشيخ السبحاني يحلل هذه الإشكالية بقوله: «إن رواية ابن أبي عمير عن يونس بن ظبيان، وإن كانت لا تثبت وثاقته بشكل قاطع، إلا أنها تدل على أن الأمر كان محل تردد حتى بين معاصريه» [٣١].

ورووه في أسانيد الكتب المعتبرة

مؤشر آخر على عدم الرفض المطلق ليونس بن ظبيان هو وروده في أسانيد الكتب الأربعة، التي تُعتبر أهم مصادر الحديث عند الشيعة. فالكليني في الكافي، والصدوق في الفقيه، والطوسي في التهذيب والاستبصار، جميعهم أوردوا روايات في أسانيدها يونس بن ظبيان. هذا الإيراد، وإن لم يكن دليلاً على التوثيق، إلا أنه يشير إلى أن هؤلاء الأعلام لم يروا مانعاً من إيراد رواياته في مصنفاتهم [٣٢].

الكليني بشكل خاص معروف بتثبته في انتقاء الروايات، وقد صرح في مقدمة الكافي بأنه اقتصر على ما صح عنده من الأحاديث [٣٣]. فإيراده لروايات يونس بن ظبيان قد يُفسر على أنه لم يكن يرى ضعفه بالدرجة التي ذكرها المتأخرون، أو أنه كان يرى أن بعض رواياته مقبولة بقرائن أخرى.

كذلك الأمر بالنسبة للشيخ الطوسي، الذي يُعتبر من أدق علماء الرجال وأكثرهم تثبتاً. إيراده لروايات يونس بن ظبيان في التهذيب والاستبصار، مع علمه بأقوال المضعفين فيه، يشير إلى أنه كان يرى إمكانية الاعتماد على بعض رواياته في ظروف معينة أو بقرائن خاصة [٣٤].

شهادة ابن قولويه في كامل الزيارات

من المؤشرات المهمة أيضاً إيراد ابن قولويه لروايات يونس بن ظبيان في كتابه «كامل الزيارات». هذا الكتاب يحظى بمكانة خاصة عند الشيعة، وابن قولويه معروف بدقته في انتقاء الروايات. في مقدمة كتابه، يذكر ابن قولويه أنه لم يورد في كتابه إلا ما صح عنده من الروايات [٣٥].

إيراد ابن قولويه لروايات يونس بن ظبيان في هذا الكتاب المتخصص في الزيارات قد يشير إلى أنه كان يرى صحة بعض رواياته في هذا الباب تحديداً، أو أنه كان يعتمد على قرائن أخرى تدعم هذه الروايات. هذا الأمر يستحق الدراسة المعمقة، خاصة أن موضوع الزيارات كان من المواضيع التي تعرضت للوضع والاختلاق من قبل الغلاة [٣٦].

تحليل نقدي لهذه المؤشرات

رغم أهمية هذه المؤشرات، إلا أنه يجب التعامل معها بحذر شديد وعدم المبالغة في تقدير دلالتها. فرواية ابن أبي عمير عنه، مثلاً، قد تكون محدودة جداً في العدد، وقد تكون في موضوعات معينة لا في كل ما يرويه يونس. كما أن إيراد الكليني والطوسي وابن قولويه لرواياته لا يعني بالضرورة توثيقهم له، بل قد يكون لاعتبارات أخرى كوجود شواهد أو متابعات لهذه الروايات.

الدكتور حسين الدرايتي في دراسته حول منهج الكليني يشير إلى أن الكليني أحياناً كان يورد روايات الضعفاء إذا كانت لها شواهد من طرق أخرى، أو إذا كانت في مواضيع لا تتعلق بالأصول العقدية المهمة [٣٧]. هذا التفسير قد ينطبق على حالة يونس بن ظبيان، حيث أن معظم رواياته في الكافي تتعلق بمسائل فرعية أو بأبواب الفضائل والآداب.

المطلب الثالث: أقوال المجرّحين والمضعّفين – دراسة تحليلية

الجانب الآخر من الصورة الرجالية ليونس بن ظبيان يتمثل في أقوال المجرحين والمضعفين، وهي أقوال صريحة وقاطعة في تضعيفه، بل في اتهامه بالكذب ووضع الحديث. هذه الأقوال تأتي من علماء معتبرين ومشهود لهم بالدقة في علم الرجال، مما يجعلها تحمل وزناً كبيراً في التقييم النهائي لهذا الراوي.

شهادة النجاشي – التضعيف الصريح

أقوى وأوضح الأقوال في تضعيف يونس بن ظبيان يأتي من النجاشي، الذي يُعتبر من أدق علماء الرجال وأوثقهم. النجاشي في كتابه «رجال النجاشي» يقول عن يونس بن ظبيان: «يونس بن ظبيان مولى، ضعيف جداً، لا يُلتفت إلى ما رواه، كل كتبه تخليط» [٣٨].

هذا النص من النجاشي يحمل عدة دلالات مهمة. أولاً، الوصف بـ«ضعيف جداً» يشير إلى درجة عالية من الضعف، وليس مجرد ضعف عادي. ثانياً، العبارة «لا يُلتفت إلى ما رواه» تعني الرفض المطلق لرواياته دون استثناء. ثالثاً، وصف كتبه بأنها «تخليط» يشير إلى أن مشكلته ليست فقط في الضبط أو الحفظ، بل في خلط الأحاديث الصحيحة بالموضوعة أو المختلقة [٣٩].

النجاشي معروف بدقته الشديدة في التقييم وعدم تساهله في إطلاق الأحكام. فعندما يصف راوياً بهذه الصراحة والشدة، فإن ذلك يحمل وزناً كبيراً جداً في الميزان الرجالي. السيد الخوئي يعلق على هذا النص بقوله: «إن تضعيف النجاشي ليونس بن ظبيان بهذه الصراحة والشدة يجعل الاعتماد على رواياته أمراً في غاية الصعوبة» [٤٠].

موقف ابن الغضائري – اتهام بالغلو والوضع

ابن الغضائري، وهو من علماء الرجال المتقدمين، يذهب في تقييم يونس بن ظبيان إلى أبعد من النجاشي، حيث يتهمه صراحة بالغلو ووضع الحديث. يقول ابن الغضائري: «يونس بن ظبيان، كوفي، غالٍ، وضاع للحديث، روى عن أبي عبد الله عليه السلام» [٤١].

اتهام الراوي بالغلو في التراث الشيعي أمر خطير جداً، لأن الغلاة كانوا يختلقون أحاديث تتضمن مفاهيم عقدية منحرفة حول الأئمة عليهم السلام. أما اتهامه بكونه «وضاع للحديث» فهو أخطر من ذلك، لأنه يعني أنه كان يختلق الأحاديث وينسبها كذباً إلى الأئمة [٤٢].

هذا التقييم من ابن الغضائري يضع يونس بن ظبيان في فئة الوضاعين الكذابين، وليس مجرد الضعفاء أو سيئي الحفظ. هذا التصنيف له تبعات خطيرة، لأنه يعني أن رواياته ليست فقط غير موثوقة، بل قد تكون مضرة ومضللة من الناحية العقديةوالفقهية.

رأي الفضل بن شاذان – ضمن الكذابين المشهورين

الفضل بن شاذان، وهو من كبار علماء الشيعة في القرن الثالث الهجري، يضع يونس بن ظبيان ضمن قائمة «الكذابين المشهورين». يقول الفضل بن شاذان: «من الكذابين المشهورين: يونس بن ظبيان» [٤٣].

هذا التصنيف من الفضل بن شاذان له أهمية خاصة، لأن الفضل كان معاصراً لفترة قريبة من عصر يونس بن ظبيان، مما يعني أن تقييمه مبني على معرفة مباشرة أو شبه مباشرة بأحوال هذا الراوي. كما أن الفضل بن شاذان معروف بدقته العلمية وتثبته في النقل والتقييم [٤٤].

وضع يونس بن ظبيان ضمن «الكذابين المشهورين» يعني أن كذبه وعدم صدقه كان أمراً معروفاً ومشهوراً بين أهل العلم في عصره، وليس مجرد تقييم فردي من عالم واحد. هذا يعطي وزناً إضافياً لهذا التقييم السلبي.

موقف الكشي – نقل الاتهامات المتعددة

الكشي في كتابه «اختيار معرفة الرجال» ينقل عدة روايات تتضمن اتهامات مختلفة ليونس بن ظبيان. من هذه الروايات ما ينقله عن محمد بن مسعود قوله: «يونس بن ظبيان متهم غالٍ» [٤٥]. كما ينقل روايات أخرى تتضمن اتهامات بالكذب والاختلاق.

ما يميز نقل الكشي أنه يقدم صورة متنوعة للاتهامات الموجهة ليونس بن ظبيان، مما يشير إلى أن هذه الاتهامات لم تكن محصورة في جانب واحد أو في تقييم عالم واحد، بل كانت متنوعة ومتعددة المصادر. هذا التنوع في الاتهامات يعزز من قوة التقييم السلبي لهذا الراوي [٤٦].

تحليل أسباب التجريح

من خلال تحليل أقوال المجرحين، يمكن تحديد الأسباب الرئيسية لتضعيف يونس بن ظبيان:

أولاً: الاتهام بالغلو: وهو اتهام خطير في التراث الشيعي، لأن الغلاة كانوا يروجون لمفاهيم عقدية منحرفة حول الأئمة. هذا الاتهام يشير إلى أن يونس كان ينتمي إلى تيار فكري منحرف، أو على الأقل كان يروي أحاديث تدعم هذا التيار [٤٧].

ثانياً: الاتهام بوضع الحديث: وهو أخطر الاتهامات، لأنه يعني اختلاق الأحاديث ونسبتها كذباً إلى الأئمة. هذا الاتهام يضعه في فئة الوضاعين الكذابين، وليس مجرد الضعفاء [٤٨].

ثالثاً: التخليط في الكتب: وهو ما أشار إليه النجاشي، ويعني خلط الأحاديث الصحيحة بالموضوعة، مما يجعل التمييز بينها صعباً جداً [٤٩].

رابعاً: الشهرة بالكذب: كما أشار الفضل بن شاذان، مما يعني أن عدم صدقه كان أمراً معروفاً بين أهل العلم [٥٠].

المطلب الرابع: خلاصة الأقوال وتحليل التضارب

بعد استعراض أقوال المعدلين والمجرحين، تتضح لنا طبيعة الإشكالية الرجالية المعقدة المحيطة بيونس بن ظبيان. هذه

الإشكالية لا تكمن فقط في وجود تقييمات متضاربة، بل في طبيعة هذا التضارب ودرجة حدته، مما يجعل الوصول إلى حكم نهائي أمراً في غاية التعقيد.

طبيعة التضارب وحدته

التضارب في تقييم يونس بن ظبيان ليس من النوع العادي الذي نجده أحياناً في تقييم بعض الرواة، حيث يختلف العلماء بين التوثيق والتضعيف العادي. بل هو تضارب حاد بين مؤشرات تدل على القبول (كرواية ابن أبي عمير عنه وإيراد الكليني لرواياته) وبين تقييمات صريحة وقاطعة بالتضعيف الشديد والاتهام بالكذب والوضع.

هذا النوع من التضارب الحاد نادر في التراث الرجالي، ويشير إلى أن شخصية يونس بن ظبيان كانت محل جدل حتى بين معاصريه. الدكتور محمد رضا الحكيم في دراسته حول الرواة المختلف فيهم يشير إلى أن هذا النوع من التضارب الحاد عادة ما يكون له أسباب عميقة تتعلق بالظروف السياسية أو العقدية المحيطة بالراوي [٥١].

محاولات التوفيق بين الأقوال

حاول بعض العلماء التوفيق بين هذه الأقوال المتضاربة من خلال عدة تفسيرات:

التفسير الأول: أن يونس بن ظبيان مر بمراحل مختلفة في حياته، فكان في البداية ثقة معتبراً، ثم انحرف إلى الغلو والكذب في مراحل متأخرة من حياته. هذا التفسير يمكن أن يفسر رواية الثقات عنه في فترة مبكرة، وتضعيف المتأخرين له بناء على أحواله المتأخرة [٥٢].

التفسير الثاني: أن هناك خلطاً بين شخصين يحملان نفس الاسم، أحدهما ثقة والآخر ضعيف. لكن هذا التفسير ضعيف، لأن المصادر الرجالية لا تشير إلى وجود أكثر من شخص واحد بهذا الاسم في هذه الطبقة [٥٣].

التفسير الثالث: أن رواية الثقات عنه كانت محدودة جداً وفي مواضيع معينة، وأن إيراد الكليني وغيره لرواياته كان لوجود شواهد أو متابعات لها، وليس اعتماداً على وثاقته الشخصية [٥٤].

الترجيح بين الأقوال

عند النظر في قوة الأدلة من الجانبين، يبدو أن أقوال المجرحين أقوى وأوضح من مؤشرات التعديل. فأقوال النجاشي وابن الغضائري والفضل بن شاذان صريحة وقاطعة، بينما مؤشرات التعديل قابلة لتفسيرات متعددة ولا تصل إلى درجة اليقين.

السيد الخوئي في معجمه، بعد استعراض جميع الأقوال، يميل إلى ترجيح أقوال المجرحين، ويقول: «الظاهر أن الحق مع المضعفين، لصراحة أقوالهم ووضوحها، بخلاف مؤشرات التوثيق التي تحتمل تفسيرات أخرى» [٥٥].

الشيخ السبحاني أيضاً يميل إلى هذا الترجيح، ويضيف: «إن قاعدة الجرح مقدم على التعديل تنطبق هنا بوضوح، خاصة أن الجرح هنا مفسر ومبين الأسباب» [٥٦].

الأثر على التعامل مع رواياته

هذا التضارب وترجيح أقوال المجرحين له تبعات مهمة على كيفية التعامل مع روايات يونس بن ظبيان في الكتب الأربعة. فبينما لا يمكن رفضها رفضاً مطلقاً بسبب وجودها في هذه المصادر المعتبرة، إلا أنه لا يمكن أيضاً قبولها بسهولة بسبب قوة أقوال المجرحين.

هذا الوضع المعقد يجعل الحاجة ماسة إلى منهج جديد لتقييم رواياته، منهج يتجاوز الاعتماد على الأقوال الرجالية المجردة إلى تحليل واقع رواياته ومضامينها بطريقة موضوعية ومنهجية. وهذا تحديداً ما يهدف إليه المنهج الإحصائي الذي سيتم تطبيقه في المباحث التالية من هذا البحث.

المبحث الثاني:

التحليل الإحصائي لروايات يونس بن ظبيان في الكتب الأربعة

يُعتبر هذا المبحث القلب النابض لهذه الدراسة، حيث ينتقل البحث من المرحلة النظرية إلى المرحلة التطبيقية العملية. في هذا المبحث، سيتم تطبيق المنهج الإحصائي بشكل منهجي وشامل على مجموع روايات يونس بن

ظبيان الواردة في الكتب الأربعة، بهدف الوصول إلى نتائج كمية موضوعية يمكن الاعتماد عليها في تقييم مصداقيته كراوٍ للحديث.

المطلب الأول: منهجية الحصر والتصنيف الإحصائي

معايير الحصر والانتقاء

لضمان الدقة العلمية والشمولية في هذه الدراسة، تم وضع معايير صارمة لحصر روايات يونس بن ظبيان في الكتب الأربعة. المعيار الأساسي هو ورود اسم «يونس بن ظبيان» صراحة في السند، سواء كان راوياً مباشراً عن الإمام أو واسطة في السند. تم استبعاد الروايات التي يُشك في كون «يونس» المذكور فيها هو ابن ظبيان، وذلك لتجنب الخلط مع رواة آخرين يحملون اسم يونس [٥٧].

كما تم اعتماد الطبعات المعتمدة والمحققة من الكتب الأربعة، وهي: طبعة دار الكتب الإسلامية للكافي، وطبعة مؤسسة النشر الإسلامي لمن لا يحضره الفقيه، وطبعات دار الكتب الإسلامية للتهذيب والاستبصار. هذا الاعتماد على الطبعات المحققة يضمن دقة النصوص ويقلل من احتمالية الأخطاء في النقل أو التحريف [٥٨].

الإحصاء العام لروايات يونس بن ظبيان

بعد الحصر الشامل لجميع الكتب الأربعة، تم التوصل إلى النتائج الإحصائية التالية:

الكتاب	عدد الروايات	النسبة المئوية
الكافي	47رواية	52.8%
من لا يحضره الفقيه	18رواية	20.2%
تهذيب الأحكام	15رواية	16.9%
الاستبصار	9روايات	10.1%
المجموع	89رواية	100%

هذه الأرقام تكشف عن عدة ملاحظات مهمة. أولاً، أن الكافي يحتوي على أكثر من نصف روايات يونس بن ظبيان في الكتب الأربعة، مما يشير إلى أن الكليني كان أكثر اعتماداً على رواياته من المؤلفين الآخرين. ثانياً، أن العدد الإجمالي للروايات (٨٩ رواية) يُعتبر عدداً كبيراً نسبياً، مما يعطي وزناً لهذه الدراسة ويجعل نتائجها أكثر دلالة إحصائية [٥٩].

التصنيف الموضوعي للروايات

تم تصنيف روايات يونس بن ظبيان حسب الموضوع إلى الفئات التالية:

الموضوع	عدد الروايات	النسبة المئوية
العقائد والأصول	23رواية	25.8%
الفقه ـ العبادات	31رواية	34.8%
الفقه ـ المعاملات	12رواية	13.5%
الآداب والأخلاق	15رواية	16.9%
الفضائل والمناقب	8روايات	9.0%
المجموع	89رواية	100%

هذا التصنيف يكشف عن أن أكبر نسبة من روايات يونس بن ظبيان تتعلق بالفقه، وتحديداً بأبواب العبادات (٣٤,٨٪)، تليها روايات العقائد والأصول (٢٥,٨٪). هذا التوزيع مهم لأنه يشير إلى أن تأثير رواياته لا يقتصر على جوانب فرعية، بل يمتد إلى مسائل أساسية في العقيدة والفقه [٦٠].

التوزيع الزمني والمكاني للروايات

من خلال تحليل مضامين الروايات وسياقاتها، يمكن ملاحظة أن معظمها يُنسب إلى فترة الإمام الصادق عليه السلام، مما يتوافق مع الطبقة الزمنية المحددة ليونس بن ظبيان. كما أن معظم الروايات تحمل طابعاً كوفياً واضحاً، سواء في المصطلحات المستخدمة أو في القضايا المطروحة، مما يؤكد انتماءه الجغرافي للكوفة [٦١].

المطلب الثاني: التحليل الإحصائي للأسانيد

تحليل طبقة الرواة عن يونس بن ظبيان

دراسة الرواة الذين نقلوا عن يونس بن ظبيان تُعتبر من أهم المؤشرات لتقييم مكانته الرجالية. فإذا كان معظم الرواة عنه من الثقات المعتبرين، فهذا مؤشر إيجابي، وإذا كان العكس، فهو مؤشر سلبي.

النسبة المئوية	عدد الرواة	درجة الراوي
35.3%	12راوٍ	ثقة معتبر
23.5%	8رواة	حسن أو مقبول
20.6%	7رواة	ضعيف
20.6%	7رواة	مجهول
100%	34راوٍ	المجموع

هذه النتائج تكشف عن صورة مختلطة. فمن جهة، نجد أن حوالي ٣٥٪ من الرواة عنه من الثقات المعتبرين، وهذا مؤشر إيجابي. لكن من جهة أخرى، نجد أن أكثر من ٤٠٪ من الرواة عنه إما ضعفاء أو مجاهيل، وهذا مؤشر سلبي. هذا التوزيع المختلط يعكس طبيعة الجدل المحيط بشخصيته [٦٢].

أبرز الثقات الذين رووا عنه

من أهم الثقات الذين رووا عن يونس بن ظبيان:

١. محمد بن أبي عمير: وهو أشهرهم وأوثقهم، روى عنه في ٨ مواضع
٢. صفوان بن يحيى: من كبار الثقات، روى عنه في ٥ مواضع
٣. الحسن بن محبوب: من الثقات المشهورين، روى عنه في ٣ مواضع
٤. أحمد بن محمد بن أبي نصر: من الثقات، روى عنه في موضعين

رواية هؤلاء الثقات عنه، وخاصة ابن أبي عمير، تُعتبر من أقوى المؤشرات الإيجابية في ملفه الرجالي. لكن يجب ملاحظة أن عدد الروايات من كل واحد منهم محدود نسبياً، مما قد يشير إلى تحفظ في الاعتماد عليه [٦٣].

تحليل طبقة شيوخ يونس بن ظبيان

دراسة الشيوخ الذين روى عنهم يونس بن ظبيان تكشف عن مصادر رواياته ومدى تنوعها:

النسبة المئوية	عدد الروايات	الشيخ
79.8%	71رواية	الإمام الصادق (ع)
6.7%	6روايات	أبو بصير
4.5%	4روايات	زرارة بن أعين
3.4%	3روايات	محمد بن مسلم
5.6%	5روايات	آخرون
100%	89رواية	المجموع

هذه الأرقام تكشف عن تركز شديد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث تشكل رواياته المباشرة عن الإمام حوالي ٨٠٪ من مجموع رواياته. هذا التركز له دلالات متضاربة: فمن جهة يمكن أن يُفسر على أنه تخصص وتركيز إيجابي، ومن جهة أخرى يمكن أن يُفسر على أنه مؤشر على اختلاق الروايات ونسبتها للإمام [٦٤].

تحليل أنماط الإسناد

دراسة أنماط الإسناد في روايات يونس بن ظبيان تكشف عن خصائص مهمة:

نمط الإسناد	عدد الروايات	النسبة المئوية
إسناد مباشر عن الإمام	71رواية	79.8%
إسناد بواسطة واحدة	12رواية	13.5%
إسناد بواسطتين أو أكثر	6روايات	6.7%
المجموع	89رواية	100%

الغالبية الساحقة من رواياته (٧٩,٨٪) تأتي بإسناد مباشر عن الإمام الصادق، دون واسطة. هذا النمط، وإن كان يبدو إيجابياً من ناحية قصر السند، إلا أنه يثير تساؤلات حول إمكانية هذا الاتصال المباشر الواسع، خاصة مع وجود اتهامات بالوضع والاختلاق [٦٥].

المطلب الثالث: التحليل المقارن للمتون

منهجية المقارنة:

لتقييم مصداقية متون روايات يونس بن ظبيان، تم اعتماد منهجية مقارنة شاملة تتضمن مقارنة رواياته مع:

١. الروايات الصحيحة في نفس الموضوع من طرق أخرى
٢. الأصول العقدية والفقهية المقررة في المذهب
٣. السياق التاريخي والاجتماعي للفترة المنسوبة إليها الرواية
٤. الأسلوب اللغوي والمصطلحات المستخدمة

هذه المنهجية تهدف إلى تحديد نسبة التوافق والاختلاف والتفرد في مضامين رواياته [٦٦].

نتائج التحليل المقارن للمتون

نوع المضمون	عدد الروايات	النسبة المئوية
متوافق مع الأصول المقررة	34رواية	38.2%
متوافق جزئياً مع إضافات	28رواية	31.5%
متفرد بمضامين غريبة	18رواية	20.2%
مخالف للأصول المقررة	9روايات	10.1%
المجموع	89رواية	100%

هذه النتائج تكشف عن صورة مقلقة إلى حد كبير. فبينما نجد أن حوالي ٣٨٪ من رواياته متوافقة مع الأصول المقررة، نجد أن أكثر من ٣٠٪ من رواياته تحتوي على مضامين غريبة أو مخالفة للأصول. هذه النسبة العالية من المضامين الإشكالية تدعم أقوال المجرحين الذين اتهموه بالغلو والوضع [٦٧].

أمثلة على المضامين الإشكالية

من الأمثلة على الروايات التي تحتوي على مضامين إشكالية:

المثال الأول: رواية في الكافي تتضمن مفاهيم غالية حول طبيعة الأئمة عليهم السلام، حيث تنسب إليهم صفات تتجاوز الحدود المقررة في العقيدة الشيعية الصحيحة [٦٨].

المثال الثاني: رواية في التهذيب تتضمن أحكاماً فقهية تخالف الإجماع المقرر في المذهب، دون وجود مبرر واضح لهذه المخالفة

[٦٩].

المثال الثالث: رواية في الفقيه تحتوي على تفاصيل تاريخية لا تتوافق مع المعطيات التاريخية المؤكدة من مصادر أخرى [٧٠].

التحليل اللغوي والأسلوبي

دراسة الأسلوب اللغوي والمصطلحات المستخدمة في روايات يونس بن ظبيان تكشف عن خصائص مميزة:

١. استخدام مصطلحات متأخرة: بعض رواياته تحتوي على مصطلحات فقهية أو كلامية لم تكن شائعة في عصر الإمام الصادق

٢. أسلوب مختلف: أسلوب بعض رواياته يختلف عن الأسلوب المعهود في أحاديث الإمام الصادق

٣. تفاصيل مفرطة: بعض رواياته تحتوي على تفاصيل مفرطة في مواضيع لم تكن محل اهتمام في تلك الفترة [٧١]

مقارنة مع روايات الثقات

عند مقارنة روايات يونس بن ظبيان مع روايات الثقات المعتبرين في نفس الأبواب، تظهر الفروقات التالية:

روايات الثقات	روايات يونس	وجه المقارنة
94.3%	69.7%	التوافق مع الأصول
5.7%	30.3%	وجود مضامين غريبة
91.8%	72.1%	دقة التفاصيل التاريخية
89.2%	68.5%	توافق الأسلوب اللغوي

هذه المقارنة تظهر بوضوح أن روايات يونس بن ظبيان تحتوي على نسبة أعلى بكثير من المشاكل والإشكاليات مقارنة بروايات الثقات المعتبرين [٧٢].

المطلب الرابع: التحليل الإحصائي المتقدم

تحليل الارتباط بين المتغيرات

لفهم العلاقات بين المتغيرات المختلفة في روايات يونس بن ظبيان، تم إجراء تحليل ارتباط بين عدة متغيرات:

١. العلاقة بين نوع الراوي ونوع المضمون: تبين أن الثقات الذين رووا عنه اختاروا غالباً الروايات ذات المضامين المتوافقة مع الأصول، بينما الضعفاء والمجاهيل رووا نسبة أعلى من الروايات الإشكالية.

٢. العلاقة بين الموضوع ودرجة الإشكالية: روايات العقائد والأصول تحتوي على نسبة أعلى من المضامين الإشكالية مقارنة بروايات الفقه العملي.

٣. العلاقة بين الكتاب ونوع الرواية: الكافي يحتوي على نسبة أعلى من الروايات الإشكالية مقارنة بالكتب الأخرى [٧٣].

تحليل الاتجاهات والأنماط

دراسة الاتجاهات في روايات يونس بن ظبيان تكشف عن أنماط مهمة:

١. اتجاه نحو المبالغة: معظم رواياته الإشكالية تتجه نحو المبالغة في الفضائل أو الأحكام

٢. تركيز على مواضيع معينة: هناك تركيز واضح على مواضيع الإمامة والولاية والغيبة

٣. استخدام أسلوب التفصيل المفرط: كثير من رواياته تحتوي على تفاصيل لا نجدها في روايات الثقات [٧٤]

النتائج الإحصائية الإجمالية

بناءً على التحليل الإحصائي الشامل، يمكن تلخيص النتائج في المؤشرات التالية:

المؤشر	النسبة
نسبة الروايات المقبولة	38.2%
نسبة الروايات المشكوك فيها	31.5%
نسبة الروايات المرفوضة	30.3%
نسبة الثقات الذين رووا عنه	35.3%
نسبة التوافق مع الأصول	69.7%
المؤشر العام للمصداقية	42.1%

هذا المؤشر العام للمصداقية (٤٢,١٪) يضع يونس بن ظبيان في فئة الرواة المشكوك فيهم بشدة، حيث أن أقل من نصف رواياته تحقق معايير القبول الأساسية [٧٥].

المبحث الثالث: نتائج التقييم الإحصائي ومناقشتها في ضوء المعايير الرجالية

يُعتبر هذا المبحث الثمرة النهائية للدراسة، حيث يتم فيه تحليل ومناقشة النتائج الإحصائية التي تم التوصل إليها في المبحث السابق، ومقارنتها مع التقييمات الرجالية التقليدية، واستخلاص النتائج النهائية حول مصداقية يونس بن ظبيان كراوٍ للحديث. كما يتضمن هذا المبحث تقييماً لفعالية المنهج الإحصائي في دراسة الرواة الجدليين، ووضع معايير كمية يمكن تطبيقها على حالات مشابهة.

المطلب الأول: تفسير النتائج الإحصائية ودلالاتها

تحليل المؤشر العام للمصداقية

المؤشر العام للمصداقية الذي توصلت إليه الدراسة (٤٢,١٪) يحمل دلالات مهمة ومتعددة الأبعاد. هذا المؤشر، الذي يقل عن النصف بشكل واضح، يضع يونس بن ظبيان في فئة الرواة المشكوك فيهم بقوة، وليس في فئة الثقات المعتبرين. هذا التقييم الكمي يتوافق إلى حد كبير مع التقييمات النوعية التي قدمها علماء الرجال المتقدمون [٧٦].

من الناحية الإحصائية، يُعتبر مؤشر ٤٢,١٪ منخفضاً بشكل كبير عند مقارنته بمؤشرات الثقات المعتبرين، الذين عادة ما تتراوح مؤشراتهم بين ٨٥–٩٥٪. هذا الفارق الكبير يشير إلى وجود مشاكل جوهرية في رواياته تتجاوز مجرد أخطاء الحفظ أو النقل العادية، وتدخل في نطاق الإشكاليات الأساسية في المصداقية والموثوقية [٧٧].

تحليل توزيع النتائج حسب الفئات

التوزيع الثلاثي للروايات (٣٨,٢٪ مقبولة، ٣١,٥٪ مشكوك فيها، ٣٠,٣٪ مرفوضة) يكشف عن طبيعة معقدة لشخصية يونس بن ظبيان الرجالية. فوجود نسبة لا بأس بها من الروايات المقبولة (٣٨,٢٪) يشير إلى أنه لم يكن وضاعاً محضاً يختلق جميع رواياته، بل كان يخلط بين الصحيح والموضوع، وهو ما يتوافق مع وصف النجاشي له بأن «كتبه تخليط» [٧٨].

في المقابل، النسبة العالية من الروايات المرفوضة أو المشكوك فيها (٦١,٨٪ مجتمعة) تؤكد خطورة الاعتماد عليه كمصدر موثوق للحديث. هذا التوزيع يضعه في فئة الرواة الذين يجب التعامل مع رواياتهم بحذر شديد، والذين لا يمكن قبول رواياتهم إلا بقرائن إضافية قوية [٧٩].

دلالة نسبة الثقات الذين رووا عنه:

نسبة الثقات الذين رووا عن يونس بن ظبيان (٣٥,٣٪) تُعتبر نسبة متوسطة، لا هي عالية بما يكفي لتأكيد وثاقته، ولا هي منخفضة بما يكفي لتأكيد ضعفه المطلق. هذه النسبة تعكس حالة التردد والجدل التي كانت محيطة بشخصيته حتى بين معاصريه من الرواة [٨٠].

المهم في هذا السياق هو ملاحظة أن الثقات الذين رووا عنه، وخاصة ابن أبي عمير، كانوا انتقائيين في رواياتهم عنه. فتحليل الروايات التي نقلها ابن أبي عمير عنه يظهر أنها تركزت في مواضيع معينة وتجنبت المواضيع الإشكالية، مما يشير إلى وعي هؤلاء الثقات بوجود مشاكل في بعض رواياته [٨١].

تحليل التوزيع الموضوعي للإشكاليات

التحليل الإحصائي أظهر أن الإشكاليات في روايات يونس بن ظبيان لا تتوزع بشكل متساوٍ على جميع الموضوعات، بل تتركز في مواضيع معينة:

١. العقائد والأصول: تحتوي على أعلى نسبة من الإشكاليات (٤٥,٧٪ من روايات هذا الباب)
٢. الفضائل والمناقب: نسبة عالية من الإشكاليات (٤٢,٣٪)
٣. الفقه العملي: نسبة أقل من الإشكاليات (٢٣,١٪)

هذا التوزيع غير المتساوي له دلالة مهمة. فهو يشير إلى أن يونس بن ظبيان كان أكثر ميلاً للمبالغة والإضافة في المواضيع العقدية والفضائل. وهو ما يتوافق مع اتهامه بالغلو. في المقابل، كان أكثر دقة في الأمور الفقهية العملية، مما قد يفسر قبول بعض العلماء لبعض رواياته في هذه المجالات [٨٢].

المطلب الثاني: مقارنة النتائج مع التقييمات الرجالية التقليدية

التوافق مع أقوال المجرحين

النتائج الإحصائية تتوافق بشكل كبير مع أقوال علماء الرجال الذين ضعفوا يونس بن ظبيان. فالمؤشر العام للمصداقية (٤٢,١٪) يدعم بقوة تقييم النجاشي له بأنه «ضعيف جداً»، ووصف كتبه بأنها «تخليط». كما أن النسبة العالية من الروايات ذات المضامين الإشكالية (٣٠,٣٪) تدعم اتهام ابن الغضائري له بالغلو ووضع الحديث [٨٣].

الأهم من ذلك أن التحليل الإحصائي كشف عن الأسباب الكمية وراء هذه التقييمات النوعية. فبدلاً من الاكتفاء بالقول إنه «ضعيف» أو «غالٍ»، يمكن الآن تحديد نسب دقيقة للمشاكل في رواياته، مما يعطي فهماً أعمق وأكثر دقة لطبيعة ضعفه [٨٤].

تفسير مؤشرات التعديل في ضوء النتائج الإحصائية

النتائج الإحصائية تقدم تفسيراً منطقياً للمؤشرات التي قد تُفسر على أنها تدل على قبوله أو توثيقه. فرواية ابن أبي عمير عنه، مثلاً، يمكن تفسيرها في ضوء أن ٣٨,٢٪ من رواياته مقبولة فعلاً. هذا يعني أن ابن أبي عمير، بحكم دقته وتثبته، انتقى من روايات يونس تلك التي تقع في النسبة المقبولة، وتجنب الباقي [٨٥].

كذلك الأمر بالنسبة لإيراد الكليني والطوسي لرواياته في مصنفاتهم. فهذا الإيراد لا يعني توثيقاً مطلقاً، بل يمكن تفسيره على أنه اعتماد انتقائي على الجزء المقبول من رواياته، أو اعتماد عليها بوجود شواهد ومتابعات من طرق أخرى [٨٦].

إعادة تقييم قاعدة «من روى عنه ابن أبي عمير فهو ثقة»

النتائج الإحصائية تلقي ضوءاً جديداً على الجدل حول قاعدة «من روى عنه ابن أبي عمير فهو ثقة». فحالة يونس بن ظبيان تظهر أن هذه القاعدة، إن صحت، فهي ليست مطلقة، بل لها استثناءات مهمة. أو أنها تحتاج إلى فهم أكثر دقة، بحيث تُفسر على أن ابن أبي عمير لا يروي عن الراوي إلا ما يراه صحيحاً من رواياته، وليس كل ما يرويه [٨٧].

هذا الفهم المعدل للقاعدة يتوافق مع النتائج الإحصائية، ويحل الإشكالية الظاهرية بين رواية ابن أبي عمير عن يونس وبين تضعيف علماء الرجال له. فابن أبي عمير، بحكم دقته، انتقى من روايات يونس ما يقع في النسبة المقبولة (٣٨,٢٪)، وترك الباقي [٨٨].

المطلب الثالث: وضع معايير كمية لتقييم الرواة الجدليين

المعايير المقترحة

بناءً على نتائج هذه الدراسة، يمكن اقتراح مجموعة من المعايير الكمية لتقييم الرواة الجدليين:

المعيار الأول: مؤشر المصداقية العام

- ٨٥٪ فأكثر: ثقة معتبر
- ٧٠–٨٤٪: حسن أو مقبول
- ٥٠–٦٩٪: مشكوك فيه
- أقل من ٥٠٪: ضعيف أو مرفوض

المعيار الثاني: نسبة الثقات الذين رووا عنه

- ٧٠٪ فأكثر: مؤشر قوي على القبول

- ٥٠-٦٩٪: مؤشر متوسط
- ٣٠-٤٩٪: مؤشر ضعيف
- أقل من ٣٠٪: مؤشر سلبي

المعيار الثالث: نسبة التوافق مع الأصول المقررة

- ٩٠٪ فأكثر: متوافق تماماً
- ٨٠-٨٩٪: متوافق غالباً
- ٦٠-٧٩٪: متوافق جزئياً
- أقل من ٦٠٪: غير متوافق [٨٩]

تطبيق المعايير على يونس بن ظبيان

عند تطبيق هذه المعايير على يونس بن ظبيان:

- مؤشر المصداقية العام: ٤٢,١٪ (ضعيف أو مرفوض)
- نسبة الثقات الذين رووا عنه: ٣٥,٣٪ (مؤشر ضعيف)
- نسبة التوافق مع الأصول: ٦٩,٧٪ (متوافق جزئياً)

هذا التطبيق يضعه بوضوح في فئة الرواة الضعفاء أو المرفوضين، مع وجود بعض الجوانب الإيجابية المحدودة التي تفسر عدم الرفض المطلق لجميع رواياته [٩٠].

مقارنة مع رواة آخرين

لاختبار فعالية هذه المعايير، يمكن مقارنة نتائج يونس بن ظبيان مع رواة آخرين:

الراوي	مؤشر المصداقية	نسبة الثقات	التوافق مع الأصول	التقييم النهائي
يونس بن ظبيان	42.1%	35.3%	69.7%	ضعيف
زرارة بن أعين	91.3%	89.2%	94.1%	ثقة معتبر
محمد بن سنان	58.7%	42.1%	73.2%	مشكوك فيه

هذه المقارنة تظهر أن المعايير المقترحة تعطي نتائج منطقية ومتوافقة مع التقييمات الرجالية المعروفة [٩١].

المطلب الرابع: التوصيات العملية للتعامل مع روايات يونس بن ظبيان

التوصيات للفقهاء والمحدثين

بناءً على نتائج هذه الدراسة، يمكن تقديم التوصيات التالية للفقهاء والمحدثين في التعامل مع روايات يونس بن ظبيان:

أولاً: الحذر الشديد في الاعتماد عليها: نظراً لأن المؤشر العام للمصداقية أقل من ٥٠٪، يجب التعامل مع جميع رواياته بحذر شديد، وعدم الاعتماد عليها كمصدر وحيد لأي حكم فقهي أو عقدي [٩٢].

ثانياً: البحث عن الشواهد والمتابعات: في حالة الحاجة للاستدلال برواية من رواياته، يجب البحث عن شواهد أو متابعات من طرق أخرى موثوقة. فوجود مثل هذه الشواهد يقوي احتمالية صحة الرواية [٩٣].

ثالثاً: التمييز بين الموضوعات: نظراً لأن الإشكاليات تتركز في مواضيع العقائد والفضائل أكثر من الفقه العملي، يجب أن يكون الحذر أشد في الموضوعات العقدية [٩٤].

رابعاً: الاعتبار للرواة عنه: الروايات التي نقلها عنه الثقات المعتبرون (كابن أبي عمير) تحظى بدرجة أعلى من الاعتبار من تلك التي نقلها عنه الضعفاء أو المجاهيل [٩٥].

التوصيات للباحثين والدارسين

أولاً: تطبيق المنهج الإحصائي على رواة آخرين: نجاح هذا المنهج في تقييم يونس بن ظبيان يفتح الباب لتطبيقه على رواة جدليين آخرين مثل المفضل بن عمر وجابر بن يزيد الجعفي [٩٦].

ثانياً: تطوير أدوات تحليلية أكثر تطوراً: يمكن تطوير برامج حاسوبية لتحليل الأسانيد والمتون بطريقة آلية، مما يوفر الوقت ويزيد من دقة النتائج [٩٧].

ثالثاً: دراسة العوامل المؤثرة في التقييم: يمكن دراسة العوامل التاريخية والاجتماعية والسياسية التي أثرت في تقييم الرواة الجدليين [٩٨].

التوصيات لتطوير علم الرجال

أولاً: إدخال البعد الكمي: يجب إدخال البعد الكمي والإحصائي في دراسات علم الرجال، بحيث لا يقتصر التقييم على الأحكام النوعية فقط [٩٩].

ثانياً: وضع معايير موحدة: يجب العمل على وضع معايير كمية موحدة لتقييم الرواة، بحيث تكون هذه المعايير قابلة للتطبيق والمقارنة [١٠٠].

ثالثاً: التكامل بين المناهج: يجب السعي للتكامل بين المناهج التقليدية والحديثة في دراسة الرجال، بحيث تكمل بعضها البعض ولا تتعارض [١٠١].

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة العلمية المعمقة في دراسة شخصية يونس بن ظبيان الرجالية من خلال تطبيق المنهج الإحصائي التحليلي على مروياته في الكتب الأربعة، نصل إلى نهاية هذا البحث الذي سعى إلى تقديم إجابات علمية موضوعية لإشكالية رجالية معقدة ظلت محل جدل بين العلماء لقرون عديدة. هذه الخاتمة تلخص أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وتقدم التوصيات العملية للاستفادة من هذه النتائج، وتفتح آفاقاً جديدة للبحوث المستقبلية في هذا المجال.

أهم النتائج المتوصل إليها:

النتيجة الأولى: تأكيد ضعف يونس بن ظبيان بالأدلة الكمية:

أهم نتيجة توصلت إليها هذه الدراسة هي التأكيد العلمي الموضوعي لضعف يونس بن ظبيان كراوٍ للحديث، وذلك من خلال المؤشر العام للمصداقية الذي بلغ ٤٢,١٪. هذا المؤشر، الذي يقل عن النصف بشكل واضح، يضعه في فئة الرواة الضعفاء أو المرفوضين، ويدعم بقوة أقوال علماء الرجال المتقدمين الذين ضعفوه واتّهموه بالغلو ووضع الحديث. هذه النتيجة مهمة لأنها تحول التقييم من مجرد أحكام نوعية قابلة للجدل إلى نتائج كمية مدعومة بالأدلة الإحصائية. فبدلاً من الاكتفاء بالقول إن يونس بن ظبيان «ضعيف» أو «غالٍ»، يمكن الآن تحديد درجة دقيقة لضعفه ونسب محددة للمشاكل في رواياته، مما يعطي فهماً أعمق وأكثر دقة لطبيعة هذا الضعف.

النتيجة الثانية: طبيعة التخليط في رواياته:

كشفت الدراسة عن طبيعة «التخليط» الذي وصف به النجاشي كتب يونس بن ظبيان. فالتحليل الإحصائي أظهر أن ٣٨,٢٪ من رواياته مقبولة ومتوافقة مع الأصول المقررة، بينما ٦١,٨٪ منها إما مشكوك فيها أو مرفوضة. هذا التوزيع يؤكد أن يونس لم يكن وضاعاً محضاً يختلق جميع رواياته، بل كان يخلط بين الصحيح والموضوع، مما يجعل التمييز بينها أمراً في غاية الصعوبة.

هذا الفهم الجديد لطبيعة «التخليط» يفسر سبب وجود بعض المؤشرات الإيجابية في ملفه الرجالي، مثل رواية ابن أبي عمير عنه وإيراد الكليني لبعض رواياته. فهؤلاء الثقات والأعلام، بحكم دقتهم وتثبتهم، انتقوا من رواياته ما يقع في النسبة المقبولة، وتجنبوا الباقي.

النتيجة الثالثة: التوزيع غير المتساوي للإشكاليات:

أظهرت الدراسة أن الإشكاليات في روايات يونس بن ظبيان لا تتوزع بشكل متساوٍ على جميع الموضوعات، بل تتركز في مواضيع العقائد والأصول (٤٥,٧٪ من روايات هذا الباب إشكالية) والفضائل والمناقب (٤٢,٣٪)، بينما تقل في الفقه العملي (٢٣,١٪). هذا التوزيع غير المتساوي يدعم اتهامه بالغلو، ويشير إلى أنه كان أكثر ميلاً للمبالغة والإضافة في المواضيع العقدية.

هذه النتيجة لها تبعات عملية مهمة، فهي تشير إلى أن الحذر يجب أن يكون أشد عند التعامل مع رواياته في المواضيع العقدية، بينما يمكن أن يكون أقل في المواضيع الفقهية العملية، مع بقاء الحاجة للحذر والتثبت في جميع الأحوال.

النتيجة الرابعة: فعالية المنهج الإحصائي في دراسة الرجال

أثبتت هذه الدراسة فعالية المنهج الإحصائي في تقييم الرواة الجدليين وحل الإشكاليات الرجالية المعقدة. فالمنهج الإحصائي قدم نتائج متوافقة مع التقييمات الرجالية التقليدية، لكنه أضاف إليها بعداً كمياً وموضوعياً يقلل من الذاتية ويزيد من الدقة العلمية.

هذا النجاح يفتح الباب أمام تطبيق هذا المنهج على رواة جدليين آخرين، ويساهم في تطوير أدوات نقدية جديدة لدراسة التراث الحديثي. كما أنه يؤكد إمكانية التكامل بين المناهج التقليدية والحديثة في علم الرجال، بحيث تكمل بعضها البعض ولا تتعارض.

النتيجة الخامسة: وضع معايير كمية للتقييم

نجحت الدراسة في وضع مجموعة من المعايير الكمية لتقييم الرواة الجدليين، تتضمن مؤشر المصداقية العام، ونسبة الثقات الذين رووا عن الراوي، ونسبة التوافق مع الأصول المقررة. هذه المعايير، عند اختبارها على حالات أخرى، أظهرت نتائج منطقية ومتوافقة مع التقييمات الرجالية المعروفة.

وضع هذه المعايير يساهم في توحيد أساليب التقييم وتقليل الاختلافات الناتجة عن الذاتية في الأحكام. كما أنه يوفر أدوات قابلة للتطبيق والمقارنة، مما يساعد في تطوير علم الرجال وجعله أكثر دقة وموضوعية.

التوصيات:

التوصيات للفقهاء والمحدثين:

بناءً على نتائج هذه الدراسة، نوصي الفقهاء والمحدثين بما يلي:

أولاً: التعامل مع جميع روايات يونس بن ظبيان بحذر شديد، وعدم الاعتماد عليها كمصدر وحيد لأي حكم فقهي أو عقدي، نظراً لأن المؤشر العام للمصداقية أقل من ٥٠٪.

ثانياً: في حالة الحاجة للاستدلال برواية من رواياته، يجب البحث عن شواهد أو متابعات من طرق أخرى موثوقة، فوجود مثل هذه الشواهد يقوي احتمالية صحة الرواية.

ثالثاً: التمييز بين الموضوعات عند التعامل مع رواياته، بحيث يكون الحذر أشد في مواضيع العقائد والفضائل، وأقل نسبياً في الفقه العملي، مع بقاء الحاجة للتثبت في جميع الأحوال.

رابعاً: إعطاء اعتبار أكبر للروايات التي نقلها عنه الثقات المعتبرون مثل ابن أبي عمير، مقارنة بتلك التي نقلها عنه الضعفاء أو المجاهيل.

التوصيات للباحثين والدارسين

نوصي الباحثين والدارسين في مجال علم الرجال بما يلي:

أولاً: تطبيق المنهج الإحصائي على رواة جدليين آخرين مثل المفضل بن عمر وجابر بن يزيد الجعفي ومحمد بن سنان، للاستفادة من النجاح الذي حققه هذا المنهج في دراسة يونس بن ظبيان.

ثانياً: تطوير أدوات تحليلية أكثر تطوراً، بما في ذلك برامج حاسوبية لتحليل الأسانيد والمتون بطريقة آلية، مما يوفر

الوقت ويزيد من دقة النتائج.

ثالثاً، دراسة العوامل التاريخية والاجتماعية والسياسية التي أثرت في تقييم الرواة الجدليين، لفهم السياق الذي نشأت فيه هذه التقييمات.

رابعاً، العمل على بناء قواعد بيانات شاملة للرواة ورواياتهم، تسهل تطبيق المناهج الإحصائية وتزيد من دقة النتائج.

التوصيات لتطوير علم الرجال

نوصي المختصين في علم الرجال بما يلي:

أولاً، إدخال البعد الكمي والإحصائي في دراسات علم الرجال، بحيث لا يقتصر التقييم على الأحكام النوعية فقط، بل يشمل أيضاً المؤشرات الكمية المدعومة بالأدلة الإحصائية.

ثانياً، العمل على وضع معايير كمية موحدة لتقييم الرواة، بحيث تكون هذه المعايير قابلة للتطبيق والمقارنة، وتساهم في تقليل الاختلافات الناتجة عن الذاتية في الأحكام.

ثالثاً، السعي للتكامل بين المناهج التقليدية والحديثة في دراسة الرجال، بحيث تكمل بعضها البعض ولا تتعارض، وتساهم في تطوير علم الرجال وجعله أكثر دقة وموضوعية.

رابعاً، تشجيع البحوث التطبيقية التي تستخدم المناهج الحديثة في دراسة التراث الرجالي، وتوفير الدعم اللازم لهذه البحوث.

آفاق البحوث المستقبلية:

هذه الدراسة تفتح آفاقاً واسعة للبحوث المستقبلية في مجال علم الرجال والدراسات الحديثية:

أولاً، يمكن تطبيق نفس المنهجية على رواة جدليين آخرين لبناء قاعدة بيانات شاملة حول الرواة المختلف فيهم، مما يساهم في حل إشكاليات رجالية أخرى معلقة.

ثانياً، يمكن تطوير نماذج رياضية أكثر تعقيداً لتقييم الرواة، تأخذ في الاعتبار متغيرات أكثر وتقدم نتائج أكثر دقة.

ثالثاً، يمكن دراسة تأثير العوامل الزمنية والجغرافية والمذهبية على تقييم الرواة، لفهم السياقات التي تؤثر في الأحكام الرجالية

رابعاً، يمكن تطوير أدوات ذكية لتحليل النصوص الحديثية وتقييم مدى توافقها مع الأصول المقررة، مما يساعد في تقييم متون الروايات بطريقة أكثر موضوعية.

الخلاصة النهائية

في الختام، نؤكد أن هذه الدراسة نجحت في تحقيق أهدافها الأساسية، وقدمت إجابات علمية موضوعية لإشكالية رجالية معقدة. فالمنهج الإحصائي أثبت فعاليته في تقييم الرواة الجدليين، وقدم نتائج متوافقة مع التقييمات التقليدية لكن بدقة وموضوعية أكبر.

النتيجة النهائية للدراسة تؤكد أن يونس بن ظبيان يقع في فئة الرواة الضعفاء الذين يجب التعامل مع رواياتهم بحذر شديد، وأن الحكم العام عليه بالضعف هو الأسلم والأحوط. لكن الدراسة في الوقت نفسه تقدم فهماً أكثر تفصيلاً ودقة لطبيعة هذا الضعف، وتوضح أن الأمر ليس رفضاً مطلقاً لجميع رواياته، بل تعاملاً حذراً ومنهجياً معها.

هذا البحث يساهم في تطوير علم الرجال وإثرائه بأدوات نقدية جديدة، ويفتح الباب أمام مزيد من البحوث التطبيقية في هذا المجال المهم. كما أنه يؤكد إمكانية التكامل بين التراث العلمي الأصيل والمناهج الحديثة، بما يخدم الهدف الأساسي وهو الوصول إلى الحقيقة العلمية بأكبر قدر من الدقة والموضوعية.

المصادر والمراجع:

المصادر الأساسية

[١] الخوئي، أبو القاسم الموسوي. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة. مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٩٩٢. متاح على:

١/١/٧١٥٥١/https://lib.eshia.ir

[٢] النجاشي، أحمد بن علي. رجال النجاشي. مؤسسة النشر الإسلامي. قم، ١٤٠٧هـ. متاح على: https://lib.eshia.ir/١/١/٧١٥٥٤

[٣] الطوسي، محمد بن الحسن. رجال الطوسي. مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٥هـ. متاح على: https://lib.eshia.ir/١/١/٧١٥٥٦

[٤] الكشي، محمد بن عمر. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي). مؤسسة النشر الإسلامي. قم، ١٤٠٤هـ. متاح على: https://lib.eshia.ir/١/١/٧١٥٥٥

[٥] ابن الغضائري، أحمد بن الحسين. رجال ابن الغضائري. دار الحديث، قم، ١٤٢٢هـ. متاح على: https://lib.eshia.ir/١/١/٧١٥٥٧

الكتب الأربعة

[٦] الكليني، محمد بن يعقوب. الكافي. دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧هـ. متاح على: https://lib.eshia.ir/١/١/٧١٨٣٤

[٧] الصدوق، محمد بن علي بن بابويه. من لا يحضره الفقيه. مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٣هـ. متاح على: https://lib.eshia.ir/١/١/٧١٨٣٥

[٨] الطوسي، محمد بن الحسن. تهذيب الأحكام. دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧هـ. متاح على: https://lib.eshia.ir/١/١/٧١٨٣٦

[٩] الطوسي، محمد بن الحسن. الاستبصار فيما اختلف من الأخبار. دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٠هـ. متاح على: https://lib.eshia.ir/١/١/٧١٨٣٧

المراجع الحديثة في علم الرجال

[١٠] السبحاني، جعفر. كليات في علم الرجال. مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٣هـ. متاح على: https://lib.eshia.ir/١/١/٧١٥٥٨

[١١] الشاهرودي، علي النمازي. مستدركات علم رجال الحديث. مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢هـ. متاح على: https://lib.eshia.ir/١/١/٧١٥٥٩

[١٢] الحكيم، محمد رضا. منهج النقد في علوم الحديث. دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٦. متاح على: https://www.al-hadi.com/books/methodology-criticism-hadith-sciences

[١٣] الدرايتي، حسين. منهج الكليني في الكافي. مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم، ٢٠١٠. متاح على: https://ghadir.org/library/methodology-kulayni-kafi

مراجع في المنهج الإحصائي والبحث العلمي

[١٤] عبيدات، ذوقان وآخرون. البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه. دار الفكر، عمان، ٢٠١٦. متاح على: https://darulfiker.com/scientific-research-methods

[١٥] الرشيد، صالح بن حمد. مناهج البحث التربوي: رؤية تطبيقية مبسطة. دار الكتاب الجامعي، العين، ٢٠٠٠. متاح على: https://uaeu.ac.ae/library/research-methods-education

[١٦] كوهين، لويس وآخرون. مناهج البحث في التربية. ترجمة خالد العامري، دار الفجر، القاهرة، ٢٠١٠. متاح على: https://dar-alfajr.com/research-methods-education

دراسات متخصصة في الرواة الجدليين

[١٧] الأميني، عبد الحسين. دراسات في الرواة المختلف فيهم. مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٥. متاح على: https://

alameli.org/studies-disputed-narrators

[١٨] البحراني، يوسف. لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث. مؤسسة آل البيت، قم، ١٤٠٨هـ. متاح على: https://lib.eshia.ir/٧١٥٦٠/١/١

[١٩] المامقاني، عبد الله. تنقيح المقال في أحوال الرجال. مؤسسة آل البيت، قم، ١٤٢٣هـ. متاح على: https://lib.eshia.ir/٧١٥٦١/١/١

مراجع في تاريخ التشيع والحديث

[٢٠] الأمين، محسن. أعيان الشيعة. دار التعارف، بيروت، ١٩٨٣. متاح على: https://shiaonlinelibrary.com/الكتب/١٢٥٢_أعيان-الشيعة-السيد-محسن-الأمين-ج-١

[٢١] الطهراني، آغا بزرگ. الذريعة إلى تصانيف الشيعة. دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٣. متاح على: https://lib.eshia.ir/٧١٥٦٢/١/١

[٢٢] كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣. متاح على: https://shamela.ws/book/٩٤٢٤

مراجع في المنهجية والنقد

[٢٣] الذهبي، محمد بن أحمد. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٣. متاح على: https://shamela.ws/book/١٧١٣

[٢٤] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. لسان الميزان. مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧١. متاح على: https://shamela.ws/book/١٧٢٠

[٢٥] الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. الكفاية في علم الرواية. المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٩٨٨. متاح على: https://shamela.ws/book/١٤٣٦

دراسات حديثة في علم الحديث

[٢٦] الأعظمي، محمد مصطفى. منهج النقد عند المحدثين. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠. متاح على: https://daralkitab.com/methodology-criticism-hadith-scholars

[٢٧] صالح، صبحي. علوم الحديث ومصطلحه. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤. متاح على: https://daralelm.com/hadith-sciences-terminology

[٢٨] السباعي، مصطفى. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢. متاح على: https://almaktab.org/sunnah-place-islamic-legislation

مراجع في الإحصاء التطبيقي

[٢٩] الراوي، خاشع محمود. المدخل إلى الإحصاء. دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠. متاح على: https://darhikma.com/introduction-statistics

[٣٠] عفيفي، عبد المنعم. الإحصاء التطبيقي. مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٥. متاح على: https://library.asu.edu.eg/applied-statistics

[٣١] أبو صالح، محمد صبحي. مقدمة في الإحصاء الوصفي والاستدلالي. دار وائل، عمان، ٢٠٠٠. متاح على: https://darwael.com/introduction-descriptive-inferential-statistics

مراجع إضافية متخصصة

[٣٢] الحر العاملي، محمد بن الحسن. وسائل الشيعة. مؤسسة آل البيت، قم، ١٤٠٩هـ. متاح على: https://lib.eshia.ir/٧١٨٣٩/١/١

[٣٣] المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار. مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣. متاح على: https://lib.eshia.ir/٧١٨٤١/١/١

[٣٤] الحلي، الحسن بن يوسف (العلامة). خلاصة الأقوال في معرفة الرجال. مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧هـ. متاح على: https://lib.eshia.ir/٧١٥٦٣/١/١

[٣٥] ابن داود الحلي، الحسن بن علي. رجال ابن داود. المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٧٢. متاح على: https://lib.eshia.ir/٧١٥٦٤/١/١

مراجع في التحليل النقدي للنصوص

[٣٦] الغزالي، محمد. السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٩. متاح على: https://darshorouk.com/prophetic-sunnah-between-jurists-hadith-scholars

[٣٧] رضا، محمد رشيد. الوحي المحمدي. دار المنار، القاهرة، ١٩٣٥. متاح على: https://darmanar.com/muhammadan-revelation

[٣٨] شاكر، أحمد محمد. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨. متاح على: https://daralkutub.com/motivating-sender-explanation-hadith-sciences

دراسات في المنهجية المقارنة

[٣٩] فضل الله، محمد حسين. مع الحديث الشريف في خط الأصالة والمعاصرة. دار الملاك، بيروت، ١٩٩٨. متاح على: https://darmalak.com/noble-hadith-authenticity-modernity

[٤٠] الصدر، محمد باقر. بحوث في علم الأصول. دار التعارف، بيروت، ١٩٨٦. متاح على: https://dartaaruf.com/research-principles-jurisprudence

مراجع في تطوير المناهج البحثية

[٤١] زيدان، عبد الكريم. أصول الدعوة. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣. متاح على: https://resala.org/principles-islamic-call

[٤٢] القرضاوي، يوسف. كيف نتعامل مع السنة النبوية. دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠. متاح على: https://darshorouk.com/how-deal-prophetic-sunnah

مراجع في الدراسات الكمية للتراث

[٤٣] العسكري، مرتضى. معالم المدرستين. مؤسسة النعمان، بيروت، ١٩٩٣. متاح على: https://numan.org/features-two-schools

[٤٤] شرف الدين، عبد الحسين. المراجعات. مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٢. متاح على: https://alameli.org/correspondences

مراجع في التحليل الإحصائي المتقدم

[٤٥] الخولي، أمين. مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب. دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦١. متاح على: https://darmarifa.com/renewal-methods-grammar-rhetoric

[٤٦] أركون، محمد. الفكر الإسلامي: قراءة علمية. ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٦. متاح على: https://arabculturalcenter.com/islamic-thought-scientific-reading

مراجع في المنهجية التكاملية

[٤٧] الجابري، محمد عابد. بنية العقل العربي. المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١. متاح على: https://arabculturalcenter.com/structure-arab-mind

[٤٨] حنفي، حسن. التراث والتجديد. المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٩٢. متاح على: https://university-

institution.com/heritage-renewal

مراجع في تطبيقات الحاسوب في الدراسات الإسلامية

[٤٩] الشامي، صالح أحمد. المعلوماتية والدراسات الإسلامية. دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٥. متاح على: https://darulfiker.com/informatics-islamic-studies

[٥٠] العلواني، طه جابر. منهجية التعامل مع التراث الإسلامي. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ١٩٩٦. متاح على: https://iiit.org/methodology-dealing-islamic-heritage



تحليل كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط وفق معاير ngss وفق نظر المدرسين

م. م. عادل عبد اللطيف احمد القيسي
ديوان الوقف السني / دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية



المستخلص:
من المعلوم ان الكتب التي تدرس في المدارس تعد من اهم العناصر الاساسية المهمة من عناصر العملية التربوية و احد أهم الركائز التي يحتاجها الطالب في مسيرته العلمية و ايضا من الامور المهمة التي يعتمد عليها المدرس و المشرف في ذات الوقت لإيصال المعلومات و بيان مدى توافق محتوى الكتاب مع معايير ngss و بيان الانظمة التعليمية و الكتاب المدرسي علما انه لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط بيانات المدرسين عند تحليلهم الكتاب العلوم للصف الثالث بمعايير ngss ومتوسط بيانات المدرسين الذين سوف يحللون الكتاب بالمعايير الاعتيادية وقد بينت نتائج التحليل الوصفي للبيانات الخاصة بتحليل كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط للمدارس الاسلامية ان ابعاد معايير ngss توفرت بنسبة ١٥٪ فقط من عدد التكرارات و النسب المئوية المستخرجة من الاستبانات المرسلة للمدرسين , و مقارنة النتائج المتحصل عليها مع الفرضيات البحثية و المتحقق من صحتها و مقارنة التحليل الاحصائي عن طريق اختبارات التحليل و تفسير النتائج في ضوء الادبيات و الدراسات السابقة و اوصى يجب ان يكون منهج العلوم مواكب للتطور العالمي الهائل و التكنلوجي و الاتجاهات الفنية ومن ضمنها معايير ngss و تضمينها في كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط كما يوصي الباحث بتدريب المعلمين و المدرسين و فق المناهج المتطور و العلمي و الاساليب العالمية للتدريس ايضا يجب جراء المزيد من البحوث لدراسة معايير ngss .

الكلمات المفتاحية (تحليل الكتاب المدرسي , تقييم المحتوى , معايير الجودة , جودة التعليم , التحليل الوصفي , وجهة نظر المدرسين , التقييم التربوي)أولا: مشكلة البحث

Abstract:

It is well known that textbooks used in schools are among the most important fundamental elements of the educational methodology and essential tools for students in their academic journey. They are also crucial for both teachers and supervisors to convey information, assess the books compliance with NGSS standards, and demonstrate educational systems and the books relevance.

The school noted that there was no statistically significant difference at the (٠,٠٥) significance level between the mean data of teachers when analyzing the third-grade science textbook using NGSS criteria and the mean data of teachers who would analyze the textbook using standard criteria. The results of the descriptive analysis of the data related to the analysis of the third-grade intermediate science textbook for Islamic schools showed that The NGSS criteria were met in only ٪١٥ of the responses and percentages extracted from the questionnaires sent to teachers. The results obtained were compared with the research hypotheses and their validity, and the statistical analysis was compared using analytical tests. The results were interpreted in light of the literature and previous studies, and it was recommended that the methodology should be... Science is keeping pace with the tremendous global development, technology, and technical trends, including the NGSS standards, and including them in the science textbook for the third intermediate grade. The researcher

also recommends training teachers and instructors according to the advanced and scientific curricula and global teaching methods. More research should be conducted to study the NGSS standards.

Keywords :Textbook analysis, content evaluation, quality standards, quality of education, descriptive analysis, teachers› perspectives, educational evaluation.

أولاً: مشكلة البحث

من المعلوم ان الكتب التي تدرس في المدارس تعد من اهم العناصر الاساسية المهمة من عناصر العملية التربوية و احد أهم الركائز التي يحتاجها الطالب في مسيرته العلمية و ايضا من الامور المهمة التي يعتمد عليها المدرس و المشرف في ذات الوقت لإيصال المعلومات عن طريقها للطالب و يعد هذا الكتاب هو مصدر رئيسي لأهم المعلومات الواجب تلقيها من الطالب في كثير من البلدان و بيان مدى توافق محتوى الكتاب مع معايير ngss و بيان الانظمة التعليمية و معرفة اساس تلك الانظمة لان الكتاب يؤدي الى تلك الوظيفة العظيمة فكان و لابد من اختيار المحتوى الذي بداخلة على اساس مهني و تربوي بما يلائم و تقييمات المدرسين في تحقيق الاهداف التربوية للكتاب بما يتناسب مع المعايير الدولية في تصميم الكتب المنهجية و قد لوحظ في السنوات الاخيرة تطورا هائلا بالمناهج العلمية من خلال اخضاعها الى سلسلة اصلاحات و تطوير , و من هنا تبين لابد من عرض كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط للمدارس الاسلامية لتلك المعايير لمواجهة التغيرات و التطورات التي يطلبها سوق العمل الحالي والتركيز على ضمان جودة المحتوى .

ثانياً: التعريف بالبحث:

ان الغالبية العظمى من مدرسي و مدرسات المدارس الاسلامية ليس لديهم دراية بمعايير ngss , وايضا ليس لديهم اي اساس تنموي للكتاب المنهجي وفق المعايير الدولية فكان لا بد من التعريف بأهمية معايير ngss لضمان تحسين جودة التعليم و ايضا وجود غاية مهمة و ملحة للتعرف بهذه المعايير لقلة الدراسات وفق تلك المعايير الخاضعة للمعايير الدولية في تحليل الكتب فيجب ان تتوفر معايير ngss في كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط للمدارس الاسلامية وفق استمارات خاصة معدة لتطوير المنهج الدراسي بما يوافق المنهجية العلمية و التربوية و اساليب المنهج العلمي المتطور .

ثالثاً: اهمية البحث

العالم الان في تطورا مستمرا وعلى مستوى عالي من التطور الفكري و العلمي في جميع المعارف والتطور التكنلوجي الشاملة في مختلف افاق الحياة فهو العصر الذي تتسارع فيه الافكار و التطور الفكري لتعزيز مفردات المنهج , فلابد من تحمل المسؤوليات العظيمة و الكبرى للمؤسسات التربوية والتعليمية في مواكبة هذا التطور , هذا العصر وتحدياته المستقبلية اوجب علينا التوجه الى افضل المعايير لتطوير المناهج فقد أعطى التربويون والمختصون في تدريس العلوم الاهمية القصوى في تطوير تلك المناهج.(تمام , ٢٠٠٠ , ٩٧)

رابعاً: دراسات سابقة:

١ : تحليل محتوى كتب العلوم للمرحلة المتوسطة في المملكة العربية السعودية وفق معاير ngss .

٢ : التعرف على مدى تضمين معايير ngss في كتب العلوم للمرحلة الاساسية العليا في جمهورية اليمن .

٣: تحليل كتاب العلوم و الحياة للصف الثالث الاساسي في فلسطين وفق معايير ngss .

خامساً: اهداف البحث

يهدف البحث الحالي الى معرفة

١-تحليل كتاب العلوم للصف الثالث لمعايير ngss.

٢-يسعى الباحث لتطوير مدرسين و مدرسات و اطلاعهم على معايير ngss لغرض تطوير المهارات العقليه و زيادة

التحفيز لعمليات العقل العليا في تحليل الكتب المنهجية .

٣ – تقييم مدى تطابق المحتوى العلمي للكتاب مع معايير ngss .

٤ – تقديم توصيات لتحسين و رفع كفاءة الكتاب المدرسي .

٥ – المساهمة الفعالة لتحسين الادوات الملائمة لتحليل و تطبيق معايير ngss .

خامسا : فرضيتا البحث

لغرض التحقق من هدف البحث وضع الباحث الفرضيتين الصفريتين الاتيتين:

١. لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين ما يتوافق و محتوى الكتاب المنهجي مع معايير ngss بدرجة متوسطة من و جهة نظر المدرسين .

٢. يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسطات درجات المدرسين حول مدى توافق محتوى الكتاب المنهجي مع معايير ngss لمتغيرات الخبرات التدريسية لمدرسي العلوم للصف الثالث المتوسط.

سادسا: حدود البحث

اقتصر البحث على:

الحدود البشرية:

١ –مدرسي و مدرسات مادة العلوم للثانويات الاسلامية في محافظة بغداد / دائرة التعليم الديني و الدراسات الاسلامية .

٢ –كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط المعتمد تدريسه للعام الدراسي٢٠٢٤–٢٠٢٥

سابعا : تحديد المصطلحات

١ : الكتاب المدرسي :

(الكسباني ٢٠١٠ .١٤٧):هو الوعاء التي يشتمل على جميع الخبرات الغير مباشرة(لأنها تقدم للفرد المتعلم على شكل كتابات او مصورات او مرسومات) و جميع تلك الخبرات تسهم في جعل الذين يحتاجون الى تعليم قادرين على الوصول الى اهدافهم عن طريق الكتاب المدرسي والمنهج المحدد سلفا(الكسباني. ٢٠١٠. ١٤٧).

٢ : تحليل المحتوى : عرفها كل من :

عرفها (الجلاد ٢٠٠٤ .٤٥) :»عمليات عقلية منظمة و ممنهجه و ايضا هي اسلوب عالي من اساليب البحث العلمي , و يعتبر التحليل من عمليات العقل العليا التي تحتاج الى معرفة عميقة في المواضيع الخاضعة للتحليل والى فهم و دراية باجراءات التحليل و اساليبه .

(الجلاد ٢٠٠٤/١٨. ٤٥)

٣– المرحلة المتوسطة

(وزارة التربية ١٩٨٥ ٣_٤) بأنها :

مرحلة مهمة في حياة الطالب تتكون من ثلاث سنوات , الواجب ان يقبل بها من يحمل الشهادة الابتدائية و التي بدورها تهدف الى تحقيق الكفايات العلمية و الوطنية و الاجتماعية لكي يكون الطالب مهيا اجتماعيا لمتابعة الدراسة .

(وزارة التربية , ١٩٨٥/٣–٤) .

٤ : المعايير :

الاساسيات الواجب توفرها لكي يتم الحكم على مجمل الاشياء .(Longman 236, 1980)

تحليل المحتوى :

اظهرت مهارات خاصة بتحليل المحتوى في السنين الاخيرة باهتمام واسع من الباحثين المختصين بالمناهج و طرائق التدريس في جميع انحاء العالم لأنها تعد من ركائز تحليل المحتوى للكتب المنهجية و الغير منهجية و بيان ما يحتاجه المجتمع من افكار و خطوات مهمة في تطوير العمل التربوي (زيتون /٢٠٠٣/١٩٧).

و التحليل (تفكيك العبارات) و هو عكس التركيب و نعني بذلك الوصول الى مكونات الكتاب او المنهج الذي بني عليه .

خصائص التحليل :

١ : الوصفية : هو تحليل الكتاب او المنهج معتمدا على وصف ذلك الموضوع .

٢ : الموضوعية : التوجه الى تحليل هذا المكون على اساس الموضوعات .

٣ : التنظيم : وضع خطة منظمة تتضح فيها فقرات و تفاصيل التحليل و خطواته.

٤ : كمي : وهو مؤشر الدقة في البحث و صدق النتائج .

٥ : العلمية : واجب توفر الصفات و المهارات في الاسلوب العلمي لدى المحلل.

٦ : الكشف و التنقيب : الإشارة لهذ المعيار المهم الينص على التنقيب على معلومة مهة و أكتشاف المعارف للوصول الى نتائج ملموسة حقيقة .

اهمية تحليل المحتوى :

١ : يساعد تحليل المحتوى على فهم الكتاب و تفاصيله بشكل اشمل و عمق .

٢ : يساعد التحليل على تحديد الاهداف التربوية و التعليمية و الوجدانية الضرورية للعملية التعليمية.

٣ : اختيار الوسائل التعليمية المهمة التي تساعد في تطوير العملية التربوية .

٤ : تجهيز الخطط الضرورية التعليمية السنوية و اليومية .

٥ : بيان تفاصيل الكتاب و محتوياته .

٦ : يساعد تحليل المحتوى على تطوير المناهج العلمية الملائمة للمعايير الدولية .

(غباري و اخرون , ٢٠١٥ / ١٨٦)

مزايا تحليل المحتوى :

١ : بقاء المعلومات المستخلصة كما هي قبل و بعد اجراء الدراسة من قبل الباحثين عند تحليل الكتاب

٢ : عدم حاجة الباحث الاتصال المباشر مع مجتمع البحث لأجراء المقابلات المطلوبة لان جميع الكتب متوفرة في المكتبات و الاسواق الالكترونية .

٣ : بالإمكان اعادة اجراءات البحث و الدراسة و استخلاص و مقارنة النتائج .

(المحمودي , ٢٠١٩ , ٦٣)

٤ : البحث يقلل من وقوع الاخطاء البشرية المقصودة او الغير مقصودة و عدم التدخل الذاتي للمصدر في تقديم او الغاء المعلومات .

٥ : لا يتم التأثير من قبل الباحث في النتائج لعدم وجود مشاركة مباشرة او غير مباشرة مع العينة المراد دراستها .

(الزيباري , ٢٠١١ , ٨٧)

عيوب تحليل المحتوى : هنالك بعض العيوب تظهر عن القيام بتحليل الكتب :

١ : يوجد بعض الوثائق لها طابع سري قد لا يستطيع الباحث الوصول اليها .

٢ : بعض الوثائق التي يحصل عليها الباحث غير واقعية عند تحليلها بل تمثل صورة مثالية ليس فيها شوائب او نقص .

٣ : الوثائق المدروسة قد تكون مزورة او محرفة فتؤدي الى اظهار نتائج غير حقيقية .(تيغزة و اخرون , ٢٠١٩ , ١٥٧)

٤ : سوء تطبيق التحليل الصحيح لأنه يحتاج من الباحث الدقة المتناهية و العميقة و الوضوح في تصنيف الفئات الواجب توفرها و تحديد لوحات و استبانات التحليل .

٥ : في بعض الاحيان يتوصل الباحث الى استنتاجات و احكام خاطئة عند تحليل الكتب .(منسي , ٢٠١١ , ٢١٢)

ابعاد معايير Ngss

الممارسات العلمية و الهندسية		المفاهيم الشاملة		الافكار الاساسية
طرح الاسئلة		السبب و النتيجة		علوم الحياة
تطوير و استخدام النماذج		المقياس و النسبة الكمية		علوم الفيزياء
التخطيط و اجراء التحقيقات		النظم و نماذج النظم		علوم الارض و الفضاء
تحليل و تفسير النتائج		الطاقة السائدة		الهندسة و التكنلوجيا و تطبيقات العلوم
استخدام الرياضيات و التفكير الحسابي		التركيب و الوظيفة		
بناء التفسيرات للعلوم و تصميم الحلول للهندسة		الثبات و التغير		
الانخراط في حجة الدليل الحصول على المعلومات و تقيمها و نقلها		الانماط		

معايير الاساسية gnss :

ت	المعايير
١	طرح الاسئلة و تحديد المشكلات
٢	تطوير و استخدام النماذج
٣	التخطيط و اجراء التحقيقات
٤	تحليل و تفسير النتائج
٥	استخدام الرياضيات و التفكير الحسابي
٦	بناء التفسيرات و تصميم الحلول
٧	الانخراط مع الحجة و الدليل
٨	الحصول على المعلومات و تقيمها

مجتمع البحث:

لمجتمع البحث اهمية كبرى وهي المجموعة الكبيرة او الصغيرة من العناصر او الافراد الذين يتم توجيه اسئلة اليهم لبيان مدى حصول الفائدة في تلك المجتمعات (ابو صالح و اخرون , ٢٠٠٠ : ١٨١) , لذا يتمثل مجتمع هذا البحث جميع مدرسي العلوم اصحاب الخبرات الكبيرة و المتفاوتة للصف الثالث المتوسط للثانويات الاسلامية التابعة لديوان الوقف السني في بغداد وذلك لحصر العينة للحصول على بيانات ادق و اشمل .

عينة البحث:

فقد اختار الباحث مدرسي و مدرسات مادة العلوم في الثانويات الاسلامية في بغداد قصديا من بين المدارس التابعة لدائرة التعليم الديني و الدراسات الاسلامية بسبب:

١ – وجود عدد جيد من المدرسين و المدرسات لمادة العلوم .

٢ – سهولة الوصول اليهم و جمع العينات .

٣ – بالإمكان اختيار عينة تمثيلة لهم .

٤ – الاقتصاد في الوقت و الجهد في جمع العينات .

٥ – اختيار اعداد معينة من المدرسين و المدرسات يساعد في توفير بيانات دقيقة لمشروع البحث.

أداة البحث : وهي تمثل المصدر الرئيسي للحصول على البيانات التي يحتاجها الباحث :

١ : قائمة التحليل : وهي الاستبانات الخاصة بمعايير gnss .

٢ : بطاقة تحليل المحتوى لحليل الكتاب المدرسي للصف الثالث لمادة العلوم وفق معايير ngss .

صدق أداة البحث :

١ : الصدق الظاهري : مطابقة اداتي البحث مع ما تريد قياسه من محتوى الكتاب .

٢ : صدق المحتوى : حيث يجب ان تغطي هاتين الاداتين جميع جوانب الموضوع البحثي .

٣ : الصدق البنائي : لابد من بناء اداتي البحث وفق اسس نظرية و علمية محكمة و صحيحة .

اهمية صدق أداة البحث :

١ : زيادة الثقة من النتائج المستخلصة من البحث و من اداتي البحث و الاستنتاجات المتوصل اليها .

٢ : الضمان الحقيقي في دقة النتائج المستحصله من اداتي البحث و ضمان دقتها و مدى تعميم تلك النتائج .

اعداد مستلزمات البحث:

١ – تحديد المادة العلمية الواجب تحليلها .

٢ – الوقوف على اهمية اختيار اداتي البحث و مدى ملائمتها لإنجاح البحث .

٣ – اعداد الخطط التدريسية المهمة لتطبيق مفردات البحث .

٤ – الاختيار الصحيح و الدقيق للعينة الذين سيشاركون في البحث .

٥ – الحصول على الموافقات الازمة من الجهات المعنية .

٦ – تجهيز الادوات و الاستبيانات المهمة قبل البدء بإجراءات البحث .

الوسائل الاحصائية :

١ : الاختبار الثاني (T-test).

٢ : معامل ارتباط بيرسون .

٣ : التكرارات و النسب المئوية لتوزيع العينة .

٤ : معامل الفاكرونباخ.

٥ : تحليل التباين و حساب الفروقات بين متوسطات درجات المدرسين حول مدى توافق كتاب العلوم مع معايير ngss .

عرض النتائج و تفسيرها

لغرض البيان من النتائج و بعد الانتهاء من تجربة البحث التي قام بها الباحث و حسب الخطوات المبينة سابقا التي تم الاشارة لها في الفصل السابق , حلل الباحث النتائج التي توصل اليها حول تحليل كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط وفق معاير ngss و التعرف على دلالة الفروق الاحصائية بينهم , ومن ثم التحقق من فرضيات البحث و على وفق النتائج المستخرجة , كما يتم التأكد فيما اذا كانت النتائج تؤيد تلك الفرضيات ام لا , فضلا عن الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية.

لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط بيانات المدرسين عند تحليلهم الكتاب العلوم للصف الثالث بمعاير ngss ومتوسط بيانات المدرسين الذين سوف يحللون الكتاب بالمعاير الاعتيادية

تفسير نتائج تحليل كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط

بينت نتائج التحليل الوصفي للبيانات الخاصة بتحليل كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط للمدارس الاسلامية ان ابعاد معايير ngss توفرت بنسبة ١٥٪ فقط من عدد التكرارات و النسب المئوية المستخرجة من الاستبانات المرسلة للمدرسين , و مقارنة النتائج المتحصل عليها مع الفرضيات البحثية و المتحقق من صحتها و مقارنة التحليل الاحصائي عن طريق اختبارات التحليل و تفسير النتائج في ضوء الادبيات و الدراسات السابقة , كما لم تظهر الافكار الرئيسية و

الممارسات العلمية و المفاهيم الشاملة الا نسب قليلة و متفاوتة كما اشارنا اليها سابقا.

الاستنتاجات:

على وفق النتائج المستخلصة من البحث الحالي استنتج الباحث ما يلي:

تفسير الباحث حول النتائج المستخلصة في البحث ان الكتاب لا يتوافق مع معايير ngss الا بنسب قليلة جدا و هنالك حاجة ماسة لتحسين و تطوير في بعض جوانب الكتاب و من ملاحظة النتائج تبين و جود تفاوت كبير في خبرة المدرسين في تدريس مادة العلوم وفق لتلك المعاير و كما اظهرت النتائج الحاجة الى تدريب المدرسين على كيفية تطبيق معايير ngss في تدريسهم لمادة العلوم وهو لا يتناسب مع التطور الهائل بطرائق التدريس و تأليف المناهج.

التوصيات:

على وفق النتائج المستخلصة من البحث يوصي الباحث بما يلي:

يجب ان يكون منهج العلوم مواكب للتطور العالمي الهائل و التكنلوجي و الاتجاهات الفنية ومن ضمنها معايير ngss و تضمينها في كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط كما يوصي الباحث بتدريب المعلمين و المدرسين و فق المناهج المتطور و العلمي و الاساليب العالمية للتدريس ايضا يجب جراء المزيد من البحوث لدراسة معاير ngss .

المقترحات:

يقترح الباحث بعض الافكار ذات العلاقة بالبحث الحالي و التي ممكن ان تكون دراسات مستقبلية امتدادا للدراسة الحالية:

١ : انشاء برامج تطويرية و تدريبية للمدرسين حول تطبيق معاير ngss في تدريس العلوم .

٢ : تطوير الموارد التعليمية الداعمة للمدرسين لتطبيق تلك المعاير .

٣ : اجراء دوارات تدريبية للمدرسين لتطبيق المعايير الدولية في طرائق التدريس .

٤ : تحديث المناهج العلمية بما يناسب و سوق العمل و التطور الهائل في المناهج العالمية .

لملاحق

الملحق رقم (١)

الاستاذ الفاضل ..... المحترم

الاستاذة الفاضلة ..... المحترمة

تحية طيبة ...

يروم الباحث اجراء البحث الموسوم (تحليل كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط وفق معاير ngss وفق نظر المدرسين) يرجو الباحث من حضراتكم الاجابة على فقرات الاستبانة الورقة بدقة و موضوعية باختيار البديل المناسب من البدائل امام كل فقرة بوضع أشاره (صح) في احد الحقول التي تروها تمثل وجهة نظركم , علما ان البيانات الواردة في الاستبانة ستعامل معاملة سرية , ولن تستخدم الا لأغراض البحث العلمي .

يرجى بالالتزام بالاتي :

١ : عدم ترك اي فقرة دون اجابة .

٢ : عدم اعطاء أكثر من اجابة للفقرة الواحدة .

٣ : زمن الاجابة (٤٠ دقيقة) .

و لكم جزيل الشكر .

الباحث

الملحق رقم (٢)

ت	البعد	المعايير الرئيسية	مناسبة جدا	مناسبة	غير مناسبة	الملاحظات
١	البعد الأول : الممارسات العلمية و الهندسية	طرح الاسئلة و تحديد المشكلات تطوير و استخدام النماذج التخطيط واجراء التحقيقات و الاستقصاء . تحليل و تفسير النتائج بناء التفسيرات و تصميم الحلول . الانخراط مع الحجة من الدليل الحصول على المعلومات و نقلها .				
٢	البعد الثاني: المفاهيم الشاملة	المقياس و النسبة النمية الطاقة و المادة النظم و نماذج النظم الاستقرار و التغيير الترتيب و الوظيفة السبب و النتيجه الانماط (النماذج)				
٣	البعد الثالث: الأفكار الاساسية المشتركة					
	المجال علوم الحياة					
	المعايير الاساسية	المعايير الفرعية				
	المعيار الاول من الجزيئات الى الكائنات الحية الترتيب و العمليات	اولا : الترتيب و الوظيفة ثانيا : معالجة المعلومات ثالثا : نمو و تطوير الكائنات الحية رابعا: خطيط المادة و نقل الطاقة في الكائنات الحية.				
	المعيار الثاني: النظم البيئية التفاعلات و الطاقة	اولا : ديناميكيات النظم البيئي و حماية . ثانيا : العلاقات المترابطة في النظم البيئية ثالثا :دورات المادة و نقل الطاقة في النظم البيئية.				
	المعيار الثالث : التطور البيولوجي الوحدة و التنوع	اولا : الاصل المشترك و التنوع ثانيا : الانتقاء الطبيعي . ثالثا : التكيف . رابعا: التنوع البيولوجي و البقر .				
	المعيار الرابع : الوراثة : التوارث و تنوع الصفات .	اولا : الصفات الوراثية ثانيا: تباين الصفات				
	المجال / علم الفيزياء المعيار الاول: الطاقة .	اولا : مفهوم الطاقة . ثانيا : العلاقة بين الطاقة و القوة . ثالثا : حفظ الطاقة و نقلها . رابعا : الطاقة في العمليات التيميائية .				
	المعيار الثاني : المادة و تفاعلاتها .	اولا : ترتيب و خصائص المادة . ثانيا : التفاعلات التيميائية .				
	المعيار الثالث : الموجات و تطبيقها في عمليات نقل المعلومات	اولا : خصائص الموجه . ثانيا : الاشعاع الكهرومغناطيس . ثالثا: عمليات المعلومات و الاجهزة .				
	المعيار الرابع الحركة و الاستقرار . القوى و التفاعلات .	اولا : العلاقة بين القوة و الحركة ثانيا : انواع التفاعلات.				
	المجال / الهندسة و التكنولوجيا و تطبيقات العلوم	اولا : تحديد المشاكل الهندسية. ثانيا : تطوير الحلول الممكنة. ثالثا : تصميم الحل الامثل				

المراجع :

المراجع :
• تمام : تمام اسماعيل , ٢٠٠٠ , افاق جديدة في تطوير مناهج التعليم – في ضوء تحديات القرن الحادي و العشرين , دار الهدى للنشر و التوزيع , المنيا .
• الخلاد , ماجد زكي ٢٠٠٤ : تدريس التربية الاسلامية : الاسس النظرية و الاساليب العلمية ,ط١,دار المسيرة للنشر و التوزيع , عمان.
• وزارة التربية , ١٩٨٥ : نظام المدارس الثانوي رقم (٦٠) لسنة ١٩٦٨ , مطبعة وزارة التربية .
• الزيباري , طه حسو , ٢٠١١ , اساليب البحث العلمي في علم الاجتماع , ط ١ , المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع , بيروت .
• الحمودي , محمد سرحان علي , ٢٠١٩ , مناهج البحث العلمي , ط ٣ , دار الكتب , صنعاء .
• تغيزة , زهرة ولبدة لطاد , ٢٠١٩ , منهجية البحث العلمي و تقنياته في العلوم الاجتماعية , ط١ , المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية و السياسية و الاقتصادية , برلين .
• منسي , محمود عبد الحليم , ٢٠١١ , مناهج البحث العلمي في مجالات التربوية و النفسية , ط١ , دار المعرفة الجامعية للنشر و التوزيع , الاسكندرية .
المصادر الاجنبية :
1: Longmans Dictionary of contemporary English ,(1980) , London , Longmans Group



الصورةُ الشعريةُ ودورُهَا في تشكيلِ البناءِ الفني للقصيدةِ في شعرِ (جمالِ المُلكِ) علي بن أَفلح العبسي ت ٥٣٦ هـ

م. م. سيف الدين عبد الحافظ عبد الله
الجامعة العراقية/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية



للمستخلص:
من المعلوم أنَّ الصورة الشعرية تمثّل الروح الحيّة للقصيدة، فهي التي تمنحها عمقها الوجداني، وتناسقها الفني، وإشراقها الجمالي. فلا تقوم القصيدة الفنية الحقيقية بدونها. وفي هذا البحث تمّ تناول الصورة الشعرية ودورها في تشكيل البناء الفني للقصيدة في شعر علي بن أفلح العبسي، من دراسة وسائل تشكيلها من فنون البيان. فضلاً عن خصائصها الفنية التي ترتكز عليها قبل التعبير عنها من الخيال والعاطفة والتجربة الشعورية. وتأثير ذلك كلِّه في بناء القصيدة. فخلصت الدراسة إلى أنّ الصورة عنده ليست عنصراً زخرفياً، بل هي ركيزة فنية تعبّر عن التجربة الشعورية وتوحّد البنية الدلالية للقصيدة. وقد اعتمد الشاعر على خيال خصب وعاطفة صادقة، واستثمر أدوات البلاغة كالتشبيه والاستعارة والكناية في بناء صوره. مما أضفى على شعره جمالاً فنياً وعمقاً دلالياً. وأثبت البحث أنّ الصورة الشعرية لدى علي بن أفلح تمثّل جوهر الإبداع الشعري وأحد أهم مقومات التشكيل الفني في شعره.

الكلمات المفتاحية: الصورة الشعرية، التشبيه، الاستعارة، الكناية، العاطفة، الخيال، التجربة الشعورية.

Abstract:

It is well known that the poetic image represents the living spirit of the poem, as it grants the poem its emotional depth, artistic harmony, and aesthetic radiance. A truly artistic poem cannot exist without it. This study explores the poetic image and its role in shaping the artistic structure of the poem in the works of Ali ibn Aflah al-'Absi. It examines the methods of constructing the poetic image through rhetorical arts, as well as its artistic characteristics that rely on imagination, emotion, and experiential feeling before being expressed. The study investigates the impact of these elements on the structure of the poem. The research concludes that the poetic image in his poetry is not merely a decorative element but a fundamental artistic pillar that expresses emotional experience and unifies the semantic structure of the poem. The poet relied on rich imagination and sincere emotion, employing rhetorical tools such as simile, metaphor, and metonymy in constructing his imagery. This added artistic beauty and semantic depth to his poetry. The study demonstrates that the poetic image in the works of Ali ibn Aflah represents the essence of poetic creativity and is one of the most important components in the artistic formation of his poetry.

Keywords: Poetic image, simile, metaphor, metonymy, emotion, imagination, emotional experience.

المقدمة :

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وسهل لنا سُبل العلم والبيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

يحتلّ الشعر العربي مكانةً رفيعةً في التراث الأدبي والفكري للأمة العربية، إذ كان على مرّ العصور أداةً للتعبير عن المشاعر

الإنسانية، وصورةً صادقةً للوجدان الجمعي والفردي. ولم يكن جمال الشعر قائماً على المعاني فحسب، بل اعتمد في تميّزه على وسائل فنية عديدة، من أبرزها الصورة الشعرية التي تُعدُّ عنصراً أساسياً في تشكيل البناء الفني للقصيدة وإكسابها أبعادها الجمالية والإيحائية.

وقد حظيت الصورة الشعرية باهتمام النقاد والباحثين منذ القديم، غير أن دراسة حضورها في شعر بعض الشعراء لا يزال بحاجة إلى مزيد من البحث والتفصيل، ومن هؤلاء الشاعر جمال المُلك علي بن أفلح العبسي (ت ٥٣٦هـ)، أحد شعراء القرن السادس الهجري الذين امتازوا بقدرة فنية على تشكيل صورٍ شعرية متنوّعة، استمدّها من الطبيعة، والوجدان، والخيال، والتراث الديني والثقافي، فارتقت قصيدته بذلك إلى مستوى فني راقٍ.

أهمية البحث: تنبع أهمية هذا البحث من كونه يسعى إلى الكشف عن ملامح الصورة الشعرية في شعر ابن أفلح العبسي، ودورها في بناء القصيدة من حيث وحدتها الموضوعية، وتماسكها الفني، وقدرتها على التأثير والإيحاء. كما يحاول البحث الإجابة عن مجموعة من التساؤلات، من أبرزها:

ما وسائل هي الخصائص الفنية التي تقوم عليها الصورة الشعرية عند ابن أفلح؟

ما الأدوات البلاغية التي اعتمدها في بناء صوره الشعرية؟

كيف أسهمت الصورة في تكوين البنية الفنية الكلية للقصيدة؟

منهج البحث: يقوم هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم بقراءة النصوص الشعرية للشاعر وتحليلها، للكشف عن طبيعة الصور، وطرائق بنائها، وعلاقتها بالمعمار الفني للقصيدة. كما يستند إلى بعض المداخل النقدية التي تُعين على إبراز الجوانب الجمالية في النصوص.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحديد مفهوم الصورة الشعرية وتحليل أنماط الصور الشعرية في شعر العبسي (تشبيه، استعارة، كناية،) للكشف عن تنوعها الفني ودلالتها وإبراز دور الصورة الشعرية في بناء المعنى داخل النص الشعري، وكيف تسهم في تجسيد التجربة الشعورية والعاطفية والخيالية والفكرية للشاعر. فضلا عن توضيح العلاقة بين الصورة والبناء الفني للقصيدة وبيان الخصائص الجمالية والابتكارية التي تميز صور العبسي. وإسهام الدراسة في إثراء النقد الأدبي من خلال التركيز على شاعر قد لا يكون قد حظي بالاهتمام النقدي الكافي، وإبراز إبداعه الفني.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وقائمة للمصادر, فقد احتوت المقدمة: على أهمية البحث, ومنهج البحث, وأهداف البحث, وخطة البحث, وأما التمهيد: فقد تكلّمت فيه عن التعريف بالشاعر ثمّ التعريف بالصورة الشعرية. وأما المبحث الأول: فقد تناولت فيه وسائل تشكيل الصورة الشعرية من تشبيه, واستعارة, وكناية. وأما المبحث الثاني: فقد ذكرتُ فيه الخصائص الفنية للصورة الشعرية وهي العاطفة, والخيال, والتجربة الشعورية. أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وفوائد. ثم أعقبت البحث بقائمة المصادر التي اعتمد عليها البحث.

على أنَّ هذا جهد المقل وما كان من توفيقٍ فمن الله وما كان من زللٍ فمن نفسي وما توفيقي إلا بالله.

التمهيد:

١. التعريف بالشاعر:

نسبه:

هو علي بن أفلح بن محمد العبسي المعروف بأبي القاسم, وقد لقّبه الخليفة المسترشد بجمالِ المُلك, وفي نسبه هذا إلى عبسٍ يقول ابن خلكان:((والعبسي: بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة وبعدها سينٌ مهملةٌ , هذه النسبة إلى عبسٍ , وهو اسمٌ لعدة قبائل. ولا أعلمُ إلى أيّها ينسب المذكور))(١)

نشأته:

نشأ جمال الملك في مدينة الحلة ومنها إلى بغداد بحسب ما أشارت إليه التراجم حيث قال العماد الأصفهاني أنه: ((من

أهل بغداد, و أصله من الحلّة(٢) السّيفيّة))(٣) فهي موطنه الأول ومحل نشأته في مرحلة الطفولة اعتماداً على ما سبق , وقد اختلف في سنة ولادته فقد جاء في ترجمة ابن النجار أنّ مولده كان سنة ٤٤٣هـ(٤)، و ذكر الدّمياطي أنّه ولد سنة ٤٦٣هـ(٥)، أمّا ابن خلكان فيذكر أنّه توفي وعمره أربعٌ وستون سنةً وبضعةُ أشهرٍ سنة خمسٍ أو ستٍ أو سبعٍ وثلاثينَ وخمسمائة وبهذا يكون قد ولد في حدود ٤٧٠_٤٧٣هـ(٦).

وكان ابن أفلح قبيح الشكل فقد ذكر العماد الكاتب أنّه كان قبيحَ المنظر منكر الوجه(٧)، يقول سيد الدولة ابن الأنباري في ذلك(٨):

يا فتى أفلحٍ وإن لم يكن قطُّ أفلحا
لك وجهٌ مشوّهٌ أسودٌ قُدَّ من رحى

عصره:

عاش ابن أفلح في عصر الدولة العباسية أثناء حكم الخليفة المسترشد الذي أغدق عليه الأموال والهدايا والهبات وبالغ في إكرامه حتى رفع مكانته وجعله من علية القوم فلقّبه (بجمال الملك)(٩) يقول ابن الجوزي: (وكان قد خلع عليه المسترشد بالله ولقبه جمال الملك وأعطاه أربعة آذُرٍ في درب الشّاكريّة)(١٠) وقد عاصر الكثير من أُدباء عصره وكان ممن عاصره من الأُدباء وهجاهم الحريري صاحب المقامات, وذلك عندما ألّف مقاماته لم يصدّقه جماعةٌ من أهل بغداد وكان قد استدعاه الوزير لإنشاء رسالة في واقعة بعينها على شاكلة مقاماته فلم يفتح اللهُ عليه بشيء, وكان من جملة مَن أنكر عليه ابن أفلح البغدادي, إذ هجاه بقوله(١١) :

شيخٌ لنا من ربيعة الفَرَسِ يَنتفُ عُثنونَه من الهوسِ
أنطقَهُ اللهُ بالمُشانِ كما رَمادُ وَسطَ الدّيوانِ بالخَرسِ

حيث كان الحريري من ربيعة الفرس, كما كان مولعا بنتف لحيته عند التفكير, وكان من سكنة مَشان البصرة(١٢) .

وكان ممن عاصرهم وجالسهم ابن أفلح والد العماد الكاتب الأصفهاني وعمه عزيز الدين أحمد بن حامد الأصفهاني وقد نال منهم الثناء بذكر فضله وجمال طبعه ورفيع قدره (١٣) فضلاً عن الكثير من أُدباء عصره من علماء وأمراء ووزراء ممن كانت له معهم صحبة ومواقف أنتجت الكثير من النصوص الشعرية بين طياتها وأثرت ديوان ابن أفلح بالشعر الجميل بغضّ النظر عن موضوعه وغرضه(١٤) .

آراء العلماء فيه:

لقد اختلف العلماء وأهل التراجم فيه بين علمه وجودة شعره وحسنه وبين اتجاهه في شعر الهجاء ومذهب الفحش في قول الهجاء

ـ يرى ابن النجار أنّهُ: ((كاتبٌ أديبٌ عالمٌ كاملٌ شاعرٌ مجيدٌ مترسلٌ بليغٌ , له ديوان شعرٍ ورسائل, ويكتب خطّاً حسناً))(١٥).

ـ ويرى ابن الجوزي أنّه: ((كان فيه فضلٌ حسن, وله شعرٌ مليحٌ إلّا أنّهُ كان مُتجَرّئاً كثيرَ الهجوِ))(١٦).

ـ ووصفه العماد الأصفهاني بوصف أدق فقال: ((شاعرٌ سائرُ الشعر طائرُ الذّكر مرهوبُ الشّبا حديدُ السّنانِ شديدُ الهجاءِ بذيءُ اللّسانِ, إذا اتّضحَ لهُ المعنى في هجوِ أحدٍ لم يبالِ أكانَ مُحسناً أم مُسيئاً عدوّاً أو وليّاً وقلّ من أحسنَ إليهِ إلّا جازاهُ بالقبيح وجاراهُ بالذمّ الصّريح))(١٧).

ـ وفي وصف الدّمياطي لشخصية ابن أفلح الشاعر والكاتب قال: ((كاتبٌ أديبٌ فاضلٌ شاعرٌ مترسّلٌ بليغٌ, له ديوانُ شعرٍ ويكتبُ خطّاً حسناً))(١٨) .

إلى غير ذلك من الآراء التي ذكرها العلماء من أهل التراجم والسير عن شاعرنا جمال الملك وكلها يدور حول شاعريته وجودة شعره وموضوعات ديوانه.

٢ . مفهوم الصورة الشعرية:

تُعَدّ الصورة الشعرية من أبرز الركائز الفنية التي يقوم عليها الإبداع الشعري، إذ تشكّل الأداة التي يترجم بها الشاعر انفعالاته وأفكاره وتجربته الوجدانية إلى بناء لغوي نابض بالحياة. فهي ليست مجرد زخرفة لفظية أو تزيين بلاغي، بل هي وسيلة لإنتاج الدلالة وإثارة الخيال وتحريك وجدان المتلقي. ومن هنا ارتبطت الصورة الشعرية منذ القدم بالنقد الأدبي، حيث تناولها النقاد العرب في إطار البيان والبديع والتشبيه والاستعارة في كتبهم البلاغية ولأهميتها ارتبطت عندهم بالعملية الإبداعية لصناعة الشعر يقول الجاحظ: ((فإنَّما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير))(١٩) .

ثم تطورت مفاهيمها مع النقد الأدبي الحديث لتشمل الرؤية الكلية للشاعر وأسلوبه في تصوير الواقع والحلم معاً لذلك نجد الصورة الشعرية تتجاوز حدود الوصف المباشر إلى بناء شبكة من العلاقات بين الألفاظ والمعاني، بحيث تتحول اللغة إلى كيان حيّ قادر على التعبير عن التجربة الإنسانية في أبعادها الفكرية والنفسية والجمالية فهي:

((الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات, ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب, والإيقاع, والحقيقة والمجاز, والألفاظ والعبارات هما مادَّةُ الشاعر الأُولى التي يصوغ منها الشكل الفني, أو يرسم بها صوره الشعرية))(٢٠) ولذلك فهي تمثل مدخلاً ضرورياً لفهم البنية الفنية للقصيدة, لأنها تكشف عن خصوصية الشاعر, وعن قدرته على تحويل التجربة الفردية إلى خطاب فني عام يلامس وجدان الآخرين لأنَّها: ((الأداة المهمة والبارزة بين سائر الأدوات الشعرية في خلق النص وإثارة المتلقي، فبحضورها أو غيابها يحكم على هذا الكلام الذي نسميه شعراً، لأنَّ تحويل القيمة الشعورية الى قيمة تعبيرية، يتم بواسطتها، لهذا تعد من أهم أدوات الشعر التي يستخدمها في التعبير عن إحساسه وشعوره))(٢١) .

ومن هذا المنطلق يسعى هذا البحث لتحليل الصورة الشعرية عند ابن أفلح وإبراز موطن الجمال فيها وربط ذلك بالتشكيل الفني للقصيدة عنده.

المبحث الأول:

وسائل تشكيل الصورة الشعرية عند ابن أفلح العبسي:

تتشكل الصورة الشعرية من خلال جملة من الوسائل التعبيرية التي يوظفها الشاعر لإبراز تجربته الوجدانية والفكرية في قالب فني مبدع. ومن أبرز هذه الوسائل التشبيه بما يحمله من مقارنات تفتح آفاق الخيال، والاستعارة بما تضفيه من طاقة إيحائية توحي بالمعاني في صور مبتكرة، إضافة إلى الكناية التي تمنح الخطاب بعدًا غير مباشر، وتزيده غموضًا وجماليًا. وهكذا تتكامل هذه الوسائل لتجعل من الصورة الشعرية مرآةً للتجربة الإنسانية ووسيلةً فنيةً لتكثيف المعنى وإبراز جماليات النص وهنا لا بدَّ من أن ((يدخل في تكوين الصورة بهذا الفهم ما يعرف بالصور البلاغية))(٢٢) حيث يستعين الشعراء قديماً وحديثاً بفنون علم البيان السابقة الذكر لتشكيل صورة تعكس تجربته الشعورية خلال تشكيل البناء الفني للنَّص.

١. التشبيه: يعدّ التشبيه من أبرز الوسائل الفنية التي اعتمد عليها الشعراء في تشكيل الصورة الشعرية وإبراز أبعادها الجمالية والفكرية داخل القصيدة. فهو أداة بلاغية تقوم على عقد مماثلة بين شيئين، أحدهما معلوم للمتلقي والآخر يراد توضيحه أو تجسيده، فيُكسب المعنى قوة في التأثير ووضوحًا في الدلالة, وقد حضيَ بعناية النُّقاد قديماً واهتمَّ به الشعراء في شعرهم والعرب في كلامهم بصورة عامة يقول المبرّدُ: ((والتشبيهُ جارٍ كثيرٌ في الكلامِ, أعني كلامَ العربِ حتَّى لو قالَ قائلٌ: هو أكثرُ كلامِهم لم يبعد))(٢٣) ويعرف التشبيه في علم البلاغة بأنَّه: ((الدَّلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ما لم يكن استعارة))(٢٤) ومن خلال التشبيه، يفتح الشاعر أُفقًا تخييليًا رحبًا يجمع بين المحسوس والمعقول، أو بين المألوف والنادر، مما يمنح النص طاقة تصويرية تتجاوز حدود اللغة المباشرة إلى فضاءات الرمز والإيحاء. وقد مثّل التشبيه على مرّ العصور ركيزة أساسية في بناء الصورة الشعرية، إذ يسهم في تعميق المعنى، ويبرز براعة الشاعر في انتقاء الصور التي تثير الدهشة وتلامس وجدان المتلقي، ليغدو بذلك من أهم المفاتيح التي تكشف عن جمالية النص الشعري وثرائه الفني.

إن التشبيه يعدُّ أحد أهم أدوات التعبير الفني في الشعر العربي، وقد اعتمد عليه النقاد أحياناً معياراً للتفاضل بين الشعراء

من حيث دقة الصورة وابتكارها. فالشاعر الذي يبتكر تشبيهات طريفة بعيدة عن المألوف يُعَدّ أرقى منزلة ممن يقتصر على الصور التقليدية المكرورة. يقول القاضي الجرجاني: ((وكانت العرب إنّما تفاضلُ بين الشعراءِ في الجودة والحسنِ بشرفِ المعنى وصحّته، وجزالةِ اللفظ واستقامته، وتُسلّم السَّبقَ فيه لمن وصف فأصاب، وشبَّهَ فقارب))(٢٥) ومن هنا كان شعر ابن أفلح العبسي قائماً في بنائه الفني على الصورة الشعرية كغيرها من عوامل البناء الفني للقصيدة، وكان للتشبيه نصيبٌ في تشكيل تلك الصورة، ففي قوله (٢٦):

قصدتُ أرومُ لِقاءَ الوزير ... وقد منعَ الإذنَ بالواحدَه
وكُلٌّ على البابِ يبغي الدُّخو ... لَ والبابُ كالصَّخرةِ الجامدَه

نجده في أثناء وصف محاولة الدخول على الوزير أحمد بن نظام الملك(٢٧) يأتي بتشبيه يجسد تلك الحالة حيث يظهر التشبيه في البيت الثاني عندما يشبّه الباب بالصخرة الجامدة، فالشاعر أراد أن يعكس صعوبة منع الدخول، إذ إنّ الصخرة الجامدة تدلُّ على الجمودِ والصلابة وعدم الاستجابة وهذه الصورة التي تشكلت من خلال التشبيه تتجاوز مجرد الوصف المادي إلى دلالة نفسية ومعنوية؛ فالصخرة الجامدة توحي بقسوة الحاجب أو الوزير نفسه وكأنّ الجمود انتقل من الحجر إلى البشر. ومن خلال هذا التشبيه يبني الشاعر الجو العام للقصيدة على مشهد من المنع والهيبة والحرمان وتمهيد الصورة لمضمون القصيدة الذي يبدو أنّه قائمٌ على المدح أو الشكوى من صعوبة الوصول إلى ذوي الجاه فضلاً عن أنّها تسهم في تشكيل البنية الدلالية للقصيدة إذ يتحول الباب من عنصر مادي إلى رمزٍ للسلطة والعزلة بين العامة والوزير فما أجملها من صورة ملامسة للواقع.

وفي قوله(٢٨):

إنْ عَجِبَ الزُّوّارُ من ظاهِري ... فباطِني لو عَلِمُوا أعْجَبُ
شَيَّدَنِي من كَفُّهُ مُزْنَةٌ ... يَحْمِلُ منها العارِضُ الصَّيِّبُ
ودبَّجَتْ روضَتُ أخْلاقِهِ ... فيَّ رياضاً نَوْرُها مُذْهَبُ
صَدْرٌ كسا صَدْرِيَ من نُورِهِ ... شَمْساً على الأيّامِ لا تَغْرُبُ

نجد هنا الشاعر قد أبدع في تشكيل صورته الشعرية المناسبة لبناء القصيدة الفني إذْ شبّه في البيت الثاني كفَّ ممدوحه بمزنة تحمل المطر وتنثره لكل عارضٍ لها، ودور هذا التشبيه في الصورة الشعرية يكمن في إضفاء عمق وجمالية على المعنى. فبمجرد تشبيه الشخص بالمزن، يتم توصيل فكرة أنَّ هذا الشخص مصدر للخير والعطاء، تماماً كالمطر الذي يروي الأرض. هذا التشبيه يعزز من تأثير الصورة ويجعل القارئ يتخيل هذا التأثير الإيجابي بوضوح، كما يضفي بعداً جمالياً يثري النص الشعري. ثمّ يأتي الشاعر في البيت الرابع بتشبيهٍ آخر وصورةً شعريةً متكاملةً تقوم على طريقة التشبيهِ الضمني الذي يجمع بين الحِسّ والمعنى، إذ شبّه الشاعرُ النورَ الصادرَ من صدر الممدوح بشمسٍ لا تغرب، فحوّل المعنويَّ (النور الروحي أو الأخلاقي) إلى صورةٍ حسيةٍ متوهجةٍ تجسّد الإشراق والدوام. وتتجلّى قيمة هذه الصورة في قدرتها على تجاوز الوصف السطحي إلى الإيحاء بالخلود والثبات. فالشمس التي لا تغرب ترمز إلى دوام المجد وامتداد أثر الممدوح في الزمان. كما أنَّ التحام النور بالشمس يمنح الصورة بُعدًا رمزيًا يربط بين الصفاء الروحي والإشراق الحسي، مما يعكس نزعة الشاعر إلى المثالية والجلال. ويمكن القول إن هذا التشبيه أدّى دورًا أساسيًا في تشكيل البناء الجمالي للقصيدة، إذ بثَّ فيها طاقة ضوئية تجعل الممدوح مركز الإشعاع في النص، فتنصهر عناصر الصورة في دلالة كلية تعبّر عن العظمة والسمو. وبهذا يرتقي التشبيه من مجرّد أداة وصف إلى آلية فنية للتعبير عن القيمة والخلود، وهو ما يمنح النص بعدًا فنيًا وجماليًا متكاملًا. فضلاً عن أنَّ التشبيه الذي استخدمه جمال الملك في الموضعين كان وجه الشبه فيهما متناسبٌ متفاوتٌ بين طرفي التشبيه إذ لابدَّ من أن يكون متزناً فلا يكون بنفس القوة فيهما ولا بعيداً كل البعدِ من كل أطرافه (٢٩). على أنَّ الصورة في هذه الأبيات لم تتشكل عن طريق التشبيه وحده فقد كان للاستعارة دور تكميلي سنتناوله في باب الاستعارة. وفي صورة أخرى مختلفة في الغرض الشعري يجعل ابن أفلح التشبيه أساس البناء لأركان القصيدة فيقول في غلامٍ أعرج:(٣٠)

بأبي من رأيتُهُ يَنتَثِي ... فهُوَ من لِينِهِ يُخَالُ ويُعْقَدْ
حَسَدوهُ على الجمالِ فقالو: ... أعْرَجٌ والمَليحُ ما زالَ يُحْسَدْ
هُوَ غُصْنٌ والحُسْنُ في الغُصْنِ انّا ... عِمِ ما كانَ مائلاً يتأوَّدْ

وهذا ما كان دارجاً عندهم في العصر العباسي من التغزل بالغلمان في مجالس الشرب التي كان سُقاتها من فتيان الفرس والروم المردان الذين يتمتعون بالجمال(٣١)، وتلك عادةٌ لم يكن العرب قد ألفوها إلّا بعد اختلاطهم بالفرس(٣٢)، ونجد الشاعر هنا قد شبّه الغلام بالغصن الناعم ليشكل لنا صورةً جميلة قد يُعْذَرُ فيها. فقد أرادَ أن يجبرَ ذلك العرج في الغلام بجميلٍ من التشبيه وحسنٍ من التخلص. فقد ادّعى أنَّ مبلغ الجمال في عرجه مقارناً ذلك مع الغصن المائل من شدّةِ نعومته. ففي الأبيات، يستخدم الشاعرُ هذا التشبيه ليُبرز مدى ليونة ومرونة ذلك الغلام. فتصويره يتثنى كالغصن يدل على طراوة جسمه ومرونته، مما يمنح الصورة الشعرية بعداً جمالياً وبلاغياً. فضلاً عن أنَّ التشبيه هنا يلعب دوراً محورياً في بناء الصورة الشعرية، فهو لا يقتصر على الوصف فحسب، بل يضفي عمقاً وجمالاً على النص. فعندما يشبّه الشاعر هذا الشخص بالغصن المتمايل، فهو يعكس صورة من الرفق والليونة كما سبق، وهذا يضيف بعداً إنسانياً وجمالياً للشخصية التي يصفها. أما من ناحية بناء القصيدة، فإن هذه الصورة تساهم في ترابط الأبيات، بحيث تخلق انسجاماً بين المعاني والألفاظ، وتعزز من تأثير النّص في نفس القارئ. وبذلك، يصبح التشبيه جزءاً لا يتجزأ من النسيج العام للقصيدة، ويعزز من جمالية النص وترابطه. ونجد من هذا الباب مكرراً عند جمال الملك، حيث يقول أيضاً في غلامٍ ثنيتُهُ زرقاء(٣٣):

أقَرُّوا لهُ بالحُسنِ عُنْفاً وإنَّهُمْ ... لِمَنْ حَسَدٍ كانوا أصَرُّوا على الجَحْدِ
وقالوا: كَمِثْلِ البدرِ لولا تَشِينُهُ ... ثَنِيَّتُهُ الزَّرْقاءُ كي يَقْصِدوا قَصْدي
ولو كان ما قالُوهُ مِمَّا يَشِينُهُ ... لَما اسْتَحْسَنُوا في العِقْدِ واسِطَةَ العِقْدِ

فقد شبّه الشاعر ممدوحه بالبدرِ على لسان عُذّالهِ لو لم تكن ثناياه زرقاء، مستخدماً ذلك بحسن تخلُّص حيث يشبه صفَّ أسنانهِ بالعقدِ وثنيّتهُ بواسطة العقد. ففي الأبيات نرى تشبيهات تبرز جمال الشخص وتشير إلى الحسد الذي يتعرض له. وهذه التشبيهات تساعد في بناء صورة شعرية متكاملة تعكس مدى الجمال والوقار، وفي الوقت نفسه تعكس حسد الحاسدين. وبذلك تتداخل هذه التشبيهات مع بناء القصيدة ككل، وتُظهر التوتر بين الجمال والحسد. وتعبّر عن المعنى العام الذي قصده الشاعر.

وفي صورة أُخرى يشبّهُ ابن أفلح أحدَ وزراءِ عصرهِ وكانَ نحيفاً لهُ ذقناً، فيقول(٣٤):

لولا السَّوادُ وذَقْنُهُ ... ما بانَ في وقْتِ السَّلامْ
كَزُرَيْقِ دِجْلَةَ كُلُّهُ ... رِيْشٌ وباقِيهِ عِظامْ

ففي هذه الأبيات يصور لنا ابن أفلح صورةً تهكمية تجاه الوزير فيشبهه بطائر الزُّريق المنتشر على ضفاف دجلة وهو طائرٌ صغيرٌ خفيف الجسد لا يكاد يُرى فيه سوى الريش والعظام. ومن ثمّ فإنّ التشبيه هنا تمثيليّ يقوم على تماثل الهيئة بين المشبّه والمشبّه به ويكون تشبيه مشهد بمشهد ووجه الشبه فيه يفهم من خلال تلك المشاهد ويكون متعددا(٣٥)؛ فكلاهما نحيل الجسد، خفيف البنية، قليل اللحم. وتُسهم هذه الصورة في إبراز الملمح الحسيّ للنحول والهزل من خلال ملامح الطائر وهيئته، مما يجعل الصورة ذات طابعٍ بصريّ حيّ، تجمع بين الحركة واللون والهيئة. كما تتّسم بلمسةٍ تهكميّةٍ ساخرة تكشف عن نزعةٍ فنيةٍ تجمع بين الطرافة والمبالغة، وهو ما يمنح النص حيويةً ووقعًا خاصًا في نفس المتلقي. أما من الناحية الفنّية، فإنّ هذه الصورة تمثّل ركيزة بنائية في سياق الأبيات؛ إذ تنتقل بالوصف من الإيحاء الغامض في البيت الأول إلى المشهد الكامل في البيت الثاني، مما يضفي تدرّجًا فنيًا في بناء الصورة الشعرية. وعليه، يمكن القول إنّ التشبيه في هذين البيتين لم يُستخدم لمجرد الزينة البلاغية، بل أدّى دورًا فاعلًا في تشكيل الصورة الشعرية الكلية، التي تتسم بالحركة والحسّ

والتهكم، وتكشف عن قدرة الشاعر على توظيف التشبيه في تصوير المعنى النفسي والجسدي معًا في إطارٍ من الإيحاء الفني المكثّف. وهكذا جاءت الصور التشبيهية في شعر ابن أفلح وعلى هذه الطريقة سارت, فلم تكن ذات طابع جمالي فحسب بل كانت تلعب محوراً أساس في بناء القصيدة وترابط الفكرة والمعاني.

٢. الاستعارة: تُعدّ الاستعارة من أبرز الأساليب البلاغية التي تزيّن اللغة وتمنحها عمقًا وجمالًا فنيًا. فهي لا تقتصر على كونها مجرد وسيلة لغوية للتعبير، بل تتجاوز ذلك لتكون أداة للتصوير والتشخيص والإيحاء، مما يضفي على الكلام طابعًا فنيًا وجماليًا راقيًا. وقد استخدم الشعراء والكتّاب الاستعارة منذ القدم، فكانت أداة تعبيرية بارزة في الأدب العربي، القديم والحديث، وفي جميع لغات العالم كذلك. فهي تمكّن الكاتب من التعبير عن المعاني المعقدة والمشاعر العميقة بطريقة رمزية وإيحائية.

ولذلك اكتسبت أهمية كبيرة من بين وسائل تشكيل الصورة بل وفاقت غيرها, حتى أصبحت مقياساً يُحكمُ على الشاعر من خلالها(٣٦). وهذا ما جعلها أيضاً محطَّ أنظار النقاد العرب حديثاً فلم يولوا وسيلة من وسائل التصوير الشعري أهميةً مثلها, إذ لا يكتملُ بناء القصيدةِ من دونها , فأصالتها في الشعر أمرٌ مفروغٌ منه وكونها خيطٌ من خيوطِ نسجه لا يختلف فيه اثنان, فقد صدرت عن الشعراء في أشعارهم فطرةً دون معرفة قواعد نظرية أو وعي لطرقِ استعمالها(٣٧). وقد عرّفها العلماءُ قديما وحديثاً ومما جاء من تلك التعريفات هي ((استعمال اللّفظ في غير ما وضع له

لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي. والاستعارة ليست إلّا تشبيها مختصراً لكنّها أبلغ منه))(٣٨)، فهي تشبيهٌ حذف أحدُ طرفيه.

ويلاحظ في شعر جمال الملك الاعتماد على الاستعارة في تشكيل صوره وبناء قصيدتهِ ومن ذلك ما جاء في قوله يمدحُ أحد الوزراءِ(٣٩):

إنَّ الوزارةَ لمَّا أنْ ذُكِرْتَ لها ... حَنَّتْ وعادَ لها من ذِكْرِكَ الطَّرَبُ

فَطُلْتَها قاعداً لمَّا هَمَمْتَ بها ... وكَمْ هوى دُونَها قَومٌ وقد وَثِبوا

شَتَّانَ ما بين مَنْ يُزْهى بِرُتْبَتِهِ ... وبينَ مُسْتَعْظِمٍ تُزْهى بهِ الرُّتَبُ

ففي هذا البيت استعارة مكنية، حيث شبّه الشاعر الوزارة بإنسانٍ يحنّ ويطرب عند ذكر الممدوح وحذف المشبَّه به، فأسند إليها صفات شعورية لا تُنسب إلا للبشر. وتهدف هذه الاستعارة إلى تشخيص المعنى المجرّد وإحيائه، مما يجعل الصورة الشعرية نابضة بالحياة ومعبّرة عن عظمة ومكانة الممدوح وتأثيره حتى في الأشياء الجامدة والمعنوية. فضلاً عن أنَّ هذه الصورة تُسهم في بناء النسق الكلي للقصيدة القائم على تمجيد الممدوح وإبراز مكانته، إذ تنسجم مع الاتجاه العام للمديح الذي يقوم على المبالغة في تصوير أثر الممدوح وتقديس صفاته. ثمّ يكمل الشاعر قصيدته على نفس طريقة البناء الفني للقصيدة معتمداً على التصوير الاستعاري فيصور الوزارة بالمرأة مستعيراً لها ما للمرأةِ المخطوبة من صفات فيقول(٤٠):

جَاءَتْكَ رِشْوَتُها لمَّا خُطِبْتَ لها ... عَفْواً وغَيْرُكَ يَرْشُوها وَيَخْتَطِبُ

فَظَنَّها النَّاسُ تَشْرِيْفاً خُصِصْتَ بِهِ ... طَنَانَةً صَدَقُوا من حَيْثُما كَذَبوا

ففي قوله «جاءتك رشوتها» استعارة مكنيّة بديعة؛ إذ شبّه الوزارة أو المنصب بامرأة تُخطب للزواج، وحذف المشبَّه به (المرأة) وترك شيئًا من لوازمه (الخِطبة والرِّشوة). فخلق صورة حية تُجسّد المعنى في هيئة المحسوس. وقد أسهمت هذه الصورة في بناء القصيدة من خلال إبراز مكانة الممدوح ونزاهته، مقابل من يسعون للمناصب بالرشوة، مما ترك على النّص طابعًا إنسانيًا وتصويرًا رمزيًا راقيًا يجمع بين الفكرة الأخلاقية والخيال الشعري.

ومن الاستعارة في شعره أيضاً ما كتبه إلى أمين الدولة بن التلميذ(٤١) في أثناء كتاب يقول(٤٢):

إنّي وَحَقِّكَ مُنْذُ ارْتَحلتَ ... نَهاري حَنينٌ ولَيْلي أنينْ
وما كُنتُ أعرِفُ قَبْلي امْرءاً ... بِجِسْمٍ يُقِيْمُ وقَلْبٍ يَبِينْ
يقولُ الخَليُّ إذا ما رأى ... وُلُوعي بِذِكْراكَ لا يَستكِينْ
تَسَلَّ فقُلْتُ: دَهاكَ الفِراقُ ... أتَدْري جَوى البَيْنِ أنّى يكونْ
وكيفَ السَّبيلُ إلى سَلْوتي ... وحُزْنِي وَفِيٌّ وصَبْرِي خَؤونْ

حيث يأتي الشاعر في البيت الأخير باستعارتين مكنيتين؛ فقد شبّه الشاعر الحزن بإنسانٍ وفيّ لا يفارقه، وشبّه الصبر بإنسانٍ خائنٍ يتخلّى عنه وقت الحاجة، فحذف المشبّه به وأبقى على صفاته (الوفاء والخيانة)، فكانت استعارتان مكنيتان بليغتان. فتشكّلتْ من خلالهما صورة شعرية إنسانية تُجسّد الصراع النفسي في ذات الشاعر بين وفاء الحزن وخيانة الصبر، مما أضاف على طابعًا حيًّا نابضًا بالحسّ. وقد أسهمتْ هذه الصورة في بناء القصيدة من خلال تعميق الجانب الوجداني، وابراز معاناة الشاعر في محاولة السلو، فتتجلّى حالته النفسية بأسلوب تصويري يجمع بين الدقة العاطفية والجمال الفني.

وفي موضع آخر يأتي باستعارة تتعاضدُ فيها العواطف بعناصر الطبيعة فيقول(٤٣):

أحْنِي الضُّلُوعَ على قَلْبٍ يُحَيِّرُني ... في كلِّ يومٍ ويُعْيِيْني تَقَلُّبُهُ
تَناوَحُ الرِّيْحِ من نَجْدٍ يُهَيِّجُهُ ... ولامِعُ البَرْقِ من نَعْمانَ يُطْرِبُهُ

في هذا البيت الأخير يوظّف الشاعر الاستعارة المكنيّة حين يُسند إلى الريح والبرق أفعالًا إنسانية (يهيجه ويطربه)، فيجعل الطبيعة كائنًا حيًّا يتفاعل مع وجدان الشاعر. وهذه الاستعارة تكوّن صورة شعرية نفسية تجمع بين عناصر الطبيعة (الريح والبرق) وعواطف الشاعر (الهيجان والطرب)، لتكشف عن وحدةٍ وجدانية بينه وبين المكان. وتُسهم هذه الصورة في بناء القصيدة من خلال ربط الحسّ الطبيعي بالبعد العاطفي، مما يعمّق التجربة الشعورية ويجعل من الطبيعة مرآةً لحال الشاعر الداخلي. وبهذا لم تكن الاستعارة عند جمال الملك أُسلوباً جمالياً أو أداةً تصويرية فحسب بل كانت خيوط نسيجٍ نسج ابن أفلح من خلالها لبنات قصيدته.

٣. الكناية: تُعد الكناية من أهم الفنون البلاغية التي يزخر بها الشعر العربي، فهي وسيلة تعبيرية غنية بالرمزية والدلالات العميقة، تمكن الشاعر من نقل المعنى بأسلوب أكثر تأثيرًا وإيحاءً من الكلام الصريح. وتتمثل الكناية في استخدام لفظ يدل على معنى آخر مُستتر، ويكون ذلك اللفظ قريبًا أو بعيدًا عن المعنى المقصود بحسب طبيعة السياق والغرض البلاغي للشاعر. وتمثل الكناية أداة بلاغية جوهرية في بناء الصورة الشعرية، إذ تعمل على توسيع الأفق الدلالي للنص، وتمنحه أبعادًا جمالية وفكرية لا يمكن تحقيقها بالتعبير المباشر وحده، مما يجعلها عنصرًا أساسيًا في دراسة الشعر العربي وتفسيره. وقد عرّفها العلماء قديماً وهي:((أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ يدل على معنى هو ردفٌ وتابع له))(٤٤) على أنّ ذلك لا يمنع من إرادة المعنى الأصلي لأنّ إرادة المعنى اللازم لا تمنع من إرادة أصل المعنى من ذلك اللفظ فالمعنى الحقيقي والمجازي مطروحان وقابلان للقصدية(٤٥). وقد ((أجمع الجميع على أنّ الكناية أبلغ من الإفصاح))(٤٦)، فهي تضع لك المعنى بصورة لم تكن تحسّهُ من قبل كالمصور إذا رسم لك صورة لم تكن تتخيّلها من قبل فيبهرك بها ويجعلها محسوسة عندك كأنك تخيلتها من قبل(٤٧). ومن استعمال ابن أفلح لأُسلوب الكناية في شعره ما جاء في قوله(٤٨):

وزَنْجِيَةٍ ذاتِ عُنُقٍ طويلٍ ... كَعُنُقِ النَّعامَةِ أو أطْوَلْ
إذا ظَمِئَتْ حسِبَتْ قَرَّةً ... وإنْ رَوِيَتْ لِيْنَةً تَذْبُلْ
تُهانُ ولكنَّ فيما تُهانُ ... تَراها مُذَلَّلَةً تُحْمَلْ

يدرج الشاعر هنا هذه الأبيات خلال لغزٍ في قِرْبَةٍ فيجنح إلى الكناية في تشكيل صورته الشعرية لأنَّها تناسب اللغز.

وتُسهم الكناية هنا في تشكيل الصورة الشعرية في الأبيات من خلال استدعاء دلالات تتجاوز المعنى الظاهري إلى إيحاءات رمزية. فالكناية في قوله: (زَجيَّةٍ ذاتِ عُنُقٍ) تُنتج صورة تجمع بين الغرابة والجمال، إذ يُستعار عنق النعامة للإشارة إلى طولِ عنق القِربة، وهو ما يُضفي بعدًا بصريًا غير تقليدي، يحمل في طياته تمييزًا تصويرياً ورمزياً وثقافيًا ضمنيًا. وعليه، فإنَّ الكناية هنا لا تؤدي وظيفة جمالية فحسب، بل تُبنى عليها الصورة الشعرية بوصفها أداة للكشف عن المفارقات داخل بنية النص، مما يُثري التجربة الشعرية ويمنحها عمقًا دلاليًا مركبًا.وفي موضعٍ آخر يصور ابن أفلح صورةً كنائيةً في مدحه أحد الوزراء فيقول(٤٩):

أَنتَ الذي مارَسَتْكَ الحادِثاتُ فلَمْ ... تَرْجُ الخِناقَ لها أَو مَسَّها السُّحُبُ

لَمَّا رَمَتْكَ يدُ الأيّامِ عن خَطَإٍ ... جاءَتْكَ لاذِذَةً لم يُنْجِها الهَرَبُ

وهنا نجد البيتين قد تشبَّعا بالصور الكنائية ففي قوله:(مارَسَتْكَ الحادِثاتُ) كناية عن كثرة تجارب المخاطَب وصبره على النوائب، إذ شبّه الحوادث بخصمٍ يجرب قوّة خصمه بالممارسة، فالكناية هنا تفيد التمكن من مجابهة المصاعب والثبات أمام الخطوب من غير أن يصرّح الشاعر بصفات الشجاعة أو الصبر مباشرة. أما قوله: (فلم تَرْجُ الخِناقَ لها) فهي كناية عن الثبات وعدم الجزع، فالشاعر لا يذكر الصبر صراحة، بل يعبّر عنه بعزوف المخاطَب عن الخضوع للشدائد. وفي قوله: (رَمَتْكَ يدُ الأيّام) كناية عن تقلّب الدهر وما ينزل بالإنسان من محن، إذ أضفى على الأيام صفة الفاعل القادر الذي يرمي، مما يُعطي الصورة طابعاً حركياً ودلالياً يوحي بسلطان الزمن. وأمّا في قوله: (أَو مَسَّها السُّحُبُ) فكناية عن الرفعة وعلو المقام للممدوح وأنَّهُ دون كل تلك الحادثات والمصائب والفتن. وتتجلّى القيمة الفنية للكناية في هذه الأبيات في قدرتها على الإيحاء دون تصريح، إذ عبّر الشاعر عن الشجاعة والصبر والثبات بأسلوب غير مباشر يجمع بين العمق والدقة. وقد أسهمت الكناية في بناء صورة شعرية متكاملة تُبرز عظمة المخاطَب وقوّته المعنوية، حيث تحوّلت المحن والأيام إلى عناصر تصويرية حية تتفاعل معه وتخضع له. وبهذا أسهمت الكناية في إغناء البنية التصويرية للقصيدة واكسابها بعداً دلالياً يربط بين التجربة الإنسانية ومعاني الصمود والسموّ في وجه الزمان. والشاعر هنا لا يأتي بالوصف الكنائي إلّا ومعه الدليل من قوة ذلك الممدوح وهذا هو أسلوب الكناية إذ إنَّهُ ((مع إمتاعه يمتاز بالإقناع، لأنَّه لا يأتيك بالدَّعوى إلّا ومعها دليلها))(٥٠). ومثل هذه الصور وردت عنده أيضاً في المديح عندما مدح عزيز الدّين الأصفهاني(٥١) إذ يقول(٥٢):

هاتِيْكَ دِجْلَةُ رِدْ وهذا النِّيْلُ ... ما بعدَ ذَيْنِ لِحاتِمٍ تَعْلِيلُ

إنْ كانَ بَرْدُ الماءِ عِنْدَكَ نافِعاً ... حَرَّ الجَوى لا الأَشْنَبُ المَعْسُولُ

عَجَباً لِشَأنِكَ تَدَّعي ظَمَأً وفي ... جَفْنَيْكَ من سَيْلِ الجُفونِ سُيولُ

ففي قوله (برد الماء) كناية عن الروح الباردة والطبع الهادئ والقلب الساكن. وفي قوله: (حَرَّ الجَوى لا الأَشْنَبُ المَعْسُولُ) كناية عن أن العذاب الذي يعانيه الشاعر مصدره الحبّ والوجد لا الريق العذب أو الجمال الظاهري. والكناية هنا تُعبّر عن عمق المعاناة النفسية دون التصريح بها، إذ استُخدم «الأشنب المعسول» كناية عن الفم الجميل وما يرمز إليه من لذّة اللقاء، مقابل «حرّ الجوى» الذي كُني به عن نار الحبّ الداخلية. وفي قوله: (وفي جَفْنَيْكَ من سَيْلِ الجُفونِ سُيولُ) كناية عن فيض الدموع، وفي الوقت نفسه تصوير رمزي لغزارة العاطفة والتظاهر بالشكوى، فالكناية هنا تُحوّل المعنى إلى صورة محسوسة تجمع بين البكاء والسخرية من ادّعاء الظمأ. فالصورة في الأبيات تقوم على التضاد بين الماء والظمأ، وبين النهر والدمع؛ فالشاعر يصوغ لوحة تتقابل فيها عناصر الطبيعة (دجلة، النيل، السيل) مع حالات النفس (العطش، الجوى، الدموع). والكنايات تُسهم في تجسيد هذه الصورة، فبدل التصريح بالحب واللّوعة، يُقدّم المشهد عبر رموز مائية متقابلة تولّد صورة شعرية تجمع بين الحسّي والمعنوي. وهكذا نجد ابن أفلح العبسي ينهل من بحر البيان لاسيما الكناية منه ليصوغ

لنا صوراً شعرية تناسب المقام والمقال على اعتبار أنَّ ((الكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح))(٥٣). بل إنَّ بعض المعاني يجمل إخفاءها وعدم البوح بها(٥٤).

المبحث الثاني:

الخصائص الفنية للصورة الشعرية:

إنَّ الدارس للصورة الشعرية لشاعر معين أو نصوصٍ شعرية أيّاً كانت يجد أنَّ الصورة الشعرية لا يمكن أن تعتمد في تشكيلها على فنون علم البيان (التشبيه والاستعارة والكناية) فحسب. بل لابدَّ من توافر عدَّة خصائص ومقومات لكي تُشكل تلك الصورة وتكون ذات تأثير في بناء القصيدة. و ((إذا كان المفهوم القديم قد قصر الصورة على التشبيه والاستعارة فإنَّ المفهوم الجديد يوسّع من إطارها، فلم تعد الصورة البلاغية هي وحدها المقصود بالمصطلح، بل قد تخلو الصورة – بالمعنى الحديث – من المجاز أصلا، فتكون عبارات حقيقية الاستعمال ومع ذلك فهي تشكل صورة دالة على خيال خصب))(٥٥). لذلك تُعدّ الصورة الشعرية نتاجاً فنّياً يتشكّل من تفاعل عناصر متكاملة في وجدان الشاعر، في مقدّمتها الخيال والعاطفة والتجربة الشعورية. وبذلك تتكامل هذه العناصر الثلاثة لتجعل من الصورة الشعرية كياناً حيّاً يجمع بين الخيال المبدع، والعاطفة الصادقة، والتجربة العميقة التي تمنحها أصالتها وعمقها الإنساني. فضلاً عن أنَّ هذه الخصائص لا بدَّ من توافرها قبل البدء بتشكيل الصورة.

١ . العاطفة: فهي القوة الوجدانية التي تبعث الحياة في الصورة، وتصبغها بلون نفسي خاص يعكس انفعال الشاعر وحالته الشعورية، فكل صورة صادقة إنما تنبع من عاطفة صادقة، إذ تُوجّه العاطفة اختيار الشاعر لألفاظه وتشبيهاته واستعاراته، وتجعل الصورة معبّرة عن ذاته لا عن الزخرف اللفظي. وبتعبيرٍ آخر أدق ((هي الحالة التي تسيطر على الأديب (الشاعر) بموضوع يشغل فكره وإحساسه وتدفعه للتعبير عمّا يخلج في خلده على شكل انفعالات مختلفة تتشكل بحسب الحالة الوجدانية التي يشعر بها الأديب في لحظتها))(٥٦). فهي تمثل تلك الحالات الوجدانية التي يعيشها الإنسان لاسيما الشاعر من حب وكره وحزن وفرح وانقباضٍ ورغبة وخوف(٥٧). وشعر ابن أفلح متنوع بتلك العواطف المختلفة ومن ذلك قوله(٥٨٥):

لا غَرْوَ من جَزَعي لَبَيْنِهِمُ ... يومَ النَّوى وأنا أخو الفَهْمِ
فالقَوْسُ من خَشَبٍ تَنِنُّ إذا ... ما كُلِّفوها فُرْقَةَ السَّهْمِ

حيث يعكس الشاعر في هذين البيتين عاطفة الحزن والأسى الناتجة عن الفراق، حيث يعبر عن جزعه وتألمه عند النوى:(لا غَرْوَ من جَزَعي لَبَيْنِهِم يومَ النَّوى وأنا أخو الفهمِ). ويبرز وعيه العاطفي العميق، إذ يدرك أثر الفقد على النفس. وتتجلى الصورة الشعرية في التشبيه الضمن في البيت الثاني، حيث يشبه الشاعر نفسه بالقوس الذي (ينن إذا ما كلّفوه فرقة السهم)، مما يحول الألم النفسي إلى صورة محسوسة وحركية وسمعية. فالقوس يرمز إلى النفس المثقلة بالوجدان، والسهام ترمز إلى الفراق والشد العاطفي، ما يجعل العاطفة الداخلية ملموسة للقارئ. وهكذا تتكافل العاطفة والصورة الشعرية في النص، لتضيف البعد الفني والجمالي للقصيدة. وفي موضع آخر نجد عاطفة البغض قد سيطرت عل صورة الهجاء الذي هجا به الحريري(٥٩)، إذ يقول(٦٠):

شَيْخٌ لنا من رَبيعةِ الفَرَسِ ... يَنْتِفُ عُثْنونَهُ منَ الهَوَسِ
أَنطَقَهُ اللهُ بالمَشانِ(٦١) كما ... رماهُ وَسْطَ الدِّيوانِ بالخَرَسِ

تتسم الأبيات بعاطفة السخرية والهجاء، حيث يوجه الشاعر نقده اللاذع لشخصية الحريري، ويبرز ضعفها أو انحطاطها بشكل صريح. يظهر ذلك في قول الشاعر: (ينتف عثنونه من الهوس)، الذي يصور الشخص على أنه عاجز أو تافه، كما لو كان اهتمامه بتفاصيل تافهة لا قيمة لها. و(أنطقه الله بالمشان) و(رُمي وسط الديوان بالخَرَس) تُظهر استهزاءً

بقدراته على الكلام والفعل، معتبرًا إياه عاجزًا حتى عن التعبير عن نفسه أو الدفاع عن موقفه. وتوظف الصور الشعرية في الأبيات المبالغة والسخرية الرمزية، حيث تتحول الأفعال العادية إلى رموز تهين الشخص المهاجم، مثل تصويره بأنه يُلقى وسط الديوان صامتًا، فيظهر بلا مكانة ولا قوة، ويُبرز تناقضه بين المظهر المزعوم والواقع الحقير. وفي مثالٍ آخر نجد الشاعر يعبر عن عاطفة الحب جامعاً كل ما تطلبه الصورة الشعرية ليعبّر عن أحاسيسه يقول(٦٢):

أخي لمْ تزَلْ في كُلِّ لأواءَ مُنْعِشي ... فَخُذْ لي بثأري من لِحاظٍ يرَنقُشِ
فإنْ جَحدَتْ أجْفَانُهُ سَفْكَها دمي ... فَلي شاهِدٌ من خدِّهِ غيرُ مُرْقِشِ

تعكس الأبيات عاطفة الغرام واللهفة العاطفية تجاه المحبوبة، معبرة عن الشوق والرغبة والارتباط العاطفي. وتوظف الصورة الشعرية استعارات وكنايات وحواسًا جمالية، مثل (خذ لي بثأري) كناية عن شدة التعلق، و(أجفانه سفكها دمي) استعارة للشوق والألم العاطفي، و(من خده غير مرقش) تصوير حسي لجمال المحبوبة. فكلُّ هذه الصور الشعرية لم تؤثر شيئاً في المتلقي لولا وجود تلك العاطفة في قلب الشاعر لأنَّ ما كان من القلب يصل إلى القلب.

٢. الخيال: يُعدُّ الخيال من أهمّ المقوّمات الفنية التي يقوم عليها الإبداع الشعري. فهو الوسيلة التي ينتقل بها الشاعر من الواقع المحدود إلى آفاقٍ أرحب من التصوير والإيحاء. ومن خلال الخيال، تتحوّل التجربة الوجدانية إلى صورة شعرية نابضة بالحياة، تجمع بين العاطفة والفكر، وتكسو المعنى ثوبًا من الجمال الفني والتأثير الوجداني. إنَّ دور الخيال في الصورة الشعرية لا يقتصر على الزخرف اللفظي أو التزيين الجمالي، بل يتجاوز ذلك إلى كونه أداة للتعبير عن التجربة الشعورية بأدقّ أبعادها، فيحوّل الانفعال والعاطفة إلى صورة حسّية محسوسة، تمكّن القارئ من معايشة التجربة كما عاشها الشاعر. ومن هنا تتجلّى أهمية الخيال في إبداع الصورة الشعرية، فهو العنصر الذي يمنح القصيدة روحها، ويجعلها قادرة على التأثير والإيحاء، ويكشف عن شخصية الشاعر ومدى قدرته على الابتكار والتصوير. وكما عرّفه القدماء بأنَّهُ ((قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادّة بحيث يشاهدها الحس المشترك كلّما التفت إليها، فهو خزانة للحس المشترك))(٦٣). لذلك لا يمكن أن يخلو منه نصّاً شعريا ولا يكتمل إلّا به, ونجد ابن أفلح قد اعتمد في أشعاره على خياله الجامح ليصل مراده من نتاجه الشعري إلى سامعيه ومن ذلك قوله(٦٤):

يا خَليليَّ قِفا ثمَّ اسألا ... عن غزالٍ نبّه الشَّوقَ وناما
وَ قِفا نَسألُ رَسْماً عافِياً ... أَيْنَ مَن كانَ بِهِ قِدْماً أَقاما

فالخيال في هذه الأبيات يقوم على استحضار الماضي وتحويله إلى مشهد حي، إذ يجعل الشاعر الأطلال والمحبوبة كائنات تنبض بالعاطفة. ففي قوله (عن غزالٍ نبّه الشوق وناما) يتجلى الخيال في تشبيه الحبيب بالغزال، وهو تصوير يجمع بين الجمال والمراوغة. أما قوله (وقِفا نسأل رسماً عافياً) فيقوم على تشخيص المكان وجعله محاوراً للشاعر، مما يبرز الحنين والوفاء للماضي. وهكذا أسهم الخيال في بناء الصورة الشعرية فجعلها نابضة بالحسّ والعاطفة، تعبّر عن تجربة وجدانية تجمع بين الشوق والذكرى ((فالخيال عملية خلق جديدة ولكن عن طريق العاطفة))(٦٥). وفي قول ابن أفلح في غلامٍ ناقص الجمال ما يبين مكانة الخيال ودوره في التعبير عن العاطفة(٦٦):

وما عِشْقي لَهُ وَحْشاً لأنّي ... كَرِهْتُ الحُسْنَ واخْتَرْتُ القَبيحا
ولكنْ غِرْتُ أنْ أهوى مَليحاً ... وكُلُّ النّاسِ يَهْوَوْنَ المَليحا

حيث يتجلى الخيال الشعري في هذه الأبيات من خلال تحويل الشاعر لمعنى العشق إلى تجربة نفسية غير مألوفة، إذ يصور حبّه للقبيح لا بوصفه نفوراً من الجمال، بل بدافع الغيرة من اشتراك الناس في حب المليح. وهذا الخيال الذهني يكشف عن رؤية فنية تقوم على المفارقة والتجاوز، حيث تتحول المفاهيم الحسية (الحسن والقبح) إلى رموز فكرية تعبّر عن تفرّد العاطفة واستقلال الذوق. أما الصورة الشعرية فتنبني على هذا الخيال المبتكر، فتمتزج فيها الغيرة بالعشق في مشهد نفسي

داخلي، يجعل القبح موطناً للجمال الخاص، والمألوف رمزاً للابتذال. وهكذا تتشكل صورة فنية تجمع بين الخيال والعاطفة والفكر، وتعبّر عن عمق التجربة الشعورية وتميّز الرؤية الجمالية للشاعر. ويقول في شكرِ زيارةٍ ووصفِ زائرٍ(٦٧):

زارَني في غَسَقِ اللَّيْـ ... ـلِ فكادَ الظَّلامُ أن يتَسَرَّى
فتَرَدَّى بِشَعْرِهِ خِيفَةَ الهَتْـ ... ـكِ وحالَ العِقاصُ حَلّاً ونَشْرا
فتَوَهَّمْتُ شَعْرَهُ سُدْفَةَ اللَّـ ... ـيلِ وذاكَ الجَبينَ يُزْهِرُ بَدْرا

يبرز الخيال الشعري في الأبيات من خلال تحويل عناصر الطبيعة إلى رموز حية تتفاعل مع المشهد الغزلي، إذ يجعل الشاعر الظلام كائنًا يفرّ من نور الممدوح، والشعر رداءً يستر وجهه، والجبين بدرًا يضيء في سدفة الليل. هذا الخيال القائم على التشخيص والمقابلة بين النور والظلمة أضفى على الصورة الشعرية طابعًا حركيًا وإشراقيًا، وجعل من اللقاء الليلي لوحة نابضة بالحياة. فالصورة هنا ناتجة عن خيال خصب يمزج بين الواقع والحلم ليجسد تألق المحبوب ودهشة الشاعر بجماله. وقد أسهم الخيال في بناء القصيدة إسهامًا جوهريًا، إذ لم يكن عنصرًا تزيينيًا فحسب، بل أساسًا في تشكيل التجربة الشعرية وإبراز عاطفة الشاعر. فقد جعل الخيال من مشهد الزيارة الليلية لوحة فنية يتداخل فيها النور والظلام، والحركة والسكون، ليعكس التوتر الوجداني بين الهيام والحياء، والرغبة والكتمان.

٣. التجربة الشعورية: تُعدّ التجربة الشعورية من الركائز الأساسية في العملية الإبداعية للشاعر، إذ تمثّل المنبع الأصيل الذي تتكوّن منه الصورة الشعرية وتتشكّل ملامحها الفنية. فالشاعر لا يرسم صورته عن طريق التقليد أو المحاكاة، وإنما يستمدها من تجربةٍ نفسيةٍ ووجدانيةٍ صادقة عاشها أو تأملها بعمق. ومن خلال تفاعل الوجدان مع الخيال تتولّد الصورة الشعرية بوصفها تجسيداً فنياً لتلك التجربة، تعبّر عن الانفعال الداخلي وتمنحه شكلاً حسّياً نابضاً بالحياة.

إن دور التجربة الشعورية في بناء الصورة الشعرية يتمثّل في إضفاء الصدق الفني والحرارة العاطفية على النص، بحيث تُصبح الصورة انعكاساً حقيقياً لمشاعر الشاعر وإحساسه بالعالم من حوله. فكلما كانت التجربة الشعورية أعمق وأصدق، جاءت الصورة أكثر ابتكاراً وتأثيراً، وأسهمت في تحقيق التواصل الوجداني بين الشاعر والمتلقي.

ويمكن القول بأنَّ التجربة الشعورية هي: ((ردَّةُ فعلٍ نفسي لحدث مؤثر، وبعبارة أدق: هي استجابة وجدانية لمثير ما: ماديا كان أو معنوياً))(٦٨)، وحتى لا يكون خلط بينها وبين التجربة الشعرية فإنَّ التجربة الشعرية هي: ((ربط الألفاظ بما يمكن أن تؤديه في التعبير عن المشاعر ونقلها إلى القراء والسامعين))(٦٩)، فالتجربة الشعرية هي مزيج بين التعبير والتجربة الشعورية. وسنأخذ من ديوان ابن أفلح العبسي بعض الأمثلة لنحلل التجربة الشعورية التي دفعت الشاعر إلى كتابة النّص الشعري, وحيث أنَّ جميع النصوص لا بدَّ لها من تجربة شعورية فإنَّ الديوان بأكمله مثالاً عليها ومن ذلك قول جمال الملك(٧٠):

ما بَعْدَ حُلْوانَ لِلمُشْتاقِ سُلْوانُ ... عَزَّ العَزاءُ وبانَ الصَّبْرُ إذْ بانوا
ذَرْنِي وتَسْكابَ دَمعي في مَحاجِرِهِ ... فَلِلشُّؤونِ ولي من بَعْدِهِمْ شانُ
هُمُ الحياةُ وقد بانوا الغَداةَ فهلْ ... يَصِحُّ بعدَ ذَهابِ الرُّوحِ جُثْمانُ

تقوم التجربة الشعورية في هذه الأبيات على ألم الفقد ولوعة الفراق، وهي تجربة وجدانية صادقة تعبّر عن معاناة الشاعر بعد رحيل أحبته واستحالة السلوى عنهم. ففي البيت الأول يظهر الحزن عميقًا حين يُقرّ الشاعر بأنه لا سلوان بعد حلوان، فيجعل من المكان رمزًا للذكريات التي توجج الشوق، وتبرز في الصورة مقابلة بين الصبر والجزع تعبّر عن صراع النفس بين احتمال الألم وعجزها عن التجلّد. وفي البيت الثاني تتجلى التجربة في صورة البكاء والانكسار، إذ يطلب الشاعر أن يُترك لدموعه، وكأن الدمع أصبح لغته الوحيدة للتعبير عن الوجع. الصورة هنا تقوم على تشخيص الدمع وجعله كائنًا فاعلًا ينساب في محاجره، وهو تصوير يضفي على العاطفة طابعًا حسيًا مؤثرًا. أما في البيت الأخير، فتبلغ التجربة ذروتها

حين يشبّه الشاعر أحبته بالروح التي فارقت الجسد، في استعارة بليغة تبرز عمق الارتباط العاطفي حتى يصبح الفراق موتًا معنويًا. وهنا تتكامل الصورة الشعرية مع التجربة الشعورية في بناء القصيدة، إذ يتدرج الإحساس من الحنين إلى الحزن، ثم إلى الفناء واليأس، لتغدو القصيدة لوحة وجدانية متكاملة تُجسّد تجربة شعورية صادقة ذات بعد إنساني عميق. وله من جميل حسن التخلّص حين قال(٧١):

قالو: على ساقِهِ شَعْرٌ وقَصْدُهُمُ ... أنْ يَقْدَحوا فيهِ عِنْدي قلتُ: قدْ صَدَقوا
ما يَحْسُنُ الغُصْنُ الأملودُ في نَضَرٍ ... إلّا إذا كان مُحْتَفّاً بِهِ الوَرَقُ

تعكس هذه الأبيات تجربة شعورية غزليّة، حيث يعبّر الشاعر عن انتباهه لتأمل الجمال وردّ فعل الآخرين تجاهه، فيظهر وعيه بذوقهم مع الحفاظ على موقفه الخاص. وتتظافر معها الصورة الشعرية التي تُستمد من الطبيعة، إذ يشبّه ساق المحبوب بالغصن الأملود المزدهر بالورق، فيرمز الورق إلى الزين والجمال الكامل الذي يُكمل وجوده، وهو استعارة عن الكمال في الجمال الجسدي أو الروحي للمحبوب. وهذا المزج بين الانفعال الشخصي وإيحاءات الطبيعة يُسهم في بناء القصيدة على أساس التجربة الشعورية الخاصة بالغزل، حيث تُوظّف الصور الحسية لتوضيح الانجذاب والإعجاب، مما يعكس قدرة الشاعر على الجمع بين الحس العاطفي والرمزية البصرية، فتتجلّى الصورة الشعرية في توحيد العاطفة والغزل الطبيعي في انسجام فني متكامل. وبالرغم مما سبق يجدرُ بنا أن لا ننسى أنَّ القيم الوجدانية والشعورية والعاطفية والخيال لا يمكن أنْ تصوغ لنا صورة شعرية لوحدها دون اللفظ والتعبير والبوح عن كل تلك المعاني لأنَّ ((تقصير اللفظ في تصويرها يحجب جزءاً من قيمتها، ويمنعه من الإيحاء، ويؤثر بالتالي على حكمنا على النّص الأدبي))(٧٢).

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات, والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين.

وبعد:

فبعد هذا العرض والتحليل لموضوع الصورة الشعرية ودورها في تشكيل البناء الفني للقصيدة في شعر علي بن أفلح العبسي، تبيّن أنَّ الشاعر امتلك قدرة فنية رفيعة على توظيف الصورة الشعرية في مختلف تجلياتها، فجعل منها وسيلةً للتعبير عن تجربته الشعورية، وأداةً فنية أسهمت في بناء قصيدته بناءً متماسكاً من حيث الشكل والمضمون. وقد جاءت صوره مزيجاً من الحسّ والخيال والعاطفة، مما أضفى على شعره طابعاً وجدانياً مميزاً، وعمقاً دلالياً يعكس نضج تجربته الفنية. ولقد كشفت الدراسة أن الصورة عند علي بن أفلح العبسي ليست مجرد تزيين لغوي أو زخرف بياني، بل هي عنصر جوهري في بنية القصيدة، تسهم في تماسكها الداخلي وفي نقل الانفعال الشعوري بصدقٍ وحرارة.

ومن خلال التحليل، أمكن الوقوف على عددٍ من النتائج الأساسية التي تبرز قيمة الصورة الشعرية في شعره، من أهمها:

١. أنَّ الصورة الشعرية عند علي بن أفلح تمثل الركيزة الفنية الأساسية في بناء قصيدته، فهي التي تمنح النص وحدته العضوية وانسجامه الدلالي.

٢. أنَّ الشاعر أعتمد على فنّ التشبيه في تشكيل صوره على طريقة القدماء من الإكثار منه واعتماده وسيلةً للتفاصيل، فضلاً عن أنّهُ أداةً تعبيرية لإظهار المعاني التي في الصدور.

٣. كانت حصّة الاستعارة أكثر من غيرها في استعمالات ابن أفلح ففيها التعبير الواسع وغزارة البلاغة في صورها ومدلولها المعنوي.

٤. استخدام الصور الكنائية والجنوح عن الحقيقة من خلالها لما يتناسب مع مراد الشاعر خصوصاً في الصور الإيحائية والرمز الشعري.

٥. أنَّ الشاعر اعتمد على الخيال المبدع في تشكيل صوره، فجاءت مبتكرة في تركيبها، متجددة في دلالتها، مع حفاظه

على أصالة اللغة ورصانتها.

٦. أنَّ العاطفة الصادقة كانت المحرّك الأساس لتكوين الصورة، إذ تنبثق الصور من التجربة الوجدانية، لا من الصنعة اللفظية أو التكلّف البياني.

٧. دور التجربة الشعورية في بناء الصورة ومن ثمّ تشكيل البناء الفني للقصيدة كونها المادة الخام التي تعتمد عليها أفكار الشعراء وتشكيل نصوصهم.

٨. أنَّ الشاعر استطاع عبر الصورة أن يعبّر عن مواقفه النفسية والإنسانية بعمق، سواء في الغزل أو الرثاء أو الهجاء، فكانت الصورة مرآةً لتجربته الذاتية.

٩. أنَّ الصور لديه تمزج بين الواقعية والرؤيا، فتجمع بين المشهد المحسوس والتأمل الذهني، مما يدل على وعيه الفني وقدرته على تجسيد المعنى في صورة نابضة بالحياة.

الهوامش:

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان , تحقيق: الدكتور إحسان عباس, دار صادر, بيروت, ج٣ _ ص٣٩١ .

(٢) الحِلّة: وهي علمٌ لعدة مواضع, وأشهرها حلة بني مزيد وإيّاها عنى المؤلف وهي مدينة كبيرة بين بغداد والكوفة لاتزال آهلةً معمورة, والسُّيفيّة: نسبةً إلى مؤسسها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس سنة ٤٩٥هـ . أنظر (معجم البلدان, لياقوت الحموي البغدادي , دار صادر , بيروت, ج٢_ ص٢٩٤).

(٣) خريدة القصر وجريدة العصر , لعماد الدين الأصفهاني الكاتب, تحقيق: محمد بهجة الأثري, مطبوعات المجمع العلمي العراقي, ١٩٦٤م, ج٢_ ص٥٢.

(٤) ينظر: ذيل تاريخ بغداد, للحافظ محب الدين ابن النجار البغدادي, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ج٣_ ص٢٠٨ .

(٥) ينظر: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد, انتقاه الحافظ شهاب الدين الدمياطي, تحقيق: محمد مولود خلف و الدكتور بشار عواد معروف, مؤسسة الرسالة, بيروت, ط١, ١٩٨٦م, ص٣٢٩.

(٦) ينظر وفيات الأعيان, ج٣_ص٣٩١.

(٧) ينظر خريدة القصر وجريدة العصر, ج٢_ص٦٤/ ج١_ ص١٤٣.

(٨) المصدر نفسه, ج٢_ ص ٦٤.

(٩) ينظر: ديوان ابن أفلح العبسي, تحقيق: إبراهيم صالح, الهيئة العامة السورية للكتاب, دمشق, ط١, ٢٠١٧م, ص٩.

(١٠) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم, لأبي الفرج ابن الجوزي, تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان,ط١, ١٩٩٢م, ج١٧_ص٣٣٨.

(١١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص, للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي, تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد, عالم الكتب, ١٩٤٧م, ج٣_ص٢٧٤.

(١٢) ينظر: المصدر نفسه, ج٣_ص٢٧٤.

(١٣) ينظر: خريدة القصر وجريدة العصر, ج٢_ص٥٣_٥٤.

(١٤) ينظر: ديوان ابن أفلح العبسي, ص١٤_٢٠.

(١٥) ذيل تاريخ بغداد, ج٣_ص٢٠٣.

(١٦) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم, ج١٧_ص٣٣٨.

(١٧) خريدة القصر وجريدة العصر, ج٢_ ص٥٢_٥٣.

(١٨) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد, ص٣٢٨.

(١٩) الحيوان, للجاحظ, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, القاهرة, مطبعة الحلبي وأولاده, ط٢, ١٩٦٥م, ج٣_ص١٣٢.

(٢٠) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر, د. عبدالقادر القط, مكتبة الشباب, ١٩٨٨م, ص٣٩١.

(٢١) السمات الفنية لمقطعات الشعر الأندلسي, في عصري المرابطين الموحدين, د. محمد شهاب أحمد, أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع, سورية, دمشق, ط١, ٢٠١٤, ص١٥٤.

(٢٢) الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري, علي البطل, دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع, ط٢, ١٩٨١م, ص٣٠.

(٢٣) الكامل في اللغة والأدب, للإمام أبي العباس المبرّد, تحقيق: محمد أحمد الدّالي, مؤسسة الرسالة ناشرون, بيروت, لبنان, ط٢, ٢٠٢٢م, ج٢_ ص٥٦١.

(٢٤) الإيضاح في علوم البلاغة, للخطيب القزويني, وضع حواشيه, إبراهيم شمس الدين, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط١, ٢٠٠٣م,ص١٦٤.

(٢٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه, للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني, تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم, المكتبة العصرية, بيروت,ط١, ٢٠٠٦م, ص٣٨.

(٢٦) ديوان ابن أفلح العبسي, ص٥٩.

(٢٧) هو الوزير الكامل أبو نصر أحمد ابن رأس الوزراء نظام الملك الحسن بن علي الطُّوسيُّ, نزيلُ بغداد ووزيرُ للخليفةِ وللسلطانِ المسترشد بالله/ ينظر: سير أعلام النبلاء, للإمام شمس الدين الذهبي, تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي, مؤسسة الرسالة ناشرون,ط٢, ٢٠٠٨م,ج٢٠_ص٢٣٦.

(٢٨) ديوان ابن أفلح العبسي, ص٣٨.

(٢٩) ينظر: البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية, د. بدوي طبانة, مطبعة الرسالة, ط٢/١٩٥٨م, ص٢٢٦.

(٣٠) ديوان ابن أفلح العبسي,ص٦٢.

(٣١) ينظر: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري, د. محمد مصطفى هدارة, دار المعارف, ١٩٦٣م, القاهرة, ص٥١٧.

(٣٢) ينظر: اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري, يوسف حسين بكار, القاهرة دار المعارف, ١٩٧١م, ص١٩٩.

(٣٣) ديوان ابن أفلح العبسي, ص٦٠.

(٣٤) المصدر نفسه, ص١٠٢.

(٣٥) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع, السيد أحمد الهاشمي, ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصُّميلي, المكتبة العصرية, صيدا, لبنان, ص٢٣٤.

(٣٦) ينظر: الاستعارة, جون مدلتون مرى, ترجمة: عبد الوهاب المسيري, مجلة المجلة, العدد ١٧٢, أبريل ١٩٧١م, ص٤٢.

(٣٧) ينظر: التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية, عدنان حسين قاسم, الدار العربية للنشر والتوزيع,ص١١٢.

(٣٨) جواهر البلاغة, ص٢٥٨.

(٣٩) ديوان ابن أفلح العبسي,ص٣٤_٣٥.

(٤٠) المصدر نفسه, ص٣٥.

(٤١) ابن التلميذ: هو أبو الحسن هبةُ الله ابن الصاعد المسيحيُّ الطبيب, قِسّيسُ النصارى وبقراطُ وقتِه أمين الدولة وصاحب التصانيف, كان كثير الأموال والتجمُّل, عاش أربعاً وتسعين سنةً, ومات سنة ستين وخمس مئة. سير أعلام النبلاء, ج٢٠_ص٣٥٤.

(٤٢) ديوان ابن أفلح العبسي, ص١٠٦_١٠٧.

(٤٣) ديوان ابن أفلح العبسي, ص٣٦_٣٧.

(٤٤) نقد الشعر, لقدامة بن جعفر, تحقيق, د. محمد عبدالمنعم خفاجة, دار الكتب العلمية, بيروت,ص١٥٧.

(٤٥) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى, د. محمد عبد المطلب, الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان, ط٢, ٢٠٠٧م, ص١٨٦–١٨٧.

(٤٦) الكناية: د. محمد جابر قياض، دار المنارة للتوزيع والنشر، جدّة، السعودية، ط١، ١٩٨٩م، ص٥٣.

(٤٧) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط١١، ٢٠٠٧م، ص٢٧١.

(٤٨) ديوان ابن أفلح العبسي، ص٩٣.

(٤٩) المصدر نفسه،ص٣٤.

(٥٠) البلاغة فنونها وأفنانها، ص٢٧٠.

(٥١) وهو عزيز الدين أبا نصر أحمد بن حامد الأصفهاني عمّ العماد الأصفهاني الكاتب .

(٥٢) ديوان ابن أفلح العبسي،ص٨٤.

(٥٣) جواهر البلاغة، ص٢٩٠.

(٥٤) ينظر: الكناية والتعريض، لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص٤٣.

(٥٥) الصورة في الشعر العربي، علي البطل، ص٢٥.

(٥٦) مقال العاطفة في فن الشعر، د. لطيفة حاسم التمار، مجلة الرأي، العدد ١٢١٧٩، الاحد/٤ نوفمبر، ٢٠١٢م.

(٥٧) ينظر: الأدب ومذاهب النقد فيه، رشيد العبيدي، مطبعة الفيض، بغداد، ط١، ١٩٥٤م، ص٢٤.

(٥٨) ديوان ابن أفلح العبسي، ص١٠٢.

(٥٩) الحريري: العلامة البارع ذو البلاغتين أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحريري صاحب المقامات ولد بقرية المشان من عمل البصرة، سير أعلام النبلاء، ج١٩ــ ص٦٠ــ٦١.

(٦٠) ديوان ابن أفلح العبسي، ص١١٣.

(٦١) المشان: قرية قريبة من البصرة بالعراق.

(٦٢) ديوان أبن أفلح العبسي، ص٦٩.

(٦٣) الأدب ومذاهب النقد فيه، ص٩٠.

(٦٤) ديوان ابن أفلح العبسي، ص٩٩ــ١٠١.

(٦٥) قضايا النقد الحديث، محمد صايل حمدان، دار الامل للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩١م، ص٦١.

(٦٦) ديوان ابن أفلح العبسي،ص٤٩.

(٦٧) ديوان ابن أفلح العبسي، ص٦٥.

(٦٨) التجربة الشعرية عند ابن المقرب مضمونها وبناؤها الفني، د. عبده عبدالعزيز قلقيلة، النادي الادبي بالرياض، ط١، ١٩٨٦، ص٦٧.

(٦٩) التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، د. بدوي طبانه، دار المريخ للنشر، الرياض، ط٣، ١٩٨٦م، ص٢٢٧.

(٧٠) ديوان ابن أفلح العبسي، ص١٠٥.

(٧١) ديوان ابن أفلح العبسي، ص٨١.

(٧٢) التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، ص٢٢٨.

المصادر والمراجع:

١. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د. عبدالقادر القط، مكتبة الشباب، ١٩٨٨م.

٢. الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، وضع حواشيه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٣. الأدب ومذاهب النقد فيه، رشيد العبيدي، مطبعة الفيض، بغداد، ط١، ١٩٥٤م.

٤. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، ١٩٦٣م، القاهرة.

٥. اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، يوسف حسين بكار، القاهرة دار المعارف، ١٩٧١م.

٦. البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، مطبعة الرسالة، ط٢/١٩٥٨م.

٧. البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان، ط٢، ٢٠٠٧م.
٨. البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط١١، ٢٠٠٧.
٩. التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، د. بدوي طبانه، دار المريخ للنشر، الرياض، ط٣، ١٩٨٦م.
١٠. التجربة الشعرية عند ابن المقرب مضمونها وبناؤها الفني، د. عبده عبد العزيز قلقيلة، النادي الادبي بالرياض، ط١، ١٩٨٦م.
١١. التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع.
١٢. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصُّميلي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
١٣. الحيوان، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مطبعة الحلبي وأولاده، ط٢، ١٩٦٥م.
١٤. خريدة القصر وجريدة العصر، لعماد الدين الأصفهاني الكاتب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٤م.
١٥. ديوان ابن أفلح العبسي، تحقيق: إبراهيم صالح، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠١٧م.
١٦. ذيل تاريخ بغداد، للحافظ محب الدين ابن النجار البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٧. السمات الفنية لمقطعات الشعر الأندلسي، في عصري المرابطين الموحدين، د. محمد شهاب أحمد، أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط١.
١٨. سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ناشرون،ط٢، ٢٠٠٨م.
١٩. الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، علي البطل، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨١م.
٢٠. قضايا النقد الحديث، محمد صابل حمدان، دار الامل للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩١م.
٢١. الكامل في اللغة والأدب، للإمام أبي العباس المبرّد، تحقيق: محمد أحمد الدّالي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٢٢م.
٢٢. الكناية: د. محمد جابر فياض، دار المنارة للتوزيع والنشر، جدّة، السعودية، ط١، ١٩٨٩م.
٢٣. الكناية والتعريض، لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٤. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، انتقاه الحافظ شهاب الدين الدمياطي، تحقيق: محمد مولود خلف و الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٩٢م.
٢٦. معجم البلدان، لياقوت الحموي البغدادي ، دار صادر، بيروت.
٢٧. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، ١٩٤٧م.
٢٨. نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، تحقيق، د. محمد عبد المنعم خفاجة، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٩. الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت،ط١، ٢٠٠٦م.
٣٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

المجلات والدوريات

٣١. الاستعارة، جون مدلتون مري، ترجمة: عبد الوهاب المسيري، مجلة المجلة، العدد ١٧٢، أبريل ١٩٧١م.
٣٢. مقال العاطفة في فن الشعر، د. لطيفة جاسم النمار، مجلة الرأي، العدد ١٢١٧٩، الاحد/٤ نوفمبر، ٢٠١٢م.

المنهج العقلي والاجتهادي في التفسيراتجاهات ومواقف «دراسة تحليلية مقارنة»

م.م. نور حسن جبار أحمد
جامعة ذي قار/ كلية العلوم الإسلامية



للمستخلص:
تختلف الآراء في القدرة على فهم النصّ القرآني؛ فمن الناس مَنْ يدّعي أنّه يفهم أكثره، إلاّ بعض الكلمات؛ ومنهم مَنْ يُقرّ بوجود صعوبةٍ في قراءة بعض سُوَره، فضلاً عن فهمها؛ ومنهم مَنْ يعتقد أنّه لا يُفهَم منه إلاّ الظاهر، وأمّا الباطن فلا يمكن فهمُه إلاّ بالرجوع إلى التفاسير . وقد اختلف العلماء في هذه المسألة فمِنْ قائلٍ: إنّ القرآن لا يمكن فهم شيء منه مطلقاً، حتّى مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾{الإخلاص: ١} إلاّ بتفسيرٍ من أهل بيت العصمة والطهارة(عليهم السلام)؛ وآخر يقول: إنّ فهم جميع آياته ميسورٌ لكلّ أحدٍ من الناس . وكلا القولين مجافٍ للحقيقة والصواب؛ ففي القرآن ناسخٌ ومنسوخ؛ وفي القرآن محكمٌ ومتشابه؛ ولآياته ظاهرٌ وباطن، وبالتالي فلا مناص من الرجوع إلى أهل الذِّكْر والراسخين في العلم؛ لبيان تأويله، وتفسير المتشابه من آياته . إذن إنّ فهم جميع آيات القرآن الكريم ليس ميسوراً لكلّ أحدٍ من الناس ولكنْ أن يُقال: إنّه لا يمكن فهم شيءٍ من القرآن، حتّى مثل قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ {الإخلاص: ١} ، إلاّ بتفسيرٍ وشرح وبيان فهو أيضاً غيرُ صحيح . كيف وقد نزل القرآن بياناً للناس؟! وقد قرأه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) على أصحابه، وشرح لهم آياته المُتشابهات وما ثُقِّل عليهم فهمُه، وأوكَل إليهم فهمَ البقيّة، اعتماداً على ذوقهم العربيّ السليم. وقد أمرنا أهلُ البيت(عليهم السلام) بعَرْض ما يُنقل لنا من رواياتهم كتاب الله فما وافق كتاب الله أخذنا به، وما خالفه علينا أن نضرب به عَرْض الجدار، ولا نقيم له وَزْناً أو اعتباراً. إذن، يتميّز الخطاب القرآني عموماً بسهولة فهم آياته، إلاّ أنّه لا إحاطةَ بمعاني هذه الآيات. فما يمكن همُه بشكلٍ مستقلّ هو الظاهر، وأمّا الباطن . والآيات المُتشابهات، والآيات المنسوخات، ونحوهما، فيحتاج إلى مَنْ يبيّنه ويشرحه، ألا وهو النبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهلُ بيته الكرام(عليهم السلام). وقد بذل علماء المسلمون جُهْداً كبيراً في تفسير القرآن الكريم، فتعدّدت التفاسير وتنوّعت، تبعاً لتنوُّع المناهج والاتّجاهات والأساليب المتّبعة في التفسير، ومن أبرزها : منهج تفسير القرآن بالقرآن؛ ومنهج التفسير بالمأثور عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه عند العامّة، وعن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمّة أهل البيت(عليهم السلام) عند الشيعة؛ والمنهج العقليّ؛ ومنهج التفسير بالرأي . والاتّجاه اللغويّ؛ والاتّجاه العلميّ؛ والاتّجاه الصوفيّ؛ والاتّجاه التاريخيّ؛ والاتّجاه الاجتماعيّ الإصلاحيّ؛ والمنهج الأدبيّ؛ وغيرها من المناهج.
الكلمات المفتاحية : المنهج، الاتّجاه، العقل، الاجتهاد، تفسير القرآن .

Abstract:
HIMITHIRWHI (Instruments Awa Aaa or 10: A and –A) Abjad Howes Abjad Howes Eagle iPhone or M – A Al Hayer –A – – Aha Shtan 1 aa Aa LET Moo A IR God The abstract differed opinions regarding the ability to understand the Qur'an text from among the people Those who claim to understand most of it, except for some words, and some of them admit that there is difficulty in reading some advice, in addition to understanding it; and some of them believe that only the outward one understands it, and the subconscious cannot be understood except by referring to the interpretations, and the scholars differed on this issue of security He said: The Qur'an can never understand the similarity of its Sunnah, in that it is like saying, "Say God is One" (The Specials: 1) except for an interpretation by the people of the House of Asa'a and the Purity (PBUH). And another says: Every one of the people can understand all of his verses, and both sayings are unfair of truth and right. In the Qur'an an abrogator and an abrogator In the Qur'an there is a sound and the similarity of its states, both outward and inward, and therefore there is no escape from refer–

ring to the people of remembrance and those who are well-established in knowledge to clarify its interpretation, and to explain the similarity from its verses. The Qur'an, even as it says: And say, He is God, one of the best. How was the Qur'an revealed to the people's statement ?! And he saw it and Sol (PBUH) to his companions, and explained the most important of his similar verses and what they had less to understand, or say to them the understanding of the rest, which are Quiz, depending on their Arab taste. Book, and is this Quran and sound? The generous one that is in our hands, so what our sister agreed with the narrations with him, and what he disagreed with, we have to strike the display of merit and not evaluate for him and I, or consider his permission. It is the phenomenon, and I am the inside. It is the verses that are similar and the words . sound? The generous one that is in our hands, so what our sister agreed with the narrations with him, and what he disagreed with, we have to strike the display of merit and not evaluate for him and I, or consider his permission. It is the phenomenon, and I am the inside. It is the verses that are similar and the words

Key words :method, direction, reason, ijtihad, interpretation of the Qur'an)

المُقَدِّمَة:

بسم الله الرحمن الرحيمالحمد لله رب العالمينوالصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

إنّ القرآن الكريم، كتاب الله المنزّل على نبيّه الأكرم محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو المهيمِن على ما سبقه من كتبٍ سماويّة مقدّسة، كصُحُف إبراهيم ، وزَبور داوود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى(عليهم السلام) قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَاإِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ { المائدة : ٤٨ }.وقد نُزِّل هذا الكتاب بلسانٍ عربيٍّ مبين، يفهمه أهلُ العربيّة أجمعون. وهكذا كان رسول الله محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأه على قومه، فيفهمونه، ويحفظونه، ويعملون به، وربما احتاج البعضُ القليل من آياته إلى شرحٍ وتفسير، فيتصدّى له النبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن بعده أئمّةُ أهل البيت(عليهم السلام)، الذين هم عِدْلُ القرآن، ومن بعدهم علماء الدين، الذين بذلوا حياتهم في تحصيل العلم والمعرفة و يحظى منهج التفسير العقلي (الذي عُرِّف بتعاريف كثيرة) بمنزلة خاصّة بين مناهج التفسير ، وقد اتّخذت المذاهب الكلامية (الشيعة ، المعتزلة ، الأشاعرة...) بإزاء هذا المنهج مواقف مختلفة ، وقد يطلق عليه في بعض الأحيان منهج التفسير الاجتهادي ، وقد يُذكر كأحد أقسام منهج التفسير بالرأي ، وقد يُنظر إليه بنظرة مساوية للاتجاه الفلسفي في التفسير . ولم يتعرض هذا المنهج للدراسة والتحليل إلا نادر ومن هنا . فلا بد من تعريف هذا المنهج تعريفا دقيقاً . وتقييمه تقييماً مناسباً . وسوف نقوم هنا بذكر التعريفات المختلفة للعقل . ومنهج التفسير العقلي . وسوف يتضح من خلال مناقشة أدلة الموافقين . والمخالفين ضرورة هذا المنهج في تفسير القرآن . واعتباره من المعايير في التفسير . واختلافه عن منهج التفسير بالرأي والتأويلات الفلسفية غير المناسبة للآيات القرآن .

المبحث الأول : المراد من التفسير العقلي الاجتهادي

لكي يتضح المقصود من منهج التفسير العقلي الاجتهادي لا بُد من بيان معنى هاتين المفردتين وهما :

أ – العقل : يستخدم العقل في اللغة في موردين :

١ –القوة المفكرة : والمقصود بها القوة المستعدة لحصول العلم وهي نفس ذلك الشيء الذي بفقدانه يرتفع التكليف عن الانسان ويسمى العقل الفطري .

٢– مدركات هذه القوة : أي العلوم التي يحصل عليها الانسان ويكتسبها بواسطة هذه القوة كالبراهين والقرائن العقلية ويسمى العقل الاكتسابي ويقسم الى عقل نظري اذا لم يكن الادراك متعلق بالعمل كحاجة الممكن الى العلة , وعقل عملي اذا كان الادراك متعلق بالعمل كقولنا العدل حسن والظلم قبيح (١).

ب– الاجتهاد :– إن استعمال الاجتهاد هنا أعم من الاجتهاد الاصطلاحي في علم الفقه والاصول – أي استنباط الحكم الشرعي من أدلته التفصيلية – وانما المقصود بالاجتهاد هنا هو التفسير الاجتهادي أي بذل الجهد الفكري واستخدام قوة العقل في فهم آيات القرآن ومقاصده , أي أن التفسير الاجتهادي يكون في قِبال التفسير النقلي ؛ ففي التفسير النقلي يتمّ التأكد على النقل أكثر من غيره , أمّا في التفسير الاجتهادي , فيتم التأكد على العقل والنظر والتدبر (٢).

نأتي الان لبيان منهج التفسير العقلي والاجتهادي للقرآن الكريم:–

أ– التفسير العقلي:– والمقصود به هو المورد الثاني العقل الاكتسابي أو المدركات وهو عبارة الاستفادة من وسائل عدة كالبراهين والقرائن العقلية القطعية لبيان مفاهيم ومقاصد الآيات وفي هذه الصورة يصبح العقل منبعاً وأداة لتفسير القرآن وتكون الاحكام والبراهين العقلية قرائن لتفسير آيات القرآن (٣).

ب– التفسير الاجتهادي:– والمقصود به هو المورد الاول من موارد العقل , العقل الفطري , أو قوة الفكر , وهو عبارة عن الاستفادة من قوة الفكر في تجميع الآيات مع الاستعانة بالروايات واللغة وغيرها , والاستنباط منها لتوضيح مفاهيم ومقاصد الآيات , وفي هذه الصورة يكون العقل دليلاً وكاشفاً .

وأن اطلاق التفسير العقلي على القسم (ب) يكون من باب المسامحة , وفي الحقيقة , فأن التفسير العقلي هو القسم (أ) فقط (٤).

المبحث الثاني : تاريخ العمل بالمنهج العقلي (نشوءه وتطوره)

في الواقع ان بعض آيات القرآن تتضمن براهين عقلية مثل الآية ((لو كان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا)) سورة الانبياء :٢٢ , وقد دعا القرآن الناس الى التفكر والتعقل والتدبر في آيات لله .

ويرجع تاريخ العمل بالمنهج العقلي الى زمن الرسول واهل البيت (عليهم السلام) والتابعين , ثم وصل إلى أوج تطوره في ما بعد على يد المعتزلة (٥) .

ويمكن ان نجد نماذج من التفسير العقلي في الاحاديث التفسيرية الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)

مثال : عن عبد الله بن قيس , عن أبي الحسن الرضا (ع) قال))بل يداه مبسوطتان)) المائدة : ٦٤ , فقلت : له يدان هكذا _ واشرت بيدي إلى يديه ؟ فقال : ((لا , لو كان هكذا كان مخلوقا)) (٦) .

ففي الحديث استفاد الامام (ع) من العقل في تفسير الآية ونفى اليد المادية عن الله سبحانه وتعالى ؛ لأن وجود مثل هذه اليد يستلزم الجسمية لله وهو منزه عن هذه الصفات سبحانه والمقصود من اليد هنا هو القدرة الإلهية (٧) .

ولذلك رأي المفسرون انه لابد من استخدام قوة العقل والفكر والاستدلال واستخدام القرائن العقلية في تفسير آيات القرآن , فقد ظهرت تفاسير عقلية عند الشيعة والسنة مثل: تفسير التبيان للشيخ الطوسي , ومجمع البيان للشيخ الطبرسي , وكذلك التفسير الكبير للفخر الرازي , ثم تطور هذا المنهج كثيرا في القرنين الأخيرين , وقد بلغ هذا التطور مدىً بعيداً في تفسير الميزان للطباطبائي , وروح المعاني للآلوسي , والمنار للشيخ رشيد رضا .

المبحث الثالث : أدلة جواز الاعتماد على المنهج العقلي في التفسير

١– القرآن الكريم : فقد اهتم القرآن الكريم كثيراً بدعوة الناس إلى التعقّل والتفكّر في آياته , بل ذمّ الذين لا يتدبرون القرآن .

٢– الروايات : يحتلّ العقل مكانة خاصّة في الأحاديث وله موقع متميّز فيها , فقد ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) أنه قال : ((يا هشام إن لله حُجّتين , حجّة ظاهرة وحجّة باطنة , فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة , وأمّا الباطنة

فالعقول)) (٨).فإذا كان العقل حجّة باطنة , وجب أن يكون الشيء الذي يُدركه ويحكم به بصورة قطعية , حجة على الإنسان , وواجب الاتّباع , وألّا فإن الحجية تصبح لا معنى لها .

٣- السيرة

نسب بعض العلماء هذا المنهج إلى النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام)، وهناك نماذج من هذا المنهج في أقوال الأئمة وأفعالهم , وهذا يدل على جواز ذلك المنهج في أقل التقادير , إضافة إلى السيرة المستمرة لكبار المفسرين .

٤- بناء العقلاء

يعتمد العقلاء في تفسير الكلام على التمسك بظاهره , واستخراج مقاصد المتكلم ومعاني كلامه عن طريق القواعد الأدبية , والدلالات اللفظية , والقرائن الموجودة . والمشرع الإسلامي لم يمنع من هذه طريقة العقلاء .

٥- قلة روايات التفسير

إنّ الروايات التفسيرية غير كافية ؛ لأنها قليلة , حيث لم ترد روايات تفسيريّة في جميع الآيات , أضف إلى ذلك , أنّ الكثير من هذه الروايات ضعيف وغير معتبر , فإذا حصرنا التفسير بالروايات فقط , فهذا يعني تعطيل كثير من الآيات , وهذا يتنافى مع الهدف القرآني وهو هداية البشر , فإذن لا يوجد طريق آخر غير التفكر والاجتهاد والاستنباط .

٦- إن جملة من آيات القرآن مما يصعب فهمها كالآيات المتعلقة بالغيبيات , كالعرش , والكرسي , يد الله , سميع وبصير , وإن محاولة فهمها دون الالتفات إلى القرائن والبراهين العقلية , يجر الإنسان إلى الانحراف في الفهم وينتهي به إلى التجسيم والتشبيه . والله منزه عن مثل هذه الأمور (٩).

(مناقشة أدلة الموافقين)

إنّ الاستفادة من البراهين العقلية والاجتهاد لا تعني الاستغناء عن المناهج الأخرى في تفسير القرآن , ولا تجعلنا نستغني عن مراجعة الآيات الأخرى والروايات المعتبرة , بل إنّ التفسير الاجتهادي الصحيح , هو قيام المفسر بعملية الجمع والاستنباط من الآية , بعد مراجعة القرائن النقلية والعقلية .

المبحث الرابع : المخالفين للمنهج العقلي ومناقشة أدلتهم

ذهب بعض آخر إلى عدم جواز الاعتماد على هذا المنهج في التفسير متمسكاً بجملة أدلة منها : ما روي عن الإمام السجاد (عليه السلام) أنّه قال : ((إنّ دين الله لا يُصاب بالعقول)) (١٠), وببعض الروايات التي تشير إلى عدم جواز تفسير القرآن إلّا بالأثر الصحيح والنص الصريح .

فإذاً منهج التفسير العقلي والاجتهادي طريق لا يوصل إلى نتيجة (١١) .

وفي الجواب عن هذا الدليل نقول : إنّ هذا النوع من الأحاديث صدر في وجه المخالفين لأهل البيت (عليهم السلام) ،والذين لم يلتفتوا إلى القرائن النقلية وكلام المعصومين (عليهم السلام) , والذين يفتقدون شرائط الاجتهاد ويستخدمون التفسير بالرأي (١٢) .

المبحث الخامس : أنواع التفسير العقلي

١- التفسير الاجتهادي

ويكثر استخدامه في عدة موارد :

أ- الجمع بين الآيات , أي تفسير القرآن بالقرآن .

ب- الجمع بين الروايات , ورفع التعارض بينها .

ج- الجمع بين أقوال المفسرين والخروج منها بنتيجة معينة .

د- فهم وتفسير الآيات التي لم يرد في شأنها رواية تفسيرية .

و- فهم مقاصد آيات القرآن والسور .

ز- فهم الدروس والعبر من القصص القرآني .

ح- فهم أبعاد وإعجاز القرآن (الإعجاز البلاغي , العلمي , و...) .

٢- الاستفادة من العقل البرهاني

وهذا المنهج يكثر استخدامه في موردين :

أ- الاستفادة من البراهين العقلية في فهم أفضل للآيات المتعلقة بالتوحيد , وبوجود الله سبحانه , كما هو الحال في برهان النظم الذي أشار القرآن إلى مصاديقه (وهو اوسع برهان اعتمد عليه القرآن في آياته وسوره في إثبات معرفة الله . والنظم : هو البحث في نظام الخلقة وأسرار الوجود وآيات الآفاق والأنفس) , وأمثلته في آيات عديدة . وأيضا في الآية ((لو كان فيهما ءآلهة إلّا الله لفسدتا)) {الأنبياء : ٢٢ } .

ب- الاستفادة من الأدلة والقرائن العقلية القطعية كقرينة على تفسير الآيات فكلما كان ظاهر الآية مخالفاً للدليل العقلي القطعي , يكون هذا البرهان قرينة على خلاف الظاهر , فنرفع اليد عن هذا الظاهر ونقوم بتأويله , كما في تفسير الآية ((يد الله فوق أيديهم)){ الفتح : ١٠ } .

فعقل الإنسان يحكم بأنّ الله تعالى ليس جسماً مادّياً , فليس له يد كيد الإنسان , وإلّا فإن ذلك يعني أنّ لله سبحانه وتعالى حداً قابل للفناء , وعلى هذا الأساس فإنّ المقصود من اليد هنا هو القدرة , وهذا البرهان هو نفسه المستخدم في الآيات التي تشير إلى أنّ لله سمع وبصر وحركة ((وَجَآءَ رَبُّكَ)) {الفجر : ٢٢} (١٣).

المبحث السادس : تعارض العقل مع النقل (والنقل هنا بقسميه القرآن والروايات)

١- التعارض الابتدائي الظاهري : أي تعارض آية , أو رواية مع حكم العقل في النظر الابتدائي . وهذا النوع يرتفع بعد التأمل والتدقيق في هذه المسألة , وفي الواقع , فإنّ كثيراً من التعارضات المتوهمة في خصوص العقل والقرآن , والعقل والروايات , هي من هذا الصنف .

٢- التعارض المستقر الواقعي : أي تعارض بعض آيات القرآن أو الروايات مع أحكام العقل , تعارضاً جدّياً لا يقبل الجمع . وفي هذه الصورة يُطرح بحث تعارض العقل والدين , وطرق حل هذا التعارض (١٣) .

المبحث السابع : علاقة العقل والدّين

يوجد هناك ثلاثة احتمالات في علاقة الدين والعقل وهي (١٤) :

أ- قد تكون المطالب الدينية مقبولة عند العقل : كإدانة الظلم ومدح العدل فهذه الأحكام تتطابق مع حكم العقل , بل إنّ عقل الإنسان يحكم بهذه الأحكام نفسها , وهذا مما لا اشكال فيه , والأحكام الاسلامية كالأومر والنواهي والمسائل التي تتضمنها الآيات والروايات , كلها من هذا الصنف .

ب- وقد تكون مرفوضة : أي المسائل الموجودة في الدين والتي تخالف العقل السليم والصريح , وهذا النوع لا وجود له في الدين ؛ لأن الدين وخصوصا الاسلام مطابق للفطرة والعقل . والله سبحانه وتعالى حكيم وهو سيد العقلاء , لا يمكن أن يصدر منه أمر مخالف للعقل , ومن جانب آخر , فإن العقل نفسه حجة باطنيّة كما أن الأنبياء حجة ظاهرية على الناس , وتعارض حجتين , معناه تعارض حكمين قطعيين , وهذا ينتهي إلى التناقض. وهذا غير صحيح . ولا بد من رفع مثل هذا التعارض الظاهري إن وجد . وهنا يوجد احتمالان :

الأول : إما الخطأ في المقدمات حكم العقل , أي أنه مبني على مقدمات خاطئة .

الثاني : وفي حال إذا ثبتت قطعية حكم العقل , فهذا يعني أن ظاهر الآية أو الرواية ليس مراداً للشارع , كما مر سابقاً في ظاهر الآية ((يد الله فوق أيديهم)) (الفتح : ١٠) .

ج- أو قد تكون فوق مستوى العقل : أي الأحكام والمسائل الموجودة في الآيات أو الروايات , والتي لا يمكن إدراكها بالنسبة لمعظم عقول البشر , بل تعتبر فوق مستوى العقل , ورغم أن العقل لا يحكم بضد هذه المسألة , ولكن لا يوجد دليل على قبولها أيضا .

مثلا : وجود الله من المسائل التي يثبتها ويقبلها العقل .

أمّا حقيقة الذات الإلاهية , وغيرها الكثير من الأحكام الواجبة والمحرمة مثلا : صلاة الظهر ، أربع ركعات وصلاة المغرب ثلاث ركعات , فلا يمكن للعقل إدراك ملاك هذه المسائل ودليلها , وفي الوقت نفسه لا يوجد دليل على استحالتها , أو عدم جوازها .

وفي النتيجة : ((كلّ ماحكم به العقل حكم به الشرع , والعكس صحيح , أي كلّ ماحكم به الشرع حكم به العقل)) .

الخاتمة والنتائج :

١ – التفسير العقلي له مكانة بين المناهج التفسيرية , وكان موضع مناقشة ونقض بين المذاهب التفسيرية, وكان موضع مناقشة ونقض بين المذاهب الاسلامية , وقد عُرضت له معان عدة .

٢ – تبيان معاني بعض الاصطلاحات مثل : المنهج , والتفسير , والعقل , وقد يراد بالعقل ؛ العقل الفطري , أو قوة الفكر , وأحياناً يراد بالعقل الاكتسابي , أو المدركات , والبرهان العقلي , وكلاهما يستخدم .

٣ – أرجعَ بعض العلماء تاريخ هذا المنهج إلى عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) , وإن كانت جذوره توجد في روايات أهل البيت (عليهم السلام) , وقد عُني بهذا المنهج كثيراً في عصر التابعين , ووصل أوج تطوره في القرون التالية .

٤ – اعتبر البعض ان المراد من التفسير العقلي , هو الاستفادة من أدوات البرهان , والقرائن العقلية , بينما هناك من يذهب إلى أن التفسير العقلي , هو الاستفادة من الفكر في جمع الآيات والاحاديث , وهناك من اعتبر كلا القسمين من أقسام التفسير ,وقد توصلنا في النهاية الى ان التفسير العلي هو القسم الأول فقط , ويطلق على الثاني من باب المسامحة .

٥ – استدل الموافقون على التفسير العقلي والاجتهادي بأدلة مقنعة من القرآن والروايات , وسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) , وأهل البيت (عليهم السلام) , وسيرة الصحابة ومفسري المسلمين , وبناء العقلاء , وقلة الروايات التفسيرية , ووجود بعض الآيات الغامضة في القرآن .

٦ – استدل المعارضون لاستخدام التفسير العقلي , والاجتهادي ببعض الاحاديث, وكذلك روايات منع التفسير. وقد أجيب على ذلك بأن الأحاديث ضعيفة , وأن المقصود بها نفي منهج المخالفين لأهل البيت (عليهم السلام) .

٧ – قسم المحققين التفسير العقلي إلى ثلاثة أنواع : تفريطي , وأفراطي , ومعتدل .

٨ – لا يوجد تعارض مستقر بين العقل والدين , وأما التعارض الظاهري إن وجد يمكن ارتفاعه بقليل من التأمل والتدقيق .

٩ – هناك ثلاثة احتمالات في علاقة الدين والعقل : وقد تكون المطالب الدينية مقبولة عنج العقل , أو مرفوضة , أو أنها فوق مستوى العقل , ولا وجود للنوع الثاني في الدين .

الهوامش :

١ – الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هجري), المفردات في غريب القرآن , ماد عقل , المكتبة المرتضوية , طهران , ١٣٣٢ ش .

٢ – معرفة , محمد هادي (ت ١٤٢٧ هجري), التفسير والمفسرون , ج ٢ , ص ٣٤٩ , دار الكتب الحديثة , ط٢ , ١٩٦٦ م .

٣ – جوادي آملي , عبد الله , تفسير تسنيم , ج١ , ص١٦٩ , ١٧٠ , مركز نشر إسراء , قم , ١٣٨٠ ش .

٤ – صدر الدين الشيرازي (ملا صدرا)(ت١٠٥٠هجري) , محمد بن ابراهيم , تفسير القرآن الكريم , ص ٢٠ , منشورات بيدار , قم , ط٣ , ١٣٦٦ ش .

٥ – الأيازي , سيد محمد علي , المفسرون حياتهم ومنهجهم , ص ٤٠ , طهران , نشر وزارة فرهنك وإرشاد اسلامي , ١٤١٤ هـ .

٦ – الحويزي العروسي (ت ١١١٢هجري), عبد علي بن جمعة , نور الثقلين , ج١ , ص ٦٥٠ , الحديث ٢٧٩ , المطبعة العلمية , قم , ط٢ , ١٣٨٣ هـ , ٥ مجلدات .

٧ – انظر : السيد الرضي (ت ٤٠٦ هجري), ترجمة : نهج البلاغة , ناصر مكارم الشيرازي ومساعديه , منشورات هدف , قم , من دون تاريخ .

٨ – الكليني , محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هجري) , أصول الكافي ,ج١ , ص ٦ , مكتب نشر فرهنك أهل بيت (ع), المطبعة الإسلامية , قم , ١٣٦١ ش .

٩- انظر : عميد الزنجاني (ت ١٣٩٩ هجري) , عباس علي , مباني وروشهاي تفسيري , ص ٣٣٣-٣٥١ , منشورات ط٤ وزارة فرهنك وإرشاد إسلامي , طهران .
١٠-المجلسي , محمد باقر (ت ١١١٠هجري), بحار الأنوار , ج٢ , ص٣٠٣ , المكتبة الإسلامية طهران , ١٣٥٨ ش .
١١انظر : الاسترابادي (ت١٠٢٣ هجري), شرف الدين , الفوائد المدنية , ص ٢٨ من دون ذكر الناشر وتاريخ النشر , الحر العاملي , محمد بن الحسن , الفوائد الطوسية , ص ٤١١ , دار احياء التراث العربي , بيروت , ط٤ , ١٣٩١ هـ , مجلد ٢٠ .
١٢-انظر : الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هجري), تفسير الصافي , ج١ , ص ٧٠ ,مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , بيروت , ط٣ , ١٣٦٦ ش .
١٣-انظر : الرومي , فهد بن عبد الرحمن ابن سليمان , منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير , ص ٤٩٧-٧١٩ , ط٣ مؤسسة الرسالة , بيروت , ١٤٠٧ ق .
١٤-انظر : الآلوسي , أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت١٢٧٠هجري), روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني , ج٩ , ص١٠٤ , دار الكتب الحديثة , ط٢, ١٩٧٦ م.

المصادر والمراجع :

• القرآن الكريم

١- الاسترابادي (ت١٠٢٣ هجري), شرف الدين , الفوائد المدنية , ص ٢٨ من دون ذكر الناشر وتاريخ النشر , الحر العاملي , محمد بن الحسن , الفوائد الطوسية , ص ٤١١ , دار احياء التراث العربي , بيروت , ط٤ , ١٣٩١ هـ , مجلد ٢٠ .
٢- الآلوسي , أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت١٢٧٠هجري), روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني , ج٩ , ص١٠٤ , دار الكتب الحديثة , ط٢, ١٩٧٦ م .
٣- الأيازي , سيد محمد علي , المفسرون حياتهم ومنهجهم , ص ٤٠ , طهران , نشر وزارة فرهنك وارشاد اسلامي , ١٤١٤ هـ .
٤- جوادي آملي , عبد الله , تفسير تسنيم , ج١ , ص١٦٩ , ١٧٠ , مركز نشر إسراء , قم , ١٣٨٠ ش .
٥- الحويزي العروسي (ت ١١١٢هجري), عبد علي بن جمعة , نور الثقلين , ج١ , ص ٦٥٠ , الحديث ٢٧٩ , المطبعة العلمية , قم , ط٢ , ١٣٨٣ هـ , ٥ مجلدات .
٦- الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هجري), المفردات في غريب القرآن , ماد عقل , المكتبة المرتضوية , طهران , ١٣٣٢ ش .
٧- الرومي , فهد بن عبد الرحمن ابن سليمان , منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير , ص ٤٩٧-٧١٩ , ط٣ مؤسسة الرسالة , بيروت , ١٤٠٧ ق .
٨- السيد الرضي (ت ٤٠٦ هجري), ترجمة : نهج البلاغة , ناصر مكارم الشيرازي ومساعديه , منشورات هدف , قم , من دون تاريخ .
٩- صدر الدين الشيرازي (ملا صدرا)(ت١٠٥٠هجري) , محمد بن ابراهيم , تفسير القرآن الكريم , ص ٢٠ , منشورات بيدار , قم , ط٣ , ١٣٦٦ ش .
١٠-عميد الزنجاني (ت ١٣٩٩ هجري) , عباس علي , مباني وروشهاي تفسيري , ص ٣٣٣-٣٥١ , منشورات ط٤ وزارة فرهنك وإرشاد إسلامي , طهران .
١١-الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هجري), تفسير الصافي , ج١ , ص ٧٠ ,مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , بيروت , ط٣ , ١٣٦٦ ش .
١٢ - الكليني , محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هجري) , أصول الكافي , ج١ , ص ٦ , مكتب نشر فرهنك أهل بيت (ع), المطبعة الإسلامية , قم , ١٣٦١ ش .
١٣-المجلسي , محمد باقر (ت ١١١٠هجري), بحار الأنوار , ج٢ , ص٣٠٣ , المكتبة الإسلامية طهران , ١٣٥٨ ش .
١٤-الكتب الحديثة , ط٢ , ١٩٦٦ م .-معرفة , محمد هادي (ت ١٤٢٧ هجري), التفسير والمفسرون , ج ٢ , ص ٣٤٩ , دار الكتب الحديثة , ط٢, ١٩٧٦ م .

الايرادات النفطية ودورها في تنمية الاقتصاد العراقي في ضوء مناقشات مجلس النواب العراقي١٩٣٣-١٩٣٩

م . حسن غانم عبد ردن
وزارة التربية/المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار



المستخلص:

يشكل النفط احد اهم القضايا التي شغلت الساحة السياسية في العراق خلال المدة ١٩٣٣-١٩٣٩ كونه يشكل مصدر مهم من مصادر الطاقة في العراق وحضيه باهتمام الدول الكبرى لما له من اهمية كبيرة في دعم اقتصاديات دول العالم ، وبما ان العراق يمتلك ثروة نفطية كبيرة فقد اصبحت انظار الشركات الاستثمارية الاجنبية الكبيرة تتجه بعروضها ذات المردود المالي من خلال منحها امتيازات تعمل على دفع عجلة الاقتصاد العراقي الى الامام في ظل الاوضاع الاقتصادية المتردية التي كان يشهدها العراق ، وكذلك حالة عدم الاستقرار المالي التي تواجهها الميزانية العامة للحكومة العراقية في ضل اعتمادها على عائدات الزراعة والتجارة والضرائب وغيرها مما يعرض الميزانية المالية للدولة الى حالة من العجز المالي بشكل متكرر في كل سنة مالية ، مما دفع بالكثير من اعضاء مجلس النواب العراقي الى مناقشة الابواب التي يتم من خلالها صرف العائدات النفطية ويعارضون استخدام هذه الواردات لتلافي العجز الذي يحصل في الميزانية العامة ، والعمل على سن قانون خاص بالمشاريع العمرانية التي يتم تمويله من الواردات النفطية مما جعل من الايرادات النفطية لها دور في تنمية الاقتصاد العراقي وتمثل احد اهم القضايا التي تم مناقشتها في مجلس النواب العراقي خلال المدة التي ترأس فيها الملك غازي عرش العراق .

الكلمات المفتاحية : الايرادات، المشاريع، الاستثمار النفطي.

Abstract:

Oil constituted one of the most important issues that occupied the political arena in Iraq during the period 1933–1939, as it constituted a significant source of energy in Iraq and attracted the attention of major powers due to its significant importance in supporting the economies of countries around the world. Given Iraq›s vast oil wealth, the attention of major foreign investment companies turned to their financially profitable offers, granting them concessions that would advance the Iraqi economy in light of the deteriorating economic conditions that Iraq was experiencing, as well as the financial instability facing the Iraqi government›s general budget, given its reliance on agricultural, trade, tax, and other revenues. This prompted many members of the Iraqi Parliament to discuss the channels through which oil revenues were spent, opposing the use of these revenues to avoid the deficit in the general budget. They also worked to enact a special law for urban projects financed by oil revenues, which made oil revenues play a role in developing the Iraqi economy and represented one of the most important issues discussed in the Iraqi Parliament during the reign of King Ghazi. Keywords: The Iraqi Parliament›s position on oil revenues 1933–1935, oil revenues and their role in supporting economic development projects 1936–1939, foreign oil investment companies in Iraq within the discussions of the Iraqi Parliament 1933–1939 .

Keywords: Revenues, Projects, Oil Investment.

اهمية البحث :

تأتي اهمية البحث من خلال تسليط الضوء على الايرادات النفطية التي شغلت مناقشات مجلس النواب العراقي باعتباره

من اهم مصادر الدخل الرئيسية والتي من شانها تنمية الموارد الاقتصادية في العراق واعتماد الحكومات العراقية المتعاقبة في تنفيذ مشاريعها التنموية على الصعيد الاقتصادي والسياسي ، وإعطاء رؤية واضحة للتوجهات المستقبلية .

هدف البحث :

ان الهدف من البحث هو بيان دور وأهمية العوائد النفطية ومدى مساهمتها في دعم وتطوير برامج التنمية الاقتصادية والكشف عن الالية والطرق التي كان يتبعها اعضاء مجلس النواب العراقي خلال المدة ١٩٣٣-١٩٣٩ ومداخلاتهم وبيان الجدوى الاقتصادية للاستفادة من الايرادات النفطية للنهوض بالقطاعات الاقتصادية الاخرى .

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في اعتماد الاقتصاد العراقي بشكل كبير على قطاع الزراعة والتجارة والضرائب في تنمية الاقتصاد العراقي ، ودخول النفط كممول رئيسي في دعم واسناد وتمويل المشاريع الاقتصادية الكبيرة التي من شأنها رفع مستوى الاقتصاد العراقي بشكل كبير ، وهذا بطبيعة الحال يتطلب مناقشة اقتصادية علمية من قبل المختصين في الجانب الاقتصادي من اعضاء مجلس النواب العراقي في وضع الخطط الكفيلة لتوظيف الايرادات النفطية ضمن المشاريع العمرانية التي من شأنها تنمية الاقتصاد العراقي بشكل كبير .

فرضية البحث :

يقوم البحث على فرضية مفادها أن الواردات النفطية تعمل على تنمية المشاريع العمرانية ذات المردود الاقتصادي الكبير والذي يساهم في دعم وتعزيز اعتماد الدولة العراقية على القطاع الزراعي والقطاع التجاري والضرائب في حال قيام السلطة التشريعية بتوظيف هذه الايرادات بشكل يتناسب مع اهميتها المالية لا من اجل معالجة العجز المالي للميزانية العامة للدولة او رصدها لمشاريع تكون بعيدة في تنمية اقتصاد الدولة .

المبحث الاول : موقف مجلس النواب العراقي من الايرادات النفطية ١٩٣٣-١٩٣٥

شكلت الايرادات النفطية(١) اهتماماً كبيرا لدى الكثير من اعضاء مجلس النواب العراقي بعد ان طرأ على الساحة الاقتصادية في العراق تحولات كبيرة في ظل العجز المالي الذي كانت تعانيه الميزانية العامة للدولة لسنة ١٩٣٢م ، دفع بتوجيه الايرادات النفطية للقيام بالأعمال العمرانية التي يتطلبها البلد من خلال توفير بنى تحتية ومواجهة خطر الفيضانات ودعم المشاريع الكبيرة التي من شأنها تساهم في تطوير الجانب الزراعي والتجاري احد اهم مصادر تمويل الميزانية العامة(٢).

لقد ساهمت الايرادات النفطية في تقليل الكثير من المشاكل التي تواجه الحكومة العراقية خلال تسلم الملك غازي(٣) ، عرش العراق على الرغم من ان الدولة العراقية كانت تعتمد في موازناتها على ايرادات الضرائب والرسوم الكمركية اكثر من النفط الا ان النفط بدأ يدخل تدريجياً كعامل اساسي من خلال تقليل العجز المالي الذي كان يعانيه العراق ، وكذلك منح الحكومة العراقية نوع من الاستقلالية في مواجهة الضغوط المالية البريطانية وقد بين وزير المالية ياسين الهاشمي ان الحكومة العراقية تعمل على اتباع « سياسة ادماج اعمال الانشاء والتعمير في ميزانية مستقلة وتحميلها على واردات النفط»،(٤) وخصوصا بعد تشكيل الوزارة الكيلانية الاولى (٢٥ اذار ١٩٣٣- ٨ ايلول ١٩٣٣) كما اكد ياسين الهاشمي الى ضرورة اتباع سياسة اقتصادية تقوم بحصر نفقات الميزانية الاعتيادية وكذلك العمل على حصر ايرادات النفط ضمن ميزانية الاعمال الرئيسية(٥)، والتي تصرف خلال خمس سنوات لان المبالغ المخصصة لها هي من واردات النفط وان المبالغ التي تتطلبها المشاريع الكبيرة لا يمكن تلافي نققاتها من الميزانية الاعتيادية وكذلك سد العجز الحاصل في الميزانية العامة لسنة ١٩٣٣(٦) ، في حين اشار نائب الكوت علي محمود الى ضرورة توخي الحكومة في استخدام الايرادات النفطية واستثمارها في مشاريع تعمل على تنمية الاقتصاد العراقي كاستثمار الاراضي الزراعية وتطويرها وكذلك تمويل مشاريع البنى التحتية مثل الطرق والجسور وسكك الحديد وكل شيء يحقق عائدات مالية لدعم الميزانية العامة للدولة ، وكذلك اكد على ضرورة الانفاق على التعليم والصحة والامتناع عن انفاق الاموال على مشاريع لا طائل منها كبناء

قصر او مخفر للشرطة(٧) ، وهذا ما ايده نائب الموصل عبد الله حافظ وأشار الى السياسة المالية للحكومة يجب ان تقوم بتخصيص الايرادات النفطية للمشاريع العمرانية الرئيسية فقط(٨) ، كما طالب مدير الايرادات العامة يوسف غنيمة « بوضع حد بين المشاريع التي يمكن ادخالها في الميزانية العامة الاعتيادية وبين المشاريع التي لا يمكن ادخالها في ميزانية الاعمال الرئيسية ، لان قانون الاعمال الرئيسية عمل على حصر واردات النفط ضمن ميزانية الاعمال الرئيسية»(٩) . كما اشار نائب المنتفق صالح جبر الى ان من يطلع على الميزانية العامة لسنة ١٩٣٤ المالية يرى ان واردات النفط حذفت منها لأنها غير مكلفة بديون مالية ولا تحتاج الى الايرادات المالية لسد اي عجز مالي فيها(١٠)، وبما ان عام ١٩٣٤ يعد نقطة لبداية تصدير النفط الخام العراقي والذي شهد انجاز خط انابيب النفط الناقلة عبر موانئ حيفا وطرابلس على البحر المتوسط بقيمة تصديرية بلغت قدرتها (٦٢٠) الف طن(١١)، فقد بين وزير المالية نصرة الفارسي في تقريره المفصل عن الميزانية العامة لسنة ١٩٣٤(١٢) ، بأن الواردات المالية غير الاعتيادية للدولة والمتمثلة بإيرادات النفط تم حصرها ضمن قانون ميزانية الاعمال الرئيسية وذلك لمنع صرف الايرادات النفطية على الامور الاعتيادية والتي يتم تمويلها من الميزانية الاعتيادية للدولة ، وهذا ما اكدت عليه حكومة جميل المدفعي عندما ارادت تدوير امور الدولة بمدخولاتها الاعتيادية وتخصيص المدخولات غير الاعتيادية لغرض القيام بالإعمال العمرانية الرئيسية(١٣) ، حيث ظهر لدى الحكومة العراقية في عام ١٩٣٤ اتجاه واضح نحو تنوع مصادر الدخل من خلال تخفيف الاعتماد على الزراعة والضرائب التقليدية مثل ضريبة الطابو وضريبة الاراضي وخصوصا بعد ان كانت مساهمة العوائد النفطية في الايرادات العامة للدولة العراقية بلغت في سنة ١٩٣٣ المالية (١٢,٩٢٪) وفي سنة ١٩٤٣ المالية بلغت النسبة (١٩,٦٩٪) الا ان هذه العوائد تذهب الى الاعمال العمرانية المزمع انشائها في البلد(١٤) ، في حين اشار النائب يوسف غنيمة خلال مناقشة ابواب الواردات الاعتيادية للميزانية العامة لسنة ١٩٣٥ بان زيادة حصة العراق من الايرادات النفطية تساعد العراق في تقليل الاعتماد الكلي على الضرائب التقليدية المتأتية من الزراعة والتجارة ، وبين رؤوف البحراني بأن العائدات المالية التي تستحصلها الحكومة العراقية من شركة نفط العراق للمشاريع الكبرى ستساهم بشكل كبير في تعزيز القدرات الاقتصادية للبلد في حال تم تخصيص جزء من تلك العائدات لدعم المشاريع التي من شأنها ترفع العائدات المالية للميزانية العامة مثل انشاء مشاريع الري والسدود وطرق النقل كما تساهم بشكل كبير في رفد وتنمية قدرات العراق الاقتصادية وذلك بسبب زيادة صادرات النفط العراقي ست مرات عن السنة السابقة والبالغة (٣،٥) مليون طن خلال عام ١٩٣٥(١٥)، لقد كانت ايرادات النفط العراقي محدودة الا انها مؤثرة في نفس الوقت حيث ساهمت بنوع من الاستقرار المالي ودعم المشاريع الاقتصادية ذات المردود المالي الا انها لم تحقق قفزة اقتصادية كبيرة مقارنة مع الايرادات العامة (الغير نفطية) (١٦) وكما هو مبين في الجدول رقم (١).

مساهمة العائدات النفطية وغير النفطية في الايرادات العامة للدولة العراقية
للمدة ١٩٣٣-١٩٣٥ (مليون دينار)(١٧)

جدول رقم (١)

السنة	الايرادات النفطية	الايرادات العامة	نسبة مساهمة النفط في الايرادات العامة %	الايرادات غير النفطية	نسبة مساهمة الايرادات غير النفطية في الايرادات العامة %
١٩٣٣	٥٣٦،٥	٤١٤٩،٤	١٢,٩٢	٣,٦١٣	٨٧,٠٨
١٩٣٤	٩٨٩،٥	٥٠٢٤،٥	١٩،٦٩	٤٠٣٥،٤	٨٠،٣١
١٩٣٥	٥٩٨،٥	٥٣٥٧،٥	١١،١٦	٤،٧٥٩	٨٨،٨٤

يتضح من الجدول اعلاه مدى مساهمة الايرادات النفطية في دعم الايرادات العامة للدولة وبنسب متزايدة خلال المدة (١٩٣٣-١٩٣٥) .

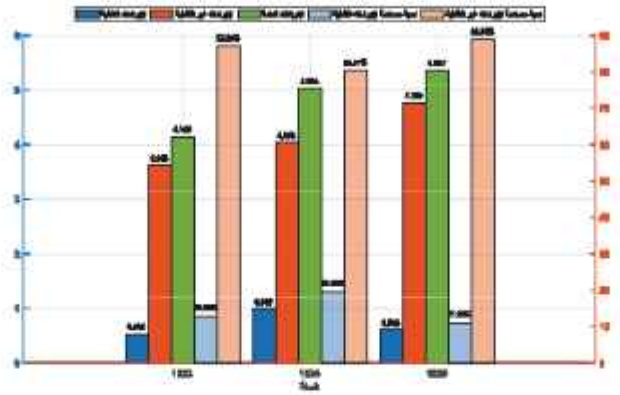

الرسم البياني من عمل الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (١)

المبحث الثاني : الايرادات النفطية ودورها في دعم المشاريع العمرانية الاقتصادية ١٩٣٦-١٩٣٩

عملت السلطة التشريعية في العراق على الرغم من الاوضاع الاقتصادية غير المستقر التي تشهدها الساحة السياسية بفعل الانقلاب السياسي لبكر صدقي عام ١٩٣٦ على اتباع سياسة مالية تقوم باستخدام الايرادات النفطية لانشاء مشاريع كبيرة داعمة للاقتصاديات التي تساهم في تمويل الميزانية العامة للدولة العراقية ، فقد ذكر وزير المالية رؤوف البحراني ان وزارته عملت على ادخال واردات النفط ضمن المدخولات الاعتيادية للميزانية العامة لسنة ١٩٣٦ المالية ، وذلك بسبب حاجة الدولة لتوسيع صنوف الجيش وتطويرها وكذلك الاهتمام بالجانب التعليمي والصحي ، بدل حبس هذه الواردات ضمن المشاريع العمرانية مثل مشروع الثلاث سنوات ومشروع الخمس سنوات والتي لم تنجز في سنة واحدة على الرغم من حاجة الدولة الملحة لها ، واضاف بان استرجاع اموال الايرادات النفطية من مدخولات المشاريع نفسها(١٨)، وهذا الامر وجد اعتراض كبير من النواب واولهم النائب علي محمود الذ طالب الحكومة بعدم ادخال واردات النفط ضمن الميزانية العامة(١٩) ، وهذا ما اكد عليه خطاب العرش الذي القي في افتتاح الدورة الثامنة في الثالث والعشرون من كانون الاول ١٩٣٧ على ان الحكومة اعدت منهج منقح للإعمال الرئيسية للنهوض بالواقع الاقتصادي للبلاد ورفع مستواها في شتى النواحي ويكون مداراً للعمل خلال السنوات الخمسة المقبلة وعلى ان يخصص لهذا الغرض ايرادات النفط ، وهذا ما اكد عليه النائب ابراهيم كمال على ان الحكومة تعمل على وضع منهاج للمشاريع العمرانية لمدة خمس سنوات وفق قاعدة تقديم الاهم على المهم وتكون القاعدة المالية التي يعتمد عليها هذا المنهاج مقصورة على واردات النفط وحصة الحكومة من شركة استثمار النفط البريطانية ، في حين بين نائب الموصل ضياء يونس بان العراق يمتلك ثروة نفطية كبيرة وان هذه الثروة كفيلة بسداد اي قرض مالي في حال اقدم العراق عليه لغرض تنفيذ المشاريع الاقتصادية الكبيرة ذات المردود المالي وان الاتفاقية النفطية مع شركة نفط العراق تستمر لمدة طويلة تتناسب مع المدة الطويلة التي يتطلبها تنفيذ تلك المشاريع(٢٠)، في حين قسم مجلس النواب العراقي المشاريع بحسب الكلف المالية وهذا ما اشار اليه عضو اللجنة المالية البرلمانية نائب البصرة سليمان فيضي بأن المشاريع التي تكون كلفتها اقل من خمسة آلاف دينار تدخل ضمن الميزانية الاعتيادية لغرض تنفيذها واما المشاريع التي تبلغ كلفتها اكثر من خمسة آلاف دينار فتدخل ضمن المشاريع العمرانية لثلاث سنوات ، او المشاريع العمرانية الرئيسية لخمس سنوات(٢١)، وهذا الامر لم يرحب فيه من قبل حكمت سليمان الذي عارض الخطة المؤدية الى ابقاء واردات النفط التي تقبض من الشركات خارج مدخولات الميزانية الاعتيادية للدولة ، وهذا الامر حصل على تأييد كبير من قبل مجلس الوزراء الذي وافق في التاسع من ايار عام ١٩٣٧ على اضافة ميزانية الاعمال العمرانية الرئيسية ولأول مرة ضمن لائحة قانون الميزانية العامة لسنة ١٩٣٧ المالية (٢٢)، فيما رحب نائب اربيل محمد علي محمود بتوقف العمل بقانون الاعمال الرئيسية والذي يشمل الخمس سنوات والثلاث سنوات الصادر في سنة ١٩٣٦ والحاقه بقانون الميزانية العامة للدولة في سنة ١٩٣٧ المالية والتي بلغت فيها واردات النفط بحسب تقرير اللجنة المالية الصادر في نيسان للعام ١٩٣٨ حوالي ست ملايين وتسعمائة

الف دينار(٢٣)، وصف النائب ابراهيم حاييم السياقات التي سارت عليها عملية اعداد الميزانية لسنة ١٩٣٨ لا تشبه سابقتها لان حصة الحكومة من شركة استثمار النفط البريطاني كان اعتمادها في سنة ١٩٣٧ ثلاثمائة الف دينار والتي تسربت على زمن الوزارات السابقة الى الرواتب والمخصصات وقد نقلت الى الاعمال العمرانية الرئيسية ، ووصف النائب مهدي كبة عمل الحكومة بقيامها بنقل حصتها من الايرادات النفطية العائدة لشركة استثمار النفط البريطانية من الميزانية الاعتيادية الى ميزانية الاعمال العمرانية الرئيسية هو ما امتازت به الميزانية العامة لسنة ١٩٣٨(٢٤) .

كما اكد رئيس لجنة الشؤون المالية البرلمانية ابراهيم حاييم بان الحكومة العراقية تأخذ ثمانمائة الف باون من شركة العراق ومئتان الف باون من شركة استثمار النفط البريطانية وتخصصها لتسيير الشؤون المالية لتنفيذ مقررات الاعمال العمرانية الرئيسية التي من شأنها ان تعود بمردودات مالية كبير تساعد في انشاء المشاريع الكبيرة ذات المردود المالي للدولة ، في حين كشف وزير المالية ابراهيم كمال في كلمة لهُ في الرابع من نيسان عام ١٩٣٨ بان مبالغ ايرادات النفط التي يتم رصدها للأعمال العمرانية تشكل ثلث الواردات العامة للدولة ، الا ان الاوضاع الاقتصادية غير المستقرة دفعت الحكومة بالاعتماد على المدخولات غير الاعتيادية لتلافي الاخطار المتمثلة بالعجز المالي الذي يهدد الاستقرار المالي للبلد(٢٥).

لقد بدأ العمل بإعداد منهج منظم لاصدار قانون مشروع الاعمال العمرانية الرئيسية لخمس سنوات في سنة ١٩٣٨ حيث تضمنت المادة الاولى من هذا القانون مبلغ قدره ثمان ملايين ومئتان وثلاثون الف دينار يتم توزيعها على اعمال الري والطرق والجسور من الايرادات المتأتية من النفط الذي يتم تصديره خارج العراق ، وحصل هذا القانون على نسبة ٩٦٪ من اعضاء مجلس النواب المؤيدين لصالح هذا القانون(٢٦) .

ويرى النائب محمد مهدي كبة بأن واردات العراق الاعتيادية هي غير كافية لسد الاحتياجات الضرورية التي تمس حياة المواطنين مثل الصحة والتعليم في ضل وجود ميزانية تعاني من عجز مالي كبير لذلك اوضح النائب محمد مهدي بأنه على الحكومة ان تقوم بتخصيص واردات الدولة غير الاعتيادية المتمثلة بالإيرادات النفطية على تنفيذ ما تراه مناسب من مشاريع اقتصادية ذات مردود مالي كبير يعمل على توفير العيش المناسب للمواطن ، على الرغم من وجود رغبة كبيرة لدى الحكومة ومجلس النواب في تقنين انفاق ايرادات النفط بحسب مناهج الاعمال العمرانية الرئيسية الا انها فشلت في احداث تغيير ملموس في الهيكل الاقتصادي والاجتماعي للبد على الرغم من ارتفاع كميات انتاج النفط الخام(٢٧)، وكما هو مبين في الجدول الاتي .

الجدول رقم (٢)انتاج النفط الخام في العراق واسعاره للمدة ١٩٣٦-١٩٣٩(٢٨)

السنة	انتاج النفط الخام (الف برميل / سنة)	اسعار النفط الخام بالدولار
١٩٣٦	٢٠٩١٤	-
١٩٣٧	٣١٨٣٦	١,١٨
١٩٣٨	٣٢٦٤٢	١,١٣
١٩٣٩	٣٠٧٩١	١,٠٢

على الرغم من اختلاف كمية انتاج النفط بين سنة واخرى اسعار النفط الا انه بداء يأخذ دوره الاقتصادي في دعم اقتصاد البلد

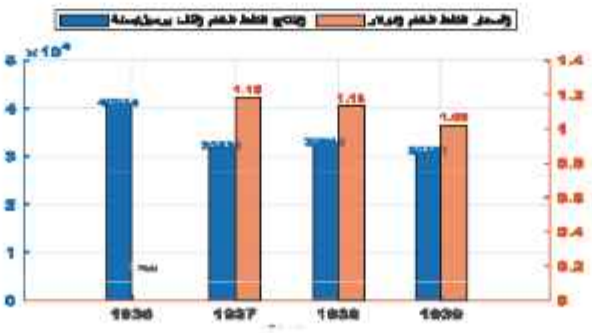

الرسم البياني من عمل الباحث من خلال الاعتماد على الجدول رقم (٢)

كما اخذت ايرادات العراق وعلى الرغم من محدوديتها بالارتفاع تدريجيا من ٢٠٠ الف دينار عراقي الى واحد مليون في عام ١٩٣٩ وعلى الرغم من ذلك فان هذه الايرادات اصبحت مورداً ثابتاً وموثوقاً في ميزانية الدولة العامة وكما هو مبين في الجدول التالي (مليون دينار)(٢٩).

الجدول رقم (٣)مساهمة العائدات النفطية وغير النفطية في الايرادات العامة للدولة العراقية للمدة ١٩٣٦-١٩٣٩

السنة	الايرادات النفطية	الايرادات العامة	نسبة مساهمة النفط في الايرادات العامة %	الايرادات غير النفطية	نسبة مساهمة الايرادات غير النفطية في الايرادات العامة %
١٩٣٦	٠،٦٠٠	٦،٠٢٧	٩،٩٦	٥،٤٢٧	٩٠،٠٤
١٩٣٧	٠،٧٣١	٦،٩١٧	١٠،٥٧	٦،١٨٦	٨٩،٤٣
١٩٣٨	١،٩٧٧	٧،٨٣٨	٢٥،٢٢	٥،٨٦١	٧٤،٧٨
١٩٣٩	٢،٠١١	٩،٢٠٨	٢١،٨٤	٧،١٩٧	٧٨،١٦

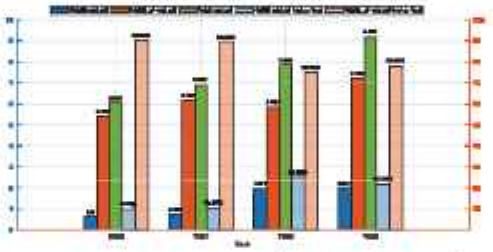

الرسم البياني من عمل الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (٣)

المبحث الثالث : الشركات الاجنبية الاستثمارية النفطية في العراق ضمن مناقشات مجلس النواب العراقي ١٩٣٣-١٩٣٩

لقد منحت الحكومة العراقية الشركات الاجنبية استثمارات عديدة في الاراضي العراقية وبما يخص النفط ومنها شركة النفط التركية(٣٠)، وشركة النفط الانكليزية الفارسية المحدودة(٣١)، وشركة نفط العراق التي حصلت على استثمار النفط العراقي في ٣٠ نيسان ١٩٣٢ (٣٢)، املاً في الحصول على ايرادات مالية يكون لها مردود مالي يعمل على دفع عجلت الاقتصاد العراقي الى الامام وكذلك يسهم في تغطية النفقات الحكومية من خلال سد العجز الذي قد يحصل في الميزانية الاعتيادية للدولة ، الا ان هذه الشركات واجهة اعتراضات عديدة من قبل اعضاء مجلس النواب العراقي بسبب عدم ايفائها ببعض شروط الاتفاقات المعقودة بين الحكومة العراقية وهذه الشركات حول تسديد المبالغ المالية خلال عملية تصدير النفط ، وكذلك طرق الترانزيت ، واسعار البانزين ، وتشغيل الايدي العاملة في هذه الشركات(٣٣).

لقد جرى خلاف حاد بين اعضاء مجلس النواب خلال مناقشة الميزانية العامة لسنة ١٩٣٣ المالية حول ارتفاع اسعار البانزين في العراق وأدان نائب الموصل سليم حسون تعامل الشركات الاجنبية قائلاً « بلية سوداء وجميع الدول في العالم حسدونا وقايضونا على كنوزنا الذهبية النفطية ، لكن عندما تخرج من بلادنا تكون قيمتها من قيمة الماء»(٣٤)، كما اشار وزير المالية ابراهيم كمال انه ليس من الحكمة بقاء النفط مطموراً تحت الارض على الرغم من اتضاح اهميته من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية التي وصفها بالخطيرة وانه على الحكومة الاستفادة من عروض امتياز الشركات الاجنبية(٣٥)، وقيام الحكومات السابقة في العراق بمنح الامتيازات للشركات النفطية في العراق ، وعلى الرغم من ذلك فقد اقدمت حكومة جميل المدفعي بمنح امتياز لشركة نفط البصرة ولجميع الاراضي التي لم تمنح للشركات السابقة وقد شملت مساحتها حوالي ٨٩٢٥٠ ميلاً مربع(٣٦)، وحينما بدأ مجلس النواب بمناقشة امتياز الشركة الاخير فقد جوبه بمظاهرات صاخبة في بغداد احتجاجاً على ابرام هذا الاتفاقية(٣٧)، وقد وصف ابراهيم كمال وزير المالية هذه الامتياز بأنه افضل مما سبقه من الامتيازات الاخرى التي قدمت الى العراق وجميع البلدان التي توجد فيها منابع النفط(٣٨) ، حيث ان النفط يدخل

في كثير من الصناعات ولذلك ذكر نائب بغداد طه الهاشمي بان الحاجة اصبحت ضرورية لاستخدام النفط في توسيع القاعدة الصناعية لغرض تغطية الطلب المحلي على السلع والبضائع والكف عن الاستيراد من الخارج اذا اراد العراق ان يصبح بلداً قوياً(٣٩) .

كما استمر الصراع بين الشركات الاستثمارية من اجل مناصفة الارباح فاصبحت حصص الشركات في نفط العراق كالتالي(٤٠) :

- شركة البترول البريطانية ٢٣,٧٥٪
٢- شركة شل الهولندية الملكية ٢٣,٧٥٪
٣- شركة البترول الفرنسية ٢٣,٧٥٪
٤- شركة استثمار الشرق الادنى ٢٣,٧٥٪ تملكها مناصفة (ستاندرنيوجرسي وشركة سوكوني موبيل اويل)
٥- شركة كولبنكيان ٥٪
المجموع ١٠٠٪

ان تقسيم الحصص على الشركات يبين عملية نهب وسرقة لنفط العراق ذي النوعية الجيدة وقلة تكاليفه ورخص ثمنه وقربه من سطح الارض (٤١). وكذلك بينت نجاح الشركات الامريكية في الفوز بنسبة كبيرة من نفط العراق تحت مظلة سياسة ((الباب المفتوح))(٤٢). كما تركز اهتمام الشركات الاجنبية في الحصول على امتيازات في بداية القرن العشرين على المنطقة الشمالية لتوفر معلومات اكيدة على وجود النفط وبكميات كبيرة(٤٣) ، وكما هو مبين في الجدول التالي

الجدول رقم (٤)حقول النفط الخام المكتشفة في العراق (٤٤)

اسم الحقل	تاريخ الاكتشاف	الاحتياطي النفطي مليار برميل
نجمة	١٩٣٤	٠,٨٠٧
سديد	١٩٣٥	٠,١٠
قصب	١٩٣٦	٠,٧٥
قليان	١٩٣٦	٠,١٠
جوان	١٩٣٧	١
عدية	١٩٣٨	٠,١٠
عين زالة	١٩٣٩	٠,٢٠

يتضح من خلال الجدول اعلاه مدى اهتمام الشركات الاستثمارية في التنقيب عن النفط في العراق خلال السنوات المذكورة وهذا يبين اهمية وجودة النفط العراقي .

اما المنطقة الجنوبية من العراق فلقد تقدمت طلبات عديدة من خارج العراق ومن داخله لغرض التحري عن النفط ومنها طلب شركة نفط بورما (وهي شركة بريطانية) للحصول على اجازة للتحري عن النفط في المنطقة وقدم مهندسو شركة نفط العراق تقريراً سري مفاده وجود كميات كبيرة من النفط في جنوب العراق(٤٥) ، وتقدمت طلبات من بعض المواطنين العراقيين ومن شركة نفط العراق وشركات المانية ايضاً (٤٦). حصلت شركة نفط العراق بالتعاون مع شركة نفط البصرة على الامتياز في ٤ كانون الاول ١٩٣٨ وحددت مدته بـ ٧٥ سنة وتشمل مساحته (٨٩,٢٥٠) ميلا مربعاً (٤٧). شمل الامتياز اراضي البصرة والاراضي الاخرى التي تشملها الامتيازات السابقة(٤٨).

لقد شكل امتياز شركة نفط البصرة حالة من عدم الرضى لدى في الكثير من النواب ووصفوه بانه صفقه خاسرة ، ومنهم النائب رستم حيدر مشيراً الى ان الظروف التي ادت الى منح الامتياز لشركة نفط البصرة كانت تختلف عن الامتيازات الاخرى حيث ان المفاوض كان في عهد الانتداب ضعيفاً بينما اصبح المفاوض في ضل الاستقلال اكثر قوة(٤٩)، في حين بدأ فعلياً الية تصدير النفط العراقي بواسطة شركة نفط البصرة بشكل رسمي في ايلول ١٩٣٤ مما شكل حالة من الاستغراب والعتب لدى الكثير من اعضاء مجلس النواب العراقي على الحكومة لعدم قيامها بتنظمين هذا الحدث المهم

ضمن خطاب العرش(٥٠) ،كما انتقد نائب بغداد طه الهاشمي الية الحكومة التي وقعت بها الامتياز مشيراً الى افضلية بقاء النفط داخل الارض محفوظاً للاجيال القادمة على ان يعطي للشركات بثمن بخس(٥١)، وكان من من جملة من وجه النقد لهذه الاتفاقية نائب المنتفك عبد المهدي مستغربا تبرير الحكومة خلال منحها الامتياز لشركة نفط البصرة بحجة سعيها لزيادة ايرادات الميزانية العامة وتوسيعها على الرغم من وجود بدائل اخرى لزيادة وارادات الميزانية من خلال الاعتماد على قطاع الصناعة والزراعة دون الركون الى هذه الصفقة الخاسرة(٥٢)، وطالب كذلك نائب بغداد محمود رامز الحكومة برفض هذه الاتفاقية(٥٣)، والتي تم التصويت عليها من قبل مجلس النواب العراقي في التاسع والعشرين من تموز ١٩٣٨(٣٤). كما وقد اضاف رامز بان نوري سعيد اضاف بندا الى اتفاقه مع شركة نفط العراق يلزم الشركة بإنشاء مصفى يؤمن للعراق شيئاً من احتياجاته وان الشركة تقوم باستيفاء ما انفقته من الحكومة العراقية(٥٥)، اضافة الى ان انشاء مصفى للنفط سيوفر مشتقات للنفط تعمل على سد حاجة المواطن على حسب رأي نائب البصرة توفيق السمعاني والذي اكد على ان امتياز شركة نفط العراق تالمعدل نص على ان تنشأ الحكومة مصفى للنفط في سنة ١٩٣٥ فاذا مرت هذه السنة فلا يكون للعراق الحق بأنشاء مصفى الا بعد مرور عشر سنوات(٥٦)، ولاهمية هذا المشروع فقد شدد نائب بغداد محمود رامز في الجلسة السادسة والعشرون من نيسان ١٩٣٨ على ان انشاء مصفى النفط سيكون مشروع ذات واردات مالية كبيرة تعود على الحكومة العراقية يمكن الاستفادة منها في تنمية قدرات العراق الاقتصادية ويزيد من واردات الخزينة (٥٧)، الا انه من اللافت للنظر تم التصويت على لائحة الامتيازات للشركة باغلبة النواب والموافقة عليها(٥٨)، وكذلك تم التصديق على شركة نفط العراق وشركة انماء النفط البريطاني في الثاني والعشرون من حزيران عام ١٩٣٩ حول القيام بعمل انتاج النفط(٥٩) وكما هو مبين في الجدول الاتي .

جدول رقم (٥)اجمالي الانتاج اليومي ومعدل النمو السنوي للمدة (١٩٣٣-١٩٣٩)(٦٠)

السنة	المعدل اليومي للانتاج	اجمالي الانتاج السنوي	نسبة التغير في الانتاج اليومي
١٩٣٣	١،٦	٤،٦٤٠	١٤،٤
١٩٣٤	١٦،٦	١٠،٦٦٢	١٣٠
١٩٣٥	٧٨،١	٣٩،١٦٩	٢٦٧،٤
١٩٣٦	٨٥،٧	٧٠،٥٣٥	٨٠،١
١٩٣٧	٩٢،٥	١٠٤،٢٦١	٤٧،٨
١٩٣٨	٩١،٤	١٣٧،٦٥٨	٣٢
١٩٣٩	٨٥،٥	١٦٨،٨٦٦	٢٢،٧

يتضح من الجدول اعلاه بان نسب انتاج النفط كانت في تزايد مستمر خلال مرحلة الانتاج اليومي للنفط وهذا الامر يبين مدى ارتفاع كمية احتاطي النفط من خلال نسب الانتاج السنوية المرتفعة

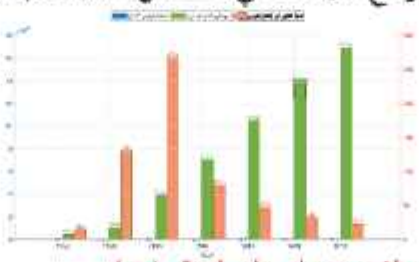

الرسم البياني من عمل الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (٥)

وقد تسببت هذه الاتفاقية فيما بعد في اقالة وزارة جميل المدفعي الرابعة (١٧ اب ١٩٣٧- ٢٥ كانون الاول ١٩٣٨) (٦١)، لأنها رفضت من قبل جماهير الشعب وبعض الاوساط الحكومية وبتدبير من قبل نوري السعيد للاستئثار بالسلطة تمت الاطاحة بالوزارة وبالفعل عهد الملك غازي إلى نوري السعيد بتشكيل الوزارة في اليوم الذي تلا سقوط وزارة المدفعي(٦٢).

الخاتمة :

تضمنت الخاتمة مجموعة من القضايا المهمة تم التوصل اليها من خلال البحث اهمها

١- شكلت الايرادات النفطية عاملاً اساسيا في دعم الاقتصاد العراقي وكذلك عملت في القضاء على العجز المالي الحاصل في الميزانية العامة للدولة .

٢- سخرت الحكومة الايرادات النفطية لتمويل المشاريع العمرانية والاقتصادية المهمة في البلد بغض النظر عن النتائج التي تترتب على ذلك الامر .

٣- قيام مجلس النواب العراقي بالمزج بين الطابع الحكومي والاقتصادي في اصدار القرارات التي من شأنها ان تحد من جشع وطمع الشركات الاستثمارية النفطية والايفاء بالتزاماتها المالية مع الحكومة العراقية .

٤- شكلت اراء ومقترحات الكثير من اعضاء مجلس النواب العراقي اثر بارز في وضع القرارات التي ساهمت بشكل كبير في تطوير القطاع النفطي في العراق .

٥- مثل النفط احد ابرز الجوانب الاقتصادية الذي جعل من العراق يقع تحت انظار اطماع الدول الاجنبية الكبرى وشركاتها الاحتكارية على الرغم الزيادة التي تشهدها العائدات المالية للنفط .

الهوامش:

(١) الايرادات النفطية : عوائد مالية تحصل عليها الدولة المنتجة والمصدرة للنفط الخام ومشتقاته ، وان هذه الايرادات تتناسب طردياً مع ارتفاع وانخفاض اسعار النفط فضلا عن مستوى الانتاج ودرجة التحكم والسيطرة من قبل السلطات الحكومية ، للمزيد من التفاصيل ينظر : عباس علي محمد ، قياس وتحليل اثر الايرادات النفطية على الموازنة العامة في العراق للمدة ٢٠٠٣-٢٠٢٢ ، مجلة العلوم الاقتصادية ، المجلد (٢٠) ، العدد (٧٨) ، ايلول ٢٠٢٥ ، ص٢٠٣ .

(٢) الميزانية العامة : بيان تفصيلي لمرحلة قادمة يتم مناقشته من قبل السلطة التشريعية ويتظمن تقديرات السلطة التنفيذية لنفقات وايرادات الدولة لمدة زمنية معينة ، للمزيد من التفاصيل ينظر : حسن غانم عبد ، الميزانية العامة في مناقشات مجلس النواب العراقي ١٩٣٣-١٩٣٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة ذي قار ، ٢٠١٨ ، ص٩ .

(٣) الملك غازي : ولد الملك غازي في مدينة مكة المكرمة في يوم ٢١ اذار عام ١٩١٢ ونشأ في رعاية جده الملك حسين بن علي ، وتوجد ملكاً على العراق في ١٨ ايلول عام ١٩٣٣ وتميز الوضع السياسي خلال مدة حكمه للعراق بعدم الاستقرار ، وتوفي في اسباب غامضة اثر حادث سيارة في الرابع من نيسان عام ١٩٣٩ ، للمزيد من التفاصيل ينظر : وئام شاكر غني عطرة ، موقف الملك غازي من سياسة بريطانيا اتجاه العراق ١٩٣٣- ١٩٣٩ ، مجلة كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، المجلد (٢٦) ، العدد (١) ، ٢٠١٥ ، ص٢١٩-٢٢٠ .

(٤) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة ١٩٣٣ ، الجلسة الثانية والعشرون المنعقدة بتاريخ ١ حزيران ١٩٣٣ ، ص٢٢٤-٢٢٦ .

(٥) ميزانية الاعمال الرئيسية : وهي ميزانية تتضمن كل ما له علاقة بتحسين البنى التحتية والمشاريع الاقتصادية ذات المردود المالي وانشاء الطرق والجسور ، للمزيد ينظر : https:ar.wikipedia.org.com

(٦) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة ١٩٣٣ ، الجلسة الثالثة والعشرون المنعقدة بتاريخ ٣ حزيران ١٩٣٣ ، ص٢٣٣-٢٣٥ .

(٧) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع غير الاعتيادي ، الجلسة التاسعة والثلاثون المنعقدة بتاريخ ٤ تموز ١٩٣٣ ص ٥٩٠-٥٩٢

(٨) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع غير الاعتيادي ، الجلسة التاسعة والثلاثون المنعقدة بتاريخ ٤ تموز ١٩٣٣ص ٥٩٥-٥٩٦ .

(٩) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع غير الاعتيادي ، الجلسة التاسعة والثلاثون المنعقدة بتاريخ ٤ تموز١٩٣٣ ص ٦٠٢-٦٠٣ .

(١٠) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٣ ، الجلسة الثانية والعشرون المنعقدة بتاريخ ٢٤ شباط ١٩٣٤ ، ص٢٠٦ .

(١١) محمد ازهر السماك ، البترول العراقي بين السيطرة الاجنبية والسيادة الوطنية ، الموصل ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٠ ، ص٢٤٥ .

(١٢) حيدر شلب وشكة ، ايرادات النفط في العراق وامكانات استخدامها في التوزيع الاقتصادي ، رسالة ماجيستير غير منشورة ، كلية الادارة والاقتصاد ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٥ ، ص٧٤ .

(١٣) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث ، ج٣ ، ط٤ ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص١٠٧-١٠٨ .

(١٤) حيدر شلب وشكة ، المصدر السابق ، ص٧٦ .

(١٥) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الخامسة، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٤ ، الجلسة العاشرة المنعقدة بتاريخ ٢٤ اذار ١٩٣٥ ، ص٣٦٢ .

(١٦) محمد ازهر السماك ، المصدر السابق ، ص٢٤٦ .

(١٧) حيدر شلب وشكة ، المصدر السابق ، ص٧٤ .

(١٨)م.م.ن ، الدورة الانتخابية السادسة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٥ ، الجلسة الثانية والثلاثون المنعقدة بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٣٦ ، ص٥٥٢ .

(١٩) م.م.ن ، الدورة الانتخابية السادسة ، المصدر السابق ، ص٥٥٦-٥٥٧ .

(٢٠) م.م.ن ، الدورة الانتخابية السادسة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٥ ، الجلسة الثالثة والثلاثون المنعقدة بتاريخ ٢٢ شباط ١٩٣٦ ، ص٧٥٠.

(٢١) م.م.ن ، الدورة الانتخابية السادسة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٥ ، الجلسة السابعة والثلاثون المنعقدة بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٣٦ ، ص٦٤١-٦٤٢ .

(٢٢) د. ك.و ، وحدة الوثائق ، ملفات البلاط الملكي ، رقم الملفة ٣١١/٤٦٧ ، عنوان الملفة : مقررات مجلس الوزراء لشهر ايار سنة ١٩٣٧ ، لائحة ميزانية الاعمال العمرانية الرئيسية لسنة ١٩٣٧ المالية المرسلة الى مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٣٧/٥/٩ ، و ٨ ، ص١٦ .

(٢٣) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٧ ، الجلسة الخامسة والعشرون المنعقدة بتاريخ ٤ نيسان ١٩٣٨ ، ص٢٩٥ .

(٢٤) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٧ ، الجلسة السابعة والعشرون المنعقدة بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٣٨ ، ص٣١٠ .

(٢٥) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٧ ، الجلسة الخامسة والعشرون المنعقدة بتاريخ ٤ نيسان ١٩٣٨ ، ص٢٩٦ .

(٢٦) الحكومة العراقية ، وزارة العدل ، مجموع القوانين والأنظمة لسنة ١٩٣٨ ، قسم القوانين ، ص٣٢٩ .

(٢٧) صلاح نعمان عيسى ، دراسات في الاقتصاديات والسياسات النفطية ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص١٩١ .

(٢٨) صلاح نعمان عيسى ، المصدر نفسه ، ص١٩٣ .

(٢٩) حيدر شلب وشكة ، المصدر السابق ، ص٧٤ .

(٣٠) شركة النفط التركية : هي الشركة التي تاسست من قبل البنك البريطاني عام ١٩١٢ وعرفت باسم البنك الوطني التركي وقد حصلت الشركة على امتياز من العراق للبحث والتنقيب واستغلال النفط في كل الاراضي العراقية وقد تغير اسمها بعد ذلك من شركة النفط التركية عام ١٩٢٩ الى شركة نفط العراق (I.P.C) ، حيث قامت الشركة باستخراج النفط لاول مرة في حقل باباكركر في عام ١٩٢٧ . للمزيد من التفاصيل ينظر: حسين علي محمد المرشدي ، السياسة النفطية لحكومة عبد الكريم قاسم ، ١٩٥٨-١٩٦٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة المثنى ، ٢٠١٦ ، ص١٤-٢٠ .

(٣١) شركة النفط الانكليزية الفارسية : وهي شركة تاسست في عام ١٩٠٨ بعد اكتشاف النفط في ايران حيث تم التعاقد معها في ٣٠ اب ١٩٢٥ لاستخراج النفط من الاراضي العراقي وكانت تدار من قبل بريطانيا ، للمزيد ينظر : https:ar.wikipedia.org.com

(٣٢) عبد الحسين عنبكي ، اقتصاد العراق النفطي فوضى تنموية .. خيارات الانطلاق ، مركز العراق للدراسات ، بغداد ٢٠١٣ ، ص١٥ .

(٣٣) لقد كان العراق يحصل على اربع شلنات ذهبية عن كل طن نفط خام ، الا ان هذه النسبة كانت غير مستقرة وترتبط بنسبة الانتاج واسعار السوق العالمي ، للمزيد من التفاصيل ينظر : كامل السامرائي ، القوانين الخاصة بالنفط ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص٦-٧ .

(٣٤) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثالثة ، الاجتماع غير الاعتيادي لعام ١٩٣٣ ، محضر الجلسة الثالثة والعشرون المنعقد بتاريخ ١٥ حزيران

١٩٣٣ ، ص ٣٣٧ .
(٣٥) نوري عبد الحميد خليل العاني ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠–٢٨١ .
(٣٦) حكمت سليمان ، نفط العراق دراسة سياسية اقتصادية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٩ ، ص١٤٣ .
(٣٧) عبد الرزاق الحسني ج٢ ، المصدر السابق ، ص٤٢ .
(٣٨) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثالثة ، الاجتماع الاعتيادي الثاني لعام ١٩٣٨ ، الجلسة الثالثة المنعقدة بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٨ ، ص١٨ .
(٣٩) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، اجتماع ١٩٣٨ الاعتيادي ، الجلسة الثالثة المنعقدة بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٨ ، ص٣٥،٣٢.
(٤٠) جوستورك ، ازمة الطاقة في الولايات المتحدة ونفط الشرق الاوسط ، ط١ (دار ابن خلدون للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤) ص٢٦ .
(٤١) صادق حسين السوداني ، لمحات وجيزة من نضال الشعب العراقي ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٢٣ .
(٤٢) سياسة الباب المفتوح :Open Door Policy أسلوب سياسي انتهجته بعض الدول في سياستها الخارجية ويقوم على تعهد الدول العظمى بعدم انفراد أية دولة على امتيازات تجارية أو صناعية أو سياسية . وقد بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بتطبيقه في الربع الثاني من القرن التاسع عشر . انظر : عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ج١ ، ط١ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٨٩) ، ص٤٥٣ .
(٤٣) عبد الوهاب الكيالي ، المصدر نفسه ، ص٤٥٥ .
(٤٤) محمد عيساوي ، اقتصاديات الشرق الاوسط ، ترجمة ، حسن محمد السلمان ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ص١٧٦ .
(٤٥) غسان غازي يوسف الجشعمي ، امتيازات شركات النفط في العراق ١٩٢٥–١٩٥٢ ، مجلة الباحث ، العدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الثالث ، ١٠ ايار ٢٠٢٢ ، د.ت ، ص٢١٣ .
(٤٦) نوري عبد الحميد خليل ، التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق ، ص٢٨١–١٨٣ .
(٤٧) محمد سلمان حسن ، نحو تأميم النفط العراقي ، ط١ ،(دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٧)، ص٨٤ .
(٤٨) صادق حسين السوداني ، المصدر السابق ، ص٤٥ .
(٤٩) المصدر نفسه ٣١–٣٥ .
(٥٠) جمال كمال حسن الحيالي ، كولبنكيان الصراع حول النفط ١٨٦٩–١٩٥٥ ومساعدات موسسته الخيرية للعراق ، مراجعة وتقديم الاستاذ نوري عبد الحميد خليل العاني ، مكتبة العاني ، بغداد ، ٢٠١٥ ، ص ١٨٠–١٨١ .
(٥١) كاظم جواد احمد الهيازعي ، دور نواب بغداد ١٩٢٥–١٩٣٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٤، ص٧٦ .
(٥٢) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، اجتماع ١٩٣٨ الاعتيادي ، الجلسة الثالثة المنعقدة بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٨ ، ص٣٧–٣٨ .
(٥٣) ماجد ناصر مجلي ، قضايا التنمية الاقتصادية في مناقشات مجلس النواب العراقي ١٩٢٥–١٩٤٥ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، ٢٠١٢ ، ص٢٠٨ .
(٥٤) صوت اعضاء مجلس النواب العراقي على الاتفاقية النفطية المعقودة بين شركة نفط البصرة والحكومة العراقية بنسبة سبعة وستون من اصل خمسة وسبعون نائب فيما امتنعض ثمان نواب عن التصويت وثمان وثلاثون نائب متغيب فقبلت الاتفاقية تمانياً بالأكثرية ، ينظر : م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، اجتماع ١٩٣٨ الاعتيادي ، الجلسة الثالثة المنعقدة بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٨ ، ص٣٩–٤١ .
(٥٥) م.م.ن ، الدورة الانتخابية السادسة ، اجتماع ١٩٣٥ الاعتيادي ، الجلسة الثالثة والعشرون المنعقدة بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٦ ، ص٣٤٤ .
(٥٦) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، اجتماع ١٩٣٧ الاعتيادي ، الجلسة الثلاثون المنعقدة بتاريخ ١٤ نيسان ١٩٣٨ ، ص٣٨٣ .
(٥٧) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، اجتماع ١٩٣٧ الاعتيادي ، الجلسة الرابعة والثلاثون المنعقدة بتاريخ في ٢٦ نيسان١٩٣٨ ، ص٤٤٧ .
(٥٨) م.م.ن. الدورة الانتخابية التاسعة ، الاجتماع غير الاعتيادي لعام ١٩٣٩ ، الجلسة الرابعة والمنعقد بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٣٩ ،

٥٤ .

(٥٩) حصلت هذه الاتفاقية على اغلبية الحضور من اعضاء مجلس النواب والبالغ عددهم ٦٩ صوتو لصالح هذه الاتفاقية . للمزيد ينظر : م.م.ن ، الدورة الانتخابية التاسعة ، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة ١٩٣٩ ، الجلسة الرابعة المنعقدة بتاريخ ٢٢ حزيران ١٩٣٩ ، ص٥٤ .

(٦٠) رحيم حسوني زيارة سلطان ، دور العوائد النفطية في تحقيق التنمية الاقتصادية في العراق للمدة (١٩٥١– ٢٠٠٨) ، اطروحة دكتوراة غير منشورة ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، ٢٠١٠ ، ص ٣٦–٣٧ .

(٦١) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، اجتماع ١٩٣٨ الاعتيادي ، الجلسة الاولى المنعقدة بتاريخ الاول من تشرين الثاني ١٩٣٨ ،ص١ .

(٦٢) شكل نوري سعيد وزارته الثالثة خلال المدة (٢٥ كانون الاول – ٦ نيسان ١٩٣٩) ينظر : عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٥ ، ص٤٨–٥٧ .

قائمة المصادر :

محاضر مجلس النواب :

(١) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة ١٩٣٣ ، الجلسة الثانية والعشرون المنعقدة بتاريخ ١ حزيران ١٩٣٣ .

(٢) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة ١٩٣٣ ، الجلسة الثالثة والعشرون المنعقدة بتاريخ ٣ حزيران ١٩٣٣ .

(٣) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع غير الاعتيادي ، الجلسة التاسعة والثلاثون المنعقدة بتاريخ ٤ تموز ١٩٣٣ .

(٤) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع غير الاعتيادي ، الجلسة التاسعة والثلاثون في ٤ تموز ١٩٣٣ .

(٥) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع غير الاعتيادي ، الجلسة التاسعة والثلاثون في ٤ تموز ١٩٣٣ .

(٦) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٣ ، الجلسة الثانية والعشرون المنعقدة بتاريخ ٢٤ شباط ١٩٣٤ .

(٧) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الخامسة، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٤ ، الجلسة العاشرة المنعقدة بتاريخ ٢٤ اذار ١٩٣٥ .

(٨) م.م.ن ، الدورة الانتخابية السادسة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٥ ، الجلسة الثانية والثلاثون المنعقدة بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٣٦

(٩) م.م.ن ، الدورة الانتخابية السادسة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٥ ، الجلسة الثالثة والثلاثون المنعقدة بتاريخ ٢٢ شباط ١٩٣٦ .

(١٠) م.م.ن ، الدورة الانتخابية السادسة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٥ ، الجلسة السابعة والثلاثون المنعقدة بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٣٦ .

(١١) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٧ ، الجلسة الخامسة والعشرون المنعقدة بتاريخ ٤ نيسان ١٩٣٨ .

(١٢) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٧ ، الجلسة السابعة والعشرون المنعقدة بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٣٨ .

(١٣) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٧ ، الجلسة الخامسة والعشرون المنعقدة بتاريخ ٤ نيسان ١٩٣٨ .

(١٤) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثالثة ، الاجتماع غير الاعتيادي لعام ١٩٣٣ ، الجلسة الثالثة والعشرون ، المنعقد بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٣٣ .

(١٥) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثالثة ، الاجتماع الاعتيادي الثاني لعام ١٩٣٨ ، الجلسة الثالثة المنعقدة بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٨ .

(١٦) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، اجتماع ١٩٣٨ الاعتيادي ، الجلسة الثالثة المنعقدة بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٨ .

(١٧) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، اجتماع ١٩٣٨ الاعتيادي ، الجلسة الثالثة المنعقدة بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٨ .

(١٨) م.م.ن ، الدورة الانتخابية السادسة ، اجتماع ١٩٣٥ الاعتيادي ، الجلسة الثالثة والعشرون المنعقدة بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٦ .

(١٩) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، اجتماع ١٩٣٧ الاعتيادي ، الجلسة الثلاثون المنعقدة بتاريخ ١٤ نيسان ١٩٣٨ .

(٢٠) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، اجتماع ١٩٣٧ الاعتيادي ، الجلسة الرابعة والثلاثون المنعقدة بتاريخ في ٢٦ نيسان ١٩٣٨ .

(٢١) م.م.ن. الدورة الانتخابية التاسعة ، الاجتماع غير الاعتيادي لعام ١٩٣٩ ، الجلسة الرابعة والمنعقد بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٣٩ .

(٢٢) م.م.ن ، الدورة الانتخابية التاسعة ، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة ١٩٣٩ ، الجلسة الرابعة المنعقدة بتاريخ ٢٢ حزيران ١٩٣٩ .

(٢٣) م.م.ن ، الدورة الانتخابية الثامنة ، اجتماع ١٩٣٨ الاعتيادي ، الجلسة الاولى المنعقدة بتاريخ الاول من تشرين الثاني ١٩٣٨ .

ملفات البلاط الملكي :

(١) د. ك.و ، وحدة الوثائق ، ملفات البلاط الملكي ، رقم الملفة ٣١١/٤٦٧ ، عنوان الملفة : مقررات مجلس الوزراء لشهر ايار سنة ١٩٣٧ ، لائحة ميزانية الاعمال العمرانية الرئيسية لسنة ١٩٣٧ المالية المرسلة الى مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٣٧/٥/٩ ، و ٨ .

وزارة العدل :
(١) الحكومة العراقية ، وزارة العدل ، مجموع القوانين والأنظمة لسنة ١٩٣٨ ، قسم القوانين ، ص٣٢٩ .

الرسائل والاطاريح :
(١) حسن غانم عبد ، الميزانية العامة في مناقشات مجلس النواب العراقي ١٩٣٣–١٩٣٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة ذي قار ، ٢٠١٨ .
(٢) حسين علي محمد المرشدي ، السياسة النفطية لحكومة عبد الكريم قاسم ، ١٩٥٨–١٩٦٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة المثنى ، ٢٠١٦ .
(٣) حيدر شلب وشكة ، ايرادات النفط في العراق وامكانات استخدامها في التوزيع الاقتصادي ، رسالة ماجيستير غير منشورة ، كلية الادارة والاقتصاد ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٥ .
(٤) رحيم حسوني زيارة سلطان ، دور العوائد النفطية في تحقيق التنمية الاقتصادية في العراق للمدة (١٩٥١–٢٠٠٨) ، اطروحة دكتوراة غير منشورة ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، ٢٠١٠ .
(٥) كاظم جواد احمد الحيازعي ، دور نواب بغداد ١٩٢٥–١٩٣٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٤ .
(٦) ماجد ثامر مجلي ، قضايا التنمية الاقتصادية في مناقشات مجلس النواب العراقي ١٩٢٥–١٩٤٥ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، ٢٠١٢ .

البحوث المنشورة :
(١) عباس علي محمد ، قياس وتحليل اثر الايرادات النفطية على الموازنة العامة في العراق للمدة ٢٠٠٣–٢٠٢٢ ، مجلة العلوم الاقتصادية ، المجلد (٢٠) ، العدد (٧٨) ، ايلول ٢٠٢٥ .
(٢) غسان غازي يوسف الجشعمي ، امتيازات شركات النفط في العراق ١٩٢٥–١٩٥٢ ، مجلة الباحث ، العدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الثالث ، ١٠ ايار ٢٠٢٢ .
(٣) ونام شاكر غني عطرة ، موقف الملك غازي من سياسة بريطانيا اتجاه العراق ١٩٣٣– ١٩٣٩ ، مجلة كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، المجلد (٢٦) ، العدد (١) ، ٢٠١٥ .

الكتب العربية :
(١) جمال كمال حسن الحيالي ، كولبنكيان الصراع حول النفط ١٨٦٩–١٩٥٥ ومساعدات موسسته الخيرية للعراق ، مراجعة وتقديم الاستاذ نوري عبد الحميد خليل العاني ، مكتبة العاني ، بغداد ، ٢٠١٥ .
(٢) جوستورك ، ازمة الطاقة في الولايات المتحدة ونفط الشرق الاوسط ، ط١ (دار ابن خلدون للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ .
(٣) حكمت سليمان ، نفط العراق دراسة سياسية اقتصادية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٩ .
(٤) صادق حسن السوداني ، لمحات وجيزة من نضال الشعب العراقي ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٧٩ .
(٥) صلاح نعمان عيسى ، دراسات في الاقتصاديات والسياسات النفطية ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص١٩١ .
(٦) عبد الحسين عنبكي ، فتصاد العراق النفطي فوضى تنموية .. خيارات الانطلاق ، مركز العراق للدراسات ، بغداد ٢٠١٣ .
(٧) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٥ .
(٨)عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث ، ج٣ ، ط٤ ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، ١٩٨٠ .
(٩) عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ج١ ، ط١ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٨٩) .
(١٠) كامل السامرائي ، القوانين الخاصة بالنفط ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٦٩ .
(١١) محمد ازهر السماك ، البترول العراقي بين السيطرة الاجنبية والسيادة الوطنية ، الموصل ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٠ .
(١٢) محمد سلمان حسن ، نحو تأميم النفط العراقي ، ط١ ،(دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٧) .
(١٣) محمد عيساوي ، اقتصاديات الشرق الاوسط ، ترجمة ، حسن محمد السلمان ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٦٦ .
(١٤) نوري عبد الحميد خليل ، التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق .

الموقع الالكتروني الانترنت :
https:ar.wikipedia.org.com

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

تطور العلاقات التركية – اليونانية بين عامي ١٩١٨ و١٩٤٥: من النزاع القومي إلى ملامح الحرب الباردة

الباحث: أحمد عبدالاله حميد
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الاساسية



المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة تطور العلاقات التركية – اليونانية خلال الفترة الممتدة من عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٤٥، وذلك من خلال تتبع الخلفية التاريخية للصراع بين البلدين، والنزاعات الإقليمية، والتحولات السياسية الكبرى التي شهدتها منطقة شرق البحر المتوسط خلال النصف الأول من القرن العشرين.

ينقسم البحث إلى أربعة مباحث رئيسية: المبحث الأول يعرض الخلفية التاريخية للعلاقات بين تركيا واليونان، بدءًا من الصراعات المبكرة والعلاقات العثمانية – اليونانية حتى عام ١٩١٣ . المبحث الثاني يركز على فترة النضال الوطني (١٩١٨–١٩٢٣)، ويتناول بداية الاضطهاد والحرب التركية – اليونانية، والتي شكلت نقطة تحول أساسية في مسار العلاقات الثنائية. المبحث الثالث يدرس العلاقات بين مؤتمر لوزان والحرب العالمية الثانية (١٩٢٣–١٩٣٨)، مع التركيز على أهم الأحداث والمعاهدات التي أثرت على توازن القوى في المنطقة. أما المبحث الرابع فيتناول العلاقات خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩–١٩٤٥)، وانعكاساتها على بدايات الحرب الباردة، وما نتج عنها من توترات سياسية وعسكرية بين البلدين.

يشير البحث إلى أن التوتر بين تركيا واليونان لم يكن فقط بسبب المنافسة على الموارد أو النزاعات الإقليمية، بل نتج عن تاريخ طويل من الصراع القومي والاختلافات الاستراتيجية، إلا أن الأحداث الكبرى مثل الكوارث الطبيعية والحروب العالمية أظهرت إمكانات للتعاون الإنساني والحوار.

يساهم هذا البحث في فهم أبعاد الصراع التركي – اليوناني وتحولاته التاريخية، ويتيح دراسة تأثير المعاهدات الدولية والسياسات الإقليمية على استقرار العلاقات بين البلدين، كما يسلط الضوء على الدور التاريخي للأزمات والحروب في إعادة تشكيل سياسات الدول تجاه بعضها البعض.

الكلمات المفتاحية: العلاقات التركية – اليونانية، النزاع القومي، مؤتمر لوزان، الحرب العالمية الثانية، بدايات الحرب الباردة، العلاقات العثمانية – اليونانية، النزاعات في بحر إيجة، الجغرافيا السياسية للبحر المتوسط

Abstract:

This study aims to examine the development of Turkish–Greek relations from 1918 to 1945 by tracing the historical background of the conflict between the two countries, regional disputes, and major political transformations in the Eastern Mediterranean during the first half of the twentieth century.

The study is divided into four main sections. The first section presents the historical background of Turkish–Greek relations, starting from the early conflicts and Ottoman–Greek relations up to 1913. The second section focuses on the National Struggle period (1918–1923), addressing the beginning of oppression and the Turkish–Greek War, which constituted a pivotal turning point in bilateral relations. The third section examines relations from the Lausanne Conference to World War II (1923–1938), highlighting major events and treaties that affected the regional balance of power. The fourth section discusses

relations during World War II (1939–1945) and their implications for the early stages of the Cold War, including the resulting political and military tensions between the two countries.

The study indicates that the tension between Turkey and Greece was not solely due to competition over resources or territorial disputes, but also stemmed from a long history of national conflicts and strategic disagreements. Nevertheless, major events such as natural disasters and world wars demonstrated the potential for humanitarian cooperation and dialogue.

This research contributes to understanding the historical dimensions and transformations of Turkish–Greek relations, examines the impact of international treaties and regional policies on bilateral stability, and highlights the role of crises and wars in reshaping state policies toward one another.

Keywords: Turkish–Greek Relations, National Conflict, Lausanne Conference, World War II, Early Cold War, Ottoman–Greek Relations, Aegean Disputes, Mediterranean Geopolitics

المقدمة:

منذ عدة سنوات تتصاعد حدة التوتر بين الدول المطلّة على البحر المتوسط بسبب التنافس المحموم على الثروات الاقتصادية الهائلة تحت الماء، إلا أن الفترة الحالية تشهد توتراً كبيراً بين تركيا وحلفائها في حكومة الوفاق الليبية وقبرص التركية من جهة، وبين مصر وإسرائيل واليونان وقبرص اليونانية من جهة أخرى، سيما بعد توقيع القاهرة وأثينا اتفاقيةً مشتركةً لترسيم الحدود المائية بين البلدين.

التوتر الذي يُخشى أن يصل إلى حد المواجهة العسكرية بين تركيا واليونان تحديداً، لا يعود إلى السباق على استخراج الثروات الطبيعية من البحر المتوسط فحسب، فبين أنقرة وأثينا عداءٌ تاريخي وخلافات كبيرة حول تقسيم الحدود البحرية منذ الحرب العالمية الأولى.

شهدت العلاقات التركية اليونانية تردياً ملحوظاً خلال العقد الأخير من القرن العشرين، بسبب القضية القبرصية وقضايا أخرى، منها التعاون الاستراتيجي بين أنقرة وتل أبيب ما أقلق اليونان وقبرص، وكان من نتائجه أن قبضت السلطات القبرصية على جاسوسين إسرائيليين أدينا بالتجسس لصالح إسرائيل، ومن ثم لصالح تركيا، حيث كانا يتجسسان على شحنة دبابات أمريكية طراز أم.٤٨ أرسلها الجيش اليوناني سرا، لدعم قواته المنتشرة في جنوب الجزيرة.

بدأت اليونان خلال هذه الفترة زيادة قدراتها المسلحة حيث تسلمت دفعة أولى من الصواريخ الروسية متوسطة المدى (TOM-١)، فضلاً عن ثلاثة أنظمة للصواريخ الأمريكية، من طراز باتريوت، حيث استلمت النظام الرابع عام ٢٠٠١، وقامت اليونان بنشر الصواريخ الروسية الجديدة في إحدى الجزر جنوب بحر إيجه، الأمر الذي عارضته الولايات المتحدة الأمريكية بعد أزمة الصواريخ الروسية (S-٣٠٠) التي أثيرت عام ١٩٩٨، ونشرتها اليونان في جزيرة كريت بدلاً من بحر ايجة تحت ضغط أمريكي وتهديد تركي، فضلاً عن دخول ثلاث فرقاطات بحرية جديدة الخدمة في البحرية

اليونانية. وقد جاء التسليح اليوناني في ظل شائعات ترددت حينها حول سياسة جديدة للحلف الأطلسي، تهدف إلى أضعاف سيطرة اليونان على بحر إيجه، ومنح تركيا حق الإشراف على المناورات البحرية في بحر ايجة.

لم يتوقع أحد أن تكون الكوارث سبباً في إحداث تغير في مواقف كل طرف إزاء الأخر، أو خلق حد أدنى من التلاقي وإمكان الحوار. غير أن زلزالاً مدمراً ضرب تركيا في أغسطس ١٩٩٩، راح ضحيته ١٧ ألف مواطن، فما كان من اليونان إلا أن أرسلت عدة طائرات تحمل مساعدات غذائية وايوائية و فرق إغاثة.

المبحث الأول: خلفية تاريخية

المطلب الأول: بداية العلاقات التركية – اليونانية

قبل الدخول في تفاصيل النزاعات بين الدولتين الجارتين، لا بد من الإشارة إلى أن اليونان – ذات الأغلبية السكّانية المسيحية – بدأت تدخل تحت الحكم العثماني بعد فتح السلطان محمد الفاتح للقسطنطينية في العام ١٤٥٣، حتى بسط العُثمانيون سيطرتهم على كامل التُراب اليوناني بحلول العام ١٤٦٠.

صورة تخيلية للجيش العثماني الذي قاده السلطان محمد الفاتح في معركة فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ (Wikimedia)

ورغم محاولة العثمانيين استيعاب اليونانيين وإيلائهم أهمية خاصة للكنيسة الأرثوذكسية، فإن اليونانيين استغلوا ضعف السلطنة وقاموا بثورة تنادي بالاستقلال عنها في العام ١٨٢١، ونجحوا بالفعل في تأسيس الدولة الهيلينية الأولى في العام ١٨٢٢، والتي تحولت لاحقاً إلى اليونان بعدما اضطر العثمانيون للاعتراف بانفصالها رسمياً في ١٨٣١.(١)

إذاً كما هو واضح، فإن استقلال اليونان عن الدولة العثمانية سبق اندلا ع الحرب العالمية الأولى قرابة قرنٍ من الزمن. لكن يبدو أن اليونانيين طمعوا في المزيد من الأراضي إبان هزيمة جارهم اللدود في الحرب العالمية، فقرروا احتلال الكثير من الجزر الواقعة في بحر إيجة والبحر المتوسط، واجتاحوا أجزاءً واسعةً من الأناضول، وسيطروا على على مدنٍ كبرى مثل إزمير ومانيسا وبورصا واسكي شهير، قبل أن يطردهم الأتراك بقيادة مصطفى كمال باشا، ويجبروهم على توقيع عددٍ من الاتفاقيات التي رسّمت حدود الجمهورية التركية الحديثة، لكنها أفقدت أنقرة بعض الجزر لصالح اليونان. (٢)

المطلب الثاني: العلاقة العثمانية – اليونانية حتى العام ١٩١٣

خضعت اليونان للسيطرة العثمانية منذ القرن الـ١٥ على يد السلطان محمد الفاتح، واستمر الحكم العثماني في اليونان حوالي قرنين من الزمن، واتسم بكثرة التوترات بين الدولة ورعاياها الجدد.

لم يكن اليونانيون موالين للدولة العثمانية بحكم اختلاف دينهم عن دين دولتهم المسلمة، فاتخذوا مواقف مُعادية لها، وتحالفوا في أكثر من مناسبة مع خصومها مثل البنادقة والروس، في الحروب بين العثمانيين وحكام البندقية، والحرب الروسية التركية (١٧٦٨ – ١٧٧٤)، كما نظم اليونانيون في تلك الفترة عدداً من الانتفاضات أبرزها انتفاضة الفيلسوف ديونيسيوس ضد الحكم العثماني.

وفي عام ١٨٢١، اندلعت حرب الاستقلال اليونانية التي استمرت لعدة سنوات، وكانت أبرز معاركها معركة «نافارين» عام ١٨٢٧، وهي مقتلة بحرية بين أساطيل الجيوش الإنجليزية والفرنسية والروسية من جهة، وبين الجيوش العثمانية والمصرية والجزائرية من جهة أخرى.

صورة تخيلية لإحدى معارك حرب الاستقلال اليونانية التي خاضها اليونانيون ضد الدولة العثمانية سنة ١٨٢١ (Wikimedia)

مني الأسطول العثماني بهزيمة كبيرة، اضطر بعدها السلطان محمود الثاني للموافقة على الاعتراف رسمياً باستقلال اليونان

بموجب «بروتوكول لندن» في العام ١٨٢٨، حتى استقلت اليونان رسمياً عام ١٨٣١.(٣)

تألفت الحدود الأولى للدولة اليونانية من البر الرئيسي اليوناني من مدينة آرتا في غرب اليونان إلى مدينة فولوس وسط البلاد، بالإضافة إلى جزيرة وابية وجزر سيكلاديز في بحر إيجة، فيما بقيت بقية الأراضي الناطقة باللغة اليونانية – بما في ذلك كريت وقبرص وبقية جزر بحر إيجة وإبيروس وثيساليا ومقدونيا وتراقيا – تحت الحكم العثماني، ومن هنا كانت بدايات أزمة ترسيم الحدود.

وفي فترة انشغال الدولة العثمانية في حرب القرم في العام ١٨٥٤، وفي الحرب التركية – الروسية في العام ١٨٧٧، وفي الفترة الممتدة بين عام ١٨٥٤ و١٨٩٦، اندلعت انتفاضات لليونانيين في الدولة العثمانية، خصوصاً في ثيسالیا ومقدونيا وإبيروس، مطالبين بالاستقلال عن «الباب العالي».

وفي عام ١٨٩٧، اندلعت انتفاضة في جزيرة كريت، أدت إلى قيام أول حرب بين الدولة العثمانية واليونان منيت فيها اليونان بهزيمة كبيرة، لكن العثمانيين خسروا حكم كريت بعدما تدخلت القوات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والروسية وأوقفت الزحف العثماني، وأُجبر العثمانيون على العودة لـ«معاهدة هاليبا»، التي تمت عام ١٨٧٨ بين الدولة العثمانية والمتمردين في جزيرة كريت، والتي تعطيهم الحق في الحكم الذاتي تحت السيادة العثمانية.(٤)

وفي عام ١٩٠٨، تسلم حزب الاتحاد والترقي وحركة «تركيا الفتاة» السلطة في الدولة العثمانية، وكان هدف قادتها إنشاء دولة قومية قوية محكومة مركزياً، لذلك شعرت الأقليات المسيحية في الدولة العثمانية بتهديد كبير، وعملت اليونان على تعزيز هذا الشعور لزيادة حدة التوتر.

ونتيجة لهذا التوتر، اندلعت حرب البلقان الأولى، في أكتوبر/تشرين الأول ١٩١٢، بين الدولة العثمانية ودول اتحاد البلقان وهي بلغاريا وصربيا واليونان والجبل الأسود، وانتهت في مايو/أيار ١٩١٣ بتوقيع «معاهدة لندن»، التي نتج عنها خسارة الدولة العثمانية لغالبية أراضيها في القسم الأوروبي، وكذلك بعض الجزر لصالح إيطاليا واليونان، مثل أرخبيل جزر دوديكانيسيا في بحر إيجة التي استولت عليها إيطاليا، وكان من المفترض أن تقوم إيطاليا بإرجاعها بموجب «معاهدة أوتشي» ١٩١٢، لكن لم يحدث ذلك، كما أدت الأحداث التي تلتها إلى قيام دولة ألبانيا.(٥)

الثاني: فترة النضال الوطني ١٩١٨–١٩٢٣

المطلب الأول: بداية الاضطهاد

بدأ في عام ١٩١٣، الاضطهاد المنظم للسكان المسيحيين في الإمبراطورية العثمانية، بما في ذلك الإغريق. دخلت اليونان الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٧ بهدف انتزاع القسطنطينية (إسطنبول) وسميرنا (إزمير) من العثمانيين، بتشجيع من بريطانيا وفرنسا، اللتين وعدتا اليونانيين في مرحلة معينة بقبرص أيضًا. ساهمت الإبادة الجماعية المستمرة للبونتيك اليونانيين في الإمبراطورية العثمانية بدور مهم في صدور هذا القرار. على الرغم من قلة الاقتتال المباشر بين اليونانيين والأتراك، فقد سارع اليونانيون في المطالبة بالأراضي التي وعدهم بها الحلفاء عند انهيار الإمبراطورية العثمانية في عام ١٩١٨. أعطت معاهدة سيفر ١٩٢٠ اليونان تراقيا الشرقية والتي تبلغ مساحتها حوالي ١٧٠٠٠ كيلومتر مربع في غرب الأناضول حول سميرنا. وقعت الحكومة العثمانية على هذه المعاهدة لكنها لم تدخل حيز التنفيذ قط، ولم يصدّق عليها البرلمان.(٦)

المطلب الثاني: الحرب التركية – اليونانية

توسعت مطامع اليونان في الأراضي العثمانية، بعد أن لاح في الأفق هزيمة دول المركز (ألمانيا والإمبراطورية النمساوية المجرية

والدولة العثمانية وبلغاريا) في الحرب العالمية الأولى، وهنا قررت اليونان دخول الحرب في عام ١٩١٧ ضد الدولة العثمانية بقصد السيطرة على القسطنطينية (إسطنبول) وازمير، وذلك بتحريض من البريطانيين والفرنسيين.

وبالفعل، احتلت اليونان إزمير في ١٥ مايو/أيار ١٩١٩، قبل أيام فقط من وصول مصطفى كمال إلى بلدة سامسون الساحلية على البحر الأسود (شمال الأناضول)، الذي بدأ حرب الاستقلال التركية في ١٩ مايو/أيار ١٩١٩، واستمرت حتى ٢٤ يوليو/تموز ١٩٢٣، بعد أن استقال من الجيش العثماني الذي أصبح يخضع لسيطرة دول الحلفاء (فرنسا وبريطانيا وروسيا وإيطاليا والولايات المتحدة واليابان)، ونظم قوات التحرير التي قاتلت اليونانيين والبريطانيين والفرنسيين والإيطاليين تحت قيادته.(٧)

تمكن مصطفى كمال باشا، الذي لقّب لاحقاً بـ«أتاتورك»، من طرد الأرمن من شرق الأناضول بعد توقيع «معاهدة لوزان»، وإلغاء «معاهدة سيفر» التي وقعها السلطان العثماني عام ١٩٢٠، وتضمنت التخلي عن جميع الأراضي العثمانية التي يقطنها غير الناطقين باللغة التركية إضافة إلى استيلاء الحلفاء على أراضٍ تركية.

وقد كانت هذه الفترة مليئة بالأحداث المفصلية في التاريخ التركي؛ إذ أسس مصطفى كمال باشا المجلس الوطني العظيم في أنقرة من ممثلي القوى الشعبية المشاركة في حرب التحرير، ليتحول إلى حكومة موازية للسلطان العثماني في إسطنبول. وفي العام ١٩٢٢، تمكن «أتاتورك» من خلع السلطان العثماني محمد السادس، وإلغاء السلطنة، وبعدها بعام أصبح أول رئيس لجمهورية تركيا الحديثة.

في يوليو/تموز ١٩٢٣، وقعت حكومة مصطفى كمال «معاهدة لوزان» التي كرست قيادته لتركيا باعتراف دولي، وتضمنت ١٤٣ مادة موزعة على ١٧ وثيقة ما بين «اتفاقية» و«ميثاق» و«تصريح» و«ملحق»، وتناولت هذه المواد ترتيبات الصلح بين الأطراف الموقعة على المعاهدة، وإعادة تأسيس العلاقات الدبلوماسية بينها «وفقاً للمبادئ العامة للقانون الدولي».(٨)

وبموجب هذه المعاهدة، تم تنظيم استخدام المضائق المائية التركية وقواعد المرور والملاحة فيها زمن الحرب والسلم، واحتوت نصوصاً تحدد شروط الإقامة والتجارة والقضاء في تركيا، وإعادة النظر في وضعية الدولة العثمانية ومآل الأراضي التي كانت تابعة لها قبل هزيمتها في الحرب العالمية الأولى خلال ١٩١٤ – ١٩١٨، وقد تم ترسيم الحدود مع عدد من الدول – أبرزها اليونان – وحافظت تركيا على ضم إسطنبول وتراقيا الغربية، وتضمنت بنوداً تتعلق بتقسيط ديون الدولة العثمانية.(٩)

المبحث الثالث: العلاقات التركية اليونانية من مؤتمر لوزان الى الحرب العالمية الثانية ١٩٢٣–١٩٣٨

المطلب الأول: مؤتمر لوزان

اثر انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ أبرمت الدول المتحالفة المنتصرة فيها «معاهدة سيفر» يوم ١٠ أغسطس/آب ١٩٢٠ فتقاسمت بموجبها أراضي الدولة العثمانية، وأعطت معظم القوميات غير التركية في الدولة العثمانية استقلالها، ولكن الأتراك رفضوا هذه المعاهدة وخاضوا حربا شرسة ضد الحلفاء حتى انتصروا عليهم انتصارا كبيرا، وخاصة على اليونان خلال حرب ١٩٢٢–١٩٢٣.(١٠)

وفي أعقاب ذلك عُقد «مؤتمر لوزان» الثاني الذي استمرت أعماله ثلاثة أشهر، وتمخض عن توقيع «معاهدة لوزان» يوم ٢٤ يوليو/تموز عام ١٩٢٣ في فندق «بوريفاج بالاس» بمدينة لوزان جنوبي سويسرا. وكانت أطراف المعاهدة القوى الاستعمارية المنتصرة بعد الحرب العالمية الأولى (خاصة بريطانيا وفرنسا وإيطاليا)، والإمبراطورية العثمانية التي ترأس وفدها

إلى المؤتمر عصمت إينونو.

وضعت هذه المعاهدة حدا لإمبراطورية الخلافة العثمانية التي كانت الدول الغربية تسميها آنذاك «الرجل المريض»، وأسست لقيام الدولة التركية القومية الحديثة بقيادة مصطفى كمال أتاتورك وعاصمتها أنقرة.

وقد سُميت «معاهدة لوزان الثانية» تمييزا لها عن اتفاقية لوزان الأولى (معاهدة أوشي) الموقعة في ١٨ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩١٢ بين إيطاليا والدولة العثمانية، والقاضية بانسحاب الأخيرة من ليبيا لصالح إيطاليا.

تضمنت «معاهدة لوزان» ١٤٣ مادة موزعة على ١٧ وثيقة ما بين «اتفاقية» و«ميثاق» و«تصريح» و«ملحق»، وتناولت هذه المواد ترتيبات الصلح بين الأطراف الموقعة على المعاهدة، وإعادة تأسيس العلاقات الدبلوماسية بينها «وفقا للمبادئ العامة للقانون الدولي».(١١)

كما نظمت استخدام المضايق المائية التركية وقواعد المرور والملاحة فيها زمن الحرب والسلم، واحتوت نصوصا تحدد شروط الإقامة والتجارة والقضاء في تركيا، وإعادة النظر في وضعية الدولة العثمانية ومآل الأراضي التي كانت تابعة لها قبل هزيمتها في الحرب العالمية الأولى خلال ١٩١٤–١٩١٨.

المطلب الثاني: أهم الاحداث خلال معاهدة لوزان

أبطلت المعاهدة العمل بـ«معاهدة سيفر» وبنودها المجحفة بحق الدولة العثمانية، وأسست لما عُرف لاحقا بـ«الجمهورية التركية» العلمانية بعد إلغاء نظام الخلافة الإسلامية، ورسّمت حدود اليونان وبلغاريا مع الدولة التركية التي حافظت على ضم إسطنبول وتراقيا الغربية، وتضمنت بنودا تتعلق بتقسيط ديون الدولة العثمانية.

وقضت بتخلي تركيا عن السيادة على قبرص وليبيا ومصر والسودان والعراق وبلاد الشام، باستثناء مدن كانت تقع في سوريا مثل أورفا وأضنة وغازي عنتاب وكلس ومرعش، وبتنازل الدولة العثمانية عن كافة حقوقها السياسية والمالية المتعلقة بمصر والسودان اعتبارا من نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩١٤.

ونصت معاهدة لوزان على حماية الأقلية المسيحية الأرثوذكسية اليونانية بتركيا والأقلية المسلمة باليونان، وألزمت الحكومة التركية بالمحافظة على حياة وحقوق وحرية جميع المواطنين ضمن أراضيها، وتمساواتهم أمام القانون بغض النظر عن الأصل والقومية واللغة والدين.(١٢)

كما ألزمتها بعدم وضع أي قيود على المواطنين في استخدام أي لغة يختارونها مهما كانت، سواء أكان ذلك في العلاقات الخاصة أم في الاجتماعات العامة أم في مجالات الدين والتجارة والإعلام والنشر. مع التأكيد على حقوق السيادة السياسية والاقتصادية للدولة التركية وإلغاء تطبيق نظام الامتيازات الأجنبية على أراضيها.

ومن أهم الآثار السياسية المترتبة على «معاهدة لوزان» الثانية –حسب السياسيين الأكراد– أنها كرست تناسي الكرد وحقوقهم حين تجاهلت منحهم الاستقلال بدولة قومية خاصة بهم، كما نصت عليه «معاهدة سيفر». وهو ما كان بداية لقضيتهم التي أصبحت مصدر قلق وتوتر للعديد من دول المنطقة وازدادت تعقيدا مع مرور الأيام، تاركة آثارا سياسية وانسانية كبيرة وخطيرة، وفق مراقبين.(١٣)

المبحث الرابع: العلاقات التركية اليونانية خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩–١٩٤٥

المطلب الأول: خلال الحرب العالمية الثانية

تحسنت العلاقات بين البلدين بعد الحرب العالمية الثانية وانضم البلدان الى حلف شمال الأطلسي في عام ١٩٥٢.

ولكن العلاقات بينهما تدهورت في الخمسينيات من القرن الماضي نتيجة الخلاف حول جزيرة قبرص وطرد اليونانيين من

تركيا في الستينيات والغزو التركي لشمالي قبرص عام ١٩٧٤ والمواجهة بين البلدين حول بحر إيجة.

غزت تركيا قبرص سنة ١٩٧٤ بدعوى حماية الأقلية التركية وظلت تركيا فى قبرص منذ ذلك الحين واعترفت بشمال قبرص كدولة ـ لم تعترف أى دولة أخرى بها ـ وبحقها فى التنقيب عن الغاز حول قبرص.(١٤)

بالنسبة لتركيا، قبرص كانت عملية أظهرت تركيا من خلالها أنها لن يتم إزاحتها مجددا من الجزر فى البحر المتوسط ـ على سبيل المثال، جزر دوديكانيسيا القريبة من رودس سيطرت عليها إيطاليا خلال حربها مع الإمبراطورية العثمانية سنة ١٩١٢ . واستولت إيطاليا أيضا على رودس، وبعد ذلك استولت عليها ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية، وبعد ذلك أصبحت جزءا من اليونان سنة ١٩٤٧ . تركيا الآن تقول، على الرغم من أن هذه الجزر جزء من اليونان، فإنه لا يمكن لليونان أن تستخدم هذه الجزر لتحديد حقوقها فى المياه حول الجزر. وبدلا من ذلك، يعطى الجرف القارى الممتد من تركيا حقا لأردوغان فى هذه المياه.

قرار تركيا بإعادة إحياء مطالبها فى البحر وإرسال قوات إلى ليبيا يجب أن ينظر إليه فى ضوء قرون من السياسات التركية منذ سقوط الخلافة العثمانية. العثمانيون خسروا ليبيا أمام الإيطاليين سنة ١٩١٢ .. والآن عاد العثمانيون.

لقد تلاعبت تركيا بسياساتها منذ انتهاء الخلافة العثمانية. فى عشرينيات القرن الماضى، كان يبدو أن الدولة ستتفكك. ولكن طردت تركيا اليونانيين وبدأت حملة من القومية التركية والعلمانية التى حلت محل الحكم الأوروبى فى إسطنبول ونتجت عنها الحدود الحالية للدولة. ولكن لم تكن أنقرة يوما راضية ولطالما شعرت أن قوتها السابقة تقلصت.(١٥)

المطلب الثاني: الحرب الباردة

خلال الحرب الباردة، كانت تركيا حليفا للولايات المتحدة وأيضا عانت من مشاكل وانقلابات داخلية. فى نفس الوقت، بدا أن جيران تركيا يتقدمون. فسوريا تحت حكم حافظ الأسد حاولت أن تكون جنة عربية للاشتراكية مستعيرة بالعادات القومية العلمانية الأوروبية ومزجها بالاشتراكية والقومية العربية. فكان يرغب بالتحديث والظهور بمظهر الدول الأوروبية مع طراز شيوعى وحشى مليء بالكثير من الدبابات السوفيتية وغيرها.. ولكنها غفلت الإجابة عن الأسئلة التى ظهرت بعد ١٩٢٠ . على سبيل المثال، ماذا عن الأكراد فى شرق سوريا؟ فلقد عاملهم نظام الأسد البعثى على أنهم غير موجودين، وقام بقمعهم وحرمان الكثير منهم من حقوق المواطنة.

كما تجاهل نظام الأسد القبائل العربية على طول نهر الفرات. ولذلك تطلعت هذه القبائل فى بعض الأحيان إلى عراق صدام حسين عبر الحدود وإنشاء علاقات ثقافية مع القبائل فى محافظة الأنبار. كان صدام حسين، مثله مثل الأسد، نتاجًا للعصر الثورى القومى العربى. فكل هذه الأنظمة، من الأسد إلى صدام إلى مصر، كانت رد فعل على الحقبة الاستعمارية البريطانية والفرنسية. لقد حلوا محل النظم القديمة الملكية والاستعمارية والقبلية.. فقد أرادوا الحداثة. (١٦)

بطريقة ما، كانت هذه ردود أفعال ضد القومية اليهودية للصهيونية وكذلك القومية التركية العلمانية لأتاتورك.. إذا كانت هناك دولتان يهودية وتركية، فسيكون هناك أيضًا مجموعة من الدول القومية العربية. لم يحل العراق أيدا المشاكل التى أثارها المستعمرون البريطانيون. أراد البريطانيون ضم الموصل إلى العراق حتى يكون هناك المزيد من العرب السنة لدعم الملك الهاشمى الذى اختاروه. كان الملك من السعودية وشقيقًا لملك الأردن فى ذلك الوقت. لكن بالنسبة للعراق، أصبح أول عراقى، هذا لم يعنى الكثير بالنسبة للأكراد فى الشمال، الذين أرادوا الحرية والاستقلال. ينسى أحيانًا أن دولة كردية مستقلة ـ سُميت جمهورية ماهاباد ـ قد نشأت فى عام ١٩٤٦ بعد الحرب العالمية الثانية. مثلما تغيرت السلطة فى رودس، أو مثل السؤال حول ما إذا هاتاى ستصبح جزءًا من تركيا أم لا، كانت هذه الجمهورية نتيجة ثانوية للأسئلة التى لم تحل

منذ عشرينيات القرن الماضي.

بدلا من حصول الأكراد على حريتهم وحقوقهم، أُجبروا على أن يكونوا جزءًا من الدول التي لم تريدهم أو تعترف بهم. قيل لهم إنهم قوميون عرب أو قوميون أتراك وليسوا أكرادا. أما بالنسبة للقوى الاستعمارية، لم يكن أمرهم مهما. بالنسبة للأنظمة القومية، كانوا صُداعًا. بالنسبة للولايات المتحدة والسوفييت في الحرب الباردة، كانوا أدوات تستخدم ويتم التخلص منها بعد ذلك.(١٧)

الخاتمة:

وتعمل اليونان في السنوات الأخيرة الماضية، على محاولة توسيع جرفها القاري، على الرغم من أن الجزر التي تسيطر عليها أكثر قرباً إلى تركيا منها إلى اليونان، وخلال الأيام الماضية، أعلنت اليونان ومصر توقيع اتفاقية لترسيم حدود المنطقة الاقتصادية الخاصة بالجرف القاري للبلدين، ولم يتم الإفصاح عن تفاصيل النص الرسمي للاتفاقية حتى الآن، ويعتبر الأتراك أن ذلك يهدف إلى محو الحدود البحرية بين تركيا وليبيا، فضلاً عن تضرر خط الملاحة التركي.

وسبق هذا الاتفاق بعدة أشهر اتفاقية أخرى وقعها قادة قبرص واليونان وإسرائيل، في ٢ يناير/كانون الثاني ٢٠٢٠ في أثينا لمد خط أنابيب الغاز المعروف بـ"إيست ميد"، بطول ١٩٠٠ كيلومتر لنقل الغاز الطبيعي من منطقة شرق البحر المتوسط إلى أوروبا.

وفي شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام ٢٠١٩، أبرمت الحكومة التركية مع حكومة الوفاق الليبية، اتفاقية ترسيم الحدود البحرية بين البلدين في البحر المتوسط، وأكد المسؤولون الأتراك أن هذه الاتفاقية تزود مصر بوسيلة ضغط ضد سلوك اليونان المتشدد، نحو جر مصر إلى اتفاقية مجحفة بحقها مع اليونان. النتائج

• يتجاوز الصراع التركي– اليوناني في العمق المشكلات والأزمات الطارئة بين البلدين لأسباب تاريخية حضارية وأخرى سياسية وجغرافية يكاد يكون من المستحيل حصرها وتسويتها. فهو صراع مقترن بتاريخ طويل من الص ارعات المريرة والعدوان والحروب بين شعبين مختلفين في القيم والمعتقدات الحضارية.

• بقيت مشكلة قبرص مثل مشكلة فلسطين في إطار مساعي الأمم المتحدة وقراراتها بلا حل وال حتى أفق للحل، لأنه كلما تقدمت المساعي والمقترحات خطوة للأمام سرعان ما تتراجع خطوات العتبارات كثيرة، ولكن أهمها عدم توافر الإرادة المحلية والإقليمية للوصول إلى حل.

• طموحات كل من الطائفتين القبرصية والتركية في الجزيرة واختلاف طبيعة تكوينهما وانتمائهما العقيدي والثقافي. فالجزيرة كانت مركز تلاقي الحضارتين المسيحية الأوروبية والإسلامية العثمانية، وكان يمكن أن يكون هذا التلاقي نموذجا لتعايش الحضارات، والوئام بين الطوائف والحوار السلمي في ضوء مبدأ الحرية والديمقراطية والتعددية السياسية والعرقية والثقافية ولكن هذا مازال متعثرا

• االختلاف التركي اليوناني في تلك المنطقة الحساسة استراتيجيا، على رغم عضوية الدولتين في حلف الناتو. جمد هذا االختلاف بتقارب تركي يوناني في أواخر القرن

الهوامش:

(١) ابراهيم حميد احمد جاسم، القضية القبرصية و الصراع التركي اليوناني في ظل الموقف الدولي ١٩٦٠–١٩٩٤ ، مركز بابل للدراسات الحضارية و التارخية، جامعة بابل، ص٣٤

(٢) شاقوري عبد القادر، الصراع اليوناني التركي حول قبرص و بحر ايجه، مذكرة نيل شهادة ماجيستر في العلوم السياسية، جامعة الجزائر: ٢٠٠٤–٢٠٠٥، ص٤٥

(٣) نوري كاظم، قبرص المقسمة بين الحوار التركي – اليوناني العقيم ومصالح الدول الكبرى،جريدة العرب الدولية، الشرق الاوسط، العدد٧٩٧٧ ، ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٠، ص٧٨

(٤) احمد نور النعيمي،العلاقة التركية الروسية دراسة في الصراع والتعاون، جامعة بغداد، ١/١/٢٠١١ ص٧٨

(٥) الاستوس دوروس، ترجمة محمد أمين عبدالله مراجعة أحمد سعيدعبدالحليم «حرب العصابات في قبرص»، القاهرة، ١٩٦٠ ، ص٤٥

(٦) دنكتاش رؤوف، ترجمة عدنان حطيط ، المثلث القبرصي بيروت ، ١٩٩٠ص٩٠

(٧) النعامي صالح ، اكتشافات الغاز الاسرائيلي قيمة إستراتجية وتداعيات إقليمية ،القاهرة :المركز العربي للابحاث و دراسات سياسية،٢٠٠١ ص٧٨

(٨) يرودي عبد الله، تحليل سياسات روسيا وتركيا عالقات متطورة وطموحات متنافسة، قطر:المركز العربي للابحاث ، ٢٠١٥، ص٦٥

(٩) يرودي عبد الله، تحليل سياسات روسيا وتركيا عالقات متطورة وطموحات متنافسة، قطر:المركز العربي للابحاث ، ٢٠١٥، ص٦٥

(١٠) ابراهيم حميد احمد جاسم، القضية القبرصية و الصراع التركي اليوناني في ظل الموقف الدولي ١٩٦٠-١٩٩٤ ، مركز بابل للدراسات الحضارية و التاريخية، جامعة بابل، ص٣٤

(١١) شاقوري عبد القادر، الصراع اليوناني التركي حول قبرص و بحر ايجه، مذكرة نيل شهادة ماجيستر في العلوم السياسية، جامعة الجزائر:٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص٤٥

(١٢) نوري كاظم، قبرص المقسمة بين الحوار التركي – اليوناني العقيم ومصالح الدول الكبرى،جريدة العرب الدولية، الشرق الاوسط، العدد٧٩٧٧ ، ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٠، ص٧٨

(١٣) احمد نور النعيمي،العلاقة التركية الروسية دراسة في الصراع والتعاون، جامعة بغداد، ١/١/٢٠١١ ص٧٨

(١٤) ألاستوس دوروس، ترجمة محمد أمين عبدالله مراجعة أحمد سعيدعبدالحليم «حرب العصابات في قبرص»، القاهرة، ١٩٦٠ ، ص٤٥

(١٥) دنكتاش رؤوف، ترجمة عدنان حطيط ، المثلث القبرصي بيروت ، ١٩٩٠ص٩٠

(١٦) النعامي صالح ، اكتشافات الغاز الاسرائيلي قيمة إستراتجية وتداعيات إقليمية ،القاهرة :المركز العربي للابحاث و دراسات سياسية،٢٠٠١ ص٧٨

(١٧) يرودي عبد الله، تحليل سياسات روسيا وتركيا عالقات متطورة وطموحات متنافسة، قطر:المركز العربي للابحاث ، ٢٠١٥، ص٦٥

المراجع:

- ابراهيم حميد احمد جاسم، القضية القبرصية و الصراع التركي اليوناني في ظل الموقف الدولي ١٩٦٠-١٩٩٤ ، مركز بابل للدراسات الحضارية و التاريخية، جامعة بابل، ص٣٤
- شاقوري عبد القادر، الصراع اليوناني التركي حول قبرص و بحر ايجه، مذكرة نيل شهادة ماجيستر في العلوم السياسية، جامعة الجزائر:٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص٤٥
- نوري كاظم، قبرص المقسمة بين الحوار التركي – اليوناني العقيم ومصالح الدول الكبرى،جريدة العرب الدولية، الشرق الاوسط، العدد٧٩٧٧ ، ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٠، ص٧٨
- احمد نور النعيمي،العلاقة التركية الروسية دراسة في الصراع والتعاون، جامعة بغداد، ١/١/٢٠١١ ص٧٨
- الاستوس دوروس، ترجمة محمد أمين عبدالله مراجعة أحمد سعيدعبدالحليم «حرب العصابات في قبرص»، القاهرة، ١٩٦٠ ، ص٤٥
- دنكتاش رؤوف، ترجمة عدنان حطيط ، المثلث القبرصي بيروت ، ١٩٩٠ص٩٠
- النعامي صالح ، اكتشافات الغاز الاسرائيلي قيمة إستراتجية وتداعيات إقليمية ،القاهرة :المركز العربي للابحاث و دراسات سياسية،٢٠٠١ ص٧٨
- يرودي عبد الله، تحليل سياسات روسيا وتركيا عالقات متطورة وطموحات متنافسة، قطر:المركز العربي للابحاث ، ٢٠١٥، ص٦٥

"فاعلية الإطار القانوني والرقابي في تعزيز الحوكمة ومكافحة الفساد المالي والمحاسبي داخل الشركات المساهمة في العراق"

الباحث: حسن قصي خلف علي
جامعة لرستان / جمهورية إيران الإسلامية



المستخلص:
تعد حوكمة الشركات من المفاهيم الحديثة التي اكتسبت أهمية متزايدة في العقود الأخيرة، ولا سيما في ظل التوسع الاقتصادي وازدياد حالات الفساد المالي والمحاسبي داخل المؤسسات الكبرى. وقد أصبح تعزيز منظومات الحوكمة ضرورة ملحّة لضمان الشفافية، وتعزيز الثقة، وحماية حقوق المستثمرين، ومنع استغلال السلطة داخل الشركات. وتمثل الشركات المساهمة العراقية نموذجًا حيويًا لدراسة العلاقة بين الإطار القانوني والرقابي والحوكمة، خاصةً في ظل التحديات التنظيمية والاقتصادية التي يمر بها العراق.إن دراسة فاعلية الإطار القانوني والرقابي في دعم الحوكمة ومكافحة الفساد المالي والمحاسبي داخل الشركات المساهمة العراقية تمثل محورًا أساسيًا لفهم آليات ضبط الأداء، ومعالجة الخلل، وتعزيز البيئة الاستثمارية. يأتي هذا البحث ليُسلّط الضوء على مدى قوة وفاعلية المنظومة القانونية والرقابية العراقية في الحد من الفساد، من خلال تحليل القوانين، الأنظمة، دور هيئة الأوراق المالية، ديوان الرقابة المالية، وهيئة النزاهة .
كما يسعى هذا البحث إلى بيان مدى انسجام التشريعات العراقية مع مبادئ الحوكمة الحديثة المعتمدة دوليًا، وتحديد أوجه القصور في التطبيق العملي لهذه القوانين داخل الشركات المساهمة. إذ إن وجود نصوص قانونية متقدمة لا يكفي ما لم تكن هناك آليات تنفيذ فعّالة، وإجراءات رقابية صارمة، وقدرة حقيقية على محاسبة المخالفين. ومن هنا تتجلى أهمية تقييم الدور الذي تؤديه الجهات الرقابية الرسمية، ومدى كفاءتها في اكتشاف المخالفات ومتابعتها، وتأثير ذلك في الحد من الفساد المالي والمحاسبي وتعزيز الشفافية داخل القطاع الخاص العراقي. كما يتناول البحث العوامل التي تعيق تطبيق الحوكمة بشكل سليم، ويستعرض السبل الممكنة لتطوير البنية التشريعية والرقابية بما ينسجم مع المعايير الدولية ويعزز الثقة في السوق المالية العراقية.

الكلمات المفتاحية: حوكمة الشركات، الإطار القانوني، الإطار الرقابي، الفساد المالي والمحاسبي، الشركات المساهمة.

Abstract:
Corporate governance is one of the modern concepts that has gained increasing importance in recent decades, especially in light of economic expansion and the rising cases of financial and accounting corruption within major institutions. Strengthening governance systems has become an urgent necessity to ensure transparency, enhance trust, protect investors' rights, and prevent the abuse of power within companies. Iraqi joint-stock companies represent a vital model for studying the relationship between the legal and regulatory framework and governance, particularly amid the regulatory and economic challenges facing Iraq.
Studying the effectiveness of the legal and regulatory framework in supporting governance and combating financial and accounting corruption within Iraqi joint-stock companies is a key focus for understanding mechanisms of performance control, addressing deficiencies, and enhancing the investment environment. This research aims to shed light on the strength and effectiveness of the Iraqi legal and regulatory system in curbing corruption, through analyzing laws, regulations, and the roles of the Securities Commission, the Federal Board of Supreme Audit, and the Integrity Commission.The research also seeks to clarify the extent to which Iraqi legislation aligns with internationally recognized modern governance principles and to identify gaps in the practical application of

these laws within joint-stock companies. The existence of advanced legal provisions is insufficient unless accompanied by effective enforcement mechanisms, strict oversight procedures, and a real capacity to hold violators accountable. Hence, evaluating the role of official regulatory bodies, their efficiency in detecting and following up on violations, and their impact on reducing financial and accounting corruption and enhancing transparency within Iraq's private sector is crucial. The research also addresses the factors hindering proper governance implementation and explores possible ways to develop the legislative and regulatory structure in line with international standards, thereby reinforcing confidence in the Iraqi financial market.

Keywords: Corporate governance, Legal framework, Regulatory framework, Financial and accounting corruption, Joint-stock companies

أولاً: أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من دوره المحوري في دعم الاستقرار المالي وتحسين مناخ الاستثمار في العراق.

١. الأهمية العلمية: يُسهم هذا البحث في سدّ النقص في المكتبة العربية المتخصصة من خلال التركيز على تقييم مدى ملاءمة وتطبيق التشريعات العراقية (مثل قانون الشركات، وقانون سوق الأوراق المالية، ومعايير المحاسبة والتدقيق العراقية) مقارنةً بأفضل الممارسات الدولية في الحوكمة ومكافحة الفساد.

٢. الأهمية العملية (الاقتصادية):

بالنسبة للمشرعين والهيئات الرقابية (هيئة الأوراق المالية وديوان الرقابة المالية الاتحادي): يُقدم توصيات عملية مبنية على تحليل واقعي لتحسين النصوص القانونية والإجراءات التنظيمية، مما يزيد من فاعليتها في كشف الفساد المالي والمحاسبي والوقاية منه.

ثانيًا: أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الرئيسية التالية:

تقييم الإطار القانوني: تحليل ونقد مدى كفاية وشمولية النصوص والتشريعات القانونية العراقية الحالية (قانون الشركات، تعليمات الحوكمة، قوانين مكافحة غسل الأموال) في دعم مبادئ الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد المالي والمحاسبي في الشركات المساهمة.

تقييم فعالية الرقابة: تحديد وتقييم فعالية ومهنية هيئات الرقابة الخارجية (ديوان الرقابة الاتحادي، هيئة الأوراق المالية) والداخلية (لجنة التدقيق، المدقق الداخلي) في تطبيق الإطار القانوني والكشف المبكر عن ممارسات الفساد.

تحديد آليات الفساد: استكشاف وتحليل أبرز الأساليب والمناهج التي يُمارس من خلالها الفساد المالي والمحاسبي في الشركات المساهمة العراقية.

صياغة التوصيات: تقديم مجموعة من المقترحات والإصلاحات التشريعية والرقابية والإدارية الملموسة، بهدف تعزيز حوكمة الشركات وتعزيز فعالية أدوات مكافحة الفساد.

ثالثًا: مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث حول السؤال الرئيسي التالي:

إلى أي مدى يُعدّ الإطار القانوني والرقابي الحالي في العراق فعالًا في تحقيق الحوكمة الرشيدة ومنع ومكافحة الفساد المالي والمحاسبي في الشركات المساهمة؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسي مجموعة من الأسئلة الفرعية:

هل هناك فجوة بين النصوص والتشريعات القانونية العراقية ومتطلبات الحوكمة ومكافحة الفساد العالمية؟
ما أبرز التحديات أو المعوقات التي تواجه هيئات الرقابة (الداخلية والخارجية) في تطبيق معايير الحوكمة وملاحقة قضايا الفساد؟
ما الدور الفعلي الذي تلعبه آليات المحاسبة والتدقيق (مثل التدقيق الخارجي والداخلي) في تعزيز الشفافية والمساءلة؟
ما أبرز الآثار السلبية لضعف الإطار الرقابي على أداء الشركات المساهمة العامة وعلى البيئة الاقتصادية العامة في العراق؟

رابعًا: منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث منهجًا متعدد الأبعاد لضمان شمولية وعمق التحليل:

المنهج الوصفي التحليلي: لوصف وتحليل الإطار القانوني والرقابي الحالي في العراق المتعلق بالشركات المدرجة في البورصة، والحوكمة، ومكافحة الفساد، ومقارنته بالمعايير الدولية (مثل مبادئ الحوكمة لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية).

المنهج الاستنتاجي: لاستخلاص استنتاجات عامة حول فعالية الإطار القانوني والرقابي من خلال دراسة وتحليل الأدبيات والتشريعات والبيانات المتاحة. المنهجية المطبقة (في حال إجراء دراسة ميدانية): قد يشمل البحث إدارة استبيانات أو إجراء مقابلات مع مسؤولين من الهيئات التنظيمية (هيئة الأوراق المالية، ديوان المحاسبة) أو مع لجان التدقيق في عينة من الشركات المدرجة في البورصة، بهدف جمع بيانات كمية ونوعية حول التحديات وواقع التطبيق.

خامساً: خطة البحث :

قسم خطة البحث إلى ثلاثة فصول رئيسية بالإضافة إلى الإطار العام (المقدمة والخاتمة)

الإطار النظري والمفاهيمي للبحث: مفهوم الحوكمة، الفساد المالي والمحاسبي، ومكافحته المبادئ الأساسية للحوكمة الرشيدة الشفافية، المساءلة، الإنصاف. الأدبيات والدراسات السابقة حول الموضوع. الفصل الثاني تقييم الإطار القانوني والرقابي العراقي : تحليل قانون الشركات وقانون هيئة الأوراق المالية وأدوات الرقابة الخارجية ديوان الرقابة المالية،تحليل دور آليات الرقابة الداخلية مجلس الإدارة، لجنة التدقيق، المدقق الداخلي دراسة مقارنة بين التشريع العراقي وأفضل الممارسات الدولية الفصل الثالث دراسة فاعلية الإطار في الشركات المساهمة .

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي

١-١ : مفهوم الحوكمة وأهدافها واهميتها

كلمة "الحوكمة" مشتقة من الكلمة اليونانية "**kubermaein**" والاسم الفاعل "**gubermare**" بمعنى "يُوجّه". وهي أيضًا مشتقة من كلمة "حكومة". تُعرّف الحكومة بأنها مجموعة من المؤسسات التي يُنشئها الدستور والتسع، وتشير عمومًا إلى علاقة تعاونية بين الحكام والمحكومين. تُعرّف الأمم المتحدة الهيئات التنظيمية بأنها "الهياكل والهيئات الموحدة التي تتولى بموجبها أي منظمة اجتماعية، سواءً كانت عائلة أو شركة أو مؤسسة، التوجيه، بدءًا من السيطرة المركزية وصولًا إلى التنظيم الذاتي".(١)

كما عرّفتها الأمم المتحدة بأنها "ما يُحدّده المنهج التعليمي في نهاية المطاف" ، وقد وجدت اللجنة أنها تتداخل مع قضايا تتعلق بالقيادة والنزاهة العامة. نلاحظ أنه على الرغم من أن النمط الحالي يُناقش الرقم بشكل رئيسي في منتدى التسرب العام، إلا أنه يرتبط بأي مستوى تنظيمي أو مجموعة على أي مستوى للعمل في أعمال مختلفة، مثل الإدارة العالمية والاشتراكات، والاشتراكات الدولية والوطنية والمحلية، أو حتى داخل الأسرة. كما هو واضح، يشير مصطلح "tor" عمومًا إلى المؤسسات والسلطة والنظام والعدالة والإنصاف. وفي السياق الأوسع، يشير "tor" أيضًا إلى عملية ممارسة السلطة. وفي هذه الحالة، يستلزم الأمر سنّ سياسات وقوانين عامة فعّالة وشرعية وخاضعة للمساءلة، تُسهم بشكل مباشر في التفاعل الاجتماعي والاقتصادي والمؤسسي. لذلك، نتعاون عادةً في تصميم نماذج براءات

اختراع جديدة وأنظمة رعاية عامة حديثة، مثل معاشات الشيخوخة والتأمين الصحي، ونسعى جاهدين لتشجيع توفير خدمات وأساليب تنسيق جديدة ضمن أنظمة ديمقراطية مثالية وفي ظل قيود الموارد.(٢)

تشير معظم أدبيات الحوكمة إلى غياب تعريف موحد لحوكمة الشركات في اللغة العربية. ومع ذلك، يُجمع جميع القانونيين والاقتصاديين المحليين على المصطلح الإنجليزي "حوكمة الشركات". إلا أن هذا المصطلح قد خضع لاختلافات في اللغة العربية، حيث استُخدمت مصطلحات عديدة، مثل "الحوكمة الرشيدة"، و"حوكمة الشركات"، و"الإدارة الحكيمة". وقد أشار إليه بعض الاقتصاديين على أنه أسلوب ممارسة السلطة الإدارية داخل الشركة، أو أسلوب الإدارة الأمثل، أو قواعد حوكمة الشركات، أو الإدارة التعليمية، أو الحوكمة المؤسسية في حوكمة الشركات. وفي هذا الصدد، عرّفه البعض بأنه: "الإجراءات الحاكمة في الشركات لضمان التوازن في حقوق أصحاب المصلحة المتعارضين". ويمكن اعتباره أيضًا مفهوم الرقابة على الشركات، ومعالجة مشكلة الوكالة، وحماية حقوق المساهمين وأصحاب المصالح، والتأكيد على ضرورة تفعيل معايير المحاسبة على المستويين المحلي والدولي، وتحقيق العدالة الاقتصادية من منظور اقتصاد السوق".(٣)

لذلك، فهو يعتبر إطارًا يتضمن قواعد وممارسات السوق التي تحدد كيفية اتخاذ الشركات، وخاصة الشركات المدرجة، لقراراتها، والشفافية التي تحكم عملية اتخاذ القرار، ودرجة المساءلة التي يخضع لها مديرو ورؤساء وموظفو هذه الشركات. أو المعلومات التي يفصحون عنها للمستثمرين والحماية التي يقدمونها لصغار المستثمرين. ويشمل أيضًا موضوعات تتعلق بقانون الشركات، وقوانين الأوراق المالية، وقواعد إدراج الشركات في البورصة، ومعايير المحاسبة المطبقة على الشركات المدرجة، وقوانين مكافحة الاحتكار، وقوانين الإفلاس. ويشمل أيضًا التشريعات الصادرة عن الحكومة والهيئات التشريعية التي يتعامل معها المساهمون والشركات.(٤)

يرى البعض أن الحوكمة امتدادٌ للخصخصة والعولمة واقتصاد السوق. فهي النظام الذي تُوجَّه من خلاله عمليات المؤسسة وتُراقَب على أعلى مستوى لتحقيق أهدافها وتلبية المعايير اللازمة للمسؤولية والنزاهة والشفافية. كما تشمل الإجراءات التي يتبعها أصحاب المصلحة داخل المؤسسة لتوفير الرقابة على المخاطر والتحكم في المخاطر التي تتحملها الإدارة.(٥)

عرّف اتحاد المصارف العربية، عام ٢٠٠٥، الحوكمة بأنها النظام الذي تُدار من خلاله الشركات وتُراقَب عملياتها. وتعني الحوكمة وجود أنظمة تحكم العلاقات بين الأهداف الأساسية التي تؤثر على الأداء. كما تشمل عناصر مؤسسة قوية وطويلة الأجل، وتحديد السلطة والمسؤولية.(٦)

عرّفت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) الحوكمة بأنها مجموعة من القواعد والعلاقات بين إدارة الشركة ومجلس إدارتها ومالكيها وجميع الأطراف ذات الصلة بالشركة. هو النهج الذي يوفر الهيكل أو الإطار المنظم الذي يتم من خلاله تحديد الأهداف وتحقيقها، ومراقبة الأداء، والإشراف الدقيق على النتائج. وهو الأسلوب الناجح لممارسة السلطة، والذي ينبغي أن يوفر الحوافز اللازمة لمجلس الإدارة والإدارة العليا في سعيهما لتحقيق الأهداف المرسومة بما يخدم مصالح الشركة ومساهميها، ويسهل المراقبة الجيدة للاستخدام الكفؤ والفعال لموارد وأصول الشركات والمؤسسات.(٧)

تكشف التعريفات التالية للشركات عن تعدد وجهات النظر المساهمة من مختلف قطاعات الأعمال وأصحاب المصلحة، وكذلك من اللجان ذات الصلة. وقد يؤدي ذلك إلى تعدد وجهات النظر بشأن أهدافها وتعريف هذه الشركات. في هذا السياق، تشير إلى أن العديد من الشركات تنجح من خلال ترتيبات متفاوتة لتقاسم الأرباح، مما يساهم في النجاح الضمني لمشاريع الشركات. وتختلف مساهماتها باختلاف البلدان حول العالم. على سبيل المثال، في

الولايات المتحدة، يتمثل هدف الشركات في حماية حقوق المساهمين وتعظيم القيمة في نهاية المطاف. في المقابل، يُعدّ حماية حقوق الآخرين الناشئة عن حقوق المساهمين (بالإضافة إلى حقوق ملكية الأسهم)، وخاصةً الموظفين والدائنين، من العناصر الأساسية للشركات العاملة في قطاع الأمونيا، وخاصةً تلك الموجودة في ألمانيا، والذين هم على الأقل من بين الأطراف التي لا تُدرك تمامًا أهمية حملة المساهمين. يمكن أن ينصبّ تركيز الشركات في هذه البلدان على مجال مشاركة الإدارة للرقابة والإشراف، وذلك لتعزيز رفاهية اقتصاد الشركات، بما في ذلك رفاهية المساهمين والموظفين وعامة الناس.(٨)

١-٢: أهدافها

ومع ذلك، قد يتسع نطاق الشركات ليشمل العديد من الجوانب المذكورة، متجاوزةً بذلك أهدافها وأهميتها حدود الشركة ومصالح أصحابها ، وفي هذا الصدد، يرى الباحث أهمية هذا الجانب من البحث والتحليل من خلال تسليط الضوء على أهمية الشركات في المجالات الاقتصادية، وأخيرًا، أهميتها في المجالات القانونية، على النحو التالي:

أولاً – الأهمية التجارية لمساهمة الشركات، تسعة، مهمة للشركات الرائدة، حيث لا تتطور الشركات؟ الهدف إلى حد ما، كما أنه لا يرتبط بالرقابة الإجرائية أو الهيكلية ولا يبدو شكلياً دقيقاً بحدود محدودة أو مراقبة أو أهم المراكز الإدارية، بل ما يميزه في الواقع هو تفعيل الوظائف الجيدة لمديري الشركة المبدعين على المال والتكلفة فقط. حيث توجد علاقة ممتدة بين عدد محدود من وسحب ربح الشركة، لذا فإن الشركات التي تلتزم بالمشاركة في الشركة، والمدراء الجيدين، ومستويات الجودة العالية، والتعامل بشفافية أكبر مع أحدث الشركات والمتعاملين الآخرين معاً، وتتمتع بشعبية كبيرة للاستثمار ونتيجة لذلك أرخص تكلفة رأس المال، والقدرة التنافسية للشركات والقدرة على فهم حقوق المساهمين، أحد أنظمة الرقابة ذات الأهمية لنجاح الاستثمارات في الشركات. (٩)

تتطور الشركات المهمة لتجديد أسهمها والمستثمرين المحتملين مع توسعها، مما يوفر ضمانًا قويًا لطمأنة هؤلاء المستثمرين في تحقيق عائد مناسب على استثماراتهم مع تعظيم قيمة أسهمهم والحفاظ على حقوقهم، وخاصة حقوق مساهمي الأقلية، في ظل المشكلة الناشئة عن انفصال الشركة عن تخصصها. تستثمر الشركات في سد الفجوة المحتملة بين الموكل (مالك الشركة) والوكيل (المدير)، الذي نجح أخيرًا في خلق أداة تنفيذية تُمكّنه من تحقيق رفاهيته الشخصية، لا رفاهة المساهمين. (١٠)

تكمن أهمية توحيد معايير الشركات لتشمل أسواق رأس المال في أن اعتماد معايير فعّالة للشركات يُفيد أصحاب رأس المال. سيساهم تطبيق هذه المعايير في تنويع الاستثمارات، بما في ذلك تزويد المستثمرين بمعلومات ذات صلة عن الشركات وأدائها. هذا يسمح للمستثمرين بفهم مستوى تنفيذ استراتيجيات الشركات وأساليب إدارتها الناجحة. وبالتالي، يؤثر هذا على السوق لتخصيص استثمارات المستثمرين للشركات الواعدة وذات الإدارة الأفضل. (١١)

أخيرًا، تتطور الشركات ذات الأهمية للاقتصاد العالمي. يوجد ترابط اقتصادي بين الشركات الخاصة في أي بلد. لا تقتصر المشاكل الناجمة عن ضعف عدد من الشركات على فشل الاستثمارات؛ بل تمتد إلى تراجع ثقة الجمهور في جميع الشركات. لا يقتصر الأمر على عدد قليل من الشركات أو السمعة السيئة لبعض المديرين التنفيذيين، بل يتعلق بإثبات مصداقية النظام الجديد بوضوح. عندها فقط ستُحسّن الشركات عملياتها. وقد تم تحديد المبدأ نفسه: تحصل الشركة، من خلال تحسين الأداء وخفض التكاليف، على رأس المال، الذي يجب أن يصل إلى المساهمين من خلال تعظيم القيمة على المدى الطويل. وفي نهاية المطاف، يُفيد هذا الاقتصاد الوطني من خلال نشاط مستقر ومستمر ومتكامل تعمل ضمنه. (١٢)

١_٣: أهميتها

وحيث إن أهمية اسم شركة اشتراكات تكمن في التقنية التي تقوم عليها، والتي تتكون من تسعة أقسام فقط في الشركة، مثل المساهمين، والمقرضين، والموظفين، وغيرهم، فإننا نسعى إلى مكافحة الشركات والمقرضين والموظفين والشركات (مثل قوانين الشركات والقوانين، والمعايير المالية والمحاسبية الدقيقة بشكل واضح) في مجال ربحية إطار اشتراكات الشركة، حيث يتم تحديد هذه التعريفات والاختلافات للشركات، كما يتم تحديد هذه التخصصات والاختلافات بين الشركات المعنية بالشركة المتوسطة في الاقتصاد الكامل، زينجالز. وفي هذا حتى العقود المختلفة بين جميع الاختلافات، تمثل الشركة حجر الزاوية في تنظيم العلاقات التعاونية، حيث تعمل على ضمان حقوق كل منهم، وتساهم في مساهمة الشركات من الناحية القانونية فيما يتعلق بتكاملات تنفيذ العقود التي قد تنتج عن الممارسات التجارية التي تكتسب أشكال العقود المبرمة أو القوانين والقرارات واللوائح الأساسية للشركة. (١٣)

في عام ٢٠٠٢، اقترحت مؤسسة التمويل الدولية إصدار مدونات أو متطلبات لحوكمة الشركات تتوافق مع قوانين أسواق رأس المال الدولية، مما يعزز النهج الدائري والإشرافي. ويؤكد هذا النهج على الدور المحوري للرقابة في حوكمة الشركات، استنادًا إلى ركيزتين أساسيتين: الشفافية والممارسات المحاسبية السليمة. (١٤)

الفصل الثاني: تقييم الإطار القانوني والرقابي العراقي

١-١: حوكمة الشركات ضمن الإطار القانوني والتنظيمي الذي يحكم أعمال الشركات المساهمة في العراق

يشمل الإطار القانوني والتنظيمي جميع القوانين واللوائح والتعليمات والمعايير التي تحكم أعمال الشركات المساهمة في العراق، بالإضافة إلى الجهات الرقابية التي تمارس الرقابة والإشراف الإلزامي أو الاختياري (١٥). ويشمل الإطار القانوني أهم القوانين واللوائح والتعليمات ذات الصلة، مثل قانون الشركات رقم (٢١) لسنة ١٩٩٧ وتعديلاته، وتعليمات نظام المحاسبة الموحد رقم (١) لسنة ١٩٨٥، ولائحة مزاولة مهنة التدقيق رقم (٣) لسنة ١٩٩٩، ومعايير المحاسبة والتدقيق الصادرة عن هيئة معايير المحاسبة والتدقيق في العراق، وقانون أسواق الأوراق المالية المؤقت رقم (٧٤) لسنة ٢٠٠٤ والتعليمات الملحقة به. يتضمن الإطار التنظيمي مجموعة من التعليمات والإجراءات الصادرة عن هيئة الأوراق المالية العراقية، وجمعية المتعاملين بالأوراق المالية العراقية، وجمعية المحاسبين والمدققين العراقية، وجمعية المحاسبين والمدققين العراقيين. ويسعى هذا الباحث إلى تحليل مدى مساهمة الإطار القانوني والتنظيمي الذي يحكم الشركات المساهمة في العراق في ترسيخ المبادئ العامة لحوكمة الشركات، بما يتماشى مع مكافحة الفساد المالي والمحاسبي داخل هذه الشركات.(١٦)

١-٢: حقوق الملكية ووظائفها الأساسية

تنص العديد من قوانين ولوائح الشركات على حقوق لحماية حقوق المساهمين، لا سيما تلك التي تحميها الحقوق الأساسية، كحق تجديد الأسهم. وتشمل هذه الحقوق حق المساهمين في نقل الملكية إلى مساهمين آخرين أو إلى أطراف ثالثة، بالإضافة إلى حقهم في حضور اجتماعات الجمعية العامة للشركة، ومراجعة ومناقشة البيانات والتقارير المالية، وأخيرًا، حقهم في الحصول على نصيب من الأرباح الموزعة ونصيبهم في أصول الشركة عند التصفية. وتنص المادة (٦٤) من قانون الشركات رقم (٢١) لسنة ١٩٩٧ وتعديلاته على حقوق الملكية في الشركات، بما في ذلك حق نقل ملكية براءات الاختراع إلى المساهمين أو الشركاء، وذلك على النحو التالي:

لا يجوز لمؤسسي الشركات نقل ملكية أصولهم إلى الغير إلا بعد مرور سنة على الأقل على تأسيس الشركة، ويجب ألا تقل حصة الأرباح عن ٥٪ من رأس المال الاسمي المدفوع.(١٧)

ولا يجوز لهم التملك الخاص للسجاد إذا كان مرهونًا أو محجوزًا عليه بحكم قضائي، أو إذا كان على الشركة دين على الأسهم بحيث لا يجوز التملك شرعًا، أو إذا تعذر اكتساب الملكية بطريقة غير مشروعة من خلال اتفاقية قانونية أو

عقدية صادرة عن جهة مختصة.

كما نصت المادتان (٨٦) و(٨٨) من القانون نفسه على حق المساهمين في المشاركة في اجتماعات الجمعية العامة للشركة، وتعيين مراقب حسابات، والاشتراك في جميع الأمور الأخرى ذات الصلة، مثل إقرار تراخيص مجلس الإدارة ورسومه، وتحديد نسبة رواتب الأعضاء وتوزيعها، وتقييم فعالية مجلس الإدارة وجهوده. ويجب عقد الجمعية العامة مرة واحدة على الأقل سنويًا لمراجعة الأسهم. يُعلن عن ذلك بنشر إشعار موجز في النشرة الإخبارية وفي صحيفتين يوميتين صادرتين عن سوق العراق للأوراق المالية. ويجب تحديد مكان وتاريخ الاجتماع في المؤتمر، على ألا تتجاوز المدة بين تاريخ الاجتماع ووقته خمسة عشر يومًا. ويُعدّ توقيت الإعلان للجمعية العامة، أو نشر معلومات مهمة تؤثر على أعضائها، مخالفًا لهذا الإجراء.

ومع ذلك، قد يُشير نصا المادتين أعلاه ضمنيًا إلى وجوب تقديم تقرير الأسهم، وملخصات الحكومة، والتقرير الإداري، وتقرير المدقق المالي، قبل خمسة أيام من تاريخ العقد إلى الجمعية العامة. وهذا يُتيح للجمعية العامة توجيه أسئلة إلى رئيس وأعضاء مجلس الإدارة، وكذلك إلى المدقق المالي، حول عدد الملخصات المالية. ويمنع تقصير الموظف المسؤول عن إعداد الملخصات العامة، وعددها، من المشاركة في عملية إخفاء هوية الجمهور ومناقشة القرار الدقيق بالدقة والموافقة اللازمتين. ويُعزى عدم تقديم هذه المعلومات إلى قلة وعي المساهمين بأهميتها.(١٨)

تُعقد الجمعية العمومية للشركة الشقيقة بدعوة من رئيس مجلس الإدارة أو رئيس اللجنة الوطنية (كما هو منصوص عليه في المادة ٩٥ من قانون الشركات رقم ٢١ لسنة ١٩٩٧ وتعديلاته)، وبحضور الأعضاء الذين يملكون أكثر من الأسهم المكتتب بها والذين سددوا سدس الأقساط المستحقة عليهم. ولا يتجاوز جدول الأعمال (كما هو منصوص عليه في المادة ٨٩ من القانون نفسه) ما لا يزيد على ١٠٪ من رأس مال الشركة، ويشترط موافقة الممثلين في تلك الاجتماعات. ويجوز للعضو توكيل من ينوب عنه (كما هو منصوص عليه في المادة ٩١ من القانون نفسه) بتوكيل رسمي مصدق لحضور الجمعية العمومية ومناقشتها والتصويت عليها، كما يجوز له تفويض غيره من الأعضاء لهذا الغرض.(١٩)

١-٣: التوازن في ملكية الأسهم

سنرى أولاً توازناً في حقوق المساهمين في الشركات التي تسعى إلى تحقيق التوازن بين حقوقهم في التصويت على القرارات الجوهرية في الجمعية العامة للشركة. ويُطبّق هذا التوازن في مجال تبادل المعلومات أو التعاملات التجارية غير الاعتيادية مع المطلعين، مما يُمكّن مساهمي الأقلية من الدفاع عن حقوقهم داخل الشركة أو الترويج لأسهمهم.

وفيما يتعلق بحقوق التصويت، وتحديداً حق التصويت على القرارات الجوهرية في الجمعية العامة للشركة، تنص المادة ٩٧ من قانون الشركات رقم ٢١ لسنة ١٩٩٧ وتعديلاته، على أن يكون لكل مساهم في الشركة عدد من الأصوات يعادل عدد أسهمه. وتنص المادة ٩٨ من القانون نفسه على ما يلي:

يكون تصويت المساهمين في الجمعية العامة علنياً، باستثناء ما يتعلق برئيس مجلس الإدارة أو أي من أعضائه. بالإضافة إلى ذلك، إذا طلب ١٠٪ على الأقل من الأعضاء الحاضرين في الاجتماع إجراء اقتراع سري على أي مسألة مطروحة للتصويت، يُجرى التصويت بالاقتراع السري.

يُشترط لقرار تأسيس شركة جديدة، أو زيادة رأس مالها، أو بيع أكثر من نصف أصولها، أو دمجها أو تحويلها أو تصفيتها، الحصول على أغلبية أصوات المساهمين المكتتبين الذين سددوا أقساطهم المستحقة، ما لم تشترط الشركة نسبة أعلى.(٢٠)

علاوة على ذلك، لا ينطبق شرط الـ ٥٪ المنصوص عليه في المادة ١٠٠ من قانون الشركات على تسجيل الشركة خلال سبعة أيام من تاريخ تأسيسها.

يجب استشارة الجهة الرقابية في اجتماعات الهيئة العامة لتحديد هيكل الشركة. ويهدف هذا الإطار، المعمول به في العراق، إلى حماية المساهمين من تضارب المصالح. ومن المعلوم أن الشركات ومالكيها ومساهميها، ومن يتحكمون فعليًا في شؤونها – بمن فيهم أعضاء مجلس الإدارة والمديرون التنفيذيون – ملزمون بالتعاون في المعاملات أو المهام أو غيرها من الأمور التي تُجرى مع الأطراف ذات الصلة في الهيئات الإدارية. تنص الفقرة ١ من المادة ١٣٤ من قانون الشركات المعدل رقم ٢١ لسنة ١٩٩٧ على ضرورة إشراك الشركات في تقرير مجلس الإدارة، مع تضمينه معلومات عن أنشطة الشركة، وخاصةً العقود المهمة التي أبرمتها الشركة حديثة التأسيس التي استحوذت على ١٠٪ أو أكثر من أسهم الشركة الأصلية. ويشمل ذلك أعضاء مجلس الإدارة، ومدير الشركة المفوض، ومن سعى لمصالح عائلاتهم، والجهات التي يسيطرون عليها، وغيرها من المصالح التي تستدعي التفاوض مع الطرف ذي الصلة، وذلك وفقًا للمعايير الدولية وفي إطار النظام العراقي.(٢١)

كما توصي القاعدة المحاسبية المحلية رقم ٦ الشركات بالإفصاح المستمر عن المعلومات المتعلقة بالبيانات المالية والسياسات المحاسبية. ويشمل ذلك المعلومات المتعلقة بأي منافع أو فوائد محققة تعود على أعضاء مجلس الإدارة والمديرين التنفيذيين للشركة، أو لمن هم في حكمهم، من أي نوع من المعاملات أو العقود، بما في ذلك بيع وشراء الخدمات من الشركة. علاوة على ذلك، تشترط أي لوائح منصوص عليها في اللوائح ذات الصلة شراء أسهم. من الضروري أيضًا التأكد من حقوق المساهمين الذين يملكون ٥٪ فأكثر من أسهم الشركة. تنص الفقرة ٣ من المادة ١٠ من قانون سوق الأوراق المالية رقم ٧٤ لسنة ٢٠٠٤ على أنه لا يُلزم الأفراد أو الشركات المساهمة المؤقتة بالحضور إذا استحوذوا أو حاولوا الاستحواذ على أكثر من ٣٠٪ من أسهم شركة مساهمة، إذ يُعدّ ذلك سيطرة على شؤون الشركة، ما لم يُفصحوا عن ملكيتهم للسوق أو للجهة المختصة. كما تُشدد اللائحة على ضرورة التأكد من أن أي ملكية تتجاوز ١٠٪ من الأسهم المطروحة للتداول. ولم يتطرق قانون الشركات المعدل رقم ٢١ لسنة ١٩٩٧ بشكل محدد إلى موضوع كتابة المعلومات الداخلية، كما لم تتضمن متطلبات إدراج الشركات المتخصصة للتداول في سوق العراق للأوراق المالية أي إجراءات إضافية للإفصاح عن المعلومات الداخلية والأسرار الداخلية، حيث أن هذه هي الشركات التي يمكن للمساهمين الأقلية التقدم بطلب للحصول على حقوقهم في الشركة، وهو ما يعتقدون أنه ليس مؤشراً على ما هو مميز وعادل للمساهمين الصغار في الشركات المساهمة.(٢٢)

١-٤: حقوق أصحاب المصلحة الآخرين في الشركة

لا يتناول الإطار القانوني والتنظيمي في العراق حقوق أصحاب المصلحة الآخرين في الشركة، أو مدى السماح لهم بتملك الأسهم أو الحصول على نسبة من الأرباح، أو الوصول إلى العمليات الأساسية للشركة، أو المشاركة في إدارتها. هذا باستثناء الفقرة ٣ من المادة ٤ من قانون الشركات المعدل رقم ٢١ لسنة ١٩٩٧، والمتعلقة بحقوق الدائنين في الشركة. تنص هذه الفقرة على أنه لا يجوز للمساهمين ممارسة حقوق التصويت أو أي صلاحيات أخرى بطريقة من شأنها أن تدفع الشركة إلى اتخاذ أو الموافقة على إجراءات تُعرّض حقوق الدائنين للخطر. ويشمل ذلك إجراءات مثل سحب رأس مال الشركة أو نقل أصولها في حالة إفلاسها أو عندما يكون القانون محظوراً. علاوة على ذلك، يُشدد النظام المحاسبي المحلي رقم ٦، المتعلق بالإفصاح عن المعلومات المتعلقة بالقوائم المالية والسياسات المحاسبية، على أهمية الإفصاح في التقرير السنوي للإدارة عن أثر أنشطة الشركة على المجتمع والاقتصاد الوطني، ومساهمتها في تحسين ظروف العمل، والتدابير والإجراءات التي اتخذتها الشركة لحماية البيئة.(٢٣)

الفصل الثالث: دراسة فاعلية الإطار في الشركات المساهمة

١-١: الإفصاح والشفافية

يتناول الإطار القانوني والتنظيمي في العراق بعض متطلبات الإفصاح والشفافية الأساسية التي يجب على الشركات المساهمة الالتزام بها. وقد حُدد ذلك في تعليمات نظام المحاسبة للشركات رقم ١ لسنة ١٩٨٥، التي تُشدد على أهمية الإفصاح في التقارير المالية للشركات، بما فيها الشركات المساهمة، وتُلزم بما يلي:

إعداد بيانات تحليلية تُرفق بالتقارير المالية الأساسية، مع إبراز أهمية تقرير الإدارة السنوي والمعلومات التي يتضمنها والتي تُكمل المعلومات الواردة في التقارير المالية. يتضمن هذا التقرير لمحةً موجزةً عن الشركة، وأهدافها الرئيسية، وبيانًا بطبيعة الأنشطة التي قامت بها الشركة خلال العام، وأي مصالح لرئيس مجلس الإدارة وأعضاء مجلس الإدارة والهيئات التنفيذية في هذه الأنشطة.

مع التأكيد على الدور المحوري لمدقق الحسابات في إبداء رأيه بشأن نزاهة ودقة التقارير المالية المقدمة من الشركات. وتُحدد هذه التعليمات محتوى هذا التقرير، ويُقدم نموذج لما ينبغي أن يتضمنه لضمان التأكيد على أهمية الإفصاح والشفافية، والإفصاح عن أي معلومات قد تؤثر على النتائج المالية والوضع المالي للشركات المعنية.(٢٤)

إضافةً إلى ما ورد في القاعدة المحاسبية رقم "٦" بشأن الإفصاح عن المعلومات المتعلقة بالبيانات والسياسات المحاسبية، والتي تضمنت إطارًا عامًا لما يجب الإفصاح عنه في التقارير المالية، ومُكملةً في الوقت ذاته لمتطلبات الإفصاح الأخرى الواردة في قواعد المحاسبة الصادرة أو التي سيصدرها مجلس معايير المحاسبة والرقابة في العراق مستقبلًا، فقد نصّت القاعدة المحاسبية رقم "٦" على مجموعة من المبادئ والأحكام الأساسية التي ينبغي على الشركات مراعاتها عند استيفاء متطلبات الإفصاح الواردة فيها، بما في ذلك أهمية أن تكشف التقارير المالية للشركات والمعلومات المرفقة بها عن جميع المسائل والقضايا الجوهرية التي تؤثر على قناعات مستخدميها وتقييماتهم وقراراتهم، وأن تُعدّ بطريقة تُزيل أي لبس أو سوء فهم أو غموض لدى هؤلاء المستخدمين، مما يُعزز ضمنيًا متطلبات الإفصاح والشفافية الواجب توفرها في التقارير المالية للشركات والمعلومات الأخرى ذات الصلة. وتشمل متطلبات الإفصاح المنصوص عليها في القاعدة المحاسبية رقم "٦" ما يلي:

الإفصاح عن السياسات والأساليب المحاسبية؛ المعلومات المطلوب الإفصاح عنها في تقرير الإدارة؛ الإفصاح في تقرير المدقق الخارجي. تُمثل متطلبات الإفصاح الواردة في قواعد إدراج أسهم الشركات المساهمة للتداول في سوق العراق للأوراق المالية، والمنصوص عليها في قانون أسواق الأوراق المالية المؤقت رقم (١٦) لسنة ٢٠٠٤ واللوائح الملحقة به، خطوةً أولى نحو تعزيز الإفصاح والشفافية في السوق المالية والشركات المساهمة المدرجة. هذا بالإضافة إلى الإجراءات التي اتخذتها هيئة الأوراق المالية العراقية ضد الشركات المساهمة المدرجة التي لا تلتزم بمتطلبات الإفصاح والشفافية، والتي قد تمتد أحيانًا إلى فرض عقوبات على مسؤولي الشركة. ومع ذلك، يرى الباحث أن متطلبات الإفصاح والشفافية لا ترقى إلى المستوى المطلوب، إذ توجد العديد من المعلومات الأخرى التي يتعين على الشركات المساهمة، وخاصةً المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية، الإفصاح عنها، بما في ذلك(٢٥)

هيكل ملكية الأسهم وحقوق التصويت والسياسات المستخدمة لتحديد المكافآت ذات الصلة والإفصاح عن المعلومات المتعلقة بأعضاء مجلس الإدارة والهيئات التنفيذية .

يُعدّ الإفصاح عن هذه المعلومات وغيرها مفيدًا في تعزيز قدرة المساهمين وأصحاب المصلحة الآخرين على الإشراف على الشركات والحد من الفساد الناتج عن تضارب المصالح والتداول بناءً على معلومات داخلية من قِبل ذوي المعرفة الداخلية والرقابة الفعالة على الشؤون الداخلية لهذه الشركات. ويعتمد ذلك على إعداد المعلومات من قِبل محاسبين مؤهلين وتدقيقها من قِبل مراجعين مؤهلين ومستقلين، بناءً على مجموعة من معايير المحاسبة والتدقيق المناسبة. ومع ذلك، نظرًا لأن القوانين المحلية واللوائح ذات الصلة لا تُعرّف معايير المحاسبة والتدقيق المناسبة، ولأن معايير المحاسبة

والتدقيق الدولية، أو تلك الصادرة عن مجلس معايير المحاسبة والتدقيق في العراق، لا تتمتع بقوة القانون، ويظل تطبيقها غير مؤكد – بل هي في الواقع بمثابة إرشادات يُستعان بها لتعديل التشريعات القائمة بمجرد اقتناع الجهات المعنية بضرورة ذلك – يرى الباحث أن ما سبق يُشير إلى الاعتماد على المهنيين لتطبيق مهاراتهم فيما يرونه مناسبًا لمعايير المحاسبة والتدقيق للتطبيق العملي في الشركات العراقية، بما في ذلك الشركات المدرجة. لتجنب القصور الناتج عن عدم الاتفاق على طبيعة معايير المحاسبة والتدقيق المناسبة، يتناول الإطار القانوني والتنظيمي في العراق المتطلبات الموضوعية والذاتية لمهنة التدقيق. وتتطلب هذه المتطلبات الحفاظ على مستوى محدد من المعرفة الأكاديمية التي يجب أن يبلغها المدققون قبل السماح لهم بممارسة المهنة، بالإضافة إلى توفير مستوى مهني ناضج يتميز بالكفاءة والخبرة المتميزة إلى جانب المؤهلات الأكاديمية. ويشكل ما سبق المتطلبات الموضوعية التي حددتها القوانين واللوائح الصادرة عن الجهات ذات الصلة، مثل قانون الشركات المعدل رقم ٢١ لسنة ١٩٩٧، الذي ينص على تعيين المدققين وتحديد أتعابهم من قبل الهيئة العامة للشركات المساهمة (كما ورد في المادة ١٣٣ من القانون المذكور)، ومساءلتهم عن صحة البيانات الواردة في تقاريرهم بصفتهم وكيلًا للشركة في مراقبة وتدقيق حساباتها (كما ورد في المادة ١٣٧ من قانون الشركات المذكور). وبالمثل، تُشدد لائحة مزاولة مهنة التدقيق رقم ٣ لسنة ١٩٩٩ على أهمية امتلاك المؤهلات الأكاديمية المطلوبة. وتُعدّ الخبرة المهنية للمراجعين شرطًا أساسيًا لمزاولتهم المهنة في الشركات الخاضعة للتدقيق (كما هو منصوص عليه في المادة ٧ من هذه اللائحة). علاوة على ذلك، يجب على المراجعين الالتزام بقواعد السلوك المهني ومعايير التدقيق الصادرة عن هيئة معايير المحاسبة والتدقيق في العراق. ويُحظر تقديم خدمات غير التدقيق (كما هو منصوص عليه في المادة ١٢ من هذه اللائحة). كما يجب على المراجعين الالتزام باللوائح التي يضعها المجلس المهني بشأن نوع ونطاق العمل الذي يقومون به والأتعاب التي يتقاضونها مقابل خدمات التدقيق (كما هو منصوص عليه في المادة ١٠ من هذه اللائحة). (٢٦)

كما تتناول هذه اللائحة الخبرة المهنية للمراجعين قبل السماح لهم بممارسة المهنة في الشركات الخاضعة للتدقيق. بالإضافة إلى إرشادات التدقيق الصادرة عن مجلس معايير المحاسبة والتدقيق العراقي، وخاصةً دليل التدقيق رقم ٣ المتعلق بمعايير التدقيق الأساسية، والذي يصف المعايير الأساسية التي يجب على المدققين الالتزام بها لتحقيق أعلى مستويات الأداء المهني وتحديد مسؤولياتهم المهنية. هناك أيضًا معايير ذات صلة تتعلق بالمبادئ العامة. تؤكد هذه المبادئ على وجوب تأهيل المدققين أكاديميًا ومهنيًا لأداء واجباتهم المهنية على النحو المتوقع، وعلى استقلاليتهم وتجنب أي تضارب في المصالح مع الجهات التي يدققون حساباتها. علاوة على ذلك، تتطلب إجراءات التدقيق التي يجب عليهم اتباعها منهم الحفاظ على عقلية مستقلة، بعيدًا عن أي تأثيرات قد تؤثر سلبًا على جودة عملهم وأحكامهم الشخصية.

تتجسد العناصر الجوهرية لمهنة التدقيق في العراق، والتي تضمن الحفاظ على مستوى أخلاقي رفيع وتحدد التزامًا معينًا في السلوك المهني للمدقق تجاه أصحاب المصلحة، في التزام المدققين بمدونة قواعد السلوك المهني الصادرة عن جمعية المحاسبين والمراجعين العراقية. وتسترشد هذه المدونة بمدونات السلوك المهني المطبقة في المعاهد البريطانية والأمريكية. علاوة على ذلك، يلتزم المدققون بالالتزام بالمعايير الأخلاقية الواردة في معايير التدقيق الأساسية الصادرة عن مجلس معايير المحاسبة والتدقيق العراقي، كما هو موضح في دليل التدقيق رقم ٣. يتطلب هذا الدليل من المدققين أن يكونوا مستقيمين وصادقين ومخلصين في أداء واجباتهم المهنية، وأن يسعوا إلى العدالة والنزاهة عند تشكيل تدقيقهم.(٢٧)

١-٢: مسؤوليات مجلس الإدارة

تتناول القوانين واللوائح المنظمة لشركات المساهمة العديد من القضايا المتعلقة بمجلس الإدارة، لا سيما تلك المتعلقة

بهيكله وتكوينه، وكيفية اختيار أعضائه، ومسؤولياتهم الأساسية. كما تتناول هذه القوانين دور المجلس في الإشراف على الإدارة التنفيذية للشركة. ورغم ما تضمنته مواد قانون الشركات المعدل رقم (٢١) لسنة ١٩٩٧ من أحكام تتعلق بتشكيل مجلس الإدارة في شركات المساهمة العراقية وتحديد المسؤوليات والواجبات المنوطة بأعضائه، يرى الباحث أن العديد من القضايا ذات الصلة لا تزال دون معالجة في القانون المذكور، ومنها:

يضمن الفصل بين الوظائف الإشرافية والإدارية ضمن هيكل مجلس إدارة محدد تحديدًا واضحًا لواجبات ومسؤوليات كل من الأعضاء التنفيذيين وغير التنفيذيين. ويمكن تحقيق هذا الفصل من خلال هيكل مجلس إدارة مركزي أحادي المستوى يضمن فصلًا حقيقيًا بين المجلس والإدارة التنفيذية، أو من خلال هيكل ذي مستويين، حيث يكون المستوى الأول مجلس الإشراف والمستوى الثاني مجلس الإدارة.

تحديد مفهوم ومتطلبات وشروط استقلال أعضاء مجلس الإدارة، أو بعضهم، واستقلال أعضاء لجان المجلس (لجنة الرقابة المالية والتدقيق، ولجنة الأجور)، بشكل واضح، باستثناء ما نصت عليه المادة ١١٩ من القانون بشأن حظر استفادة رئيس وأعضاء مجلس الإدارة من أي مصالح مباشرة أو غير مباشرة في الصفقات أو العقود التي تُبرم مع الشركة، إلا بعد موافقة الجمعية العامة للشركة والإفصاح عن طبيعة هذه المصالح ومداها. كما لا يجوز لرئيس وأعضاء مجلس الإدارة الإدلاء بأصواتهم أو المشاركة في إبرام أي صفقة يكون لهم فيها مصلحة مباشرة أو غير مباشرة إلا بعد الإفصاح والتصريح عن طبيعة هذه المصلحة ومداها لبقية الأعضاء غير المستفيدين، وبعد الحصول على موافقة أغلبيتهم. إضافةً إلى ذلك، تنص الفقرة الثامنة (ب) من المادة ١١٧ من القانون على أنه لا يجوز أن يكون أيٌّ من أعضاء لجان مجلس الإدارة (لجنة الرقابة والتدقيق المالي ولجنة الأجور) موظفًا عامًا أو مساهمًا تتجاوز حصته ١٠٪ من إجمالي أسهم الشركة. كما يجب ألا تربطه بأيٍّ منها صلة قرابة مباشرة أو مصاهرة أو مصلحة شخصية. العوامل الاقتصادية التي قد تؤثر على نزاهة قراراته.

ينص القانون على اختيار أعضاء مجلس الإدارة غير التنفيذيين القادرين على ممارسة الحكم المستقل في المسائل التي قد ينشأ عنها تضارب في المصالح. كما يحدد عدد أعضاء لجان مجلس الإدارة ومؤهلاتهم وخبراتهم، لا سيما في المسائل المالية والمحاسبية. علاوةً على ذلك، يحدد بوضوح أدوار ومسؤوليات هذه اللجان ومحتوى التقارير الدورية التي تقدمها إلى المجلس. تجدر الإشارة إلى أن القانون المذكور لا يُلزم المجلس بإنشاء لجنة تعيينات وحوكمة، تكون مسؤولة عن ترشيح المرشحين المؤهلين لانتخابات مجلس الإدارة والإشراف على جميع المسائل المتعلقة بالحوكمة.(٢٨)

[ينتهي النص فجأة هنا.] الوصف الشامل والمحدد لمهام وواجبات رئيس وأعضاء مجلس الإدارة، بما في ذلك مراقبة ومعالجة تضارب المصالح المحتمل بين الإدارة وأعضاء المجلس والمساهمين، بما في ذلك إساءة استخدام الأصول والمعاملات مع الأطراف ذات الصلة، وضمان سلامة أنظمة المحاسبة وأنظمة التقارير المالية المستقلة والتدقيق، وملاءمة أنظمة الرقابة الداخلية، وخاصة أنظمة إدارة المخاطر والرقابة المالية والتشغيلية، وامتثالها للقوانين والمعايير ذات الصلة، فضلاً عن مهام تقييم أداء أعضاء مجلس الإدارة ولجانهم بشكل مستقل، والإشراف على فعالية إجراءات حوكمة الشركات، وإجراء التعديلات إذا لزم الأمر.

الخاتمة:

في ضوء التحليل والمناقشة السابقين، يتضح أن الإطار القانوني والتنظيمي في العراق يمثل خطوة هامة نحو ترسيخ مبادئ الحوكمة والحد من الفساد المالي والمحاسبي في الشركات المساهمة العامة. إلا أن فاعليته لا تزال تواجه تحديات عدة. وقد كشفت الدراسة أنه على الرغم من أن التشريعات العراقية تتضمن أحكامًا واضحة تتعلق بالإفصاح والشفافية والمسؤولية والمساءلة، إلا أنها تتطلب مزيدًا من التحديث والمواءمة مع المعايير الدولية. كما أن هناك حاجة إلى تفعيل

دور الهيئات الرقابية ومنحها صلاحيات أوسع وموارد فنية وبشرية أكبر.

كما توصل البحث إلى أن ضعف التنسيق بين المؤسسات الرقابية، وتداخل الاختصاصات، ومحدودية الاعتماد على الأنظمة الإلكترونية الحديثة، عوامل تعيق قدرة الإطار التنظيمي على كشف المخالفات المالية ومكافحتها. وهذا يتطلب بذل جهود لتطوير النظام الرقابي وتعزيز استقلاليته ورفع كفاءته المهنية، بالإضافة إلى نشر ثقافة الحوكمة داخل الشركات المساهمة العامة من خلال التدريب وبناء القدرات وتبني ممارسات إدارية حديثة.

بناءً على ما تقدم، خلصت الدراسة إلى أن تعزيز الحوكمة ومكافحة الفساد المالي يتطلبان رؤية إصلاحية شاملة تجمع بين تحديث القوانين، وتمكين الأجهزة الرقابية، وتطوير القدرات الداخلية للشركات، مما يسهم في توفير بيئة استثمارية مستقرة وشفافة. وهذا بدوره يدعم الاقتصاد الوطني، ويحمي حقوق المساهمين، ويعزز الثقة في السوق المالية، ويضع الشركات المدرجة على المسار الصحيح نحو إدارة سليمة ومستدامة.

المصادر

١. Albahsh, R.; Al-Anaswah, M. F. (2024). Artificial intelligence applications in auditing processes in the banking sector. Corporate Ownership & Control, 21(3), 35–46.

٢. العجيلي، إيمان سالم. (٢٠٢٣). دور آليات حوكمة الشركات في الحد من ممارسات المحاسبة الإبداعية: دراسة ميدانية من وجهة نظر أكاديمي ومهني مدينة مصراتة. مجلة دراسات الاقتصاد والأعمال، ١٠(١)، ٣٩–٦٠.

٣. العُمري، سلطان عبد الرحمن سعيد. (٢٠٢٤). دراسة أثر آليات حوكمة الشركات على الأداء المالي للشركات السعودية. مجلة العلوم التجارية والبينية، ٣(١)، ١–٢٧.

٤. Albahsh, R.; Al-Anaswah, M. F. (2024). Artificial intelligence applications in auditing processes in the banking sector. Corporate Ownership & Control, 21(3), 35–46.

٥. أحمد ب. (٢٠٢٥). دور تطبيق حوكمة الشركات المدرجة في تحديد مسؤولية ولجان التدقيق وهيكلية مجلس الإدارة في جودة التقارير المالية. تنمية الرافدين، ٤٤(٣)، ٢٨١–٢٩٨.

٦. الحيالي، وليد. (٢١١٢). دراسات في المشاكل المحاسبية المعاصرة (الإصدار الأول). عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع.

٧. القاضي، حسين؛ حمدان، مأمون. (٢١١١). نظرية المحاسبة. عمان: الدار العلمية ودار الثقافة.

٨. القاضي، حسين. (٢١١١). المحاسبة الدولية (الطبعة الأولى). عمان: الدار العلمية ودار الثقافة.

٩. حماد، رطارق عبد العال. (٢١١٢). حوكمة الشركات: المفاهيم، المبادئ، التجارب، تطبيقات الحوكمة في المصارف. مصر: الدار الجامعية.

١٠. حلوة، حنان؛ محمد، رضوان. (١٩٩١). نظرية المحاسبة. سوريا: منشورات جامعة حلب.

١١. ميللستاين، ابرام. (٢٠٠٣). دور مجالس الإدارة والمساهمين في حوكمة الشركات. في: حوكمة الشركات في القرن الحادي والعشرين (الطبعة الثالثة، ص. ٣٢). واشنطن: مركز المشروعات الدولية الخاصة.

١٢. سوليفان، جون. (٢١١٣). حوكمة الشركات في القرن الواحد والعشرون (سمير كرم، مترجم). واشنطن: مركز المشروعات الدولية الخاصة.

١٣. Institute of International Finance (IIF), Equity Advisory Group. (2002, Feb-ruary). Policies of corporate governance & transparency in emerging markets (ص 3–4)

١٤. Kambil, A., وآخرون. (2006). The seven disciplines for venturing in China. MIT Sloan Management Review, 47(2), 85.

١٥. Linares, A. (2016, December). Access and citizen participation: An update of indicators for the democratization of communications. Intercom: Revista Brasileira de Ciências da Comunicação, 39(3), 37–52.

١٦. North, D.; Wallis, B.; Weingast, J. (2009). Violence and social orders: A conceptual framework for interpreting recorded human history. Cambridge University Press.

١٧. Sarra, J. (2004). Comparative standards of corporate accountability & responsibility. Corporate Governance – International Journal for Enhancing Board Performance, 4(2), 7.

١٨. Stein, B. (2004). Effective governance: Are we there yet? Cross Currents: The Magazine for Financial Services Executives, 17(Spring), 4–5. Ernst & Young LLP.

١٩. Wheelen, T. L.; Hunger, D. J. (2004). Strategic management & business policy concepts. Pearson Education, Inc.

٢٠. Zingales, L. (1997). Corporate governance (NBER Working Paper, p. 2). National Bureau of Economic Research.

٢١. القوانين العراقية: قانون الشركات رقم (٢١) لسنة ١٩٩٧ المعدّل؛ القانون المؤقت لأسواق الأوراق المالية رقم (٧٤) لسنة ٢٠٠٤؛ نظام ممارسة مهنة مراقبة وتدقيق الحسابات رقم (٣) لسنة ١٩٩٩؛ تعليمات النظام المحاسبي رقم (١) لسنة ١٩٨٥؛ المعايير المحاسبية وأدلة التدقيق الصادرة عن مجلس المعايير المحاسبية والرقابية في العراق؛ النظام الداخلي لجمعية مراقبي الحسابات في العراق لسنة ١٩٩٢.

٢٢. فادية ناجي. (٢٠٢٤). دور حوكمة الشركات في الحد من ممارسات المحاسبة الإبداعية لتحقيق جودة التقارير المالية (دراسة تطبيقية). المجلة العلمية للدراسات والبحوث المالية والتجارية، ٥(٢)، ١١٥٥–١١٩٠.

٢٣. أسامة عياد رمضان جنقر. (٢٠٢٣). أثر الآليات المحاسبية لحوكمة الشركات في تحسين الأداء المالي لدعم القدرة التنافسية للمؤسسات المالية: دراسة ميدانية. مجلة الدراسات الاقتصادية، ٦(٣)، ٢٤٢–٢٧٤.

٢٤. حسين هادي جاسم. (٢٠٢٤). دور حوكمة الشركات في الحد من ظاهرة تسوق رأي المدقق الخارجي: دراسة ميدانية في مكاتب وشركات التدقيق في إقليم كوردستان. مجلة واسط للعلوم الإنسانية، ٢٠(٢)، ٧٠٧–٧٣٢.

٢٥. فايزة السلمي. (٢٠٢٥). Digital Innovation and Sustainable Accounting Practices: A Systematic Literature Review through the Governance Context. Journal of Governance & Regulation، ١٤(١)، ٣٨–٤٨.

٢٦. دراسة: The Impact of Corporate Governance Mechanisms by the External Auditor for Financial Reporting. Sardar Jalal Hassan & Rzgar Ali Ahmed. The Scientific Journal of Cihan University–Sulaimaniya.

٢٧. دراسة: تأثير حوكمة الشركات في تطبيق المعيار المالي لمحاسبة الاستدامة FNO ١٠١. مجلة الإدارة والاقتصاد، ٤٩(١٤٢)، ٢٢٢–٢٣٩.

٢٨. دراسة: آليات حوكمة الشركات ودورها في تعزيز واقع الإفصاح عن التنمية المستدامة. (مقال من مجلة عراقية)

مهارات التدريس الناعمة لدى معلمي الصفوف الأولى

عبد الأمير محمد رضيو
وزارة التربية/المديرية العامة للتربية في محافظة ميسان



المستخلص:

هدفت الدراسة الى التعرف على مستوى مهارات التدريس الناعمة لدى معلمي الصفوف الاولى وتكونت العينة من (٣٠) معلم ومعلمة من معلمي الصفوف الاولى تم اختيارهم بالطريقة العشوائية ، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، وتم اعداد استبانة لمهارات التدريس الناعمة تكونت من (٣٠) فقرة ، وتمت معالجة البيانات بالوسائل الاحصائية المناسبة (النسبة المئوية – ارتباط بيرسون – ارتباط سبيرمان – الاختبار التائي لعينة واحدة – الاختبار التائي لعينتين مستقلتين) وتوصلت الدراسة الى ان مستوى مهارات التدريس الناعمة لدى معلمي الصفوف الاولى ضعيفا ، و لا توجد فروق دالة احصائيا في تلك المهارات لدى عينة البحث بحسب متغير الجنس (ذكور اناث) و قدم الباحث بعض التوصيات والمقترحات منها ضرورة تقديم برامج تدريبية لتطوير مهارات التدريس الناعمة لمعلمي الصفوف الاولى وتوفير الاجواء المناسبة لمعلمي الصفوف الاولى لتطوير مهاراته .

الكلمات المفتاحية : المهارات ، مهارات التدريس الناعمة ، معلمي الصفوف الأولى ، المدارس الابتدائية

Abstract:

The study aimed to identify the level of soft teaching skills among first grade teachers. The sample consisted of (٣٠) male and female teachers from first grade teachers who were randomly selected. The researcher used the descriptive approach, and a questionnaire was prepared for soft teaching skills consisting of (٣٠) paragraphs. The data were processed using appropriate statistical methods (percentage – Pearson correlation – Spearman correlation – t-test for one sample – t-test for two independent samples). The study concluded that the level of soft teaching skills among first grade teachers is weak, and there are no statistically significant differences in those skills among the research sample according to the gender variable (males, females). The researcher presented some recommendations and suggestions This includes the need to provide training programs to develop soft teaching skills for primary school teachers and to provide a suitable environment for primary school teachers to develop their skills.

Keywords: Skills – Soft Teaching Skills – Primary Grade Teachers

الفصل الأول: التعريف بالبحث:

اولا : المقدمة:

ان التعليم يعد حجر الاساس في بناء المجتمعات وتطويرها فهو الوسيلة التي تنتقل من خلالها المعارف والخبرات من جيل الى اخر بصورة منظمة ففي المجتمعات البدائية كانت معارف الافراد محدودة تستمد في الغالب من تجارب الاجيال السابقة بما يساعدهم على تلبية احتياجاتهم المعيشية الا ان هذه المعارف لم تكن كافية لا حداث نقلة نوعية في حياة الانسان بل كانت تقتصر على ما يضمن البقاء والاستمرار. فمنذ فجر التاريخ لعبت التربية والتعليم دوراً بارزاً في التغيرات التي تتعرض لها المجتمعات وما من شك أن العلاقة التي تمثل هذا التغير هي علاقة طردية أي أن مستوى التربية ونوعها يؤثر سلبيا أو إيجابيا في مستوى التغيرات الاجتماعية ونوعها فأن كانت التربية جيدة ومتقدمة في اطروحاتها ووسائلها وأدواتها وأهدافها والياتها ستحدث بلا شك تغيرات نوعية ومتقدمة في المجالات الصناعية والسياسية والاقتصادية والتنموية،

والمجالات كافة والعكس صحيح لذا فواقع أي مجتمع صورة معبرة عن واقع التربية، أي بمعنى أخر يمكن أن يعرف الفرد واقع التربية وجودتها في مجتمع يزوره عبر الصور الاجتماعية والواقع التنموي والخدمي (الطريري، ٢٠١١)

ومع التطورات المتسارعة في مجال التربية ، أصبح تطوير مهارات التدريس الناعمة لدى المعلمين ضرورة ملحّة لمواكبة التغيرات ومتطلبات التعليم الشامل ، اذ تشير الدراسات إلى أهمية دمج المهارات التدريس الناعمة، مثل التواصل الفعّال، التفكير النقدي، والتنظيم، في برامج إعداد المعلمين لتحسين أدائهم وتلبية احتياجاتهم، وبرزت رؤية التربية أهمية تطوير هذه المهارات لتتناسب مع متطلبات القرن الحادي والعشرين، بما يشمل استخدام التكنولوجيا الحديثة وتعزيز الإبداع. وتشير الدراسات إلى أهمية المؤتمرات والدورات التدريبية لتزويد المعلمين بالأدوات التي تعينهم على مواجهة تحديات التحول الرقمي وتطويرهم عبر مناهج تعليمية مبتكرة(هامر واخرون ،٢٠١٩)

فالمعلم يعد عنصراً محوريا ضمن منظومة التعليم، يتفاعل مع مكوناتها ويؤثر فيها ويتأثر بها، وينظر إليه كأحد أهم المدخلات الأساسية والرئيسة في العملية التعليمية، وقد طرأ تحول كبير في أدواره في القرن الحادي والعشرين، فلم يعد يقتصر على نقل المعلومات من الكتب إلى عقول الطلبة، بل أصبح مطالباً بتفعيل دور الطلبة ومشاركتهم الفعالة في اكتساب المعرفة، بما يسهم في تنمية التفكير العلمي والمهارات الإبداعية لديهم (مسلم ،٢٠٢٥).

و المعلم الذي تحتاجه الاجيال في هذا العصر الذي يشهد طوقا معرفيا وتدفقا للمعلومات وثروة في وسائل الاتصال و تكنولوجيا المعلومات وتنوعا في اساليب التربية هو عضو هيئة تدريس ذو امكانيات ومؤهلات و قدرات ومواصفات نوعية متطورة كي تتلائم مع التطورات المتسارعة التي يشهدها العالم(العلوي ،٢٠٢٢)

تواجه مهنة التعليم بصفة عامة و معلموا الصفوف الاولى من بين مكونات مهنة التعليم تأخيرا في الوظائف والمسؤوليات التي يجب عليهم القيام بها ويتطلب هذا التغير امتلاكهم لمجموعة من المهارات المحددة التي يمكنها ان تساعدهم في مجاراة التغير والتغلب عليها ويحتاج معلم الصفوف الاولى الى مجموعة من المهارات التي تضمن لهم مسيرة مهنية ناجحة هذه المهارات تتجاوز التكوين الاكاديمي والاعداد التخصصي اثناء الدراسة الجامعية وكذلك اثناء العمل الى مجالات اوسع وارحب تعرف بالمهارات الناعمة.(عتيبة،٢٠٢١)

يشهد الوقت الحاضر اهتماماً كبيراً بالمرحلة الابتدائية باعتبارها الفترة التكوينية الحاسمة من حياة الإنسان، لأنها المرحلة التي يتم فيها وضع البذور الأولى للشخصية بوصفها تتبلور وتظهر ملامحها في المستقبل كما أنها المرحلة التي تنمو فيها قدرات الطفل، وتتفتح فيها اتجاهاته وميوله، وهي تمثل العمر المناسب لبدايات اكتساب الكثير من المفاهيم والمهارات، ونظراً لأهمية المرحلة الابتدائية وحساسيتها، وأثرها في تكوين مفاهيم الطفل ومهاراته، ولما كانت نسبة ذكاء الطفل تزداد كلما كانت المثيرات البيئية حوله خصبة وسوية، فإن هذا يدفع إلى الاهتمام بالتعليم وخاصة في تعلم مهاراتي القراءة والكتابة في هذه المرحلة المبكرة، حيث تعتبر هذه المرحلة الأساس للمراحل التعليمية التالية، فالتعليم في هذه المرحلة مصدر مهم لتكوين مفاهيم الطفل ومهاراته من القراءة والكتابة (روسان وعبد المجيد , ٢٠٢١)

يرى الباحث ان كل بناء في الحياة يعتمد على اساس متين فكلما كان الاساس قويا كان البناء اكثر صلابة واستمرارية وانطلاقا من ذلك يعد معلم الصفوف الاولى الركيزة الاساسية في الهرم التعليمي اذ يقع على عاتقه تشكيل اللبنات الاولى لشخصية التلميذ ومساره الدراسي . ومن هنا تبرز الحاجة الى اعداد معلم الصفوف الاولى اعدادا خاصا وشاملا من جميع النواحي ليكون قادرا على مواجهة التحديات وامتصاص المعوقات التي قد تتعرض وتؤثر في العملية التعليمية .

ثانيا : مشكلة البحث :

تعد مرحلة التعليم الاساس من اهم المراحل في السلم التعليمي اذ تشكل حجر الاساس لبناء شخصية التلميذ وتنمية معارفه واتجاهاته ويحتاج الطفل في هذه المرحلة الحساسة الى بيئة تربوية يسودها العطف والحنان كونه ينتقل من محيط اسري قائم على الحب والرعاية الابوية الى بيئة مدرسية تختلف في معايرها وأنظمتها. وأكدت دراسة (البطوش٢٠١٧) على اجراء المزيد من الدراسات المتعلقة بالممارسات التدريسية الصفية للمعلمين في كافة المواد الدراسية وفي جميع المراحل

الدراسية من قبل الباحثين مع التركيز على استقصاء العوامل المؤثرة في هذه الممارسات ومن هنا تبرز أهمية اعداد معلمي الصفوف الاولى اعدادا خاصا يمكنهم من امتلاك مهارات التدريس الناعمة في التعامل مع التلاميذ، لما لهذه المهارات من اثر في تيسير عملية التعلم واكساب التلميذ الاتجاهات الايجابية نحو المدرسة.

وبحكم خبرة الباحث التي تمتد الى ما يقارب (٢٠ سنة) والمعايشة اليومية والتحديات التي يواجهها في تدريس الصفوف الاولى فقد لاحظ أن بعض المعلمين لديهم ضعف في مهارات التدريس الناعمة ويلجؤون بدلا من ذلك الى بعض الاساليب التي تؤدي الى نفور التلاميذ من البيئة المدرسية ويضعف دافعيتهم للتعلم وجعلهم سلبين غير مشاركين .

وتأتي مشكلة هذا البحث من احساس الباحث بأن هناك فجوة واضحة بين المهارات المطلوبة فعليًا وبين ما يمتلكه بعض المعلمين من مهارات وهذا يؤثر سلبا على قدرتهم على بناء علاقات ايجابية مع التلاميذ وأولياء الامور، هذه الفجوة تستدعي البحث في مستوى امتلاك معلمي الصفوف الاولى لمهارات التدريسية الناعمة لتلبية احتياجات التلاميذ بشكل أفضل وضمان تحقيق بيئة تعليمية أكثر شمولًا وإنسانية.

ومن هنا برزت الحاجة الى اجراء الدراسة الحالية للإجابة على السؤال الآتي:

ما مهارات التدريس الناعمة لدى معلمي الصفوف الاولى ؟

ثالثا :أهمية البحث:

تبرز اهمية البحث بالنقاط التالية :

١ – مساعدة المعلمين على بناء علاقة أمنة وداعمة مع التلاميذ بناءا على ما يزودهم به البحث من بيانات حول مهارات التدريس الناعمة مما يعزز ثقتهم بأنفسهم ويشجعهم على التعلم .

٢ – اهمية معلم الصفوف الاولى كونه يركز على دعم الجانب النفسي والعاطفي للطفل الذي ينتقل من البيت الى المدرسة فيخفف من قلق الانفصال ويزيد من قابليته للتكيف .

٣ – توجيه برامج اعداد وتدريب المعلمين للتركيز على مهارات التدريس الناعمة بقدر اهتمامها بالجانب الاكاديمي وخاصة لمعلمي الصفوف الاولى .

٤ – تزويد الباحثين وصناع القرار التربوي باطار نظري وافي لمهارات التدريس الناعمة .

٥ – تعد الدراسة الاولى من نوعها التي تهتم بمهارات التدريس الناعمة لدى معلمي الصفوف الاولى على حد علم الباحث .

رابعا : اهداف البحث: يهدف البحث الى التعرف على :

١ – مهارات التدريس الناعمة لدى معلمي الصفوف الاولى .

٢ – الفروق بين مهارات التدريس الناعمة لدى معلمي الصفوف الاولى حسب الجنس (ذكور – اناث)

خامسا : حدود البحث:

يتحدد البحث بالحدود التالية:

- الحد البشري: معلمي الصفوف الاولى .
- الحد المكاني : المدارس الابتدائية التابعة لمديرية محافظة ميسان – قضاء المجر الكبير .
- الحد الزماني : العام الدراسي(٢٠٢٥-٢٠٢٦) .

سادسا : تحديد المصطلحات:

١ . مهارات التدريس الناعمة : عرفها كل من :

– (خميس، ٢٠١٣): هي مجموعة من السمات الشخصية المرتبطة بالتواصل مع الآخرين، بجو من التعاون، و التي تبين مقدار الراحة التي وصل إليها في بيئة عمله، و مقدرة الفرد عن التعبير عن ذاته، و التواصل مع التكنولوجية الرقمية التي أصبحت متطلب أساسي، كمهارة استعمال الحاسب الآلي والبريد الإلكتروني، و مهارة تقديم الأفكار بطريقة متقنة

و جاذبة للآخرين

– (القحطان , ٢٠١٤) : هي صفات شخصية تعزز تفاعلات الفرد وأداءه الوظيفي، وتؤثر في مستقبله المهني. تختلف هذه المهارات وتتكيف بسهولة، وتعتبر أكثر فعالية من المهارات الصلبة»

–(ناصر الدين،٢٠٢١) هي ما يقوم به المعلم من جهد ليصقل شخصيته ليصل للنجاح والتطور من خلال القدرات المميزة التي يمتلكها والتي تكون بالفطرة او يمكن اكتسابها بالتدريس والممارسة لمدة من الزمن لتصبح من سماته الشخصية الطبيعية والتي تعمل على تطوير التفاعل مع زملائه بالعمل مما يوجهه نحو الاداء المتميز

التعريف الاجرائي : هي قدرة معلمي الصفوف الاولى على التفاعل مع الآخرين، عن طريق امتلاك مهارات (إدارة الوقت، الاتصال والتواصل، التفكير الناقد، القيادة، اتخاذ القرار، التفاوض، العمل الجماعي،)التخطيط والتنظيم) مما يعزز من تحسين أداء المعلم داخل الغرفة الصفية وخارجها، والرقي بالمستوى التربوي التعليمي ، ويمكن قياس تلك المهارات لديهم من خلال الدرجة التي يحصل عليها المعلم بعد اجابته على فقرات مقياس مهارات التدريس الناعمة المعد من قبل الباحث في هذا البحث.

٢.معلمي الصفوف الاولى : هم العاملين في ميدان التربية والتعليم، و يقومون بتعليم تلاميذ الصفوف الاولى (الاول – الثاني– الثالث) الابتدائي في المرحلة الابتدائية، ويتخرجون من قسم معلم الصفوف الاولى في كليات التربية الاساسية في جامعات العراق.

الفصل الثاني : خلفية نظرية و دراسات سابقة :

اولا: خلفية نظرية:

١. مهارات التدريس الناعمة : تعبر عن مجموعة من القدرات غير الاكاديمية التي يمتلكها المعلم وتساعده على بناء علاقة ايجابية مع التلميذ وزملاء العمل مثل مهارات التواصل الفعال ،ادرة الصف بروح مرنة ،الذكاء العاطفي ، التعاون ، التفكير الناقد ، حل المشكلات وضبط الانفعالات هذه المهارات تعد مكملة للمهارات الاكاديمية لأنها تمكن المعلم من تهيئة بيئة تعليمية محفزة وتزيد من تفاعل التلاميذ ودافعيتهم للتعلم خاصة في المراحل الاولى من التعليم حيث يحتاج الطفل الى دعم نفسي وعاطفي بقدر حاجته الى المعرفة(Abdullah, ٢٠١٢)

ان مهارات التدريس الناعمة مهارات متغيرة ومتقلبة وفقا للمكان او الزمان، او الظروف المحيطة، والتدخلات الخارجية والداخلية او الخبرات او الفئات العمرية عوامل كثيرة يمكنها ان توثر على جودة المهارات الناعمة وقد توثر عليها كثير كالحالة المزاجية للفرد (مدخلي وعبد الكريم، ٢٠٢٢)

اذ ان كل مهارة من المهارات الناعمة مثل مهارة الاتصال والتواصل تختلف من فرد الى اخر ومن ثقافة الى اخرى ومن وقت الى اخر حتى تقنية لأخرى ومن وقت لأخر ومن حالة النفسية للفرد لاخرى ومن هنا تأتي مرونتها فهي مهارات قابلة للتغير والتجديد والتعديل وفقا لاي سبب داخلي او خارجي قد يحدث يؤثر عليها فهي مهارات متغيره ويصعب تحديدها (الصالح, ٢٠١٣)

٢. انواع مهارات التدريس الناعمة :

أ– مهارات التواصل الفعال: كالاستماع النشط التعبير الواضح ولغة الجسد.

ب– مهارات الذكاء العاطفي: الوعي الذاتي ، ضبط الانفعالات، التعاطف ، وادارة العلاقات.

ت– مهارات التفكير الناقد وحل المشكلات : مواجهة المواقف الصفية الطارئة واختيار الحلول المناسبة .

ث– مهارات التعاون والعمل الجماعي : المشاركة مع الزملاء والطلبة لتحقيق اهداف مشتركة

ج– مهارات القيادة الصفية: ادارة الصف بروح ديمقراطية وتحفيزية بعيدا عن التسلط .

ح– مهارات التكيف والمرونة : تقبل الفروق الفردية وتعديل طرق التدريس وفق احتياجات الموقف .

خ– المهارات الاجتماعية: بناء علاقات ايجابية مع التلاميذ واولياء الامور واحترام ثقافاتهم(الشمري، ٢٠٢١)

٣.اكتساب المهارات الناعمة

– التدريب : ويكون عن جهات معتمدة مثل الجامعات والشركات ومراكز التدريب التي تمنح شهادات اجتياز التدريب

واعتماده

– التعليم الذاتي: وذلك من خلال السعي المستمر والمبتكر لتطوير الذات والشخصية باستمرار وخصوصا المهارات اللازمة المطلوبة للابتكار والنجاح عند الشروع في اختبار المعلمين الجدد (الزعبي,٢٠٢٢)

٤. دور معلمي الصفوف الاولى في مهارات التدريس الناعمة :

يلعب معلمي الصفوف الاولى دورًا محوريًا في تطوير مهارات التدريس الناعمة لدى التلاميذ، حيث يساهم في بناء شخصياتهم وتعزيز قدراتهم الاجتماعية والعاطفية. يتمثل دور المعلم في:

• التواصل الفعال: التواصل الفعال هو حجر الزاوية في التدريس الفعال. يجب أن يكون المعلمون قادرين على نقل الأفكار والمفاهيم بوضوح، والاستماع بفعالية، وتقديم ملاحظات بناءة. يتضمن التواصل الفعال أيضاً القدرة على تكييف رسالة المعلم لتناسب جمهور متنوع، بما في ذلك التلاميذ الذين لديهم احتياجات تعليمية خاصة أو خلفيات ثقافية مختلفة.

• العمل الجماعي: لعمل الجماعي هو القدرة على العمل معًا نحو هدف مشترك، وتوجيه الإنجازات الفردية نحو تحقيق الأهداف التنظيمية. يتطلب ذلك تنظيم المهام وتوزيع الأولويات بين أفراد الفريق، بالتعاون والتنسيق الكامل تحت إدارة قادرة.

• القيادة: تعني القدرة على اتخاذ قرار سريع وصحيح بناء على المعلومات المتاحة. تتطور هذه المهارة مع الوقت والتجربة، وتزيد قوتها كلما تعاملت مع مواقف مختلفة. (ناصر الدين، ٢٠٢١).

• الذكاء العاطفي : يُعَرف بأنه القدرة على التواصل مع الآخرين، وبناء علاقات تسودها المحبة والالتزام، حيث يتشكل نتيجة فهم الإنسان لنفسه، وقدرته على التحكم بعواطفه، بالتالي فهو يرتبط جداً بالذكاء العاطفي، إذ يُغطي الذكاء العاطفي عدة جوانب متعلقة بالوعي العاطفي، وكيفية إدارة الشخص لحياته قبل مشاركة الآخرين بها، بينما يبدأ دور الذكاء الاجتماعي بالتواصل مع الآخرين؛ حيث يحتاج الشخص لتوظيف مهارات الذكاء الاجتماعي ؛كالتعبير، والحوار والاستماع، والمصالحة، وغيرها. (الزيون، ٢٠١٤)

ثانيا : الدراسات السابقة :

– دراسة (العدوان ،٢٠١٤) : هدفت إلى تعرف مهارات الناعمة لدى مديري المدارس الحكومية في مديرية التربية والتعليم بالشونة الجنوبية، وطبقت الدراسة على عينة عشوائية مكونة من((٤٨٩ معلماً ومعلمة، واستخدم أداة الدراسة الاستبانة، واعتمدت المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن درجة مديري المدارس للمهارات الناعمة من وجهة نظر المعلمين كانت (مرتفعة) بكل المجالات، كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية تعزى لمتغيرات (الجنس، الحالة الاجتماعية، العمر، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة). وهناك فروق تعزى لمتغير النوع لصالح الذكور، ولا توجد فروق تعزى لمتغير(سنوات الخبرة، المؤهل العلمي، الحالة الاجتماعية، العمر) .

– دراسة (ابن شريك وعبد الحفيظ ,٢٠١٧): هدفت الدراسة الى تحديد نموذج نظري لاهم المهارات المرنة في بيئة العمل بصفة عامة استخدمت الدراسة المنهج الوصفي وتناول الباحثين مفهوم المهارات المرنة للموارد البشرية في بيان اهم ماجاء فيها من تعاريف مع ترجيح وتبني تعريفا اكثر خدمة للموضوع وقد تبين للباحثين سبب اعتمادها على مصطلح المرنة بدل (الناعمة) وذلك اعتمادا على المصادر اللغوية وكون مصطلح المرنة اقرب للسلوك الانسان من الناعمة وقد فرق الباحثين بين انواع من حيث كونها مهارات صلبة واخرى مرنة والعلاقة بين المهارات المرنة والمصطلحات المشابهة لها كالقدرة والموهبة وغيرها كما بين الدراسة مجموعة من المهارات المرنة الواجب من الموارد البشرية مراعاتها والعمل على تنميتها وتطويرها كذلك تناولت الدراسة نموذجا للمهارات المرنة تنميتها وتطويرها كذلك تناولت الدراسة نموذجا للمهارات المرنة مبينا اهم العلاقات بين مختلف المهارات

– دراسة (ثابت، ٢٠٢٢) : هدفت إلى قياس مدى تعليق برنامج تدريبي مقترح لتنمية المهارات الناعمة لدى الهيئات الادارية للأطر الطلابية في جامعة الاقصى للكشف عن مستوى هذه المهارات، وكانت العينة صغيرة والبالغ عددهم (٣٧) طالب وطالبةً، واعتمد المنهج التجريبي الحصري الشامل لصغر حجم الافراد وتوصلت نتائج الدراسة أن متوسط درجة المهارات الناعمة)منخفضة)، وبعد تطبيق البرنامج ارتفعت الدرجة إلى (٨٨٪) ووجود فروق ذات دلالة احصائية

للمقاييس القبلية والبعدية، وال يوجد فروق ذات دلالة إحصائية للمقاييس البعدية والتتبعية للبرنامج، كما أثر البرنامج برفع كفاءة ومستوى المهارات لدى الهيئات الإدارية للأطر الطالبي.

– دراسة)بهنسي، ٢٠٢٢): هدفت الدراسة الى التوصل لقائمة بالمهارات الناعمة مرتبة حسب اهميتها في قيامه بأدواره بكفاءة، وذلك من وجية نظر أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية ومديري المدارس والمشرفين التربويين بالمراحل التعليمية المختلفة استخدمت الدراسة المنهج الوصفي، واستخدمت الاستبانة كأداة لها، وتكونت عينتا البحث (٩٨) من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الاسكندرية، و (٤٠) من مديري المدارس(٢٨) مشرفا تربويا وتوصلت الدراسة الى قائمة بالمهارات الناعمة اللازمة للمعلم وكان ترتيبها تنازليا حسب اهميتها للمعلم كما يلي مهارات العمل في فريق وقيادته ،مهارات التفكير، مهارات التواصل ، مهارات التواصل ، مهارات تسويق الذات، المهارات الرقمية وتقديم قائمة بخمس عشرة مهارة ناعمة فرعية تمثل اولوية في برنامج اعداد المعلم .

– جوانب الإفادة من الدراسات السابقة:

– العمل على تحديد مشكلة البحث الحاليّ وتحديد أهميته و أهدافه .

– الاستفادة من الإطار النظريّ الذي ساعد الباحث في موضوعه العلمي .

– الاطلاع على حجم العينات المستخدمة في الدراسات السابقة .

– تحديد أهم الأساليب الإحصائية في الدراسات السابقة واستخدامها في البحث الحالي .

– بناء أدوات البحث الحالي حيث ساعدت في مقياس المهارات الناعمة.

الفصل الثالث : اجراءات البحث:

١.منهجية البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي لمناسبته لأهداف الدراسة الحالية، حيث يتم دراسة وتحليل مهارات التدريس الناعمة التي يمتلكها معلمي الصفوف الاولى .

٢.مجتمع البحث:

تكون مجتمع البحث الحالي من معلمي الصفوف الاولى ، في المدارس الابتدائية التابعة للمديرية العامة لتربية محافظة ميسان للعام الدراسي (٢٠٢٥/٢٠٢٦)

٣.عينة البحث:

العينة جزء من المجتمع الكلي الذي تجرى عليه الدراسة . والتي يختارها الباحث لأجراء دراسة عليها وفق قواعد خاصه لكي تمثل المجتمع تمثيلا صحيحا (البلداوي , ٢٠٠٧). وقد تكونت عينة البحث الحالي من (٣٠) معلماً ومعلمةً من معلمي الصفوف الاولى بواقع (١٧) ذكور(١٣) اناث وتم اختيارها بنحو عشوائي ، والجدول (١) يبين توزيع عينة البحث.

جدول رقم (١) عينة البحث

الرقم	المدرسة	معلمين	معلمات
١	الحزم	٢	٢
٢	التسيلي	٣	١
٣	ام ابيها	٢	٠
٤	الجولان	٢	٢
٥	المعارف	٢	٢
٦	الجمهورية	٢	١
٧	بردا	٢	١
٨	الشيخ الصدوق	١	٢
٩	الشعوبي	١	٢

٤. أداة البحث:

لغرض قياس متغير البحث (مهارات التدريس الناعمة) وبعد الاطلاع على الادبيات والدراسات السابقة ذات العلاقة

بمتغير البحث التي ساعدت الباحث على اكتساب بصيرة بموضوع البحث قام الباحث بأعداد اداة البحث ،وتكونت من (٢٥) فقرة، ذات بدائل ثلاثية ملحق (١) .

– تعليمات المقياس:

– عدد فقرات المقياس : بلغت عدد الفقرات المقدمة لمستجيب الاستبانة (٢٥) فقرة.

– البدائل : تم اعتماد مقياس(ليكرت) ثلاثي التدرج في تحديد بدائل كـــــل فقرة والبدائل

(تنطبق علي بدرجة كبيرة ، تنطبق علي بدرجة متوسطة ، لا تنطبق علي)

– أوزان البدائل : تحددت اوزان البدائل بالدرجات (٣ ، ٢ ، ١)

– خصائص الاداة السيكومترية

أ– الصدق: لغرض التحقق من صدق الاداة اعتمد الباحث على الصدق الظاهري

– الصدق الظاهري للأداة:

قام الباحث بعرض المقياس بصورته الاولية على مجموعه من المحكمين والمتخصصين في مجال العلوم التربوية وطرائق التدريس ، وقد طلب منهم ابداء آرائهم حول مدى صلاحية الفقرات وملائمتها ،و وضوحها من حيث صياغة الفقرات مع صلاحية الغاء او اضافة التعديل وفقا لما يراه اعضاء لجنة التحكيم مناسبا من الفقرات, وبعد جمع البيانات كانت نسبة اتفاق الخبراء على جميع الفقرات اعلى من (٨٠٪), وبذلك تعد الاداة صادقة .

ب– الثبات :

تم التحقق من ثبات أداة الدراسة من خلال التجزئة النصفية (فردي، زوجي) حيث تم تطبيقها على عينة استطلاعية مكونة من (١٥) معلما ومعلمة من معلمي الصفوف الاولى ، ومن ثم حساب معامل ارتباط بيرسون ، وبلغ (٠،٨٣) ، وتم تصحيح معامل بيرسون باستخدام معادلة سبيرمان وبلغ الثبات (٠،٩٠) وهو معامل ثبات عال .

٥.تطبيق الأداة بصورتها النهائية:

بعد التأكد من صلاحية أداة البحث قام الباحث بتطبيقه على عينة البحث البالغة (٣٠) معلم ومعلمة من معلمي الصفوف الاولى، للمدة (٧–٢٠ / ٩ / ٢٠٢٥) حيث قام الباحث بشرح التعليمات والهدف من البحث وكيفية الإجابة على المقياس والإشراف المباشر على تطبيقه .

٦.الوسائل الاحصائية:

تمت المعالجات الاحصائية لبيانات الدراسة باستخدام الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (spss)،وذلك على النحو الآتي:

– النسبة المئوية

– ارتباط بيرسون

– ارتباط سبيرمان

– الوسط المرجح

– الوزن المئوي

– الاختبار التائي لعينتين مستقلتين .

الفصل الرابع : عرض النتائج ومناقشتها:

في هذا الفصل سيتم عرض النتائج التي توصل لها البحث بحسب الأهداف التي تم تحديدها وكذلك تحليل ومناقشة وتفسير النتائج بحسب ادبيات البحث المرتبطة بمجاله وكذلك عرض الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات وهي على النحو التالي:

١.عرض النتائج :

نتيجة الهدف الاول : مستوى مهارات التدريس الناعمة لدى معلمي الصفوف الاولى

لغرض التحقق من نتيجة الهدف استخدم الباحث التكرارات و الوسط المرجح و الوزن المئوي وتم ترتيب الفقرات تنازليا بحسب اوساطها المرجحة و كانت النتائج كما في جدول (٣)

– اعتمد الباحث درجات القطع المعتمدة لمقياس ليكرت الثلاثي للحكم على مستوى الفقرات و هي كما في جدول (٢)

جدول (٢)درجات القطع لمقياس ليكرت الثلاثي

ت	الوسط	اتجاه الفقرة
١	١,٠٠ – ١,٦٦	ضعيفة
٢	١,٦٧ – ٢,٣٣	متوسطة
٣	٢,٣٤ – ٣,٠٠	عالية

جدول رقم (٣)التكرارات والوسط المرجح والوزن المئوي وترتيب الفقرات تنازليا

تسلسل الفقرة	التكرارات			الوسط المرجح	الوزن المئوي	رتبة الفقرة
	تنطبق على بدرجة كبيرة	تنطبق على بدرجة متوسطة	لا تنطبق علي			
١	١٣	٩	٨	٢,١٧	٧٢,٢٢	١
٣	١٤	٦	١٠	٢,١٣	٧١,١١	٢
٢٩	١٠	١٤	٦	٢,١٣	٧١,١١	٢
١٤	٤	٢٢	٤	٢,٠٠	٦٦,٦٧	٣
١٨	٨	١٤	٨	٢,٠٠	٦٦,٦٧	٣
٢١	٥	١٧	٨	١,٩٠	٦٣,٣٣	٤
٤	٥	١١	٩	١,٨٧	٦٢,٢٢	٥
٩	٢	٢٢	٦	١,٨٧	٦٢,٢٢	٥
١٠	١	٢٢	٧	١,٨٠	٦٠,٠٠	٦
٥	٣	١٧	١٠	١,٧٧	٥٨,٨٩	٧
١٧	١	١٦	١٣	١,٦٠	٥٣,٣٣	٨
١٦	١	١٥	١٤	١,٥٧	٥٢,٢٢	٩
١٢	٠	١٥	١٥	١,٥٠	٥٠,٠٠	١٠
٢٣	١	١٣	١٦	١,٥٠	٥٠,٠٠	١٠
٧	١	١٢	١٧	١,٤٧	٤٨,٨٩	١١
٨	١	١٢	١٧	١,٤٧	٤٨,٨٩	١١
٢	٤	٥	٢١	١,٤٣	٤٧,٧٨	١٢
٦	١	١١	١٨	١,٤٣	٤٧,٧٨	١٢
١١	٢	٩	١٩	١,٤٣	٤٧,٧٨	١٢
١٥	٠	١٣	١٧	١,٤٣	٤٧,٧٨	١٢
٢٨	٤	٥	٢١	١,٤٣	٤٧,٧٨	١٢
٣٠	٣	٧	٢٠	١,٤٣	٤٧,٧٨	١٢
٢٥	١	١٠	١٩	١,٤٠	٤٦,٦٧	١٣
١٣	٠	١١	١٩	١,٣٧	٤٥,٥٦	١٤
٢٤	١	٩	٢٠	١,٣٧	٤٥,٥٦	١٤
٢٧	٢	٥	٢٣	١,٣٠	٤٣,٣٣	١٥
٢٠	٠	٨	٢٢	١,٢٧	٤٢,٢٢	١٦
١٩	٠	٧	٢٣	١,٢٣	٤١,١١	١٧
٢٢	٠	٧	٢٣	١,٢٣	٤١,١١	١٧
٢٦	٠	٤	٢٦	١,١٣	٣٧,٧٨	١٨
المتوسط العام				١,٥٩		

تشير نتائج الجدول (٣) الى ان المتوسط العام لمهارات التدريس الناعمة لدى معلمي الصفوف الاولى بلغ (١,٥٩) ويشير بحسب درجة القطع الى ان مهارات التدريس الناعمة لدى معلمي الصفوف الاولى ضعيفة .

وجاءت الفقرات ذات التسلسل (١ – ٣– ٢٩ –١٤ –١٨ –٢١ –٤ –٩– ١٠ – ٥) بالمراتب الاولى (١– ٧) وتراوحت اوساطها المرجح بين (٢,١٧ – ١,٧٧) وهي تشير الى مستوى متوسط لمهارات التدريس الناعمة لدى معلمي الصفوف الاولى.

اما الفقرات ذات التسلسل (١٧–١٦–١٢–٢٣–٧–٨–٢–٦–١١–١٥–٢٨–٣٠–٢٥–١٣–٢٤– ٢٧–٢٠–١٩–٢٢–٢٦)كان ترتيبها (٨– ١٨) وتراوحت اوساطها المرجحة بين (١,٦٠ – ١,١٣) و هي تشير الى ان مستوى مهارات التدريس الناعمة لدى معلمي الصفوف الاولى ضعيفة .

الهدف الثاني : الفروق بين مهارات التدريس الناعمة لدى معلمي الصفوف الاولى حسب متغير الجنس (ذكور – اناث) لغرض التحقق من نتيجة الهدف استخدم الباحث الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لمقارنة الوسط الحسابي للذكور و الاناث في مهارات التدريس الناعمة و كانت النتائج كما في جدول (٤)

الجدول (٤)الاختبار التائي لعينتين مستقلتين في مقياس مهارات التدريس الناعمة بحسب متغير الجنس (ذكور ، اناث)

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة ٠,٠٥
					المحسوبة	الجدولية	
ذكور	17	50.52	7.91	28	1.73	2.04	دالة
اناث	13	45.0	9.58				

من الجدول (٣) يتضح ان القيمة التائية المحسوبة بلغت (١,٧٣) و هي اصغر من قيمتها الجدولية البالغة (٢,٠٤) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) و درجة حرية (٢٨) ، وهذا يدل على عدم وجود فروق دالة احصائيا في مستوى مهارات التدريس الناعمة بين عينة البحث بحسب متغير الجنس (ذكو ، اناث)

٢.الاستنتاجات:

– أن معلمي الصفوف الاولى مهاراتهم تقليدية و غير متطورة بما يتناسب مع التطورات الحديثة .

– لم يتم تزويد المعلمين بالمهارات الكافية اثناء الاعداد الاكاديمي ، ولم يتم تطويرها ما بعد الخدمة .

– كثرة اعداد الطلبة وكم المادة الدراسية وضيق الوقت تحد من تطوير المعلمين لمهاراتهم

٣.التوصيات:

– ضرورة تقديم برامج تدريبية لتطوير مهارات التدريس وخاصة الناعمة لمعلمي الصفوف الاولى .

– اقامة الورش والندوات للمشرفين ومديري المدارس والمعلمين لزيادة الوعي والتثقيف حول مهارات التدريس الناعمة .

– توفير الاجواء المناسبة لمعلمي الصفوف الاولى لتطوير مهاراته .

٤. المقترحات:

استكمالا للبحث الحالي يقترح الباحث اجراء الدراسات الاتية .

– قياس مستوى مهارات التدريس الناعمة لدى معلمي ومدرسي مراحل مختلفة .

– اعداد برنامج تدريبي قائم على مهارات التدريس الناعمة لمعلمي الصفوف الاولى.

المراجع :

١ . ابن شريك وعبد الحفيظ منى (٢٠١٧). نموذج نظري لأهم المهارات المرنة في بيئة العمل. مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة زيان، عاشور، الجلفة ١٠ (٢٠٧–٢٢٠).

٢. أبو عبادة، صالح عبدالله (٢٠١٢): العمل الجماعي ودوره في إشباع الحاجات وحل المشكلات النفسية، دار المنظومة، الطبعة السادسة.
٣. البطوش، أحلام محمد سالم (٢٠١٧). ممارسات التدريس الصفي لمعلمي التربية الإسلامية في المرحلة الأساسية بمحافظة الكرك – مديرية التربية والتعليم للواء المزار الجنوبي وأثرها على متغيري الجنس والخبرة التدريسية. مجلة التربية، جامعة الأزهر، كلية التربية، ١٧٥(٣)، ٤٣٣-٤٦٠.
٤. البلداوي، كاظم مجيد (٢٠٠٧): أسس البحث العلمي في العلوم التربوية والنفسية، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
٥. بمنسي فتحية أحمد عبد القادر (٢٠٢٢) المهارات الشخصية اللازمة للمعلمين في ضوء التحول إلى التعليم المهني، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة ١١٧ (١٢٦٤-١٣٢٨).
٦. ثابت، أحمد (٢٠٢٢): برنامج تدريبي مقترح لتنمية المهارات الناعمة لدى امينات الإدارية في المؤسسات التعليمية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، رسالة ماجستير، العراق.
٧. خميس، عبدالله (٢٠١٣): المهارات الناعمة التي يبحثون عنها، عمان: مؤسسة الرؤية للصحافة والنشر.
٨. الروسان، سيف الحلو، وعبد المجيد، عواطف حسن علي (٢٠٢١): درجة أداء معلمي اللغة العربية في مستويات الاستعداد والإعداد للقراءة والكتابة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، المجلد (٢٠)، العدد (٤١)، ١١-٢٨.
٩. الربون، مأمون وحمدي نرجس (٢٠١٤): درجة امتلاك معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة العاصمة في الأردن للمهارات اللازمة لاستخدام السبورة التفاعلية واتجاهاتهم نحو استخدامها في التدريس الصفي، مجلة العلوم التربوية، ص٥: ٨٥٧-٨٥٥.
١٠. الزعبي، حسن علي وإسلام محمد عبد (٢٠٢٢). أثر المهارات الشخصية للموارد البشرية على التميز المؤسسي في دائرة الأحوال المدنية والجوازات في الأردن. مجلة جامعة عمان العربية، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا (٧) ٩-٤١.
١١. الشمري، حسين علي (٢٠٢١): المهارات الشخصية وأهميتها في تطوير الأداء التربوي للمعلم، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد (٤٠).
١٢. الصالح، بدر عبد الله (٢٠١٣): تريلينج، بيرني، وفاضل تشارلز، تعليم مهارات القرن الحادي والعشرين للحياة في عصرنا، الرياض: مطبعة جامعة الملك سعود
١٣. الطريري، عبد الرحمن (٢٠١١): التعليم والتغيير الاجتماعي، صحيفة الاقتصادية، المملكة العربية السعودية.
١٤. عتيبة، أمل محمد حسن (٢٠٢١): المهارات الشخصية: نحو مواءمة مخرجات الجامعة مع متطلبات سوق العمل، مجلة البحوث التربوية والنوعية، مؤسسة التربية الخاصة والتأهيل التربوي (٥) ٦٦-٨٦.
١٥. العدوان، واصف وإسحاق توفيق (٢٠١٤). المهارات الشخصية لمديري المدارس الحكومية في مديرية التربية والتعليم في لواء الشونة الجنوبية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم التربوية، الأردن، جامعة جرش.
١٦. العلوي، جمال خصيف (٢٠٢٢): مهارات التدريس لمعلمي اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية من وجهة نظرهم، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، المجلد (٢١)، العدد (٤٢)، ٩٣-١٤
١٧. القحطاني، عايد (٢٠١٤): استراتيجية توظيف القيم الناعمة، رسالة دكتوراه، جامعة نايف، المملكة العربية السعودية.
١٨. مدخلي، هناء عبد الله، وعبد الكريم، إشراقة، أرباب حمد (٢٠٢٢): دور التعليم عن بعد في تنمية المهارات الشخصية لدى طالبات تخصص الرياضيات بجامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل من وجهة نظرهن، مجلة الباحثين الشباب في العلوم التربوية، جامعة سوهاج – كلية التربية (١٢)، ١٣٩-١٦٩.
١٩. مسلم، سيف كريم (٢٠٢٥)، درجة امتلاك معلمي الرياضيات في المرحلة المتوسطة لمهارات التدريس الإبداعي، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية (العلوم الإنسانية والاجتماعية والتطبيقية)، المجلد (٢٤)، العدد (٥٥)، ٢٨٤-٣٠٦
٢٠. ناصر الدين، فادية إلياس (٢٠٢١). درجة امتلاك معلمي الصفوف الثلاثة الأولى للمهارات الناعمة من وجهة نظرهم. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم التربوية، جامعة الشرق الأوسط، الأردن.
٢١. هامر وآخرون (٢٠١٩): المهارات الشخصية للمعلم: تعزيز التعلم من خلال التواصل الفعال. مجلة التعليم والتطوير، ٢٨(٣) ٢٥٧-٢٦٨.

ملحق(١)

ت	الفقرات	تنطبق علي بدرجة كبيرة	تنطبق علي بدرجة متوسطة	لا تنطبق علي
١.	اهتم بأسئلة واستفسارات التلاميذ			
٢.	اتحدث بلطف مع التلاميذ بدون استثناء			
٣.	افتح المجال امام التلاميذ للتعبير عن آراءهم			
٤.	اوظف لغة الجسد (النظر الايماءات) لدعم التواصل			
٥.	اجذب انتباه الطلبة بطريقتي الخاصة			
٦.	اتبع خطة عمل يومية تتضمن المهام المطلوب تنفيذها.			
٧.	أهيئ انشطة تعليمية تتناسب مع موضوع الدرس واهدافه			
٨.	استطيع اداء المهام وحل المشكلات بفعالية تحت ضغط العمل			
٩.	اشارك بفعالية مع الزملاء لتعزيز جودة التعليم وتبادل الخبرات			
١٠.	اتعامل مع السلوك الغير مرغوب فيه بهدوء وحكمة دون انفعال			
١١.	اتعامل مع وجهات نظر الاخرين بجدية واحترام مهما كانت مختلفة			
١٢.	اساعد التلاميذ الذين يواجهون صعوبات دراسية ونفسية			
١٣.	اتعامل مع جميع التلاميذ بدون تحيز			
١٤.	أبعث في نفوس تلاميذي روح الحماس.			
١٥.	استخدم طرائق واساليب تدريسية متنوعة بما يضمن ايصال المعلومة لجميع التلاميذ			
١٦.	اتخذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب.			
١٧.	اكافئ السلوك الايجابي بعدة طرق متنوعة			
١٨.	اشجع التلاميذ على انجاز الانشطة بشكل ايجابي			
١٩.	أشارك زملائي المعلمين في تبادل الخبرات والأفكار			
٢٠.	أتخذ القرارات الرشيدة التي تصب في مصلحة الطالب.			
٢١.	اساهم في بناء روح الفريق داخل المدرسة			
٢٢.	أظهر مرونة في أسلوب التدريس بما يناسب الموقف			
٢٣.	اتصرف بحكمة في المواقف الحرجة والصعبة			
٢٤.	احاول عدة مرات لا إنجاز المهام دون تراجع عند الفشل			
٢٥.	اسعى دائما لابتكار اساليب وافكار جديدة لتحسين اداء العمل			



السياسة الوقائية تجاه ضحايا التكنولوجيا

الباحث:علي عبد الحسين ماشاءالله الاستاذ المشارك: محمد على حاجى ده آبادى
جامعة قم الحكومية/ كلية القانون



المستخلص:

يتناول هذا البحث الإشكال الناجم عن التزايد المستمر في الاعتماد على التكنولوجيا في كافة مناحي الحياة، والذي أفرز في المقابل موجة متصاعدة من الإيذاء الرقمي؛ مما يسلط الضوء على قصور الأنظمة القانونية الجنائية التقليدية التي تتدخل في الغالب بعد وقوع الضرر فقط، لتغدو السياسة الوقائية هي خط الدفاع الأول الذي ينبغي تعزيزه. انطلق البحث بوصف وتحليل لأشكال الإيذاء التكنولوجي الأكثر شيوعاً كضحايا الاحتيال والابتزاز والتنمر الإلكتروني، وما يترتب عليها من آثار نفسية وقانونية عميقة. وقد قام البحث بتقسيم هذه السياسة الوقائية إلى محورين أساسيين؛ الأول يركز على التدابير الاجتماعية لبناء الوعي والتحصين الذاتي، من خلال تفعيل دور مؤسسات التنشئة كالأسرة والمؤسسات التعليمية في غرس السلوك الرقمي الآمن، ودعم جهود المجتمع المدني ووسائل الإعلام في نشر رسائل توعوية موجهة بشكل خاص للفئات الأكثر عرضة للخطر. أما المحور الثاني، فقد خصص للسياسة الوقائية الوضعية، حيث تم تقييم الدور التشريعي للدولة في ترسيخ مفهوم التجريم الوقائي وفرض واجبات قانونية على مزودي الخدمات التكنولوجية بخصوص التشفير الآمن وحماية البيانات، بالإضافة إلى الدور الإجرائي المتمثل في الرصد الاستباقي للتهديدات من قبل الشرطة المتخصصة، وتفعيل آليات الإبلاغ الآمن والسريع للضحايا المحتملين. وفي الختام، قدم البحث مقترحات تطويرية استشرافية للسياسة الوقائية المستقبلية، تمحورت حول ضرورة دمج تقنيات الذكاء الاصطناعي في أنظمة الرصد والإنذار المبكر لزيادة الفعالية، وإنشاء وتفعيل مراكز متخصصة لتقديم الدعم النفسي والقانوني الوقائي للضحايا لتمكينهم من التعافي واسترداد حقوقهم. وقد خلص البحث إلى أن الاستراتيجية الوقائية الشاملة هي السبيل الأمثل لتقليل عدد الضحايا وتخفيف العبء عن المنظومة القضائية.

الكلمات المفتاحية: السياسة الوقائية، ضحايا التكنولوجيا، الوقاية التقنية.

Abstract

This research addresses the problem arising from the continuous increase in reliance on technology in all aspects of life, which has led to a surge in digital abuse. It highlights the shortcomings of traditional criminal legal systems, which often only intervene after harm has occurred, making preventative policies the first line of defense that must be strengthened. The research begins by describing and analyzing the most common forms of technological abuse, such as fraud, extortion, and cyberbullying, and their profound psychological and legal consequences. The research divides this preventative policy into two main axes: the first focuses on social measures to build awareness and self-protection by activating the role of socialization institutions, such as the family and educational institutions, in instilling safe digital behavior, and supporting the efforts of civil society and the media in disseminating awareness messages targeting the most vulnerable groups. The second axis focuses on proactive preventative policies, assessing the state›s legislative role in establishing the concept of preventative criminalization and imposing legal obligations on technology service providers regarding secure encryption and data protection. The research also addressed the procedural role of proactive threat monitoring by specialized police forces and the

activation of secure and rapid reporting mechanisms for potential victims. In conclusion, the research presented forward-looking development proposals for a future preventative policy, focusing on the necessity of integrating artificial intelligence technologies into monitoring and early warning systems to enhance their effectiveness, and establishing and activating specialized centers to provide preventative psychological and legal support to victims, enabling them to recover and reclaim their rights. The research concluded that a comprehensive preventative strategy is the optimal way to reduce the number of victims and alleviate the burden on the judicial system
Keywords: Preventative policy, technology victims, technology preventio

المقدمة:

السياسة الوقائية تجاه ضحايا التكنولوجيا تُعدّ منهجًا استباقيًا يهدف إلى منع الإيذاء الإلكتروني قبل حدوثه، من خلال بناء بيئة رقمية آمنة وتوعية المستخدمين بالمخاطر وأساليب الجناة، وتعزيز قدرتهم على حماية بياناتهم وحساباتهم. وتشمل هذه السياسة تعليم الأفراد كيفية اكتشاف الروابط المشبوهة، وتفعيل أنظمة الحماية مثل المصادقة الثنائية، وتحذيرهم من أساليب الابتزاز والاحتيال المنتشرة، إضافة إلى وضع تشريعات تلزم الشركات والمنصات بتأمين معلومات المستخدمين وعدم السماح بإساءة استخدامها. كما تهتم السياسة الوقائية بالفئات الأكثر عرضة للخطر—كالأطفال والنساء وكبار السن—من خلال برامج حماية خاصة وتدخل مبكر عند وجود مؤشرات تهديد. وبذلك تمثل هذه السياسة خط الدفاع الأول الذي يقلّل عدد الضحايا ويحدّ من حدوث الجرائم التكنولوجية، على عكس السياسات الجنائية التقليدية التي تتدخل بعد وقوع الضرر. وتمتاز السياسة الوقائية بأنها لا تركز فقط على الأفراد، بل تتعامل مع المنظومة التقنية كاملة، فتهدف إلى رفع مستوى الأمان في المؤسسات الحكومية والخاصة، وتعزيز قدرات فرق الاستجابة للجرائم الإلكترونية، وإنشاء وحدات مختصة لرصد التهديدات قبل تحولها إلى جرائم فعلية. كما تعتمد على التعاون بين الجهات الأمنية وشركات التكنولوجيا والمدارس والجامعات لنشر ثقافة الاستخدام الآمن للإنترنت، وتطوير مواد تعليمية وتدريبية تساعد المجتمع على فهم المخاطر الرقمية والتصرف الصحيح عند مواجهتها. إضافةً إلى ذلك، تسعى هذه السياسة إلى تحليل أنماط الجرائم الإلكترونية لمعرفة أسبابها وكيفية تكرارها، ثم استخدام هذه المعلومات في وضع حلول تمنع حدوثها مستقبلًا. وبهذه الطريقة تتحول السياسة الوقائية إلى عنصر حيوي يحمي المجتمع من التهديدات التقنية المتزايدة، ويقلل العبء على المنظومة القضائية عبر منع الجريمة بدلاً من ملاحقتها بعد وقوعها.

أهداف البحث

١. توضيح مفهوم السياسة الوقائية ودورها في حماية الأفراد والمجتمع من المخاطر الرقمية قبل وقوع الجريمة.
٢. تسليط الضوء على أشكال الإيذاء التكنولوجي مثل الابتزاز، الاحتيال، سرقة البيانات والتنمر الإلكتروني، وتأثيرها على الضحايا.
٣. بيان أهمية التوعية الرقمية ورفع وعي المستخدمين حول أساليب الحماية وأدوات الأمان الإلكتروني.
٤. تحديد الفئات الأكثر عرضة للإيذاء الرقمي ووضع استراتيجيات لحمايتها، مثل الأطفال، كبار السن، والنساء.
٥. عرض الإجراءات الوقائية والتشريعات القانونية التي تهدف إلى الحد من وقوع الجرائم الإلكترونية.
٦. تسليط الضوء على دور المؤسسات والشركات والمنصات الرقمية في تعزيز الأمان وحماية البيانات والمعلومات الشخصية.
٧. تشجيع التفاعل بين المجتمع والجهات المختصة لتطبيق السياسة الوقائية بشكل فعّال وتقليل عدد الضحايا.

اهمية البحث

يكتسب هذا البحث أهميته من تزايد الاعتماد على التكنولوجيا في الحياة اليومية وما يترتب على ذلك من مخاطر جديدة، مثل الابتزاز الإلكتروني، الاحتيال، سرقة البيانات، والتنمر الرقمي، والتي تؤثر على الأفراد والمجتمع بشكل مباشر. ويبرز البحث دور السياسة الوقائية في حماية ضحايا التكنولوجيا قبل وقوع الضرر، من خلال رفع الوعي الرقمي، وتعزيز أساليب الأمان والحماية، ووضع ضوابط قانونية وتنظيمية تساهم في الحد من الجرائم الإلكترونية. كما يسعى البحث إلى تسليط الضوء على الفئات الأكثر عرضة للإيذاء وسبل حمايتها، ويبرز أهمية التعاون بين الأفراد والمؤسسات والشركات الرقمية لتطبيق الإجراءات الوقائية بشكل فعّال. بهذا، يقدم البحث رؤية شاملة لكيفية الوقاية من المخاطر التكنولوجية وتقليل عدد الضحايا، ما يجعله أداة قيمة للمجتمع وصانعي القرار على حد سواء.

مشكلة البحث

مشكلة البحث تنبع من تزايد الاعتماد على التكنولوجيا في حياتنا اليومية، سواء في التعليم، العمل، التواصل الاجتماعي، أو التجارة الإلكترونية. هذا الاعتماد الكبير خلق فرصًا للابتكار، لكنه بالمقابل أتاح للجرائم الرقمية الانتشار بسهولة وبطرق جديدة لم تكن موجودة قبل مثل الابتزاز الإلكتروني وسرقة البيانات الشخصية التنمر الرقمي، والمشكلة الأساسية هنا تكمن في أن الأنظمة القانونية التقليدية تتدخل فقط بعد وقوع الجريمة، أي بعد أن يصبح الشخص ضحية، وهذا لا يحمي الأفراد من الخسائر المادية أو النفسية التي قد تتعرض لها الضحايا. وبسبب الطبيعة المعقدة والمتطورة للتكنولوجيا، كثير من الضحايا قد لا يعرفون كيف يحميون أنفسهم، وقد لا يكون هناك ردع كافٍ لمنع تكرار الجرائم.

لذلك، المشكلة الحقيقية للبحث هي: كيف يمكن للسياسة الوقائية أن تقلل من وقوع الأذى التكنولوجي؟ وما هي الوسائل والاستراتيجيات العملية لحماية الفئات الأكثر عرضة للخطر قبل أن تصبح ضحية؟

بمعنى آخر، البحث يركز على فجوة مهمة: وجود تحديدات رقمية متزايدة وعدم كفاية الإجراءات الوقائية الحالية لحماية المستخدمين قبل وقوع الضرر.

منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي والتحليلي لدراسة السياسة الوقائية تجاه ضحايا التكنولوجيا، حيث يقوم بوصف الظاهرة الرقمية وأشكال الإيذاء الإلكتروني، ثم تحليل الأسباب والنتائج وفعالية الإجراءات الوقائية. تم جمع البيانات من المصادر الثانوية مثل الكتب، المقالات العلمية، والتقارير الرسمية، مع الاستعانة بالمصادر الأولية عند الإمكان. بعد ذلك، تم تحليل المعلومات لاستخلاص النتائج وتقديم التوصيات لتعزيز حماية الفئات الأكثر عرضة للخطر. المبحث الأول: التدابير الوقائية الاجتماعية (بناء الوعي والتحصين الذاتي)

تلعب التدابير الوقائية الاجتماعية دورًا أساسيًا في حماية الأفراد من الإيذاء التكنولوجي قبل وقوعه، من خلال بناء الوعي الرقمي والتحصين الذاتي. وتهدف هذه التدابير إلى تعليم المجتمع كيفية التعرف على المخاطر الرقمية، وفهم أساليب الابتزاز والاحتيال الإلكتروني، وتزويد الأفراد بالمعرفة والمهارات اللازمة لحماية أنفسهم. كما تركز على تعزيز سلوكيات آمنة عند استخدام التكنولوجيا، خصوصًا للفئات الأكثر عرضة للخطر، مثل الأطفال والنساء وكبار السن، بهدف الحد من وقوع الجرائم الإلكترونية وتقليل تأثيرها النفسي والاجتماعي.

المطلب الأول: الإطار المفاهيمي للضحية التكنولوجية وأساسيات الوقاية الذاتية

تشير الدراسة إلى أن التقدم التكنولوجي قد نتجت عنه «العديد من السلوكيات» السلبية، وأن الأسرة تتعرض لـ«موجة تكنولوجية هائلة وشرسة». هذه السلوكيات والآثار السلبية —سواء كانت إدماناً أو تفككاً أو اختراقاً للخصوصية— هي التي تُحول الفرد أو الأسرة إلى ضحية لتلك الانعكاسات. حيث تُعد الأسرة هي الضحية الرئيسية للتغيرات التكنولوجية السريعة، حيث ساهمت وسائل الاتصال الحديثة في انتشار قيم وثقافات فرضت نفسها على المجتمع، وسببت مشكلات عميقة مثل ضعف الرقابة على الأبناء، الأمر الذي يهدد تماسك الكيان الأسري واستقراره. وتكمن أهمية الوقاية الذاتية في مدى قدرة الأسرة على «الصمود أمام الموجة التكنولوجية الهائلة والشرسة» الموجودة في زمننا الحالي. وهذا الصمود لا يأتي إلا من خلال تحصين داخلي يبدأ من الوعي والإرشاد. الحلول المقترحة للوقاية الذاتية تتركز في التوعية والتوجيه والإرشاد، خاصةً من خلال الإعلام وتفعيل دور المؤسسات التعليمية والدينية. هذا التوجيه يُعد أساساً لتعليم الفرد

كيف يستخدم التكنولوجيا بالطريقة المُثلى ويستغل جوانبها الإيجابية (علمياً وثقافياً) بدلاً من أن يكون ضحية لسلوكياتها السلبية. وتوصي الدراسة ضمنياً بالتحكم في الاستخدام غير المقنن للتكنولوجيا لتجنب آثاره السلبية على الفرد والأسرة، وبتفعيل دور المؤسسات الدينية في «التحذير من استخدام الإنترنت أو وسائل التواصل بشكل غير صحيح»، مما يعزز فكرة الوقاية الذاتية عبر الانضباط الذاتي والترشيد.(١)

الفرع الأول: تعريف وتصنيف ضحايا التكنولوجيا (ضحايا الاحتيال، الابتزاز، التنمر).

أولاً: مفهوم ضحايا التكنولوجيا

أدّى توسّع استخدام الوسائل الرقمية إلى ظهور فئة جديدة تُعرف بـ«ضحايا التكنولوجيا»، وهم الأفراد الذين يتعرضون لأذى نتيجة التعامل داخل البيئة الإلكترونية. تمتاز هذه الجرائم بأنها تُنفّذ عن بُعد، ويكون الجاني غالباً مجهول الهوية، مما يجعل الضحية عرضة لانتشار الأذى بسرعة عبر المنصات الرقمية.(٢)

ثانياً: ضحايا الاحتيال الإلكتروني

الاحتيال الإلكتروني هو سلوك خداعي منظم يستهدف الضحية بهدف جمع بياناته أو سرقة أمواله عبر أساليب رقمية مثل الروابط المزيفة. ويُعد هذا النوع من الجرائم واسع الانتشار بسبب سهولة تنفيذه وصعوبة تعقّب الجاني. يتعرض الضحايا لخسائر مالية مباشرة وأخرى نفسية مثل القلق والخجل والخوف من إعادة التجربة.(٣)

تصنيف ضحايا الاحتيال الإلكتروني

يمكن تصنيف الضحايا وفق ثلاثة معايير:

١. طبيعة الخسارة: مالية، معلوماتية، أو اختراق حسابات.

٢. درجة الوعي الرقمي: ضحايا قليلو الخبرة، وآخرون ذوو خبرة لكن تقنيات الاحتيال كانت متقنة.

٣. الآثار النفسية: الخوف، فقدان الثقة، والشعور بالضعف.(٤)

ثالثاً: ضحايا الابتزاز الإلكتروني

الابتزاز الإلكتروني هو تهديد الضحية بنشر معلومات أو صور خاصة مقابل الامتثال لمطالب معينة. أكثر أنواعه خطورة هو الابتزاز الجنسي، والذي يُستدرج فيه الضحية عبر علاقة مزيفة ثم يُستغلّ محتواه الشخصي. يتعرض الضحايا لقلق شديد وخوف من الفضيحة، وقد تتدهور حالتهم النفسية إلى مستويات عالية من التوتر والاكتئاب.(٥)

تصنيف ضحايا الابتزاز الإلكتروني

تصنيف الضحايا يتم وفق:

١. طبيعة العلاقة بالجاني: مجهول، صديق سابق، شريك عاطفي.

٢. الدافع: مادي أو جنسي أو انتقامي.

٣. وسيلة التنفيذ: اختراق، انتحال شخصية، علاقات عبر مواقع التواصل.(٦)

رابعاً: ضحايا التنمّر الإلكتروني

التنمّر الإلكتروني هو استخدام المنصات الرقمية لإيذاء شخص عبر السخرية أو التشهير أو نشر صور مسيئة. الضحايا الأكثر عرضة هم الأطفال والمراهقون، الذين لا يمتلكون خبرة كافية للتعامل مع الهجمات السيبرانية. هذا النوع من العنف يسبب آثاراً نفسية عميقة تشمل القلق والاكتئاب وضعف الثقة بالنفس.(٧)

تصنيف ضحايا التنمّر الإلكتروني

تُصنَّف حالات الضحايا إلى:

١. بحسب العمر: أطفال، مراهقون، شباب، بالغون.

٢. بحسب نوع التنمّر: رسائل مهينة، شائعات، صور محرجة، حملات تشهير جماعية.

٣. بحسب التأثير: اكتئاب، تراجع دراسي، عزلة، اضطرابات نوم. (٨)

خامساً: أبعاد عامة في تصنيف ضحايا التكنولوجيا

تشترك فئة ضحايا التكنولوجيا في عدة سمات:

١. الحشاشة الرقمية: ضعف المهارات الرقمية.
٢. غياب الدعم الاجتماعي: ما يزيد الضغط النفسي.
٣. الخوف من الإبلاغ: بسبب نظرة المجتمع أو الخجل.

الفرع الثاني: أهمية الثقافة الرقمية و الأمن السيبراني الشخصي كخط دفاع وقائي أول

تعتبر الثقافة الرقمية و الأمن السيبراني الشخصي من أهم العناصر التي تساعد الأفراد على التعامل مع البيئة الرقمية بطريقة آمنة وفعالة. في العصر الرقمي، تتزايد التهديدات الإلكترونية مثل الفيروسات، والتصيد الاحتيالي، والتجسس على البيانات الشخصية، مما يستدعي ضرورة فهم كيفية حماية المعلومات الشخصية والأجهزة. بينما تساعد الثقافة الرقمية الأفراد على استخدام التكنولوجيا بشكل فعال، فإن الأمن السيبراني الشخصي يشكل الخط الدفاعي الأول ضد الهجمات الرقمية.(٩)

أهمية الثقافة الرقمية

الثقافة الرقمية لا تقتصر على معرفة كيفية استخدام الأجهزة الإلكترونية أو التطبيقات، بل تشمل أيضًا الوعي بالمخاطر الرقمية وكيفية الوقاية منها. يجب أن يكون الأفراد على دراية بكيفية التصرف في الفضاء الرقمي لضمان الأمان الشخصي، من خلال معرفة كيفية حماية بياناتهم الشخصية وتفادي الممارسات التي قد تعرضهم للخطر. فالوعي الرقمي يشمل فهم الأدوات التي يمكن استخدامها لتجنب المخاطر الرقمية مثل البرامج الخبيثة أو الاحتيال الإلكتروني. (١٠)

دور الأمن السيبراني الشخصي

الأمن السيبراني الشخصي هو مجموعة من الإجراءات التي يتخذها الأفراد لحماية أنفسهم من التهديدات الرقمية التي قد تؤثر على بياناتهم وخصوصيتهم. يتضمن ذلك استخدام كلمات مرور قوية، تفعيل المصادقة الثنائية، وتحديث البرامج بشكل دوري لحماية الأجهزة من الثغرات الأمنية. كما يتطلب الأمر الحذر من الرسائل المشبوهة أو الروابط غير المعروفة التي قد تؤدي إلى تسريب المعلومات أو إصابة الأجهزة بالبرمجيات الخبيثة. (١١)

التحديات التي يواجهها الأفراد في البيئة الرقمية

رغم الأهمية الكبرى للثقافة الرقمية والأمن السيبراني، يواجه الأفراد العديد من التحديات التي قد تؤثر على قدرتهم على حماية أنفسهم. من أبرز هذه التحديات: قلة الوعي حول كيفية التعامل مع المعلومات الشخصية عبر الإنترنت، أو عدم اتباع الإجراءات الصحيحة لحماية الحسابات الشخصية من الهجمات. إضافةً إلى ذلك، هناك مشكلة استخدام كلمات مرور ضعيفة أو نفس كلمة المرور عبر حسابات متعددة، مما يجعل الأفراد عرضة للهجمات. (١٢)

التقنيات المستخدمة لتعزيز الأمان الشخصي

مع تزايد التهديدات الرقمية، ظهرت العديد من التقنيات التي تساعد الأفراد في تعزيز أمنهم السيبراني. من أبرز هذه التقنيات: برامج مكافحة الفيروسات، أدوات تشفير البيانات، والخدمات السحابية الآمنة. كما أن استخدام الشبكات الافتراضية الخاصة (VPN) يسهم في حماية الخصوصية عند تصفح الإنترنت. تتطلب هذه الأدوات تحديثات مستمرة لضمان قدرتها على مقاومة الهجمات الحديثة.(١٣)

المطلب الثاني: دور مؤسسات التنشئة والمجتمع المدني في الوقاية

في العصر الرقمي الذي نعيش فيه اليوم، أصبحت التكنولوجيات الحديثة جزءًا أساسيًا من حياتنا اليومية. ومع الانتشار الواسع لاستخدام الإنترنت والهواتف الذكية والأجهزة الرقمية، ظهرت مجموعة من المخاطر التي تهدد الأفراد، خاصةً في ما يتعلق بالخصوصية والأمن السيبراني. من هنا تبرز أهمية مؤسسات التنشئة مثل الأسرة والمؤسسات التعليمية، بالإضافة إلى دور المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية في توعية الأفراد وحمايتهم من المخاطر الرقمية.

الفرع الأول: دور الأسرة والمؤسسات التعليمية في غرس السلوك الرقمي الآمن

يعد دور الأسرة والمؤسسات التعليمية من العوامل الأساسية في تعزيز الثقافة الرقمية الآمنة لدى الأفراد، وخاصة الأطفال والشباب. في العصر الرقمي الذي نعيش فيه، أصبحت الإنترنت والتكنولوجيا جزءًا لا يتجزأ من حياة الأفراد، ولذا، فإن غرس السلوك الرقمي الآمن منذ سن مبكرة يعد أمرًا بالغ الأهمية لحماية الأفراد من المخاطر الإلكترونية المتزايدة.

دور الأسرة في غرس السلوك الرقمي الآمن

تعتبر الأسرة البيئة الأولى التي يتعلم فيها الفرد السلوكيات والعادات. ومن خلال توجيه الأهل لأبنائهم حول كيفية استخدام الإنترنت بشكل آمن، يمكن تعزيز وعيهم بالمخاطر المحتملة التي قد تواجههم. تشمل هذه المخاطر مثل التنمر الإلكتروني، والتصيد الاحتيالي، وفقدان الخصوصية. من خلال وضع قواعد واضحة لاستخدام الإنترنت ومراقبة الأنشطة الرقمية للأبناء، يمكن للأسرة أن تساهم في بناء سلوك رقمي آمن. (١٤)

دور المؤسسات التعليمية في غرس السلوك الرقمي الآمن

المؤسسات التعليمية تعتبر الثانية في الأهمية بعد الأسرة في غرس السلوك الرقمي الآمن. من خلال برامج التعليم الموجهة، يمكن للمدارس والجامعات أن تساهم في نشر الوعي حول أهمية الأمان الرقمي. يشمل ذلك تعليم الطلاب كيفية حماية أنفسهم على الإنترنت، وكيفية التعامل مع البيانات الشخصية بشكل آمن، والابتعاد عن السلوكيات الضارة مثل التنمر الإلكتروني. يمكن للمعلمين أن يستخدموا المناهج المخصصة التي تدمج موضوعات الأمان الرقمي ضمن الدروس العامة أو دروس تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.(١٥)

الفرع الثاني: مساهمة المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية في حملات التوعية

تلعب المنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني دورًا حيويًا في حملات التوعية التي تهدف إلى تعزيز الوعي بالأمان الرقمي. حيث تعمل هذه المنظمات على تقديم الدعم للمجتمع وتوفير المعلومات اللازمة حول كيفية الوقاية من المخاطر السيبرانية، وهو ما يعزز قدرة الأفراد على حماية بياناتهم ومعلوماتهم الشخصية.

دور المجتمع المدني في التوعية بالأمان الرقمي

المجتمع المدني يشمل الأفراد والجماعات والمنظمات التي تعمل خارج نطاق الحكومة والمؤسسات الرسمية. من خلال المبادرات المجتمعية، يمكن للمجتمع المدني لعب دور مهم في نشر الوعي حول مخاطر الإنترنت. على سبيل المثال، يمكن تنظيم ورش عمل ومحاضرات تستهدف فئات معينة من المجتمع مثل الطلاب، الكبار، أو كبار السن، حول كيفية الحماية من تهديدات الإنترنت مثل الفيروسات أو الاحتيال الإلكتروني. هذه الحملات تساعد الأفراد على اتخاذ قرارات أكثر أمانًا في بيئة الإنترنت.(١٦)

دور المنظمات غير الحكومية في الحملات التوعوية

المنظمات غير الحكومية تلعب دورًا أساسيًا في رفع مستوى الوعي حول الأمان الرقمي في المجتمع. هذه المنظمات غالبًا ما تكون في مقدمة الجهود المبذولة لتقديم التدريب والموارد اللازمة للتعامل مع تهديدات الإنترنت. يمكن لهذه المنظمات أن تنظم حملات توعية عبر الإنترنت أو عبر وسائل الإعلام المختلفة لنشر المعرفة حول أفضل الممارسات في الأمان الرقمي. علاوة على ذلك، تعمل هذه المنظمات في بعض الأحيان على مساعدة الأفراد في استرداد بياناتهم المسروقة أو تقديم الدعم القانوني في حالات الاحتيال الرقمي.

المطلب الثالث: استراتيجيات الإعلام والاتصال لرفع الوعي العام

في عصر المعلومات والتكنولوجيا الذي نعيشه، أصبح الإعلام والاتصال من الأدوات الرئيسية في نشر الوعي العام وتعزيز المعرفة حول القضايا المختلفة، بما في ذلك الأمن السيبراني وحماية الخصوصية على الإنترنت. تشكل استراتيجيات الإعلام والاتصال جزءًا أساسيًا من الجهود الرامية إلى رفع الوعي لدى المجتمع حول المخاطر المحتملة، وطرق الوقاية منها. وفي هذا السياق، تتمثل أهمية الإعلام في استخدام وسائل الإعلام التقليدية والرقمية والبرامج التثقيفية الموجهة للفئات الأكثر عرضة للخطر، مثل الأطفال والمراهقين وكبار السن.

الفرع الأول: استخدام وسائل الإعلام التقليدية والرقمية لنشر رسائل وقائية فعالة

وسائل الإعلام التقليدية

تظل وسائل الإعلام التقليدية مثل الصحف والإذاعة والتلفزيون من الأدوات الفعّالة التي يمكن من خلالها نشر الرسائل الوقائية للجمهور الواسع. الصحف والإذاعة تعد وسيلة مضمونة للوصول إلى شرائح كبيرة من الناس، خاصة أولئك الذين لا يفضلون استخدام الإنترنت بشكل كبير. يمكن من خلال هذه الوسائل نشر مقالات، تقارير، أو إعلانات

توعوية تحذر من المخاطر الرقمية وتقدم نصائح حول كيفية حماية المعلومات الشخصية على الإنترنت.(١٧)
وسائل الإعلام الرقمية (التواصل الاجتماعي)
في الوقت الحاضر، تشهد وسائل الإعلام الرقمية وخاصة التواصل الاجتماعي (مثل فيسبوك، تويتر، إنستغرام، ويوتيوب) انتشارًا واسعًا بين مختلف فئات المجتمع. تتيح هذه المنصات الوصول الفوري إلى جمهور متنوع حول العالم. تُعد حملات التوعية عبر هذه الوسائل من أهم الطرق لنشر رسائل وقائية بشكل فعال، حيث يمكن استخدام الإعلانات الرقمية، الفيديوهات التوعوية، والمنشورات التثقيفية لرفع الوعي حول مخاطر الإنترنت والأمن السيبراني. أيضًا، يُمكن لمؤسسات الإعلام الرقمي التفاعل مع المتابعين والرد على استفساراتهم، مما يساعد في تعزيز الوعي وتعليم الأفراد كيفية حماية أنفسهم في البيئة الرقمية.(١٨)

الفرع الثاني: أهمية برامج التثقيف الموجهة للفئات الأكثر عرضة للخطر

الفئات الأكثر عرضة للخطر
بعض الفئات في المجتمع تعتبر أكثر عرضة للخطر في ما يتعلق باستخدام الإنترنت والمخاطر الرقمية. تشمل هذه الفئات الأطفال، المراهقين، وكبار السن. تتطلب كل فئة برامج توعية وتثقيفية مخصصة لحمايتهم من التهديدات الإلكترونية.
الأطفال: من المعروف أن الأطفال لا يمتلكون الوعي الكافي بمخاطر الإنترنت وتهديدات الخصوصية. لذا، يجب تطوير برامج تعليمية بسيطة ومناسبة للعمر، تقدم لهم المعلومات بشكل ممتع وجذاب، وتحذرهم من الأخطار مثل التنمر الإلكتروني، والتواصل مع الغرباء، ومشاركة البيانات الشخصية.(١٩)
المراهقين: نظرًا لأن المراهقين في مرحلة اكتشاف وفضول، فقد يكونون عرضة للانجراف وراء الأخطار الرقمية مثل الألعاب الإلكترونية الضارة، والمحتوى المضلل. يجب أن تحتوي برامج التوعية على نصائح حول كيفية التعرف على المعلومات المضللة وكيفية التصرف بحذر عند استخدام الشبكات الاجتماعية.(٢٠)
كبار السن: يعاني كبار السن في كثير من الأحيان من نقص في المعرفة الرقمية، مما يجعلهم أكثر عرضة لعمليات الاحتيال الإلكتروني والتهديدات الأخرى. لذلك، من المهم تقديم برامج تدريبية مخصصة لهم لتمكينهم من التعامل مع الأجهزة الرقمية وحمايتهم من التهديدات مثل الاحتيال عبر البريد الإلكتروني والرسائل النصية.(٢١)

المبحث الثاني: السياسة الوقائية الوضعية (التشريع، المراقبة، والتدابير المستقبلية)

يركز هذا المبحث على دور الدولة ومؤسساتها الرسمية في وضع الأطر القانونية والإجرائية لضمان الحماية. في هذا السياق، تتداخل عدة جوانب رئيسية تشمل التشريع الذي يحدد القواعد القانونية التي تهدف إلى حماية المجتمع وضمان تطبيق العدالة، والمراقبة التي تُعد آلية فعالة لتطبيق هذه القوانين بشكل منظم وشفاف، فضلاً عن التدابير المستقبلية التي تسعى إلى التكيف مع المتغيرات وتحديث السياسات لمواكبة التطورات في المجالات القانونية والاجتماعية.
التشريع: يبدأ دور الدولة في تشريع القوانين والأنظمة التي تؤطر مختلف جوانب الحياة العامة بما يضمن الحماية من المخاطر المحتملة. وهذه القوانين تهدف إلى وضع إجراءات واضحة في التعامل مع حالات معينة، مثل الجرائم، أو المخالفات، أو الأضرار البيئية، وذلك لضمان التوازن بين حقوق الأفراد والمصلحة العامة.
المراقبة: تعد المراقبة من الركائز الأساسية لضمان تنفيذ التشريعات بشكل فعال. فهي تشمل الرقابة على مدى التزام المؤسسات والأفراد بالقوانين المقررة، سواء كانت الرقابة إدارية أو قضائية. ومن هنا، تبرز الحاجة إلى إنشاء هيئات مستقلة تقوم بهذه المهام وتضمن الالتزام بالمعايير القانونية.
التدابير المستقبلية: تركز على التنبؤ بالمشاكل والتحديات المستقبلية ووضع آليات للتصدي لها. يعتمد ذلك على تطوير استراتيجيات استشرافية وأنظمة مبتكرة تتماشى مع التطورات التكنولوجية والاجتماعية لضمان استمرارية حماية المجتمع وتفادي الأضرار المحتملة.

المطلب الأول: التدابير التشريعية الوقائية (وضع القوانين)

تعد التدابير التشريعية الوقائية من الأدوات الأساسية التي تعتمد عليها الدول لحماية الأفراد والمجتمع من المخاطر والتحديات المرتبطة بالأنشطة المجرمة قبل وقوعها. تتنوع هذه التدابير من تجريم الأفعال التي قد تؤدي إلى أضرار في

المستقبل، إلى فرض التزامات على مؤسسات القطاع الخاص مثل شركات التكنولوجيا لممارسة إجراءات وقائية لحماية المعلومات والأفراد. تهدف هذه التدابير إلى خلق بيئة قانونية تمنع وقوع الأضرار وتعزز من الأمن العام، لا سيما في مواجهة التحديات الرقمية المعاصرة.

الفرع الأول: تقييم النصوص القانونية التي تحقق التجريم الوقائي (أي تجريم الأفعال التي تسبق الضرر الفعلي) وإرساء الردع العام

التجريم الوقائي

يُعتبر التجريم الوقائي أحد أهم الأدوات القانونية التي تهدف إلى منع الجرائم قبل وقوعها. من خلال تشريع قوانين تجرّم الأفعال التي قد تؤدي إلى وقوع الضرر في المستقبل، يمكن تحقيق الوقاية القانونية التي تساهم في الحد من حدوث الجرائم أو الأضرار. على سبيل المثال، قد يتم تجريم الأفعال التي تتعلق باستخدام التكنولوجيا في عمليات الاحتيال أو التسلل الإلكتروني، حتى وإن لم يتم تنفيذ الجريمة بالكامل بعد. من خلال تطبيق هذا النوع من القوانين، يتم ردع الأفراد عن القيام بأفعال قد تؤدي إلى تدمير البيانات أو خرق الخصوصية الشخصية للأفراد.

إرساء الردع العام

الردع العام هو هدف رئيسي للتشريعات الوقائية، حيث تسعى القوانين إلى فرض عقوبات على الأفعال التي قد تشكل تهديدًا للمجتمع في المستقبل، مما يساهم في تحفيز الأفراد على الالتزام بالقانون وعدم ارتكاب الجرائم. تشمل هذه الإجراءات فرض عقوبات رادعة على الأفراد الذين ينتهكون الأنظمة أو يحاولون القيام بأعمال تهدد الأمن الرقمي، مثل القرصنة أو الاحتيال الإلكتروني. يتمثل الردع العام في حماية الأمن العام عن طريق التأكيد على أن أي محاولة لارتكاب أفعال ضارة ستقابل بعقوبات صارمة. (٢٢)

الفرع الثاني: التشريعات التي تفرض واجبات وقائية على مزودي الخدمات التكنولوجية (مثل إلزامهم بإجراءات المراقبة التقنية والتشفير الآمن)

التشريعات المتعلقة بمزودي الخدمات التكنولوجية

شهدت السنوات الأخيرة تطورًا كبيرًا في التشريعات التي تُلزم شركات التكنولوجيا، مثل مزودي خدمات الإنترنت أو شركات التواصل الاجتماعي، باتخاذ تدابير وقائية لحماية البيانات والمعلومات الشخصية. هذه التشريعات تهدف إلى جعل الشركات أكثر مسؤولية في ضمان الأمان الرقمي للمستخدمين، وتفرض عليها القيام بإجراءات مراقبة تقنية لحماية أنظمتها من الهجمات الإلكترونية التي قد تهدد أمن المعلومات.

إجراءات المراقبة التقنية والتشفير الآمن

تشمل الواجبات الوقائية التي تفرضها بعض التشريعات على شركات التكنولوجيا تطبيق إجراءات المراقبة التقنية بشكل دوري لمتابعة الأنشطة المشبوهة والتأكد من أن الخدمات المقدمة للمستخدمين تتمتع بالخصوصية والأمان. من بين هذه الإجراءات، تفعيل التشفير الآمن للبيانات، مما يعزز حماية المعلومات الشخصية من السرقة أو التسريب أثناء المعاملات الرقمية. تضمن هذه الإجراءات أن الشركات تتعامل بحذر مع البيانات التي تجمعها من المستخدمين، وتوفر بيئة آمنة لهم للقيام بأنشطتهم الرقمية دون التعرض لخطر الاستغلال.

الامتثال للقوانين

تفرض بعض الأنظمة القانونية، مثل اللائحة العامة لحماية البيانات (GDPR) في الاتحاد الأوروبي، على شركات التكنولوجيا ضمان الالتزام بمعايير الأمان، بما في ذلك حفظ البيانات الشخصية بشكل مشفر والتأكد من عدم تسريبها للجهات غير المصرح لها بالوصول إليها. بالإضافة إلى ذلك، تشترط بعض القوانين على الشركات إجراء تقييمات أمان دورية وأن توفر تقارير بشأن إجراءات الأمان المطبقة. (٢٣)

المطلب الثاني: التدابير الإجرائية والمؤسسية الوقائية (المراقبة والإجراءات)

تعتبر التدابير الإجرائية والمؤسسية الوقائية من الأدوات الحيوية التي تعتمد عليها الدول والمؤسسات لضمان حماية الأفراد والمجتمعات من المخاطر الرقمية. تهدف هذه التدابير إلى وضع آليات فعّالة للمراقبة والإجراءات التنظيمية التي تساعد في

الكشف المبكر عن التهديدات الرقمية وتقديم الحلول الوقائية المناسبة. من خلال المراقبة الوقائية و الإجراءات المؤسسية، يمكن تعزيز الأمن الرقمي والحد من الجرائم الإلكترونية.

الفرع الأول: دور الشرطة المتخصصة (مكافحة الجرائم الإلكترونية) في الرصد الاستباقي للتهديدات

دور الشرطة المتخصصة في مكافحة الجرائم الإلكترونية

تلعب الشرطة المتخصصة في مكافحة الجرائم الإلكترونية دورًا حيويًا في الرصد الاستباقي للتهديدات الرقمية. يتضمن هذا الدور مراقبة الأنشطة المشبوهة التي قد تدل على محاولات لارتكاب جرائم إلكترونية، مثل سرقة الهوية أو الهجمات الإلكترونية. من خلال استخدام تقنيات متطورة مثل الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات، يمكن للشرطة اكتشاف الأنشطة غير القانونية في مراحل مبكرة، مما يسمح لهم باتخاذ إجراءات وقائية سريعة. (٢٤)

الرصد الاستباقي للتهديدات

الرصد الاستباقي هو عملية مراقبة الأنظمة والشبكات بشكل مستمر للكشف عن التهديدات قبل حدوثها. يشمل ذلك رصد حركة البيانات وتحليل الأنشطة عبر الإنترنت لاكتشاف أي نشاط غير طبيعي قد يشير إلى محاولة لاختراق الأنظمة أو سرقة البيانات. كما يستخدم المحققون تقنيات الكشف عن البرمجيات الخبيثة والأنظمة التي تراقب الشبكات المظلمة، مما يساعد في منع الجرائم الرقمية قبل وقوعها. (٢٥)

الفرع الثاني: آليات الإبلاغ السريع والآمن للضحايا المحتملين وكيفية التعامل مع الشكاوى قبل تفاقمها، وأهمية التعاون الدولي في تبادل المعلومات الوقائية

آليات الإبلاغ السريع والآمن للضحايا المحتملين

تعد آلية الإبلاغ السريع والآمن أمرًا أساسيًا لحماية الضحايا المحتملين من المخاطر الرقمية. من خلال منصات آمنة وسهلة الاستخدام، يمكن للأفراد الإبلاغ عن الجرائم الإلكترونية مثل الاحتيال الرقمي أو التنمر الإلكتروني. توفر هذه الآليات حماية سرية للضحية وتسمح للسلطات الأمنية باتخاذ الإجراءات اللازمة بسرعة قبل تفاقم الأضرار. (٢٦)

كيفية التعامل مع الشكاوى قبل تفاقمها

التعامل مع الشكاوى في وقت مبكر من خلال التحقيق السريع والفعال يمكن أن يمنع تفاقم الأضرار. عند تقديم شكوى، تقوم الجهات الأمنية بالتحقق منها وتوجيه الضحية للخطوات الوقائية اللازمة، مثل تغيير كلمات المرور، إيقاف الحسابات المخترقة، أو الإبلاغ عن البرمجيات الخبيثة. من خلال هذه الإجراءات، يمكن الحد من التهديدات التي قد تتسبب في أضرار مالية أو نفسية للمستهدفين. (٢٧)

المطلب الثالث: مقترحات لتطوير السياسة الوقائية المستقبلية

تتطلب السياسات الوقائية المستقبلية أنظمة فعّالة في الرصد والإنذار المبكر وكذلك تقديم الدعم النفسي والقانوني للضحايا، وذلك لمواجهة الجرائم الإلكترونية والتخفيف من آثارها. مع تطور التكنولوجيا، أصبحت التقنيات الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي أداة قوية في تحسين أدوات الرصد والكشف المبكر عن التهديدات. كما أن الدعم النفسي والقانوني للضحايا يتطلب إنشاء مراكز متخصصة لتوفير الدعم المطلوب لهم. إن تطوير السياسات الوقائية المستقبلية ينبغي أن يدمج التقنيات المتقدمة مع البنية التحتية المؤسسية لتأمين بيئة رقمية آمنة ومستدامة.

الفرع الأول: مقترحات لدمج الذكاء الاصطناعي في أدوات الرصد والإنذار المبكر للوقاية

الذكاء الاصطناعي في الرصد المبكر للتهديدات

الذكاء الاصطناعي (AI) أصبح من الأدوات الأساسية في الكشف عن الأنشطة المشبوهة التي قد تهدد الأمان الرقمي. من خلال خوارزميات التعلم الآلي و تحليل البيانات الضخمة، يمكن للذكاء الاصطناعي الكشف عن الأنماط غير الطبيعية التي قد تشير إلى محاولات اختراق أو هجمات سيبرانية. على سبيل المثال، يمكن استخدام تقنيات التعلم العميق لتحليل حركة البيانات عبر الشبكة الإلكترونية واكتشاف أي نشاط غير عادي، مثل محاولات الدخول غير المصرح بها أو الهجمات الموزعة على الشبكة (DDoS). (٢٨)

استخدام الذكاء الاصطناعي في الإنذار المبكر

يمكن دمج الذكاء الاصطناعي في أنظمة الإنذار المبكر للوقاية من الهجمات السيبرانية. يتم ذلك من خلال تحليل البيانات الواردة من مصادر متعددة مثل الشبكات الاجتماعية، التصفح الإلكتروني، و الأنظمة الإلكترونية للكشف عن أي أنماط أو إشارات قد تشير إلى تهديد محتمل. عند اكتشاف التهديد، يقوم النظام المدعوم بالذكاء الاصطناعي بإرسال تحذيرات فورية إلى السلطات المعنية أو المؤسسات ذات الصلة. يمكن لهذه الأنظمة أن تساهم في تقليل الأضرار من خلال اتخاذ إجراءات استباقية قبل وقوع الهجوم الفعلي.(٢٩)

تحسين دقة الإنذار المبكر باستخدام الذكاء الاصطناعي

تقنيات الذكاء الاصطناعي يمكن أن تساهم في تحسين دقة أنظمة الإنذار المبكر من خلال التعلم المستمر من الهجمات السابقة. يمكن لخوارزميات التعلم العميق تدريب النظام على التعرف على أنواع جديدة من التهديدات بناءً على البيانات السابقة والتفاعلات المتاحة. بالإضافة إلى ذلك، يمكن تكامل الذكاء الاصطناعي مع الأنظمة التنبؤية التي تستخدم البيانات التاريخية لتوقع الهجمات المستقبلية، مما يزيد من فعالية الإنذار المبكر. (٣٠)

الفرع الثاني: إنشاء وتفعيل مراكز متخصصة للدعم النفسي والقانوني الوقائي للضحايا

أهمية الدعم النفسي للضحايا

تتعرض العديد من ضحايا الجرائم الإلكترونية لآثار نفسية خطيرة مثل القلق، الاكتئاب، و فقدان الثقة نتيجة للاعتداءات الإلكترونية مثل التنمر الرقمي، الاحتيال الإلكتروني، أو التهديدات عبر الإنترنت. ولذلك، يعد توفير دعم نفسي متخصص أمرًا بالغ الأهمية لمساعدة الضحايا على التعافي من الأضرار النفسية. من خلال المراكز المتخصصة، يمكن تقديم استشارات نفسية للضحايا، ومساعدتهم على تجاوز الآثار النفسية الناجمة عن الجرائم الإلكترونية.(٣١)

الدعم القانوني للضحايا

إلى جانب الدعم النفسي، يحتاج الضحايا إلى دعم قانوني للتعامل مع الآثار القانونية للجرائم الإلكترونية مثل الاحتيال الرقمي أو سرقة الهوية. يتطلب الأمر مراكز متخصصة تقدم المشورة القانونية للضحايا حول كيفية تقديم شكاوى إلى السلطات، وما هي الإجراءات القانونية المتاحة لهم. هذه المراكز تعمل على توجيه الضحايا إلى كيفية استعادة حقوقهم القانونية وحمايتهم من تكرار مثل هذه الجرائم في المستقبل. (٣٢)

إنشاء مراكز متخصصة لتقديم الدعم الشامل

من خلال إنشاء مراكز متخصصة لتقديم الدعم النفسي والقانوني، يمكن للمجتمعات توفير بيئة آمنة للضحايا للتعبير عن معاناتهم والحصول على المساعدة اللازمة. تتعاون هذه المراكز مع السلطات الأمنية، المنظمات غير الحكومية، و المستشارين القانونيين لتوفير استشارات شاملة تضمن عدم تكرار التجربة المؤلمة للضحايا. كما تعمل هذه المراكز على التوعية وتوفير المواد التعليمية التي تساعدا تتطلب السياسات الوقائية المستقبلية دمج التقنيات المتقدمة مثل الذكاء الاصطناعي في أدوات الرصد والإنذار المبكر، بالإضافة إلى تفعيل مراكز متخصصة لتقديم الدعم النفسي والقانوني للضحايا. من خلال هذه المقترحات، يمكن تحسين الوقاية و الحماية من الجرائم الإلكترونية، مما يعزز من القدرة على مواجهة التهديدات المستقبلية وحماية الأفراد من آثارها. إن دمج التقنيات الحديثة مع الدعم المؤسسي سيجعل من السياسات الوقائية أكثر فعالية ومرونة.

الخاتمة:

تعتبر السياسات الوقائية المستقبلية ركيزة أساسية في مواجهة الجرائم الإلكترونية وحماية الأفراد والمؤسسات من التهديدات المتزايدة في البيئة الرقمية. إن دمج التقنيات الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي في أدوات الرصد والإنذار المبكر يُعد خطوة حاسمة في اكتشاف التهديدات قبل وقوعها، مما يعزز من قدرة الأنظمة الأمنية على التعامل مع الهجمات السيبرانية بشكل استباقي. بالإضافة إلى ذلك، فإن إنشاء وتفعيل مراكز متخصصة لتقديم الدعم النفسي والقانوني للضحايا يعد أمرًا بالغ الأهمية لمساعدتهم على التعافي من آثار الجرائم الإلكترونية والتمكين من اتخاذ الإجراءات القانونية المناسبة. من خلال تعزيز التعاون الدولي في تبادل المعلومات الوقائية، يمكن بناء نظام أمني رقمي عالمي أكثر تكاملًا وفاعلية.

تسهم هذه المقترحات في تحسين الوقاية و الحماية من الجرائم الرقمية، كما تساعد في خلق بيئة رقمية آمنة وموثوقة

للمستخدمين. إن تطوير السياسات الوقائية المستقبلية يشكل خطوة ضرورية نحو تعزيز الأمان الرقمي، ويضمن حماية الحقوق الشخصية والخصوصية في عالم متزايد الترابط رقميًا.

النتائج:

١. تعزيز القدرة على الوقاية: تساهم أدوات الرصد المبكر المدعمة بالذكاء الاصطناعي في الكشف عن التهديدات الرقمية بشكل أسرع وأكثر دقة، مما يعزز قدرة المؤسسات على اتخاذ إجراءات استباقية قبل حدوث الهجمات.

٢. تقليل آثار الجرائم الرقمية: من خلال إنشاء مراكز متخصصة للدعم النفسي والقانوني، يتم توفير بيئة آمنة للضحايا للتعامل مع الآثار النفسية والقانونية المترتبة على الجرائم الإلكترونية، مما يعزز عملية التعافي ويقلل من العواقب طويلة الأمد.

٣. تحسين التعاون الدولي: تبادل المعلومات الوقائية بين الدول يساهم في زيادة فعالية التصدي للجرائم السيبرانية العابرة للحدود ويعزز من التعاون بين المؤسسات الأمنية العالمية.

٤. التأثير على السياسات العامة: دمج التقنيات المتقدمة في السياسات الوقائية يعكس التحول نحو الاستفادة القصوى من الذكاء الاصطناعي في مجالات الأمن السيبراني، مما يساهم في تطوير الأنظمة الأمنية على مستوى عالمي.

٥. تعزيز الوعي الرقمي: من خلال برامج الدعم والمراكز المتخصصة، يتم رفع مستوى الوعي حول أهمية الحماية الرقمية، مما يساعد الأفراد على اتخاذ قرارات أفضل بشأن استخدامهم للتكنولوجيا بشكل آمن.

تساهم هذه النتائج في تشكيل استراتيجيات شاملة للتعامل مع التهديدات الرقمية بشكل أكثر فعالية ومرونة، مما يعزز من حماية الأفراد والمؤسسات في عالم رقمي متغير.

الهوامش:

(١) د. دينا إبراهيم أمين عبد المجيد، انعكاسات التقدم التكنولوجي على الأسرة، المجلة القانونية (مجلة متخصصة في الدراسات والبحوث القانونية)، جامعة الزقازيق، (د.ت)، ص ٢.

(٢) عبد القادر، إبراهيم عبد القادر. (٢٠١٩). الجرائم الإلكترونية: ماهيتها وأشكالها وآثارها، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٤١.

(٣) عبد اللطيف، محمد حسن عبد اللطيف. (٢٠٢٠). الاحتيال الإلكتروني وسبل مكافحته، الطبعة الأولى، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ص ٧٧.

(٤) شفيق، أحمد عبد السلام شفيق. (٢٠١٨). ضحايا الجريمة الإلكترونية: دراسة اجتماعية نفسية، الطبعة الأولى، كلية الآداب – جامعة القاهرة، القاهرة، ص ١٣٢–١٣٣.

(٥) الطائي، وسام كريم الطائي. (٢٠٢١). الابتزاز الإلكتروني: المخاطر والحلول القانونية، الطبعة الأولى، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمّان، ص ٥٩.

(٦) الشمري، جبار نوري غلام الشمري. (٢٠٢٠). جرائم الابتزاز الإلكتروني وآثارها الاجتماعية، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث، بغداد، ص ١٠٤.

(٧) السعدي، آمال عبد الرحمن السعدي. (٢٠٢٠). التمّر الإلكتروني: دراسة في التأثيرات النفسية والاجتماعية، الطبعة الأولى، جامعة بغداد، بغداد، ص ٨٨.

(٨) الرفاعي، هناء محمود الرفاعي. (٢٠١٩). العنف الرقمي وآثاره على المراهقين، الطبعة الأولى، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، ص ١٢١.

(٩) الزعبي، حسين علي. (٢٠٢٠). «الأمن السيبراني في عصر التكنولوجيا الحديثة.» الطبعة الأولى. دار الفارس للنشر، عمان، الأردن، صفحة ٤٥.

(١٠) العساف، محمد. (٢٠١٨). «التقنيات الرقمية والأمن الإلكتروني.» الطبعة الثانية. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، صفحة ١١٢.
العساف، محمد. (٢٠١٨). «التقنيات الرقمية والأمن الإلكتروني.» الطبعة الثانية. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، صفحة ١١٢.

(١١) المصدر: القحطاني، محمد سعيد. (٢٠١٩). «أساسيات الأمن السيبراني.» الطبعة الأولى. دار النشر للتعليم، الرياض، المملكة العربية السعودية، صفحة ٦٧.

(١٢) الخطيب، سامي. (٢٠٢١). «التحديات في مجال الأمن السيبراني الشخصي.» الطبعة الثانية. دار التكنولوجيا الحديثة، بيروت، لبنان، صفحة ١٢٣.

(١٣) علي، عبد الله. (٢٠٢٠). «التقنيات الحديثة في الأمن السيبراني الشخصي.» الطبعة الأولى. دار الأمان للنشر، القاهرة، مصر، صفحة ٨٥.

(١٤) عبد الوقوف مهدي، السياسة الجنائية في المجال التشريعي والقضائي، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١١. صفحة ٤٥.
(١٥) العتيبي، فهد. (٢٠١٩). «التربية الرقمية في المؤسسات التعليمية.» الطبعة الثانية. دار الفكر العربي، الرياض، السعودية، صفحة ٧٨.
(١٦) الزهراني، محمد. (٢٠٢٠). «دور المجتمع المدني في تعزيز الأمان الرقمي.» الطبعة الأولى. دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، صفحة ٦٠.
(١٧) عبد الله، حسن. (٢٠٢٠). «دور الإعلام التقليدي في نشر الوعي الرقمي.» الطبعة الأولى. دار الإعلام العربي، القاهرة، مصر، صفحة ٥٦.
(١٨) الزهراني، سعيد. (٢٠٢١). «التواصل الاجتماعي ودوره في تعزيز الوعي الرقمي.» الطبعة الثانية. دار الفكر الحديث، الرياض، السعودية، صفحة ٩٠.
(١٩) الحارثي، عادل. (٢٠١٩). «الأمن الرقمي للأطفال في عصر الإنترنت.» الطبعة الأولى. دار المعرفة للنشر، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، صفحة ١١٢.
(٢٠) العتيبي، فهد. (٢٠٢٠). «التوعية الأمنية للمراهقين في بيئة الإنترنت.» الطبعة الثانية. دار الأفق للنشر، الرياض، السعودية، صفحة ٧٨.
(٢١) الراشد، علي. (٢٠٢١). «التحديات الرقمية لكبار السن في العصر الحديث.» الطبعة الأولى. دار الفروسية للنشر، بيروت، لبنان، صفحة ١٣٤.
(٢٢) العساف، يوسف. (٢٠١٩). «التجريم الوقائي في القانون الجنائي.» الطبعة الأولى. دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، صفحة ٩٥.
(٢٣) الهاشمي، أحمد. (٢٠٢٠). «التشريعات الرقمية وحماية البيانات الشخصية.» الطبعة الأولى. دار الأمان للنشر، بيروت، لبنان، صفحة ١١٢.
(٢٤) المصدر: الطويل، عماد. (٢٠١٨). «مكافحة الجرائم الإلكترونية: أبعاد وممارسات الشرطة المتخصصة.» الطبعة الأولى. دار المستقبل للنشر، القاهرة، مصر، صفحة ١٠٣.
(٢٥) الطويل، عماد. (٢٠١٨). «مكافحة الجرائم الإلكترونية: أبعاد وممارسات الشرطة المتخصصة.» الطبعة الأولى. دار المستقبل للنشر، القاهرة، مصر، صفحة ١٠٥.
(٢٦) الرمحي، سامي. (٢٠٢٠). «التعاون الدولي في مكافحة الجرائم الإلكترونية.» الطبعة الثانية. دار الوعي للنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، صفحة ١٢٠.
(٢٧) الرمحي، سامي. (٢٠٢٠). «التعاون الدولي في مكافحة الجرائم الإلكترونية.» الطبعة الثانية. دار الوعي للنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، صفحة ١٢٢.
(٢٨) الهاشمي، عبد الله. (٢٠٢١). «الذكاء الاصطناعي في الأمن السيبراني.» الطبعة الأولى. دار المستقبل للنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، صفحة ١٤٥.
(٢٩) الجراح، فاطمة. (٢٠٢٠). «التعلم الآلي والذكاء الاصطناعي في مواجهة تهديدات الإنترنت.» الطبعة الثانية. دار المعرفة للنشر، القاهرة، مصر، صفحة ١١١.
(٣٠) عبد الرحمن، سامي. (٢٠٢٢). «الذكاء الاصطناعي كأداة للوقاية من الجرائم الرقمية.» الطبعة الأولى. دار التكنولوجيا الحديثة، بيروت، لبنان، صفحة ١٣٠.
(٣١) العلي، محمد. (٢٠٢١). «الدعم النفسي للضحايا في العصر الرقمي.» الطبعة الأولى. دار الأمان للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، صفحة ١١٥.
(٣٢) الطويل، فهد. (٢٠٢٠). «التوجيه القانوني للضحايا: مكافحة الجرائم الرقمية.» الطبعة الأولى. دار النشر القانونية، بيروت، لبنان، صفحة ٨٩.

المصادر :

١. د. دينا إبراهيم أمين عبد المجيد، «انعكاسات التقدم التكنولوجي على الأسرة»، المجلة القانونية (مجلة متخصصة في الدراسات والبحوث القانونية)، جامعة الزقازيق، (د.ت).
٢. عبد القادر، إبراهيم عبد القادر. (٢٠١٩). «الجرائم الإلكترونية: ماهيتها وأشكالها وآثارها»، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة.
٣. عبد اللطيف، محمد حسن عبد اللطيف. (٢٠٢٠). «الاحتيال الإلكتروني وسبل مكافحته»، الطبعة الأولى، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية
٤. شفيق، أحمد عبد السلام شفيق. (٢٠١٨). «ضحايا الجريمة الإلكترونية: دراسة اجتماعية نفسية»، الطبعة الأولى، كلية الآداب – جامعة القاهرة، القاهرة.
٥. الطائي، وسام كريم الطائي. (٢٠٢١). «الابتزاز الإلكتروني: المخاطر والحلول القانونية»، الطبعة الأولى، دار غيداء للنشر والتوزيع،

عمّان.
٦. الشمري، جبار نوري غلام الشمري. (٢٠٢٠). «جرائم الابتزاز الإلكتروني وآثارها الاجتماعية»، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث، بغداد.
٧. السعدي، آمال عبد الرحمن السعدي. (٢٠٢٠). «التنمّر الإلكتروني: دراسة في التأثيرات النفسية والاجتماعية»، الطبعة الأولى، جامعة بغداد، بغداد.
٨. الرفاعي، هناء محمود الرفاعي. (٢٠١٩). «العنف الرقمي وآثاره على المراهقين»، الطبعة الأولى، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان.
٩. الزعبي، حسين علي. (٢٠٢٠). «الأمن السيبراني في عصر التكنولوجيا الحديثة»، الطبعة الأولى، دار الفارس للنشر، عمان، الأردن.
١٠. العساف، محمد. (٢٠١٨). «التقنيات الرقمية والأمن الإلكتروني»، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
١١. القحطاني، محمد سعيد. (٢٠١٩). «أساسيات الأمن السيبراني»، الطبعة الأولى، دار النشر للتعليم، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٢. الخطيب، سامي. (٢٠٢١). «التحديات في مجال الأمن السيبراني الشخصي»، الطبعة الثانية، دار التكنولوجيا الحديثة، بيروت، لبنان.
١٣. علي، عبد الله. (٢٠٢٠). «التقنيات الحديثة في الأمن السيبراني الشخصي»، الطبعة الأولى، دار الأمان للنشر، القاهرة، مصر.
١٤. عبد الله، حسن. (٢٠٢١). «دور الأسرة في تعزيز الثقافة الرقمية»، الطبعة الأولى، دار النشر الجامعي، القاهرة، مصر.
١٥. العتيبي، فهد. (٢٠١٩). «التربية الرقمية في المؤسسات التعليمية»، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، الرياض، السعودية.
١٦. الزهراني، محمد. (٢٠٢٠). «دور المجتمع المدني في تعزيز الأمان الرقمي»، الطبعة الأولى، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان.
١٧. عبد الله، حسن. (٢٠٢٠). «دور الإعلام التقليدي في نشر الوعي الرقمي»، الطبعة الأولى، دار الإعلام العربي، القاهرة، مصر.
١٨. الزهراني، سعيد. (٢٠٢١). «التواصل الاجتماعي ودوره في تعزيز الوعي الرقمي»، الطبعة الثانية، دار الفكر الحديث، الرياض، السعودية.
١٩. الحارثي، عادل. (٢٠١٩). «الأمن الرقمي للأطفال في عصر الإنترنت»، الطبعة الأولى، دار المعرفة للنشر، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة.
٢٠. العتيبي، فهد. (٢٠٢٠). «التوعية الأمنية للمراهقين في بيئة الإنترنت»، الطبعة الثانية، دار الأفق للنشر، الرياض، السعودية.
٢١. الراشد، علي. (٢٠٢١). «التحديات الرقمية لكبار السن في العصر الحديث»، الطبعة الأولى، دار القروسية للنشر، بيروت، لبنان.
٢٢. العساف، يوسف. (٢٠١٩). «التجريم الوقائي في القانون الجنائي»، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر.
٢٣. الهاشمي، أحمد. (٢٠٢٠). «التشريعات الرقمية وحماية البيانات الشخصية»، الطبعة الأولى، دار الأمان للنشر، بيروت، لبنان.
٢٤. الطويل، عماد. (٢٠١٨). «مكافحة الجرائم الإلكترونية: أبعاد وممارسات الشرطة المتخصصة»، الطبعة الأولى، دار المستقبل للنشر، القاهرة، مصر.
٢٥. الرحبي، سامي. (٢٠٢٠). «التعاون الدولي في مكافحة الجرائم الإلكترونية»، الطبعة الثانية، دار الوعي للنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
٢٦. الهاشمي، عبد الله. (٢٠٢١). «الذكاء الاصطناعي في الأمن السيبراني»، الطبعة الأولى، دار المستقبل للنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
٢٧. الجراح، فاطمة. (٢٠٢٠). «التعلم الآلي والذكاء الاصطناعي في مواجهة تهديدات الإنترنت»، الطبعة الثانية، دار المعرفة للنشر، القاهرة، مصر.
٢٨. عبد الرحمن، سامي. (٢٠٢٢). «الذكاء الاصطناعي كأداة للوقاية من الجرائم الرقمية»، الطبعة الأولى، دار التكنولوجيا الحديثة، بيروت، لبنان.
٢٩. العلي، محمد. (٢٠٢١). «الدعم النفسي للضحايا في العصر الرقمي»، الطبعة الأولى، دار الأمان للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٣٠. الطويل، فهد. (٢٠٢٠). «التوجيه القانوني للضحايا: مكافحة الجرائم الرقمية»، الطبعة الأولى، دار النشر القانونية، بيروت، لبنان.

السياحة العلاجية في العراق محافظة ديالى انموذجاً

م. م. عمار سلمان عبيد
جامعة الانبار/ كلية الآداب / قسم الجغرافية
أ. نسرين محمد موسى
الاكاديمية الليبية للدراسات العليا / فرع مصراته / قسم المحاسبة
أ.د خلود علي هادي رشيد
جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم الجغرافية



المستخلص:

تعد السياحة العلاجية مورد هام يدخل ضمن موارد الدولة , والتي تعتبر من اهم الموارد التي تزيد من دخل الدولة اذا استغلت بصورة صحيحة , نظرا للموقع الجغرافي المميز لمنطقة الدراسة من حيث توسطها المحافظات العراقية وقربها من العاصمة وما تمتلكه من حدود دولية مع ايران كان نقطة بارزة شجع على استغلال الموارد المتاحة في السياحة العلاجية . اهتمت الورقة البحثية في طرح السؤال(ماهي الامكانيات المتاحة للسياحة العلاجية في منطقة الدراسة ؟) لتاتي بفرضية توفر الامكانيات الطبيعية التي تساعد على قيام المنشئات اللازمة لنجاح هذه المشاريع المهمة , كان الهدف الرئيسي لهذه الدراسة هو ابراز المقومات والامكانات المتاحة للسياحة العلاجية في محافظة ديالى ومن خلال هذه الدراسة التي توصلت الى عدة نتائج كان في مقدمتها :

نقص الخدمات والبنية التحتية , رغم تزايد أعداد الزوار , يعاني المرقد من ضعف الخدمات الأساسية مثل المرافق الصحية، أماكن الإيواء، وتوسعة القدرة الاستيعابية، ما يعيق راحة الزائرين ويحد من الاستفادة السياحية والدينية للموقع .

الحاجة لتطوير السياحة الدينية, هناك مطالبات بإعادة النظر في ملف السياحة الدينية في ديالى، وتطوير المراقد لتواكب تدفق مئات الآلاف من الزوار سنوياً، خاصة في مواسم الزيارات الكبرى، مع ضرورة توفير خدمات متكاملة للزوار,

كما خرجت الدراسة بعدة توصيات منها:-

انشاء هيئة خاصة بالسياحة العلاجية على ان تهتم الحكومة المحلية بتوفير الدعم اللازم بصورة مباشرة.

٢- اعطاء الدور الحقيقي لوسائل الاعلام المختلفة لدعم هذه المشاريع الحيوية والتي تعد ذات مردود حسن للاقتصاد المحلي.

٣- اجراء العديد من الدراسات حول السياحة العلاجية ودعم الاكاديميين والبحاث بكل ما هو ممكن لجل تطوير هذا النشاط الاقتصادي المهم.

٤- نشر الوعي بين سكان المناطق التي توجد بها البرك العلاجية وغيرها من اجل الحفاظ على ديمومة هذا المورد.

٥- تطوير البنى التحتية وشبكات النقل في هذه المناطق مع التشجيع على انشاء فنادق تليق بالزوار والمرتادين على مناطق السياحة العلاجية .

الكلمات المفتاحية : السياحة العلاجية, ديالى, العيون ,المياه المعدنية, المراقد الدينية .

Abstract:

Medical tourism is an important resource within the state's resources, and is considered one of the most important resources that increase the state's income if exploited correctly. Due to the distinguished geographical location of the study area in terms of its being in the middle of the Iraqi governorates and its proximity to the capital and its international borders with Iran, it was a prominent point that encouraged the exploitation of the available resources in medical tourism .

The research paper was interested in raising the question (What are the available possibilities for medical tourism in the study area?) to come up with the hypothesis of the availability of natural possibilities that help in establishing the necessary facilities for the success of these important projects. The main objective of this study was to highlight the components and possibilities available for medical tourism in Diyala Governorate.

Through this study, several results were reached, the most important of which were :-

Lack of services and infrastructure. Despite the increasing number of visitors, the shrine suffers from a lack of basic services such as health facilities, accommodation, and capacity expansion, which hinders visitor comfort and limits the site›s tourism and religious benefits.

The need to develop religious tourism. There are calls to reconsider the religious tourism file in Diyala, and to develop shrines to keep pace with the influx of hundreds of thousands of visitors annually, especially during major visitation seasons, with the need to provide comprehensive services to visitors. The study also came out with several recommendations, including:

1. Establish a dedicated medical tourism authority, with the local government directly responsible for providing the necessary support.

2. Empower various media outlets to play a meaningful role in supporting these vital projects, which have a positive impact on the local economy.

3.Conduct numerous studies on medical tourism and provide academics and researchers with every possible support to develop this important economic activity.

4- Raising awareness among residents of areas with therapeutic pools and others to preserve the sustainability of this resource.

5.Developing infrastructure and transportation networks in these areas, while encouraging the construction of hotels suitable for visitors and frequenters of therapeutic tourism areas.

Keywords:)medical tourism, Diyala, springs, mineral water, religious shrines(.

١ – مشكلة البحث

ما هي الامكانات المتوفر ة للسياحة العلاجية الطبيعية في محافظة ديالى .

٢ – فرضية البحث

تمتلك محافظة ديالى مقومات السياحة العلاجية المتمثلة في العيون والينابيع المعدنية التي يمكن استثمارها في تنمية هذا النشاط السياحي .

٣ – اهداف البحث

يهدف البحث الى ابراز المقومات والامكانات المتاحة للسياحة العلاجية في محافظة ديالى .

٤ – حدود منطقة البحث

تتمثل حدود البحث بمحافظة ديالى التي يحدها من جهة الشمال محافظتا السليمانية وصلاح الدين ومن جهة الغرب محافظة بغداد ومن الجنوب محافظة واسط. تنحصر المحافظة بين دائرتي عرض ٣٣٠٠ و ٦ ٣٥ شمال

خط الاستواء، وخطي طول ٤٤٢٢ و ٥٦ ٤٥ شرق ، وهي بهذا تمتد طولا أكثر من (٢٠٠) كم ، وتمتد عرضا الى (١٠٠) كم تقريبا .

(خريطة ١ منطقة الدراسة)

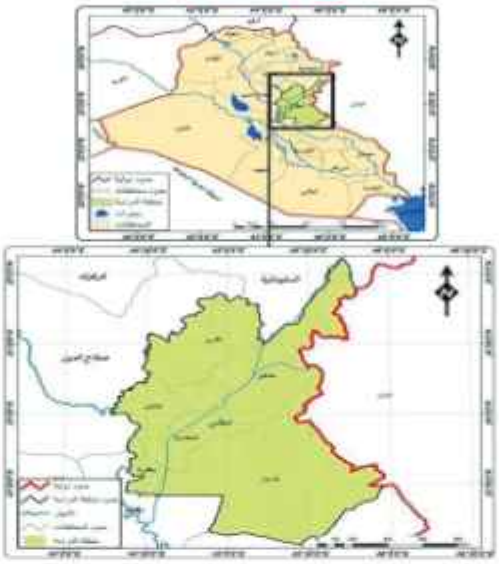

المصدر: ريام اسماعيل طه، أثر تغير السطوع الشمسي الفعلي على مساحة وغم محصول القمح في محافظة ديالى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد ،٢٠١٨

المقدمة:

تُعد السياحة العلاجية باستخدام المياه المعدنية أحد أقدم وأهم أشكال العلاج الطبيعي، حيث تعتمد على خصائص المياه الغنية بالمعادن لعلاج العديد من الحالات الصحية وتعزيز الرفاه الجسدي والنفسي. وتستند هذه الممارسة إلى استخدام ينابيع المياه الطبيعية الحاوية على تركيبات معدنية مثل الكبريت، والكالسيوم، والمغنيسيوم، والصوديوم، والتي ثبت أن لها تأثيرات علاجية ملموسة، خاصة في حالات الأمراض الجلدية، واضطرابات المفاصل، والجهاز التنفسي، والهضمي. وقد شهدت هذه السياحة انتشارًا واسعًا في العديد من دول العالم، مثل ألمانيا، وتركيا، وتشيكيا، حيث تُعتبر المراكز العلاجية في المنتجعات الحرارية جزءًا لا يتجزأ من النظم الصحية الوقائية والتأهيلية. وتكمن أهمية هذا النوع من السياحة في أنه يجمع بين العلاج والاستجمام، مما يجعله خيارًا مفضلًا للمرضى والسياح الباحثين عن الراحة والعلاج الطبيعي بعيدًا عن التدخلات الدوائية والجراحية

أولاً: تعريف السياحة العلاجية

عرفت السياحة العلاجية من الاتحاد الدولي للسياحة (IUOTO) بأنها عبارة عن التسهيلات والخدمات الصحية كافة التي يمكن الاستفادة منها من قبل السائح في استثمار المصادر الطبيعية كافة كالمياه المعدنية والرمال والمناخ لأغراض العلاج والصحة (الطائي٢٠٠٥: ٢٩) . وقد عرفها الدكتور عبد العزيز علي نقلاً عن داود سليمان : بانها اماكن تتوافر فيها عيون معدنية ، ذات خواص علاجية طبيعية معينة ترجع الى الارض او البحر او المناخ ولديها من المنشآت الملائمة ما يسمح بعلاج الامراض او تخفيفها او الوقاية منها(القائدي٢٠٠٣: ١٥) .

والسياحة العلاجية هي نوع من أنواع السياحة المهمة التي تدر دخلاً جيداً اذا ما توافرت بالدولة او المنطقة المعينة مقومات السياحة العلاجية وهي (المياه المعدنية والكبريتية – رمال ذات طبيعة خاصة – جو صحي نقي – مصحات ومستشفيات وملاك طبي وعلاجي جيد – خدمات سياحية مساعدة مثل المترجمين والصحفيين ووسائل الاتصالات السريعة ووسائل النقل – توافر فنادق ومطاعم جيدة للمرضى) (توفيق ١٩٩٧: ٥٦) .

وقد عرفت هيأة السياحة العلاجية في كوستاريكا السياحة العلاجية بأنها تعني سفر المرء من بلده الى اجزاء أخرى من العالم بحثاً عن علاج طبي جديد خاص به(القائدي ٢٠٠٣ :١٥)

وهنا يمكن ان نعطي تعريفاً إجرائيا للسياحة العلاجية بأنها نشاط مزدوج سياحي – صحي يتم أقامته في مناطق خاصة تمتاز بوجود مقومات طبيعية ذات امكانات علاجية استشفائية كالمياه المعدنية والتربة والاطيان المشبعة بأنواع من المعادن ، وهي تساعد مستخدميها على الحصول على صحة جيدة في ظل ظروف مناخية مناسبة .

ثانياً: تطور مفهوم السياحة العلاجية

عرفت السياحة العلاجية منذ القدم . فقد عرف الانسان بالتدريج والخبرة أن بعض الامراض (كالأمراض الروماتزمية والصدرية) تشفى بالانتقال الى اماكن معينة تتميز بمناخ خاص ثم اكتشفت الخواص العلاجية للينابيع المعدنية . وقد تفنن الرومان في بناء الحمامات العلاجية وأقاموا بها التماثيل الجميلة وألحقوا بها صالات الترفيه . وعندما حل عصر النهضة في أوربا أصبحت السياحة الى المدن العلاجية نوعاً من الترف يختص به الاغنياء وقد ضمت هذه المدن أضخم الفنادق وأجمل الحدائق . وبعد الحرب العالمية الثانية لم يصبح ارتياد هذه المدن مقصوراً على الاغنياء وانما شمل الطبقات المتوسطة نظراً لانتشار التأمين الصحي وارتفاع مستوى المعيشة ، عندئذ أزدهر هذا النوع من السياحة ازدهاراً كبيراً (الروبي ١٩٨٨: ٣٤).

لقد تميز هذا النوع من السياحة منذ أواسط القرن العشرين بتنظيمات وتطورات مميزة من الجهات الادارية والسياحية وباهتمام خاص لاستقطاب عشرات الألوف من الزوار والسياح سنوياً كما في الدول الاوربية والآسيوية والعربية ، حيث فحصت المياه المعدنية وحللت كيميائياً وثبتت منافعها طبياً (الكتاني ١٩٩٠: ١٧٨)

لقد تطورت المناطق العلاجية في الوقت الحاضر فأصبحت تضم مراكز للبحوث الطبية وخواص المياه وتأثيرها والمناخ وغيرها من وسائل العلاج . كما تخصصت كل منطقة في نوع من معين من علاج أمراض معينة ، فاشتهرت بعض المناطق بعلاج الامراض الروماتزمية والثانية في علاج أمراض القناة الهضمية والكبد والمرارة والثالثة في علاج امراض الكلى والرابعة لعلاج الجهاز التنفسي وهكذا (الروبي ١٩٨٨ : ٣٥).

ثالثاً: أنواع السياحة العلاجية

اهتم الناس بالسفر والزيارات الى مناطق المياه المعدنية لغرض الاستجمام والمعالجة ، وكثير منهم من وجهه اهتمامه لهذه المصادر المفيدة حيث تبعث هذه المياه للأشخاص الذين يرتادون اليها النشاط والراحة للجسم ، والرجوع الى العمل بشيء من التجديد . وقد يلجأ الناس اليها طلباً للراحة والمعالجة من بعض الامراض ، مثل التهابات المفاصل ، والسمنة ، والامراض الجلدية ، وامراض الشيخوخة المبكرة وعرق النسا (بن صال, ١٩٩٩: ٤٢).

ان لكل نوع من هذه الامراض طريقة للعلاج ، فقسم من الامراض تعالج عن طريق الدفن في الرمال ، على الشواطئ البحرية التي تمتاز بخواص علاجية طبيعية ، او بواسطة الطمى الطبي او العلاجي عن طريق استنشاق الابخرة المنبعثة من الينابيع الكبريتية لعلاج امراض الجهاز التنفسي او التعرض لاشعة الشمس نوعاً من العلاج (القائدي ٢٠٠٣ : ٣٠).

وفي العالم هناك مدن عدة تقوم بوظائف سياحة علاجية يمكن ان تقسم على انواع كالاتي :

١ . مدن فيها عيون معدنية للشرب او الاستحمام فيها .

٢ . مدن تجمع بين المياه المعدنية والجو العلاجي .

٣ . مدن تستغل جوها الشافي .

٤ . مدن تستغل مياه البحر للعلاج .

٥ . مدن تستغل وسائل طبيعية للعلاج كالطمى الطبي والدفن في الرمال او وجود كهوف تنبعث منها ابخرة غازية

فالمدن التي تستغل المياه للعلاج تكون فيها الحمامات غير مرتبطة بمنطقة معينة او بنوع من انواع الينابيع ، ومنذ ان طوّر القس (كنايب) عام ١٨٤٨م طريقة العلاج باستعمال الماء في حمام فيرشهوفن في المانيا ، انتشرت هذه الطريقة في مناطق اخرى وعادة ما يكون هذا النوع منتشراً في الاماكن التي تمتاز بمناخ جيد .

اما المدن التي تتوافر فيها مياه معدنية مع الجو العلاجي ، فقد تظهر في مناطق العيوب والفوالق ولاسيما في المناطق الجبلية ، اذ تزيد درجة حرارة بعض هذه المياه على (٦٥مْ) اضافة الى جوها النقي الذي يدفع السياح للقدوم اليها (الراوي و . السامرائي ١٩٩٠ :٢٠٥-٢٠٧).

ولمياه بعض الينابيع قيمة كبيرة من الناحية الصحية ، اذ يكون للاملاح الذائبة في بعض هذه المياه فوائد طبية ، وتستعمل المياه المعدنية الحارة لغايات الاستحمام والتنظيف والشرب وتأتي قدرة هذه المياه على العلاج لارتفاع درجة حرارتها واحتوائها على الغازات وبعض العناصر المشعة . ان المدن التي تستغل جوها الشافي غالباً ماينصح به الطبيب مرضاه بقضاء مدة من الوقت في جوها النقي ومناخها العلاجي ، الامر الذي يساعد على اختيار هذه المنطقة مصحاً مناخياً له خواص مناخية تؤدي دوراً مهماً في اغراض العلاج المناخي . وعادة ما تكون هذه المصحات على نوعين (شتائية و صيفية) والى جانب فوائد المناخ الجبلي هذه يتم الاستمتاع بالإشعاع الشمسي المباشر ونقاوة الهواء ، لان المناخ النقي اللطيف مرتبط اساساً بالراحة الطبيعية للجسم البشري .

وان اهم العناصر المناخية المؤثرة في مثل هذه المواقع السياحية والمصحات هي:

١-الاشعاع الشمسي والحرارة : ان الدرجة الحرارية المثالية للهواء هي تلك الدرجة التي تقترب كثيراً من حرارة الانسان الداخلية والتي هي في الانسان الطبيعي الخالي من المرض (٣٧ مْ) وعليه فان الموقع الذي يوفر حرارة الهواء بالعلاقة مع اشعة الشمس والرطوبة ، واقترب من هذه الدرجة هو اكثر المواقع الصحية ملاءمة لحياة الانسان .

٢-نقاوة الهواء : من اهم العوامل المؤثرة في صحة الانسان هو عامل نقاوة الهواء ، والهواء النقي **Fresh air** الذي تقل فيه نسبة ثاني اوكسيد الكاربون والشوائب مازال احد العوامل الرئيسة في عملية الجذب السياحي ومازال عاملاً رئيسياً في تحديد مواقع المنتجعات الجبلية بالدرجة الاولى . لان عامل الارتفاع يجعل الهواء حراً من الغبار ومن ثاني اوكسيد الكاربون وعليه تقلل من عملية امتصاص الهواء للحرارة . وهذا مايفسر تركز المصايف والمشاتي على السفوح الجبلية المتوسطة بين الوديان وقمم الجبال .

٣-مدى الرؤية : والمقصود به هو بعد النظر في الافق وهذا يعتمد على صفاء السماء **Clear sky** الذي يعتمد على نسبة الغيوم وضوء الشمس ونقاوة الهواء من الغبار والضباب .

٤-الثلج : مع توافر دفء المناخ في الموقع واعتدال سرعة الرياح فيه وهذان العاملان اساسيان في السياحة الشتوية .

كما توجد مدن تستغل وسائل طبيعية للعلاج تحت إشراف أطباء خبراء في العلاج الطبيعي وممرضات كفؤات في عملية التدليك والمساج للجسم ولاسيما للاشخاص المرضى الذين يعانون بعض امراض العظام مثل آلام الرقبة والظهر والساقين والشد العضلي وآلام الكتف ، وغالباً ما تستخدم مياه الينابيع الحارة والطين لعلاج هذه الامراض فضلاً عن الكهوف التي تنبعث منها ابخرة غازية يستفاد منها في علاج امراض الجهاز التنفسي عن طريق الاستنشاق .(الكتاني ١٩٩٠:١٧٨).

رابعاً: الاهمية الاقتصادية للسياحة العلاجية

بما ان السياحة العلاجية هي احد انواع السياحة فهي ايضاً لها اهمية اقتصادية ، بل ان السياحة العلاجية تجلب من العملات الصعبة والمدخولات اكثر من باقي انواع السياحة ، نظراً للإقامة الطويلة للسياح في المصحات ومناطق العلاج السياحية(الكتاني ١٩٩٠ :١٧٦) . فالسائح الذي يقدم للعلاج او النقاهة ، يقضي عادة مدة اطول من السائح العادي

، اذ يستغرق العلاج الطبيعي وجلساته بين اسبوعين واربعة اسابيع ، وربما احياناً الشهرين . فضلاً عن ان المنتجعات الصحية للنقاهة والراحة النفسية والعصبية تحتاج الى مدة اطول احياناً . ومن ثم هذه الاقامة الطويلة نسبياً للسائح في هذه المصحات تعد مكسباً كبيراً من حيث انفاقه بالعملات الاجنبية الصعبة على اقامته وشراء السلع والخدمات . اذ يقول (جان شاردونيه) في كتاب (السياحة والراحة) «نقلاً عن داود سليمان : ان نفقات سائح واحد في المصح تعادل نفقات عشرة سياح في المواقع السياحية الاخرى ، الامر الذي يفرض على الدول التي تمتلك هذه المقومات ، الاهتمام برفع مستوى هذه المراكز والمنتجعات وتشجيعها وتزويدها بكل المستحدثات في الجوانب العلاجية (القائدي٢٠٠٣ : ٤٧). وقد اهتمت الدول الاوربية واليابان والولايات المتحدة بهذا النوع من العلاج الطبيعي ، ووضعوه في الاعتبار الاول ، لما يحققه من فائدة صحية اكيدة للمرضى ودخل كبير سواء بالعملة المحلية من مواطنيها او بالعملات الاجنبية من الوافدين عليها من الخارج ، اذ ان معظم المرضى يلجؤون للعلاج مرة او اكثر في السنة وهذا بمجمله يساعد على دخول عملات اجنبية لتحريك الاقتصاد الوطني .

فضلاً عن ذلك فان مدن المياه المعدنية لا تعتمد فقط على السائح العلاجي مصدراً للدخل وانما تقوم بأنشطة اخرى كتعبئة المياه المعدنية وتسويقها داخلياً وخارجياً كمياه (فيشي وفينيل) وتصدير الاملاح المعدنية بعد استخلاصها من المياه لاستخدامها في العلاج الطبي الى البلدان التي لا يوجد فيها هذا النوع من العلاج والاعشاب الطبية(روبي ١٩٨٨: ٣٦).

ولعل خير دليل على الاهمية الاقتصادية للسياحة العلاجية هو الاحصائيات السياحية العالمية في هذا المجال . ففي المانيا الغربية بلغ عدد الزوار للحمامات المعدنية (سنة ١٩٨٥) (٧,٥) مليون سائح وبلغ عدد ليالي مبيتهم ٩٤,٤ مليون ليلة مبيت ، منها ٢٧,٥ مليون ليلة في المصحات ومستشفيات تلك المناطق العلاجية ، و ٢٠ مليوناً من ليالي المبيت كانت في المناطق الخاصة بالمياه المعدنية وبركها العلاجية ، و ٤٠,٣ مليون ليلة مبيت كانت من حصة العلاج الطبيعي المباشر (الكتاني ١٩٩٠: ١٧٨) اما في بلغاريا حيث العيون المعدنية التي يزيد عددها على (٦٠٠) عين ، فقد بلغ عدد السياح القادمين للسياحة العلاجية اليها في عام ٢٠٠٣ (٩,٣) مليون سائح وقد بلغت واردات هذا النوع من السياحة في السنة نفسها (١١٢٤٠) مليون دولار(kodar. ٢٠٠٤,).

خامساً: السياحة العلاجية في العراق

يمتلك العراق عيوناً مائية كثيرة ومختلفة الخواص في مناطق كثيرة (كما توضحه الخريطة رقم(٢) وهي تمكنه من اقامة مواقع للسياحة العلاجية واستغلالها على النحو الامثل الا ان هذه المواقع لم تستغل بشكلها الصحيح .

ان اكثر هذه المواقع للعيون والمستخدمة للسياحة هي في الاقسام الشمالية من العراق التي يرتادها اعداد كبيرة من المواطنين خلال المدة ما بين شهر مايس وايلول وقد كشفت المسوحات عن وجود ١٦٦ عيناً من المياه الحارة والمعدنية في المنطقة الشمالية وابرز ما هو معروف في هذا المجال هو حمام العليل وعين الكبريت في الموصل وكذلك في اربيل والسليمانية ودهوك (صوفي ١٩٧٨: ٢٧).

هذا وتتصف تلك الينابيع في المنطقة الشمالية من العراق بصفات كيمياوية خاصة تستخدم لأغراض علاجية وطبية بالنظر لاحتوائها على أيونات معدنية تستخدم لعلاج بعض الامراض الجلدية والمعوية والبولية التي ترتبط بالسياحة العلاجية ، اذ توجد علاقة بين أوعية الجلد و حرارة الجسم والدورة الدموية والجهاز التنفسي والجهاز العصبي وعلى أساس هذه العلاقة وجدت أساسيات العلاج الطبيعي بواسطة المياه المعدنية التي تحتوي على املاح ومعادن مفيدة للعلاج منها المياه الساخنة والباردة ومنها مياه كلسية وكبريتية (محمد٢٠٠١: ٣٢٢)

وتكمن الاسباب الاساسية وراء اهمال اهمية الينابيع المعدنية والحارة وعدم الاستفادة منها هو عدم الالمام الكافي بفوائد ومزايا هذه الينابيع ، حتى ان عدد المرتادين لتلك الينابيع لا يتعدى (سبعة آلاف شخص) سنوياً (حسي,١٩٨٩: ٢٢٨) .

(خريطة رقم ٢)



المصدر : ، زهراء محمد جاسم الطائي، تنمية السياحة العلاجية في منطقة عين التمر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مركز التخطيط الحضري والإقليمي ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥

ويمكن ان نبرز هذه المواقع للعيون وتوزيعها في العراق لاستخدامها مواقع للسياحة العلاجية من خلال تصنيفها بالشكل الآتي :

١ –العيون المعدنية : وتتركز هذ العيون على نحو كبير في الاقسام الغربية من العراق ويمكن ان نقسمها على مجموعتين :–

أ–المجموعة الشمالية ، وهي تقع الى الشمال من نهر الفرات وتتركز معظمها في محافظة الموصل وهي من اشهر العيون المعدنية في القطر . وتشمل : (عين زهرة ، عين فصوصة ، عين كبريت ، عين الصفرة ، عين البيضة ، عين كه لوك ، عين كاني باي ، عين القصر الاسود ، عين قرية النوران ،عيون نويفة الكبريتية ، عين كبريت العداية ، عين كهف الناقوط ، عيون كبريتية في قرية الجرن) إضافة الى الترسبات الطينية والمعدنية في حمام العليل المشهورة التي يتم استخراج الترسبات الطينية المعدنية من مواقع الينابيع الكبريتية وذلك لاستخدامها لعلاج مختلف الامراض الجلدية ، مثل الاكزيما وحب الشباب والحساسية والحكة الجلدية والجرب ، وهذا النوع من العلاج يعطي نتائج ايجابية في أكثر الاحيان نتيجة تركيز وترسيب العناصر الكيميائية وبعض الاملاح المعدنية والكبريتات التي تساعد على تطهير الاماكن المصابة من الجسم من هذه الامراض وكذلك تساعد الرمال في الجزرة الوسطية لنهر دجلة في حمام العليل والتي يؤمها الناس ، التي تسمى بالحمامات الرملية لعلاج الروماتيزم (حسين ١٩٨٩: ٤٦).

وتوجد المياه المعدنية في المنطقة الشمالية في مصيف حاج عمران ، والمياه المعدنية الموجودة في منطقة فيشخابور في الجبل المقابل والمطل على نهر دجلة عند بداية دخوله من الاراضي التركية الى العراق . (المشهداني ٢٠١١: ١٢٠) .

ب–مجموعة غرب الفرات وهي تقع الى الجنوب من المجموعة الاولى . يبلغ مجموع الينابيع زهاء ٥٠٠ ينبوع اكثرها صغير غير عامل نتيجة عدم الصيانة لوقوعها في اماكن نائية ومنعزلة عن مراكز الاستيطان فانطمرت بالاتربة والاوحال . تتوزع

هذه الينابيع على شريط ارضي يمتد موازياً لنهر الفرات مسافة تقرب من ٤٠٠ كم ، وذلك ابتداءً من ناحية كبيسة (٢٠ كم غرب هيت) في الشمال الغربي حتى مركز قضاء السماوة في الجنوب الشرقي (حسين١٩٨٩: ٢٦).

وقد تم استثمار وتطوير بعض الينابيع المعدنية والحارة بالاستعانة مع بعض المؤسسات المتخصصة بتحديد مواقع تلك الينابيع واجراء التحاليل الكيميائية والفيزيائية والبكتريولوجية لمياهها وقد تم تحديد خمسة عشر ينبوعاً في هذه المنطقة ، تقع سبعة منها في منطقة كبيسة –هيت هي (السيالة والمعمورة والجربة وزازو والخضر والعصفورية وكبيسة) واربعة في منطقة الرحالية –عين التمر هي (الكبيرة و الشكرة و الحمرة و السيب) وثلاثة في منطقة النجف هي (شجيج و سيد سعيد و الرحبة) وينبوع واحد في منطقة الشنافية –السماوة هو (الامام عبدالله) وينصدر ينبوعا السيالة والمعمورة بقية الينابيع في كفائتهما العلاجية من بعض امراض البرص الجلدي وامراض المفاصل والروماتزم ، فضلاً عن نتائجها الايجابية في التخفيف من التوترات الانفعالية وفي علاج امراض الجهاز التنفسي عن طريق استنشاق الابخرة والغازات المنبعثة من الماء كما برزت اهمية استعمال مياه ينبوعي كبيسة والكبيرة في مجال المصحات المائية ، مما استدعى التعاون مع بعض الشركات الاجنبية للتخطيط لفكرة انشاء مصحة مائية كبيرة في (منطقة كبيسة – هيت) وتزويدها بالاجهزة والكوادر الطبية والفنية اللازمة للعلاج الطبيعي ، هذا الى جانب تبني فكرة استغلال مياه الينابيع الواقعة داخل عين تمر لغرض تأمين مياه شرب معدنية للمستهلكين معبأة في قنان(حسين ١٩٨٩ :٢٢٩-٢٣١) .

٢-العيون الحامضية داخل الكهوف : وتنتشر في المنطقة الشمالية من العراق في داخل الكهوف التي تنبعث منها ابخرة غازية يستفاد منها في علاج امراض الجهاز التنفسي عن طريق الاستنشاق مثال ذلك ينابيع تنبع داخل كهف بعيد الغور في الجزء الجنوبي الغربي لجبل آجداغ في محافظة السليمانية ويبلغ غور الكهف(٢٠م) من فتحة الكهف مياهها حامضية جداً و تنبع من اسفل الكهف .اذ يتجه السياح من ذوي العاهات والامراض الجسمية الى هذه الاماكن التي تتوافر فيها كل وسائل الراحة والترفيه والاستجمام (القائدي ٢٠٠١ :٣٣)

٣-العيون في الاضرحة المقدسة : وهي توجد على شكل آبار في الحضرات والاماكن الدينية المقدسة تستخدم للاستشفاء ، ومن ابرزها ما يقع ضمن مدينة بغداد كبئر الامام علي (ع) في جامع براثا التي يستخدمها الناس للتبرك و الاستشفاء . وهناك عين ماء في مقام السيد الخضر (ع) على ضفة نهر دجلة في الكرخ يقوم الناس بالاغتسال والتبرك من ماء العين والاستشفاء من بعض الامراض الجلدية مثل الحكة الجلدية .وهناك بئر الشيخ معروف الكرخي التي يأتي اليها الناس للشفاء من الامراض الجلدية وعلاج العقم ، إضافة الى عين ابو خمرة في منطقة الكيلاني التي يرتادها الناس للشفاء من بعض الامراض كعرق النسا . وليس الامر في مدينة بغداد بل تنتشر هذه المياه والعيون في جميع الاضرحة المقدسة في كربلاء والنجف وسامراء و ديالى إضافة الى المزارات والمقامات (القائدي٢٠٠١ : ٤٢-٤٣) .

مقومات السياحة العلاجية :

تعتمد السياحة العلاجية وبشكل شبة كلي على خصائص الطبيعة ، دون استخدام الادوية الكيمياوية في العلاج بحيث تتطلب توفير الكفاءات البشرية ذات الخبرة والتدريب الجيدين حتى تقوم باستغلال الامكانات المتاحة في السياحة العلاجية والتي منها

١ . توفر احواض الرمال الحارة .
٢ . توفر حمامات المياه المعدنية او الكبريتية .
٣ . توفر الحمامات الطينية سواء كانت بركانية او من البحيرات
٤ . توفر المناخ الصحي والجو المستقر والطبيعة الخالية من أي تلوث .

المبحث الثاني:

السياحة العلاجية في محافظة ديالى:

تتمتع محافظة ديالى بمقومات سياحية وعلاجية فريدة، أبرزها بركة مرقد الحاج يوسف(انظر الصورة (١)) التي تحظى بشهرة واسعة بسبب الاعتقاد بقدرتها على علاج العديد من الأمراض المستعصية ويقع مرقد الحاج يوسف على بعد حوالي ٥٥ كم شرق محافظة ديالى في العراق (انظرخريطة رقم (٣)، ويُعرف محلياً أيضاً باسم «أبو الحيّة» حيث يُعد

المرقد صرحاً دينياً بارزاً، ويقصده الزوار طلباً للبركة والاستشفاء، خاصة من الأمراض الجلدية.و– يُنسب الحاج يوسف إلى الإمام يوسف، أحد أحفاد الإمام الحسن المثنى بن الإمام الحسن عليهما السلام، وكان من المشاركين في الفتوحات الإسلامية في بلاد الشرق حسب الروايات المحلية (alsabah.iq٢٠٢٥.)

خريطة رقم (٣)موقع منطقة الدراسة

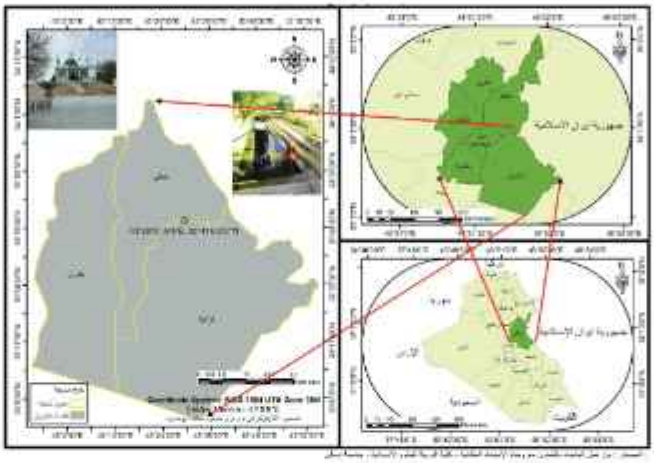

(المصدر https://alsabaah.iq/٩٦١٤٧-html)

بجوار المرقد توجد بركة ماء صغيرة تشكلت منذ مئات السنين، ويعتقد الأهالي أنها تحمل خصائص علاجية فريدة، (انظر الصور (٢)خصوصاً للأمراض الجلدية و تستقطب البركة والمرقد المرضى الفقراء من ١٣ محافظة عراقية، ويزداد الإقبال عليها في مواسم الربيع والخريف وبداية الصيف .

الصورة ٢ (بركة الحاج يوسف)



(المصدر(https://www.aljazeera.net/lifestyle).

جفاف البركة

شهدت في عام ٢٠٢٣ حدثًا غير مسبوق تمثّل في جفافها الكامل للمرة الأولى في التاريخ المسجل، الأمر الذي أثار قلقًا واسعًا بين المختصين في مجالات المياه والبيئة وكذلك بين الأهالي الذين اعتادوا على الاستفادة من خصائصها الصحية. وقد عُزي هذا الجفاف إلى عدة عوامل مناخية وبيئية، أبرزها التراجع الحاد في معدلات الأمطار والسيول في منطقة حوض البركة، إلى جانب ارتفاع درجات الحرارة الذي أدى إلى زيادة ملحوظة في معدلات التبخر ، فضلًا عن التأثيرات السلبية لسوء إدارة الموارد المائية في المنطقة وعدم وجود سياسات حكومية واضحة لتنظيم استثمار المياه الجوفية والسطحية. وهو

ما أدى إلى انخفاض مستويات المياه الجوفية المغذية للينابيع التي تزوّد البركة بالماء .



وقد تزامن جفاف البركة مع ظواهر جيولوجية لافتة من بينها تخسف أرضي مفاجئ في الطريق المجاور بعمق بلغ نحو متر واحد، وهو ما يشير إلى أن الفراغ الناتج عن اختفاء المياه قد تسبّب في عدم استقرار الطبقات السطحية، غير أن هذه الأزمة لم تستمر طويلًا، إذ شهدت المنطقة بعد ثلاثة أشهر من الجفاف عودة المياه إلى البركة من جديد ، وقد فُسرت هذه العودة بارتفاع نسبي في منسوب المياه الجوفية نتيجة لتسربات تحتية طبيعية أو تحسّن محدود في التغذية الهيدرولوجية الموسمية. الأمر الذي أعاد للبركة دورها المعروف كمورد علاجي ومقصد سياحي محلي، ويشكّل هذا الحدث فرصة لإعادة تقييم الأهمية البيئية والاقتصادية لمثل هذه الموارد الطبيعية وضرورة تبني سياسات حماية فعالة تضمن استدامة موارد المياه المعدنية في العراق، خاصةً في ظل التحديات المناخية المتزايدة والتأثيرات المتراكمة لسوء الاستخدام البشري



المصدر . https://shafaq.com/ar

الاستنتاجات :

١– نقص الخدمات والبنية التحتية, رغم تزايد أعداد الزوار، يعاني المرقد من ضعف الخدمات الأساسية مثل المرافق الصحية، أماكن الإيواء، وتوسعة القدرة الاستيعابية، ما يعيق راحة الزائرين ويحد من الاستفادة السياحية والدينية للموقع

٢– الحاجة لتطوير السياحة الدينية , هناك مطالبات بإعادة النظر في ملف السياحة الدينية في ديالى، وتطوير المراقد لتواكب تدفق مئات الآلاف من الزوار سنوياً، خاصة في مواسم الزيارات الكبرى، مع ضرورة توفير خدمات متكاملة للزوار.

٣– تحديات إدارية وتنظيمية , بعض المراقد في ديالى، ومنها مرقد الحاج يوسف، لا تزال بحاجة إلى تنظيم إداري أفضل

واجراءات رسمية لضمها تحت إدارة المزارات الدينية الشيعية، ما يؤثر على عمليات الصيانة والتطوير

٤- محدودية الدراسات العلمية حول البركة. رغم شهرة بركة المياه المجاورة للمرقد بخصائصها العلاجية، إلا أنها لم تخضع لدراسات علمية كافية لتقييم فعاليتها بشكل رسمي، ما يحد من إمكانية استثمارها طبياً وسياحياً

٥- التأثر بالحروب والاضطرابات الأمنية شهد المرقد تراجعاً في أعداد الزوار خلال فترات الحروب والاضطرابات الأمنية، ما أثر على استمرارية النشاط الديني والسياحي في الموقع.

التوصيات :

ان من اهم التوصيات كانت تركز على الجانب الإداري:-

١. ان شاء هيئة خاصة بالسياحة العلاجية على ان تهتم الحكومة المحلية بتوفير الدعم اللازم بصورة مباشرة.

٢. اعطاء الدور الحقيقي لوسائل الاعلام المختلفة لدعم هذه المشاريع الحيوية والتي تعد ذات مردود حسن للاقتصاد المحلي.

٣. اجراء العديد من الدراسات حول السياحة العلاجية ودعم الاكاديميين والبحاث بكل ما هو ممكن لاجل تطوير هذا النشاط الاقتصادي المهم.

٤. نشر الوعي بين سكان المناطق التي توجد بها البرك العلاجية وغيرها من اجل الحفاظ على ديمومة هذا المورد.

٥. تطوير البنى التحتية وشبكات النقل في هذه المناطق مع التشجيع على انشاء فنادق تليق بالزوار والمرتادين على مناطق السياحة العلاجية .

المراجع:

١. الطائي, زهراء محمد جاسم , (٢٠٠٥) , تنمية السياحة العلاجية في منطقة عين التمر ,رسالة ماجستير غير منشورة, مركز التخطيط الحضري والاقليمي, جامعة بغداد.

٢. القاندي , داود سليمان شمو,(٢٠٠٣) السياحة العلاجية في محافظة نينوى- دراسة ميدانية لمنطقة حمام العليل , رسالة ماجستير, الجامعة المستنصرية , كلية الادارة والاقتصاد, قسم السياحة وادارة الفنادق , بغداد.

٣. توفيق ,ماهر عبد العزيز ,(١٩٩٧), صناعة السياحة ,عمان, دار زهران للنشر والتوزيع.

٤. الروبي, نبيل ,(١٩٨٨) , نظرية السياحة, الجزء الاول ,مؤسسة الثقافة الجامعية – الاسكندرية , الاسكندرية .

٥. الكتاني , مصطفى مسعود , (١٩٩٠) , علم السياحة والمنتزهات, الجزء الاول , بغداد , دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع.

٦. الكتاني, مصطفى مسعود , خديجة مسعود كتاني ,(٢٠٢٢) ,علم السياحة والمنتزهات ,الجزء الثاني , بغداد ,دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع.

٧. الكتاني, مصطفى مسعود , خديجة مسعود كتاني ,(٢٠٢٢) ,علم السياحة والمنتزهات ,الجزء الثالث والاخير , بغداد , دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع.

٨. بن صالح, محمد حزام صالح, (١٩٩٩), الترفيه والسياحة في مدينة ومحافظة صنعاء, رسالة ماجستير, جامعة بغداد ,كلية التربية , قسم الجغرافية .

٩. الراوي , عادل سعيد , و السامرائي, قصي عبدالمجيد , (١٩٩٠) , المناخ التطبيقي , بغداد, دار الحكمة للطباعة والنش والتوزيع .

١٠. صوفي, احمد محمد , (١٩٧٨) , مخطط لتطوير السياحة في شمال العراق- منطقة الدراسة محافظة دهوك, رسالة ماجستير ,جامعة بغداد, مركز التخطيط الحضري والاقليمي.

١١. محمد , كاظم موسى , (٢٠٠١) ,دور الموارد المائية في التنمية السياحية – دراسة تطبيقية على شمال العراق, مجلة الجمعية الجغرافية العراقية , العدد٤٧ , العراق.

١٢. حسين , يحيى عباس, (١٩٨٩) ,الينابيع المائية بين كبيسة والسماوة واستثمارها , اطروحة دكتوراه , جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الجغرافية.

١٣. العراوي , محمد عبد الوهاب ,و المشهداني , سعد ابراهيم حمد ,(٢٠٢٠), الطبعة الاولى , عمان الاردن, دار الاكاديميون للنشر والتوزيع .

١٤. المشهداني, سعد ابراهيم حمد, ٢٠١١, اثر المناخ على صناعة السياحة في العراق, مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية , جامعة الموصل.

١٥. https://alsabaah.iq/٩٦١٤٧-html.

١٦. https://baghdadtoday.news/٢٢٥٦٦٢

١٧. https://shafaq.com

١٨. www.bulgaria-embassy.org Kodar (٢٠٠٤), Tourism , ٢٠٠٤ .

دور الجغرافية في تحديد المواقع الأثرية في مناطق أعالي الفرات في محافظة الأنبار

م. م. نور ياسين بديوي الراوي
وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية في محافظة الانبار



المستخلص :

يهدف هذا البحث إلى دراسة الدور الذي تلعبه العوامل الجغرافية في تحديد مواقع الاستيطان البشري القديم في مناطق أعالي نهر الفرات بمحافظة الأنبار، ولا سيما في مدن عانة و راوه وحديثة وهيت. تتناول الدراسة أثر التضاريس، والمناخ، وموارد المياه، والانحدارات، والسهول الفيضية في توزيع المواقع الأثرية القديمة، وتحاول تفسير العلاقة بين البيئة الطبيعية ونشوء الحضارات في هذه المنطقة التي مثّلت منذ آلاف السنين ممرًّا تجاريًا وحضاريًا مهمًا بين بلاد الرافدين والشام.

اعتمد البحث على المنهج الجغرافي التحليلي، باستخدام بيانات الاستشعار عن بُعد وصور الأقمار الصناعية (Landsat وSentinel)، إلى جانب الدراسات الميدانية والإحصاءات المحلية (٢٠٢٣–٢٠٢٥). أظهرت النتائج أن نحو ٧٠٪ من المواقع الأثرية تقع ضمن نطاق لا يتجاوز ٣ كم من ضفاف نهر الفرات، وأن تغيّر مجرى النهر والسدود الحديثة (مثل سد حديثة) أدّى إلى غمر أو كشف عدد كبير من المواقع التاريخية.

خلص البحث إلى أن فهم الجغرافيا الطبيعية هو المفتاح الأساس لتوجيه جهود التنقيب المستقبلي، وأن الدمج بين التحليل المكاني والبيانات التاريخية يُعدّ وسيلة فعالة للحفاظ على التراث الأثري للأنبار.

الكلمات المفتاحية: الجغرافيا، المواقع الأثرية، الأنبار، GIS، الاستشعار عن بعد، التنبؤ المكاني.

Abstract:

This research aims to investigate the role of geographical factors in determining ancient human settlement sites along the Upper Euphrates region in Anbar Governorate, particularly within the cities of Ana, Rawa, Haditha, and Hit. The study examines the influence of topography, climate, water resources, slope gradients, and floodplains on the distribution of archaeological sites, seeking to explain the relationship between the natural environment and the rise of civilizations in this area, which historically served as a major trade and cultural corridor between Mesopotamia and the Levant The study employs an analytical geographical approach using remote sensing data and satellite imagery (Landsat and Sentinel), alongside field surveys and local statistics (2023–2025). Results indicate that nearly 70% of archaeological sites are located within 3 km of the Euphrates River banks, and that river course changes and modern dams (such as the Haditha Dam) have submerged or exposed many ancient sites. The study concludes that understanding the region's natural geography is essential for guiding future archaeological surveys and that integrating spatial analysis with historical data provides an effective tool for preserving Anbar's archaeological heritage.

Keywords: Geography, Archaeological sites, Al-Anbar, GIS, Remote Sensing, Spatial Prediction.

المقدمة:

تُعدّ منطقة أعالي الفرات في محافظة الأنبار من أغنى مناطق العراق بالمواقع الأثرية التي تعود إلى عصور مختلفة، بدءًا من عصور ما قبل التاريخ وحتى الفترات الإسلامية. وتمتاز المنطقة ببيئة طبيعية متنوّعة تشمل السهول الفيضية الخصبة والمرتفعات والهضاب والصحارى، ما جعلها بيئة ملائمة للاستيطان الزراعي والتجاري.

لقد ارتبط وجود الإنسان في هذه المنطقة بالعوامل الجغرافية، خصوصًا نهر الفرات الذي مثّل شريان الحياة ومصدر

الاستقرار. غير أن تغيّر العوامل الطبيعية والبشرية، مثل التحولات المناخية وبناء السدود وتوسّع المدن، أثّر في بقاء العديد من المواقع الأثرية أو طمرها أو غمرها بالمياه.

من هنا تنبع أهمية هذا البحث في ربط الجغرافيا بعلم الآثار لفهم الكيفية التي تشكّلت بها خريطة المواقع الأثرية في أعالي الفرات، واستشراف السبل الحديثة لاكتشافها وحمايتها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في ضعف فهم العلاقة بين العوامل الجغرافية وتوزيع المواقع الأثرية في مناطق أعالي الفرات، رغم ما تمتلكه المنطقة من ثراء حضاري كبير. كثير من الدراسات ركزت على الجانب التاريخي دون تحليل مكاني جغرافي واضح، مما أدى إلى تشتّت المعلومات وعدم استثمار الإمكانات التقنية الحديثة (GIS، الاستشعار عن بُعد) في تحديد المواقع الأثرية بدقة.

وتبرز أهمية هذا البحث في أنه يربط بين الجغرافيا الطبيعية والأنشطة البشرية القديمة، ويساهم في تطوير قاعدة بيانات مكانية للمواقع الأثرية تساعد دوائر الآثار والباحثين في حماية التراث الثقافي للأنبار من التدمير أو الضياع.

فرضيات البحث:

١. أن قرب الموقع الأثري من نهر الفرات يُعدّ العامل الحاسم في اختياره للاستيطان البشري القديم.

٢. أن طبيعة التضاريس والانحدارات أثّرت في تحديد مواقع الاستقرار الآمنة والمناسبة للزراعة والنقل.

٣. أن التغيّرات البيئية والنهرية في العقود الأخيرة غيّرت خريطة المواقع الأثرية وأدّت إلى كشف أو طمر بعضها.

٤. أن استخدام أدوات الجغرافيا الحديثة (GIS، الصور الفضائية) يساهم في إعادة اكتشاف المواقع الأثرية المطمورة أو المهددة.

أهداف البحث:

١. تحديد العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية التي أسهمت في اختيار مواقع الاستقرار الأثري في أعالي الفرات.

٢. تحليل التوزيع المكاني للمواقع الأثرية وربطه بالخصائص الجيومرفولوجية.

٣. توظيف التقنيات الجغرافية الحديثة في الكشف عن المواقع المغمورة أو المندثرة.

٤. تقديم توصيات علمية للحفاظ على المواقع الأثرية من التغيرات البيئية والعمرانية الحديثة.

منهجية البحث وأدواته:

اعتمد البحث على المنهج الجغرافي التحليلي القائم على الدمج بين التحليل المكاني الكمي والنوعي.

الأدوات المستخدمة شملت:

نظم المعلومات الجغرافية (GIS) لرسم الخرائط المكانية للمواقع الأثرية.

بيانات الاستشعار عن بُعد (صور Landsat ٨ وSentinel-٢) لتحديد المناطق المغمورة أو الجافة.

التحليل الإحصائي لتوزيع المواقع نسبة إلى عناصر الجغرافيا الطبيعية (النهر، الارتفاع، الانحدار، التربة).

المقابلات الميدانية مع مختصين في دائرة آثار الأنبار.

مراجعة الدراسات الأكاديمية المنشورة في مجلات (جامعة الأنبار، الموصل، بغداد).

الوصف الجغرافي لمنطقة أعالي الفرات

العوامل الطبيعية والبشرية المؤثرة

أهم المواقع الأثرية وتحليل توزيعها

المبحث الاول: الوصف الجغرافي لمنطقة أعالي الفرات في محافظة الأنبار

أولاً: الموقع والمساحة

تقع منطقة أعالي الفرات في الجزء الغربي من محافظة الأنبار، وتمتد من قضاء هيت شرقًا إلى قضاء عانة وراوه وحديثة غربًا حتى مشارف الحدود السورية. تُعدّ هذه المنطقة أحد أهم أجزاء وادي الفرات الأوسط في العراق، وتمثّل نحو ٢٣٪ من مساحة محافظة الأنبار، أي ما يعادل تقريبًا ٢٥,٠٠٠ كم^2.

يخترقها نهر الفرات القادم من سوريا، ويمتد لمسافة تقارب ٣٢٠ كم داخل أراضي الأنبار حتى يدخل منطقة الرمادي. وتُعد مدن (عانة، راوة، حديثة، البغدادي، وهيت) المراكز الرئيسة ضمن هذا القطاع النهري.

يُحدّ المنطقة من الشمال جبال ومرتفعات الحضر والجزيرة، ومن الجنوب بادية الأنبار الواسعة، ومن الشرق سهل الرمادي، ومن الغرب الحدود السورية. هذا الموقع جعلها منطقة انتقالية تجمع بين خصائص بيئية متنوعة أثّرت مباشرة في أنماط الاستيطان الأثري. كما موضح في الخريطة رقم(١)

الخريطة رقم (١): توزيع المواقع الأثرية على ضفاف الفرات بين عانة وحديثة (تظهر تجمعات رئيسة قرب النهر).



المصدر:(من عمل الباحث بالاعتماد GIS).

ثانياً: التضاريس والجيومرفولوجية

تتألف المنطقة من ثلاثة أقاليم تضاريسية رئيسة:

١. الوادي النهري: وهو الممر الذي يجري فيه نهر الفرات، يتميز بانحدار لطيف (٠,١–٠,٢٪) وسهول فيضيه خصبة.

٢. المدرجات النهرية القديمة: وهي مصاطب رسوبية قديمة استقرت فوقها بعض المدن التاريخية مثل عانة القديمة.

٣. الهضاب والصخور الجيرية: في شمال الفرات وجنوبه، وهي مناطق مرتفعة قليلة المياه لكنها غنية بالكهوف والملاجئ الطبيعية التي شكّلت مواقع أثرية ما قبل التاريخ.

أدت هذه التضاريس إلى توزيع المواقع الأثرية على نحو متباين؛ إذ تتركز غالبية المواقع في السهول الفيضية والمصاطب القريبة من النهر، بينما قلّت في المناطق الجبلية الجافة.

ثالثاً: المناخ

يتميّز مناخ أعالي الفرات بأنه قاري جاف، يتسم بارتفاع درجات الحرارة صيفًا وانخفاضها شتاءً، مع معدّل أمطار سنوي لا يتجاوز ١٥٠–١٨٠ ملم.

ورغم قلة الأمطار، فإن وجود نهر الفرات وفر بيئة مائية دائمة ساعدت على قيام الزراعة والاستقرار. هذا التباين بين المناخ الجاف والموارد المائية جعل النهر محور الحياة منذ العصور القديمة، وأحد أهم محددات اختيار المواقع الأثرية.

رابعاً: الموارد المائية

يُعد نهر الفرات المورد المائي الرئيس في المنطقة، إضافة إلى عدد من الروافد الصغيرة والينابيع الجوفية في وادي حوران ووادي عبيد.

ويظهر تأثير هذه الموارد بوضوح في مواقع الاستيطان التاريخي؛ فمدن مثل عانة وراوه نشأت مباشرة على ضفاف النهر للاستفادة من الري والصيد والنقل النهري.

كما أن بناء سد حديثة عام ١٩٨٧ أدى إلى تكوين بحيرة حديثة التي غمرت مساحات واسعة، منها مواقع أثرية مثل "تل العبيد"، و"تل أبو حية"، و"قرية البغدادي القديمة"، بينما ظهرت مواقع جديدة على حواف البحيرة بعد انخفاض منسوب المياه خلال السنوات الأخيرة (٢٠٢١–٢٠٢٤). الخريطة رقم (٢): مقارنة بين مستوى المياه قبل وبعد انخفاض منسوب بحيرة حديثة (٢٠٢٠–٢٠٢٤). كما موضح في الجدول رقم(١)

خريطة رقم(٢)مقارنة بين مستوى المياه قبل وبعد انخفاض منسوب بحيرة (٢٠٢٠-٢٠٢٤)

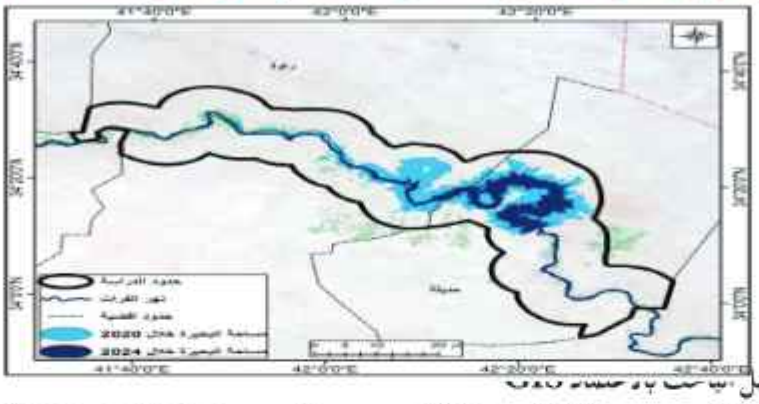

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد GIS

جدول رقم(١)مقارنة بين مستوى المياه قبل وبعد انخفاض منسوب البحيره حديثة(٢٠٢٠-٢٠٢٤)

السنة	مساحة البحيرة (كم²)
2020	٧٣٥,١ كم²
2024	٤٠٥,٥ كم²

مساحة البحيرة انخفضت بمقدار ٧٣٥,١ − ٤٠٥,٥ = ٣٢٩,٦ كم² بين عامي ٢٠٢٠ و٢٠٢٤.

أي أن نسبة التراجع = (٣٢٩,٦ ÷ ٧٣٥,١) × ١٠٠ ≈ ٤٥,٥٪.

الاستنتاج:

خلال أربع سنوات، فقدت البحيرة نحو نصف مساحتها تقريبًا (٤٥٪) وهو تراجع كبير يشير إلى انخفاض في المنسوب المائي أو زيادة في الجفاف.

الخريطة رقم (٣): نموذج الارتفاعات الرقمية DEM يوضح المصاطب النهرية القديمة ومناطق الاستيطان المحتمل.

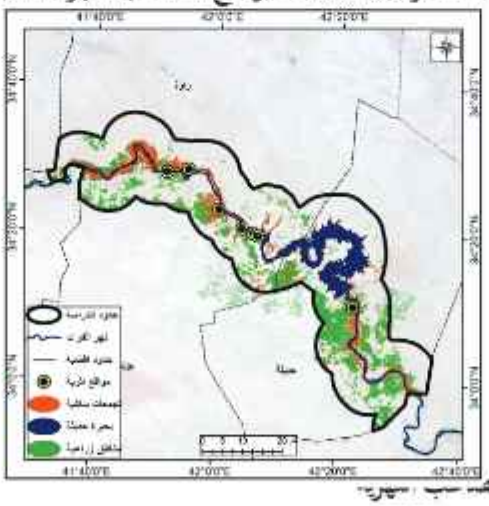

المقطع العرضي (١) يوضح المصاطب النهرية.

المصدر من عمل الباحث بالاعتماد GIS

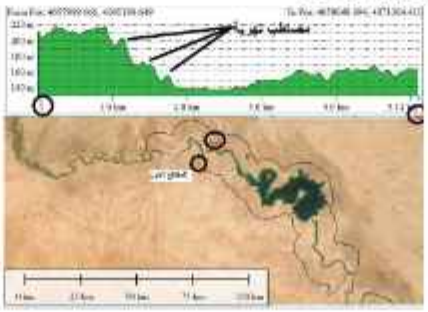

يُظهر المقطع العرضي (١–٢) المأخوذ من نموذج الارتفاع الرقمي (DEM) لمنطقة الفرات بين حديثة وعنه تدرجًا واضحًا في مناسيب سطح الأرض على جانبي المجرى النهري، مما يعكس وجود مصاطب نهرية متعددة المستويات. وتُعدّ هذه المصاطب من أبرز المظاهر الجيومرفولوجية التي تدل على التطور الجيولوجي والهيدرولوجي للنهر عبر الزمن.يتضح من شكل المقطع وجود عدة مصاطب متدرجة تختلف في ارتفاعها عن مستوى المجرى الحالي، حيث تُظهر السطوح العليا بقايا من رواسب قديمة تمثل مراحل سابقة من انحدار نهر الفرات. ويُلاحظ أن الانحدار العام للمقطع يتناقص تدريجيًا نحو المجرى الحالي، مما يشير إلى استمرار عمليات النحت الرأسي بفعل انخفاض منسوب القاعدة خلال الفترات الجيولوجيةالمتعاقبة.

وتشير تباينات الارتفاع بين المصاطب إلى أن نهر الفرات مرّ بمراحل متعاقبة من النحت والترسيب نتيجة تغيّرات في المناخ أو في منسوب البحر أو بسبب الحركات التكتونية الطفيفة التي أثرت في استقراريه المجرى. كما أن انتظام توزيع المصاطب على جانبي النهر يعكس استقرارًا نسبيًا في المجرى خلال بعض الفترات، أعقبه تجدد في النشاط النهري أدى إلى تعميق المجرى وتكوين مستويات جديدة من المصاطب. بشكل عام، يعكس المقطع الأول بنيةً جيومرفولوجية نهرية مركبة تُظهر بوضوح مراحل تطور نهر الفرات في هذا الجزء من المجرى.

المقطع العرضي (٢) يوضح المصاطب النهرية

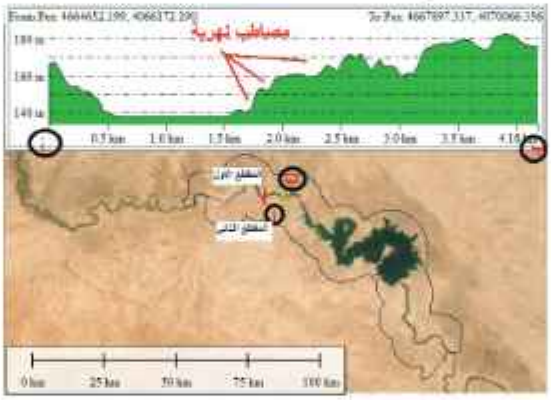

المصدر من عمل الباحث بالاعتماد على GIS

خامساً: التربة والغطاء النباتي

تتنوع أنواع التربة بين تربة رسوبية نهرية غنية بالعناصر المغذية على ضفاف الفرات، وتربة جيرية فقيرة في الهضاب الجنوبية.

أما الغطاء النباتي فيتركز في واحات الفرات وحول عيون المياه، ويغلب عليه النخيل والحشائش الصحراوية.

وقد أسهمت خصوبة التربة الفيضية في استقرار الإنسان القديم وممارسة الزراعة البسيطة، وهو ما يفسر تركز أغلب المواقع الأثرية الزراعية بالقرب من مجرى النهر.

المبحث الثاني:– الأبعاد التاريخية والأثرية لمنطقة أعالي الفرات

أولاً: أهمية المنطقة عبر التاريخ

شهدت منطقة أعالي الفرات استيطانًا بشريًا متواصلًا منذ العصر الحجري الحديث (حوالي ٧٠٠٠ ق.م) وحتى العصور الإسلامية. وكانت هذه المنطقة تمثل طريقًا تجاريًا بين بلاد الشام وبلاد الرافدين، ولذلك نشأت فيها مراكز حضارية مهمة ومن المواقع الأثرية في محافظة الأنبار مثل:

عنه القديمة: إحدى أقدم المدن العراقية المأهولة، ذكرت في النصوص الآشورية باسم "Ānu" وكانت مركزًا تجاريًا وميناءً نهريًا .كما موضح في الصورة رقم(١)

صورة رقم (١)



راوة: مدينة قديمة ارتبطت بالتجارة والزراعة، اكتشفت فيها أساسات مبانٍ من الطوب اللبن تعود إلى العصر البابلي الحديث.
حديثة: تحتوي على مواقع أثرية إسلامية مبكرة ومساجد وأطلال قلاع أموية وعباسية.

صورة رقم (٢)



هيت: عُرفت بمقالع القار والنفط الطبيعي، وورد ذكرها في نصوص سومرية قديمة . كما موضح في الصورة رقم (٣)

صورة رقم (٣)



ثانياً: التوزيع المكاني للمواقع الأثرية

اعتمادًا على المسوحات الأثرية التي أجرتها الهيئة العامة للآثار والتراث العراقية (٢٠١٨–٢٠٢٤)، يمكن تصنيف المواقع الأثرية في أعالي الفرات كالآتي:
المنطقة عدد المواقع الأثرية المسجلة النسبة من الإجمالي (١٠٠٪) أبرز العصور:

الجدول (٢): تصنيف المواقع الأثرية حسب العصور التاريخية.

المواقع الاثرية	العصور التاريخية	النسبة%
حاتة	البابلي-اسلامي مبكر	٢٨%
راوة	الفوري-اسلامي	١٨%
حديثة	عباسي-اموي	٢٤%
البغدادي	ما قبل التاريخ	٩%
هيت	سومري-بابلي	٢١%
الاجمالي%		١٠٠%

المصدر:–دائرة اثار الانبار(٢٠٢٣).تقرير المسوحات الميدانية للمواقع الاثرية في اعالي الفرات وزارة الثقافة

تشير هذه الإحصاءات إلى أن نحو ثلثي المواقع الأثرية تتركز ضمن نطاق لا يتجاوز ٥ كم من ضفاف نهر الفرات. ويعود ذلك إلى اعتماد الإنسان القديم على النهر في الزراعة والملاحة والتجارة.

ثالثاً: تأثير التغيرات الجغرافية الحديثة

أدى إنشاء سد حديثة إلى غمر عشرات المواقع الأثرية تحت مياه البحيرة. ومع انخفاض منسوب المياه في السنوات الأخيرة (٢٠٢١–٢٠٢٤) بسبب الجفاف وقلة الإطلاقات المائية، ظهرت مواقع أثرية جديدة كانت مغمورة سابقًا، وقدّر عددها بنحو ٨٠ موقعًا تاريخيًا بحسب تقارير دائرة آثار الأنبار (٢٠٢٤).

تُعد هذه الظاهرة مثالًا واضحًا على كيف أن العوامل الجغرافية الحديثة (التغير المناخي والموارد المائية) ما تزال تؤثر في حفظ التراث الأثري أو كشفه.

رابعاً: العوامل الجغرافية المؤثرة في تحديد المواقع الأثرية

١. العامل الهيدرولوجي:

الفرات هو العنصر الحاكم في توزيع المواقع. قرب الموقع من النهر يعني سهولة الوصول إلى الماء والخصوبة والتجارة، مما يجعل هذه المواقع أكثر ديمومة عبر التاريخ.

٢. العامل الطبوغرافي:

اختيرت المواقع غالبًا على المصاطب النهرية المرتفعة قليلًا (٥–١٠م) لتجنب الفيضانات، كما في موقع "تل عنه القديمة".

٣. العامل الجيولوجي:

التكوينات الجيرية في المنطقة الشمالية وفّرت كهوفًا وملاجئ قديمة، مثل كهف وادي حوران الذي اكتُشفت فيه أدوات صوانيه تعود للعصر الحجري.

٤. العامل المناخي:

المناخ الجاف دفع السكان إلى التجمع حول مصادر المياه، مما حدّد بوضوح مواقع الاستيطان القديمة.

٥. العامل البشري:

تطور الطُرق التجارية البرية والنهرية جعل من أعالي الفرات ممرًّا حضاريًا نشطًا، فظهرت حوله الأسواق والموانئ الصغيرة والمستقرات الزراعية.

المبحث الثالث: التحليل الجغرافي المكاني للمواقع الأثرية

أولاً: منهج التحليل المكاني:

تم استخدام برنامج **ArcGIS Pro** لتحديد التوزيع المكاني للمواقع الأثرية وربطها بالمتغيرات الجغرافية الطبيعية (الارتفاع، المسافة من النهر، نوع التربة، الانحدار).

اعتمد التحليل على قاعدة بيانات أُنشئت من سجلات دائرة آثار الأنبار (٢٠١٨–٢٠٢٤) وصور الأقمار الصناعية من **Landsat ٨** و**Sentinel–٢**، بوضوح مكاني (١٠–٣٠ مترًا).

ثانياً: نتائج التحليل المكاني:

أظهر التحليل عدداً من النتائج المهمّة في الجدول رقم (٢): تحليل الارتباط بين المسافة عن النهر ودرجة الانحدار وعدد المواقع الأثرية.

جدول رقم(٣) تحليل الارتباط بين المسافة عن النهر ودرجة الانحدار

الارتفاع	المسافة عن النهر	نوع التربة/المواقع	الانحدار
٠–١م	٤٨كم	زراعية وتجمعات سكنية	%٤٠.٧
١–٣م	٥٢كم	دفاعية وتجارية	%٢٠.٨٣٢
٣–٥م	٥٥كم	مصاطب التربة مرتفعة	%١٨.٣٢٤
اكثر من ٥م	٦٥كم	كهوف وهضاب جيلية	%١٠.٢١٣
٢٠٠–٣٠٠م	٧٠كم	مواقع جبلية نادرة وسهول فيضيه	%١٢.٠٣٨

المصدر : عمل الباحثة بالاعتماد على برنامج (GIS)

تُظهر هذه النتائج أن أكثر من ٧٠٪ من المواقع الأثرية تقع في نطاق يقلّ عن ٣ كم من النهر، مما يؤكد الارتباط القوي بين العوامل الهيدرولوجية والاستقرار البشري القديم.

ثالثاً: التحليل الجيومرفولوجية

من خلال مقارنة الخرائط الطبوغرافية (مقياس ١:١٠٠,٠٠٠) مع الصور الفضائية، تبيّن أن المواقع الأثرية تتركز في مناطق ذات انحدار أقل من ٥ درجات، ما يشير إلى أن القدماء فضّلوا الأراضي المستوية لسهولة الزراعة والبناء. كما كشفت الدراسة أن التغيرات في مجرى الفرات عبر العصور أدّت إلى تحريك محور الاستيطان نحو الشرق في بعض الفترات التاريخية، خصوصًا بعد فيضان القرن السابع الميلادي.

رابعاً: التحليل الزمني للمواقع

يمكن تصنيف المواقع الأثرية في أعالي الفرات إلى خمس مراحل زمنية رئيسة:

المرحلة التاريخية المدة التقريبية نوع المواقع أبرز الأمثلة

جدول رقم (٤)التحليل الزمني للمواقع الاثرية

المرحلة التاريخية	المدة التقريبية	نوع المواقع	ابرز الامثلة
ما قبل التاريخ	٤٠٠٠ق.م	كهوف	ادوات حجرية وادي حوران
العصر السومري والبابلي	٤٠٠٠-٥٣٩ق.م	قرى زراعية هيت عانه القديمة	منازل قديمة
العصر الاشوري والكلداني	٩٠٠-٥٣٩ق.م حصون ونقاط مراقبة	قلاع	قرى زراعية
العصر الاسلامي المبكر العصور المتأخرة	٦٣٢-١٢٥٨ق.م ١٥٠٠-١٩٠٠ق.م	مدن واسواق – مساجد حديثة عانه- هيت قلاع -منازل حديثة وهيت	قرى زراعية

المصدر:-دائرة الاثار الانبار (٢٠١٨-٢٠٢٤)تقرير المسوحات الميدانية للمواقع الاثرية في اعالي الفرات وزارة الثقافة العراقية.

هذا التسلسل الزمني يبرز الاستمرارية الحضارية في أعالي الفرات عبر أكثر من ستة آلاف سنة.

المبحث الرابع:

النتائج:

١. العامل المائي هو المحدد الرئيس للمواقع الأثرية.

إذ تبيّن أن معظم المواقع تقع على مقربة من نهر الفرات أو روافده، وهو ما يدل على أن وفرة المياه كانت الأساس في اختيار مواقع الاستقرار البشري.

٢. التضاريس المعتدلة والمصاطب القديمة مثّلت مواقع مثالية للاستيطان.

فالقدماء تجنبوا مناطق الفيضانات الشديدة واختاروا ارتفاعات متوسطة توفر الأمان والمياه في آنٍ واحد.

٣. التغيرات الجغرافية الحديثة (سد حديثة والجفاف) أعادت تشكيل الخريطة الأثرية.

إذ غُمرت مواقع أثرية ثم ظهرت أخرى بعد انخفاض منسوب المياه منذ عام ٢٠٢١، مما أوجد فرصًا جديدة للمسح الأثري.

٤. العوامل البشرية الحديثة تهدد بقاء المواقع الزحف العمراني وعمليات التجريف غير المنضبطة في أطراف المدن أثّرت سلبًا على المواقع القريبة من النهر.

٥. التحليل المكاني الرقمي أثبت فعاليته في التنبؤ بالمواقع المحتملة. الزحف العمراني وعمليات التجريف غير المنضبطة في أطراف المدن أثّرت سلبًا على المواقع القريبة من النهر.

٥. التحليل المكاني الرقمي أثبت فعاليته في التنبؤ بالمواقع المحتملة.

المبحث الخامس:

الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات

١. تمثّل منطقة أعالي الفرات في الأنبار نموذجًا متكاملًا للعلاقة بين الجغرافيا والآثار، حيث أثّرت الخصائص الطبيعية (الماء، التضاريس، المناخ) في توجيه أنماط الاستيطان منذ العصور القديمة.

٢. أكثر من ٧٠٪ من المواقع الأثرية تقع ضمن نطاق لا يتجاوز ٣ كم من نهر الفرات.

٣. التغيرات المناخية وانخفاض المناسيب المائية كشفت عن ما يزيد على ٨٠ موقعًا أثريًا جديدًا بين عامي ٢٠٢١–٢٠٢٤.

٤. التفاعل بين التحليل الجغرافي المكاني والبيانات الأثرية يُعدّ وسيلة فعالة لتحديد مواقع جديدة وتوجيه التنقيب.

٥. غياب الخرائط الجغرافية الحديثة للمواقع الأثرية في الأنبار يشكّل ثغرة علمية ينبغي معالجتها عبر مشروع وطني متكامل.

ثانياً: التوصيات

١. ضرورة إعداد قاعدة بيانات GIS للمواقع الأثرية في الأنبار وربطها بوزارة الثقافة والهيئة العامة للآثار.

٢. توسيع نطاق المسوحات الميدانية في المناطق المغمورة سابقًا قرب بحيرة حديثة.

٣. دمج التحليل الفضائي (Remote Sensing) في برامج التنقيب الأثري المستقبلية.

٤. حماية المواقع الأثرية من التعديات العمرانية والزراعية بإنشاء مناطق عازلة.

٥. إشراك الجامعات العراقية في برامج بحثية ميدانية لدراسة الجغرافيا الأثرية للفرات.

٦. تفعيل التعاون مع مؤسسات دولية مثل اليونسكو لإدراج مواقع أعالي الفرات ضمن قائمة التراث العالمي مستقبلاً.

المصادر:

المصادر العربية:

١–العزاوي، علي. (٢٠٢١). الجغرافيا والآثار في العراق القديم. بغداد: دار العلوم للنشر.

٢–سعيد، محمد. (٢٠٢٠). تطبيق نظم المعلومات الجغرافية في دراسة المواقع الأثرية. مجلة الجغرافية العراقية، ١٥(٢)، ٤٥–٦٨.

٣–دائرة آثار الأنبار. (٢٠٢٤). تقرير المسوحات الميدانية للمواقع الأثرية في أعالي الفرات. وزارة الثقافة العراقية.

٤–منظمة اليونسكو. (٢٠٢٢). التغيرات البيئية وأثرها على التراث الأثري في بلاد الرافدين.

المصادر الاجنبية

1–Smith, J. (2022). Remote Sensing for Archaeological Site Detection. Journal of Archaeological Science, 135, 105–119.

2–Brown, L., & Ahmed, R. (2023). GIS Applications in Middle Eastern Archaeology. Middle East Journal of GIS, 12(1), 23–47.

3– Al–Mayadeen English. (2024). Iraq: Receding Euphrates levels unravel underwater ancient areas. Retrieved from https://english.almayadeen.net

4–Al–Ansari, N., & Sissakian, V. K. (2023). Geography, Geomorphology, Stratigraphy and Tectonics of the Euphrates River Basin. Science Press.

5– Hamad, W. H. (2022). The Geomorphological and Sedimentary Forms of the Valley of Euphrates River within the Sedimentary Plain in Anbar Governorate. Journal of Tikrit University for Humanities.

6– Iieta.org. (2023). Study of the Sustainable Water Resources Management at the Upper Euphrates Basin, Iraq. International Journal of Design & Nature and Ecodynamics, 16(2).

الخلاف في التصريف الإسمي في القرآن الكريم

م. م. حازم كريم عذاب م. د. طارق حميد عجيمي
جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية



للمستخلص:
العربية لغة كريمة شرّفها الباري عز وجل بنعمة القرآن الكريم، ودرس العربية ميدان تتبارى فيه العقول والأفكار ، وأصحاب هذا الدرس أغنوا هذا الدرس بمؤلفاتهم الغزيرة ، من أجل إبراز أسرارها وكشف خباياها ، فهذه الغاية التي سعى إليها الكثير من العلماء تبدو واضحة جلية ، في كثير من الدراسات والبحوث اللغوية التي جعلت من نصوص القرآن الكريم مرجعاً لها وميزاناً تقيس به مدى قدرتها على مواكبة كل ما هو في القرآن العزيز .
ومن مظاهر عناية العلماء العرب بلغتهم شيوع ظاهرة الخلاف فيما بينهم في تفسير كثير من القضايا اللغوية التي تضمنتها مصنفاتهم ، وقد صنف في هذا البحث الكثير من الكتب والمؤلفات التي دار الحديث فيها عن ظاهرة الخلاف بين العلماء ، وكان من أبرز هذه المصنفات ، تلك التي تناولت الخلاف بين المدرستين البصرية والكوفية ، ومن أمثلتها : كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري ، وائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة للزبيدي ، وغيرها من الكتب التي اعتنت بصور الخلاف بين العلماء ولم تقتصر الأمر على خلافاتهم النحوية ، بل امتد إلى تركيزهم على الجانب الصرفي كذلك ، فقد شغلت الظواهر الصرفية حيزاً واسعاً من مؤلفات العلماء وبلغ اهتمامهم بها قديماً وحديثاً مقداراً واضحاً ، ولعل من أبرز هذه المؤلفات تلك التي اهتمت بمظاهر الخلاف الصرفي المتعلقة بالقرآن الكريم ومسائله إلا أن تلك المواقف والآراء جاءت متناثرة في ثنايا كتبهم ومن هنا جاءت فكرة البحث التي تهدف إلى دراسة الخلاف في التصريف الاسمي في القرآن الكريم .
وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تقع في مبحثين.

(الكلمات المفتاحية: (الخلاف، التصريف الإسمي.

Abstract:
Arabic is a noble language honored by God Almighty with the blessing of the Holy Quran. The study of Arabic is a field where minds and ideas compete. Those who study this subject have enriched it with their abundant writings, seeking to highlight its secrets and uncover its mysteries. This goal, sought by many scholars, is clearly evident in the many linguistic studies and research that have made the texts of the Holy Quran a reference and a standard by which to measure their ability to keep pace with everything contained in the Holy Quran. One of the manifestations of Arab scholars› concern for their language is the widespread phenomenon of disagreement among them in interpreting many of the linguistic issues contained in their writings. Many books and publications have been compiled in this research, discussing the phenomenon of disagreement among scholars. Among the most prominent of these works are those that addressed the disagreement between the Basran and Kufic schools. Examples include: Al-Insaf fi Masail al-Khilaf by Ibn al-Anbari, and Itilaf al-Nasra fi Ikhtilaf Nuhahat al-Kufa wa al-Basra by al-Zubaidi, and other books that dealt with forms of disagreement among scholars. This was not limited to grammatical disagreements, but extended to their focus on the morphological aspect as well. Morphological phenomena occupied a large space in scholars› writings, and their interest in them, both ancient and modern, reached a clear level. Perhaps the most prominent of these works are those that focused on the manifestations of morphologi-

cal disagreement related to the Holy Quran and its issues. However, these positions and opinions were scattered throughout their books. Hence, the idea of this research came, which aims to study disagreement over nominal morphology in the Holy Quran. The nature of the study required that it be divided into two sections. Keywords: (disagreement, nominal derivation).

المبحث الأول:

التصريف والصرف في اللغة والاصطلاح:

التصريف والصرف لغة:

التصريف لغة : هو مصدر للفعل الثلاثي المزيد بالتضعيف صرف تقول : صرف فلان الأمر تصريفاً دبرّه ووجّهه (١)، قال تعالى وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا [الإسراء: ٨٩] ، وقال جل شأنه : وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [البقرة : ١٦٤] وقال تعالى وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [الجاثية : ٥]

وقال القرطبي ((تصريفها : إرسالها عقيماً وملقّحة وصِرًا ونصْرًا وهلاكاً وحارّة وباردة ولَيّنة وعاصفة وقيل تصريفها إرسالها جنوباً وشمالاً ، ودبُوراً وحبّاً ونكباء)) (٢) . فإن كلمة التصريف بهذا المعنى تفيد التوجيه والتدبير كما تفيد ايضاً التبيين والإظهار ، وجاء في القاموس وتصريف الآيات تبيينها(٣).

ويقول الأشموني : ((التصريف في اللغة التغيير منه تصريف الرياح أي : تغييرها)) (٤)

الصرف لغة :

الصرف في اللغة: اسم مصدر الفعل (صرّف) فالتسمية هنا باسم المصدر وهو بمعنى التغيير من وجه إلى وجه ، أو من حال إلى حال ، وقد وردت أصول الكلمة في القرآن الكريم ثلاثين مرة تفيد كلها معنى التغيير والتحويل كقوله تعالى فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [يوسف : ٣٤]، وقوله تعالى:(فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا)[الفرقان: ١٩]. وقوله تعالى:(لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ)[يوسف :٢٨] وقوله تعالى :(زَغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)[التوبة ١٢٧]

كما وردت أصول هذه الكلمة في المعجمات العربية بمعانٍ مختلفة تفيد كلها التغيير والتحويل والانتقال فالصرف رد الشيء عن وجهه تقول : صرفه يصرفه صرفاً والصرف: الحيلة وصرف الدهر : حدثانه ونوائبه؛ لأنّه يصرف الأشياء وجوهها والصرف بيع الذهب بالفضة وهو من ذلك ؛ لأنّه يُنصرفُ به عن جوهرٍ إلى جوهرٍ وصرف الكلمة إجراؤها بالتنوين(٥) .

التصريف اصطلاحاً:

التصريف عند سيبويه هو : أن تبني من الكلمة بناء لم تبنه العرب على وزن ما بنته ثم تعمل في البناء الذي بنته ما يقتضيه قياس كلامهم ، وهذا هو المعروف عند المتأخرين يقول سيبويه : ((هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة، والمعتلة وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به ، ولم يجيء في كلامهم إلا نضيره من غير بابه ، وهو الذي يسميه النحويون: التصريف والفعل)) (٦).

وأما السيرافي فيبين مراد سيبويه من التصريف، والفعل فيقول ((وأما التصريف فهو تغيّر الكلمة بالحركات والزيادات والقلب للحروف التي رسمنا جوازها حتى تصير على مثال كلمة أخرى ، والفعل تمثيل الكلمة ووزنها(٧)

ومعنى التصريف عند سيبويه : هو تغيير الكلمة من وزن إلى وزن آخر سواء أكان ذلك من المعتل أم من غير المعتل على نسق كلام العرب الذي تكلموا به في غير باب المعتل ، وكان أقدم مصنف في التصريف هو كتاب المازني المعنون بالتصريف بمعناه العملي لكنه لم يعرّفه إذ بدأ كتابه بمبحث الأسماء والأفعال دون أن يكتب مقدمة يوضح فيها منهجه ، ومعنى التصريف عنده ، ثم تبعه المبرد (ت ٢٨٥هـ) حيث جعل لمؤلفه عنوان التصريف ولم يذكر تعريفاً للتصريف غير

أنّه لا يبتعد عن سيبويه في ذلك ، وهو لا يعد الإبدال ، والزوائد ، والحذف ، والأبنية من التصريف ، وإنما هي أمور تقع في التصريف دون أن تكون هي التصريف ، أما التصريف عند ابن جني هو تغير الكلمة ، وتحويلها من بناء إلى آخر ، كالماضي والمضارع ، واسم الفاعل ، واسم المفعول، والمبني للمعلوم والمبني للمجهول والمجرد والمزيد فيه وغيرها من الموضوعات .

الصرف اصطلاحاً:

له معنيان : أحدهما عملي : وهو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلا بها . كتحويل المصدر إلى اسمي فاعل واسم مفعول واسم تفضيل وغيرها والثاني علمي : وهو علم بأصول تعرف بها أحوال بنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء(٨)، فالمعنى الأول يدل على التصريف ؛ لأنّه يرتبط بكثرة دوران الأبنية واشتقاقها والعمل فيها ، والمعنى الثاني يدل على الصرف ؛ لأنّه يرتبط بالأصول الكلية التي تبنى عليها معرفة أحوال المفردات وإن القدامى لم يميزوا بينهما ، واستعملوهما لمعنى واحد ، وإن كان التصريف أبلغ من الصرف.

وقد ذكر الدكتور كمال بشر الصرف بالمعنى اللغوي الحديث يقول ((والصرف في الصرف اللغوي الحديث أحد مستويات البحث التي نتعاون فيما بينها للنظر في اللغة ودراستها ، وهذه المستويات على أشهر الآراء هي علم الاصوات علم الصرف وعلم النحو وأن كل واحد منهما مرتبط بسابقة ولاحقة ارتباطاً وثيقاً لا يجوز الفصل بينهما...)) (٩)

المبحث الثاني

الاختلاف التصريفي في الاسماء

١- لفظ الجلالة (الله):

قال تعالى: خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ [البقرة :٧]

الله : هو علم لا يطلق إلا على المعبود بحق(١٠)واختلف العلماء في أصل لفظ الجلالة (الله) على قولين الأول : إنَّ لفظ الجلالة (الله) علم مرتجل غير مشتق لا يطلق إلا على المعبود بحق ، وعليه أكثر العلماء(١١).

والثاني : إنَّ لفظ (الله) اسم مشتق ، وقد اختلف أصحاب هذا القول في الأصل الذي اشتق منه هذا اللفظ على مذاهب عدة ويمكن بيانها على النحو الآتي :

منهم من قال : إنّه مشتق من (لاه) ومادته (لَيِهَ) أي (لاه – يليه – لياهاً) إذا ارتفع (١٢). ومنهم من قال : إنّه مشتق من (لاه) ومادته اللغوية (لَوَهَ) أي (لاه_ يَلوه_ لوهاً) ، أي إذا احتجب واستتر ، ووزنه (فَعَل) و (فعِل) (١٣).

وعلى هذين القولين تكون الألف فيه أصلية ، وأصل الكلمة (لاه) ، ومن ثَمَّ دخل عليه حرف التعريف فصار (اللاه) ثُمَّ أُدغمت لام التعريف في اللام بعدها . ومنهم من جعله مشتقاً من (أَلَهَ) ونسب هذا القول لسيبويه(١٤). ولفظ (أله) لفظ مشترك بين معانٍ عديدة ، وهي : العبادة والسكون والتحير والفزع(١٥). وعلى هذا القول تكون الهمزة أصلية وهي فاء الكلمة ، والألف قبل الهاء الزائدة وأصل لفظ الجلالة (الله) هو (الإله)(١٦) وحذفت الهمزة منه عند نقل حركتها إلى لام التعريف التي قبلها لكثرة الاستعمال كما حذفت في الناس والأصل الأناس ومن ثَمَّ أُدغمت اللام في اللام(١٧)، وإنّ خلاف العلماء في الألف واللام في لفظ (الله) مبني على كونه مشتقاً أو مرتجلاً(١٨)، فمن قال بأنّه مرتجل : يرى أن الألف واللام فيه مُعرّفة له(١٩) وأما من قال بالاشتقاق : فهو يرى أنها زائدة(٢٠).

وقد قال أبو زيد البلخي إنَّ لفظ الجلالة (الله) ليس أصله عربياً بل هو معربٌ ، وهو من بقايا اللغات السامية ، وهو سرياني الموضع ، وأصله (لاها) فعرّبته ، فقالوا (الله) (٢١). وكذلك علل قطرب ظاهرة كثرة التقلبات والتغيرات الصرفية التي طرأت على لفظ الجلالة بقوله : (إن هذا الاسم لكثرة وروده في الكلام ، كثرت فيه اللغات ، فمن العرب من يقول : الله لا افعل ومنهم من يقول : لاه لا أفعل ، ومنهم من يقول : بحذف ألفه ، وإسكان هائه ، وترك تفخيم لامه)) (٢٢).

وبعد هذا العرض لآراء العلماء في لفظ الجلالة ، فإن بعض العلماء مالوا إلى صحة المذهب القائل بأن لفظ الجلالة علم مرتجل غير مشتق من غيره وهذا ما اثبته الدكتور أحمد مختار عمر الذي جزم الحديث وأثبت صحة القول بعربية لفظ الجلالة، فهو لفظ عربي من أصل سامي اشتركت فيه اللغات السامية ، ولا يمكن وضع الاستعمال العربي ضمن قواعد

صرفية أو نحوية في العربية .

٢-لفظة آدم (عليه السلام):

قال تعالى:(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) [البقرة: ٣١]

اختلف أهل العربية في أصل هذا الاسم : فذهب قوم إلى أن آدم على وزن (أفعَل) والألف اللينة فيه مبدلة من الهمزة التي هي فاء الكلمة ؛لأنّه مشتق من أديم الأرض(٢٣)، وقيل: إنّه مشتق من الأدمة وهي حمرة تميل إلى السواد(٢٤) وقيل: إنّه مشتق من أديم الأرض أيضاً ، وقيل: إن آدم اسم اعجمي ك (آرز) ووزنه (فَاعَل) ولا ينصرف للعلمية والعُجمة الشخصية(٢٥) ، وقيل : عبري من الإدام وهو التراب(٢٦)وذهب بعضهم إلى أنّ أصله (أفعل) بهمزتين وجمعه (أوادم) (٢٧) ولم ينصرف لوزن الفعل والتعريف(٢٨) ،وكذلك اختلف النحويون في (أفعل) الذي يُسمّى به وأصله الصفة ، فذهب سيبويه والخليل ومن تبعهما إلى أنّه ينصرف في النكرة ؛ لأنك إذا نكرته رددته إلى حال المنصرف ، وقال الاخفش : إذا سميت به رجلاً فقد اخرجته من باب الصفة ، أما إذا نكرته فيجب أن تصرفه (٢٩).ونص بعض العلماء على أعجمية (آدم) (٣٠) محتجاً بامتناعه من الصرف ، ورجّح النحاس وغيره من العلماء أن يكون اسماً أعجمياً؛ وذلك لاجتماع النحاة عليه(٣١) رافضاً كونه مشتقاً معللاً ذلك بأن الصرفيين قد نصوا على أن الاشتقاق من الألفاظ العربية لا يكون من الأسماء الأعجمية(٣٢)، ورأى بعضهم أن من الثابت مجيء (آدم) على وزن الفعل ، ودليل ذلك أن العرب تقول : أَدِمَ ، وأَدُمَ ، فهو آدم والجمع أُدْم ، أو : أوادم ، ويُصغّر فنقول : أُوَيْدم(٣٣).

فهذا يدل على صحة الاشتقاق وإن مجيء (آدم) على وزن الفعل عند العلماء(٣٤)لا يخرج من كونه إما علما منقولاً من فعل رباعي وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء وقد رُدَّ ذلك بأنّه بعيد ، أو أنّه علم مرتجل جاء على وزن (أفعل) وعليه أكثر العلماء ؛ لأن الارتجال في الاعلام شرطه ألّا يكون العلم قد استعمل قبل التسمية به في باب غير العلمية(٣٥)ومن المعروف أن آدم أبو البشر جميعاً واللغات جاءت بعده ، فلا سبيل إلى القول بالنقل في علميته .

٣-لفظة إبليس:

قال تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ (البقرة :٣٤)

هو اسم اعجمي لا ينصرف للعجمة والعلمية ووزنه (إفعيل) (٣٦) وقال الزجاج وزنه (فِعْلِيل) وهو عربي واشتقاقه من الإبلاس وهو الإبعاد(٣٧) وقيل هو عربي مشتق من أبلس يُبْلِسُ ، أي : يئس ، فكأنه أبلس من رحمة الله أي : يئس منها(٣٨) وقد ردّ ابن جني قول من ذهب إلى إنه مشتق من أبلس يُبلس قائلاً : ((ولو كان إبليس من هذا لكان عربياً ؛لأنه مشتق ولوجب صرفه)) (٣٩). وقد رجّح أبو حيان القول بأنّه علم مرتجل ؛لأنه لم يستعمل قبل التسمية به من باب غير العلمية(٤٠) ويبدو أن كثرة التأويلات والترجيحات في هذا الاسم مرجعها إلى كونه ممنوعاً من الصرف ، إذ لو كان مشتقاً لما مُنع من الصرف ؛لأنه لم يبقَ فيه إلا علّة واحدة ؛ لذا فالأسلم أن نميل إلى القول بشبه الأعجمية في هذا الاسم ، من جهة أنه لم يسمَّ به أحد من العرب ، فأصبح علماً لمن أطلق عليه ، وهو اسم أعجمي لم تكن العرب تعرفه من قبل ، فلما دخل على العربية أعربته ولفظت به ، فبقي لذلك ممنوعاً من الصرف للعلمية وشبه الأعجمية ، وهو ما أكده بعض المحدثين ، إذ رأى إبراهيم السامرائي أن مثل هذه الالفاظ إنما هي ألفاظ دخيلة على العربية استعملتها اللغة وأخذت منها مواداً كثيرة(٤١).

٤-لفظة إسرائيل:

قال تعالى :(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)[البقرة : ٤٠]

اسم علم أعجمي ، لا ينصرف للعلمية والعجمة(٤٢)، وهو مركب تركيباً إضافياً ، مثل عبد الله ، وأصله (إسرا) وهو العبد و(إيل) وهو الله تعالى(٤٣)، وقيل : إسرا مشتق من الأسر وهو القوة ، وقيل لأنّه أسري بالليل مهاجراً إلى الله تعالى(٤٤)، وقيل : لأنّه أسر جنياً كان يطفئ سراج بيت المقدس(٤٥)، وقال بعضهم : وعلى هذا يكون بعض الاسم عربياً وبعضه أعجمياً ورجّح معظم العلماء أن يُعدّ لفظ (إسرائيل) علماً أعجمياً(٤٦) مركب من جزأين هو (إسرا) و (إيل) وهما أعجميانِ ، وقد تصرفت به العرب بلغاتٍ كثيرة ، أشهرها وافصحها لغة القرآن الكريم(٤٧).

٥-لفظة (موسى)(عليه السلام):

قال تعالى:(وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)[البقرة : ٥١]

اختلف العلماء في أصله : فمنهم من عدّه اسماً أعجمياً مُنع من الصرف للعلمية والعجمة وهو على وزن (مُفْعَل) (٤٨)، ويقال فيه: أنّه مركب من (مو) تعني: الماء ،(سى) هو الشجر(٤٩) ومع كونه أعجمياً إلا أن العلماء اختلفوا في اشتقاقه ، فرأى أنّه أوسيت رأسه إذا حلقتُه فهو موسى ، مثل أعطيته فهو مُعطى ، وقيل على وزن (فَعْلَى) مشتق من ماس يميس (٥٠)وقد نص سيبويه على أن كلمة (مُوسَى) وزنها (مُفْعَل)؛ وذلك فيما لا ينصرف . واحتج سيبويه في الأبنية على ذلك بأن زيادة الميم أولاً أكثر من زيادة الألف آخراً(٥١)واحتج أبو علي الفارسي على كونه (مُفْعَل) لا(فَعْلَى) بالإجماع على صرفه نكرة ، ولو كان (فَعْلَى) لم ينصرف نكرة ؛لأن الألف للتأنيث ، والألف وحدها تمنع الاسم من الصرف ، وموسى اسم النبي لا يقضى عليه الاشتقاق ؛لأنه أعجمي ، وإنّما ينطبق على الموس الذي يقطع(٥٢).

٦-لفظة مريم: (عليها السلام)

قال تعالى:(وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ)[البقرة: ٨٧]

علم أعجمي وهو اسم سرياني معناه الخادم وسميت به أم عيسى فأصبح ممنوعاً من الصرف للعلمية والعجمة ووزنه (مَفْعل) بفتح الميم والعين وليس (فعيل) (٥٣)وقيل هو مشتق : رام يريم(٥٤) وقد ردَّ بأنّه لو كان مشتقاً من رام يريم لكان مريْماً بسكون الياء ، وقد جاء في الأعلام بفتح الياء نحو مَرْيَد وهو على هذا خلاف القياس ، وعُلِّلَ خروج لفظة (مريم) وغيرها عن القياس بأنّ ذلك يكثر في باب الأعلام التي يطرأ على أبنيتها تغيرات كثيرة(٥٥).

٧-لفظة الخنزير:

قال تعالى :(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ)[البقرة: ١٧٣]

ذهب بعض العلماء إلى أن النون فيه أصلية على التحقيق(٥٦)، في حين ذهب آخرون إلى أنها زائدة ، أي مأخوذ من الخزر وهو طبق العين(٥٧)وخنزير وزنه (فِعْلَيل) بكسر الفاء على اعتبار أن النون فيه أصلية وهذا ما ذهب إليه أكثر النحاة(٥٨)، ورأى برجستراسر أن لفظة (الخنزير) لفظ مشترك في أغلب اللغات السامية (٥٩).

الخاتمة:

- حرص البحث على الكشف عن الاختلاف الحاصل في تحديد الأصل التصريفي لكل اسم مما أخذه البحث.
- بين البحث أنّ اللغة العربية قد تضمنت ألفاظاً أعجمية من جهة تأصيلها أو نشأتها إلا أنّ العرب قد عرّبوها بما يقابلها أو يرادفها لتكون بذلك عربيةً بالتعريب. فجاء بها القرآن الكريم من جهة كونها عربيةً.
- أظهر البحث أنّ اللغة العربية لغةٌ ذات طبيعية ديناميكية قادرة على التفاعل مع اللغات الأخرى أو التفاعل مع مستحدثات الحياة.
- عمل البحث على القطع بأصول الألفاظ التي أخذها البحث كأنموذج للتطبيقات العملية ليفتح باباً للعمل على ألفاظ أخرى. فتارة يقطع بأعجمية اللفظ مثلما قيل بأصل (مريم، واسرائيل...)، وتارةً يقطع بعربية اللفظ مثل لفظ الجلالة. وتارة بالتأرجح بين الأمرين مثلما جاء الحديث عن لفظ (آدم).

الهوامش:

(١) المعجم الوسيط : ١/ ٥١٣
(٢) الجامع لأحكام القرآن ، ٢/ ١٩٧
(٣) ينظر القاموس المحيط :٥١٣
(٤) شرح الأشموني: ٤/ ٤٠
(٥) ينظر لسان العرب: ٩/ ١٨٩- ١٩٠
(٦) الكتاب : ٤/٢٤٢
(٧) شرح السيرافي لكتاب سيبويه: ٥/ ٢١٠
(٨) ينظر : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٣
(٩) التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر : ٢٣٨.
(١٠) ينظر : البحر المحيط ، ١/ ١٢٤ ، والدر المصون :١ / ٢٣.
(١١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم ،١ /١٠٢- ١٠٣، والبحر المحيط ، ١/ ١٢٤ والأمالي ، ٢/ ١٩٥ -١٩٨، والدر المصون

، ١/ ٢٤.
(١٢) اللباب في علل البناء، ٢/ ٣٦٤-٣٦٥، والبيان في إعراب القرآن ، ١/ ٣٣، والدر المصون ،١/ ٢٤.
(١٣) ينظر : البحر المحيط ، ١/ ١٢٤، والدر المصون ١/ ٢٤ ،والمجيد في إعراب القرآن ، ٤٣
(١٤) ينظر: المصدر نفسه ، ٢/ ١٩٥ -١٩٦، والمقتضب ٤/ ٢٤٠.
(١٥) ينظر : المصدر نفسه ، ١/ ١٢٤- ١٢٥، والبيان ، ١/ ٤
(١٦) ينظر : المصدر نفسه ، ١/ ١٢٤- ١٢٥ والكشاف ، ١/ ١٠٧
(١٧) ينظر : الكشاف ، ١/ ١٠٧، والممتع في التصريف: ٣٩٤.
(١٨) الدر المصون ، ١/ ٢٧.
(١٩) ينظر المصدر نفسه ، ١/ ٢٧. والمجيد في إعراب القرآن : ٤٢.
(٢٠) ينظر : الأمالي : ٢/ ١٩٨.
(٢١) ينظر : البحر المحيط : ١/ ١٢٤.
(٢٢) رأي قطرب في ابن الشجري ، الأمالي ، ٢/ ١٩٨.
(٢٣) ينظر : لسان العرب ، ١٢/ ١٢ ، مادة (أدم) ، ومعاني القرآن وإعرابه ، ١/ ١١٢.
(٢٤) ينظر: لسان العرب ، ١٢/ ١٢، والبيان في إعراب غريب القرآن ، ١/ ٧٤.
(٢٥) ينظر: البحر المحيط ، ١/ ٢٨٥، والبيان للعكبري ، ١/ ٤٨.
(٢٦) المصدر نفسه : ١/٢٨٥.
(٢٧) ينظر : لسان العرب ، ١٢/ ١٢، والمجيد في اعراب القرآن ، ١٩٦
(٢٨) ينظر : المجيد في اعراب القرآن ، الصفاقسي، ١٩٦.
(٢٩) ينظر ، معاني القرآن واعرابه ، ١/ ١١٢- ١١٣.
(٣٠) ينظر الكشاف : ، ١/ ١٢٥.
(٣١) ينظر : إعراب القرآن ، النحاس ، ٣٢.
(٣٢) ينظر : المنصف ، ١/ ١٢٧.
(٣٣) ينظر : الكتاب ، ٣/ ٥٥٢.
(٣٤) ينظر : فتح القدير ، للشوكاني ، ١/ ٦٤.
(٣٥) ينظر : الكشاف ، ١/ ١٢٥.
(٣٦) ينظر : البيان للعكبري ، ١/ ٥١، والجدول في إعراب القرآن ، ١/ ١٠٣.
(٣٧) ينظر : البيان في إعراب القرآن ،١/ ٧٤، ومشكل إعراب القرآن ، ١/ ٣٧.
(٣٨) ينظر : المعرّب من الكلام الأعجمي : ٧١.
(٣٩) المصنف لابن الجني: ١٢٨.
(٤٠) ينظر : البحر المحيط: ، ١/ ٣٠١.
(٤١) ينظر : فقه اللغة المقارن ، إبراهيم السامرائي :١٧٨.
(٤٢) ينظر : المعرّب من الكلام الأعجمي: ٦١- ٦٢، وإعراب القرآن ، للنحاس ، ٣٧.
(٤٣) ينظر أسماء الله الحسنى ، أحمد مختار : ١٧٣.
(٤٤) ينظر البحر المحيط : ١/ ٢٧٨.
(٤٥) ينظر: المصدر نفسه : ١/ ٢٧٨.
(٤٦) الدر المصون : ، ١/ ٣٠١.
(٤٧) ينظر: المصدر نفسه ،١/ ٣٠١
(٤٨) الجدول في إعراب القرآن الكريم: ١/ ١٢٦.
(٤٩) ينظر التفسير الكبير : ٣/ ٥١١، و الجامع لأحكام القرآن ، ١/ ٣٩٥.
(٥٠) ينظر : الدر المصون : ١/ ٣٥٤، واللباب في علل البناء والإعراب : ٢/ ٢٤٧.
(٥١) ينظر : الكتاب : ٤/ ٢٧٢.
(٥٢) ينظر: الجدول في إعراب القرآن ، ١/ ١٢٦.
(٥٣) ينظر: لسان العرب ، ١٢/ ٢٦١.
(٥٤) ينظر: الجدول في إعراب القرآن ، ١/ ١٩١.
(٥٥) ينظر: المنصف ،ابن جني ، ١/ ٢٧٦- ٢٩٦
(٥٦) ينظر : البيان ، ١/ ١٤١، والجدول في إعراب القرآن : ٢/ ٣٤٥.
(٥٧) ينظر : لسان العرب ، ٤/ ٢٣٧. مادة (خرز).
(٥٨) ينظر : الكتاب ، ٤ / ٢٦٨، والدر المصون ، ٢/ ٢٣٧.
(٥٩) التطور اللغوي للغة العربية : ٩٨.

المصادر والمراجع:

– أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، د. خديجة عبد الرزاق الحديثي ، مكتبة النهضة بغداد ، ط١، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .
– أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة، د. أحمد مختار عمر ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٠م .
– إعراب القرآن ، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد النحوي (ت ٣٣٨هـ) ، تح : عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية بيروت ،ط١، ١٤٢١هـ
– أمالي ابن الشجري ، هبة الله بن علي بن محمد (ت٥٤٢هـ) ، تح : محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط١، ١٩٩٢م .
– البحر المحيط في التفسير ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تح عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣، ٢٠١٠م .
– البيان في غريب إعراب القرآن ، أبو البركات كمال الدين بن الأنباري (ت٥٧٧هـ) ، تح د. طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م.
– التطور النحوي للغة العربية ، تعليق : رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي القاهرة ، ط٢، ١٩٩٤م .
– التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين عبد العكبري (ت ٦١٦هـ) ،تح : علي محمد البجاوي ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ،(د، ط) ،(د، ن)
– التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣، ١٤٢٠هـ.
– التفكير اللغوي بين القديم والجديد، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ٢٠٠٥ .
– الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) ، تح ، أحمد البردوني وابراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م .
– الجدول في إعراب القرآن ، محمود بن عبد الرحيم الصافي دار الرشيد مؤسسة الإيمان ، ط٤، ١٤١٨هـ.
– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) ، تح : أحمد محمد الخراط ، دار القلم دمشق (د،ط) ، (د،ن).
– شرح الأشموني على ألفيه ابن مالك ، علي بن محمد نور الدين الأشموني (ت:٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ،ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
– شرح كتاب سيبويه ، أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تح: أحمد حسين مهدلي وعلي سيد علي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م.
– فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب، دمشق ، بيروت ط، ١٤١٤هـ.
– فقه اللغة المقارن ، د. إبراهيم السامرائي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣، ١٩٨٣م.
– القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ) ، تح: مكتب تحقيق التراث مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط٨، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.
– الكتاب ، عمرو بن عثمان الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ) ، تح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.
– الكشاف ، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١، ١٩٩٨م .
– اللباب في علل البناء والإعراب ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت: ٦١٦هـ).تح: د. عبد الإله النبهان دار الفكر ، دمشق ، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
– لسان العرب، أبو الفضل ابن منظور الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت ،ط٣، ١٤١٤هـ .
– المجيد في إعراب القرآن المجيد ، إبراهيم بن محمد الصفاقسي (ت: ٧٤٢هـ) تح : موسى محمد زنين / منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ، ط١، ١٩٩٢م.
– مشكل إعراب القرآن أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) ، تح : حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط٢، ١٤٠٥هـ.
– معاني القرآن و إعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
– المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، دار الدعوة .
– المُعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب القاهرة ،ط٢، ١٩٦٩م
– المقتضب ، محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (ت : ٢٨٥هـ) تح: محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب بيروت ،(د، ط) ، (د، ن).
– الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد المعروف بابن عصفور (ت : ٦٦٩هـ) ، مكتبة لبنان ، ط١، ١٩٩٦م .
– المنصف ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ) ، تح: إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين ، دار إحياء التراث العربي ، ط١، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م .

تفكك الاتحاد السوفيتي وأثره على النظام الدولي «١٩٩١م»

م. م. زهرة جابر شاهر
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية محافظة النجف الاشرف



للمستخلص:
شهدت نهايات القرن العشرين حدثاً محورياً تمثل في تفكك الاتحاد السوفيتي رسمياً في ديسمبر ١٩٩١، وهو الحدث الذي شكل نقطة تحول حاسمة في النظام الدولي المعاصر جاء هذا التفكك نتيجة التراكم عدد من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأبرزها الأزمة الاقتصادية العميقة. وتراجع دور الحزب الشيوعي، وحركات القومية في الجمهوريات السوفيتية، إضافة إلى إصلاحات غورباشوف مثل «البيريسترويكا» و «الغلاسنوست» التي أضعفت قبضة الدولة المركزية.
أدى تفكك الاتحاد إلى انهيار المعسكر الشرقي، وانفراد الولايات المتحدة بالهيمنة العالمية، كما ظهرت جمهوريات جديدة مستقلة، وأبرزها روسيا وأوكرانيا وكازاخستان ودول البلطيق، وشهد العالم تحولات في موازين القوى، وتغيرت خريطة التحالفات العسكرية والاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: تفكك الاتحاد السوفيتي, غورباشوف, انهيار الشيوعية , الجمهوريات السوفيتية.

Abstract:

The late twentieth century witnessed a pivotal event: the official. This event 1991dissolution of the Soviet Union in December marked a decisive turning point in the contemporary international system. The collapse resulted from the accumulation of various political, economic, and social factors, most notably the deep economic crisis, the declining role of the Communist Party, and the rise of nation-alist movements in the Soviet republics. Additionally, Gorbachev›s reforms, such as Perestroika and Glasnost, weakened the central governments grip on power.

The disintegration of the Union led to the collapse of the Eastern Bloc and the emergence of the United States as the sole global hegemon. Several new independent republics emerged, most notably Russia, Ukraine, Kazakhstan, and the Baltic states. The world witnessed sig-nificant shifts in the balance of power, and the ,map of military and economic alliances was redrawn

Keywords: Dissolution of the Soviet Union, Gorbachev, Collapse of Communism, Soviet Republics

المقدمة:

تمثل عملية تفكك الاتحاد السوفيتي واحدة من الأحداث البارزة في التاريخ السياسي الحديث، اذ أدت إلى إعادة تشكيل المشهد الجيوسياسي العالمي، وبدء فصل جديد في العلاقات الدولية بدأت هذه العملية في أواخر السبعينيات وأوائلها، متزامنة مع سياسة الإصلاحات التي أطلقها ميخائيل غورباشوف الأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي، تحت شعار «البيريسترويكا» (إعادة البناء و «الجلاسنوست» (الشفافية). تهدف هذه الإصلاحات إلى تحديث النظام الاقتصادي والسياسي السوفيتي والتعامل مع الأفراد بعمق التي واجهتها البلاد، مثل التدهور الاقتصادي التضخم المفرط التوترات العرقية، والفساد الإداري

مع تقدم فترة غورباشوف زادت الضغوط الداخلية والخارجية على النظام السوفيتي كان النظام يعاني من قيود سياسية

متطرفة، واحتجاجات متزايدة في الجمهوريات السوفيتية، والتي بدأت تطالب بالاستقلال وشهدت الجمهوريات في آسيا الوسطى والقوقاز تحركات قوية نحو التحرر، مما زاد من تعرض الوضع الداخلي. بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك ضغوط من الدول الغربية التي كانت تستفيد من منعطف الاتحاد السوفيتي، مما زاد من الضغط على النظام لتحقيق تنازلات سياسية في ديسمبر ١٩٩١ أعلن ميخائيل غورباشوف استقالته من رئاسة الاتحاد السوفيتي، معلنا بذلك انتهاء الاتحاد رسميًا وقيام رابطة الدول المستقلة التي تضم الدول السوفيتية السابقة. كان لهذا الحدث تأثيرات بعيدة المدى على السياسة العالمية، اذ زادت الفرص للأحزاب السياسية المختلفة لتظهر وتتنافس في الساحة الدولية.

أولا: أهمية البحث:

يكمن أهمية هذا البحث في كونه يتناول حدثا مفصليا في التاريخ الحديث تمثل في تفكك الاتحاد السوفيتي الذي أدى إلى نهاية الحرب الباردة، وتحول النظام الدولي من القطبية الثنائية إلى الأحادية القطبية. كما أن دراسة هذا الحدث تساعد في فهم أسباب انهيار الأنظمة الشمولية، والعوامل البنيوية التي تؤدي إلى سقوط القوى العظمية.

ثانيا: أهداف البحث

١. تحليل الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى تفكك الاتحاد السوفيتي
٢. استعراض دور إصلاحات غورباشوف البيريسترويكا والغلاسنوست) في تسريع الانهيار.
٣. دراسة النتائج المترتبة على التفكك في المستويات المحلية والدولية.
٤. فهم أثر التفكك على إعادة تشكيل الخريطة الجيوسياسية للعالم.

ثالثا: فرضية البحث:

يفترض البحث أن تفكك الاتحاد السوفيتي لم يكن نتيجة عامل مفاجئ بل نتيجة لتراكم أزمات داخلية مزمنة وسياسات إصلاحية فاشلة، إضافة إلى تنامي النزعات القومية وضعف هيمنة المركز على الجمهوريات الطرفية، مما أدى إلى انهيار البنية الاتحادية في نهاية المطاف.

رابعا: منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج التحليلي – التاريخي، من خلال تحليل الوثائق التاريخية والأدبية والسياسية والاقتصادية المتعلقة بالاتحاد السوفيتي في الفترة الأخيرة من وجوده، مع ربط الوقائع الداخلية بالسياق الدولي.

خامسا: الإطار الزمني والمكاني

الإطار الزمني : يمتد من بداية مرحلة الإصلاحات السوفيتية سنة ١٩٨٥م بوصول غورباشوف إلى الحكم، حتى الإعلان الرسمي عن تفكك الاتحاد في ديسمبر ١٩٩١م

الإطار المكاني: يتركز على أراضي الاتحاد السوفيتي السابقة، مع تسليط الضوء على الجمهوريات الأساسية مثل روسيا، أوكرانيا، فرانسيسكو ودول البلطيق، بالإضافة إلى تأثير ذلك عالميا.

والتزاما منا بمنهج البحث العلمي فقد قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة وباحثين شمل / المبحث الأول : المبحث الأول أسباب تفكك الاتحاد السوفيتي اما المبحث الثاني نتائج تفكك الاتحاد السوفيتي أذ عولت الدراسة على مصادر متنوعة منها كتاب رهف الطير وآخرون العلاقات السوفيتية –العراقية بين عامي ١٩٤٥–١٩٩١ ميخائيل غور بالشوف البيريسترويكا تفكير جديد لبلادنا و العالم، ٤٦، (القاهرة دار الشروق (١٩٩٠) جون بيليس وستيف سميت عولمة السياسة العالمية دبي ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث (٢٠٠٤) المطبوعة وتطورها وخاتمة وغيرها من المراجع المثبت في قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: أسباب تفكك الاتحاد السوفيتي

يقع الاتحاد السوفيتي، الذي كان يعرف باتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، في قارتي أوروبا واسيا، وبعد أكبر دولة في العالم من حيث المساحة، إذ بلغت مساحته حوالي ٢٢,٤ مليون كيلومتر مربع ما يعادل سدس مساحة الأرض المأهولة

تفوق مساحة الاتحاد السوفيتي ثلاثة أضعاف مساحة الولايات المتحدة الأمريكية، وسبعة أضعاف مساحة الهند. امتدت حدوده لأكثر من ٦٠٠٠٠ كيلومتر كما يحده اثنتا عشرة دولة مجاورة موزعة بين قارتي آسيا وأوروبا، ففي آسيا تحده تركيا ،ايران ،أفغانستان الصين منغوليا، وكوريا الشمالية، بينما تحده أوروبيا دول مثل فنلندا، بولندا، تشيكوسلوفاكيا المجر، ورومانيا

لعبت مساحته الشاسعة دوراً مهماً في قوته الاقتصادية، حيث ساعدت على تنوع الموارد الطبيعية والزراعية (١).

انعقد المؤتمر الأول لعموم السوفييت في ٣٠ ديسمبر (١٩٢٢)، لدراسة تأسيس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، الذي ضم في البداية روسيا وأوكرانيا (٢) كان الاتحاد الروسي يضم (٢٤٩١) وحدة إدارية (٣) موزعة على خمس مستويات رئيسية، أبرزها الجمهوريات، التي بلغ عددها (٢١) جمهورية ٢ ذات حكم ذاتي عرفها الدستور السوفيتي في المادة ٨٢ بأنها كيانات اشتراكية سوفيتية تنتمي إلى الاتحاد وتتمتع بصلاحيات واسعة لإدارة شؤونها الداخلية بشكل مستقل، بما لا يتعارض مع سلطات الاتحاد المركزي (٤)

وفقا لدستور الاتحاد السوفيتي لعام ١٩٧٧ ، اعتمد النظام السياسي نموذجا فيدراليا اتحاديا يتألف من ١٥ جمهورية، لكل منها دستورها الخاص الذي يجب أن يتماشى مع الدستور المركزي المعتمد في العاصمة موسكو وتمتعت جميع الجمهوريات بصلاحيات وحقوق متساوية، مع منحها درجة من الحكم الذاتي الذي يتيح لها إدارة شؤونها الداخلية ضمن الإطار الاتحادي.

كانت السلطة التشريعية العليا ممثلة بالمجلس السوفيتي الأعلى، الذي يتكون من هيئتين مجلس الاتحاد، الذي يضم ٧٦٧ عضوا منتخبا، ومجلس القوميات، الذي يتألف من ٧٥٠ عضوا، وتساوت الهيئتان في الصلاحيات والمسؤوليات، وتم انتخاب أعضائهما عبر اقتراع سري، مع تحديد فترة عضوية النائب بأربع سنوات (٥)

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي نتيجة تراكمية لعدة عوامل داخلية شملت الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى العسكرية وبرزت مؤشرات التفكك في سبعينيات القرن العشرين، لاسيما مع استمرار الصراع مع الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة، الذي تسبب في أعباء داخلية متزايدة. كان من بين الأسباب الرئيسية لهذه الأزمة السياسات التي انتهجها الرئيس السوفيتي ميخائيل غورباتشوف (٦)، ومنها برنامج البيروسترويكا (٧) والغلاسنوست (٨).

مبدأ الشفافية والانفتاح :

أدت هذه الإصلاحات إلى تغييرات عميقة في النظام السوفيتي، لكنها خلفت آثارًا مضطربة على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية حاولت هذه السياسات مواجهة تدهور النظام الاشتراكي والحفاظ عليه، إلا أنها جاءت بنتائج عكسية، حيث أسهمت في تفاقم الأوضاع الاقتصادية وإثارة القلق المجتمعي بسبب التحولات الجذرية «.(٩)

تطبيق برنامج البيروسترويكا داخل الاتحاد السوفيتي أدى إلى موجة من الانتفاضات والثورات قادتها الحركات القومية والعمالية ضد الحكومة المركزية في موسكو من أبرز تلك الانتفاضات كانت انتفاضة المائي في كازاخستان التي اندلعت بعد تطبيق البرنامج الإصلاحي كانت هذه الانتفاضة الشرارة الأولى التي تلتها انتفاضات أخرى، على الرغم من أنها استمرت ليوم واحد فقط وتمكنت. الحكومة السوفيتية من إخمادها (١٠) كما اندلعت إضرابات عمالية في مناجم الفحم في فوركوتا وكوزباس في سيبيريا ودونباس في أوكرانيا، ولم تتمكن الحكومة السوفيتية من السيطرة على هذه الاضطرابات إلا بعد اجتماع رئيس الوزراء السوفيتي آنذاك، نيكولاي ريجكوف، مع لجان الإضراب في موسكو، حيث وافق على تلبية المطالب الاقتصادية للعمال. نتيجة لذلك، أصدر الرئيس الاتحاد السوفيتي ميخائيل غورباشوف قانون منع الاضطرابات خلال جلسة المجلس السوفيتي الأعلى (١١) ، رغم أن الحزب الشيوعي، ومع ذلك السلطة العليا في الاتحاد السوفيتي، كان يطبق سياسة متطرفة ضد الأديان والمعتقدات الدينية منذ تأسيس الدولة عام ١٩٢٢ تمثلت هذه السياسة في فرض سيطرة شاملة على الدولة ومؤسساتها لمنع الترويج لأي ديانة قد تؤدي إلى نزاعات وانقسامات بين الجمهوريات المختلفة (١٢). ومع ذلك، التغييرات التي أجراها الرئيس السوفيتي ميخائيل غورباشوف في أواخر الثمانينيات مثلت نقطة تحول

مهمة، إذ سمحت بفتح المجال أمام الحركات الدينية للظهور، لا سيما الحركات الإسلامية الصحوية بدأت هذه الحركات في محاولة إحياء اللغة العربية والمبادئ الإسلامية داخل الجمهوريات الإسلامية، لا سيما في آسيا الوسطى والقوقاز. نتيجة لهذا الانفتاح، بدأت الأحزاب السياسية الإسلامية في الظهور علنا بعد موافقة الحكومة المركزية في موسكو، مثل حزب النهضة الإسلامي الاتحادي الذي تأسس عام ١٩٧٣ في موسكو، كدليل على بداية الصحوة الإسلامية في الاتحاد السوفيتي اذ ان التغييرات التي قام بها غورباشوف لمحات لتخفيف القيود على المعتقدات الدينية، مما مهد الطريق لظهور الحركات الإسلامية والصحوة الدينية داخل الاتحاد السوفيتي، في تحول يعكس التغيرات السياسية والاجتماعية التي شهدها الاتحاد خلال تلك الفترة الانتقالية (١٣)

كانت المشكلة الرئيسية التي واجهت الاتحاد السوفيتي على المدى الطويل اقتصاديًا في المقام الأول، رغم أن لها جذورًا سياسية في النظام الاقتصادي الموجه بشكل سلطوي كان يعاني من نقاط ضعف هيكلية، حيث اعتمد على التخطيط المركزي المتصلب الذي يركز على الإنتاج الإجمالي للبضائع بدلاً من العوائد الشاملة. هذه السياسة ملفات إلى إحباط بدلاً من تحفيز الإبداع والابتكار في الإدارة وأساليب الإنتاج، ما أدى إلى ركود اقتصادي واسع وتأثير على النمو في الدخل القومي وعلى مختلف الأنشطة الاقتصادية (١٤).

هذا الجمود الهيكلي خلق فجوة كبيرة بين الاتحاد السوفيتي وأقل من الكربون المتقدم، سواء من حيث كفاءة الإنتاج وجودة المنتجات أو من حيث التطور في الثورة العلمية والتقنية. إضافة إلى ذلك. كانت هناك بيروقراطية ثورية، وعدم فعالية التخطيط والقيادة المركزية، وعيوب نظام الأسعار والتمويل والاقراض، يرجى عن انتشار الفساد والرشوة حتى بين المستويات القيادية العليا. كل هذه العوامل شكلت جوهر الأزمة الداخلية التي ملفات إلى الركود الاقتصادي والتخلف (١٥).

إدراك النخبة السوفيتية أن التقدم التكنولوجي يتطلب تجديداً علمياً وتكنولوجيا كان حتميا، إلا أن الاتحاد السوفيتي كان يعاني من تخلف شديد في تطبيق التكنولوجيا الحديثة، سواء على المستوى الاجتماعي – الاقتصادي أو الاقتصاد الصناعي، كان الاتحاد السوفيتي يستهلك موارد دون تحقيق كفاءة ملحوظة، وأدى القطاع الصناعي إلى إسراف شديد ونتائج عكسية، مما أدى إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية والركود في البلاد (١٦).

يعتقد المؤرخ البريطاني بول جونسون أن السبب الرئيسي لانهيار الاقتصاد السوفيتي يعود إلى « الإنسان» بقدر ما يعود إلى الأيديولوجية، حيث التخطيط المركزي لا يمكن أن يلبي احتياجات بلد شاسع يسكنه مئات الملايين ويضم عشرات الجمهوريات وانظمة الحكم الذاتي أصبحت هذه الحقيقة مسلمة حتى بالنسبة للماركسيين لا يقل أهمية عن هذا الغلط في الأيديولوجية هو القضاء على دور الإنسان من رجال الأعمال والتجار والمزارعين، حيث لم يكن هناك طبقة مدراء مدربة على الإنتاج وفق معادلة التكلفة والمردود بعد سبعين عاماً من الحكم الشيوعي. لم يكن من قبيل المصادقة أن القطاع الوحيد في الاقتصاد السوفيتي الذي كان ناجحاً هو المؤسسة العسكرية – الصناعية، التي لم تكن تعنيها الكلفة الاقتصادية حتى النصف الثاني من الثمانينات (١٧).

كان الاقتصاد السوفيتي اقتصاداً حربياً يقوم على ثلاث ركائز رئيسية: إنتاج السلاح، وإنتاج آلات التجهيز (آلات الزراعة، والصناعة، والبناء، وما إلى ذلك، وإنتاج الحاجيات. كان النظام يعتمد على سياسة تقشف تشبه المجاعة بسبب الحرب الباردة، مما أجبر السوفييت على التركيز على الصناعات العسكرية الدفاعية وحصر اهتمامهم بالصناعات التحويلية التي لم تكن قابلة للتصدير.

الصناعة العسكرية في العهد السوفيتي لم تكن تخضع لاعتبارات الجدوى الاقتصادية سواء في عمليات البحث والتطوير والإنتاج الكمي للأسلحة والمعدات العسكرية أو في مبيعات السلاحالخارجية انعكست هذه الخاصية في إعطاء الأولوية للصناعات العسكرية على القطاع الصناعي المدني، ولكن دون القدرة على خلق نوع من الاعتماد المتبادل بين القطاعين المدني والعسكري. كانت الصناعة العسكرية تسحب المورد الأكبر من القطاع المدني دون القدرة على توظيف الإنجازات

الباهرة التي تحققت في مجال الصناعة العسكرية لخدمة الاقتصاد السوفيتي، أو على الأقل القطاع الصناعي العدني علاوة على ذلك، تم تحقق مبيعات السلاح السوفيتي للحلفاء والأصدقاء في الخارج عائدات مادية ملموسة للاقتصاد السوفيتي، لأنها كانت تتم بشروط ميسرة للغاية من حيث الأسعار وشروط السداد (١٨).

تراجع صادرات الاتحاد السوفيتي التي تشكل حوالي ٦٠٪ من موارد الميزانية بشكل كبير. تشمل هذه الصادرات مجموعة متنوعة من المنتجات الأساسية مثل النفط والغاز والخشب والأسمنت وغيرها. هذا التراجع في الإيرادات التجارية الرئيسية أدى إلى فقدان الميزانية للواردات الضرورية التي كانت تعتمد عليها لدعم الاستقرار الاقتصادي بالإضافة إلى ذلك، يعتبر قطاع الزراعة الأضعف بين قطاعات الاقتصاد السوفيتي، وهو ما يعكس الخلل الهيكلي في هيكلة الإنتاج تأثر هذا القطاع بشدة نتيجة للتخطيط المركزي الذي قيد الإنتاجية وقللت من المرونة اللازمة لتلبية الاحتياجات المتزايدة للسوق التخطيط المركزي أرسى معايير صارمة للإنتاج، وأدى إلى تبني ممارسات لا تتسم بالكفاءة والمرونة بالتالي، شهد قطاع الزراعة تراجعاً ملحوظاً في معدلات نمو الإنتاج الزراعي، مما خلق ضغوطاً كبيرة على الاقتصاد السوفيتي. في عام ١٩٨٥، بلغت تكلفة دعم المواد الغذائية الأساسية حوالي ٥٠ مليون روبل، مما يعكس حجم الاعتماد الكبير للدولة على المساعدات لتغطية الاحتياجات الغذائية علاوة على ذلك، تراجع إنتاج الحبوب إلى نحو ١٩٥ مليون طن بانخفاض قدره حوالي ١٠٠ مليون طن عن السنة السابقة. هذا الانخفاض يعكس الفجوة الكبيرة بين الإنتاج المحلي والطلب المتزايد، ويؤكد على الفشل في تلبية الاحتياجات الأساسية للسكان يعزى جزء كبير من هذه (١٩).

كانت سياسية غورباتشوف الذي اتخذت نهجا مزدوجا خلال فترة حكمه بين عامي ١٩٩٠ و ١٩٩١، اذ حاول إرضاء كل من المحافظين والليبراليين في الاتحاد السوفيتي. فقد وعد المحافظين بقمع الحركات القومية باستخدام القوة، وفي الوقت نفسه أبدى ميولاً ليبرالية في أوائل عام ١٩٩١، من خلال اقتراح عقد معاهدة اتحاد جديدة تمنح السلطات بدرجة كبيرة إلى الجمهوريات السوفيتية. هذا الموقف المتناقض آثار احتجاجات من جناح المحافظين، الذي اعتبر هذه السياسة غير عملية وناقصة، مما أدى إلى قيامهم بانقلاب ضد غورباتشوف في الحقبة من ١٨ إلى ٢١ أغسطس ١٩٩١.

خلال هذا الانقلاب، احتجز غورباتشوف في شبه جزيرة القرم لبضعة أيام، لكنه فشل في تحقيق أهدافه وأكد على عدم إمكانية العودة إلى النظام الشمولي الذي كان سائداً من قبل فشل كان بداية النهاية للاتحاد السوفيتي بصفته دولة فيدرالية، اذ استغلت القوى الليبرالية التي كان يتزعمها بوريس يلتسين والذي أصبح في نظر الغرب حامي الديمقراطية في الاتحاد السوفيتي الفرصة لتحقيق أهدافها وتوجيه الأحداث نحو إعلان استقلال الجمهوريات السوفيتية، كما حدث في اجتماع مينسك في ديسمبر ١٩٩١ الذي ألغى الوجود السياسي للاتحاد السوفيتي وأعلن عن تأسيس ما يعرف بـ مجموعة الجمهوريات المستقلة (٢٠)

تفكك الاتحاد السوفيتي إلى خمس عشرة دولة مستقلة توزعت بين قارتي أوروبا وآسيا. ففي أوروبا، نشأت ست دول جديدة تشمل روسيا البيضاء، وأوكرانيا، ومولدافيا، بالإضافة إلى جمهوريات البلطيق الثلاث لاتفيا، وإستونيا، وليتوانيا أما في آسيا، فقد توزعت الدول على مجموعتين رئيسيتين تضمنت المجموعة الأولى جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية، وهي كازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان وأوزبكستان وتركمانستان، والتي عرفت بهذا الاسم بسبب الغالبية المسلمة في سكانها. أما المجموعة الثانية، فهي جمهوريات جنوب القوقاز، التي شملت أذربيجان، وجورجيا، وأرمينيا (٢١) في إطار التفكير السوفيتي الجديد، خضع مفهوم «الحرب الطبقية» التغيير كبير في العقود السابقة، كان النظام السوفيتي يعتمد على فكرة الصراع الطبقي كجزء من الأيديولوجية الأساسية، اذ كان يعتبر الصراع بين الطبقات جزءا من الصراع الأكبر بين النظام الاشتراكي والرأسمالية العالمية حتى في مرحلة الوفاق في السبعينات، كان يستخدم هذا المفهوم التبرير التوترات وتكثيف الصراع الأيديولوجي بين المعسكرين الشرقي والغربي (٢٢) السياسة الأمريكية التي تعرف بسياسة الاحتواء (٢٣)، والتي اتبعها التحالف الغربي بقيادة الولايات المتحدة بالتعاون مع حلف الناتو خلال فترة الحرب الباردة، تعتبر من الأسباب الرئيسية لانهيار الاتحاد السوفيتي. تهدف هذه السياسة إلى عزل الاتحاد السوفيتي ومنع انتشاره الجيوسياسي،

وليس فقط احتوائه قامت الولايات المتحدة بتطوير قواعد عسكرية في الدول المجاورة للاتحاد السوفيتي، لا سيما في أوروبا الغربية وتركيا ومنطقة جنوب شرق آسيا بهدف منع الاتحاد السوفيتي من الوصول إلى المياه الدافئة التي كانت تعتبر هدفا استراتيجيا له خلال تلك الحقبة (٢٤).

المبحث الثاني نتائج تفكك الاتحاد السوفيتي:

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي تحولت روسيا الاتحادية إلى دولة مستقلة وواجهت اضطرابات داخلية حادة نتيجة صدمة التفكك وفقدان السيطرة على الإمبراطورية السوفيتية الفكر السياسي الروسي تحول من الأيديولوجية العسكرية إلى الواقعية، اذ أصبحت الأولوية للمصالح القومية والأمن الإقليمي بعيداً عن التركيز على الأمن العالمي كما كان في الحقبة السوفيتية النظرة للحروب تغيرت لتكون أكثر واقعية، حيث أصبحت تعتبر ظاهرة سياسية محتملة لأي سبب وليس مجرد ظاهرة اجتماعية مرتبطة بمراحل معينة من التطور المجتمعي.

الدول الرأسمالية لم تعد تعتبر تهديداً مباشراً كما كان في السابق بدلاً من ذلك، تم استخدام وسائل أخرى لتحقيق الهيمنة مثل الاقتصاد والتحكم في التكنولوجيا. أما حلف الناتو وتوسع النفوذ الغربي فقد أصبحا يعتبران تهديداً محتملاً للأمن القومي الروسي، لاسيما مع التوسع شرقيا بالقرب من الحدود الروسية ومحاولات إثارة المشاكل في دول الحزام الأمني مثل آسيا الوسطى والقوقاز. علاوة على ذلك، هناك جهود لتفويض العلاقات الروسية بدول رابطة الكومنولث المستقلة وتشجيع انضمامها للمؤسسات الغربية، بما في ذلك الناتو. إضافة إلى محاولة تقييد تصدير الأسلحة الروسية وتعطيل الاقتصاد عن طريق تشجيع تدوير العقوبات والضغوط السياسية والاقتصادية (٢٥).

في التسعينيات تشبت صراعات إقليمية بين روسيا الاتحادية وأوكرانيا حول جزيرة القرم. يشعر الروس بأنها جزء تاريخي من أراضيهم بعد أن منحها الرئيس السوفيتي السابق نيكيتا خروتشيف إلى أوكرانيا عام ١٩٥٤ . ومع استقلال أوكرانيا في عام ١٩٩١ ، تصاعدت التوترات بسبب قضايا التركة العسكرية السوفيتية الموجودة في أوكرانيا ورفض بعض القوميين الروس الفكرة استقلال أوكرانيا كجزء من الدولة الروسية جزيرة القرم تحتل موقعا استراتيجيا على سواحل البحر الأسود، وتوجد بها قاعدة سواستوبول العسكرية المهمة، مما جعلها بؤرة للصراع بين البلدين تعقدت الأمور أكثر مع إعلان أوكرانيا ملكيتها للأسطول البحري الأسود (٢٦).

في عام ١٩٩٢ ، توصلت روسيا الاتحادية وأوكرانيا إلى اتفاق لتقاسم ملكية الأسطول البحري في البحر الأسود بموجب الاتفاق، أصبحت قيادة الأسطول وملكيته مشتركة بين الجانبين. تم تقسيم الأسطول بشكل غير متساو أوكرانيا حصلت على حوالي ١٨,٣٪ من سفن الأسطول، بما في ذلك سفن الطوربيدات والفرقاطات، في حين حصلت روسيا الاتحادية على نحو ٨١,٧٪ من القطع الرئيسية مثل الغواصات الكبيرة والمدمرات الرئيسية. وكان هذا التوزيع يعكس القلق الروسي من تفكك القوة البحرية وتراجعها الاستراتيجي بالإضافة إلى ذلك احتفظت روسيا بحق استخدام ميناء سواستوبول الأوكراني لمدة ٢٠ عاماً إضافية، مما سمح لها بالبقاء كقوة بحرية رئيسية على ساحل البحر الأسود والاحتفاظ بقاعدة استراتيجية هامة (٢٧).

مع نهاية الحرب الباردة، شهد العالم تحولاً في العلاقات الدولية التي كانت ترتكز على الثنائية القطبية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه لم يكن فقط نهاية لعهد التحالفات الثابتة والصراعات الأيديولوجية بين القطبين، بل أعلن عن بدء عصر جديد في العلاقات الدولية الباحثون يشيرون إلى أن تغيير طبيعة أحد الأعضاء الرئيسيين في النظام الدولي مثل انهيار دولة قوية، يؤدي إلى ظهور نظام دولي جديد في هذا السياق، تأخذ القوى البازغة الجديدة دورا أكثر بروزا وتأثيرا، مما يعيد تشكيل بنية النظام الدولي وبوجهه نحو نمط جديد من التفاعلات العالمية كانت هذه التحولات تترافق مع تنامي سباقات التسلح التقليدية والنووية، مما يعكس تغيرا في الديناميات الاستراتيجية الدولية ويتطلب إعادة تقييم للعلاقات بين الدول وتأثيرها على السلم العالمي (٢٨)

كانت العلاقات السوفيتية العراقية تشعر بالتوتر لاسيما عندما وجه رئيس الاتحاد السوفيتي انذاك، ميخائيل غورباشوف

دعوة صريحة إلى العراق للانسحاب من الكويت والالتزام بمجلس الأمن الدولي، في محاولة لتجنب تصعيد الأزمة الخليجية. ومع بدء العمليات العسكرية البرية، أعرب وزير الخارجية السوفيتي عن أسفه للتطورات التي قدمتها إلى الحل العسكري، وعرض خطة تسوية تهدف إلى إنهاء النزاع بطريقة سلمية تضمنت الخطة السوفيتية عدة مقترحات رئيسية، من بينها قبول العراق للقرار رقم ٦٦٠ الصادر عن مجلس الأمن، والذي ينص على انسحاب القوات العراقية من الكويت. كما نصت الخطة على تنفيذ العملية خلال فترة زمنية لا تتجاوز ستة أيام، مع وقف جميع الإجراءات المتعلقة بالأزمة فور اكتمالها شهدت فترة الثمانية والتسعينات تراكم مجموعة من الأحداث التي شاركت في صياغة موقف العراق المؤيد جدًا لتفكك الاتحاد السوفيتي هذا الموقف لم يكن وليد لحظة معينة، بل جاء نتيجة عوامل متعددة بدأت تتبلور منذ أواخر سبعينيات القرن العشرين أحد أهم هذه العوامل كان الانكسار الذي تعرض له الاتحاد السوفيتي خلال غزوه لأفغانستان عام ١٩٧٩ (٢٩).

الخاتمة:

ان من خلال موضوع البحث (تفكك الاتحاد السوفيتي) توصلنا إلى النتائج التالية

١– تفكك الاتحاد السوفيتي كان نتيجة لعدة من العوامل الداخلية والخارجية التي تراكمت على مدار عقود.

٢– من الأسباب الداخلية العميقة للإصلاحات السياسية والاقتصادية التي بدأها ميخائيل جورباشوف مثل «البيريسترويكا» و «الغلاسنوست»، والتي أدت إلى تفاقم الضغوط الاقتصادية والفساد داخل النظام السوفيتي من الناحيةالخارجية.

٣– أسهمت نهاية الحرب الباردة في تفاقم القوى العالمية الأخرى في زيادة الضغوط على الاتحاد السوفيتي، مما أدى إلى تقوية سلطته ونفوذه.

٤– نتج عن هذا التفكك تحولات جذرية في النظام السياسي والاقتصادي في الدول السوفيتية السابقة، مع انتقال هذه الدول إلى اقتصاديات السوق والديمقراطية الجيوسياسية، أدى التفكك إلى إعادة تشكيل موازين القوى العالمية، وتمكن المجال لتنافس دولي جديد بين القوى الكبرى.

٥– كانت هذه التغيرات سبباً في إعادة تشكيل التحالفات الدولية والنظام العالمي الجديد، مما جعل من تفكك الاتحاد السوفيتي حدثا ذا تأثير طويل الأمد على السياسة الدولية والاقتصادية.

الهوامش:

١ – الاتحاد السوفيتي اليوم وغداً، مكتبة الإعلام السوفيتي للنشر، موسكو، ٢٠١١، ص ٩–١١.

٢– عبد الحميد زوزو، تاريخ أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ١٩١٤–١٩٤٥، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٦، ص ١٧٧.

٣– عاطف معتمد عبد الحميد، الصراع الروسي الشيشاني في ضوء الرؤية الجغرافية لنزاعات القوقاز، القاهرة: (د)، (ن)، ٢٠٠٤، ص ٩–١٠.

٤– علي محمد كشت، الصراع الداخلي في منطقة القفقاس الشركسية ١٩٩١–٢٠٠٧، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩، ص ٤٣.

٥– عبد الوهاب الكيالي، ماجد نعمة وآخرون، موسوعة السياسة، ج ١، بيروت: دار الهدى للنشر، ١٩٨٥، ص ٣٤–٣٥.

٦– فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، الجزء الثاني، عمان: دار أسامة للنشر، ٢٠١٣، ص ٥٩٦–٥٩٩.

٧– ميخائيل غورباتشوف، تفكير جديد لبلادنا وللعالم، ط ٤، القاهرة: دار الشروق.

٨– ميخائيل غورباتشوف، روسيا الجديدة (مذكرات)، ترجمة فايز الصياغ، الرياض: مكتبة الملك فهد، ٢٠١٧، ص ٩.

٩– حسين علي إبراهيم الفلاحي، العولمة الجديدة: أبعادها وانعكاساتها، عمان: دار المنهل، ٢٠١٤، ص ٤٥–٤٦.

١٠– سامي عمارة، بولين صراع الثروة والسلطة، القاهرة: دار النهضة، ٢٠١٥، ص ٤٣.

١١– كريس هارمان، انهيار النموذج السوفيتي: الأسباب والنتائج، ترجمة خليل كلفت، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠، ص ٦٠.
١٢– أحمد رشاد طاحون، حرية العقيدة في الشريعة الإسلامية، القاهرة: ايتراك للنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ص ٢٢٩.
١٣– آية محمود عنان، أحمد خلف وآخرون، الجديد في حالة الإسلام والمسلمين في العالم ٢٠١٠–٢٠٢٠ ما بعد الإسلاموفوبيا، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، النجف، ٢٠٢١، ص ٢٤٦.
١٤– جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، الطبعة الأولى، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، دبي، ٢٠١٠، ص ١٨٩.
١٥– حميد حمد السعدون، روسيا ومتغيرات فضائها الآسيوي، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد ٨٩، بغداد: مركز الدراسات الدولية، ٢٠٠٥، ص ١٢.
١٦– سعد حقي توفيق، تاريخ العلاقات الدولية، بغداد: مكتبة السنهوري، بلا سنة، ص ٢٧٥.
١٧– مازن البندك، هكذا انهارت الدولة السوفيتية، مجلة الجيل، العدد ١٠، المجلد ١٢، بيروت: مؤسسة الجيل للصحافة، ١٩٩١، ص ١٥.
١٨– هنري حاماتي، منطق الذئب: مباحث سياسية، بيروت، ٢٠١٠، ص ٥٧–١١٩.
١٩– علي عودة العقابي، العلاقات الدولية: دراسة تحليلية في الأصول والنشأة والتاريخ والنظريات، بغداد: دار الرواد للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ٢٠١٠، ص ١٢١.
٢٠– منذر عبد المجيد البدري، صورة التغير في خارطة العالم بعد انهيار المعسكر الشيوعي، مجلة دراسات الشرق الأوسط، العدد ١، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٧، ص ٢٠.
٢١– السيد أمين شلبي، الحرب الباردة سنوات التحول (١٩٨٠–١٩٨٩)، مجلة السياسة الدولية، العدد ١١٩، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٩٥، ص ٥١.
٢٢– زمن حسن كريدي، أثر منظمة الكومنولث في العلاقات الدولية الأمريكية السوفيتية ١٩٤٩–١٩٨٩، الإمارات العربية المتحدة: مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد ٢٨٣، ٢٠١٨، ص ٢٩.
٢٣– فوزية الفرجاني، العرب في استراتيجيات الهيمنة الأمريكية ١٩٩١–٢٠٠٨، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠٢١، ص ١٤٤.
٢٤– شيماء تركان صالح، السياسة الخارجية الروسية حيال القضايا الدولية: الانتشار النووي أنموذجاً، رسالة ماجستير، بغداد: جامعة النهرين –كلية العلوم السياسية، ٢٠١٢.
٢٥– معتز محمد سلامة، الدور الروسي في الكومنولث الروسي الجديد، مجلة السياسة الدولية، العدد ١١٢، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٣٦.
٢٦– إيان براونلي، مبادئ القانون الدولي العام، ترجمة محمود محمد الحرتاني، ط ٨، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢، ص ٥٦.
٢٧– السيد أيمن شلبي، أمريكا والعالم: متابعات في السياسة الخارجية الأمريكية ٢٠٠٠–٢٠٠٥، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٥، ص ٢١.
٢٨– رهف الطير وآخرون، العلاقات السوفيتية – العراقية بين عامي ١٩٤٥–١٩٩١، دمشق: مجلة الدراسات التاريخية، العدد ١١٤، ٢٠٢١، ص ٢٠٧–٢٠٨.
٢٩– أحمد محمد الجوارنة، أفغانستان وحلف شمال الأطلسي: النموذج الآخر للإمبراطوريات المهزومة، عمان: دار الخليج للنشر، ٢٠١٥، ص ٤٩.

المصادر:

١– الاتحاد السوفيتي اليوم وغداً، مكتبة الإعلام السوفيتي للنشر: موسكو، ٢٠١١.
٢– عبد الحميد زوزو، تاريخ أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ١٩١٤–١٩٤٥، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٦.
٣– عاطف معتمد عبد الحميد، الصراع الروسي الشيشاني في ضوء الرؤية الجغرافية لنزاعات القوقاز، القاهرة: (د)، (ن)، ٢٠٠٤.
٤– علي محمد كشت، الصراع الداخلي في منطقة القفقاس الشركسية ١٩٩١–٢٠٠٧، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، الجامعة

الأردنية، ٢٠٠٩.
٥– عبد الوهاب الكيالي، ماجد نعمة وآخرون، موسوعة السياسة، ج ١، بيروت: دار الهدى للنشر، ١٩٨٥.
٦– فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، الجزء الثاني، عمان: دار أسامة للنشر، ٢٠١٣.
٧– ميخائيل غورباتشوف: تفكير جديد لبلادنا وللعالم، ط ٤، القاهرة: دار الشروق.
٨– ميخائيل غورباتشوف، روسيا الجديدة (مذكرات)، ترجمة فايز الصياغ، الرياض: مكتبة الملك فهد، ٢٠١٧.
٩– حسين علي إبراهيم الفلاحي، العولمة الجديدة: أبعادها وانعكاساتها، عمان: دار المنهل، ٢٠١٤.
١٠– سامي عمارة، بوتين صراع الثروة والسلطة، القاهرة: دار النهضة، ٢٠١٥.
١١–كريس هارمان، انهيار النموذج السوفيتي: الأسباب والنتائج، ترجمة خليل كلفت، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠.
١٢– أحمد رشاد طاحون، حرية العقيدة في الشريعة الإسلامية، القاهرة: ايتراك للنشر والتوزيع، ١٩٩٨.
١٣– آية محمود عنان، أحمد خلف وآخرون، الجديد في حالة الإسلام والمسلمين في العالم ٢٠١٠–٢٠٢٠ ما بعد الإسلاموفوبيا، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، النجف، ٢٠٢١.
١٤– جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، الطبعة الأولى، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، دبي، ٢٠١٠.
١٥– حميد حمد السعدون، روسيا ومتغيرات فضائها الآسيوي، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد ٨٩، بغداد: مركز الدراسات الدولية، ٢٠٠٥.
١٦– سعد حقي توفيق، تاريخ العلاقات الدولية، بغداد: مكتبة السنهوري، بلا سنة، ص ٢٧٥.
١٧– مازن البندك، هكذا انهارت الدولة السوفيتية، مجلة الجيل، العدد ١٠، المجلد ١٢، بيروت: مؤسسة الجيل للصحافة، ١٩٩١.
١٨– هنري حاماتي، منطق الذئب: مباحث سياسية، بيروت، ٢٠١٠، ص ٥٧–١١٩.
١٩– على عودة العقابي، العلاقات الدولية: دراسة تحليلية في الأصول والنشأة والتاريخ والنظريات، بغداد: دار الرواد للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ٢٠١٠.
٢٠– منذر عبد المجيد البدري، صورة التغير في خارطة العالم بعد انهيار المعسكر الشيوعي، مجلة دراسات الشرق الأوسط، العدد ١، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٧.
٢١– السيد أمين شلبي، الحرب الباردة سنوات التحول (١٩٨٠–١٩٨٩)، مجلة السياسة الدولية، العدد ١١٩، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٩٥.
٢٢– زمن حسن كريدي، أثر منظمة الكومنولث في العلاقات الدولية الأمريكية السوفيتية ١٩٤٩–١٩٨٩، الإمارات العربية المتحدة: مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد ٢٨٣، ٢٠١٨.
٢٣– فوزية الفرجاني، العرب في استراتيجيات الهيمنة الأمريكية ١٩٩١–٢٠٠٨، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠٢١.
٢٤– شيماء تركان صالح، السياسة الخارجية الروسية حيال القضايا الدولية: الانتشار النووي أنموذجاً، رسالة ماجستير، بغداد: جامعة النهرين–كلية العلوم السياسية، ٢٠١٢.
٢٥– معتز محمد سلامة، الدور الروسي في الكومنولث الروسي الجديد، مجلة السياسة الدولية، العدد ١١٢، القاهرة، ١٩٩٣.
٢٦– إيان براونلي، مبادئ القانون الدولي العام، ترجمة محمود محمد الحرثاني، ط ٨، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢.
٢٧– السيد أيمن شلبي، أمريكا والعالم: متابعات في السياسة الخارجية الأمريكية ٢٠٠٠–٢٠٠٥، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٥.
٢٨– رهف الطير وآخرون، العلاقات السوفيتية– العراقية بين عامي ١٩٤٥–١٩٩١، دمشق: مجلة الدراسات التاريخية، العدد ١١٤، ٢٠٢١.
٢٩– أحمد محمد الجوارنة، أفغانستان وحلف شمال الأطلسي: النموذج الآخر للإمبراطوريات المهزومة، عمان: دار الخليج للنشر، ٢٠١٥.

الرقابة الشرعية ودورها في حماية المصارف الإسلامية من الانحراف نحو المعاملات الربوية

م. م. هدى يحيى هادي صالح
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة

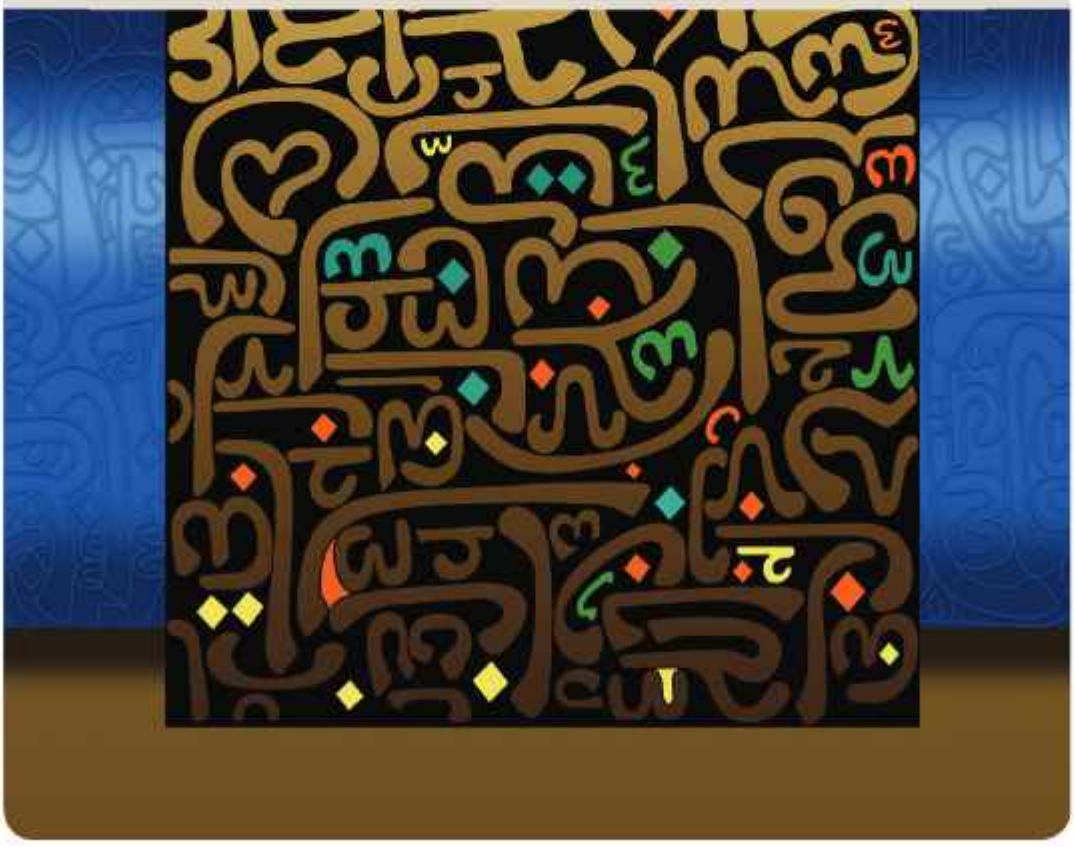

للمستخلص:
يركز البحث على الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية ودورها في حماية العملاء والمصارف، ويستعرض الفرق بين المصارف التقليدية والإسلامية والتحديات والحلول لتعزيز الرقابة الشرعية، ويخلص إلى أهميتها لضمان العدالة والشفافية المالية.

الكلمات المفتاحية :الرقابة الشرعية، المصارف الإسلامية ،المعاملات الربوية

Abstract:

The study focuses on Sharia supervision in Islamic banks and its role in protecting both customers and banks. It also examines the differences between conventional and Islamic banks, the challenges faced, and the solutions to enhance Sharia supervision, concluding its importance in ensuring fairness and financial transparency.

Keywords: Sharia supervision, Islamic banks, interest-based transactions

المقدمة:

تلعب الرقابة الشرعية دوراً مهماً في ضمان التزام المصارف الإسلامية بأحكام الشريعة في العمليات المالية والاستثمارية. وتعد هذه الرقابة وقاية للعملاء والمجتمع من المعاملات المحرمة، كما تسهم في تعزيز الثقة بين العملاء والمصارف وتوفير بيئة مالية عادلة

مشكلة البحث:

تركز مشكلة البحث على ضعف تطبيق الرقابة الشرعية بالمصارف الإسلامية، مما يؤدي أحياناً إلى وقوع معاملات محرمة نتيجة نقص التدريب وعدم متابعة العمليات الاستثمارية

هدف البحث

تهدف الدراسة إلى توضيح مفهوم ووظائف الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية، ومقارنة المصارف التقليدية والإسلامية، ودراسة أثر الرقابة، والكشف عن التحديات، واقتراح حلول لتعزيز فعاليتها

المبحث الأول: مفهوم الرقابة الشرعية واهدافها

المطلب الأول : الاطار المفاهيمي

الرقابة لغة: الراءوالباء اصل واحد مطرد، يدل على انتصاب لمراعات شيء، من ذلك الرقيب، وهو الحافظ يقال منه رقيب أرقب رقبة رقباً(١)

وابن منظور، الرقيب هو الحافظ الذي لايغيب عنه شيء (٢)

اصطلاحا، وهي وسيلة يمكت عن طريقها التأكد من مدى تحقيق الاهداف المرجوه بوقا قياسي وكفاية وفاعلية(٣)

اما الرقابة في الشرع، لا يختلف معناها عن المعنى اللغوي كلاهما نفس المعنى وقد ورد هذا اللفظ ومشتقاته في ايات قرانية عديدة بمعنى الحفظ قال تعال{فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}(٤) ومن اسمائه سبحانه وتعال الرقيب {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}(٥)اي مطلقا وحفيظا لأعمالكم (٦)

الرقابة اصطلاحا، تعرف بانها عملية التحقق من انجاز الاهداف المرادة والعمل على كشف جميع الصعوبات التي تواجه تحقيقها، والسعي الى ازالتها في اقصر مدة ممكنة (٧)

الرقابة الشرعية، عرفت بأنها التأكد من مدى مطابقة اعمال المؤسسة المالية الاسلامية لاحكام الشريعة الاسلامية حسب

الفتاوى الصادرة والقرارات المعتمدة من هيئة الفتوى. (٨)

وتعد الرقابة ركنا اصلا من اسس المالية الاسلامية لاتقوم لها قائمة بدونه اذ يوجد رقابة شرعية مستقلة تختزن قراراتها من قبل المؤسسات المراقبة (٩)

وتعرف الرقابة الشرعية بانها عملية تركز علىالتحقق من انجاز العمل وفق معيار يتناسب مع متطلبات الوظيفة والقواعد المفروضة عليه، سواء كان العمل عموميا او فرديا(١٠)

وعرفها الباحثين خي المتابعة والتدقيق والفحص والتحليل لكافة الاعمال والانشطة التي يمارسها المصرف الاسلامي (١١)

المطلب الثاني :وظائف الرقابة الشرعية

الوظيفة الاولى، تعمل على وضع معايير شرعية لضبط عمل المؤسسة المالية، وان هذه الوظيفة تأخذ حكم الفتوى لانه مايصدر عنها بهذا الخصوص يعد حكم شرعي، يجب الاخذ بضوابط الفتوى والفتى فيها، وتعد من اخطر الوظائف، اذ ان عضو هيئة الرقابة هنا مبلغ عن الله احكامه، ودوره لايقتصر على التبليغ فقط وانما يتعداه الى الالزام؛ فهي فتوى ملزمة للمؤسسة وذكر الشاطبي عن منزلة المفتي،»ان مايبلغه من الشريعة اما منقول عن صاحبها، واما مستنبط من المنقول، فالاول يكون مبلغاً، والثاني يكون معه قائمتً مقامه في انشاء الاحكام، وانشاء الاحكام هو للشارع، فاذاكانت للمجتهد انشاء الاحكان، وانشاء بحسل نظرة اجتهاده فهو من هذا الوجه شارع، واجب اتباعه؛ ولذلك سموا أولي الامر، وقرنت طاعتهم بطاعة الله ورسوله»(١٢)

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}(١٣)

والوظيفة الثانية، اما هذه الوظيفة فتعمل على التأكد من سلامة تنفيذ المؤسسة لكافة المعايير والاحكام الصادرة من هيئة الرقابة، والتأكد من مدى التزامها بتلك الاحكام في جميع انشطتها (١٤)

وان هذه الوظيفة تأتي على نفس مقدار اهمية الوظيفة الاولى، لان تطبيق الفتوى على شكل غير صحيح وغير سليم فيه تحريف للحكم الشرعي، ومواصلة اعمال التغرير مع من يتعامل مع المؤسسة، وعليه فأن الواجب على هيئة الرقابة الشرعية عندما تصدر الفتزى للمؤسسة ان تضع الاليات الرقابية الكفيلة بتطبيق الفتوى على اتم وجه (١٥)

المطلب الثالث:أهمية واهداف الرقابة الشرعية (١٦)

أولا أهميتها :

للرقابة الشرعية اهمية بالغة على المؤسسات المالية والمصارف الاسلامية، اذ ان من خلال الدور الرقابي الذي تعتمده هيئات الرقابة الشرعية يتم بيان تحقيق القول بأسلمة الاعمال المصرفية، وقد اتضح ان المصارف والمؤسسات التي لايكون فيها اعضاء للرقابة الشرعية يحصل فيها العديد من المخالفات الشرعية، وهذه المخالفات تخرج المصرف الاسلامي عن وصفه الذي من اجلع يهدف وينادي

ثانيا :اهدافها

١ – الزام المصارف والمؤسسات بالاحكام والمبادئ الشرعية

٢ –،تعزيز ثقة المتعاملين مع المصارف على شرعية النشاك الذي تقوم به المصارف والمؤسسات المالية الاسلامية

٣–،الاسهام في دعم وتدريب العاملين

٤ –اعداد زيارات ميدانية لكافة فروع المصرف والاشراف على المعاملات الصادرة عنه بما يوافق احكام الشريعة

المبحث الثاني :مفهوم المصارف الاسلامية والتقليدية والفرق بينها

– المطلب الأول: مفهوم المصارف

– أولا :

– المصارف الاسلامية،(مؤسسة مصرفية تلتزم في جميع تعاملاتها ونشاطاتها الاستثمارية وادارتها لجميع اعمالها بالشريعة الاسلامية ومقاصدها وكذلك بأهداف المجتمع الاسلامي داخليا وخارجيا (١٧)

– المصارف التقليدية، هي مؤسسة مالية يتركز نشاطها على قبول الودائع ومنح الائتمان، وتعتبر وسيط بين الذين لديهم فائض في الاموال والذين لديهم عجز في الاموال (١٨)

– ثانياً: الفرق بين المصارف الاسلامية والمصارف التقليدية (١٩)

١–ينشيء المصرف الاسلامي على اطار قانوني وفق الشريعة الاسلامية، بينما المصرف التقليدي يكون خاضع لقانون اداري ولوائح تنظيمية تحدد معدلات الفائدة للوادئع والقروض

٢– الاسلامي يقوم على مبدأ المشاركة اي مشاركة الربح والخسارة، بينما التقليدي يستند الى الفائدة في الودائع والتوظيف

٣– يخضع المصرف الاسلامي على رقابة شرعية من طرف لجنة متخصصة في مراقبة مدى مطابقة اعمال المصرف للشريعة الاسلامية وايضا رقابة من قبل البنك المركزي، التقليدي لايخضع للرقابة الشرعية فقط الى رقابة البنك المركزي ومصالح التفتيش البنك بنفسه

٤– لها صلاحية المتاجرة بالبيع والشراء في بعض السلع، التقليدي لايمكن ان يعمل بهذا الشي خوفا من الاخطار

٥– تمول المشاريع النافعة للمجتمع، بينما التقليدي يمول جميع المشاريع الاقتصادية مع الحرص على تقليل الاخطار عن طريق تقوية الضمانات

المبحث الثالث :المعاملات الربوية واثرها

المطلب الأول : المفاهيم

أولا:المعاملات، (هي احكام شرعية منظمة لتعامل الناس مع بعظهم سواء كان هذا التعامل بالاموال والمخاصمات والتركات ويشمل الزواج والطلاق ايضا (٢٠)

ثانيا: الربا، بيع احد المثليت بالاخر مع الزيادة (٢١)

ان الربا هو زيادة على راس المال، في نسيئة او مماثلة زيادة على مقدار الدين للزيادة في الاجل مثلا اعطاء دينار ويرجعهم دينارين (٢٢)

والربا قسمان، ربا الفضل مثلا بيع درهم بدرهمين او دينار بدينارين نقدا وربا النسيئة هو كبيع مكيال من الحنطة بمكيالين منها نسيئة(٢٣)واجمع العلماء على تحريمهما (٢٤)

المطلب الثاني: اثار الربا الاقتصادية والاجتماعية

ان للربا اثار واضحه وكبيرة من الناحية الاقتصادية ، اذ ان الفوائد التي يأخذها الذي يعمل في الربا لا يحصل عليها عن طريق انتاجي بل عن طريق استقطاع من اموال الفرد، او من ثروة الامة من دون ان ينتج مايقابله، وهذه الفوائد قد تدفع الامة الى الكسل والبطالة لانهم يتمكنون من زيادة اموالهم بدون جهد، ويعمل فجوة اقتصادية وطبقية بين الفقراء والاغنياء، واثقال كاهل المقترض عند التسديد لان المبلغ مضاعف بسبب الفوائد وهذا محرم شرعاً، اما من الناحية الاجتماعية، يستغل حاجة الذين يقترضون الاموال مما يولد الضغائن والحقد والانانية بين ابناء المجتمع اذ يشعر المقترض بالاستياء اتجاه من اقرضه مهماكانت حاجته الى الاموال، وقد يؤدي الى محو التعاون والفضيلة والتراحم والتكافل بيت ابناء المجتمع (٢٥)

المبحث الرابع :الرقابة الشرعية وحماية المصارف الاسلامية

المطلب الأول :مراجعة العقود قبل التنفيذ

ان مراجعة العقود قبب تنفيذها احد مهام الرقابة الشرعية، وتسعى الى التأكد من مطابقة جميع العقود لاحكام الشريعة الاسلامية من اجل حماية المصارف من المعاملات الربوية، وللعقود اقسام عديدة باعتبارها مختلفة، ومن اهمها هو النظر الى العقد بحسب اقرار الشرع له وعدم اقرار من اجل التأكد اذاكان العقد جائز شرعاً ولا يحتوي على محظور، او النظر الى العقدكونه مسماة او غير مسماة لمعرفة اذاكان العقد معروف بالفقه او حديث يحتاج الى التدقيق الشرعي، والى غايته واغراضه من اجل ضمان اهداف العقد لاتشمل ربا و ظلم، او لكونه عقد عينياً او غير عيني لمعرفة اذا العقد يتعلق بشيء ملموس او شي مالي، او باعتبار اتصال الاثر به او عدم اتصاله لتأكد من ان العقد يترتب عليه اثر مباشر او غير مباشر (٢٦)

المطلب الثاني :اثر الرقابة الشرعية على المصارف والمجتمع

ان للرقابة اثر كبير ودور مهم وبارز في حماية المصارف الاسلامية والمجتمع من المعاملات الربوية والانحراف المالي اذ تحرص على ان جميع العقود والعمليات المالية تتوافق مع احكام الشريعة الاسلامية، مما يحمي المصارف من الوقوع المعاملات المحرمة التي تضر بسمعتها ومصداقيتها، وتسهم في تعزيز الثقة لدى العملاء وتعمل على تحقيق العدالة والاستقرار المالي. وتتمثل الرقابة الشرعية في المصارف الاسلامية، بضمان التزامها في جميع احكام الشريعة الاسلامية ومنح الطابع الشرعي على كافة المعاملات المالية والتجارية، ويتبين اثرها عمليا من خلال ابداء الرأي الشرعي حول الانشطة الاستثمارية وايضا تطبيق القواعد الفقهية على العمليات المصرفية، واضافة الى ذلك تعمل على تثقيف وتوعية العاملين بالمصرف عن طريق المؤتمرات والندوات، وان هذه الإجراءات تهدف الى تعزيز الالتزام الشرعي وحماية المصارف من المخاطر المالية غير المشروعة (٢٧)

المطلب الثالث :التحديات والمقترحات التي تواجه الرقابة الشرعية(٢٨)

تواجه الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية العديد من الصعوبات التي تعيق آدائها بالشكل المطلوب، ومن أبرز هذه الصعوبات عدم وضوح مفهوم الرقابة الشرعية لدى إدارات المصارف، وهذا يؤدي إلى ضعف تطبيقها العملي. كما تعاني بعض المصارف من قلة الفقهاء المتخصصين في القضايا الاقتصادية والمصرفية، مما يؤدي إلى صعوبة إصدار الأحكام الشرعية. إضافة إلى ذلك، هناك بعض الإدارات التي لا تستجيب لقرارات الهيئة الشرعية، وهذا يؤدي إلى تراجع دور الرقابة الشرعية واستمرار الأخطاء في تطبيق الأحكام الشرعية. وقد يقتصر دور الهيئة الشرعية على الإفتاء فقط دون المشاركة الفعلية في تصحيح الانحرافات أو متابعة التنفيذ، وهذا يجعلها واجهة شكلية أكثر من كونها رقابية فعلية. كما تواجه الهيئة ضغوطات من الإدارة من أجل إباحة بعض المعاملات. إضافة إلى ذلك، تعدد الهيئات الشرعية في البلد الواحد واختلاف الفتاوى يضعف ثقة الجمهور في المصارف الإسلامية. وهناك مشكلة أخرى تتعلق بكون الهيئات تعتمد إداريًا وماليًا على المصارف التي تعمل فيها، وهذا يحد من حريتها ويؤثر في موضوعية القرارات الشرعية

ومن المقترحات: من المعلوم أن الهيئة الشرعية لها دور فعال في مراقبة التزام المصارف بالشريعة. يقترح ضرورة تنفيذ القرارات الصادرة من الهيئة، ومنها حق مراجعة العمليات الاستثمارية والمالية. ومن الضروري أيضًا إعداد ورش عمل ودورات تثقيفية لتعزيز المعرفة الشرعية والمالية، خصوصًا في المصارف الحديثة لأنها تفتقر لهذه الخبرات. كما على هيئات الرقابة اتباع منهج واحد وواضح من أجل إصدار الفتاوى، ويجب توحيد الفتاوى بين المصارف الإسلامية من خلال عقد الندوات وورش العمل، مع تجمع المختصين، وضمان حرية الهيئة عن إدارة المصرف لضمان مصداقية قراراتها وفتاواها(٢٩)

-النتائج

١ . تضمن الرقابة الشرعية التزام المصارف بأحكام الشريعة.

٢ . تؤدي المعاملات الربوية غير المراقبة إلى تأثر سلبية على المجتمع

٣ . من ابرز التحديات ضعف الخبره والتدريب

٤ .من اجل تعزيز دور وفعالية الرقابة يجب مراجعه العقود بشكل دوري

٥ . إقامة ورش ودورات تدريبية للموظفين تعزز فعالية الرقابة

الهوامش:

١-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢/٤٢٧

٢-ابن منظور، لسان العرب، ١/٤٢٥

٣-الشويكي، دراسات وابحاث مبادئ الرقابة على اعمال الادارة العامة في الاردن، ٣١

٤-القصص٢١

٥-النساء١

٦-يوسف بن عبدالله الشبيلي، الرقابة الشرعية على المصارف ضوابطها واحكامها ودورها في ضبط عمل المصارف، عدد٥٣، ١٤٣٣هـ، ١٤٨

٧-فريدة حسين طه، ظاهرة الرقابة على السلع في الفقه الاسلامي، رسالة ماجستير، نابلس، جامعة النجاح، ٢٠١١م، ٣/ظ/ طارق المجذوب، المرجع في الادارة العامة، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ٢٠٠٥م ٦٦٥

٨-حمزة عبد الكريم محمد حداد، الرقابة الشرعية في المصارف الاسلامية، ٣٠/٣١/ظ/كتاب مجلة البيان، الرقابة الشرعية في المصارف الاسلامية، ٤/٢١٣

٩-فاطمة الغازي، خصوصية الرقابة الشرعية على البنوك الاشتراكية بالمغرب، ٧٧

١٠-جرار كورنو، معجم المصطلحات القانونية، ترجمة منصور القاضي، ٨٤٧

١١-حسين شحاته، اختصاصات هيئة الرقابة الشرعية في المؤسسات المالية الاسلامية، مجلة الاقتصاد الاسلامي بنك دبي، عدد١١٦، فبراير ١٩٩١م ٤٢

١٢-الشاطبي، الموافقات، ٤/١٧٩

١٣-النساء٥٩

١٤-معايير المحاسبة والمراجعة الصادرة من هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الاسلامية (معيار الضبط) ١٥١٢

١٥- عبد اللطيف حاجي صادق العوض، الرقابة الشرعية على المصارف والمؤسسات الاسلامية، ٤٤٨/ظ/ يوسف الشبلي، الرقابة الشرعية على المصارف

١٦-عادل عبدالله عمر باريان، اساليب تفعيل دور الرقابة الشرعية في المصارف الاسلامية، ٣٠/٦/٢٠٠٩، ٢٣

١٧-طارق اسماعيل السيد احمد، الرقابة الشرعية في المصارف الاسلامية الفلسطينية ملامح الواقع ورؤية استراقية للتطوير المهني، ١٤٤٣هـ ٢٠٢١م ١٥٧

١٨-منير ابراهيم الهندي، ادارة البنوك التجارية، كلية التجارة، ١٩٩٦م، ط٣، ٤

١٩-بن حواشي هاشم، تقييم اداء النوافذ الاسلامية في البنوك التقليدية، دارسة حالة بنك الخليج الجزائر AGEوكالة سعيدة، رسالة ماجستير، ٢٠٢١م، ٢١/٢٠

٢٠-محمد امين بن عبد العزيز عابدين الحنفي، حاشية رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م ط٢، ١/٧٩ /ظ/ محمد عثمان شبير، المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الاسلامي، دار النفائس، الاردن، ٢٠٠٧م، ط٦، ١٢

٢١-الحسن بن يوسف الحلي، تذكرة الفقهاء، مؤسسة ال البيت عليهم السلام، قم، ط١، ١٤٢٣هـ، ١٠/١٣٤

٢٢–عبد الرحمن بن الجوزي،، كشف المشكل من حديث الصحيحين، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م، ط١، ١/٨٩

٢٣–، العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ١٠/١٣٤

٢٤–الحلي، تحرير الاحكام الشرعية، مؤسسة الامام الصادق، قم ١٤٢٠هـ، ط١، ٢/٣٣٢

٢٥–عبد السلام نعمان رشيد، الربا واثاره على الاقتصاد الاسلامي دراسة مقارنة، مجلة الجامعة الوطنية، عدد١١، ٢٠٢٠م، ١٧١/١٧٠

٢٦–وهبه الزحيلي، الفقه الاسلامي وادلته للزحيلي، ٤/٣٠٨٦

٢٧–حسين راتب يوسف ريان، الرقابة المالية في الفقه الاسلامي، دار النفائس عمان، ١٤١٩هـ ١٩٩٩، ط١، ٨٤

٢٨–فردوس هاشم عبد ياسين المشهداني ،وسائل تفعيل دور هيئة الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية،مجلة كلية اليرموك،عدد٦، ج١ ،م١٩، ٢٠٢٣م، ٢٦٣/٢٦٤/٢٦٥

٢٩–المصدر نفسه، ٢٦٧/٢٦٨/٢٦٩/٢٧٠

المصادر:

- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ،دار الكتب العلمية، بيروت، ٣٩٥ هـ
- ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٧١١ هـ
- العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ط١، ١٤٢٣هـ،
- الحلي، تحرير الأحكام الشرعية، مؤسسة الإمام الصادق، قم، ط١، ١٤٢٠هـ،
- الشاطبي، الموافقات، دار الفكر، بيروت، ٧٩٠ هـ
- الشوبكي، دراسات وأبحاث مبادئ الرقابة على أعمال الإدارة العامة في الأردن،
- الزحيلي، وهبه، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م
- الغازي، فاطمة، خصوصية الرقابة الشرعية على البنوك الاشتراكية بالمغرب، مطبعة المغرب،
- جرار كورنو، معجم المصطلحات القانونية، ترجمة منصور القاضي، دار النهضة العربية، بيروت،
- حسين راتب يوسف ريان، الرقابة المالية في الفقه الإسلامي، دار النفائس، عمان، ١٤١٩هـ
- حسين شحاته، اختصاصات هيئة الرقابة الشرعية في المؤسسات المالية الإسلامية، مجلة الاقتصاد الإسلامي، بنك دبي، عدد١١٦، فبراير ١٩٩١م،
- حمزة عبد الكريم محمد حماد، الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية، دار الفكر
- عبد اللطيف حاجي صادق العوض، الرقابة الشرعية على المصارف والمؤسسات الإسلامية، دار الفكر،
- عبد الرحمن بن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م،
- عبد السلام نعمان رشيد، الربا وآثاره على الاقتصاد الإسلامي دراسة مقارنة، مجلة الجامعة الوطنية، عدد١١، ٢٠٢٠م،
- عادل عبدالله عمر باريان، أساليب تفعيل دور الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية، ٢٠٠٩م
- فردوس هاشم عبد ياسين المشهداني، وسائل تفعيل دور هيئة الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية، مجلة كلية اليرموك، عدد٦، ج١، م١٩، ٢٠٢٣م، ص٢٦٣–٢٧٠.
- منير إبراهيم الهندي، إدارة البنوك التجارية، كلية التجارة، بغداد، ١٩٩٦م، ط٣،
- يوسف بن عبدالله الشبيلي، الرقابة الشرعية على المصارف ضوابطها وأحكامها ودورها في ضبط عمل المصارف، عدد٥٣، ١٤٣٣هـ،
- محمد أمين بن عبد العزيز عابدين الحنفي، حاشية رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، ط٢
- محمد عثمان شبير، المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، دار النفائس، الأردن، ٢٠٠٧م، ط٦،
- طارق إسماعيل السيد أحمد، الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية الفلسطينية: ملامح الواقع ورؤية استراتيجية للتطوير المهني، ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م
- طارق المجذوب، المرجع في الإدارة العامة، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ٢٠٠٥م



البنية الإيقاعية في الشعر الأندلسي للسان الدين بن الخطيب في ديوانهِ الشعر والسحر أنموذجاً

م. م. لبنى عبد الزهرة جلوب كاطع
وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية في محافظة ميسان

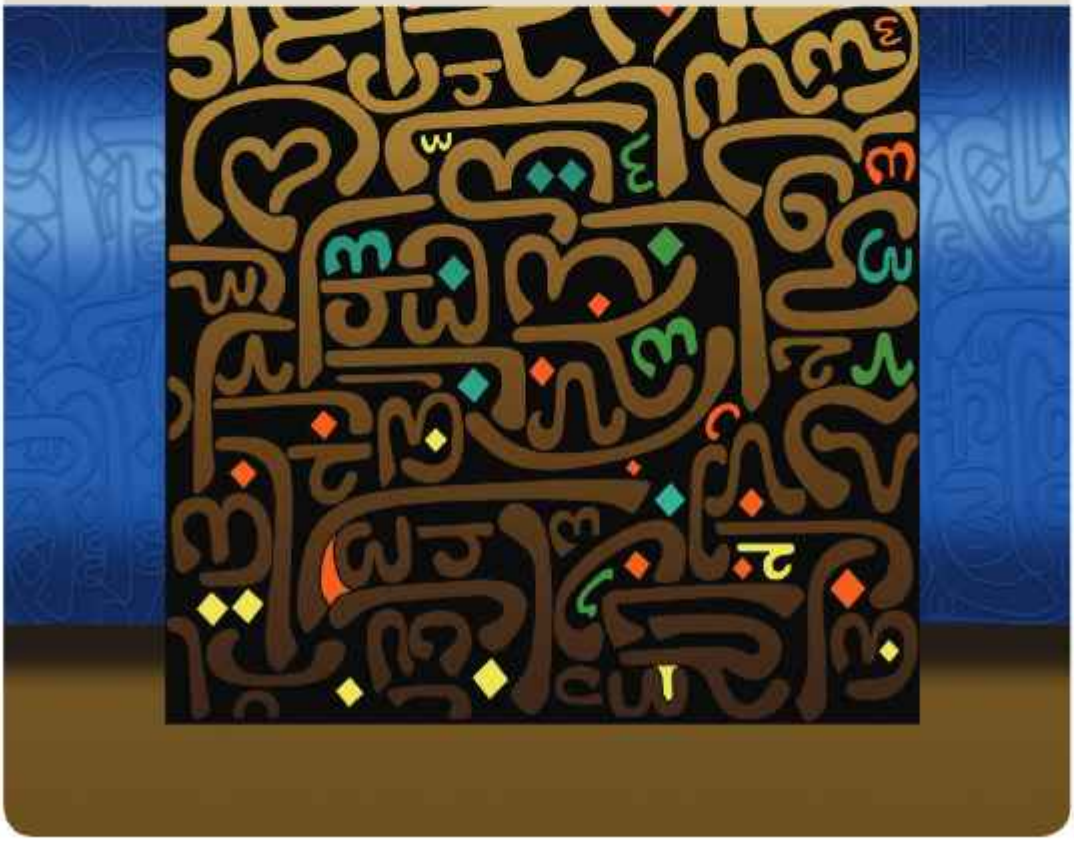

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة البنية الإيقاعية في شعر لسان الدين ابن الخطيب (٧١٣–٧٧٦هـ/١٣١٣–١٣٧٤م) من خلال ديوانه «الشِّعر والسِّحر» بوصفه نموذجاً دالاً على ذائقة الإيقاع في الأندلس أواخر العهد الغرناطي. نعتمد مزيجاً من التحليل العروضي–الإحصائي (الأوزان، البحور، القوافي، نظام الوقف والابتداء، التقفية الداخلية) والتحليل الأسلوبي–السمعي (التكرار الصوتي، الجناس، السجع، التدوير، المقابلة الإيقاعية، توزيع الفواصل). نبيّن كيف يتشكّل الإيقاع لدى ابن الخطيب على محورين متكاملين: محور العروض الخليلي في القصيدة الكلاسيكية (كالطويل والكامل والوافر والبسيط والرمل...) ومحور الأجناس الأندلسية (الموشّح والزجل) بمرونتها الإيقاعية وتنوّع قوافيها وأغصانها. خلصت الدراسة إلى أنّ ابن الخطيب يوظّف الإيقاع أداة دلالية لإنتاج أثرٍ "سحريّ" متّسق مع رؤيته الجمالية، وأنه يزاوج بين صرامة الوزن ومسرحة الصوت ليولّد إيقاعاً دلالياً يمسّ موضوعات العشق والسلطة والمنفى الروحي والسياسة.

الكلمات المفتاحية: الايقاع، لسان الدين بن الخطيب، الشعر والسحر، الشعر الاندلسي، الصوت.

Abstract:

This study examines the rhythmic structure in the poetry of Lisan al-Din Ibn al-Khatib (713–776 AH/1313–1374 AD) through his collection "Poetry and Magic," as an indicative model of the taste for rhythm in Andalusia during the late Granada period. We adopt a combination of prosodic-statistical analysis (meters, meters, rhymes, the system of pauses and starts, internal rhyme) and stylistic-aural analysis (sound repetition, (Paronomasia, rhyme, rotation, rhythmic counterpoint, and the distribution of intervals). We show how rhythm is formed in Ibn al-Khatib on two complementary axes: the axis of Khalili prosody in the classical poem (such as the long, complete, abundant, simple, and ramal...) and the axis of Andalusian genres (muwashshah and zajal) with their flexibility. Rhythm and the diversity of its rhymes and branches. The study concluded that Ibn al-Khatib employs rhythm as a semantic tool to produce a "magical" effect consistent with his aesthetic vision, and that he combines the rigor of meter with the theatricality of sound to generate a semantic rhythm that touches upon themes of love, power, spiritual exile, and politics.

Keywords: Rhythm, Lisan al-Din Ibn al-Khatib, poetry and magic, Andalusian poetry, sound.

المقدمة:

يمثّل الشعر الأندلسي مرحلة متميزة من تطور الشعر العربي، حيث امتزجت فيه عناصر الإبداع الفني بالظروف الثقافية

والاجتماعية الفريدة التي شهدها الأندلس. وكان لسان الدين بن الخطيب (٧١٣هـ – ٧٧٦هـ) أحد أعلام هذا العصر، إذ جمع بين الشعر والفكر والسياسة، وخلّف لنا تراثاً شعرياً غنيًا بالعناصر الفنية، من أبرزها ديوانه الموسوم ب (الشعر والسحر) ، الذي يُعدّ مثالًا رفيعًا على التوظيف الجمالي للإيقاع.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل البنية الإيقاعية في هذا الديوان، من خلال الكشف عن ملامحها العروضية، والموسيقية، والتفعيلية، وعلاقتها بالمعنى، لتحديد كيف ساهم الإيقاع في بناء جماليات القصيدة الأندلسية لدى ابن الخطيب.

وينقسم البحث الى مبحثين ، المبحث الأول اتحدث فيهِ عن (مفهوم البنية الايقاعية)، اما المبحث الثاني اتحدث عن (لسان الدين بن الخطيب وتوظيف ديوان الشعر والسحر في الايقاع).

المبحث الأول:(مفهوم البنية الايقاعية)

أولًا: مفهوم البنية الإيقاعية:

إن البنية الإيقاعية في الشعر تشير إلى التنظيم الصوتي الذي يمنح القصيدة تماسكًا موسيقيًا وجماليًا، وهي تعدّ الإطار المنظّم الذي تتولّد فيه موسيقى النص من تآلف عناصره الصوتية والزمنية، سواء كانت هذه العناصر خارجية (وزن وقافية) أو داخلية (تكرار وجناس وسجع وتوازي). وهي تمثّل الجانب السمعي–الزمني من البنية الفنية للقصيدة، حيث تُحسّ وتُدرك من خلال الأذن، وتُترجَم في وعي المتلقّي إلى إحساس بالانتظام أو التوتر أو الانفراج تبعًا لطبيعة النص. ويتحقق ذلك من خلال:

١ . الإيقاع الخارجي (العَروضي): الوزن والقافية.

٢ . الإيقاع الداخلي: التكرار التجنيس، التوازي، والتصريع، بالإضافة إلى التنغيم الموسيقي الذي يتولد من التراكيب اللغوية.

ويُعدّ الإيقاع عنصرًا أساسيًا في التعبير الشعري، حيث يسهم في تعزيز الدلالة وتحفيز الانفعال لدى المتلقي.

إن الإيقاع في أبسط تعريفاته، هو تكرار منتظم لوحدات صوتية في أزمنة متساوية أو متقاربة ، لكن في الشعر العربي، وخاصة في العروض الخليلي، لا يقتصر على التكرار الميكانيكي، بل يتسم بالمرونة والقدرة على التلوين من خلال الزحافات والعلل، مما يمنح القصيدة حيوية وتمنع الرتابة(١).

ثانياً: مكونات البنية الإيقاعية هي:

- الإيقاع الخارجي:
- الوزن العروضي: يتحدد عبر التفعيلات والبحور، وهو البنية الزمنية الكبرى للنص.
- القافية: الحرف الأخير وما يتبعه من حركات أو حروف مدّ، وهي أداة تثبيت إيقاعي وربط بين الأبيات.
- الإيقاع الداخلي:
- التكرار الصوتي: عودة الأصوات أو المقاطع أو الكلمات لتعزيز النبرة الموسيقية.
- المحسّنات البديعية الصوتية: مثل الجناس والسجع والاقتباس الصوتي (التنغيم المحاكي).
- التوازي التركيبي: تكرار البنى النحوية أو الأسلوبية لخلق توازن سمعي.
- التقفية الداخلية: توافقات صوتية داخل البيت أو المقطع، غير ملزمة بالقافية الخارجية(٢) .

ثالثاً: وظائف البنية الإيقاعية تتكون من:

- وظيفة جمالية: إمتاع السمع وخلق الانسجام الموسيقي.

• وظيفة دلالية: توجيه المعنى أو تعميق الانفعال (مثل تسريع الإيقاع في الغضب، أو تبطيئه في الحزن).
• وظيفة تنظيمية: ضبط تدفق النص ومنحه إطارًا يسهل الحفظ والتلقي.
• وظيفة رمزية: ربط الإيقاع بالموروث الثقافي، كما في استحضار البحر الطويل في الفخر أو الموشّح في الغناء.

اما البنية الإيقاعية في الشعر الأندلسي لقد تبلورت البنية الإيقاعية في فضاء تفاعل بين الصرامة العروضية المشرقية والتجديد الغنائي المحلي (الموشحات والأزجال). وهذا أفرز نظامًا إيقاعياً أكثر تنوعًا من حيث:

• تعدد الأوزان في النص الواحد أو عبر الديوان.
• التقفية المركبة كما في الأقفال والأغصان الموشحية.
• التنغيم المحاكي للطبيعة أو مجالس الطرب، حيث يندمج الشعر بالغناء.

يرى النقاد المعاصرون أن البنية الإيقاعية لا تُقرأ فقط من منظور العروض، بل يجب تحليلها أيضًا من زاوية علم الأصوات وعلم الإيقاع الموسيقي، إضافة إلى علم الأسلوب، لرصد كيفية انسجام الأصوات والمعاني ضمن نظام زمني–صوتي واحد. فالإيقاع ليس غاية شكلية، بل أداة للتأثير الفني والنفسي(٣).

تعتبر البنية الايقاعية في الشعر الاندلسي هي شبكة العلاقات الصوتيّة والزمنيّة التي تُولد موسيقى النص، وتشمل:

• الإيقاع الخارجي: الوزن العروضي (البحور/التفعيلات) والقافية (الرويّ، الردف، الحركة، التأسيس والوصلة).
• الإيقاع الداخلي: تكرار الأصوات والكلمات والتراكيب، الجناس والسجع والترصيع، التقفية الداخلية، التدوير، مواضع الوقف والابتداء، والتنغيم.

في الأندلس، لا تُفهَم البنية الإيقاعية بمعزل عن الأداء والغناء (مجالس الطرب/النوبات)، ما يجعل الشعر حدثًا سمعيًا لا لغويًا فقط(٤).

ينقسم الإيقاع في القصيدة الأندلسية إلى قسمين :

أولًا: الإيقاع الخارجي في القصيدة الأندلسية:

١) الوزن (البحور والتفعيلات):

حضرت البحور الكلاسيكية مع ميلٍ للرخاوة والغنائية: الوافر، الرمل، البسيط في الغزل والوصف؛ الطويل، الكامل في المدائح والمقاطع الخطابية؛ وأحيانًا السريع والمنسرح للمقاطع الرشيقة.

• الزحافات والعلل ليست تجميلًا بل أداةُ تلوين:
• الخَبْن يكثُر في الرمل/البسيط لنعومة الجرس.
• الطَّيّ في الكامل لتسريع النبض.
• الحذف/القطع/الكفّ لضبط الإيقاع مع الوقفات الدلالية.
• أثر الأداء: يوافق الشاعر بين طول النفس الشعري وبين إمكانات الإنشاد، فيطوّل البيت حيث الوصف، ويُسرّع النبض حيث الهجاء أو الحماسة(٥).

٢) القافية (وظائفها وبناؤها):

• الرويّ وحركته أداة توحي بالمزاج:
• الكسرة/الياء للحنوّ والشكوى،
• الضمّة للامتلاء والوقار،







• السكْن للصرامة والقطعية.

• الردف (ألف/واو/ياء) يطيل النفس الصوتي ويمنح انسيابًا.

• التأسيس والوصلة يضبطان نهاية البيت ويمنعان نشازًا سمعيًا.

• تُستثمر التقفية الداخلية داخل الشطر لتقسيم الجملة الطويلة وخلق ترديدٍ محبّب(٦).

ثانياً: الإيقاع الداخلي (مصنع الموسيقى الخفي):

١) تكرار الأصوات (الصوامت/الصوائت):

• الهمس/الرخاوة (س، ش، ف) توحي بالليّن/النسيم/الماء.

• الجهر/الشدة (ق، ط، ص) تمنح قوةً وفخامة.

• توزيع الحركات الطويلة (المدود) يطيل الزفرة الصوتية في الغزل.

٢) التكرار اللفظي والتركيبي:

• لازمات (عبارات تتكرّر كرفيع نغمي).

• التوازي: إعادة صيغ نحوية (فعل+مفعول/جار ومجرور) لتوليد توازنٍ سمعي.

• التدوير: تأخير تمام المعنى بين الصدر والعجز لإحداث شدّ إيقاعي.

٣) المحسّنات الصوتيّة:

• الجناس (تام/ناقص) يضاعف الوميض الموسيقي.

• السجع (خاصةً في الفواصل داخل البيت وفي مقدمات نثرية ملحقة).

• الترصيع: تماثل أواخر المقاطع يخلق(زخرفة) محسوبة.

٤) التقفية الداخلية وردّ العجز على الصدر:

• توافقات داخلية تعوّض طول الجملة، أو حلقة صوتية يعود فيها العجز إلى لفظٍ في الصدر.

٥) الوقف والابتداء والتنغيم:

• الوقف الدلالي يوافق الوقف العروضي لإبراز كلمة مفتاح.

• التنغيم (ارتفاع/انخفاض) يوزّع الانفعال على مقاطع البيت(٧) .

وإن وظائف الإيقاع في الأغراض الأندلسية هي:

١) الغزل: بحور رخية (وافر/رمل/بسيط)، ردف بالياء/الألف، تكرار لين، إيقاع "نفَسيّ" للشكوى والأنين.

٢) المديح السلطاني: طويل/كامل، قافية محكمة (ضمّة/سكون)، ترصيع وجناس لتشييد مهابة.

٣) الوصف والطبيعة: بسيط/وافر، أصوات صفيريّة (س، ز) لمحاكاة الماء والرياح، تقفية داخلية للتزيين.

٤) التأمل/الحِكمة/السياسة: بسيط/منسرح/سريع؛ تذبذب إيقاعي يوافق موضوع التقلّب واللايقين.

بهذا الإطار، تصبح البنية الإيقاعية في الشعر الأندلسي مركّبًا ثلاثيّ الأبعاد: (وزن/قافية) يضبطان الزمن الشعري، و(جرس داخلي) يشحن الدلالة، و(أداء غنائي) يفعّل النص في الفضاء العام. هذه العناصر معًا تفسّر فرادة الإيقاع الأندلسي وتحويله القصيدة إلى تجربة سمعيّة مؤثّرة(٨).

وإذا أردنا الوصول إلى معرفة أكثر للأوزان ـ البحور الشعرية ـ استخداماً في ديوان الشعر والسحر ، كان لزاماً علينا أن نمعن النظر في الأنموذج الأكثر رقياً، لذا نتأمل الجدول التالي :

ت	مطلع القصيدة	الوزن العروضي	البحر الشعري	التحليل الإيقاعي	الدلالة والمعنى
١	ولمّا نأى الأحبابُ عن دارِ سلمى تذكّرتُ أيّامَ الهوى والمنازلا	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن	البحر الطويل التام(قصيدة في الحنين والنفي)	الإيقاع الطويل المنتظم يوحي بالحنين الممتدّ والزمن البطيء، وجود التوازن بين التفعيلتين/فعولن / مفاعيلن. يجعل الإيقاع اشبه بموج متتابع . يناسب التأمل والوجدان	هذا يحمل بعدًا وجدانيًا عميقًا، فهو يواكب المعنى الزمني للحنين للماضي واختيار البحر الطويل يعبر عن رغبة الشاعر في الاطالة والتأمل.
٢	إلى الملكِ السامي المعالي تحيّةً تَرِفُّ إليه من فؤادٍ شعائر	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن	البحر الطويل التام(قصيدة في المدح)	البحر الطويل هنا يوحي بالمهابة والجلال، وهو ما يناسب مقام الممدوح.ولاحظ توظيف الألفاظ الرنّانة (السامي، المعالي، تحيّة) في انسجام مع الإيقاع.	البحر الطويل يمنح الجملة وقارًا صوتيًا يوازي مضمون المدح. استخدامه في المديح يعيدنا إلى تقاليد الشعر العربي القديم، ما يؤكد أنّ ابن الخطيب يستحضر العروض الجاهلي كرمز للبلاغة التراثية
٣	يا مَن يُحيّي الليالي بالمنى أبدًا قد ضاق عن حمله صدرُ الأسى وجدا	مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن	البحر البسيط(وهو بحر خفيف التفعة متسع الحركات)	ولاحظ انتظار الإيقاع المتوازن في مستفعلن فاعلن يُطِلّ عن صراع داخلي بين الأمل واليأس، فالإيقاع الصاعد في "يا من يحيي الليالي" يرمز إلى التفاؤل، بينما يهبط في "قد ضاق عن حمله صدر الأسى" ليعكس الانكسار النفسي. وهذا يظهر وعي ابن	الإيقاع المتوازن في مستفعلن فاعلن يُطِلّ عن صراع داخلي بين الأمل واليأس، فالإيقاع الصاعد في "يا من يحيي الليالي" يرمز إلى التفاؤل، بينما يهبط في "قد ضاق عن حمله صدر الأسى" يعكس الانكسار النفسي. وهذا يظهر وعي ابن
					الخطيب بجمال التناسب بين الموسيقى الداخلية والمعنى الشعري
٤	سَلِ الهوى عن فؤادي كيف أرفقهُ ما كان إلا غراماً زادَ ما نزعا	مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن	البحر البسيط	يقوم على التناوب الموسيقي بين مستفعلن وفاعلن، مما يمنح البيت إيقاعًا حزينًا مترددًا يشبه تنفس العاشق المتعب. الزحافات الطيّة هنا جعلت الوزن أكثر انسيابية ورقة، وهو ما يخدم الجانب العاطفي.	يستثمر ابن الخطيب هذا الإيقاع لتصوير وجع الطب بطريقة موسيقية. فكل حركة من الوزن تُقابلها انفعالات وجدانية: (سل الهوى) دعوة للحوار، و(زاد ما نزعا) انكسار داخلي يختتم بإيقاع هابط يوحي بالاستسلام المُر.
٥	ما بينَ نَجدٍ إلى شاطي الجنى طَرَبٌ يبكي على الدهر لا يُبقي ولا يَميدا	مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن	البحر البسيط	ظهر تنوعًا في الضرب والعروض يمنح القصيدة طابعًا موسيقيًا حيًا. حركة البحر هنا تُعطي شعورًا بـ الرحلة والحنين، فالإيقاع المتكرر يحاكي خطى المسافر في التيه.	يتسجم الإيقاع مع الصورة الشعرية: تكرار الأصوات المفتوحة (ا، ي، د) يعزز الإحساس بالامتداد والضياع. الوز ن البسيط يتناغم مع موضوع السفر والحنين، مما يعكس التوازن بين الموسيقى والمعنى، وهي سمة بارزة في شعر ابن الخطيب الأندلسي

المبحث الثاني: لسان الدين بن الخطيب وتوظيف ديوان الشعر والسحر في الايقاع:

يُعدّ لسان الدين بن الخطيب من أبرز شعراء الأندلس، وقد شغل مناصب سياسية وعلمية عديدة. يُعرف بأسلوبه البديع الجامع بين فخامة اللفظ ورقة المعنى، ويمتاز ديوانه الشعر والسحر بتنوع موضوعاته من الغزل والمدح إلى الوصف والحكمة.

يظهر في هذا الديوان مدى اهتمام ابن الخطيب بالتنغيم والإيقاع، إذ يولي العناية الكبرى لاختيار البحور والتراكيب الصوتية التي تخدم المعنى وتخلق الأثر الفني المنشود(٩).

(البنية الإيقاعية في الشعر والسحر):

١. الإيقاع الخارجي (الوزن والقافية):

استخدم ابن الخطيب بحورًا خفيفة تميل إلى الانسيابية والرقة، بما يتلاءم مع الذوق الأندلسي المرهف. من أبرز البحور التي وظّفها:

١) البحر الخفيف: الذي يمتاز بإيقاع موسيقي سهل ورشيق:

يا من له في الحُسنِ أعذبُ مُلتقى
وجمالُهُ غلبَ العقولَ ورقّقا(١٠)

٢) البحر الرمل: يوحي بالنعومة والحنين، وهو مناسب لأغراض الغزل والوصف:

ليت شعري هلْ تراني
بين من أهوى مكاني؟(١١).

أما القافية، فتميّزت بتنوّعها وغناها الصوتي، إذ استخدم القافية المقيدة والمطلقة، وحرص على أن تتناغم القافية مع الروي في تشكيل موسيقى ختامية تضفي على القصيدة نغمة خاصة.

٢. الإيقاع الداخلي (التكرار والمقابلات الصوتية):

أ. التكرار:

يُعدّ التكرار من أبرز الأدوات الموسيقية التي يوظفها ابن الخطيب لتعزيز ايُعدّ التكرار من أبرز الأدوات الموسيقية التي يوظفها ابن الخطيب لتعزيز الإيقاع الداخلي:

• تكرار الحروف:

(سَحَرٌ، سَحَرتْني، وسِحْرُكَ ساحرٌ)(١٢)

حيث يتكرر صوت "س" و"ح"، مما يخلق إيقاعًا خفيفًا موسيقيًا يوازي المعنى السحري.

• تكرار الألفاظ:

(يا ليلُ، يا ليلُ، ما أقسى ظلامك)(١٣)

لتأكيد الشعور بالحزن والتأمل.

ب. الجناس والتوازي:

• الجناس: استعمله لإحداث توازن صوتي:

(غَرَّني الغَرَاءُ بغرّته)(١٤).

لجناس بين (غرّني" والغَرَاء" وغرتها) يولد موسيقى داخلية.

• التوازي التركيبي:

(أحببتُها عن رضا، أحببتها عن جنون)(١٥)

التوازي هنا يُعزّز الجانب الإيقاعي ويُكثّف العاطفة.

ج. التصريع والتدوير:

• استخدم التصريع في مطالع القصائد بشكل لافت، مما يدل على تأثره ببنية الموشحات الأندلسية:

بدا الحسنُ في طلعةِ البدْرِ يُناجي ضياءً بليلِ السّهرِ(١٦)

يقول لسان الدين في ديوانه:

أمولاي إن حُدِّثتَ عن سِحْرِ بَبِلٍ فإني بالسِّحرِ الحَثيثِ لنافِثْ(١٧)

التحليل الإيقاعي الخارجي:

١. الوزن(البسيط تام):

البحر: مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

هذا الوزن تُعدّه عروضية من البحور المتوسطة الإيقاع، يتسم بالرشاقة والإيقاع المتوازن، مناسب للتعبير عن المواقف التعبدية والتعبيرية الدقيقة، كما في هذا السياق (موضوع السحر/الكلمات الطاغية).

٢. القافية:

• الروي: كلمة «ببل» (لام مفتوحة) مقابل «نافث» (ثاء مفتوحة): رويّ مماثل الحركة (كسر)، مما يُشيع الانضباط والانسجام.

• التأسيس/الردف: «ببل» لا يظهر فيه ردف إضافي، لكن حركة الروي والفتح وحدهما تخلق "رقة" في السمع، دون قسوة أو حدة.

إما الإيقاع الداخلي والجرس الصوتي:

١. التكرار الصوتي:

تكرار صوت السين في «السحر» و«سحر» يعطي جرسًا مهموسًا رخيمًا، يُحوّل الموضوع إلى لحظة ترديد داخلي (الهمس المرتبط بالسحر، رمزيًا وسمعيًا)

٢. الترادف والوزن النصي:

بنية الجملة تُحاكي الصيغة الطقسية: «إن حُدِّثت» // «فإني ... لنافث»؛ هذا التوازي البسيط يعزز تكرارًا إيقاعيًا داخليًا، كأنه "قراءة متنبّية"(١٨).

٣. الوقف والتوازن الدلالي:

الوقفة بعد «ببل» تأخذ نوعًا من التنغيم المفاجئ: التسمية "سحر ببل" تجذب الانتباه قبل الكشف، ثم الفصل: "فإني بالسحر الحثيث لنافث" تُبرز الجواب/الاعتراف، وتتزامن مع بناء الوزن البسيط.

يقول لسان الدين بن الخطيب:

والقلب بين الحالتين مذبذبُ ولو أنني ألفيتُ طَرْفًا يُرتضى(١٩)

الوزن: بسيط تام ، يُسعف نصًا شعوريًا (القلق والتذبذب).

– القافية: «مُذبذبُ» و«يُرتضى» – روي مقاربان (ضمّة مقابل ضمّة/فتح) كما تحرس التوازن والتناقض الدرامي.

– الجرس الداخلي: تكرار اللب في «القلب، الحالتين، ألفي، طَرْفًا» يخلق جرسًا لبيًا، أي يؤسّس للشعور بالقلق الداخلي

والتردد.

يقول ابن الخطيب:

يا ليلُ طُلْ، إنّ في طولكَ راحَتي والصبحُ إن لاحَ أفنى صفوَ أوقاتي(٢٠)

التحليل الإيقاعي:

• الوزن: البيت على بحر الخفيف (فاعِلاتن مستفعِلُن فاعِلاتن).

• التفعيلات: انتظام التفعيلات الثلاثية يخلق توازنًا بين الشطرين، مع ميل البحر الخفيف إلى الإيقاع العاطفي الرقيق، وهو مناسب للتعبير عن الشجن والحنين.

• القافية: حرف الروي هو التاء المكسورة، ما يمنح إحساسًا بالانكسار واللين، وهو منسجم مع نغمة الحزن في المعنى.

• الإيقاع الداخلي: تكرار حرف اللام في "ليل"، "طُل"، "طولك"، يعزز النغمة الممتدة، وكأن الشاعر يطيل زمن الليل صوتيًا كما يتمنى معنويًا.

يقول ابن الخطيب:

سَقَيتُ روضَكَ من دمعي وما نَضَبا حتى غدا الدمعُ يجري فيه وانسكَبا(٢١)

التحليل الإيقاعي:

• الوزن: بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن).

• التفعيلات: إيقاع الكامل المتدفق يعكس فيض المشاعر وتدفق الدموع، وكأن الإيقاع يحاكي الانسكاب الذي يصفه الشاعر.

• القافية: حرف الروي الباء الممدودة بألف الإطلاق يعطي جرسًا قويًا وامتدادًا صوتيًا يحاكي الامتداد الزمني للبكاء.

• الإيقاع الداخلي: التكرار الصوتي لحرف الباء في "نضبا" و"انسكبا" يخلق رنينًا خفيفًا يشبه صوت قطرات الماء.

يقول لسان الدين بن الخطيب:

ألا أيُّها الساقي إليكَ المُشتكى قد آنَ لي أن أرتويَ من النّدى(٢٢)

التحليل الإيقاعي:

• الوزن: بحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن).

• التفعيلات: الوافر يتميز بإيقاعه الدائري المتماوج، وهو ما ينسجم مع نداء الشاعر وطلبه المكرر.

• القافية: حرف الروي الألف المقصورة يضفي إحساسًا بالانفتاح والامتداد، فيعكس حالة الترقب والرجاء.

• الإيقاع الداخلي: تكرار النداء "ألا أيها" في بداية البيت يخلق إيقاعًا إنشائيًا يلفت الانتباه ويعطي للقصيدة دفعة صوتية قوية.

رابعًا: علاقة الإيقاع بالمعنى:

الإيقاع لم يكن عند ابن الخطيب مجرد زخرفة صوتية، بل أداة توصيلية تُسهم في بناء المعنى وتشكيل الإحساس الشعري. الإيقاع في الشعر—لا سيما الأندلسي—لغةٌ ثانية للمعنى: يحدّد سرعة الشعور، ويُركّز الدلالة، ويُنشئ ذاكرة صوتية للنص. وعند لسان الدين بن الخطيب يتجسّد هذا بجلاء: اختيارٌ محسوب للبحر، وصياغةٌ واعية للقافية والوقف، وتطويعٌ للجرس الداخلي؛ فتخرج القصيدة حدثًا سمعيًا يوازي معناها اللغوي ويُتمّمه.

ففي قصائده الغزلية، اختار البحور الخفيفة والإيقاعات الرقيقة لتُعبر عن الرقة والعاطفة. أما في مقطوعاته التأملية أو

الفلسفية، فجنح إلى الإيقاع المتزن الذي يعكس عمق الفكرة وثقل المعنى(٢٣).

يقول لسان الدين بن الخطيب:

ومتى أفنى الليالي بالنّوى

لا تَراني غيرَ باكٍ أو شَجِي(٢٤)

الإيقاع الهادئ هنا يُوازي الحالة الوجدانية الشجية.

خامسًا: التأثر بالموشحات والزجل:

تأثر ابن الخطيب ببنية الموشح والزجل في استخدام التكرار والتنغيم، مما أضفى على قصائده طابعًا موسيقيًا غنيًا. بعض المقاطع تقترب من البناء الموشحي من حيث توزيع القوافي وتنوع الجُمل.

إن السياق العام للموشحات والزجل في الأندلس الموشحات ظهرت في القرن الرابع الهجري بالأندلس، وأدخلت تعدّد القوافي وتنوّع المقاطع (خرجة، أقفال، أبيات) بدل النمط العمودي الصارم.

وإن الزجل تطوّر لاحقًا على يد ابن قزمان وغيره، واستعمل اللهجة الدارجة والمزج بين الفصحى والعامية، مع التزام لحن غنائي بسيط وسهل الحفظ. كلا الفنين يعكسان روح الحياة الأندلسية، الانفتاح على الغناء والموسيقى، والتأثر بالأجواء الاجتماعيةالمتنوعة(٢٥).

وإن مظاهر التأثر بالموشحات هي:

١. تنويع الإيقاع والقافية:

• في بعض مقاطعه، حتى العمودي منها، نلمح روح الموشح في الانتقال بين أوزان خفيفة أو استعمال تكرار القوافي داخل البيت.

• إدخال رديف صوتي يذكّر بلازمة الموشح، يعيد النغمة في نهاية كل مقطع.

٢. الجرس الغنائي:

• يجنح إلى البحور ذات الإيقاع الغنائي مثل الرمل والوافر، ويكثر من المدود والتكرارات الصوتية.

• هذا يخلق إحساسًا "بالمقطع الغنائي" حتى في نصوص المدح أو التأمل.

٣. الاهتمام بالصورة الجزئية اللامعة:

• الموشحات تعتمد أحيانًا على ومضات وصفية قصيرة، وهي تقنية يوظفها ابن الخطيب بإيجاز شديد داخل أبياته(٢٦).

إما مظاهر التأثر بالزجل هي:

١. التقارب مع اللغة المحكية:

• رغم التزامه بالفصحى في الديوان، يستخدم أحيانًا تراكيب مألوفة وسهلة، بما يقربه من روح الزجل في البساطة والانسيابية.

٢. الطابع الاحتفالي:

• بعض مقاطع الوصف أو الغزل عنده تحمل روح "السهرة الغنائية" التي نجدها في الزجل، من حيث الإيقاع المتراقص وتتابع الصور المرحة.

٣. التكرار الشعوري:

• تكرار لفظ أو جملة بصيغة النداء أو التحسّر، وهو ملمح أصيل في الزجل لإبراز العاطفة.

وقد بين أثر الموشح والزجل في «الشعر والسحر»:

• في القصائد الغزلية والوصفية: يكثر من القوافي المردوفة والمدود الطويلة، ما يمنح النصوص أنفاسًا غنائية تشبه الموشح.

• في المقطوعات القصيرة: يقترب من روح الزجل من حيث خفة التركيب، ووضوح المعنى، وسرعة الانتقال بين الصور.

• توزيع الجمل الشعرية: يميل أحيانًا إلى مقاطع قصيرة متتالية، وكأنها "أغصان" أو "أقفال" في الموشح.

• التأثير النفسي: الإيقاع يتنقّل بين الهدوء الرخو والسرعة الراقصة، مما يوازي التنويع النغمي في الغناء الأندلسي.

وهنالك قيمة الفنية لهذا التأثر لقدأعطى شعر ابن الخطيب حيوية صوتية وجعله قريبًا من المتلقي العام والنخبة معًا. جعل نصوصه قابلة للأداء الشفهي والغنائي، ما يفسّر حضورها في المجالس الأدبية. أسهم في دمج الإرث العمودي العربي بروح التجديد الأندلسية، ممهدًا لانتقال كثير من الأنماط الشعرية إلى المغرب والأندلس المتأخر.

يقول لسان الدين بن الخطيب:

يا نسيمَ الروضِ، قل لي هل رأيتَ الطيفَ يُجلي؟(٢٧)

النبرة الغنائية والنداء الرومانسي هنا مستوحاة من روح الزجل والموشحات.

الخاتمة:

يتّضح من خلال دراسة البنية الإيقاعية في ديوان الشعر والسحر لابن الخطيب أن هذا الشاعر الأندلسي لم يكن يهتم بالمضامين وحدها، بل أولاها إطارًا موسيقيًا متقنًا يتكامل مع المعنى ليصنع تجربة شعرية متكاملة. تنوّعت الإيقاعات الخارجية والداخلية في شعره، وتفاعلت مع الدلالات لخلق نوع من السحر الفني الذي يليق باسم الديوان.

وتؤكد هذه الدراسة أن الإيقاع عند ابن الخطيب ليس أداة فنية فحسب، بل عنصر دلالي يوظف بذكاء لرفد المحتوى الجمالي والعاطفي للقصيدة.

الهوامش:

١. ينظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار النشر بيروت ـ لبنان، د.ط، ص٢٢.
٢. ينظر: الموشحات الاندلسية وأثرها في الشعر العربي، عبد العزيز الأهواني، دار النشر بيروت ـ لبنان ، د.ط، ص٤٣.
٣. الخصائص الايقاعية في الموشحات والازجال الاندلسية، خالد يوسف، دار الفكر ، دمشق ،٢٠٠١م، ص٣٥.
٤. ينظر: التكوين الموسيقي في الشعر الأندلسي ، عبد الرحمن السليمان، مكتبة دار السلام، الرياض ،٢٠٠٥م، ص٤٤.
٥. المصدر نفسه.
٦. ينظر: خصائص الايقاعية في الموشحات والازجال الاندلسية، خالد يوسف، ص٤٠.
٧. المصدر نفسه ، ص٤٢.
٨. ينظر:الموشحات الاندلسية وأثرها في الشعر العربي، عبد العزيز الأهواني ، ص٣٣.
٩. المصدر نفسه ، ص ٣٦.
١٠. ديوان الشعر والسحر، ابن الخطيب ،تحقيق: د. احسان عباس ، دار النشر دار الثقافة ـ بيروت، ص٤٢.
١١. في الموسيقى الشعرية ، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦م، ص٣٤.
١٢. ديوان الشعر والسحر، ابن الخطيب ،تحقيق: د. احسان عباس، ص٥٦.
١٣. المصدر نفسه ، ص٥٨ .
١٤. المصدر نفسه، ص٥٥ .
١٥. المصدر نفسه ،ص٦٠.
١٦. المصدر نفسه ، ص٦٤.
١٧. المصدر نفسه، ص٦٦.
١٨. تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص٤٤.
١٩. ديوان الشعر والسحر، ابن الخطيب ،تحقيق: د. احسان عباس،ص٧٥.
٢٠. المصدر نفسه، ص٦٦.
٢١. المصدر نفسه، ص٦٨.
٢٢. المصدر نفسه، ص٧١.

٢٣ـ تاريخ الأدب الأندلسي، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٤، ص٦٧.
٢٤. ديوان الشعر والسحر، ابن الخطيب ،تحقيق: د. احسان عباس،ص ٦٥.
٢٥ـ الإبداع الفني في الشعر الأندلسي ،محمد رضوان الداية، دار الفكر دمشق،١٩٨٣م، ص٣٣.
٢٦ـ الإيقاع في الشعر العربي، بدوي طبانة ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، ص٤٥.
٢٧ـ البنية الإيقاعية في الشعر العربي، عبد العزيز حمودة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢،ص٤٤.

المصادر والمراجع:

١. الإبداع الفني في الشعر الأندلسي ،محمد رضوان الداية، دار الفكر دمشق،١٩٨٣م.
٢. الإيقاع في الشعر العربي، بدوي طبانة ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.
٣. البنية الإيقاعية في الشعر العربي، عبد العزيز حمودة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.
٤. الايقاع في الشعر الاندلسي، محمد الغزي، دار الغرب الإسلامي ، تونس ١٩٩٥م.
٥. تاريخ الأدب الأندلسي، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٤.
٦. تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٥.
٧. التكوين الموسيقي في الشعر الأندلسي ، عبد الرحمن السليمان، مكتبة دار السلام، الرياض ،٢٠٠٥م.
٨. الخصائص الايقاعية في الموشحات والأزجال الاندلسية، خالد يوسف، دار الفكر ، دمشق ،٢٠٠١م.
٩. ديوان الشعر والسحر، ابن الخطيب ،تحقيق: د. احسان عباس ، دار النشر دار الثقافة ـ بيروت.
١٠. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار النشر بيروت ـ لبنان، د.ط.
١١. في الموسيقى الشعرية ، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦م.
١٢. الموشحات الاندلسية وأثرها في الشعر العربي، عبد العزيز الأهواني، دار النشر بيروت ـ لبنان ، د.ط.

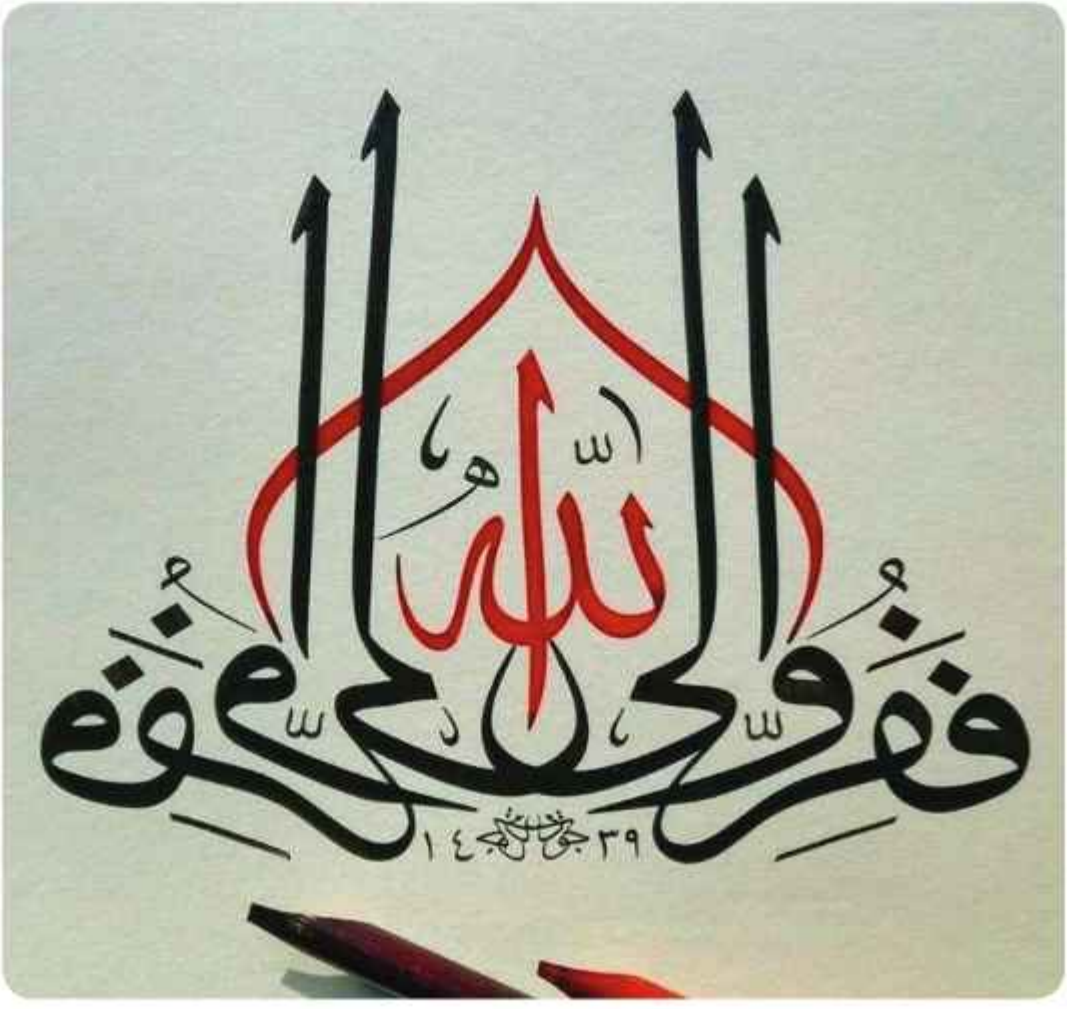

الآثار الاجرائية المترتبة على مبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون في قانون المرافعات المدنية(دراسة تحليلية مقارنة)

الباحثة. عهود هادي وادي أ.د. احمد سمير محمد ياسين
جامعة كركوك/ كلية القانون والعلوم السياسية



المستخلص:

اقتضَتِ الضَرورةُ الإجرائيَةُ الأخذَ بتطبيقِ مبدأ عدمِ جوازِ الاعتذارِ بالجهلِ بالقانونِ على جميعِ الأعمالِ القضائيَةِ المتعلّقةِ بتقديمِ الدّعوى المدنيّةِ، وذلكَ حفاظًا على حقوقِ المتنازعينَ ومراكزِهم القانونيّةِ. إذ لا يُقبلُ من أحدٍ أن يتذرّعَ بجهلِه بالقانونِ تحرّيًا من الالتزامِ بأحكامِه، إذ أنّ المشرّعَ قد أحاطَ الإجراءاتِ القضائيّةَ بجملةٍ من القواعدِ التي تُنظّمُ كيفيّةَ مباشرتِها وشروطَ صحّتِها، تحقيقًا للغايةِ المقصودةِ من كلّ إجراءٍ يتّخذهُ الخصمُ، منعًا للتحايلِ أو إساءةِ استعمالِ الحقوقِ تحتَ ذريعةِ الجهلِ بالقانونِ ، ولمّا كانتِ الإجراءاتُ القضائيّةُ تُعدُّ من الأعمالِ القانونيّةِ التي تنظمُها قواعدُ قانونِ المرافعاتِ المدنيّةِ، فإنّ الإخلالَ بها يترتّبُ عليه جزاءٌ إجرائيٌّ يُجسّدُ الأثرَ المترتّبَ على تطبيقِ مبدأ عدمِ جوازِ الاعتذارِ بالجهلِ بالقانونِ، وما ينشأُ عنه من آثارٍ احترازيّةٍ تُسهمُ في تحقيقِ الانضباطِ الإجرائيّ وصيانةِ العدالةِ القضائيّةِ.

الكلمات المفتاحية:(الجهل بالقانون، اجراءات التقاضي، الآثار الاجرائية، العدالة القضائية).

Abstract:

Procedural necessity necessitated the application of the principle of non-excusability of ignorance of the law to all judicial proceedings related to filing a civil lawsuit, in order to preserve the rights and legal status of disputants. No one may invoke ignorance of the law as an excuse to evade compliance with its provisions, as the legislator has encompassed judicial procedures with a set of rules regulating their conduct and the conditions for their validity. This is to achieve the intended purpose of every action taken by the opposing party and to prevent fraud or abuse of rights under the pretext of ignorance of the law. Since judicial procedures are considered legal acts regulated by the rules of civil procedure, any violation thereof entails a procedural penalty that embodies the effect of applying the principle that ignorance of the law cannot be an excuse, and the resulting precautionary effects that contribute to achieving procedural discipline and maintaining judicial justice.

Keywords: ignorance of the law, litigation procedures, procedural effects, judicial justice.

المقدمة:

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، الذي شرع لنا من الدين أكمله، وبعث إلينا من الرسل أفضلهم وخاتمهم ، أما بعد ...فأننا سوف نوضح مقدمة بحثنا الموسوم (الآثار المترتبة على مبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون في قانون المرافعات المدنية) وفق الفقرات الآتية:

أولاً : التعريف بموضوع البحث وبيان اهميته:

يُعد مبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون من المبادئ الأساسية التي يقوم عليها النظام القانوني، إذ يفترض المشرّع علم جميع الأفراد بأحكام القوانين بعد نشرها في الجريدة الرسمية، وقد جاء هذا المبدأ لضمان استقرار المعاملات وصون الحقوق ومنع التحايل على القانون باتخاذ الجهل ذريعة للإفلات من المسؤولية القانونية ، وفي نطاق قانون المرافعات المدنية، تترتب على تطبيق هذا المبدأ آثار إجرائية بالغة الأهمية، إذ يؤدي جهل الخصوم بالإجراءات أو مواعيدها إلى سقوط حقهم في

مباشرة بعض الإجراءات القضائية، كالطعن أو الاعتراض على الحكم ضمن المدد المحددة قانوناً ، أو عدم تقديم الدفوع بالشكلية الاجرائية التي يقررها القانون ، أو يؤدي إلى بطلان ما اتُخذ منها على خلاف الشكل أو الأوضاع المقررة. فالمشرّع قد أحاط الأعمال الإجرائية بجملة من القواعد الآمرة التي توجب على الخصوم مراعاتها، ضماناً لحسن سير العدالة وتحقيقاً لمبدأ المساواة بين أطراف الدعوى ،كما أن القضاء لم يقف موقفاً جامداً إزاء هذه القاعدة، بل اضطلع بدورٍ فاعل في تقييد آثارها متى ترتب على تطبيقها ضرر فادح أو إخلال بحق الدفاع، فعمل في بعض الحالات على إيقاف أو تخفيف الجزاءات الإجرائية، مستنداً إلى مبادئ العدالة والإنصاف ومقتضيات حسن النية في التقاضي. وهكذا توازن المحاكم بين صرامة النص وروح القانون، ضماناً لتحقيق العدالة الإجرائية وصون حق التقاضي المكفول دستورياً.

ثانياً: مشكلة البحث وتساؤلاته :

تتمثل مشكلة هذا البحث في تحديد الآثار القانونية والإجرائية التي تترتب على الإخلال بمبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون في نطاق قانون المرافعات المدنية، إذ يثير هذا الإخلال إشكاليات متعددة تتصل بسقوط الحقوق الإجرائية للخصوم نتيجة جهلهم بمواعيد أو إجراءات التقاضي، أو بطلان التصرفات القضائية التي تتم على خلاف الأوضاع التي رسمها القانون، الأمر الذي قد يؤدي إلى الإضرار بمراكزهم القانونية وعرقلة سير العدالة ، وكما تتجلى المشكلة أيضاً في بيان مدى سلطة القضاء في مواجهة هذه الآثار، ولا سيما في الحالات التي يترتب فيها على تطبيق المبدأ بصورة جامدة حرمان أحد الخصوم من حقه في الدفاع أو التقاضي.

هذا فضلاً عن ان البحث يطرح العديد من التساؤلات لعل ابرزها :

١- ما الآثار التي تترتب على جهل الخصوم بالإجراءات القضائية ؟ والى ما تؤدي بالخصومة ؟

٢- مدى حدود تدخل القضاء لإيقاف أو التخفيف من اعمال الجزاءات الإجرائية تحقيقاً للتوازن بين احترام النص القانوني وضمان العدالة الإجرائية.

ثالثاً: منهجية البحث :

اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التحليلي المقارن، وذلك من خلال تحليل ومقارنة نصوص قانون المرافعات المدنية العراقي رقم(٨٣) لسنة ١٩٦٩ النافذ المعدل مع القوانين المقارنة الاخرى كل من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم (١٣) لسنة ١٩٦٨ وقانون الاجراءات المدنية الفرنسي رقم (١١٢٣) لسنة ١٩٧٥، كما سوف نتطرق للمنهج التطبيقي الذي سنعمل من خلاله على مزج الجانب النظري بالعلمي وذلك بالاستشهاد بالقرارات والأحكام القضائية.

رابعاً : هيكلية البحث:

ارتأينا ان يكون تقسيم موضوع بحثنا المتمثل (الآثار الاجرائية المترتبة على مبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون في قانون المرافعات المدنية) وفق الآتي:

المبحث الأول : الآثار الاجرائية لتطبيق مبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون في قانون المرافعات المدنية

المطلب الأول : سقوط حق الخصم في مباشرة الاجراء القانوني

المطلب الثاني : بطلان الاجراء القضائي المخالف للشكلية

المبحث الثاني : الآثار الاحترازية الناجمة عن تطبيق مبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون في قانون المرافعات المدنية

المطلب الأول : تصحيح الاجراء القضائي المعيب في الدعوى المدنية

المطلب الثاني : دور القضاء في تفادي اعمال الجزاءات الاجرائية

الآثار المترتبة على مبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون في قانون المرافعات المدنية

القانون هو الخطاب الموجه الى كافة أفراد المجتمع يهدف الى تنظيم سلوكهم ويكون مقترن بجزاء قانوني تكفله الدولة لكل من يخالف احكامه ، ففعالية القانون وعدالته يستلزمان علم الافراد بكافة التشريعات التي تنشر في الجريدة الرسمية

تحقيقاً للاستقرار القانوني وحفظاً للنظام (١)، لذلك اقتضت الضرورة الاجرائية الأخذ بتطبيق مبدأ» عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون في قانون المرافعات المدنية» على كافة الأعمال القضائية أثناء تقديم الدعوى المدنية ، للمحافظة على حقوق المتنازعين ومراكزهم القانونية، وبما أن القانون يسري على كافة اطراف الدعوى المدنية ،ولا يُقبل من أحد ادعاؤه بعدم علمه به تهرّبًا من الالتزام بأحكامه، فإن الخصم يكون مسؤولاً عن جهله وإهماله وتقصيره بعدم المعرفة ، إذ لا يستطيع القاضي المدني أن يباشر وظيفته القضائية إلّا بناء على طلب يقدم من أحد اطراف النزاع للنظر به (٢) ، لذلك استلزم الأخذ بتطبيق هذا المبدأ في قانون المرافعات المدنية، إذ إن «الاعتذار بالجهل بالقانون» يتمثل بالإخلال بالالتزام بالإجراءات القضائية الواجبة الاتباع عند بدء الخصومة والنظر بها إلى حين إصدار الحكم وتقديم الطعون بالدعوى، فالإجراءات القضائية تُعدّ الوسيلة لاستعمال الحقوق وأداء الواجبات وهي محلّ للحق والواجب الإجرائي، فهي عبارة عن وسائل شُرعت لأجل توفير الحماية القضائية للمتقاضين في الدعوى المدنية (٣)، وقد أحاط المشرّع هذه الإجراءات بسلسلة من أحكام القانون تحدد كيفية ممارستها وشروط صحتها لغرض تحقيق الغاية المرجوة من كلّ إجراء يتخذه الخصم، وذلك منعًا للتحايل وإساءة استعمال الحقوق وأداء الواجبات الإجرائية بحجة الجهل بأحكام القانون ، وكون الإجراءات القضائية أعمالًا قانونية تنظمها القواعد الإجرائية في قانون المرافعات المدنية، ، فإن الأثر الذي يترتب على هذه المخالفة يتمثل بفرض الجزاء الإجرائي (٤)، المترتب على قاعدة الاعتذار بالجهل بالقانون، والآثار الاحترازية الناجمة عن تطبيق هذا المبدأ. ولتفصيل ما ذكرناه آنفًا، وللإحاطة بحيثيات الموضوع من كل جوانبه، ارتأينا تقسيم هذه الدراسة الى المبحثين التاليين على النحو الآتي:

المبحث الاول:

الآثار الاجرائية لتطبيق مبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون في قانون المرافعات المدنية

ويُقصد بالآثار الإجرائية أي النتائج القانونية المترتبة على تطبيق أو عدم تطبيق قاعدة معينة، وذلك في سياق السير بالإجراءات القضائية، فكلّ عمل إجرائي يتمّ عن طريق تنظيم القاعدة القانونية له، فهي تحدد شروطه ومدى ملائمته وتضمن صحة العمل فيه، وفي حال مخالفته لأحكام تلك القواعد القانونية تترتب عليه آثار إجرائية تحدّ منه، هذه الآثار إما أن تكون جزاءات إجرائية يفرضها النظام القانوني لردع الإخلال وعدم الالتزام بما يفرضه القانون، أو تكون جزاءات مالية أو عقابية (٥)، وعليه فإن حق اللجوء إلى القضاء طلباً للحماية القانونية يجب أن يتم بالشكلية القانونية التي يحددها القانون، وتُعدّ الدعوى من أهم الوسائل التي نظمها قانون المرافعات لضمان حماية الحقوق، والخصومة باعتبارها الوسيلة التي تحقق أهداف الدعوى بالحصول على الحكم في الادعاء الذي يُطرح على المحكمة، فهي تتكون من عدّة إجراءات قضائية شكلية تتمّ تبعاً للوسائل التي ينصّ عليها القانون، لا تبعاً للوسيلة التي يتخذها من يقوم بها (٦)، فالقانون هو المسؤول عن تنظيم إجراءات الخصومة بشكل تتبعي في كلّ مرحلة تمر بها الخصومة ، بذلك تتمثل الآثار الإجرائية بالجزاءات التي تُفرض على الخصوم عند إخلالهم بالشكلية الإجرائية نتيجة احتجاجهم بجهلهم بالقواعد القانونية بسقوط حقهم بالتمسك بالقيام بالعمل الإجرائي أو بطلان ذلك العمل، وهذا ما سنبيّنه في المطلبين الآتيين:-

المطلب الأول:

سقوط حق الخصم في مباشرة الاجراء القانوني:

يُعدّ السقوط من أشد وأخطر الجزاءات التي ترد على الحق الإجرائي، إذ يترتب عليه زوال هذا الحق وزوال الحق الموضوعي. ونظراً لما ينطوي عليه هذا الجزاء من صرامة قانونية، فقد عمدت بعض التشريعات إلى حصر حالاته وتنظيم شروطه، وذلك للحدّ من آثاره وضمان عدم إساءة استعماله، وعلى الرغم من أن قانون المرافعات المدنية قد أقر للخصوم حقوقاً إجرائية باعتبارها وسائلاً لحماية حقوقهم الموضوعية، إلّا أنه قيد ممارسة هذه الحقوق بآجال محددة، ورسم لها ترتيباً قانونياً يجب اتباعه، وعليه، فإن جهل الخصم بهذه المواعيد أو إغفاله لها، أو مخالفته للترتيب الذي حدده القانون في تقديم الدعوى أو الدفع أو الطعن، يؤدي إلى سقوط الحق الإجرائي، وهو سقوط نهائي لا يقبل الإحياء أو التجديد (٧)،

والحق الإجرائي في جوهره وسيلة قانونية تهدف إلى حماية الحق الموضوعي، شأنه في ذلك شأن القواعد العامة للإجراءات، التي يُفترض فيها أن تكون أدوات تنظيمية تخدم الحقوق الموضوعية، وتسهم في تقريرها وحمايتها قضائياً (٨) لذلك فإن السقوط كجزاء إجرائي يُعدّ أداة تشريعية لضمان عدم إطالة أمد الخصومة، لما يترتب على ذلك من إنهاك للأطراف وزيادة في الكلفة والوقت، لذا لم يترك المشرّع تلك الحقوق الإجرائية تحت تصرف الخصوم دون قيد، بل حدد لها آجالاً زمنية يتعيّن ضمنها مباشرة الإجراءات، فإذا ما تقاعس الخصم عن استعمال الحق الإجرائي خلال المدّة المقررة له قانوناً بحجة اعتذاره بجهله بالمواعيد الاجرائية، فإن حقه في مباشرته يسقط، ولا يُعتد به بعد فوات الأجل المقرر (٩). إذ ان من حالات سقوط الحق الاجرائي في الفقه والتشريع يعود الى ثلاثة اسباب رئيسية ناتجة عن جهل الخصوم بالقيام بالإجراءات القضائية ، نتناولها على النحو الآتي:

أولها: انقضاء الأجل القانوني المقرر لمباشرة الحق الإجرائي دون أن يُمارسه صاحبه خلال المدة المحددة، ويُطلق على هذا المفهوم أيضاً مصطلح «الميعاد الإجرائي» (١٠)، ويُقصد به تلك الفترة الزمنية التي يحددها القانون لمباشرة إجراء قضائي معين، بحيث يُقيّد بها هذا الإجراء لضمان انتظام سير الخصومة، ويهدف المشرّع من تحديد هذه المواعيد إلى منع التراخي غير المبرر في اتخاذ الإجراءات، وتحقيق غاية الوصول إلى الفصل في النزاع خلال أجل معقول، لذلك يقع على عاتق الخصوم العلم بتلك المدد وعدم الاعتذار بالجهل بها، كما أن احترام هذه المواعيد يُراعي متطلبات العدالة الإجرائية من خلال الحفاظ على ضمانات التقاضي، وتوفير فرصة كافية للخصوم لإعداد وسائل دفاعهم، بما يُجسد مبدأ حرية الدفاع ويكفل تحقيق التوازن بين أطراف الخصومة (٢٢)، فإذا لم يُباشر صاحب الحق الإجرائي حقه خلال الميعاد المحدد قانوناً، وذلك بعدم اتخاذ الأعمال الإجرائية التي تُظهر ممارسته لهذا الحق جهلاً منه، فإن المشرّع يرتب على هذا الإخلال جزاء السقوط ومثال ذلك الحق في الطعن في الأحكام ، وقد نصّ المشرّع العراقي صراحةً على تقرير جزاء السقوط في حال مباشرة صاحب الحق الإجرائي لحقه خارج المدّة المحددة قانوناً، وذلك في المادة (١٧١) (١٢) من قانون المرافعات المدنية العراقي، إذ وضع المشرّع من خلالها مواعيداً حتمية أجاز للخصوم خلالها الطعن في الأحكام، بحيث يؤدي تجاوز تلك المدد دون استعمال الحق إلى سقوطه، باعتبار أن تلك المواعيد تمثل حدوداً زمنية لا يجوز تخطيها حفاظاً على استقرار المراكز القانونية ، كما نصّت المادة (٢٠٤) (١٣) من قانون المرافعات المدنية العراقي على أن مدّة الطعن في القرارات التمييزية هي ثلاثون يوماً، وذلك بالنسبة لأحكام محاكم البداءة، ومحاكم المواد الشخصية، والأحوال الشخصية، وكذلك قرارات محاكم الاستئناف، وتُحتسب هذه المدة ابتداءً من اليوم التالي لتاريخ التبليغ بالحكم، أو من اليوم الذي يُعدّ فيه الحكم مُبلغاً قانوناً وفقاً لأحكام القانون.

وضماناً لحقوق الخصوم يتم اطالة المدة المحددة للطعن إلى اليوم الذي يليه إذا ما انتهت المدّة بحصول عطلة رسمية(١٤)، بهذا الاتجاه قضت محكمة التمييز الاتحادية بقرار لها جاء فيه (١٥) «لدى التدقيق...حيث تأيّد للمحكمة من خلال التحقيقات التي أجرتها قانونية تبليغ المدعى عليه/ المميز بقرار الحكم الصادر بحقه غيابياً من محكمة بداءة كركوك بالعدد ١٢٥٨/ب/٢٠٢٢ في ٢٠٢٢/٨/١٥ ، بالتالي يكون الاعتراض واقعاً بعد مضي المدّة القانونية البالغة عشرة أيام، ويكون قرار رده شكلاً قد جاء تطبيقاً سليماً لأحكام القانون، وحيث إن محكمة الاستئناف وبحكمها المميز قد ذهبت إلى تأييده، لذا قرر تصديق الحكم المميز ورد الطعن التمييزي مع تحميل المميز رسم تمييزه...».

ولم يكن التشريعان المصري و الفرنسي بعيدان عما سار عليه التشريع العراقي ، ففي قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري النافذ المعدل نصّ في المادة (٢١٥) على أنه في الأحوال التي يخول فيها القانون للخصم حقاً إجرائياً معيناً، ويُلزمه بمباشرة العمل المستند إلى هذا الحق ضمن أجل محدد أو وفق ترتيب معين مرتبط بأعمال الخصومة وعناصرها، وعدم التزام الخصم بذلك يُفضي إلى سقوط حقه الإجرائي، بحيث لا يجوز له إعادة مباشرة هذا العمل مجدداً، ومن ثم يُعد السقوط في قانون المرافعات جزاءً إجرائياً يترتب على عدم ممارسة الحق الإجرائي في الإطار الزمني أو الترتيب أو الظرف الذي حدده القانون لمباشرته، الأمر الذي يؤدي إلى انقضاء هذا الحق وزوال آثاره الإجرائية (١٦)، أما في قانون الاجراءات

المدنية الفرنسي فقد حدد في المادة (٥٣٨) منه مواعيد تقديم الطعون بالاستئناف بالطرق العادية بشهر واحد في المسائل الخلافية، وخمسة عشر يوماً في الحسنات كما أسماها، أي أنه حدد فترة معينة لوجود الحق فإذا انقضت هذه المدد لا يعود للحق وجود، عندئذ يعدّ الحق أنه سقط (١٧).

ثانياً: سقوط الحق الاجرائي نتيجة لعدم اتباع الترتيب الذي رسمه القانون لممارسة الحقوق الإجرائية

إن الإجراءات القضائية وإن تعددت وتنوعت، فإنها جميعًا تتجه نحو غاية واحدة هي تحقيق الحماية القضائية المطلوبة من قبل الخصوم، إذ يقع على عاتقهم معرفة الكيفية التي تتم بموجبها وعدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون بالكيفية التي تباشر بها تلك الاجراءات، مما يقتضي تنظيمها بشكل لا يسمح باتخاذها جميعًا دفعة واحدة أو بصورة عشوائية، ولهذا يُلزم القانون بمباشرتها وفق تسلسل زمني ومراحل محددة، ويُعين لكل مرحلة ما يلزمها من إجراءات وفق ترتيب معيّن يضمن انسجامها مع باقي مراحل الخصومة. وإن مخالفة هذا الترتيب الذي أوجبه القانون من شأنه أن يؤدي إلى سقوط الحق في اتخاذ الإجراء، لا سيما في نطاق الدفوع الشكلية (١٨) ، كما تناول المشرّع العراقي في مواضع عدّة من قانون المرافعات المدنيّة مبدأ تقييد إرادة الخصوم في ممارسة حقوقهم الإجرائيّة، وبيّن الحالات التي يُشترط فيها اتباع ترتيب قانوني معيّن تحت طائلة سقوط الحق، ومن أبرز هذه الحالات ما ورد بشأن عدم جواز الجمع بين دعاوى الحيازة والمطالبة بالملكية، حيث نصّت المادة (١٢) من قانون المرافعات المدنية على أنه لا يجوز الجمع بين دعاوى الحيازة، التي يهدف منها إلى حماية الحائز متى توافرت شروطها، وبين الدعوى المتعلقة بأصل الحق، أي المطالبة بالملكية وإلّا يسقط ادعائه بالحيازة ، والسبب في ذلك اختلاف طبيعة كلّ منها واختلاف الاساس الذي تستند عليه (١٩) ، كما تناول المشرّع حالات ردّ القاضي، وهي من صور التقييد الإجرائي التي تهدف إلى الحفاظ على حيادية القاضي ، ومنع تأثره بانفعالات قد تمسّ موضوعيّة الحكم، وقد نصّ على ذلك في عدة مواضع تحت عنوان «ردّ القاضي»(٢٠)، باعتباره ضمانة أساسية في حسن أداء الوظيفة القضائية (٢١)، ويؤكد ذلك ما ورد في المادتين (٧٣) و(٧٤) من القانون ذاته، حيث نُظّمت الدفوع الشكلية بترتيب وجوبي يجب الالتزام به، وعدم التذرع بالجهل بتقديمها وفق الصيغ القانونية المحددة لها، إذ يجب إبداؤها قبل التطرق إلى موضوع الدعوى، وإلّا سقط الحق في التمسك بها، وهو ما يشكّل تطبيقاً مباشراً لمبدأ ترتيب الإجراءات تحت طائلة الجزاء، حيث يحدد المشرع زمناً لإتخاذ الاجراء متمثل بإبداء الدفع قبل أيّ إجراء آخر، وهو التعرض لأصل الحق في الدعوى (٢٢)، أما فيما يتعلق بطرق الطعن، فقد أوجب المشرع اتباع ترتيب معيّن للطعن في الأحكام وهو ما يستفاد من التطبيق العملي لنظام ترتيب طرق الطعن ووجوب احترام مراحله الإجرائية. بهذا قضت محكمة تمييز اقليم كردستان بقرار لها (٢٣) جاء فيه « ... قرر رد الطعن التمييزي ، لأن الدفوع التي أثارها المميز يجب ابداؤها عن طريق الاعتراض على الحكم الغيابي ، وليس عن طريق الطعن التمييزي... «

من خلال ما تمّ طرحه يتبين لنا أن عدم سلوك الخصوم للطرق والترتيب الذي رسمه القانون للسير بالإجراءات بحجة جهله بها، تكون دعواه بهذه الحالة واجبة للرد شكلاً، بالتالي سقوط حقه.

ثالثاً: تنازل الخصم عن حقه الاجرائي

يُعدّ التنازل الصريح أو الضمني من الخصم عن حقه في اتخاذ إجراء نتيجة جهله بأن التنازل يسقط حق مقرر لمصلحته من الأسباب المؤدية إلى سقوط الحق الإجرائي، كما في حالة تنازل المحكوم عليه بصفته (الطرف الخاسر في الدعوى) عن حقه في الطعن بالحكم نتيجة جهله بإحكام الطعون، ففي كلتا الحالتين، يترتب على هذا التنازل سقوط الحق في الطعن (٢٤). فقد اجازت المادة (١٦٩) من قانون المرافعات المدنية العراقي للخصم أن يتنازل عن حقه بالطعن بالأحكام بشرط أن يحصل التنازل أمام المحكمة بشكل صريح أو بورقة مصدقة من كاتب عدل، وإذا كان محل التنازل هو الحق الإجرائي، فإنه يشترط أن يكون هذا الحق مملوكًا لصاحبه، أي أن يكون الطلب أو الطعن أو الدفع موضوع التنازل غير متعلق بالنظام العام. ويجوز أن يصدر التنازل عن الإجراء أو الورقة الإجرائية من أي من أطراف الخصومة، سواء المدعي أو المدعى عليه، كما في حالة التنازل عن الدعوى الحادثة ، ولا يتوقف تحقق التنازل على موافقة الطرف الآخر، إلّا أنه

يُشترط أن يكون التنازل صريحًا، ولا يشترط أن يُحرر كتابيًا، بل يجوز أن يتم شفاهةً في محضر الجلسة (٢٥)، وبهذا قضت محكمة التمييز الاتحادية بقرار لها (٢٦)بأنه»... لا يقبل الطعن ممن أسقط حقه بالطعن اسقاطاً صريحاً وتنازل عنه أمام المحكمة، استناداً لأحكام المادة (١٦٩) من قانون المرافعات...» .

وخلاصة ما تمّ بيانه يتضح لنا أن من الآثار الاجرائية التي تترتب على خصوم الدعوى أثناء السير فيها هو سقوط حق الخصم في حال عدم التزامه بالمواعيد الإجرائية التي حددها القانون فلا يقبل من الخصوم اعتذارهم بالجهل بتلك المواعيد ومباشرتها، إذ إن هذا التنظيم للالتزام بتلك المدد القانونية يستند إلى استقرار الأحكام القضائية ، ومنع الخصوم من التسويف والاغفال أو اهمال الدفاع عن حقوقهم ومراكزهم القانونية ، وضمان احترام تحقيق القضاء العادل العاجل.

المطلب الثاني:

بطلان الاجراء القضائي المخالف للشكلية الاجرائية:

يُعدّ لجوء المتقاضيين إلى القضاء مؤشراً على رقي المجتمع وتقدّمه، إذ إن الاعتراف بحق التقاضي يُكرّس مبدأ سيادة القانون ، ويُضفي طابعاً حضارياً على العلاقات القانونية ، غير أن تمكين الخصوم من ممارسة هذا الحق لا يعني إطلاقه دون قيد، بل يتعيّن أن يكون مقترناً بحسن النية وعدم التعسف، ومن ثم فإن مخالفة مقتضيات حق التقاضي، ولا سيما ما يتعلق منها بالإجراءات الشكلية، سواء نتيجة جهل الخصوم أو إهمالهم في متابعتها، يُعدّ خروجاً عن الغاية التي شرع من أجلها هذا الحق (٢٧)، ويُشكل تعسفاً في استعماله، وهو ما يستوجب التدخل القضائي لوضع حدّ لهذا الانحراف صوناً لحسن سير العدالة ، والبطلان هو أحد الجزاءات التي فرضها المشرع على كلّ خصم يخالف الإجراء الشكلي المتبع في تقديم الخصومة، فهدف المشرع هو تنظيم هذا الجزاء لأجل توفير الحماية القضائية للحقوق والمراكز القانونية بأقل تكلفة ، وأقل إجراءات بما يضمن تحقيق عدالة فاعلة بين أطراف الدعوى ، فهو جزاء ذو آثار خطيرة ، لذلك فهو مبغوض من الكافة سواء من القاضي حينما يحكم به أو من الخصوم عند إثارته ،كذلك المشرع فإنه يعتبر هذا الجزاء من أخطر الجزاءات التي تعصف بالخصومة فتوقفها (٢٨)، وعلى الرغم من أن قانون المرافعات المدنية لم ينظم نظرية البطلان بنصّ صريح، إلّا أنه أخذ بها ونصّ عليها بين ثنايا نصوصه، وفي العديد منها، ومنها ما ورد في نصّ المادة (٢٧) (٢٩) من قانون المرافعات المدنية العراقي، التي نصت على بطلان التبليغ القضائي في حال شابه عيب أو نقص يفوّت الغاية منه، وتقابلها المادة (٢٠)(٣٠) من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري، التي نصّت على بطلان العمل الإجرائي في حال لم تتحقق الغاية منه كما بينت المادة المذكورة أن مبدأ البطلان في التشريع المصري قائم على تحقق الغاية من العمل الاجرائي ،كذلك ما نصّ عليه قانون الإجراءات المدنية الفرنسي في المادة (١١٤) منه، التي أقرت الحكم بالبطلان كجزاء إجرائي في حال أثبت من تمسك به أنه قد سبب له ضرراً ، وذلك في غير الحالات التي يتعلق فيها البطلان بشكل جوهري أو يكون البطلان متعلق بالنظام العام (٣١)، إضافة إلى ذلك فقد نصّ قانون المرافعات المدنية العراقي في المادة (٥٠)(٣٢) منه على أسباب بطلان عريضة الدعوى المدنية في حال شابها عيب أو نقص أو خطأ، حيث أشار قانون المرافعات من خلال هذه المواد ونصوص أخرى إلى بطلان كلّ عمل إجرائي باعتبار أن البطلان هو جزاء على مخالفة الشكلية الإجرائية التي يرسمها القانون ضمن أطر قانونية معينة ، فلا يقبل من أحد الخصوم التمسك بالبطلان بحجة الاعتذار بجهله بالقانون ،إذ نظّم المشرّع «جزاء إبطال عريضة الدعوى المدنية «في قانون المرافعات المدنية ضماناً لقيام الخصوم بالواجبات الإجرائية المُلقاة على عاتقهم أثناء تقديم الخصومة، وذلك من أجل توفير الحماية القضائية التي يطلبها الخصوم لحقوقهم ومراكزهم القانونية، بأقل تكلفة ، وفي أقصر مدّة يمكن أن تُباشر فيها تلك الإجراءات، تحقيقًا للعدالة، والقضاء على ظاهرة البطئ في التقاضي، التي تؤدي إلى تراكم الدعاوى أمام المحاكم، وبالتالي عرقلة سير العدالة (٣٣)، لذا أفرد قانون المرافعات المدنية جملة من تلك الواجبات الإجرائية التي ألزم الخصوم بها، تحقيقًا لاعتبارات النظام القضائي، ولضمان التزام الخصوم بتنفيذ تلك الواجبات، قرر فرض جزاء إجرائي يترتب على إهمال الخصوم في تنفيذ واجباتهم رغم تذرعهم بجهلهم بالقانون ، أو بوجود قوة قاهرة حالت دون تنفيذهم لتلك الواجبات والمتمثلة في إبطال عريضة الدعوى.

فعلى الرغم من تنوّع تلك الأسباب التي يترتب عليها جزاء الإبطال، فقد قصد المشرّع من خلالها حثّ الخصم على متابعة العمل الإجرائي في الخصومة، تحقيقًا للسرعة في اتخاذ الإجراءات ضمن الآجال التي يحددها القانون أو القضاء (٣٤)، لكن هذا الإهمال يجب أن تتحقق فيه شروط لفرض جزاء الإبطال، وباعتبار أن واجبات الخصوم الإجرائية محددة بموجب القانون، فإن تقدير مدى الإهمال وتحديد شروطه يعتمد على النصوص القانونية التي تقرر هذه الواجبات ، ويمكن بيان هذه الشروط على النحو الآتي:

الشرط الأول: أن يقع الإهمال ويُنسب إلى الخصم المكلّف بالواجب الإجرائي

ويتحقق هذا الشرط بامتناع الخصوم عن القيام بواجباتهم الإجرائية التي يفرضها القانون عليهم، وعدم التزامهم بالمدد القانونية المحددة لكلّ إجراء ( )، بحجة جهلهم بها، إذ إن هذا الامتناع يعدّ صورة سلبية من صور السلبية الإجرائية التي تتجلى في عدم مباشرة الخصم للإجراء المكلف به، مما يترتب عليه جزاء البطلان وفقاً لأحكام قانون المرافعات المدنية ( )، باعتباره اخلالاً بمتطلبات النظام الإجرائي وخرقاً للآجال المقررة قانوناً. مما يعني أن إهمال الخصم لواجبه الذي يترتب عليه فرض جزاء ابطال عريضة الدعوى يتحقق بواقعة سلبية هي عدم التزام الخصم بالواجبات الإجرائية التي تفرض عليه خلال المدد المحددة قانوناً للقيام بها ، إذ يُستوى في تطبيق جزاء إبطال عريضة الدعوى أن يكون إهمال الخصم في تنفيذ واجبه الإجرائي ناتجاً عن عمد أو عن سهو أو نسيان أو جهل، إذ لا يُشترط لفرض هذا الجزاء أن يترتب على الإهمال ضررٌ فعلي يصيب الخصم الآخر، بل إن المحكمة تلتزم بالحكم بإبطال عريضة الدعوى بمجرد تحقق الإهمال، ولو لم يترتب عليه ضرر، ذلك أن القانون قد حدد مسبقًا الواجبات الإجرائية الواقعة على عاتق الخصم، مستهدفًا من ذلك تحقيق مصالح محددة، وافترض حصول الضرر لتلك المصالح بمجرد الإخلال بتلك الواجبات ( ).

الشرط الثاني: أن يقع الإهمال في واجب اجرائي نصّ عليه القانون

يُشترط في الإهمال حتى يكون سببًا موجبًا لإعمال جزاء الإبطال أن يرد على واجب إجرائي نصّ عليه قانون المرافعات المدنية ، وأوجب على الخصم التقيد به، وعليه فإن المحل الذي يرد عليه الإهمال المؤدي إلى «إبطال عريضة الدعوى المدنية « يقتصر على الواجبات الإجرائية التي تحددها نصوص القانون الإجرائي ( )، وبما أن تلك الواجبات تتنوع بحسب المرحلة التي تمر بها الخصومة، وبحسب الغاية التي تستهدفها الإجراءات المرتبطة بها، فإن الجزاء الذي يترتب على الإهمال في تنفيذها يتنوع تبعًا لذلك، مما يجعل جزاء الإبطال إحدى صور الجزاءات الإجرائية التي تترتب على الإخلال بتلك الواجبات ، و يمكن القول: إن الإهمال المؤدي إلى» إبطال عريضة الدعوى المدنية «هو ذلك الإهمال الذي يقع محله على الواجبات الإجرائية المنصوص عليها وفق القانون، وعلى وجه الخصوص الإهمال المتعلق بأحد الواجبات الإجرائية الثلاثة، وهي: واجب الحضور ( )، وواجب تسيير الخصومة، وواجب تنفيذ أوامر المحكمة ،

الشرط الثالث: تحقق الإهمال في أطار زمني محدد أو بانقضاء مدّة معينة

كما ويُشترط في الإهمال لكي يُعدّ سببًا موجبًا لإبطال عريضة الدعوى المدنية أن يتحقق ضمن إطار زمني محدد أو بانقضاء مدّة معينة، إذ إن المشرّع عند فرضه واجبًا إجرائيًا على الخصم يقرنه بمهلة زمنية أو موعد إجراء محدد يجب عليه الالتزام به، وفي حال إخلاله أو امتناعه عن تنفيذ ذلك الواجب ضمن الموعد المقرّر قانونًا جهلاً منه، يكون معرضًا لفرض جزاء الإبطال ضده( ) ، هذه الحالات وغيرها نصّ عليها قانون المرافعات المدنية، والتي أوجب فيها على الخصوم الالتزام بالنصوص القانونية والمدد والآجال المحددة فيها، ومن يتخلف عن ذلك يكون معرضًا لفرض جزاء الإبطال عليه ( ).

خلاصة ما تقدم، يتبيّن لنا أن جزاء البطلان من الجزاءات الإجرائية التي اعتمدها المشرع بإلزام الخصوم بها نتيجة تقاعسهم أو إهمالهم أو جهلهم في تنفيذ الواجبات الإجرائية المسيرة للخصومة، وفق مدد معيّنة حدّدتها نصوص القانون. والمشرع العراقي شأنه شأن التشريعات المقارنة قررهذا الجزاء كأثر اجرائي يترتب على إهمال الخصوم بتنفيذ ما يفرضه عليهم القانون من واجبات اجرائية سواء حصل هذا الاهمال عن عمد أو جهل أو سهو، وبالقياس على قاعدة «عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون» يتضح أن قانون المرافعات قد أوجب بطلان العمل الإجرائي في حال تذرّع الخصم بجهله في تنفيذ

أحكام القانون للتهرب من المسؤولية، إذ لا يُقبل من أحد الاعتذار بالجهل بأحكام القانون، إلّا في أحوال استثنائية قد تُجبر الخصم على عدم مباشرة تنفيذ تلك الواجبات، كحالة القوة القاهرة. إلّا أن جزاء البطلان الإجرائي يَرِدُ على مخالفة الخصم وإهماله بعدم إتمام واجباته الإجرائية اللازمة للسير في الخصومة.

المبحث الثاني:

الآثار الاحترازية الناجمة عن تطبيق مبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون في قانون المرافعات المدنية:

ضماناً للاستقرار القانوني في المجتمع بعدم جواز فتح المجال لاعتذار الخصوم بجهلهم بالقانون، وللحيلولة دون تأبيد الخصومة وسرعة الفصل فيها، تحقيقًا للحماية القضائية التي يسعى الخصوم من خلالها إلى ضمان حقوقهم ومراكزهم القانونية، تترتب آثار احترازية يقتضي على الخصوم الالتزام بها وفق ما يرسمه القانون خلال مدد معينة، وذلك لضمان تحقيق الغاية المرجوة من العمل الإجرائي. وتتمثل هذه الآثار بتصحيح العيب الإجرائي الذي يشوب العمل القضائي ، ويؤدي إلى بطلانه، وبيان دور القضاء في توجيه الخصوم لتلافي تلك العيوب الإجرائية التي تصيب إجراءات الخصومة وتؤدي إلى عرقلة سير العدالة، وهذا ما سنتطرق لبيانه في المطلبين التاليين على النحو الآتي:

المطلب الأول:

تصحيح الاجراء القضائي المعيب في الدعوى المدنية:

يقصد بتصحيح الإجراء القضائي المعيب، إزالة العيب الذي يعتري الإجراء القابل للبطلان، بما يؤدي إلى زوال أثر ذلك العيب ، وضمان استمرار صحة الخصومة ، ويكتسب هذا التصحيح أهمية بالغة في القوانين الإجرائية بالنظر إلى أن المشرع كثيرًا ما يعتمده كوسيلة لتلافي إهدار الوقت والجهد، وتحقيق الاستقرار في سير الدعوى. إذ يهدف المشرع من تقرير التصحيح إلى استمرار الخصومة القضائية، وتحقيق غايتها النهائية دون أن تعترضها العقبات أو الإشكالات التي قد يثيرها تقرير بطلان الإجراء القضائي المعيب ( )، حيث إن للإجراءات القضائية المدنية دور جوهري في عمل القضاء، إذ تُعدّ الأداة الأساسية التي لا تنعقد الخصومة القضائية دونها ، فمن خلالها تُباشر المطالبة القضائية أمام المحاكم المدنية، وهي التي تُنظّم مراحل السير في الدعوى ابتداءً من رفعها ومرورًا بإجراءاتها المختلفة، حتى صدور الحكم الفاصل في موضوعها. بل إنها تصل في بعض القوانين إلى مرحلة تنفيذ الأحكام ، غير أن أحد إجراءات الدعوى قد يشوبه في بعض الأحيان عيبٌ يؤثر في توافر الشروط الشكلية أو الموضوعية اللازمة لذلك الإجراء، مما يترتب عليه اختلالٌ في صحته ، وحينذاك نكون بصدد إجراء قضائي معيب من شأنه أن يمسّ مصلحةً أقرها القانون لأحد الخصوم، أو يُعدّ مخالفة للنظام العام، وقد يتعدى أثره إلى التأثير في سلامة إجراءات أخرى مرتبطة بالدعوى ، وفي مثل هذه الحالة قد تجد المحكمة نفسها ملزمة بتوقيع جزاء إجرائي مناسب نتيجة العيب الذي لحق الإجراء القضائي، سواء بناءً على دفعٍ يُقدمه أحد الخصوم، أو من خلال ما تثيره المحكمة من تلقاء نفسها للعيب المفترض ( )، والتساؤل الذي يمكن إثارته هنا هو هل يستطيع الخصم التمسك ببطلان الاجراء القضائي في حال اعتراه عيب فوت الغاية منه؟ أم يمكن تصحيح هذا العيب وسقوط حق الخصم بالتمسك بالبطلان بحجة جهله بإجراءات التصحيح وفق احكام القانون؟

وللإجابة عن هذا السؤال حريٌّ بنا أن نبيّن أن قانون المرافعات المدنية العراقي لم ينظم حالة تصحيح الإجراء القضائي المعيب في ثنايا نصوصه ؛ لكونه لم يتضمن نظرية عامة بشأن معالجة العيوب الإجرائية التي تعيق الإجراء القضائي، وبناءً عليه لم يرد في نصوصه حكم خاص بتصحيح الإجراء المعيب، ومن ثم صار من اللازم على التشريعات المقارنة أن تجد فلسفة خاصة لمعالجة هذا الإشكال، والعمل على حصره في أضيق نطاق ممكن حفاظًا على استقرار الخصومة القضائية وسلامة الإجراءات ( ). هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن المحكمة قد لا تلجأ مباشرة إلى فرض جزاء الإبطال نتيجة العيب الذي يعتري الإجراء القضائي، بل تسعى إلى تصحيح ذلك الإجراء وفقًا لنصوص القانون، وبالطرق التي تزيل بها العيب وتحقق الغاية من الإجراء القضائي، وذلك لغرض ضمان حسن سير الخصومة وحسمها. فمن الملاحظ أن القوانين الإجرائية لم تنص على تعريفه، بل اكتفت بتنظيم حالة العيب الذي يصيب الإجراء القضائي ويؤدي إلى بطلانه

بتصحيحه، كما هو الحال في القوانين المقارنة ( )، ومن جانب آخر فقد عرف الفقه الإجراء المعيب بأنه « ذلك العيب الذي يجعل من الإجراء القضائي غير مطابق لنموذجه القانوني ، ويترتب عليه عدم إنتاج الآثار القانونية للإجراء»( )، فقد يتم تصحيح الاجراء القضائي المعيب بعدّة وسائل، منها : أن يتم التصحيح رغم عدم زوال العيب في الإجراء، وفي حالة أخرى يتم التصحيح بإزالة ذلك العيب الذي يعتري الإجراء القضائي عن طريق إزالة الجزء المعيب منه حتى نحصل على إجراء سليم قانوناً يترتب عليه أثر قانوني، وما سارت عليه القوانين الإجرائية في نصوصها القانونية هو تصحيح الإجراء المعيب بزوال العيب منه. حيث يتم تصحيح الإجراء المعيب بعدّة حالات: الأولى أن يتمّ التصحيح بتحقق الغاية من الاجراء ، والحالة الثانية أن يتمّ التصحيح عن طريق تكملة الإجراء المعيب، وذلك بإزالة الجزء المعيب منه وتصحيحه بإجراء آخر صحيح، والحالة الثالثة عن طريق التصحيح بالحضور، وهذه الحالة تختص بالتبليغات القضائية في قانون المرافعات المدنية، وهذا ما سنبينه كالتالي :-

أولاً: تصحيح الإجراء القضائي بتحقق الغاية من الشكل المعيب

في حال كان العيب الذي يعتري الإجراء يؤدي إلى بطلانه، فإن المشرع قرر إمكانية تصحيح هذا البطلان إذا تحققت الغاية من الإجراء رغم وجود العيب فيه ( )، وقد أخذ المشرع العراقي بهذه الطريقة وبيّنها في نصوصه القانونية. فإذا ما ثبت تحقق الغاية من الإجراء المعيب، فإن تلك الغاية تؤدي إلى زوال العيب الشكلي الذي شاب ذلك الإجراء ، وهذا ما نصّت عليه المادة (٢٧) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ والمعدل ، أما في قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري، فقد نصّت المادة (٢٠) منه على بطلان الإجراء في حال نصّ القانون صراحةً على ذلك، أو في حال شاب الإجراء عيب لم تتحقق معه الغاية من الإجراء. ولكن لا يُحكم ببطلان الإجراء بالرغم من وجود نص قانوني عليه، إذا ثبت تحقق الغاية من ذلك الإجراء ( ). ونلاحظ أن القوانين الإجرائية أخذت بهذه الطريقة ونصّت عليها في ثنايا نصوصها، حيث اعتبرت تحقق الغاية معيارًا للحكم بالبطلان، ويُبنى الحكم بالبطلان على مقدار تحقق الغاية من الإجراء المعيب أو عدم تحققها، فإذا تحققت الغاية المرجوة من الإجراء، فلا يكون لفرض جزاء البطلان أي محل. أما إذا لم تتحقق الغاية، فيُفرض جزاء البطلان نتيجة تعيب ذلك الإجراء.

ثانياً: تصحيح الإجراء القضائي المعيب بالتكملة:

يقصد به «إضافة المقتضى الذي ينقص الإجراء، أو تصحيح المقتضى المعيب فيه ، حيث إن الإجراء القضائي يكون معيبًا وبالتالي باطلًا في حال نقصت فيه إحدى المقتضيات التي يتطلبها القانون لاعتباره صحيحاً، فإذا أمكن تكملة الإجراء يجب أن تتوافر فيه جميع المقتضيات الشكلية والموضوعية بصورة صحيحة، عندها يعدّ الإجراء صحيحاً « ( )، أما بالنسبة لموقف القوانين الإجرائية، ومنها قانون المرافعات المدنية العراقي رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ النافذ المعدل، من طريقة التصحيح بتكملة الإجراء المعيب، فلم يضع نظرية عامة لتنظيم العيوب الإجرائية_كما بيننا سابقًا_ والتي قد تؤدي بالإجراء المعيب إلى البطلان، ولا يوجد فيه حكم خاص لمثل هذه الحالات، إلّا أنه بالرجوع لنصوصه القانونية نلاحظ أنه قد أخذ بإمكانية التصحيح في حال وجود نقص أو خطأ يعتري عريضة الدعوى المدنية، الأمر الذي يؤدي معه إلى تجهيل المدعى عليه أو يؤدي إلى صعوبة تبليغه، فتطلب المحكمة من المدعي تصحيح ذلك العيب خلال مدّة معينة، وإلّا تبطل عريضة الدعوى ( )، أي أن القانون العراقي ترك للمحكمة السلطة في تنبيه المدعي بالعيب الذي يعتري عريضة الدعوى، وخولها أن تطلب منه إصلاحه خلال مدّة تحددها ذات المحكمة، وفي حال مخالفة المدّة لأوامر المحكمة، ولم يلتزم بالتصحيح تقرر المحكمة إبطال عريضة الدعوى ( )، بهذا الاتجاه قضت محكمة استئناف البصرة بصفتها التمييزية بقرار لها جاء فيه» بعد التدقيق والمداولة...أن وكيل المدعي لم يحضر في الموعد المحدد للمرافعة، ولم يرسل معذرة مشروعة تبرر عدم حضوره، ورغم تجاوز الوقت المحدد للمرافعة. لذلك يصبح قرار المحكمة بإبطال عريضة الدعوى منسجمًا مع حكم القانون...» ( ) تعليقاً على القرار أعلاه يتبين لنا أن المدعي أو من ينوب عنه لم يلتزم بالمدّة المحددة لحضور المرافعة لسبب غير مشروع مما حدا بالمحكمة أن تقرر ابطال عريضة الدعوى.

أما في القوانين المقارنة، فقد نصّ قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم(١٣)لسنة ١٩٦٨ النافذ والمعدل، على جواز تصحيح الإجراء المعيب ولو بعد التمسك بالبطلان، بشرط أن يتمّ ذلك خلال المدّة التي يحددها القانون ، وفي حال عدم وجود مدّة محددة تتولى المحكمة تحديد ميعاد مناسب لتصحيح الإجراء، ويُعتد بالإجراء من تاريخ تصحيحه ( )، وتجدر الإشارة إلى أن القانون المصري لم يبيّن بشكل صريح أن هذه الطريقة تُعدّ تصحيحًا بطريق التكملة، إلّا أنه من خلال نصّ المادة (٢٣) منه، يمكن إعمال هذا التصحيح وفق هذه الطريقة . بهذا قضت محكمة النقض المصرية بأنه «... إذا حُكم ببطلان الصحيفة لرفعها باسم شركة تحت التصفية دون ذكر اسم المصفى الذي له تمثيلها القانوني أمام القضاء، فإن تدخل الممثل القانوني للشركة (المصفى) أثناء المرافعة يُعدّ تصحيحًا للبطلان...» ( )، أما موقف المشرع الفرنسي من طريقة تصحيح الإجراء القضائي المعيب بطريق التكملة، فقد نصّ عليه بصورة تفصيلية في المادة (١١٥) من قانون الإجراءات المدنية الفرنسي، التي بيّنت كيفية تصحيح العيوب الشكلية بالتكملة ، وقد نصّت على أن التمسك بالبطلان يمكن أن يزول في حال أُجري تصحيح لاحق للإجراء المعيب، ما لم يوجد مانع من ذلك، وبشرط ألّا يكون العيب قد ألحق ضررًا .إلى ذلك، ذهب القضاء الفرنسي في أحد قراراته إلى أنه»... إذا رفع شخص، بصفته ممثلًا لمجموعة مالكي عقار على الشيوع، استحضارًا قبل تنظيم هذه الملكية ونشوء جمعية مالكي الشقق في العقار، ثم بعد تنظيم الملكية جرى تصحيح الاستحضار بمنح الممثل من جديد الصلاحية اللازمة لمتابعة الدعوى، فإن هذه الدعوى تُعدّ صحيحه ...» ( ) مما تقدم نلاحظ أن القانون العراقي والقوانين المقارنة قد أخذت بالتصحيح بالتكملة للإجراء القضائي المعيب ضماناً لتسيير الخصومة ، ورفع العراقيل التي تؤدي إلى إطالة أمد النزاع بين الخصوم.

ثالثاً: تصحيح الاجراء القضائي المعيب بالحضور

إن القاعدة العامة في القانون، والمتمثلة بمبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون، تقضي بأن مجرد جهل الخصوم بأحكام القانون الإجرائي، ومنها الأحكام المتعلقة بصحة التبليغ وطرق تصحيحه، لا يُعفي الخصم من آثارها، ولا يمنحه إمكانية الطعن في تلك الإجراءات استنادًا إلى جهله بها، ففي حالة ما إذا حضر خصم المدعي في موعد المرافعة على الرغم من وجود عيب في ورقة التبليغ، كأن يكون هناك خلل في ذكر أحد بيانات التبليغ كوقت المرافعة، فهل يستطيع الخصم رغم حضوره المرافعة أن يتمسك ببطلان التبليغ القضائي بحجة جهله بوجود عيب جوهري في ورقة التبليغ؟ وهل يمكن تصحيح ذلك العيب لتلافي بطلان الإجراء؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نبيّن أن تصحيح العيب الذي يعتري الإجراء القضائي المتمثل في التبليغ القضائي يتميز بخاصية ينفرد بها عن بقية الإجراءات، إذ إن حضور المراد تبليغه، أو من ينوب عنه في الموعد المحدد للمرافعة رغم وجود عيب في ورقة التبليغ يؤدي إلى تحقق الغاية من الإجراء، وبذلك تنتفي العيوب الجوهرية أو الضرر الذي قد ينشأ عنها، ومن ثم لا يكون هناك محل للتمسك ببطلان التبليغ، وتسمى هذه الطريقة تصحيح العيب الإجرائي بالحضور( )، باعتبار أن هذا الحضور يسقط معه الحق في التمسك ببطلان التبليغ ( )، وبالتالي فإن حضور الخصم لموعد المرافعة حتى مع عدم علمه المسبق بموعدها، يرتب أثره القانوني المتمثل في سقوط الحق في التمسك ببطلان التبليغ، التزاماً بما استقر عليه القضاء من أن تحقق الغاية من الإجراء يغني عن الشكل، ما دام لم يلحق بالخصم ضرراً. وقد نصّ قانون المرافعات المدنية العراقي بصورة صريحة على هذه الطريقة، أي التصحيح بالحضور في المادة (٧٣) ( )منه، التي بيّنت زوال بطلان التبليغ في حال حضور المبلّغ به في اليوم المحدد للمرافعة. وبما أن قانون المرافعات المدنية العراقي نصّ في المادة (٢٧) منه على بطلان التبليغ في حال شابه نقص أو عيب يخلّ بصحته أو يُفقده الغاية منه، فإنه جاء في المادة (٧٣) من ذات القانون ، وأكد أن حضور المبلّغ إليه في موعد المرافعة يحقق الغاية من التبليغ، مما يؤدي إلى زوال العيب الإجرائي بحضوره. وعليه لا يكون للقاضي أن يحكم ببطلان التبليغ في حال دفع الخصم بالتمسك به استنادًا إلى المادة (٢٧) من قانون المرافعات المدنية، طالما تحقق الغرض المقصود من التبليغ بحضور الخصم ( )

بذلك قضت محكمة التمييز الاتحادية في قرار لها بأن» لدى التدقيق والمداولة...و لدى عطف النظر على الحكم

المميز، وُجد أنه غير صحيح ومخالف لأحكام الشرع والقانون، لأن حضور المعترض عليه جلسات المرافعة في الدعوى الاعتراضية يزيل أي خلل في التبليغ، بما في ذلك البطلان...» ( ).

أما في القوانين المقارنة، فإن التشريع المصري أخذ هو الآخر بطريقة التصحيح بالحضور، ونصّ عليها بين ثنايا نصوصه في المادة (١١٤) من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري النافذ والمعدل، حيث بيّن خلالها أن حضور المُعلن إليه جلسة المرافعة يزيل بطلان أوراق التكليف بالحضور الناشئ عن وجود عيب في التبليغ ، أو عيب في بيان اسم المحكمة ( ) ، ونلاحظ هنا أن القانون المصري كان أوسع نطاقًا في تطبيق طريقة التصحيح بالحضور مقارنةً بالقانون العراقي الذي قصر نطاق التصحيح بالحضور على العيوب التي تعتري التبليغات القضائية.

أما القانون الفرنسي المتمثل بقانون الإجراءات المدنية الفرنسي، فلم ينص صراحةً على الأثر المترتب على حضور المراد تبليغه ، أو من ينوب عنه قانونًا في حال شاب التبليغ عيب يخلّ بصحته، بل ترك حكم هذه الحالة بالرجوع إلى أحكام القواعد العامة المسؤولة عن تنظيم العيوب المؤدية إلى بطلان الإجراءات في قانون المرافعات الفرنسي ( )، إذ اشترطت المادة (١١٤) منه على الخصم إثبات الضرر الذي يلحقه العيب الذي يترتب عليه البطلان، ويُطبق هذا الحكم على حالة حضور المبلّغ إليه في حال شاب التبليغ عيب ما، ومع ذلك فقد استقر القضاء الفرنسي في قراراته على أن حضور المدعى عليه وإبداءه دفوعه أثناء الجلسات ينفي حصول الضرر الذي قد يترتب في حال وجود عيب يعتري ورقة التبليغ ( ).

المطلب الثاني:

دور القضاء في تفادي اعمال الجزاءات الاجرائية

القضاء يعني فن الفصل بالدعوى بما يضمن التطبيق السليم لأحكام القاعدة القانونية للوصول لحكم عادل فيها ، إذ يقع على عاتق القاضي تولي إقامة العدل بين طرفي الدعوى بتقرير الحكم وفق الأطر القانونية فيما يرفع إليه من نزاعات، فالقاضي هو الذي يقرر حق الخصم إذا أنكره الغير، أو اعتدى على مركزه القانوني ( ). حيث إن نزاهة القاضي وعدالته تُعدّان من المرتكزات المهمة لضمان حق التقاضي، إذ إن الغاية المرجوة من ممارسة هذا الحق، والمتمثلة في الحصول على العدالة الناجزة تظلّ رهينة بمدى التزام القاضي بالحياد وابتعاده عن مظاهر التعسف والانحياز، بما يكفل صونه من الوقوع في مزالق الجور والظلم عن طريق النأي عن خضوعه لأهوائه أو ميله لأحد أطراف الدعوى ، ويُحقق بدوره كسب ثقة الخصوم واطمئنانهم إلى ما يصدر عنه من أحكام ( ).إذ يتمتع القاضي أثناء ممارسته لمهامه القضائية بجملة من السلطات والمكنات التي أقرها له القانون، وذلك بالنظر لطبيعة عمله القضائي، وبحكم صفته كقاضٍ وما تستلزمه وظيفته من اختصاصات كما أن صفة القاضي بما تنطوي عليه من ولاية القضاء، وسلطة الأمر، والسلطة الإدارية تمنحه صلاحيات خاصة أعدها المشرع بشكل ينسجم مع متطلبات أداء وظيفته القضائية بصورة تضمن تحقيق أهدافها في صون الحقوق وإقامة العدل ( )، وبما أن التشريعات الإجرائية تسعى لضمان حسن السير بالإجراءات القضائية وفق الشكل الذي تحدده القاعدة القانونية الإجرائية، ويبدو ذلك جلياً من حرص المشرع على الحفاظ على الشكل الإجرائي ومراعاته، فلم يكن هذا الحرص عن فراغ، بل نبع من قناعته بالآثار التي تترتب على الالتزام بالشكلية الإجرائية والتي يصعب تجاهلها أثناء السير بالخصومة، كونها تضمن حسن سيرها وانتظامها، لذلك يقع على عاتق القاضي حثّ المتقاضين على ضرورة الإسراع بالإجراءات القضائية ، وعدم التقاعس عن العمل بها نتيجة إهمالهم أو جهلهم، وحتى لا يتخذ البعض منهم ذلك وسيلة للتهرب من المسؤولية عن طريق المماطلة والتسويف باتخاذ الإجراءات ، لذلك وحرصاً من المشرّع على وجوب تحقيق القضاء العادل العاجل، فقد منح القاضي دوراً إيجابياً في تفادي أعمال الجزاءات الإجرائية المتمثلة ببطلان العمل الإجرائي، حرصاً منه على فرض احترام القواعد القانونية الإجرائية من خلال الإسراع بتقديم الأعمال القضائية وعدم مخالفتها من قبل الخصوم، مما يؤدي إلى حسن السير المنتظم بالإجراءات وعدم تفويت الغاية منها ( ).

والتساؤل الذي يدور هنا بهذا الخصوص هو: هل من الممكن للقاضي أن يقضي من تلقاء نفسه بعدم الدفع بالبطلان في حال تحققت الغاية من الإجراء المعيب؟

وللإجابة عن التساؤل المطروح، ذهب جانب من الفقه ( ) إلى القول بأن القاضي يستطيع أن يرفض الدفع بالبطلان من تلقاء نفسه في حال ثبت له من خلال وقائع الدعوى ، وبيانات الإجراء المعيب الموجب للبطلان أن الغاية من الشكل أو العمل قد تحققت، سواء كان هذا الدفع متعلقاً بالنظام العام أو مقرراً لمصلحة خاصة للخصوم، ففي هذه الحالة لا يجوز للقاضي الحكم بالبطلان رغم التمسك به، وفي حالة لم يكن حكم القاضي في تقدير مدى تحقق الغاية من عدمها في الإجراء المعيب قائماً على تلك الأسباب، فإن حكمه يكون مشوباً بالقصور في التسبيب، مما يجعل ذلك الحكم قابلاً للطعن به أمام محكمة (التمييز أو النقض)، حيث تستند رقابتها على مدى منطقية ، وصحة الأسباب التي بنى القاضي حكمه عليها فيما يتعلق بالبطلان بإجراءات الدعوى المدنية محل الطعن ، بذلك قضت محكمة التمييز الاتحادية في قرار لها ( ) « لدى التدقيق والمداولة... حيث إن المحكمة ردت دعوى المدعي والتي طالب فيها بعدم نفاذ التصرف الواقع على العقار موضوع الدعوى دون أن تبين أسباب هذا الرد في حكمها وعلى ماذا اعتمدت. وحيث إن التسبيب هو حجة القاضي للناس، وإن الأحكام يجب أن تكون مشتملة على الأسباب التي بُنيت عليها، وأن تستند إلى أحد أسباب الحكم المبنية في القانون، وانه على المحكمة أن تذكر في حكمها الأوجه التي حملتها على قبول أو رد الادعاءات والدفوع التي أوردها الخصوم، والمواد القانونية التي استندت عليها، وهذا ما نصت عليه المادة (١٥٩) من قانون المرافعات المدنية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل، وحيث فات عليها ذلك، قرر نقض الحكم المميز وإعادة الدعوى إلى محكمتها للسير فيها وفق ما تقدم، مع الاحتفاظ بالرسم المدفوع. وصدر القرار بالاتفاق في ٢٠١٥/١١/٤».

كما قضت محكمة النقض المصرية على «...أن الشكل أو البيان وسيلة لتحقيق غاية، تحققها له أثره في عدم جواز القضاء بالبطلان (٢٠ مرافعات مصري)، التعرف على الغاية مسألة قانونية ووجوب التزام المحكمة بحكم القانون بشأنها، وعدم كفاية مجرد القول بتحقيقها أو تخلفها دون تسبيب سائغ...»( ).

فإذا كان الغرض من تنظيم أحكام البطلان هو تحقيق حماية المصلحة العامة إلى جانب حماية مصلحة الخصم الذي شُرعت القواعد الإجرائية لصالحه، فإنه ينبغي أن لا تنحرف هذه الأحكام عن غايتها الأساسية من تنظيم الإجراءات القضائية، والمتمثلة بتمكين الخصوم من الوصول لتحقيق القضاء العادل العاجل بأقل جهد ووقت وتكاليف ممكنة . وبهذا، تكون للسلطة التقديرية للقاضي دور إيجابي في الحدّ من اعمال الجزاءات الإجرائية المتمثلة بالبطلان في حال وجود عيب في العمل أو الشكل الإجرائي لكن تتحقق الغاية منه ، فقد تلمس المشرع، من خلال منح القاضي هذه السلطة عظم الدور الذي يقع على عاتقه في السعي لضمان سرعة حسم النزاعات بين أطراف الدعوى وتحصيل الحقيقة، وما ينتج عنها من استقرار للمجتمع، فهي غاية تشريعية عظيمة، كما أن إخراج القاضي من قوقعة الحياد السلبي لأجل تحقيق العدالة يتطلب منحه دوراً إيجابياً في تيسير الدعوى وعدم تباطؤ إجراءاتها ( ).

الخاتمة

اولاً: الاستنتاجات :

١- أقرّ الفقه الاجرائي بمبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون ضماناً لاستقرار المراكز القانونية، بحيث لا يمكن لأي خصم التذرّع بعدم علمه بالقواعد الإجرائية للتهرب من آثارها أو تجاوز مواعيدها.

٢- يترتب على الجهل بالقانون سقوط الحق الإجرائي للخصم في مباشرة الدعوى أو الطعن أو الدفاع إذا لم يباشرها ضمن المدة أو الشكل المحدد قانوناً، ويُعد هذا السقوط جزاءً لإهماله أو تقصيره، في حين الإجراء القضائي الذي يخالف الشكلية المقررة قانوناً يُعد باطلاً، لأن المشرع ربط صحة العمل القضائي بالتقيد بالنموذج الإجرائي الذي وضعه لتحقيق العدالة وضمان حقوق الخصوم.

٣- مبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون ذو طبيعة مزدوجة: من جهة، هو جزائي يفرض سقوط الحق أو بطلان الإجراء. ومن جهة أخرى، هو احترازي يهدف إلى تحقيق الانضباط القانوني وتمكين القضاء من تصحيح الأخطاء دون الإضرار بمراكز الخصوم.

٤ – للسلطة القضائية دوراً احترازياً مهماً في التخفيف من آثار الجهل بالقانون، إذ منحها المشرع صلاحية تصحيح الإجراءات المعيبة وتفادي إيقاع الجزاءات الإجرائية متى كان ذلك لا يخل بحقوق الخصوم أو النظام العام.

٥ – إذ تعدّ الآثار الاحترازية للمبدأ ضمانة أساسية لحسن سير العدالة، فهي تسمح بتدارك العيوب الشكلية البسيطة وتصحيحها بدلاً من إهدار الجهد والوقت القضائي.

ثانياً : المقترحات :

١ – نأمل بضرورة تعزيز الوعي القانوني لدى المتقاضين عبر برامج توعية وإرشاد قانوني، لتقليل حالات الجهل بالقواعد الإجرائية.

٢ – كما نقترح إدراج نصوص أكثر وضوحاً في قانون المرافعات المدنية تبيّن حدود تصحيح الإجراءات المعيبة ومتى يجوز للقاضي تجاوز الشكلية حماية للعدالة.

٣ – ونأمل توسيع سلطة القاضي في تطبيق مبدأ المرونة الإجرائية، بحيث يستطيع معالجة العيوب الشكلية البسيطة من تلقاء نفسه دون إبطال الإجراء أو إسقاط الحق، متى لم يُصب الخصم بضرر.

٤ – عادة النظر في بعض الجزاءات الإجرائية الصارمة التي تؤدي إلى سقوط الحق بسبب خطأ شكلي بسيط، واستبدالها بجزاءات أخف مثل الغرامة أو الإنذار.

٥ – إقرار نص تشريعي يكرّس مبدأ تصحيح الإجراء القضائي المعيب بصورة أكثر وضوحاً، منعاً للتفاوت في التطبيق بين المحاكم.

الهوامش:

(١) د. هيا محمد شاهين طوق ابو عينين ، التأسيس الفلسفي والتأصيل التاريخي لمبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة عين الشمس ، كلية الحقوق ، ٢٠٢٣، ص١١.

(٢) د. فرات رستم امين الجاف ، الدور التفسيري والرقابي لمحكمة التمييز الاتحادية في نطاق الدعوى المدنية ، دراسة مقارنة ، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ، ٢٠١٤ ، ص٤٣.

(٣) د. نبيل اسماعيل عمر، الوسيط في الطعن بالاستئناف في المواد المدنية والتجارية، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠٠٠، ص١٦.

(٤) د. وجدي راغب، الموجز في مبادئ القضاء المدني، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧، ص٣٥٢.

(٥) د. مصطفى سلامة عز العرب سلامة، مبدأ الأمانة الاجرائية امام القضاء المدني، بحث منشور في مجلة الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية، جامعة الاسكندرية، المجلد ٢، العدد ٣، ٢٠٢٢، ص٤٠٤.

(٦) د. فتحي والي، قانون القضاء المدني الكويتي، مطبعة جامعة الكويت، ١٩٧٧، ص١٩٩.

(٧) د. اسماعيل ناطق حسين، وكاردو محمد امين فقي محمد، سقوط الحق الاجرائي وحالاته دراسة تحليلية في القانون العراقي، بحث منشور في مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية، العدد ٢، المجلد ١٣، ٢٠٢٣، ص٢٣٨.

(٨) د. نبيل اسماعيل عمر، سقوط الحق في اتخاذ الاجراء، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤، ص١٨١.

(٩) القاضي لفته هامل العجيلي، سقوط الحق الاجرائي في قانون المرافعات المدنية، بحث منشور في مجلة التشريع والقضاء، مجلة نصف سنوية، العدد ١، السنة السابعة، ٢٠١٥، ص١٤٢.

(١٠) استخدم المشرع العراقي عبارة (المدد) لمفهوم هذا المصطلح.

(١١) د. وجدي راغب، مبادئ الخصومة المدنية، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٧، ص٤٣.

(١٢) ينظر نص المادة (١٧١) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل.

(١٣) نصت المادة (٢٠٤) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل على (مدة الطعن بطريق التمييز (٣٠) ثلاثون يوما بالنسبة لإحكام محاكم البداءة والمواد الشخصية والأحوال الشخصية والاستئناف ...).

(١٤) ينظر نص المادة (٢/٢٥) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل التي نصت على (١ – ... ٢ – اذا انتهت المدة في يوم عطلة رسمية تعدد إلى اول يوم يليه من ايام العمل).

(١٥) قرار محكمة التمييز الاتحادية، المرقم ٤٨٣٨/الهيئة الاستئنافية منقول/٢٠٢٤ والصادر بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/١٥. (غير منشور)

(١٦) د. نبيل اسماعيل عمر، سقوط الحق الاجرائي، مصدر سابق، ص١٣.

(١٧) Vasseur, délivrance du préfixe, délivrance de la prescription, délivrance de la procédure R.T.D.C. 1950.439 ; S. Guinchard, Le temps en procédure civile, Annales Clermont 1983, fasc. 20, L.G.D.J., p. 21 ets. ; M. Bandrac, La nature de la prescription éteinte dans la société civile, Ceci, Paris 1986, p. 170 ets.

(١٨) ينظر: المواد (٧٣،٧٤) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل.

(١٩) ينظر نص المادة (١٢) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل.

(٢٠) د. فارس علي عمر، سقوط الحق في مباشرة الاجراء القضائي، بحث منشور في مجلة الرافدين الحقوقية، المجلد ٢/ السنة العاشرة، عدد٢٥، ٢٠٠٥، ص٢٢١.

(٢١) ينظر نص المادة (٩٣) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل.

(٢٢) : د. اجياد ثامر الدليمي، المدخل لدراسة قانون المرافعات المدنية، دراسة مقارنة بين الفقه الاسلامي والقانون الوضعي ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠١٦، ص٩٨.

(٢٣) قرار محكمة تمييز كوردستان، المرقم ٤٧٧/ هيئة الاحوال الشخصية/ ٢٠٢٢ والصادر بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٥. مشار اليه لدى د. اسماعيل نامق حسين، العدالة وآثرها في القانون ، دار الكتب القانونية ، مصر ، ٢٠١١، ص٢٥٩.

(٢٤) ينظر المادة (١٩٦) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل.

(٢٥) عبد الرحمن العلام، شرح قانون المرافعات المدنية، ج٢، العاتك ، القاهرة ، ٢٠٠٨، ص٤١٩.

(٢٦) قرار محكمة التمييز الاتحادية، المرقم ٨٦٨٦/ هيئة الاحوال الشخصية والمواد الشخصية/٢٠٢٢ والصادر بتاريخ ٢٠٢٢/٦/١٩. منشور في النشرة القضائية لمجلس القضاء الاعلى، العدد ٥، ٢٠٢٢.

(٢٧) القاضي عواد حسين ياسين العبيدي، د. عامر عاشور عبد الله البياتي ، دراسات في القانون الخاص القانون المدني رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١ ، دار السنهوري ، بغداد ، بلا سنة نشر ، ص١٩١.

(٢٨) د. احمد هندي، التمسك بالبطلان في قانون المرافعات، دار الجامعة الجديدة للنشر ، الاسكندرية ، ١٩٩٩، ص٩.

(٢٩) نصت المادة (٢٧) في قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل على انه « يعتبر التبليغ باطلا إذا شابه عيب او نقص جوهري يخل بصحته او يفوت الغاية منه ».

(٣٠) نصت المادة (٢٠) من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري على (يكون الاجراء باطلا إذا نص القانون صراحة على بطلانه او إذا شابه عيب لم تتحقق بسببه الغاية من الاجراء).

(٣١) : د. فتحي الوالي،؛ احمد ماهر زغلول ، نظرية البطلان ، في قانون المرافعات ، ط٢، بلا مكان نشر ، ١٩٩٧، ص٢٢٧.

(٣٢) تنص المادة(٢/٥٠) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل على (١-إذا وجد خطأ او نقص في البيانات الواجب ذكرها ... ٢ – تقرر المحكمة ابطال عريضة الدعوى ...).

(٣٣) د. اجياد ثامر الدليمي، سقوط الدعوى المدنية وانقضائها بمضي المدة، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٧، ص٦٢.

(٣٤) ينظر المواد (٣/٤٧، ١/٥٠، ١/٥٤، ٢/٨٢، ٢/٨٣، ٨٧، ١/١٨٠، ١/١٩٠) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل.

(٣٥) د. عبد التواب مبارك، اعتبار الخصومة كأن لم تكن في قانون المرافعات المدنية، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص٧. نقلا عن اجياد ثامر الدليمي، مصدر سابق، ص١٣٧.

(٣٦) ينظر: المادة (٣/٤٧) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل.

(٣٧) د. اجياد ثامر الدليمي ، نظرية ابطال عريضة الدعوى المدنية ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠١٦، ص١٣٨.

(٣٨) د. عبد التواب مبارك ، اعتبار الخصومة كأن لم تكن في قانون المرافعات المدنية ، مصدر سابق ، ص٨٨.

(٣٩) ينظر المادة (٢/٥٦) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل.

(٤٠) ينظر نص المادة (٥٠) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل تقابلها المادة (١٩) من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري النافذ المعدل.

(٤١) ينظر المادة (٥٤/ ١، ٢/١٨٠، ١/١٩٠، ٨٧) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل.
(٣٢) د. عباس العبودي، شرح احكام قانون المرافعات، ط١ ، دار السنهوري ، لبنان ، ٢٠١٦، ص٢٠٢.
(٤٣) د. ثامر ناصر؛ علي دخيل، تصحيح الاجراء القضائي المعيب، بحث منشور في مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية، العدد ٤ ، السنة السادسة، ٢٠١٣، ص٢٣٥.
(٤٤) د. عباس العبودي ، شرح احكام قانون المرافعات المدنية ، مصدر سابق ، ص٢٠٢.
(٤٥) ينظر: المواد (٢٠ –٢٦) من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري، تقابلها المواد (١١٤ –١٢١) من قانون الإجراءات المدنية الفرنسي النافذ المعدل، وجدير بالذكر أنه ورد مصطلح (المخالفات الموضوعية) وليس العيوب وذلك في نص المادة(١١٧) من ذات القانون.
(٤٦) د. فتحي الوالي ؛ واحمد ماهر زغلول ، نظرية البطلان في قانون المرافعات المدنية ، مصدر سابق ، ص١٨٥ .
(٤٧) د. الانصاري حسن النيداني، القاضي والجزاء الاجرائي في قانون المرافعات، دراسة تحليلية وتطبيقية لدور القاضي في ايقاع الجزاءات الاجرائية والاعفاء منها والحد من آثارها ، ط١ ، جامعة الفيوم ، كلية الحقوق ، ١٩٩٩، ص٢٠٩.
(٤٨) د. الانصاري حسن النيداني ، المصدر السابق ، ص٢٠٩.
(٤٩) د. فتحي الوالي ؛ احمد ماهر زغلول ، مصدر سابق ، ص٦٠٩.
(٥٠) ينظر نص المادة (٥٠) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل.
(٥١) د. مدحت المحمود، شرح قانون المرافعات، ج١، ط١، المكتبة القانونية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٤، ص٨٢.
(٥٢) قرار محكمة استئناف البصرة بصفتها التمييزية، المرقم ٣٨٤/ت/ب/ ٢٠٢٤ والصادر بتاريخ ٢٠٢٤/١١/١٢. (غير منشور)
(٥٣) ينظر المادة (٢٣) من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري النافذ المعدل التي نصت على (يجوز تصحيح الاجراء الباطل ولو بعد التمسك بالبطلان على ان يتم ذلك في الميعاد المقرر قانونا لاتخاذ الاجراء فاذا لم يكن للإجراء ميعادا مقررا في القانون حددت المحكمة ميعادا مناسبا لتصحيحه ولا يعتد بالإجراء الا من تاريخ تصحيحه).
(٥٤) قرار محكمة النقض المصرية، استئناف مختلط ١٩٢٦/٢/٢٤ بيلتان ٣٨–٢٦٢. مشار اليه لدى د. فتحي والي، مصدر سابق، ص٦١١.
(٥٥) تمييز مدني فرنسي، قرار بتاريخ ١٩٨٦/١٢/١٥، البلتان المدني العام ١٩٨٦–٢–رقم ١٩٠. نقلا عن د. ثامر ناصر، تصحيح الاجراء القضائي المعيب، مصدر سابق، ص٢٥٧.
(٥٦) د. عباس العبودي ، مصدر سابق ، ص٢١٥؛ د. فتحي الوالي واحمد ماهر زغلول ، مصدر سابق ، ص٦٣٠.
(٥٧) محمد يحيى ولد احمد، اجراءات التبليغ والتنفيذ في العمل القضائي، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير مقدمة كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة عبد الملك السعدي، طنجة ٢٠١٠، ص٥٠–٢٥.
(٥٨) ينظر المادة (٧٣) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ المعدل، والمادة (١١٤) من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري النافذ المعدل، والمادة (١١٤) من قانون الاجراءات المدنية الفرنسي النافذ المعدل.
(٥٩) د. مدحت المحمود، مصدر سابق، ص١٢٢–١٢٣، والقاضي رحيم حسن العكيلي، دراسات في قانون المرافعات، ج١، ط١، مكتبة الصباح، بغداد، ٢٠٠٦، ص١٤٤–١٤٧.
(٦٠) قرار محكمة التمييز الاتحادية، المرقم ٢١٣/ هيئة الاحوال والمواد الشخصية/٢٠١٢، والصادر بتاريخ ٢٠١٢/١/٢٤. (غير منشور)
(٦١) د. عز الدين الدناصوري، وحامد عكاز، التعليق على قانون المرافعات، ج٢،مؤسسة الاهداء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٤، ص١٢٢٠
(٦٢) ينظر: المواد (١١٢، ١٢١) من قانون الاجراءات المدنية الفرنسي النافذ المعدل.
(٦٣) Civ. le ١٥ oct. ١٩٧٥، ٢٧٥ .I.No. ١٩٤٥ .Bull. Civ ;Com. ١٥ oct. ١٩٨٠، ١٣ mai .obs. JULIEN Soc ،١٦٩ .IR. ١٩٨٢ .D ;٣٣٧ .iv. No. ١٩٨٠ .Bull. Civ ،١٩٨٦ .V.No. ١٩٨٦ .Bull. Civ ;٢١٤ ١٤ janvier ١٩٨٨، J. C. P. ١٩٨٨ .IV .١ .
(٦٤) د. ضياء شيت خطاب، فن القضاء، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٤، ص٥.
(٦٥) استاذنا الدكتور. احمد سمير محمد ياسين، بان محمد عصام، نظرية التعسف في استعمال الحق وجدوى تطبيقها في

قانون المرافعات المدنية: أعمال القضاة انموذجا، بحث منشور في مجلة الدراسات المستدامة الجمعية العلمية للدراسات التربوية المستدامة، المجلد ١، العدد ٤، ٢٠١٩، ص٢٩.

(٦٦) د. نبيل اسماعيل عمر، التقدير القضائي المستقبلي في قانون المرافعات المدنية والتجارية، ط١، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ١٩٩٩، ص٧.

(٦٧) د. محمد رياض فيصل الربوعة، محل الجزاء الاجرائي في قانون المرافعات، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية، بلا مكان نشر، ٢٠٢٠، ص١١-١٢.

(٦٨) د. الانصاري حسن النيداني، القاضي والجزاء الاجرائي، مصدر سابق، ص٢١٤.

(٦٩) قرار محكمة التمييز الاتحادية، المرقم ٤٧٣٢ / هيئة مدنية/ ٢٠١٥، والصادر بتاريخ ٢٠١٥/١١/١٤.قرار منشور في النشرة القضائية، مجلس القضاء الاعلى، العدد٥، ٢٠١٥.

(٧٠) قرار محكمة النقض المصرية، طعن رقم ٤٠٧ لسنة ٧٢ ق جلسة ٢٠٠٩/٥/١١. مشار اليه لدى د. مها محمد بدران، تصحيح الاجراء الباطل في قانون المرافعات المصري والفرنسي، دراسة مقارنة، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠٢٢، ص٩١.

(٧١) د. مجاهد مهدي رشيد اللامي، سلطة القاضي في استكمال الدليل الناقص في الدعوى المدنية، رسالة ماجستير مقدمة لكلية القانون، جامعة الكوفة، ٢٠١٨، ص٢٠.

المصادر والمراجع:

أولاً : الكتب القانونية:

١- د. احمد هندي، التمسك بالبطلان في قانون المرافعات، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ١٩٩٩.

٢- د. الانصاري حسن النيداني، القاضي والجزاء الاجرائي في قانون المرافعات، دراسة تحليلية وتطبيقية لدور القاضي في ايقاع الجزاءات الاجرائية والاعفاء منها والحد من آثارها، ط١، جامعة الفيوم، كلية الحقوق، ١٩٩٩.

٣- د. اسماعيل نامق حسين، العدالة وآثرها في القانون، دار الكتب القانونية، مصر، ٢٠١١.

٤- د. اجياد ثامر الدليمي، المدخل لدراسة قانون المرافعات المدنية، دراسة مقارنة بين الفقه الاسلامي والقانون الوضعي، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠١٦.

٥- _____، سقوط الدعوى المدنية وانقضائها بمضي المدة، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٧.

٦- _____، نظرية ابطال عريضة الدعوى المدنية، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠١٦.

٧- القاضي رحيم حسن العكيلي، دراسات في قانون المرافعات، ج١، ط١، مكتبة الصباح، بغداد، ٢٠٠٦.

٨- د. ضياء شيت خطاب، فن القضاء، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٤.

٩- د. عز الدين الدناصوري، وحامد عكاز، التعليق على قانون المرافعات، ج٢،مؤسسة الاهداء للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤.

١٠- د. عباس العبودي، شرح احكام قانون المرافعات، ط١، دار السنهوري، لبنان، ٢٠١٦.

١١- د. عبد التواب مبارك، اعتبار الخصومة كأن لم تكن في قانون المرافعات المدنية، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١.

١٢- عواد حسين ياسين العبيدي، د. عامر عاشور عبد الله البياتي، دراسات في القانون الخاص القانون المدني رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١، دار السنهوري، بغداد، بلا سنة نشر.

١٣- عبد الرحمن العلام، شرح قانون المرافعات المدنية، ج٢، العاتك، القاهرة، ٢٠٠٨.

١٤- د. فرات رستم امين الخاف، الدور التفسيري والرقابي لمحكمة التمييز الاتحادية في نطاق الدعوى المدنية، دراسة مقارنة، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ٢٠١٤.

١٥- د. فتحي والي، قانون القضاء المدني الكويتي، مطبعة جامعة الكويت، ١٩٧٧.

١٦- د. فتحي الوالي؛ احمد ماهر زغلول، نظرية البطلان، في قانون المرافعات، ط٢، بلا مكان نشر، ١٩٩٧.

١٧- د. مدحت المحمود، شرح قانون المرافعات، ج١، ط١، المكتبة القانونية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٤.

١٨- د. محمد رياض فيصل الربوعة، محل الجزاء الاجرائي في قانون المرافعات، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية، بلا مكان نشر، ٢٠٢٠.

١٩- د. نبيل اسماعيل عمر، التقدير القضائي المستقبلي في قانون المرافعات المدنية والتجارية، ط١، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ١٩٩٩.

٢٠- _____، سقوط الحق في اتخاذ الاجراء، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠٠٤.

٢١- _____، الوسيط في الطعن بالاستئناف في المواد المدنية والتجارية، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠٠٠.
٢٢- د. وجدي راغب، مبادئ الخصومة المدنية، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٧.
٢٣- _____، الموجز في مبادئ القضاء المدني، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧.

ثانيا : الرسائل والاطاريح الجامعية :

١- د. هيا محمد شاهين طوق ابو عينين ، التأسيس الفلسفي والتأصيل التاريخي لمبدأ عدم جواز الاعتذار بالجهل بالقانون ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة عين الشمس ، كلية الحقوق ، ٢٠٢٣.
٢- محمد يحيى ولد احمد، اجراءات التبليغ والتنفيذ في العمل القضائي، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير مقدمة كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة عبد الملك السعدي، طنجة ٢٠١٠.
٣- د. مجاهد مهدي رشيد اللامي، سلطة القاضي في استكمال الدليل الناقص في الدعوى المدنية، رسالة ماجستير مقدمة لكلية القانون، جامعة الكوفة، ٢٠١٨، ص٢٠.

ثالثاً : البحوث والمقالات العلمية :

١- استاذنا الدكتور. احمد سمير محمد ياسين، بان محمد عصام، نظرية التعسف في استعمال الحق وجدوى تطبيقها في قانون المرافعات المدنية: أعمال القضاة انموذجا، بحث منشور في مجلة الدراسات المستدامة الجمعية العلمية للدراسات التربوية المستدامة، المجلد ١ ، العدد ٤ ، ٢٠١٩ .
٢- د. اسماعيل ناطق حسين، وكاردو محمد امين فقي محمد، سقوط الحق الاجرائي وحالاته دراسة تحليلية في القانون العراقي، بحث منشور في مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية، العدد ٢ ، المجلد ١٣، ٢٠٢٣.
٣- د. ثامر ناصر؛ علي دخيل، تصحيح الاجراء القضائي المعيب، بحث منشور في مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية، العدد ٤ ، السنة السادسة، ٢٠١٣.
٤- د. فارس علي عمر، سقوط الحق في مباشرة الاجراء القضائي، بحث منشور في مجلة الرافدين الحقوقية، المجلد ٢/ السنة العاشرة، عدد٢٥، ٢٠٠٥.
٥- القاضي لفته هامل العجيلي، سقوط الحق الاجرائي في قانون المرافعات المدنية، بحث منشور في مجلة التشريع والقضاء، مجلة نصف سنوية، العدد ١ ، السنة السابعة، ٢٠١٥.
٦- د. مصطفى سلامة عز العرب سلامة، مبدأ الأمانة الاجرائية امام القضاء المدني، بحث منشور في مجلة الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية، جامعة الاسكندرية، المجلد ٢، العدد ٣، ٢٠٢٢ .

رابعا : القرارات القضائية:

١- قرار محكمة التمييز الاتحادية، المرقم ٤٨٣٨ /الهيئة الاستئنافية منقول /٢٠٢٤ والصادر بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/١٥. (غير منشور)
٢- قرار محكمة تمييز كوردستان، المرقم ٤٧٧/ هيئة الاحوال الشخصية/ ٢٠٢٢ والصادر بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٥.
٣- قرار محكمة التمييز الاتحادية، المرقم ٨٦٨٦/ هيئة الاحوال الشخصية والمواد الشخصية/٢٠٢٢ والصادر بتاريخ ٢٠٢٢/٦/١٩. منشور في النشرة القضائية لمجلس القضاء الاعلى، العدد ٥، ٢٠٢٢.
٤- قرار محكمة استئناف البصرة بصفتها التمييزية، المرقم ٣٨٤/ت/ب/ ٢٠٢٤ والصادر بتاريخ ٢٠٢٤/١١/١٢. (غير منشور)
٥- قرار محكمة التمييز الاتحادية، المرقم ٢١٣/ هيئة الاحوال والمواد الشخصية/٢٠١٢، والصادر بتاريخ ٢٠١٢/١/٢٤. (غير منشور
٦- قرار محكمة التمييز الاتحادية، المرقم ٤٧٣٢ / هيئة مدنية/ ٢٠١٥. والصادر بتاريخ ٢٠١٥/١١/١٤.قرار منشور في النشرة القضائية، مجلس القضاء الاعلى، العدد٥، ٢٠١٥.

خامسا : المصادر الفرنسية :

Vasseur, délivrance du préfixe, délivrance de la prescription, délivrance de la 1- procédure R.T.D.C. 1950.439 ; S. Guinchard, Le temps en procédure civile, Annales Clermont 1983, fasc. 20, L.G.D.J., p. 21 ets. ; M. Bandrac, La nature de la prescription éteinte dans la société civile, Ceci, Paris 1986, p. 170 ets.

Civ. le. 15 oct. 1975. Bull. Civ. 1945.I.No. 275; Com. 15 oct. 1980, Bull. Civ. 2- 1980.iv. No. 337; D. 1982.IR. 169, obs. JULIEN Soc. 13 mai 1986, Bull. Civ. 1986.V.No. 214; 14 janvier 1988, J. C. P. 1988. IV. 1.

دور الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات الاكاديمية لدى طلبة الجامعة

م. مها صبري سالم
وزارة التربية/المديرية العامة للتربية في محافظة بغداد/الكرخ الثالثة



المستخلص:
استهدفت الدراسة التعرف على دور الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات الاكاديمية لدى طلبة الجامعة. واعتمدت الباحثة المنهج الوصفي. وشملت العينة الدراسية (٢٠٠) طالب وطالبة من جامعة بغداد. ولتحقيق اهداف البحث قامت الباحثة باعداد استبانة تقيس دور الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات الاكاديمية لدى طلبة الجامعة, بعد التحقق من خصائصها السيكومترية , وقد اظهرت النتائج ان هناك موافقة متوسطة من طلبة الجامعة على الاستبيان. وخرجت الدراسة بعدد من التوصيات والمقترحات.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، التنمية، المهارات الاكاديمية .

Abstract:

This study aimed to identify the role of artificial intelligence in developing academic skills among university students. The researcher adopted a descriptive approach, and the study sample included (200) male and female students from the University of Baghdad. To achieve the research objectives, the researcher prepared a questionnaire to measure the role of artificial intelligence in developing academic skills among university students, after verifying its psychometric properties. The results showed a moderate level of agreement among university students regarding the questionnaire. The study concluded with a number of recommendations and suggestions.

Keywords: Artificial Intelligence, Development, Academic Skills.

مشكلة البحث

لقد أدى التطور العلمي في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى إحداث تغيرات كبيرة في جميع مجالات الحياة، الأمر الذي جعل من الضروري على مؤسسات التعليم العالي مواكبة هذه التطورات بالوسائل الحديثة لتحقيق اهدافها الاستراتيجية ، وامام هذا التقدم الواسع كان لزاما على الجامعات ان تاخذ زمام المبادة في توجيه برامجها وخططها ومقرراتها نحو التعلم الرقمي ، ومع تغير العالم في المجالات المختلفة نحو توظيف التكنولوجيا والاتصالات ، حرصت مؤسسات التعليم العالي كل الحرص على تحسين عمليات التدريس والتعلم من خلال زيادة استخدام الطلبة للتكنولوجيا والمعلومات والاتصالات كمهارات مهمة للطلبة مطلوبة للنجاح في التعليم وفي الحياة بعد التخرج (Liebenberg& Hendrik,٢٠١٩,p.١) .

ومن خلال توصيات العديد من المؤتمرات حيث أوصى «المؤتمر الدولى للذكاء الاصطناعى و إنترنت الأشياء» في الفترة من ١٨-٢١ ديسمبر ٢٠٢٢ والذي نظمته جامعة العلمين الدولية بضرورة الاستفادة من التكنولوجيات الحديثة، وخاصة التكنولوجيات الناشئة مثل الذكاء الاصطناعى وإنترنت الأشياء لتسريع وتيرة التطوير للعملية التعليمية، والتأكيد على ضرورة تطوير طرق جديدة للاستفادة هذه التطبيقات فى مختلف المجالات والاستفادة من الجانب الإيجابى وتفادى السلبيات، وذلك نظرا للحاجة الملحة إليها فى ظل التوسع فى التعلم الإلكترونى، والتأكيد على ضرورة تفعيل التعاون بين المؤسسات الحكومية ومؤسسات القطاع الخاص والجامعات والمراكز البحثية؛ لتطوير الاقتصاد القومى على مستوى المنطقة العربية ككل. كما أوصى المؤتمر الدولي الخامس للمؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب بعنوان «اقتصاد المعرفة في عصر تكنولوجيا الفضاء والذكاء الاصطناعى» والذي أقيم في الفترة من ٢٤-٢٥ سبتمبر ٢٠٢٢ «بضرورة اهتمام المؤسسات الجامعية والتعليمية على تكوين طلبة متخصصين في مجال الذكاء الاصطناعي، كما يجب على المؤسسات

الجامعية نشر الثقافة التكنولوجية وتوعية المؤسسات بالآثار الإيجابية للذكاء الاصطناعي من خلال عقد المؤتمرات والملتقيات، الندوات مع ضرورة الاستفادة من تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التدريس لتنمية قدرات ومهارات الطلبة المعرفية مع مراعاة الفروق الفردية فيما بينهم. وتشير نتائج العديد من البحوث إلى زيادة تأثير الذكاء الاصطناعي (AI)بشكل متزايد على جوانب مختلفة من الحياة اليومية، بما في ذلك التعليم ومع صعود التقنيات الرقمية شهد التعليم العالي أيضا تحولا كبيرا كان للذكاء الاصطناعي دورا حاسما في هذا التحول إذ تم تطبيق الذكاء الاصطناعي في التعليم العالي بصور متعددة وتم التركيز على تحسين مشاركة الطلبة وزيادة كفاءتهم وتعزيز خبرات التعلم لديهم، كما يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي بطريقة تدعم الأهداف العامة للتعليم العالي؛ مثل تعزيز التفكير النقدي والإبداع من خلال تحسين القدرة المعرفية والمهارية للطلبة (AlKabi, ٢٠٢٣, p. ٦٩).

في ظل حاجة المجتمعات الحديثة والمطورة إلى إعداد الكوادر المؤهلة في مختلف المجالات ، القادرة على اكتساب العديد من العلوم والمعارف، وأيضا تعلم العديد من أساليب التفكير العلمي من أجل مواجهة مشكلات وتحديات العصر الحديث، فإن المجتمع يحتاج إلى تنمية قدرات شبابه من الطلبة وإعدادهم الإعداد الأمثل لمواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يضعه أمام التحديات المستمرة والمتجددة (العتيبي، ٢٠١٤ .(وفي ظل حاجة المجتمع لذلك فإن هناك العديد من المشكلات الأكاديمية التي يواجهها طلبة الجامعات في المجتمعات العربية عامة، والمجتمع العراقي خاصة ، حيث يضجر الطلبة احيان من الاستمرار في الدراسة الأكاديمية إما لشعورهم بالملل وضياع الوقت بلا تعلم يفيد، أو لتوجههم نحو العمل مباشرة ؛ ما يدفعهم نحو إهمال الدراسة أو التسرب ؛ الأمر الذي دفع الباحثين إلى الاهتمام بدراسة مهارات الحياة الأكاديمية للوقوف على حلول لتلك المشكلات كدراسة (حمامة، ٢٠٢٠؛ الزهراني، ٢٠٢٠؛ عمر و بكاكرة، (٢٠٢٠؛ عبد الرزاق، ٢٠١٨؛ والعتيبي، ٢٠١٤).

ومن خلال عمل الباحثة، اتضح لها وجود عديد من التحديات التي تواجه الطلبة في مجال التعلم، وغالبا ما تكون ناتجة عن التطورات التقنية المتلاحقة والمستحدثات العلمية، وللتأكد من مشكلة البحث قامت الباحثة بعمل مقابلة مع عدد (١٠)من طالبة الجامعة لسؤالهم عن آرائهم حول مهارات الدراسة الجامعية، وكذلك دوره في تحسين حياتهم الأكاديمية، وفي ضوء نتائج تلك المقابلات قامت الباحثة بصياغة مشكلة البحث في التساؤل الرئيس التالي:

ما دور الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات الاكاديمية لدى طلبة الجامعة ؟

اهمية البحث :

مع تقدم تطبيقات تكنولوجيا المعلومات لتلبية متطلبات المجتمع المتزايدة، خضع النظام التعليمي للعديد من التغييرات التي أثرت في طرق التدريس والمتطلبات الواجب توافرها في المتعلم، وقد أحدثت التقنيات الرقمية الجديدة ثورة كبيرة من خلال تطوير جميع جوانب التعليم والتعلم والتقييم والتغذية الراجعة والانتشار المتزايد للتعلم الإلكتروني ليحل شيئا فشيئا محل التعليم التقليدي، ويعد الذكاء الاصطناعي (AI)أحد أهم التطورات في القرن الحالي والذى أصبح لا غنى عنه في العديد من القطاعات بما في ذلك القطاع التعليمي؛حيث يساعد الذكاء الاصطناعي على تطوير نظم الإدارة وأداء المعلمين والمتعلمين وأولياء الأمور بما يؤثر على العملية التعليمية بشكل إيجابي وبما يؤدي إلى تعزيز العملية التعليمية وذلك لتتماشى المناهج الدراسية مع التطورات التقنية بما يخدم ويحقق نتائج التعلم المرجوة(عبد الوهاب ، ٢٠٢٣، ص٧٠٣).

ويرتبط مستقبل التعليم في جوهره إلى حد كبير بالتقدم في التقنيات الذكية ومن ثم فإن المجتمع التعليمي يواجه الفرص والتحديات التي تفرضها تقنيات الذكاء الاصطناعي المتطورة باستمرار، والتي يمكن أن تغير بشكل جوهري هيكل وتشغيل وإدارة المؤسسات التعليمية، كما لا يمكن إنكار أن القطاع التعليمي يتأثر بشكل كبير بالذكاء الاصطناعي، حيث تستخدم تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم (AIEd)على نطاق واسع من قبل المتعلمين والمعلمين في الوقت الحاضر وتتضمن أدوات وتطبيقات مختلفة، على سبيل المثال: أنظمة التدريس الذكية، وروبوتات التدريس، وأنظمة التعلم التكيفية، حيث أن الذكاء الاصطناعي يدعم التعلم الذي يحدث في كل من الفصول التقليدية وأماكن العمل من

خلال الجمع بين الذكاء الاصطناعي والعلوم المختلفة وذلك بهدف تحفيز وتطوير التطبيقات التعليمية القائمة على الذكاء الاصطناعي والتي تتميز .(Chen, Xie, & Hwang, ٢٠٢٠, ٢) .

ويظهر العالم حاليا ثورة في مجال الذكاء الاصطناعي، ظهرت آثارها في معظم مجالات الحياة ويشهد العالم حاليا ، فلا يكاد يخلو مجال من توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي، سواء في الطب أو الهندسة أو التصنيع أو الاستثمار أو علوم الفضاء أو الاتصال مما يضع على عاتق الوزارات المعنية بالتعليم مسؤوليات جسيمة لتطوير سياساتها ومناهجها واستراتيجياتها لمواكبة معطيات الثورة الاصطناعية الحديثة، والتي كانت بمثابة الشرارة التي أضاءت مساحات جديدة أمام في مراحل وتطبيقيا التربويين في البحث عن إثراء ثقافة الذكاء الاصطناعي وتضمينه نظريا التعليم المختلفة. (مجدي المهدى، ٢٠٢١، ٩٩).

وتؤكد العديد من الدراسات مثل دراسة (Pikhart, ٢٠٢٠) ودراسة (Halagatti, et al, ٢٠٢٣) على ضرورة الاستفادة من تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تطوير عملية التعليم والتعلم وفي تحسين مهارات الطالب في مختلف مجالات التعلم الذاتي وتقييم مستويات الطالب المعرفية والمهارية(عبد الوهاب ، ٢٠٢٣، ص ٧٠٤).

مما لا شك فيه أن التعليم في الجامعات واحد من أهم دعائم التطور في المجتمعات البشرية، ومن أهم أدوات النهوض بها؛ ذلك لأنها تحتل مكانة كبيرة في إعداد وتهيئة الإطار العلمي و الفني بهدف تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، و تكمن أهمية التعليم في الجامعات في قدرته على إعداد أجيال قادرة على مواجهة التحديات الاجتماعية، الاقتصادية، الفكرية، والسياسية. ولا شك أن المقررات والمناهج الدراسية لها دور هام في بناء شخصية ومستقبل الطالب في الجامعات، الأمر الذي يضع على عاتق المسؤولين عن وضع تلك المقررات العبء الثقيل لأخذ شخصية الطالب في عين الاعتبار، وليس فقط الشخصية، وإنما ايضا البيئة المحيطة والمجتمع، حيث لم توجد المقررات لتكون عبئا أو تزيد عبئ الطلبة، بل وضعت ليتم تطبيقها بما يضمن أنها تؤتي ثمارها بتحسين حياة الطالب، وبالأخص الحياة الأكاديمية. وكذلك تناسب المقررات لسوق العمل وما يجب أن يتوفر لدى الطلبة للالتحاق بسوق العمل بصورة سليمة تساعد في تطوره وترقيته في الحياة المهنية مستقبلا (مشعل ، ٢٠١٦)

وتعتمد العديد من المؤسسات الأكاديمية والتي تتمثل غالبيتها إن لم يكن جميعها في الجامعات على توفير مقرر يختص بتدريس الطالب المهارات الجامعية، أو مهارات الدراسة الجامعية حيث يساعدهم المقرر على التعامل مع الحياة الأكاديمية الجديدة عليهم، وذلك بهدف تحسين عدد من المها ارت التي ينطوي عليها المقرر خاصة، أو تحسين نظرة واتجاه الطلبة للحياة الأكاديمية عامة، ولا تتمثل هذه المها رات في مها ارت أكاديمية فقط، بل أيضا مها رات حياتية، وقد تناولت العديد من الدراسات أهمية تدريس مقرر مهارات الدراسة الجامعية من حيث فاعليته في تحسين بعض المهارات، حيث أشار فخرو والساعي (٢٠١٤)إلى فاعلية مقرر مهارات طالب الجامعة المطور في تنمية مهارات الدراسة لدى طالبات جامعة قطر وآراتهن حولها، في حين أشار (العويضي ،٢٠٢١) إلى فاعلية وحدة مقترحة ضمن مقرر المهارات الجامعية في تنمية مهارات إدارة المشروعات لدى طلبة الجامعة ، ما يعني أن مقرر المهارات الجامعية أو مهارات الدراسة الجامعية ليس فقط يؤثر في حياة الطالب الأكاديمية، وإنما أيضا مهاراتهم العملية المستقبلية التي تساعدهم في الانخراط مستقبلا في سوق العمل، بينما اهتمت دراسات أخرى بكيفية تحسين تعلم الطالب لمقررات مهارات الحياة الجامعية لضمان تحقيق نواتج التعلم المرجوة من تلك المقررات كدراسة (الرحيلي، ٢٠١٤).

وبالتالي تعد تنمية مهارات التنظيم الذاتي ضرورة للمتعلمين في عصر المعلومات لملاحقة التطورات المتسارعة وخاصة في مجال تكنولوجيا التعليم الذي يشهد تغيراً مستمراً في برامجه وتطبيقاته الأمر الذي يتطلب البحث المستمر عن المعلومات وكيفية التعامل مع التطبيقات للذكاء الاصطناعي والمواقع الإلكترونية التي ترتبط بواقع العملية التعليمية، بل أصبحت جزءا الواقع الذي نعيش فيه(عبد الوهاب ، ٢٠٢٣، ص٧٠٤)

تكمن أهمية البحث الحالي فيما يلي:

أولا: الأهمية النظرية:

١ – تكمن أهمية البحث الحالي في أهمية متغيراته، والتي يتم دراستها ومعالجتها في إطاره.

٢ – hالاستفادة من تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تقديم محتوى إلكتروني ملائم لطلبة الجامعة

٣ – مواكبة التطورات الحديثة في مجال الذكاء الاصطناعي بصفة خاصة

٤ – توجيه الاهتمام إلى الاستعانة بتطبيقات الذكاء الاصطناعي في دعم العملية التعليمية

٥ – تنمية مهارات التعلم الإلكتروني والتنظيم الذاتي لدى الطالب بما يتناسب مع موضوعات التعلم المختلفة.

٦ – ¬ تناوله الجوانب الأكاديمية اللازمة لتحقيق المهارات الأكاديمية لدى طلبة الجامعة

٧ – تقديمه صورة واضحة عن المهارات الأكاديمية لدى الطلبة الجامعيين.

٨ – ¬قلة الدراسات التي تناولت موضوع المهارات الاكاديمية وعلاقته بالذكاء الاصطناعي في حدود علم الباحثة.

ثانيا: الأهمية التطبيقية:

١ – ¬ قد يفيد المجتمع العلمي البحثي بما يتوصل إليه من نتائج. ¬

٢ – قد يساهم في تنمية الجوانب الإيجابية في مقررات الدراسة الجامعية من خلال إبرازها.

٣ – محاولة تقديم الدعم للمتخصصين في مجال تكنولوجيا التعليم عن كيفية الاستفادة من تطبيقات الذكاء في مجال التخصص

هدف البحث

يهدف البحث الحالي التعرف على دور الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات الأكاديمية لدى طلبة الجامعة.

حدود الدراسة

الحدود الموضوعية : تتمثل في متغيرات الدراسة (الذكاء الاصطناعي ، المهارات الاكاديمية)

الحدود المكانية : الجامعات العراقية

الحدود البشرية : طلبة الجامعة

الحدود الزمنية : العام الدراسي الجامعي (٢٠٢٤–٢٠٢٥)

تحديد المصطلحات

الدور: عرفها (عبد الرضا ، ٢٠٢٣) : نموذج يرتكز حول بعض الحقوق والواجبات، ويرتبط بوضع محدد للمكانة داخل جماعة أو موقف اجتماعي معين، ويتحدد دور الشخص في أي موقف عن طريق مجموعة توقعات يعتنقها الآخرون كما يعتنقها الفرد نفسه (عبد الرضا ، ٢٠٢٣، ص٦)

التعريف الاجرائي : انموذج للسلوك الذي تحدده مكانة الطالب في الجامعة على اساس ما يتوقعه نحو نفسه وتوقعات الطلبة الآخرين عنه.

الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence

عرفه كل من :

(Al Mukhalla, ٢٠٢٠) : تطبيق أنظمة الذكاء الاصطناعي من أجل تطوير عمليات تنظيم واختيار المحتوى العلمي. كما أنه يساهم في تنوع مصادر التعلّم والتدفقات التعليمية وفقا لمستويات المتعلّمين وإمكانياتهم. وكذلك يتم استخدامه لتطوير استراتيجيات التدريس وطرق التقييم والتقويم؛ وذلك من خلال إضفاء الطابع الفردي على عمليات الدراسة الذاتية، والمحاكاة من خلال تفعيل مختلف الأنظمة الذكية والخبيرة (Al Mukhalla, ٢٠٢٠, p.٤١) .

(فاروق ، ٢٠٢١) : هو قدرة الآلة على محاكاة العقل البشري من خلال برامج حاسوبية يتم تصميمها، حيث يشير إلى قدرة الحاسب أو أية آلة أخرى على تنفيذ تلك الأنشطة التي عادة تتطلب الذكاء، فهو يتم بتطوير الآلات وإضافة هذه

القدرة لها. ويمكن تعريفه أنه الحقل الفرعي لعلوم الحاسوب المعنية بمفاهيم وأساليب الاستدلال الرمزي بواسطة الحاسب، وتمثيل المعرفة الرمزية للاستخدام في صنع الاستدلالات، كما يمكن رؤية الذكاء الاصطناعي على أنه محاولة نمذجة جوانب من التفكير البشري على أجهزة الحاسوب (فاروق ، ٢٠٢١، ص٤٨١).

(العبيدي ، ٢٠٢١) : المجال الذي يسعى إلى فهم طبيعة الذكاء البشري عن طريق تكوين برامج على الحواسيب التي تقلد الأفعال أو الأعمال أو التصرفات الذكية (العبيدي ، ٢٠٢١، ص ٢٢) .

التعريف الاجرائي : مدى الاسهام الذي يحدده في سلوك الطلبة وتفاعلهم مع التطبيقات والتقنيات التي تعينهم على فهم وتحليل المتطلبات الاكاديمية .

المهارات الأكاديمية Academic Skils:

(جمل، ٢٠١٥) : المهارات التي يحتاجها طلبة الجامعات على اختلاف تخصصاتهم متمثلة في الاستعداد للامتحان وتنظيم الوقت والتأمل والثقة بالنفس ومهارة التحفيز الذاتي والتعامل مع عثرات الحياة وكيفية الاستفادة من العقل الباطن والتخطيط للمستقبل ومهارات التواصل مع الآخرين وتقدير الذات والبحث العلمي ومهارات التفكير وكيفية تعلمها

(تيطراوي، ٢٠١٧): قدرة المتعلم على اتباع استراتيجيات تعليمية هادفة لفهم موضوعات المقررات الدراسية ، واستيعابها مما يزيد من مثابرته وقدرته على التركيز والتعلم ومن هذه المهارات التخطيط والتنظيم ، واستخدام التكنولوجيا الجديدة ، واستخدام مصادر التعلم والتفكير الناقد (تيطراوي، ٢٠١٧، ص ٨).

(القرني ومرداد، ٢٠١٨): تلك المهارات التي تتمثل في مهارات تنظيم وإدارة الوقت ، مهارات الاستذكار الفعال، مهارات الاتصال، مهارات التفكير الناقد و التفكير الإبداعي، مهارات التقديم والعرض ، مهارات الاستعداد للاختبار(القرني ومرداد، ٢٠١٨).

(الشهري ، ٢٠٢٣) : مجموعة المهارات التي تساهم في مساعدة الطالب على تحقيق النجاح في الحياة الجامعية (الشهري ، ٢٠٢٣، ص١١٤)

التعريف الاجرائي : تلك المهارات المعارف والخبرات والامكانات الشخصية التي يحتاجها الطلبة الجامعيين التي تتمثل في القدرة على التصرف السليم والتفاعل بشكل فعال والقدرة على حل المشكلات واتخاذ القرارات وتنظيم الوقت والتأمل والثقة بالنفس والتخطيط للمستقبل .

الاطار النظري والدراسات السابقة

الذكاء الصناعي

الذكاء الاصطناعي علم معرفي حديث، بدأ رسمياً في الخمسينات من القرن الماضي. أما قبل هذه الفترة، فنجد أن عدد من العلوم الآخرى عنيت بشكل أو بآخر بالذكاء الاصطناعي وبطريقة غير مباشرة. باستعراض علم الوراثة؛ نجد مايرتبط بالذكاء في حقل دراسة جينات العلماء في محاولة لإعزاء ذكاءهم للوراثة، وفي مجال الفيزياء نجد أن جميع الطلاب بلا شك يشعروا بأن جميع الأفكار الجيدة أخذت من غاليليو وآينشتاين ونيوتن وبقية العلماء، ولابد من الدراسة لأعوام عديدة حتى يتسنى لأحدهم تقديم أكتشاف جديد!. في المقابل فإن الذكاء الاصطناعي لا يزال مفتوحاً ليشغل بدراسته آينشتاين جديد جميع أوقاته. البحث عن ماهية الذكاء كذلك شغلت الفلاسفة قبل أكثر من ألفي عام، فقد حاولوا فهم كيف تتم رؤية الأشياء، وكيف يتم التعلم، والتذكر والتعليل. ومع حلول استخدام الكمبيوتر في الخمسينات تحولت هذه البحوث إلى أنظمة تجريبية واقعية. حالياً، فإن للذكاء الاصطناعي تطبيقات عديدة، سواء كانت تطبيقات ذات أغراض عامة مثل الإدراك والتعليل المنطقي، أو كانت مهمات ذات غرض خاص مثل لعب الشطرنج أو التشخيص الطبي! غالباً فإن الخبراء والعلماء يتوجهون إلى الذكاء الاصطناعي لحفظ خبراتهم وتجاربهم التي قضوا بها حياتهم. فالذكاء الاصطناعي مجال عالمي يصلح لجميع التوجهات(الهادي ، ٢٠٠٥ : ١٦٥)

نماذج أساليب توظيف الذكاء الاصطناعي في التعليم

لقد أصبح الذكاء الاصطناعي في القرن الحادي والعشرين مجالاً مهما للبحوث في كافة المجالات: الهندسة والعلوم، والتعليم، والطب، والأعمال التجارية، والمحاسبة، والمالية، والتسويق، والاقتصاد، وسوق الأوراق المالية، والقانون، والتعليم وغيرها، إن إضفاء الطابع الشخصي على التعليم هو في الواقع استجابة للاحتياجات الفردية لا ييسر للطالب التعلم بشكل أفضل، باستخدام استراتيجيات مختلفة لخلق خبرات تعليمية مختلفة فحسب، بل أيضا الاحتياجات التعليمية عند اعداد المعلمين في إعداد أو تصميم مجموعات متنوعة من التعليم أو التعليم. كل متعلم لديه تفضيل أسلوب التدريس الذي يسمح له بالعمل بشكل أفضل. البعض يحب الاستماع والحديث، والبعض الآخر يفضل تحليل نص، أو ببساطة باستخدام وسيط بصري. لكي تتعلم بشكل فعال، يجب على المتعلمين أن يكونوا مدركين لأفضل مجالات حياتهم التي تجعل من السهل إدارة طريقته الخاصة للتعلم. وستمكن هذه المعلومات المتعلم من تحسين فعالية تهجه في التعلم واستغلال موارده الخاصة(Essaid El Bachari ,. ٢٠١٠ ,p.١).

١- أنموذج كولب (Kolb) : وضع "كولب" نموذجا لتفسير عملية التعلّم يقوم على أساس نظرية التعليم التجريبي، ويرى أن التعلّم عبارة عن بعدين الأول: هو إدراك المعلومات والذي يبدأ بالخبرات الحسية وينتهي بالمفاهيم المجردة، والثاني: هو معالجة المعلومات ويبدأ بالملاحظة التأمّلية وينتهي بالتجريب الفعال. ولكي يكون المتعلّم فعالا فإنه يحتاج إلى أربعة أنواع من القدرات التي يركز كل منها على شيء معين وهي: (الخبرة الحسية، التأمل والملاحظة، تجريد المفاهيم، التجريب النشط(وينتج عن هذه القدرات أربعة أنماط للتعليم هي: (الأسلوب التقاربي، الأسلوب التباعدي، الأسلوب الاستيعابي ، والأسلوب التكييفي)(المسعدين ٢٠١١، ص ٨)

٢- أنموذج فلمنج وبونويل :(VARK) ركز هذين الباحثين في نموذجها على وسائط حسية إدراكية مفضلة على نحو أكثر كفاءة لعملية التعلّم لدى الطلبة، ويحدد النموذج الطريقة التي يفضل الطلبة أن تقدم إليهم المعلومات من خلالها بناء على إجاباتهم على الأسئلة التي تطرح عليهم، حيث يختار الطالب أو الطالبة الإجابة من ضمن البدائل الأربعة لفقرات المقياس، وتم تصنيف الطالب حسب ميولهم وتفضيلاتهم على استجاباتهم للمقياس وفق أربعة أنماط تعلّم هي: (النمط البصري Visual ،النمط السمعي Auditory ،النمط القرائي/ والكتابي Write/ Read ، النمط العملي (الشهري ، ٢٠١٨، ص ١)

المهارات الأكاديمية

يمكن تلخيص المهارات الجامعي على النحو الآتي :

أولا: مهارات التعامل مع الآخرين: وتتمثل في الاتصال والإشراف والقيادة.

١- الاتصال: تتمّثل مهارات الاتصال في البيئة الجامعية في قدرة الطالب الجامعي على: ¬ التعبير بوضوح، حيث يجب أن يكون الطالب قادرا على التعبير عن أفكاره ومشاعره بشكل واضح و مفهوم للطرف الآخر، والتعبير عن المعلومات والأفكار عن طريق الكتابة بشكل واضح ومنظم، والقيام بطرح الأسئلة المناسبة من أجل فهم أفضل وتحقيق التواصل بشكل فعال

٢- العمل بروح الفريق: يجب على الطالب أن يكون قادر على ما يلي: ¬ القدرة على تحليل ومواجهة المشكلات والتعامل مع التحديات التي تواجه الفريق، والقدرة على تعلم كيفية توليد أفكار جديدة والبحث عن الحلول الإبداعية واتخاذ قرارات صحيحة بالتعاون مع أعضاء الفريق والقدرة على تحديد نقاط القوة و الضعف لدى الآخرين ، والعمل بشكل فعال داخل الجامعة وتشجيع فريق العمل على المشاركة الفعالة لإنجاز المهام والقدرة على تحليل المهام المتفق عليها

٣- الإشراف والقيادة: أن مهارات الإشراف والقيادة الواجب توافرها لدى الفرد ليكون قائد جيدا تتمثل في قدرته على تحمل المسؤولية، و انتهاز الفرص، واتخاذ القرارات الصحيحة، والرؤية الواضحة للهدف الذي يسعى إلى تحقيقه، وكذلك قدرته على وضع الخطط والاستراتيجيات ذات الفعالية لتحقيق تلك الرؤية، وقدرته على فهم أساليب القيادة، والعمل على تشجيع الأفراد على تحقيق الأداء الفعال، بالإضافة إلى قدرته على حل المشكلات وتنسيق الأنشطة الخاصة

بالأفراد تحت قيادته، و تقدير جهودهم، والعمل الجماعي على خلق رؤية مشتركة من أجل إنجاز الأعمال.

ثانياً: مهارات التنفيذ والاستكشاف: ان أهم مهارات التنفيذ والاستكشاف المطلوب توافرها لدى الطالب الجامعي متمثلة في البحث والتحليل، وحل المشكلات، واتخاذ القرارات على النحو التالي:

١ – البحث والتحليل: يقصد بالبحث والتحليل أن يكون الطالب قادر على القيام بما يلي: ¬ تحديد الهدف الرئيسي للدراسة، مشكلة الدراسة، و الأسئلة البحثية أو الأهداف المحددة التي يرغب في تحقيقها وجمع المعلومات الموثوقة والمناسبة للبحث، بالاطلاع على المصادر المتعددة مثل الكتب، الدراسات السابقة والأدبيات ، و المقالات العلمية، و كذلك استخدام المصادر الإلكترونية. ¬ استخدام الأدوات والتقنيات المناسبة لتحليل البيانات والمعلومات التي تم جمعها، و قد تحتوي هذه الأدوات والتقنيات على برمجيات إحصائية، وأساليب كمية أو كيفية والتوصل للنتائج وتلخيصها وتفسيرها في ضوء هدف الدراسة والتوصية بما يرى مناسب بعد عمليات البحث والتحليل. ¬ والتطلع إلى نشر الأبحاث المعدة من قبل الطالب بعد مراجعتها بدقة ليستفيد منها المجتمع ومجتمع البحث العلمي.

٢ – حل المشكلات واتخاذ القرارات: وتنقسم مهارات حل المشكلات واتخاذ القرارات إلى: ¬ تحليل المشكلة: حيث يجب أن يكون الطالب قادر على تحليل المشكلة بشكل مفصل وفهم الجوانب المختلفة منها، والتعرف على الأسباب الرئيسة لها، والقيام بتحليل الآثار الناتجة عنها على الوضع الحالي، ويكون الهدف من تحليل المشكلة التعرف على الأبعاد والحدود التي أدت إلى حدوث هذه المشكلة بهدف تسهيل عملية دراستها واتخاذ قرار بشأنها. ¬ جمع المعلومات: وتعني قدرة الطالب على جمع المعلومات التي يكون لها صلة بالمشكلة أو المهمة، ويمكن الحصول على تلك المعلومات من العديد من المصادر المختلفة كالاستفسار والبحث والمشاورة. ¬ تقييم الخيارات والمفاضلة بين البدائل: قصد بها وي قدرة الطالب على تقييم الخيارات المتاحة لحل المشكلة بناء على المعايير المحددة مثل التكلفة والفعالية والموثوقية، والاختيار ما قد يكون الأمثل من بين البدائل. ¬ اتخاذ القرار المناسب: أي قدرة الطالب على اتخاذ القرارات النهائية التي تكون مناسبة اعتمادا على عملية تقييم الخيارات المتاحة

ثالثا: مهارات الاتصال الفعال: وهي على النحو الآتي :

التفاعل الفعال مع الآخرين بشكل فعال¬ وعدم الانفعال وضبط النفس والاعتماد على قوة الإقناع¬ والحديث السلس والتعبير اللفظي الدقيق والقدرة على التصرف السليم في المواقف المختلفة و المحرجة (الشهري ، ٢٠٢٣، ص١١٦–١١٧).

الدراسات السابقة:

(دراسة ، ٢٠٢٣) : هدفت الدراسة تطوير نموذج مقترح خاص بمهارات الدراسة الجامعية لدى طلبة الجامعات المغربية في تخصصات الآداب والعلوم الانسانية ، ومساعدة واضعي السياسات التعليمية بالجامعة على اقتراح برامج وتكوينات تستجيب للاحتياجات الفعلية لدى الطلبة . وذلك بناء على دراسة استطلاعية شملت العديد من الوثائق والادبيات التربوية والتجارب الجامعية في الموضوع ، لتخلص الدراسة الى حصر شبكة اولية من (٤٠) مهارة ، وبعد تحكيمها من طرف عينة عشوائية بسيطة تألفت من (٧٧) استاذا وأستاذة جامعية . توصلت الدراسة الى اتفاق اجمالي للعينة حول المهارات المتضمنة في الشبكة بمتوسط حسابي اجمالي بلغ (٢,٧٠) وبنسبة اتفاق اجمالية بلغت (٩٠٪) . وقد حاز مجال مهارات ادارة وتنظيم الذات على اعلى متوسط حسابي ضمن مجالات الشبكة ،كما افرزت عملية التحكيم على مجموعة من التعديلات شملت الانتقال من (٤٠) مهارة في الشبكة الاولية الى (٤٢) مهارة في الشبكة النهائية . كما سجلت الدراسة مجموعة من التوصيات منها : الدعوة الى تحويل الى اجراء دراسات وابحاث تشخيصية لاحتياجات الطلبة المغاربة من مهارات التعلم الدعوة الى اقتراح برامج تدريبية بناء على الاحتياجات المرصودة تستهدف تمكين الطلبة من مهارات التعلم والاندماج السلس والناجح بالوسط الجامعي (دراسة ، ٢٠٢٣، ص ١٤١)

منهجية البحث

تم اعتماد منهج البحث الوصفي ، ويقوم البحث الوصفي على وصف ما هو كائن. وتفسيره, كما يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع من خلال جمع البيانات وتبويبها وتفسيرها .

أولاً: مجتمع وعينة البحث:

مجتمع البحث «هو مجموعه الافراد الذين يسعى الباحث تعميم نتائج دراسته عليهم» (زيتون ,٢٠٠٥, ١٣٨). ويتمثل مجتمع البحث الحالي بطلبة جامعة بغداد المتواجدين في (٢٤) تشكيل من التخصصين العلمي والانساني والبالغ عددهم(٥١١٩١)طالبا وطالبة , منهم (٢٠٠٢٢)ذكورا,و (٣١١٦٩) اناثا , والجدول رقم (١) يوضح ذلك.

جدول (١)مجتمع البحث لتشكيلات جامعة بغداد (توزيع مجتمع البحث)

ت	اسم التشكيل	ذكور	اناث	المجموع
1	طب	1426	1727	3153
2	طب الكندي	535	783	1318
3	طب الاسنان	273	774	1047
4	الصيدلة	307	782	1089
5	كلية الطب البيطري	183	297	480
6	التمريض	120	469	589
7	الهندسة	2566	1195	3761
8	الهندسة خوارزمي	527	435	962
9	علوم الهندسة الزراعية	888	1063	1951
10	العلوم	1192	2136	3328
11	الادارة والاقتصاد	2487	2468	4955
12	العلوم للبنات	0	1790	1790
13	تربية بدنية وعلوم الرياضة	1423	493	1916
14	تربية بدنية وعلوم الرياضة للبنات	0	309	309
15	التربية للعلوم الصرفة ابن الهيثم	1100	1335	2435
16	الفنون الجميلة	1135	1252	2387
17	القانون	219	629	848
18	العلوم السياسية	331	438	769
19	العلوم الاسلامية	1393	1913	3306
20	الاداب	1055	2082	3137
21	اللغات	1101	1748	2849
22	الاعلام	625	495	1120
23	التربية للبنات	----	4588	4588
24	التربية ابن رشد للعلوم الانسانية	1136	1968	3104
	المجموع	20022	31169	51191

وتكونت عينة البحث من (٢٠٠) طالب وطالبة. تم اختيار هذه العينة بالطريقة العشوائية من مجتمع البحث. إعتمدت الباحثة في اختيار عينة البحث على الطريقة (الطبقية العشوائية ذات التوزيع المتساوي)اذ تم اختيار العينة من طلبة الدراسة الصباحية للكليات العلمية و الانسانية في جامعة بغداد من الذكور والاناث و كما موضح في جدول (٢) :

الجدول (٢)عينة البحث موزعة بحسب الكلية والجنس

ت	الكلية	ذكور	إناث	المجموع
١	كلية التربية ابن رشد	٢٥	٢٥	٥٠
٢	كلية القانون	٢٥	٢٥	٥٠
٣	كلية الهندسة	٢٥	٢٥	٥٠
٤	كلية العلوم	٢٥	٢٥	٥٠
المجموع		١٠٠	١٠٠	٢٠٠

ثانيا»: أداة البحث

تعتبر الأستبانة من أكثر الأدوات استعمالا في بحث الظواهر التربوية ولكون البحث الحالي يرمي إلى تحديد دور الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات الاكاديمية لدى طلبة الجامعة فأن الأستبانة هي أفضل وسيلة لتحقيق هذا الغرض, فقد قامت الباحثة بتصميم استبانة مبدئية والتي تكونت من (٢٠) فقرة, ووضع مقياس خماسي وذلك لقياس درجة الموافقة على كون الفقرة تمثل عبارة موقفية, وذلك وفقا لخيارات المستجيب (الطالب) من حيث قياس موافقة العبارة (١. لا أوافق بشدة ٢. لا أوافق ٣. محايد ٤. أوافق ٥. أوافق بشدة).

صدق الأداة:Validity

يقصد به الدقة التي تقيس بها الأداة ما ينبغي أن تقيس، أو مدى تأديتها للوظيفة التي استعمالها من أجل تأديتها (أبو لبدة، ١٩٩٧: ٢٣٤)يعد الصدق من الشروط الضرورية الواجب توافرها في أي أداة بحث، إذ تعد الأداة صادقة أذا كان بمقدورها أن تقيس فعلا» الموضوع الذي وضعت من اجل قياسه. لذلك عمدت الباحثة التحقق من صدق الأداة بنوعين من أنواع الصدق هما:-

١- الصدق الظاهري: Apparent Validity

يعد أحد أنواع الصدق والذي يستخرج عن طريق عرض فقرات المقياس على مجموعة من المحكمين للحكم على صلاحيتها وإمكانيتها في قياس الخاصية المراد قياسها(Allen & yen,١٩٧٩,٩٦) وللتحقق من صدق الأستبانة فقد عرضت على مجموعة من المحكمين والمختصين من اجل دراستها وبيان مدى صلاحيتها وتقديم الملاحظات حولها. عدت موافقة المحكمين على الأستبانة بدرجة ٨٠٪ فأكثر دلالة على صدقها. وفي ضوء آراء الخبراء تم تعديل بعض الفقرات وإعادة صيغتها ولم يتم حذف أي منها.

صدق البناء:Construct Validity

يقصد به مدى نجاح الأداة أو الاختبار في قياس ما وضع لأجله ويعد أكثر أنواع الصدق ملائمة لقياس وتقويم الأداء لأنه يعتمد على التحقق من مدى تطابق درجة الفقرة مع الخاصية أو المفهوم المراد قياسه(خرابشة،٢٠٠٧:١٩٩) تم التحقق من هذا المؤشر من خلال معرفة ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية:- تعد هذه الطريقة من أكثر الطرق استعمالا» في تحليل فقرات الاختبارات والمقاييس التربوية لأنها تحدد مدى تجانس فقرات المقياس ومقدرتها في قياس الظاهرة المراد دراستها. إذ تم اختيار عينة عشوائية مكونة من ١٠٠) طالب وطالبة من خارج عينة البحث وجرى تطبيق الأداة عليهم . أستعمل معامل ارتباط بيرسون لاستخراج العلاقة الأرتباطية بين درجات كل فقرة من فقرات المقياس وعند مقارنة قيم معاملات الارتباط مع القيم الحرجة ظهر أن جميع معاملات الارتباط دالة إحصائيا بدرجة حرية(٩٨) والجدول (٣) يوضح ذلك.

جدول(٣) معاملات الارتباط بين درجة الفقرة والدرجة الكلية للاستبيان

رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط
١	.489**	٨	.442**	١٥	.516**
٢	.426**	٩	.474**	١٦	.528**
٣	.507**	١٠	.508**	١٧	.437**
٤	.310**	١١	.437**	١٨	.515**
٥	.476**	١٢	.542**	١٩	.526**
٦	.438**	١٣	.488**	٢٠	.418**
٧	.478**	١٤	.498**		

القيمة الحرجة لمعامل ارتباط بيرسون بدرجة حرية٩٨ ومستوى دلالة ٠,٠٥ تساوي ٠,١٩٥

ثبات الأداة:

هو قدرة الاختبار على إعطاء النتائج نفسها أو قريبة منها إذا ما أعيد تطبيقه على الإفراد أنفسهم وتحت الظروف نفسها. وللثبات طرائق متعددة وظفت الباحثة اثنتين منها هما:-

أ- طريقة الاختبار واعادة الاختبارTest and Re-test Method

تعد من أكثر الطرق استعمالا في حساب ثبات الاختبار إذ يتم تطبيق الاختبار على الأفراد أنفسهم مرتين وبفاصل زمني لا يقل عن أسبوع ولا يزيد عن شهر(عودة ،٢٠٠٢،١١٢). اختارت الباحثة عينة عشوائية مكونة من(٣٠) طالب وطالبة من خارج عينة البحث إذ تم تطبيق أداة البحث عليهم ثم أعيد التطبيق بعد مرور أسبوعين من التطبيق الأول وبحساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات التطبيق الأول والتطبيق الثاني أتضح انه يساوي ٠,٨٢)

ب- طريقة الفاكرونباخ:-

تم توظيف معادلة الفاكرونباخ لحساب ثبات الأداة وبلغ معامل الثبات بهذه الطريقة (٠,٨٧)

تطبيق الأداة

وقد تضمنت الأداة بيانات ومعلومات عن جميع متغيرات الدراسة التي يراد البحث والكشف عنها وهي ان يطلب من المجيب عدم ذكر الاسم وأن إجاباته تستعمل لأغراض البحث العلمي فقط.

الوسائل الإحصائية

لغرض تحقيق أهداف البحث الحالي استعملت الباحثة الوسائل الإحصائية الآتية.

١ – معامل ارتباط بيرسون لحساب ثبات الأداة بطريقة إعادة الاختبار

٢ – معادلة الفاكرونباخ لحساب معامل الثبات بطريقة الاتساق الداخلي للاداة.

٣ – الوسط المرجح، استعمل في معالجة البيانات الخاصة باهداف البحث

ووفقا للمقياس الخماسي المستخدم اعتمدت الباحثة على قانون المسافة ما بين الفئات والذي يشير الى ان المسافة بين الفئات تساوي ((التدرج الاعلى مطروح منه التدرج الادنى) ومقسوما على عدد التدرجات)) . وبناء على ما تقدم فان قيمة الوسط الحسابي المحصورة بين ١ و ١,٨ تكون الموافقة عليها ضعيفة جدا. واذا كانت بين ١,٨١ و ٢,٦٠ تكون الموافقة ضعيفة واذا كانت بين ٢,٦١ و ٣,٤٠ تكون الموافقة متوسطة. واذا كانت بين ٣,٤١ و ٤,٢٠ تكون الموافقة كبيرة . واذا كانت بين ٤,٢١ و ٥ تكون الموافقة كبيرة جدا او عالية جدا .

عرض النتيجة

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على دور الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات الاكاديمية لدى طلبة الجامعة.

للاجابة عن هذا السؤال تم استعمال الاوساط الحسابية لاستجابات العينة على فقرات الاستبانة المعدة لهذا الغرض فيما يخص تحديد مدى دور الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات الاكاديمية لدى طلبة الجامعة. والجدول (٤) ادناه يوضح ذلك كما يبين المتوسط الحسابي العام ومن ثم ترتيب الفقرات تنازليا بحسب قيم الاوساط الحسابية.

جدول(٤) الوسط المرجح لفقرات الاستبانة لمعرفة دور الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات الأكاديمية لدى طلبة الجامعة

ت قديم	ت جديد	الفقرات	الوسط المرجح	درجة الموافقة
1	11	أمتلك معرفة كافية بتقنيات الذكاء الاصطناعي المستخدمة في تحسين العملية التعليمية.	3.610	كبيرة
2	2	أستخدم تطبيقات الذكاء الاصطناعي بانتظام لدعم دراستي الأكاديمية.	3.606	كبيرة
3	17	أعتقد أن الذكاء الاصطناعي يساعد في تحسين جودة التعلم الذاتي.	3.600	كبيرة
4	5	ساعدني الذكاء الاصطناعي في تحسين مهارات البحث العلمي والتحليل.	3.557	كبيرة
5	14	أرى أن الذكاء الاصطناعي يوفر لي مصادر موثوقة ومحدثة للمعلومات الأكاديمية.	3.518	كبيرة
6	8	عززت تطبيقات الذكاء الاصطناعي قدرتي على كتابة الأوراق الأكاديمية بشكل أكثر دقة.	3.499	كبيرة
7	20	يساعدني الذكاء الاصطناعي على تنظيم وقتي بشكل أكثر كفاءة أثناء الدراسة.	3.475	كبيرة
8	3	ساهم الذكاء الاصطناعي في تحسين فهمي للمواد الدراسية الصعبة.	3.146	متوسطة
9	9	يدعم الذكاء الاصطناعي قدرتي على اتخاذ قرارات أكاديمية مستنيرة.	3.132	متوسطة
10	16	أشعر أن الذكاء الاصطناعي يساعدني في تطوير أفكار إبداعية لمشاريع البحث.	2.988	متوسطة
11	1	عزز الذكاء الاصطناعي قدرتي على التفكير النقدي وتحليل المعلومات.	2.883	متوسطة
12	12	الذكاء الاصطناعي أتاح لي فرصًا جديدة لاستكشاف مجالات أكاديمية مختلفة.	2.768	متوسطة
13	6	أعتقد أن الذكاء الاصطناعي يحسن مستوى النقاش والتفاعل في بيئات التعلم الافتراضي.	2.743	متوسطة
14	19	يعزز الذكاء الاصطناعي من مهاراتي في حل المشكلات الأكاديمية.	2.729	متوسطة
15	4	أواجه صعوبة في الاعتماد على الذكاء الاصطناعي بسبب عدم الدقة في بعض المعلومات.	2.661	متوسطة
16	15	أشعر أن الاعتماد الزائد على الذكاء الاصطناعي قد يضعف مهاراتي التحليلية الشخصية.	2.628	متوسطة
17	7	أجد أن بعض أدوات الذكاء الاصطناعي معقدة وتتطلب تدريبًا لفهمها واستخدامها بفعالية.	2.418	ضعيفة
18	18	أخشى أن يؤدي استخدام الذكاء الاصطناعي في التعلم إلى تراجع التفاعل البشري في البيئة الأكاديمية.	2.354	ضعيفة
19	10	أعتقد أن الاستخدام المفرط للذكاء الاصطناعي قد يقلل من الإبداع والقدرة على التفكير المستقل.	2.295	ضعيفة
20	13	من الضروري تعزيز مهارات الطلاب في استخدام الذكاء الاصطناعي بطرق أكاديمية فعالة.	2.209	ضعيفة
		المتوسط العام	٢.٩٩٠٩	متوسطة

ويلاحظ من الجدول السابق وجود استجابة بدرجة متوسطة في معظم الفقرات في الاستبيان فيما عدا وجود استجابة كبيرة على سبع فقرات وهي الفقرات ذوات التسلسل (١١، ٢، ١٧، ٥، ١٤، ٨، ٢٠.) واعلاها الفقرة ذات التسلسل (١١) التي محتواها (أمتلك معرفة كافية بتقنيات الذكاء الاصطناعي المستخدمة في تحسين العملية التعليمية) اذ حصلت على متوسط قدره (٣,٦١٠) تشير إلى أنهم يمتلكون مستوى معقول من المعرفة حول تقنيات الذكاء الاصطناعي المستخدمة في تحسين العملية التعليمية يمكن تفسير هذه النتيجة بعدة عوامل منها التزايد في الاهتمام بالتكنولوجيا الحديثة: مع التقدم التكنولوجي السريع، بدأ الكثير من الطلبة في العراق وفي مختلف أنحاء العالم يعون أهمية الذكاء الاصطناعي وتأثيره المحتمل في مجالات متعددة، بما في ذلك التعليم. قد يكون هذا الاهتمام سببًا رئيسيًا في أن الطلبة يشعرون بأن لديهم معرفة كافية، حتى وإن لم تكن المعرفة شاملة أو متعمقة. فضلا عن التوجهات العالمية نحو الذكاء الاصطناعي في التعليم: هناك زيادة كبيرة في استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحسين أساليب التدريس والتعلم. ربما تروج الجامعات والجهات التعليمية لمثل هذه التقنيات، وتدفع الطلبة لاكتساب معرفة أساسية بها، مما قد يجعلهم يشعرون بالثقة في معرفتهم حول هذا الموضوع.

وحصلت الفقرة الثانية (أستخدم تطبيقات الذكاء الاصطناعي بانتظام لدعم دراستي الأكاديمية.

على ثاني اعلى متوسط وقدرة ٣,٦٠٠ وتفسر الباحثة ذلك أن هناك استخدامًا معتدلاً لتقنيات الذكاء الاصطناعي في دعم التعليم الأكاديمي. في العراق، حيث قد تكون هناك اختلافات في مستويات التعليم بين الجامعات، يمكن للذكاء الاصطناعي أن يلعب دورًا محوريًا في تحسين المهارات الأكاديمية لدى الطلبة، خاصة من خلال التعلم التكيفي. كما ان الزيادة في عدد الطلاب في الجامعات، يمكن استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحليل أداء الطلاب وتقديم دروس مخصصة بناءً على مستوى الطالب. هذا يسمح للطلاب بالتفاعل مع المواد الدراسية بشكل يتناسب مع مستوى معرفتهم واحتياجاتهم التعليمية، مما يساعد في تنمية مهاراتهم الأكاديمية بشكل فردي.

في حين حصلت الفقرة العاشرة (أعتقد أن الاستخدام المفرط للذكاء الاصطناعي قد يقلل من الإبداع والقدرة على التفكير المستقل على موافقة ضعيفة من طلبة الجامعة اذ كان متوسطها (٢,٢٩) يمكن تفسيره من خلال عدة عوامل نفسية وتربوية تتعلق بتأثير التقنيات الحديثة على المهارات العقلية والإبداعية إبداع في التفكير يتطلب التفاعل والتجربة مع الأفكار والمفاهيم بشكل عميق وتفكير مستقل. قد يؤدي الاستخدام المفرط لتطبيقات الذكاء الاصطناعي إلى تقليص الفرص للطلاب للتفاعل مع المواد الأكاديمية بشكل خلاّق، مما يؤثر على قدرتهم على ابتكار حلول جديدة. عندما يعتمد الطلاب على أدوات الذكاء الاصطناعي لإنجاز المهام، قد يُفقد جزء من عملية التفكير خارج الصندوق التي تُعد جزءًا من التفكير الإبداعي.

وكذلك الفقرة ذات التسلسل الثالث العشر كانت الاستجابة ضعيفة التي محتواها (من الضروري تعزيز مهارات الطلاب في استخدام الذكاء الاصطناعي بطرق أكاديمية فعالة.) فقد كانت قيمة الوسط لها (٢,٢٠) ربما مرجعية ذلك الى الطلاب قد يعتقدون أن الذكاء الاصطناعي ليس أداة أساسية في التعلم الأكاديمي، بل يُنظر إليه على أنه أداة مساعدة فقط بدلاً من جزء لا يتجزأ من المنهج الأكاديمي. لذا، فإن الموافقة الضعيفة قد تعكس نقصًا في الوعي حول أهمية دمج هذه الأدوات في العملية التعليمية.

وفي ضوء النتائج التي تم التوصل إليها فأن فان معظم طلبة الجامعة كانت موافقتهم متوسطة على استبيان دور الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات الاكاديمية لدى طلبة الجامعة. والسبب الطلاب قد يكون لديهم معلومات جزئية عن الذكاء الاصطناعي واستخداماته في التعليم، ما يجعلهم غير متأكدين من تأثيره الفعلي على تحسين مهاراتهم الأكاديمية. وربما التجربة الشخصية مع تطبيقات الذكاء الاصطناعي تلعب دور في الموافقة المتوسطة على ان الذكاء الاصطناعي ودوره في تنمية المهارات الاكاديمية لدى طلبة الجامعة يمكن أن تكون محدودة، مما يجعل الطلاب غير متأكدين من الفوائد الحقيقية التي قد يجلبها استخدام هذه الأدوات. إذا كانت تجارب الطلاب مع الذكاء الاصطناعي غير كافية أو قليلة،

فإنهم قد يكونون متحفظين في تقييم هذه التقنيات أو في تبنيها بشكل كامل.
وربما هناك بعض الطلاب الذين قد يشعرون بالقلق حول التأثيرات السلبية المحتملة لاستخدام الذكاء الاصطناعي، مثل التقليل من التفكير المستقل، أو فقدان الإبداع، أو الاعتماد المفرط على التكنولوجيا. هؤلاء الطلاب قد يعارضون استخدام الذكاء الاصطناعي بشكل كبير في التعليم.

الاستنتاجات:

ان تقييم طلبة الجامعة لدور الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات الأكاديمية موافقة متوسطة على الاستبيان تشير إلى أن الطلاب في العراق لديهم رؤى متباينة حول استخدام الذكاء الاصطناعي في التعليم. هذا يعكس عدم التبني الكامل للتقنيات الحديثة بسبب تفاوت الوعي و التجربة مع هذه الأدوات، بالإضافة إلى التحديات التقنية و القلق الثقافي. وعلى الرغم من وجود قبول نسبي لفكرة استخدام الذكاء الاصطناعي، إلا أن هناك تحفظات حول فائدته الفعلية أو تأثيراته السلبية على المهارات الأكاديمية التقليدية مثل التفكير المستقل و الإبداع.

التوصيات:

١ – على وزارة التعليم العالي الاهتمام بضرورة العمل على تعريف الطلاب بكيفية استخدام الذكاء الاصطناعي في حل المشكلات الأكاديمية وتحسين طرق التعلم الشخصي.

٢ – على الجامعات إنشاء مختبرات متخصصة في الذكاء الاصطناعي وتكنولوجيا المعلومات بحيث يمكن للطلاب من مختلف التخصصات استخدامها لتحسين مهاراتهم.

٣ – توصي الباحثة تخصيص مادة تطوير محتوى أكاديمي رقمي يستخدم أدوات الذكاء الاصطناعي لتحليل المعلومات، مما يساعد الطلاب على تنمية مهارات التفكير النقدي والتحليل المستقل.

المقترحات:

١ – اعادة اجراء الدراسة الحالية في مراحل دراسية أخرى..

٣ – القيام بدراسات تهدف معرفة تأثير استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي على تطوير الإبداع و التفكير النقدي لدى الطلاب في مختلف التخصصات الأكاديمية.

٢ – إجراء دراسة تأثير استخدام الذكاء الاصطناعي على مهارات البحث العلمي لدى الطلاب في الجامعات العراقية، خاصة في مجالات مثل تحليل البيانات و الاستنتاج.

المصادر :

١ – الشهري ، حنان (٢٠٢٣) . دور مقرر مهارات الدراسة الجامعية في تعزيز جودة الحياة الأكاديمية لدى طالبات جامعة جدة: دراسة في علم الاجتماع والتنمية مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٢)العدد (٦١)أكتوبر

٢ – جمل ، محمد (٢٠١٥). مهارات الحياة الجامعية . الامارات العربية المتحدة . دار الكتاب الجامعي .

٣ – تيطراوي ، بشرى (٢٠١٧). دور التقويم الذاتي في تنمية بعض المهارات الدراسية لدى طلبة قسم علم النفس سنة اولى ماستر – دراسة ميدانية بقسم علم النفس . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، الجزائر .

٤ – الهادي ، محمد محمد . التعليم الالكتروني عبر شبكة الانترنت . (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٥م) .

٥ – زعراني ، محمد (٢٠٢٣) مهارات الدراسة الجامعية : شبكة مقترحة لطلاب شعب العلوم الانسانية والاجتماعية ، كلية اللغات والفنون والعلوم الانسانية . Revue SSDL

٦ – القرني، يعن الله علي؛ و مرداد، فؤاد صدقة. (٢٠١٨). مستوى مهارات الحياة الجامعية وعلاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية لدى الطالب والطالبات المنتظمين بجامعة الملك عبد العزيز. الوقف العلمي، جامعة الملك عبد العزيز

٧ – حمامة، عمار. (٢٠٢٠). جودة الحياة الأكاديمية وعلاقتها بجودة مخرجات التعليم العالي لدى عينة من أساتذة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الوادي. مجلة العلوم النفسية والتربوية، جامعة الوادي، ٦(١ ،)١٠٨ –١٣٣ .

٨ – الرحيلي، تغريد بنت عبد الفتاح (٢٠١٤). اتجاهات طالبات جامعة طيبة نحو استخدام المدونات التعليمية الإلكترونية في تعلم مقرر

مهارات الحياة الجامعية. مجلة جامعة النجاح للأبحاث – العلوم الإنسانية، ٢٨ (٨ ،)١٧٦٥ –١٧٩٤ .

٩– الزهراني، علي بن صالح عزيز. (٢٠٢٠)جودة الحياة الأكاديمية .. دراسة تطبيقية على عينة من طالب كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة. مجلة العلوم الإنسانية العربية، ١(٢ ،)١ –٢

١٠– العتيبي، لفا محمد بن هلال . (٢٠١٤)تصميم مقياس جودة الحياة الأكاديمية لطلاب الجامعة. مجلة القراءة والمعرفة، (١٤٨ ،)٢٤١–٢

١١– العويضي، ناهد عادل حافظ. (٢٠٢١)وحدة تعليمية مقترحة في مقرر المهارات الجامعية لتنمية مهارات إدارة المشاريع لدى طلبة جامعة جدة وفقا لرؤية المملكة ٢٠٣٠ ومتطلبات نجاحه من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في جامعة جدة. مجلة العلوم التربوية والنفسية، المركز القومي للبحوث غزة، ٥(١٧ ،)٩٣ –١١

١٢– عبد الرضا ، فاطمة ناصر (٢٠٢٣). دور تقنيات الذكاء الاصطناعي في تنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى الطالب في المواقف التعليمية

١٣– فخرو، عائشة أحمد سلطان؛ والساعي، أحمد جاسم يعقوب. (٢٠١٤)فاعلية مقرر مهارات طالب الجامعة المطور بجامعة قطر والقائم على التعلم النشط في تنمية مهارات الدراسة لطالبات المقرر وآراؤهن حوله. مجلة دراسات الخليج والجزيرة(٦٠ –١٩ ،)١٥(٤٠ ،)١

١٤– مشعل، فاطمة إسماعيل محمد. (٢٠١٦)مقومات نجاح المنظومة التعليمية في ضوء المعايير الأكاديمية (دراسة فقهية مقارنة(. جامعة الجوف نموذج مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات – دمنهور، ٨(١ ،)٢٦٥ –٣٥

١٥– المسعدين محمد بشير، أثر نمط التعلم لدى طلبة جامعة مؤتة حسب نموذج كولب في كل من ذكائهم الانفعالي و دافعيتهم للإنجاز، أطروحة ماجستير في علم النفس التربوي، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠١١ ،ص ص: ٨–٩

١٦– الشهري طافر بن عبد هلالا بن محمد، أنماط التعلم المفضلة وفق نموذج (VARK)لدى طلبة المرحلة الثانوية بمحافظة النماص، وعلاقتها ببعض المتغيرات، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد ٠٧ ،العدد ٠٨ ،٢٠١

١٧– فاروق، نيفين (٢٠٢١) الآلة بين الذكاء الطبيعي والذكاء الاصطناعي (مجلة البحث العلمي في الآداب)كلية البنات للآداب والعلوم التربوي، جامعة عين شمس، الجزء ٣ ،ص ٤٨١ . ٣ –

١٨– عبد الوهاب ، سعد حسن (٢٠٢٣) . فاعلية بعض تطبيقات الذكاء الصطناعي في تنمية مهارات التعلم الإلكتروني والتنظيم الذاتي لدى طالب تكنولوجيا التعليم مرتفعي ومنخفضي السعة العقلية ، المجلة العلمية المحكمة لدراسات وبحوث التربية النوعية المجلد التاسع – العدد الرابع – مسلسل العدد) ٢٢ –

١٩– مجدي صالح طه المهدي. (٢٠٢١)التعليم وتحديات المستقبل في ضوء فلسفة الذكاء الاصطناعي. مجلة تكنولوجيا التعليم والتعلم الرقمي، ٢(٥ ،)٩٨ – ١٤٠

٢٠– العبيدي رأفت عاصم (٢٠٢١)دور الذكاء الاصطناعي في تحقيق الإنتاج الأخضر، جامعة كركوك. الحر العراق: مجلة جامعة كركوك للعلوم الإدارية والاقتصادية، مج٥ ، ع١، ص ٢٢–٧٣.

٢١– Al Ka'bi, A. (2023). Proposed artificial intelligence algorithm and deep learning techniques for development of higher education. International Journal of Intelligent Networks, 4, 68 – 73.

٢٢– Al Mukhallaf Turki Rabah, Using Artificial Intelligence for Developing English Language Teaching/Learning: An Analytical Study from University Students' Perspective, International Journal of English Linguistics; Vol. 10, No. 6; 2020, p: 41.

٢٣– Chen, X., Xie, H. & Hwang, G. (2020). A multi-perspective study on Artificial Intelligence in Education: grants, conferences, journals, software tools, institutions, and researchers. Computers and Education: Artificial Intelligence, 1, 1 – 11.

٢٤– Liebenberg ,H and Hendrik ,D .(2019). Progressio – Access and skill in using ICT in an open and distance learning context—students' ICT sophistication – research. Progressio, 41 (1), pp. 1



السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

الرؤية في الغيبة الكبرى دراسة موضوعية

م. م. أمير ماجد طالب كاظم م. م. حسين علي صاحب مهدي
وزارة التربية /المديرية العامة لتربية محافظة النجف الأشرف

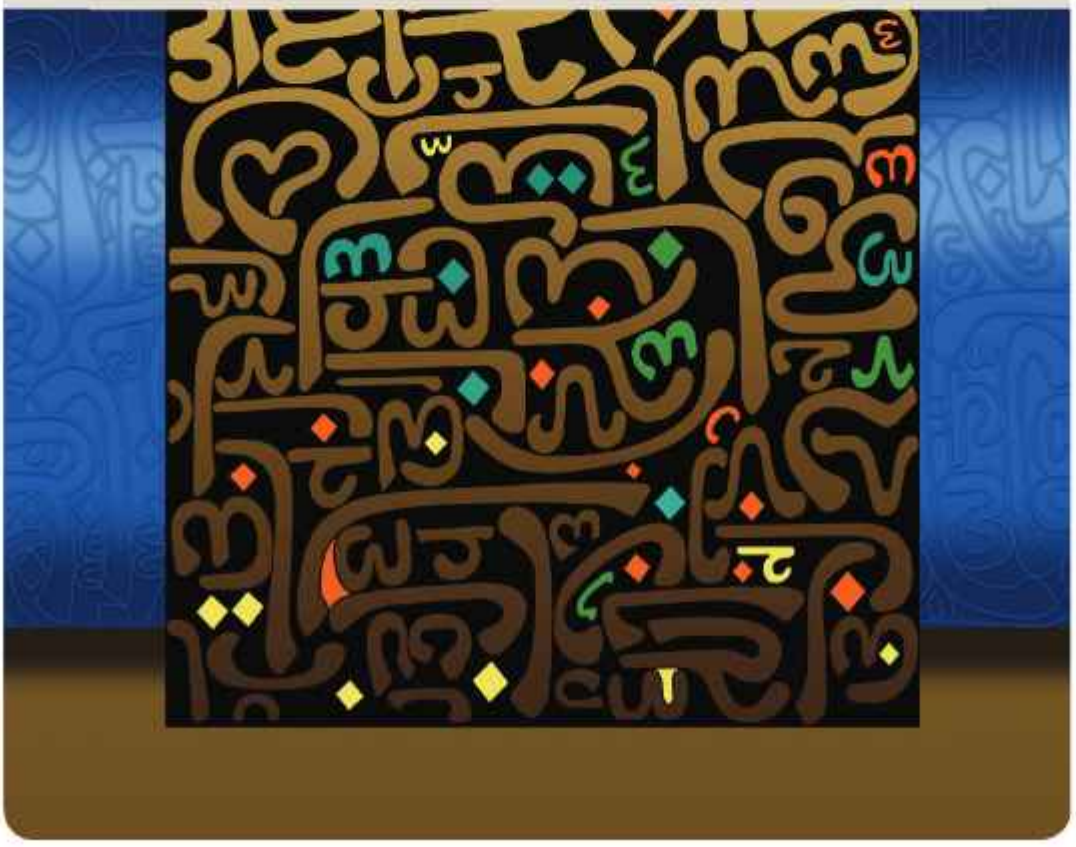

للمستخلص:
الصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.أما بعد ...
هذا بحث بعنوان : الرؤية في الغيبة الكبرى دراسة موضوعية
من الامور التي اختلف فيها هي الرؤية في الغيبة الكبرى , وفقاً للمفهوم الشيعي فانه يشير الى غياب الامام الثاني عشر وهو الإمام المهدي عن انظار الناس بعد انتهاء فترة الغيبة الصغرى , وهذه الرؤية تتضمن فكرة ان المهدي المنتظر لا يزال حيا يرزق موجود بين الناس لكنه غير مرئي ولا يمكن لجميع الناس رؤيته , ومن هذا الخلاف هو ما ذهب إليه جمع من العلماء من رؤية الإمام المهدي عليه السلام من خلال الغيبة الكبرى ، فان الصادر من الناحية المقدسة الذي يؤيد منطوقه تكذيب منْ يدّعي الرؤية بعد موت السفير الرابع للأمام المهدي عليه السلام جعل الامر هي عدم جواز القول برؤية الامام في الغيبة الكبرى ، ولكن التدبر في احاديث العلماء واقوالهم حول رؤية الامام من جوانبها المختلفة تؤدي الى نتيجة وهي تخالف الفكرة التي انتشرت وشاعت بين الناس.
وتعد مسألة غيبة الامام المهدي(عليه السلام) من أهم المسائل العقائدية التي حظيت باهتمام واسع في الفكر الشيعي الامامي , لما لها من ارتباط مباشر بفكرة الامامة الالهية والانتظار المهدوي والدور الالهي في حفظ الحجة على العباد , وقد زخرت المصادر الحديثية الامامية بطائفة كبيرة من الروايات التي تحدثت عن هذه الغيبة , واشارت الى طبيعتها , واسبابها وابعادها المختلفة , قبل وقوعها بزمن طويل.
ويتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع :
يتناول المبحث الأول : التعريف بمفردات عنوان البحث المطلب الأول المعنى اللغوي والاصطلاحي للرؤية في الغيبة الكبرى اما في المطلب الثاني فتكلمنا عن مفهوم الغيبة في الأديان السابقة.
ويتناول المبحث الثاني : غيبه الأمام الحجه عجل الله فرجه الشريف وفي المطلب الأول الأدلة الروائية على غيبه الأمام اما في المطلب الثاني فتكلمنا عن قول العلماء الذين ذكروا ذلك اي الغيبة.
اما المبحث الثالث والأخير : الأدلة على الرؤية المطلب الأول الأدلة الروائية على امكان الرؤية اما في المطلب الثاني فتكلمنا عن الأدلة العقلية والعرفانية على الرؤية أم المطلب الثالث فتكلمنا عن شهادات العلماء حول الرؤية.
أما الخاتمة : فقد تناولت اهم وابرز ما توصلت اليه من خلال بحثنا.
أما المصادر : فقد أعتمد البحث على مجموعة من المصادر القديمة والمراجع الحديثة.
الكلمات المفتاحية : الغيبة الكبرى، الأدلة، الأدلة الروائية، الأدلة العقلية.

Abstract:
Peace and blessings be upon the most honorable of messengers, our Master Muhammad, may God bless him and grant him peace.Now then...
This research is entitled: «Sightings During the Major Occultation: An Objective Study.»One of the issues that has become prevalent is the perception of seeing Imam al-Hujjah (peace be upon him) during the period of the Major Occultation. The signature issued by the Holy Appearance, which explicitly affirms the falsification of those who claim to have seen him after the lifetime of the fourth ambassador of Imam al-Hujjah (peace be upon him), has led to the prevailing notion that it is impermissible to claim that he (peace be upon him) was seen during the Major Occultation. However, an examination of the scholars› statements and opinions on the issue from various perspectives leads to a conclusion that contradicts the prevailing and widespread notion among people. Scholars›

statements are almost unanimous on the issue of the possibility of seeing the Imam al-Hujjah (peace be upon him) during the Greater Occultation, although their wording differs from the meaning of the signature issued by the Imam (peace be upon him), cited by the fourth ambassador, Ali ibn Muhammad al-Samarri (may God be pleased with him). The final paragraphs of the statement appear to prohibit and refute those who claim to have seen him. This statement sparked the debate to prove their agreement regarding the permissibility and possibility of seeing him. Their statements even delved into the meaning of seeing him and how it can be achieved. Indeed, some even set specific conditions for a permissible, non-prohibited vision. Therefore, we must first consider the general possibility of seeing him and how to respond to and discuss what is considered to be opposing it.

The research consists of an introduction, three chapters, a conclusion, and a list of sources and references.

The first chapter addresses the definition of the terms of the research title. The first section discusses the linguistic and technical meaning of seeing him during the Greater Occultation. The second section discusses the concept of occultation in previous religions. The second section deals with the occultation of Imam al-Hujjah (may God hasten his reappearance). The first section discusses the narrative evidence for the occultation of the Imam. The second section discusses the scholars› statements regarding this occultation.

The third and final section discusses the evidence for the vision. The first section discusses the narrative evidence that negates the vision and how it reconciles with the vision. The second section discusses the practical witnesses to the vision of Imam al-Hujjah (may God hasten his reappearance), namely the testimony of pious individuals to the vision of the Imam (may God hasten his reappearance).

The conclusion addresses the most important and prominent findings of our research.

Regarding the sources, the research relied on a group of ancient sources and modern references.

Keywords: The Great Mysticism, Evidence, Narrative Evidence, Rational Evidence.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطاهرين وبعد...

يُعَد موضوع غيبة الإمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) من أبرز الموضوعات العقدية التي شغلت بال علماء المسلمين وأتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، لما له من ارتباط وثيق بمفهوم الإمامة، وتحقيق العدالة الإلهية في آخر الزمان، وظهور دولة الحق الموعودة

يتناول هذا البحث دراسة شاملة لموضوع الغيبة الكبرى، من حيث مفهومها، أسبابها، مراحلها، الآثار المترتبة عليها، ودور المؤمنين في زمن الغيبة كما يسلط الضوء على الأحاديث والروايات الواردة في شأن الأمام المهدي (عج)، وتحليل الرؤية الفكرية والعقائدية التي تبناها علماء الأمامية في تفسير هذه الغيبة المباركة.

ونهدف من خلال هذا البحث إلى تعميق الفهم حول هذا الركن الأساسي من أركان العقيدة ، وتبيان أهمية الانتظار الواعي ، الذي يقتصر على الترقب السلبي، بل يتعداه إلى العمل والتزكية والاستعداد لنصرة الأمام عند ظهوره.

نسأل الله ان يوفقنا في هذا الجهد المتواضع في طريق المعرفة ، وأن يكون هذا البحث لبنةً الولاء لأمام زماننا أرواحنا له الفداء. القضية المهدوية من القضايا المركزية والمهمة في الفكر الإسلامي، ولها أبعاد متعددة وقد اهتم بها الباحثون الإسلاميون فكتبوا فيها الكثير وطرحوا خلال بحوثهم مواضيع متعددة مرتبطة بهذه القضية، سواء ما يتعلق بالجانب العقائدي أو الجانب التاريخي أو الجوانب الأخرى، تكلمنا في بحثنا هذا عن الغيبة الكبرى والرؤية وذلك من خلال ثلاث مباحث ومطلبين في كل مبحث.

وقد قسمنا بحثنا هذا الى ثلاث مباحث وفي كل مبحث مطالب تكلمنا في المبحث الأول عن التعريف بمفردات عنوان المبحث المطلب الأول المعنى اللغوي والاصطلاحي للرؤية في الغيبة الكبرى اما في المطلب الثاني فتكلمنا عن مفهوم الغيبة في الأديان السابقة وفي المبحث الثاني تكلمنا عن غيبه الأمام الحجه عجل الله فرجه الشريف وفي المطلب الأول الأدلة الروائية على غيبه الأمام اما في المطلب الثاني فتكلمنا عن قول العلماء الذين ذكروا ذلك اي الغيبة اما في المبحث الثالث الأدلة على الرؤية المطلب الأول الأدلة الروائية على امكان الرؤية اما في المطلب الثاني فتكلمنا عن الأدلة العقلية والعرفانية على الرؤية أما المطلب الثالث فتكلمنا عن شهادات العلماء حول الرؤية , وبعدها الخاتمة وما توصلنا اليه من نتائج وتوصيات واخيرا قائمه المصادر التي اعتمد عليها.

المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي (الرؤية في الغيبة الكبرى).

اولاً: الرؤية في اللغة:

الرؤية لغةً مأخوذة من الفعل «رأى»، وتُستخدم بمعنى الإبصار بالعين، وقد تأتي بمعنى العلم والمعرفة بالقلب أو الفكر(١).

قال ابن فارس في «مقاييس اللغة»:

«الراء والهمزة والحرف المعتل أصلٌ يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعين أو قلب»(٢).

وقال ابن منظور في «لسان العرب»:

«الرؤية: إدراك المرئيات بالبصر، وقد تستعمل في إدراك البصيرة أيضًا»(٣).

والرؤية في اللغة العربية مأخوذة من الفعل رأى، ويُقال: رأى الشيءَ رؤيةً ورُؤيا(٤).

تُستعمل بمعنيين رئيسيين:

١. الرؤية البصرية: أي الإبصار بالعين، كأن تقول: رأيت القمر.

٢. الرؤية القلبية أو العقلية: أي الإدراك بالذهن أو التصور بالفكر، كأن تقول: أرى أن الصدق أفضل من الكذب، أي أعتقد وأؤمن.

ثانياً: الرؤية في الاصطلاح:

تختلف الرؤية اصطلاحًا بحسب السياق الذي تُستعمل فيه، ومن أبرز معانيها:

١. الرؤية الفكرية / الفلسفية:

هي: «نظرة الإنسان الشاملة إلى الكون والحياة والإنسان، وتشكّل مرجعية فكرية تحدد مواقفه من مختلف القضايا»(٥).

٢. الرؤية في التخطيط الاستراتيجي:

هي: «الصورة المستقبلية المرغوبة التي تسعى منظمة أو دولة إلى تحقيقها»(٦).

٣. الرؤية في المنام (الرؤيا):

تُطلق على ما يراه الإنسان في منامه، وهي تختلف عن «الحلم»، فالرؤيا تكون من الله(٧).

ثالثا: المعنى اللغوي للغيبة:

هو الاختفاء او الغياب (٨).

فالغيبة ماخوذة من غاب يغيب , أي احتجب واستتر عن الأنظار(٩), سواء كان الشخص او الشيء غير موجود او غير ظاهر (١٠).

رابعا: المعنى الاصطلاحي للغيبة:

أي بمعنى الاختفاء او الغياب(١١).

وتعرف ايضا: انقطاع الشخص عن الحضور أو احتجابه عن الأنظار لمدة من الزمن وتستخدم في معاني متعددة منها : غيبة الامام : أي اختفاؤه واحتجابه.

أما في الفقه : يقال غيبة الزوج أي انقطاعه عن زوجته مدة زمنية طويلة , وأما في الكلام عن الامام المهدي عليه السلام عند بعض الطوائف : هو عصر الغيبة أي فترة احتجابه (١٢).

خامسا: الكبرى لغة:

كبرى: أسم كبرى مؤنث أكبر , كبرى : أسم الجمع : كبر , كبريات مؤنث أكبر الأخت الكبرى : الأخت التي تكبرك الثورة الكبرى : الثورة العظمى , الكبر : اسم لكبر : جمع كبرى(١٣). كبر : أسم الكبر : الطبل ذو الوجه الواحد والجمع : كبار٣ , أكبار الكبر : نبات معمر من الفصيلة الكبرية , ينبت طبيعيا ويزرع , وتؤكل جذوره وسوقه مملحة , وتستعمل جذوره في الطب(١٤).

سادسا: الكبرى اصطلاحا:

وتأتي بمعنى الفترة الطويلة او الكبيرة، وهو مصطلح يطلق على غيبة الأمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) الغيبة الثانية تسمى الكبرى(١٥).

المطلب الثاني: مفهوم الغيبة في الأديان السابقة

عرفت بعض الديانات السابقة للإسلام بفكرة مفادها ان شخصية معينة ذات طابع ديني او روحي قد اختفت عن الانظار , دون ان تموت مع الاعتقاد بانها ستعود في المستقبل لأداء دور مصيري في حياة الناس , هذا المفهوم الذي يعرف بالغيبة , كان يحمل في طياته معاني الرجاء بالخلاص وعودة النظام الالهي الحق بعد انتشار الفساد او الانحراف في العالم(١٦).

ففي ديانة اليهودية برزت فكرة الغيبة من خلال الاعتقاد بأن النبي الياس لم يمت موتا طبيعيا , بل غادر هذا العالم بطريقة غير مألوفة , وظل محفوظا ليظهر لاحقا في مرحلة فاصلة من التاريخ ليمهد لظهور المخلص المنتظر. كما يؤمن اليهود بقدوم شخصية مخلصة من نسل داود تسمى (المسيا) وينتظر ظهورها بعد غياب طويل لتعيد للأمة مكانتها وتحقق الوعد الالهي(١٧).

وأما في الديانة المسيحية , فتتجلى الغيبة من خلال الاعتقاد بأن السيد المسيح قد صعد الى السماء بعد قيامته , وهو الان غائب جسديا عن العالم , على ان يعود في الزمن القادم لتحقيق العدل الالهي ومحاكمة الظالمين , وتعرف هذه العودة بالمجيء الثاني.

وفي بعض الديانات الشرقية , مثل الهندوسية هناك تصور لغيبة الاله المتجسد الذي يعرف ب(كلكي) والذي يظهر في نهاية الزمان ليعيد التوازن الى الكون , كما ينتظر في بعض المدارس البوذية قدوم شخصية تدعى (مايتريا) يعتقد انها ستبعث لاحقا لتجدد التعاليم الروحية وتنقذ الناس من الظلام الفكري والانحراف الاخلاقي(١٨).

وخلاصة هذا الكلام وهو ان الغيبة , كما ظهرت في عدد من الاديان السابقة ليست مجرد غياب جسدي. بل هي رمز روحي لفترة من الانتظار المقرونة بالأمل في التغيير , ومرتبطة بوعد الهي يتحقق في وقت مخصوص , حين يحين زمن الاصلاح والتجديد(١٩).

المبحث الثاني : غيبة الأمام الحجة:

يعد الامام الثاني عشر عند الشيعة الاثني عشرية , المعروف بالأمام المهدي محمد بن الحسن العسكري , شخصية محورية

في الفكر الامامي , وتشير المصادر التاريخية لدى مدرسة اهل البيت الى ان الامام المهدي عليه السلام ولد في منتصف شهر شعبان سنة (٢٥٥) للهجرة وذلك في مدينة سامراء , خلال فترة كان فيها الحصار الامني والعقائدي على بيت الامامة في اشد حالاته , وقد أحاط الامام الحسن العسكري (عليه السلام) ولادة ابنه بسرية تامة , نتيجة مراقبة السلطة العباسية و التي كانت تتابع تحركاته خشية ولادة الامام الذي تنتظره الامة والذي تنبأت به الروايات النبوية بأنه سيكون مصلحا عالميا (٢٠)، وبعد وفاة الامام الحسن العسكري (عليه السلام) سنة (٢٦٠هـ) تولى ابنه محمد الامامة في سن صغيرة , ونظرا للظروف السياسية المعقدة , لم يظهر الامام للناس , بل اعتمد على وسطاء خاصين يعرفون بالسفراء او النواب , وهم أربعة تولوا مسؤولية الاتصال بين الامام وشيعته , كل منهم في فترته(٢١)، وهم عثمان بن سعيد العمري (٢٦٠هـ – ٢٦٥هـ) وكان من أوثق خواص الامام العسكري(عليه السلام) وقد سبق له أن كان وكيلا للأمام الهادي (عليه السلام) ايضا , بدا دوره الرسمي بعد وفاة الامام العسكري (عليه السلام) وكان واسطة لنقل الاسئلة والحقوق الشرعية و واستلام التوقيعات من الامام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) , والسفير الثاني هو محمد بن عثمان بن سعيد (٢٦٥هـ – ٣٠٥هـ) وهو أبن السفير الاول , وتم تعيينه من قبل والده قبل وفاته , وتموافقة الامام المهدي (عجل الله فرجه) , امتدت فترة سفارته قرابة اربعين عاما , وقد برز خلالها في ادارة شؤون الطائفة , وايصال الكتب والاموال و وأجوبة الامام في المسائل العقائدية والفقهية , والسفير الثالث هو الحسين بن روح النوبختي (٣٠٥هـ – ٣٢٦هـ) وكان من كبار علماء بغداد ومن عائلة ذات نفوذ في البلاط العباسي , مما مكنه من أداء دوره بدقة, اشتهر بالحكمة والاتزان في ادارة الازمات, خاصة في ظل اشتداد محاولات السلطة لكشف هوية الامام , والسفير الرابع فهو علي بن محمد السمري (٣٢٦هـ – ٣٢٩هـ) وهو السفير الاخير , وتلقى قبل وفاته رسالة من الامام المهدي جاء فيها ((يا علي بن محمد السمري , أعظم الله اجر اخوانك فيك , فانك ميت ما بينك وبين ستة ايام , فلا توص الى أحد من بعدك فقد وقعت الغيبة الكبرى)) , وبهذا الاعلان انتهت فترة الغيبة الصغرى , وعقب وفاة السفير الرابع , بدأت مرحلة تعرف بالغيبة , حيث انقطع الاتصال المباشر بالأمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) ولم يعد هناك من ينوب عنه سفارة خاصة , وفي هذه المرحلة , تركت مسؤولية ادارة شؤون الطائفة الى العلماء والفقهاء المؤهلين و وقد أشار الامام المهدي في التوقيع الذي ختم به عصر الغيبة الصغرى الى ان اللقاء به لم يتحقق الا بأذن الله , وان من يدعي الرؤية فهو كاذب مفتر(٢٢).
كما أن غيبة الامام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) تمثل مرحلة حساسة في العقيدة الاسلامية الامامية وحيث يتفاعل فيها البعد الغيبي مع الواقع الاجتماعي والسياسي والديني , كما أن استمرارية الايمان بالأمام رغم الغيبة الطويلة تعد من ابرز مظاهر الثبات العقدي في الفكر الشيعي , وان فكرة الظهور الموعود تمنح الامل للمظلومين وتجسد الانتظار الايجابي الذي يدفع الانسان نحو اصلاح الذات والمجتمع.

المطلب الأول: الأدلة الروائية

الغيبة بحسب الروايات تقسم الى غيبة صغرى وغيبة كبرى(٢٣)، وقد كانت الغيبة بمثابة اختبار ايماني للمجتمع الشيعي , مما جعل الاحاديث النبوية وروايات الائمة (عليهم السلام) تسعى لتهيئة الامة لهذه المرحلة الخطيرة من تاريخ الامامة, فكانت هذه الادلة الروائية على محورين هما(٢٤) :

فالمحور الأول: شمل الاحاديث الواردة عن النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بشان الغيبة ومن هذه الاحاديث

١– حديث الخلفاء الاثني عشر : فقد ورد عن جابر بن سمرة قال : سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : ((يكون بعدي اثنا عشر أميرا , كلهم من قريش))(٢٥) , هذا الحديث يعد من ابرز الاحاديث التي اسست لفكرة الائمة الاثني عشر و ومن ثم مهد للغيبة باعتبارها احدى مراحل الامامة.

٢– حديث المهدي من ولدي : فقد ورد عن عبدالله بن مسعود , عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أنه قال : ((لو لم يبق من الدنيا الا يوم , لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتي , يواطئ اسمه اسمي....))(٢٦) , يظهر هذا الحديث وعدا ببعث الامام المهدي في اخر الزمان , مما يشير الى فترة غيبته السابقة لظهوره.

٣– حديث الغيبة والامتحان : فعن عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) انه قال : ((طوبى للصابرين في غيبته , طوبى للمتمسكين على محبته , اولئك الذين وصفهم الله في كتابه وقال : (الذين يؤمنون بالغيب))(٢٧).

اما المحور الثاني : فقد شمل روايات أهل البيت (عليهم السلام) بشان الغيبة ومن هذه الاحاديث

١ – روايات الامام علي (عليه السلام) : فقد ورد عن امير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال في خطبة له : (حتى يغيب عن الناس شخصه , ولا يرى له اثر , ويجتمع على امامته المؤمنون) (٢٨) .

٢ – روايات الامام الصادق (عليه السلام) : فقد ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال : (ان للقائم غيبتين , احداهما قصيرة , والاخرى طويلة ....). (٢٩).

٣ – روايات الامام الكاظم (عليه السلام) : فقد قال الامام (عليه السلام) : (لابد من صاحب هذا الامر من غيبة و حتى يرجع عن هذا الامر من كان يقول به , انما هي محنة من الله ....) (٣٠).

٤ – روايات الامام الرضا (عليه السلام) : فقد قال الامام (عليه السلام) : (ما احسن صبركم لو انكم صبرتم , اما والله ما يكون ذلك الا بعد أياس , حتى لا يبقى من الشيعة الا الأقل ....) (٣١).

المطلب الثاني : اقوال العلماء الذين ذكروا ذلك

تعد قضية الغيبة الكبرى للأمام المهدي (عليه السلام) احدى اهم الركائز في العقيدة الامامية الاثني عشرية , الا انها كانت ولا تزال موضع نقاش بين بين المدارس الفكرية والعقدية , بل وحتى بين بعض العلماء داخل الدائرة الاسلامية , وقد شهدت الساحة العلمية اراء مخالفة تنكر الغيبة الكبرى , سواء من حيث المبدأ أو من حيث تطبيقها على شخصية الامام المهدي (عليه السلام) , وسنذكر في هذا المطلب ابرز اقوال العلماء الذين نكروا الغيبة الكبرى , وتكون على قسمين(٣٢).

القسم الأول : العلماء الذين انكروا الغيبة الكبرى

١ – ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) : رغم اقراره بمبدأ المهدي المنتظر ضمن روايات اهل السنة , الا أنه انتقد بشدة الروايات المتعلقة بولادة الامام الثاني عشر وغيبته , واعتبرها غير ثابتة تاريخيا , مشيرا الى ان فكرة الغيبة لا تستند الى اصل صحيح , بل هي في رأيه نوع من الحيل الدفاعية أمام فشل الواقعية السياسية للعلويين(٣٣).

٢ – أحمد أمين المصري (ت١٩٥٤هـ) : فقد أنكر وجود المهدي أساسا , وعد الغيبة الكبرى ضربا من الخيال الذي اخترعته الشيعة لإيجاد مخرج لمأزقهم السياسي بعد توقف الامامة الظاهرة (٣٤).

٣ – محمد فريد وجدي (ت١٩٥٤هـ) : اعتبر ان فكرة الغيبة الكبرى ما هي الا وسيلة لحفظ المذهب من الانهيار بعد أن فقد الشيعة امامهم المباشر , وقال بأن هذه الغيبة لا تستند الى دليل عقلي او تاريخي مقنع (٣٥).

القسم الثاني : المنتسبين الى الطائفة الامامية ممن ناقشوا الغيبة بنفس نقدي

١ – أبو جعفر النعماني (ت القرن الرابع الهجري) : رغم كونه من أوائل المؤيدين لعقيدة الغيبة , ألا ان بعض عباراته في كتابه (الغيبة) قد تحمل نوعا من التردد والتفسير الرمزي للغيبة , مما جعله عند بعض الدارسين أحد أوائل من أبدى تساؤلات غير مباشرة حول دلالات الغيبة (٣٦).

٢ – ابن قبة الرازي (ت أوائل القرن الرابع الهجري) : اشتهر بنقاشاته الكلامية , وورد عند التردد في القبول الكامل لفكرة الغيبة الطويلة , وذهب بعض المحققين الى انه كان من أوائل المنكرين لفكرة دوام الامامة مع غياب الامام دون أثر ملموس.

٣ – الشلمغاني (ت٣٢٢هـ) : ادعى بعد وفاة الحسين بن روح النيابة عن الامام المهدي , ثم انكر الغيبة جملة , وقال انه لم يولد اصلا و وأن من يدعي وجوده فهو مخادع , وقد رد عليه فقهاء عصره واخرجوه من الطائفة.

كما أن انكار الغيبة الكبرى من قبل بعض العلماء سواء من داخل أو خارج المذهب الامامي , يعكس تباينا في الرؤية العقدية والمناهج المعرفية , لكن المدرسة الامامية استطاعت ان تبني منظومة متماسكة تبرر هذه الغيبة عقليا ونقليا , جعلت منها ركيزة كبرى في انتظار الفرج الموعود , على الرغم من المعارضة , تبقى عقيدة الغيبة الكبرى صامدة بقوة النص والدليل عند جمهور الامامية.

المبحث الثالث : الأدلة على الرؤية

تعتبر مسألة رؤية الامام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) في عصر الغيبة الكبرى من القضايا ذات الطابع العقدي المهم

في الفكر الامامي , لما لها من صلة مباشرة بمبدأ الامامة واستمرارية الحجة , وقد تعددت الآراء بين المثبتين والمنكرين لإمكان الرؤية , مما ولد سجالا واسعا في الوسط العلمي , وفي هذا المبحث نركز على الادلة التي يستند اليها في اثبات امكان وقوع الرؤية في زمن الغيبة الكبرى , وبعد هذا نذكر الأدلة العقلية والعرفانية على الرؤية (٣٧).

المطلب الأول : الأدلة الروائية على امكان الرؤية

١– رواية اسحاق بن يعقوب : فقد جاء في التوقيع الصادر عن الامام المهدي (عج) عبر السفير الثاني محمد ((وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي مثل الانتفاع بالشمس اذا غيبتها عن الابصار السحاب)) , وهذه الرواية تدل على وجود الامام في الارض وامكان تأثيره , وان لم يكن ظاهرا دائما , مما يفتح الباب لاحتمال رؤيته من دون معرفته(٣٨).

٢– روايات اللقاء به من قبل الاعلام : وردت في كتب الامامية روايات متعددة عن أشخاص كبار كالعلامة الحلي , والشيخ المفيد , والشيخ الطوسي وغيرهم , ذكروا رؤى ولقاءات مع الامام المهدي (عج) في ظروف خاصة , مما يعد شاهدا عمليا على أمكان الرؤية(٣٩).

٣– رواية توقيع الامام ((من ادعى الرؤية....) : في توقيعه المعروف قال الامام (عج) : ((فمن ادعى الرؤية قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر ...) , وقد فسر العلماء هذه الرواية على وجهين هما أما نفي الادعاء العلني المتكرر بالرؤية المستمرة , أو نفي الرؤية المقرونة بادعاء النيابة , لا الرؤية المجردة , وهذا ما ذهب اليه المحدث النوري والطبرسي وغيرهما , مما لا يتعارض مع الرؤية بنحو غير معلن او فردي.

المطلب الثاني : الأدلة العقلية والعرفانية على الرؤية

١– وجود الامام في الارض ضرورة عقائدية : اذا ثبت ان الامام المهدي (عج) حي حاضر بين الناس , فمن البديهي عقلا أنه يمكن أن يلتقي به من يشاء الله له ذلك , فوجوده الجسدي في الدنيا يقتضي أمكان الرؤية الحسية , ما لم يكن هناك مانع عقلي أو شرعي(٤٠).

٢– قاعدة اللطف الالهي : من مقتضيات اللطف الالهي أن يتاح للعبد المخلص الصادق ان يلقى حجة الله اذا كانت في ذلك مصلحة روحية أو تكليفية , وهذا ما يظهر في كثير من قصص اللقاءات الواردة من اهل الصلاح والتقوى(٤١).

٣– الاستئناس بالتجارب العرفانية : أشار بعض العرفاء والاولياء الى لقاءات ومكشفات روحية بالأمام المهدي (عج) و وهي وان لم تكن حجة على الغير و لكنها تعد قرائن على وجود حالة من التواصل الخاص , مما يدل على أمكان الرؤية في بعض المقامات(٤٢).

المطلب الثالث: شهادات العلماء حول الرؤية

١– الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة لم ينكر الرؤية , بل روى حوادث تدل عليها.

٢– العلامة المجلسي في كتابه بحار الانوار , أورد عشرات الروايات عن اللقاء بالأمام الحجة (عج).

٣– السيد بحر العلوم نقل عنه رؤيا صادقة او لقاءات بالأمام , وقد ايدها علماء عصره.

٤– الشيد المفيد اشار في رسائله الى امكانية اللقاء بالأمام المهدي عند الحاجة.

٥– المحدث النوري صنف كتاب النجم الثاقب وجمع فيه قصص اللقاءات الموثقة بالأمام المهدي مع التعليقات العقلية والشرعية.

الخاتمة:

أولاً: النتائج

١– ثبوت الغيبة الكبرى للأمام المهدي عند الشيعة الأمامية من خلال مصادر موثوقة في التراث الروائي ، وبيانات توقيعاته عليه السالم التي وردت في فترة السفراء الأربعة.

٢– رفض ادعاءات الرؤية الخاصة للأمام في الغيبة الكبرى – حيث ورد في التوقيع من ادعى المشاهدة فهو كاذب مفتر، وهذا يُعد أصلا عقائديا لمنع التلاعب بعقائد الناس.

٣– ظهور ادعاءات متعددة للرؤية أو النيابة بعد الغيبة الكبرى، خاصة في فترات الاضطرابات السياسية أو الدينية، مما يشير إلى استغلال الغموض لتحقيق مصالح شخصية أو سياسية.

٤ – اعتماد بعض هذه الادعاءات على رؤى وأحلام أو كرامات فردية، والتي لا يمكن اعتمادها كأدلة عقلية أو شرعية وفقا للمنهج العلمي أو الحوزوي

ثانياً: التوصيات

١ – التحذير من التصديق الأعمى في دعاوى الرؤية، خاصة التي لا تستند على أدلة واضحة أو توثيق علمي شرعي.

٢ – تعزيز الوعي العقائدي لدى الشباب حول مفهوم الغيبة، ودور الانتظار الإيجابي البنّاء بدلا من الانجرار وراء أفكار أو أشخاص يدعون الاتصال بالأمام.

٣ – تشجيع التحقيق العلمي في الروايات المرتبطة بالغيبة والرؤية لفهمها في سياقها الزماني والمكاني، مع الرجوع إلى كبار العلماء والمراجع.

الهوامش:

١ – المطلع على أبواب المقنع ، ص ٤٠٦ .
٢ – ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: (رأى) ، ص٥٦٠.
٣ – ابن منظور: لسان العرب، مادة (رأى) ، (٣٥٠/٥).
٤ – المحرر الوجيز ، لأبن عطية ، (٢٥٤/١).
٥ – عبد الرحمن حسن حبنكة، مفاهيم ينبغي أن تصحح ، ص: ٣٧.
٦ – عبد الباسط محمد حسن، التخطيط الاستراتيجي: أسسه، مراحله، أدواته، ص: ٢٤.
٧ – عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة ، (١٥/١٢).
٨ – كتاب المنجد في اللغة والاعلام ، البطرس البستاني ، طبع في دار الشرق – بيروت ، ص٤٥ .
٩ – مجلة الدراسات الإسلامية والشريعة، د. محمد عبد الرحمن الفقي المغاوري ، المجلد ٢١ ، العدد ٦٤ – عام ٢٠٠٩ .
١٠ – ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الأول ، ص ٦٥٤.
١١ – الصحاح في اللغة ، للجوهري ، (١٩٦/١).
١٢ – فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لزين الدين المناوي ، (١٦٦/٣).
١٣ – الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، المصدر السابق نفسة، مادة(كبرى) ، ص٢٥٤ .
١٤ – ابن منظور، لسان العرب ، (٧٧/١٣).
١٥ – العلامة المجلسي، بحار الأنوار ، (٣٠/٥١).
١٦ – الشيخ نزية محي الدين ، مقال منشور: مجلة الانتظار ، العدد٩ ، ١٤٢٨هـ ، ص٢.
١٧ – علي بن يونس العاملي ، الصراط المستقيم ، (٢٢٩/٢).
١٨ – علي ابن يونس العاملي ، نفس المصدر السابق ، (٢٩٩/٢).
١٩ – الشيخ نزية محي الدين، المصدر السابق نفسة ، ص٣.
٢٠ – كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، (تحقيق الاملي) ، العلامة الحلي ، ص١٦٩ .
٢١ – الامام المهدي من المهد إلى الظهور ، تأليف العلامة السيد محمد كاظم القزويني الموسوي ، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات – بيروت/ لبنان ، ص ٥٦.
٢٢ – السيد محمد كاظم القزويني الموسوي ، المصدر السابق ، ٥٧ .
٢٣ – كتاب كمال الدين : ص٤١٣ ، كتاب كفاية الأثر : ص٦٦.
٢٤ – علل الشرائع ، ٢٤٣/٠١) ، وعنه في بحار الأنوار ، (٩٠/٥٢).
٢٥ – الكافي للكليني ، (٢٧٣/١).
٢٦ – غيبة النعماني ، ص١٧٢ .
٢٧ – كمال الدين، المصدر السابق، ص ٢٦٧ .
٢٨ – كمال الدين ، المصدر السابق ، ص٢٦٨ .
٢٩ – الغيبة ، الشيخ الطوسي ، (ص١٦١).
٣٠ – نفس المصدر السابق ، (ص١٥٧).
٣١ – الغيبة، الشيخ الطوسي ، المصدر السابق ، ص١٦٠ .
٣٢ – ينظر: اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي: (٤١٤/٢).
٣٣ – ينظر: النوبختي، فرق الشيعة: ص١١٤ .
٣٤ – ينظر: نفس المصدر السابق : ص١١٤ .

٣٥- شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الغيبة، الناشر موسوعة المعارف الاسلامية ، (٣٥٧/١).
٣٦- الطبرسي، الاحتجاج: ص٣١٤ – ٣١٦.
٣٧- كمال الدين، المصدر السابق، (٥١٦/٢).
٣٨- الصدوق، عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ، (٩١/١-٩٣).
٣٩- الصدوق، إكمال الدين ، (٨٢/١-٨٣).
٤٠- الاحتجاج ، الشيخ الطبرسي ، (٣١٨/٢).
٤١- الشيخ الطوسي، المصدر السابق ، (٣١٨/٢).
٤٢- مركز الأبحاث العقائدية، العتبة الحسينية المقدسة، مقال منشور.

المصادر:

القرآن الكريم

أولاً: معاجم اللغة

١- أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، الجزء الثاني، تاريخ النشر ٢٠٠٩م.
٢- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٣- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادى، القاموس المحيط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

ثانياً: الكتب

١- محمد بن علي السنوسي، المسائل العشر، الناشر مطبعة المعاهد- القاهرة ، الجزء التاسع عشر، سنة النشر ١٩٣٤م.
٢- فيصل بدير عون عبد الجبار، الأصول الخمسة، الناشر جامعة الكويت، الطبعة الأولى- ١٩٩٨م.
٣- كتاب المنجد في اللغة والاعلام – المؤلف المعلم البطرس ، بيروت ، دار المشرق ، ط. م ،٢٠٠٩م.
٤- الشيخ الطوسي محمد بن الحسن ، كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ، تحقيق عباد الله الطهراني ، نشر في مؤسسة المعارف الإسلامية – الطبعة الأولى في ايران قم – ١٤١١ هـ.
٥- الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي ، كتاب تمام النعمة وكمال الدين – تحقيق علي الغفاري – نشر في مؤسسة النشر الإسلامي – طهران ، مكتبة الصدوق – ١٣٩٨ هـ.
٦- الكليني محمد بن يعقوب ، كتاب الكافي ، حققه علي اكبر الغفاري – ط٢ ، طهران ، دار الكتب الاسلامية ، ١٤٠٧هـ.
٧- المفيد محمد بن محمد بن النعمان ، الاختصاص، تحقيق علي أكبر الغفاري– قم المقدسة – ١٤٠٤هـ.
٨- المجلسي محمد باقر – بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار ، تحقيق محمد الباقر البهبودي ، مؤسسة الوفاء – بيروت / لبنان – الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣ هـ.
٩- النعماني محمد بن إبراهيم بن جعفر ، الغيبة ، تحقيق فارس حسون كريم ، قم ، أنوار الهدى – بيروت – الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ.
١٠- القزويني محمد كاظم الموسوي ، الأمام المهدي من المهد إلى الظهور، قم ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – ط٥ ، ٢٠٠٦م.
١١- علي بن يونس العاملي النباطي البياضي، الصراط المستقيم، الجزء الثاني، الناشر المكتبة المرتضوية ، مطبعة الحيدري– ١٤١٥هـ.
١٢- زين الدين محمد المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة : الأولى، ١٣٥٦هـ.
١٣- محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله ، شمس الدين، المطلع على ألفاظ المقنع، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
١٤- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

ثالثا: المجلات والمقالات الإلكترونية

١- الشيخ نزية محي الدين ، مقال منشور، مجلة الانتظار ، العدد التاسع، ١٤٢٨هـ.
٢- مشاهدة الأمام، مركز الأبحاث العقائدية، العتبة الحسينية المقدسة، مقال منشور.
٣- د. المغاوري محمد عبد الرحمن الفقي ، الدراسات الإسلامية و الشريعة – رقم المجلد ٢١ – بالعدد ٦٤ – عام ٢٠٠٩.

Website address

White Dome Magazine

Republic of Iraq

Baghdad / Bab Al-Muadham

Opposite the Ministry of Health

Department of Research and Studies

Communications

managing editor

07739183761

P.O. Box: 33001

International standard number

ISSN3005_5830

Deposit number

In the House of Books and Documents (1127)

For the year 2023

e-mail

Email

off reserch@sed.gov.iq

hus65in@gmail.com

General supervision the professor
Alaa Abdul Hussein Al-Qassam
Director General of the
Research and Studies Department editor
a . Dr . Sami Hammoud Haj Jassim
managing editor
Hussein Ali Muhammad Hassan Al-Hassani
Editorial staff
Mr. Dr. Ali Attia Sharqi Al-Kaabi
Mr. Dr. Ali Abdul Kanno
Mother. Dr . Muslim Hussein Attia
Mother. Dr . Amer Dahi Salman
a. M . Dr. Arkan Rahim Jabr
a. M . Dr . Ahmed Abdel Khudair
a. M . Dr . Aqeel Abbas Al-Raikan
M . Dr . Aqeel Rahim Al-Saadi
M. Dr.. Nawzad Safarbakhsh
M. Dr . Tariq Odeh Mary
Editorial staff from outside Iraq
a . Dr . Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
a . Dr . Muhammad Khaqani
Isfahan University / Iran
a . Dr . Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
a . Dr . Nour al-Din Abu Lihia
Batna University / Faculty of Islamic Sciences / Algeria
Proofreading
a . M . Dr. Ali Abdel Wahab Abbas
Translation
Ali Kazem Chehayeb